كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

المتوفى سنة ٢٥٠ هـ

وضع حواشيه

محمد باسل عيون السود

تنبيه:

ألحقنا الفهارس العامة في آخر الكتاب

المجلد الثالث

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الثانية
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

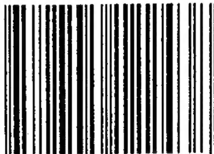
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-2243-6





http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

أول المصحف الخامس من كتاب الحيوان في الكلام على بقية النيران

نبدأ في هذا الجزءِ بتمام القول في نيران العربِ والعجَم، ونيرانِ الدِّيانة ومبلغِ أقدارِها عند أهلِ كلِّ مِلَّةٍ وما يكون منها مَفْخَراً، وما يكونُ منها مذموماً، وما يكون صاحبها بذلك مهجوراً.

ونبدأ بالإخبار عنها وبدئها، وعن نفس جوهرها، وكيفَ القولُ في كُمونها وظهورها، إن كانت النارُ قد كانت موجودةَ العينِ قبلَ ظهورها، وعن كونها، على المجاورة كان ذلك أم على المداخَلة، وفي حدوث عَينها إن كانت غيرَ كامنة، وفي إحالة الهواء لها والعودِ جَمْراً، إن كانت الاستحالةُ جائزة، وكانت الحجّة في تثبيت الأعراض صحيحة. وكيف القولُ في الضِّرام الذي يظْهر من الشجر، وفي الشَّرر الذي يظهر من الحجَر. وما القولُ في لون النار في حقيقتها. وهل يختلفُ الشَّرَار في طبائعها، أم لا اختلافَ بين جميعِ جواهرها، أم يكون اختلافها على قدْر اختلافِ مخارجِها ومَداخلها، وعلى قدر اختلافِ ما لاقاها وهَيّجها؟

١٢٦٧ - [قول أبي إسحاق النظام في النار]

ونبدأ، باسم اللّه وتأييده، بقول أبي إسحاق.

قال أبو إسحاق: الناس اسمُ للحَرِّ والضِّياء. فإذا قالوا: أحْرَقَتْ أو سخّنَتْ، فإنما الإحراقُ والتسخينُ لأحدِ هذين الجنسين المتداخِلين، وهو الحرُّ دون الضياء.

وزعمَ أن الحرَّ جوهَر صعَّادٌ. وإنما اختلفا، ولم يكن اتِّفاقهما على الصعود موافقاً بين جواهرهما؛ لأنهما متى صارا من العالَم العُلويِّ إلى مكانٍ صار أحدهما فوقَ صاحبِه.

وكان يجزِم القولَ ويُبْرِم الحُكم بأنّ الضياءَ هو الذي يَعْلو إذا انفردَ، ولا يُعْلَى.

قال: ونحنُ إنما صِرْنا إذا أطفأنا نارَ الأتُّون[1] وجَدْنا أرضه وهواهُ وحيطانه حارّة، ولم نجدْها مضيئة، لأن في الأرض، وفي الماء الذي قد لابسَ الأرض، حرّا كثيراً، وتداخلاً مُتشابكاً؛ وليس فيهما ضياء. وقَدْ كانَ حَرُّ النارِ هَيَّجَ تِلْكَ الحَرَارَةَ فَأَظْهَرَهَا، ولَمْ يَكُنْ هُنَاكَ ضياءٌ من مُلاَبس فَهَيَّجهُ الضياءُ وأظهره، كما اتصل الحرُّ بالحرِّ فأزاله من موضعه، وأَبرزهُ من مكانه. فلذلك وجدْنا أرضَ الأتُّون[1]، وحيطانها، وهواها حارَّةً، ولم نَجِدْها مضيئة.

وزعم أبو إسحاقَ أنَّ الدليل على أن في الحجر والعود ناراً مع اختلاف الجهات، أنه يلزَمُ من أنكرَ ذلك أن يزعُمَ أن ليس في السِّمسم دُهْنٌ ولا في الزَّيتون زيت.

ومن قال ذلك لزِمهُ أنْ يقولَ: أنْ ليس في الإنسان دَم، وأنَّ الدَّمَ إنّما تَخَلَّقَ عند البطّ[2]، وكان ليس بين مَن أنكرَ أن يكون الصَّبرُ[3] مرّ الجوهر، والعسلُ حُلْوَ الجوهر قبل ألاّ يذاقا، وبين السمسمِ والزيتون قبلَ أن يُعصرا - فَرْق.

وإنْ زَعَم الزاعم أنّ الحلاوة والمرارةَ عَرَضانِ، والزيتَ والخلّ جوهر، وإذا لزم مَنْ قال ذلك في حلاوة العسل، وحموضة الخلِّ، وهما طعمان - لزمه مثلُ ذلك في ألوانهما، فيزعم أنَّ سوادَ السَّبَج[4]، وبياضَ الثلجِ، وحُمْرَةَ العُصْفُر، وصُفرة الذهب، وخُضْرَةَ البقْل، إنما تحدُث عندَ رؤية الإنسان، وإن كانت المعاينةُ والمقابلة غيرَ عاملتين في تلك الجواهر.

قال: فإذا قاسَ ذلك المتكلِّم في لَوْنِ الجسم بعد طعمه، وفي طوله وعرضه وصورته بعد رائحته، وفي خفتِه وثقل وزنه، كما قاس في رخاوته وصلابته - فقد دخل في باب الجهالات، ولحق بالذين زعموا أن القِرْبة ليس فيها ماء، وإنْ وجدوها باللمس ثقيلة مزكورة[5] وإنما تخلَّق عند حلِّ رِباطها. وكذلك فليقولوا في الشمسِ والقمرِ، والكواكب، والجبال، إذا غابتْ عن أبصارهم.

قال: فمن هرب عن الانقطاع إلى الجهالات، كان الذي هرب إليه أشدَّ عليه.

---

(١) الأتّون: الموقد.
(٢) بَطُّ الجرح: شقه، والمبطة: المبضع.
(٣) الصَّبِر: عصارة شجر مر.
(٤) السبج: الخرز الأسود.
(٥) مزكورة: مملوءة.

وكان يضرِبُ لهما مثلاً ذكرته لِظَرافته:

حُكِيَ عن رجل أحدبَ سقطَ في بئر، فاستوت حدَبتُهُ وحَدَثَتْ له أُدْرَةٌ[1] في خُصيته، فهَنَّاه رجلٌ عن ذهاب حَدَبته، فقال: الذي جاء شرٌّ من الذي ذهب!

١٢٦٨ - [رد النظام على ضرار في إنكار الكمون]

وكان أبو إسحاق يزعُم أن ضِرارَ بنَ عَمرو قد جَمعَ في إنكاره القولَ بالكُمُون الكفرَ والمعاندةَ؛ لأنه كان يزعُمُ أن التوحيدَ لا يصحُّ إلا مع إنكار الكمون، وأن القولَ بالكمون لا يصحُّ إلا بأنْ يكون في الإنسان دمٌ. وإنما هو شيءٌ تَخَلَّق عند الرُّؤية.

قال: وهو قد كان يعلمُ يقيناً أنَّ جوفَ الإنسانِ لا يخلو من دم.

قال: ومن زعَمَ أن شيئاً من الحيوان يعيشُ بغير الدمِ، أو شيءٍ يشبهُ الدمَ، فواجبٌ عليه أن يقول بإنكار الطبائع؛ ويدفع الحقائقَ بقول جَهْم في تسخين النار وتبريد الثلج، وفي الإدراك والحسِّ، والغذاء والسُّمّ. وذلك بابٌ آخر في الجهالات.

ومن زعم أن التوحيدَ لا يصلحُ إلا بألاّ يكون في الإنسان دم، وإلا بأن تكونَ النارُ لا توجب الإحراق، والبصرُ الصحيحُ لا يوجبُ الإدراك - فقد دَلّ عَلى أنه في غاية النقص والغباوة، أو في غاية التكذيب والمعاندة.

وقال أبو إسحاق: وجدنا الحطب عند انحلال أجزائه، وتفرُّق أركانه التي بُني عليها، ومجموعاته التي رُكّبَ منها وهي أربع: نارٌ، ودخان، وماءٌ، ورَمَاد، ووجدنا للنار حرّاً وضياءً، ووجدنا للماء صوتاً، ووجدنا للدُّخان طعماً ولوناً ورائحة، ووجدنا للرَّمَادِ طعماً ولوناً ويُبْساً، ووجدنا للماء السائلَ من كل واحد من أصحابه. ثمَّ وجدناه ذا أجناسٍ رُكِّبَتْ من المفرَدَات.

ووجدنا الحطب رُكِّبَ على ما وصفنا، فَزعمنا أنه رُكّب من المُزْدَوِجَاتِ، ولم يُركَّبْ من المفردات.

قال أبو إسحاق: فإذا كان المتكلمُ لا يعرف القياسَ ويُعطيه حقه فرأى أنَّ العُود حين احتكَّ بالعودِ أحدث النار فإنه يلزَمُه في الدخان مثلُ ذلك، ويَلزَمُه في الماء السائل مثلُ ذلك. وإنْ قاس قال في الرّماد مثلَ قوله في الدخان والماء. وإلا فهو إما جاهلٌ، وإمّا متحكم.

---

(١) الأدرة: انتفاخ في الخصية.

وإن زَعَمَ أنه إنما أنكرَ أنْ تكون النارُ كانت في العودِ، لأنه وَجدَ النارَ أعظم من العود، ولا يجوز أن يكون الكبيرُ في الصغير، وكذلك الدخان - فليَزْعُمْ أن الدخانَ لم يكنْ في الحطبِ، وفي الزَّيت وفي النِّفْطِ.

فإن زعم أنهما سواءٌ، وأنه إنما قال بذلك لأن بَدَنَ ذلك الحطَب لم يكن يسعُ الذي عاين من بَدَن النارِ والدخان، فليس ينبغي لمنْ أنكر كُمونَهَا من هذه الجهة أَنْ يزعُمَ أنّ شَرَرَ القَدَّاحَةِ والحجَرِ لم يكونا كامنين في الحجَر والقَدَّاحَة.

وليس ينبغي أن يُنْكِرَ كُمونَ الدم في الإنسان، وكمونَ الدُّهْن في السمسم، وكمون الزيت في الزيتون. ولا ينبغي أن يُنْكِرَ من ذلك إلا ما لا يكون الجسمُ يَسَعُه في العين.

فكيف وهم قد أجْرَوْا هذا الإنكارَ في كلِّ ما غابَ عن حواسّهم من الأجسام المستَتِرة بالأجسام حتى يعود بذلك إلى إبطال الأعراض؟! كنحو حموضة الخلّ، وحلاوة العسلِ، وعذوبة الماء، ومَرارة الصبر.

قال: فإن قاسوا قولهم وزعموا أن الرمادَ حادثٌ، كما قالوا في النار والدُّخان، فقد وجبَ عليهم أن يقولوا في جميعِ الأجسام مثلَ ذلك كالدقيق المخالفِ للبُرِّ في لونه، وفي صلابَته، وفي مساحته، وفي أمورٍ غير ذلك منه. فقد ينبغي أن يزعم أن الدقيقَ حادثٌ، وأن البُرّ قد بطَلَ.

وإذا زعم ذلك زعم أنّ الزُّبْدَ الحادثَ بعد المخْضِ لم يكن في اللبنِ، وأنَّ جُبْنَ اللبنِ حادث، وقاسَ ماءَ الجُبْن على الجبن. وليس اللبنُ إلا الجُبْنَ والماءَ.

وإذا زعم أنهما حادثان، وأن اللبن قد بَطَلَ، لزمَه أن يكون كذلك الفَخَّارُ، الذي لم نجده حتى عَجَنَّا الترابَ اليابسَ المتهافتَ على حدَته، بالماءِ الرَّطْبِ السّيال على حدَته، ثم شوَيناهُ بالنار الحارَّة الصَّعَّادَة على حدَتِها. ووجدنا الفخار في العينِ واللمس وَالذَّوق والشَّمّ، وعند النَّقْر والصّكّ - علَى خلاف ما وجدنا عليه النارَ وحدها، والماءَ وحده، والتُّرابَ وَحْدَهُ؛ فإنّ ذلك الفخار هو تلك الأشياءُ. والحطبَ هو تلك الأشياءُ، إلا أن أحدَها من تركيب العباد، والآخرَ من تركيب اللّه.

والعبد لا يقلبُ المَركَّبات عن جواهرها بتركيبه ما ركب منها.

والحَجَرُ متى صَكَّ بيضةً كسرَها، وكيف دارَ الأمرُ، سواءٌ كانت الرِّيح تقلبه أو إنسان.

فإن زعموا أن الفخار ليس ذلك التُّرابَ، وذلك الماءَ، وتلك النار، وقالوا مثل ذلك في جميعِ الأخبصة[1] والأنبذة، كان آخرُ قياسهم أن يُجيبوا بجواب أبي الجهجاه؛ فإنه زعم أن القائمَ غيرُ القاعد، والعجينَ غيرُ الدقيق. وزعم - ولو أنه لم يقل ذلك - أن الحبَّة متى فلقت فقد بطل الصحيح، وحدثَ جِسْمان في هيئة نصفَي الحبَّة. وكذلك إذا فلقت بأربعِ فلق، إلى أن تصيرَ سَويقاً، ثم تصيرَ دقيقاً، ثم تصير عجيناً، ثم تصير خُبزاً، ثم تعودَ رجيعاً وزبْلاً، ثم تعودُ رَيحاناً وبَقلاً، ثم يعود الرجيع أيضاً لبناً وزُبداً؛ لأن الجلاَّلة[2] من البهائم تأكله، فيعودُ لحماً ودماً.

وقال: فليس القولُ إلا ما قال أصحابُ الكُمونِ، أو قولَ هذا.

١٢٦٩ - [ردّ النظام على أصحاب الأعراض]

قال أبو إسحاق: فإن اعترض علينا مُعترضٌ من أصحاب الأعراض فزعم أن النارَ لم تكن كامنةً، وكيفَ تكمُنُ فيه وهي أعظم منه؟ ولكنّ العودَ إذا احتكّ بالعود حَمِيَ العودان، وحمي من الهواءِ المحيط بهما الجزءُ الذي بينهما، ثم الذي يَلي ذلك منهما، فإذا احتدم رقّ، ثم جفّ والتهب. فإنما النارُ هواءٌ استحالَ.

والهواءُ في أصل جوهرِه حارٌّ رقيق، وهو جسم رقيق، وهو جسمٌ خَوَّارٌ، جيِّد القبول، سريع الانقلاب.

والنار التي تراها أكثرَ من الحطب، إنما هي ذلك الهواءُ المستحيل، وانطفاؤها بطلان تلك الأعراضِ الحادثة من النارية فيه. فالهواءُ سريعُ الاستحالة إلى النار، سريعُ الرجوع إلى طبعهِ الأول. وليس أنها إذا عُدِمَتْ فقد انقطعتْ إلى شكل لها عُلْويٍّ واتصلت، وصارتْ إلى تِلادها[3]، ولا أنَّ أجزاءَها أيضاً تفرقتْ في الهواء، ولا أنها كانت كامنةً في الحطَب، متداخلةً منقبضة فيه، فلما ظهرت انبسطت وانتشرت. وإنما اللهبُ هواءٌ استحال ناراً؛ لأن الهواءَ قريبُ القرابة من النار، والماءَ هو حجازٌ بينهما، لأنَّ النار يابسةٌ حارة، والماءَ رطبٌ بارد، والهواءَ حارٌّ رطب، فهو يُشبه الماء من جهة الرطوبة والصفاء، ويُشبه النار بالحرارةِ والخفة فهو يخالفهما ويوافقهما؛ فلذلك جازَ أن ينقلبَ إليهما انقلاباً سريعاً، كما ينعصر الهواء إذا استحال رطباً

(١) الأخبصة: حلوى تصنع من التمر والسمن.
(٢) الجلاّلة: البقرة تتبّع النجاسات، والجلّة: البعر.
(٣) أصل التلاد: المال القديم الأصلي، وهو يريد القول: رجعت إلى معدنها وأصلها الأول.

وحدث له كثافة، إلى أن تعود أجزاؤه مطراً. فالماء ضدٌّ النار، والهواء خلافٌ لهما، وليس بضدٍّ. ولا يجوز أن ينقلب الجوهر إلى ضده حتى ينقلب بَديّاً إلى خلافه. فقد يستقيم أن ينقلبَ الماء هواءً، ثم ينقلبَ الهواءُ ناراً، وينقلبَ الهواءُ ماء، ثم ينقلبَ الماءُ أرضاً. فلا بدّ في الانقلاب من الترتيبِ والتدريج. وكلٌّ جوهر فله مقدمات؛ لأن الماءَ قد يحيل الطين صخراً، وكذلك في العَكس، فلا يستحيل الصخرُ هواءً، والهواءُ صخراً، إلا على هذا التنزيل والترتيب.

وقال أبو إسحاق لمن قال بذلك من حُذَّاق أصحاب الأعراض: قد زعمتم أن النار التي عايناها لم تخرج من الحطَب، ولكنَّ الهواءَ المحيط بهما احتدَمَ واستحالَ ناراً. فلعلّ الحطب الذي يسيل منه الماءُ الكثيرُ، أن يكون ذلك الماءُ لم يكن في الحطَب، ولكنَّ ذلك المكان من الهواءِ استحالَ ماء. وليس ذلك المكان من الهواء أحقَّ بأن يستحيل ماءً من أن يكون سبيلُ الدخان في الاستحالةِ سبيلَ النار والماء.

فإن قاسَ القومُ ذلك، فزعموا أن النار التي عاينَّاها، وذلك الماء والدخان في كثافة الدخَان وسَواده، والذي يتراكمُ منه في أسافلِ القدور وسُقف المطابخ إنما ذلك هواء استحال، فلعلَّ الرماد أيضاً، هواءٌ استحالَ رماداً.

فإن قلتم: الدُّخان في أول ثقله المتراكم على أسافل القدور، وفي بُطونِ سُقُفِ مواقد الحمامات، الذي إذا دُبِّرَ ببعض التدبير جاء منه الأنقاسُ[1] العجيبةُ أحق بأن استحَال أرضيّاً. فإن قاسَ صاحب العَرَضِ، وزعم أن الحطب انحلَّ بأسرِه، فاستحال بعضه رماداً كما قد كان بعضُه رماداً مرةً، واستحال بعضه ماءً كما كان بعضه ماءً مرة، وبعضه استحال أرضاً، كما كان بعضه أرضاً مرة، ولم يقلْ إن الهواءَ المحيطَ به استحالَ رماداً، ولكنَّ بعضَ أخلاطِ الحطبِ استحالَ رماداً ودُخاناً، وبعض الهواء المتصل به استحال ماءً وبعضه استحَال ناراً، على قدرِ العوامل، وعلى المقابلات له. وإذا قال صاحبُ العرض ذلك كان قد أجاب في هذه السَاعةِ على حدٍّ ما نزَّلتُه لك.

وهذا باب من القول في النار. وعلينا أن نستقصيَ للفريقَين واللّه المعين.

١٢٧٠ - [ردٌّ على منكري كُمون النار في الحطب]

وبابٌ آخرُ، وهو أن بعض من ينكرُ كُمونَ النار في الحطب قالوا: إن هذا الحرّ

---

(١) الأنقاس: جمع نقس، وهو المداد.

الذي رأيناه قد ظهرَ من الحطب، لو كان في الحطب لكان واجباً أن يجده مَنْ مَسّه كالجمر المتوقد، إذا لم يكن دونه مانعٌ منه. ولو كان هناك مانعٌ لم يكن ذلك المانعُ إلا البردَ؛ لأن اللونَ والطعمَ والرائحة لا يفاسِد الحرَّ، ولا يُمانعه إلا الذي يُضادُّه، دون الذي يخالفه ولا يضاده.

فإن زعم زاعمٌ أنه قد كان هناكَ من أجزاء البرد ما يعادلُ ذلك الحرَّ ويُطاوله، ويكافيه ويوازيه؛ فلذلك صرنا إذا مَسَسْنَا الحطبَ لم نجدْه مؤذياً، وإنما يظهر الحرْقُ ويُحْرِقُ لزوال البرد، إذا قام في مكانه وظهر الحرُّ وحْده فظهر عمله. ولو كان البردُ المعادلُ لذلك الحرِّ مقيماً في العود على أصلِ كمونه فيه. لكانَ ينبغي لمن مَسَّ الرَّمادَ بيده أن يجده أبرد من الثلج. فإذا كان مسه كمسٍّ غيره، فقد علمنا أنه ليس هناك من البرد ما يعادلُ هذا الحرَّ الذي يُحرق كلّ شيءٍ لَقِيَه.

فإن زعم أنهما خرجا جميعاً من العود، فلا يخلو البردُ أن يكونَ أَخَذَ في جهته، فلِمَ وجدنا الحرّ وحده وليس هو بأحق أن نجده من ضدّه. وإن كان البردُ أَخَذَ شَمَالاً، وأخذَ الحرُّ جنوباً، فقد كان ينبغي أن يجْمِد ويُهْلك ما لاقاه، كما أهلك الحر وأحرقَ وأذاب كلَّ ما لاقاه.

قالوا: فلما وجدنا جميعَ أقسامِ هذا البابِ، علمنا أن النار لم تكن كامنة في الحطبِ.

قال أبو إسحاق: والجواب عن ذلك أنا نزعم أن الغالبَ على العالَم السفليِّ الماءُ والأرض، وهما جميعاً باردانِ، وفي أعماقهما وأضعافهما من الحر ما يكون مغموراً ولا يكون غامراً، ويكون مقموعاً ولا يكون قامعاً ؛ لأنه هناك قليل، والقليلُ ذليل، والذليلُ غريب، والغريبُ محقور. فلما كان العالَمُ السفلي كذلك، اجتذبَ ما فيه من قوة البرد وذلك البرد الذي كان في العود عند زوالِ مانعه؛ لأن العودَ مقيمٌ في هذا العالم. ثم لمْ ينقطع ذلك البردُ إلى برد الأرض، الذي هو كالقُرْص له، إلا بالطُّفرة[1] والتخليف[2]، لا بالمرور على الأماكن والمحاذاة لها وقام بَرْدَ الماء منه مقام قرصِ الشمسِ من الضياء الذي يدخل البيتَ للخَرْق الذي يكون فيه، فإذا سُدَّ فمع السَّدِّ ينقطعُ إلى قُرْصه، وأصلِ جوهره.

---

(١) الطفرة: الوثبة.

(٢) التخليف: التَّرْك.

فإذا أجابَ بذلك أبو إسحاق لم يجد خصمُه بُدّاً من أن يبتدئ مسألة في إفساد القول بالطفرة والتخليف.

ولولا ما اعترض به أبو إسحاق من الجواب بالطفرة في هذا الموضع، لكان هذا مما يقع في باب الاستدلالِ على حدوثِ العالم.

١٢٧١ - [قول النظام في الكمون]

وكان أبو إسحاق يزعُمُ أن احتراق الثوب والحطب والقطن، إنما هو خروجُ نيرانه منه، وهذا هو تأويل الاحتراق، وليس أن ناراً جاءت من مكانٍ فعملت في الحطب، ولكن النار الكامنة في الحطب لم تكن تقوى على نفي ضدِّها عنها، فلما اتصلت بنار أخرى، واستمدَّت منها، قوِيَتَا جميعاً على نفي ذلك المانع، فلما زال المانع ظهرت. فعند ظهورها تجزَّأ الحطبُ وتجففَ وتهافتَ؛ لمكان عملها فيه. فإحراقك للشيء إنما هو إخراجك نيرانه منه.

وكان يزعم أن حرارة الشمس، إنما تحرق في هذا العالم بإخراج نيرانها منه. وهي لا تُحرق ما عقد العَرَضُ وكَثَّفَ تلك النداوة؛ لأن التي عقدت تلك الأجزاء من الحر أجناس لا تحترق، كاللون والطعم والرائحة، والصوت. والاحتراقُ إنما هو ظهورُ النار عند زوال مانِعها فقط.

وكان يزعم أن سمَّ الأفعى مقيماً في بدن الأفعى، ليس يَقْتُل، وأنه متى مازَجَ بدناً لا سمَّ فيه لم يقتل ولم يُتْلِفْ، وإنما يتلفُ الأبدان التي فيها سموم ممنوعة مما يُضَادُّها. فإذا دخل عليها سم الأفعى، عاون السم الكامنُ ذلك السمَّ الممنوعَ على مانعه. فإذا زال المانعُ تلف البدن. فكان المنهوشُ عند أبي إسحاقَ، إنما كان أكثرُ ما أتلفه السمّ الذي معه.

وكذلك كان يقول في حرِّ الحمَّام، والحر الكامنِ في الإنسان: أنَّ الغَشْيَ الذي يعتريه في الحمام ليس من الحر القريب، ولكن من الحر الغريب، حرّك الحرَّ الكامن في الإنسانِ، وأمَدّهُ ببعض أجزائه، فلما قوِيَ عند ذلك على مانعه فأزاله، صار ذلك العملُ الذي كان يُوقعه بالمانع واقعاً به. وإنما ذلك كماءٍ حار يحرِقُ اليَد، صُبَّ عليه ماءٌ باردٌ، فلما دخل عليه الماء البارد صار شُغْله بالداخل، وصار من وضَعَ يده فيه ووضع يدَه في شيء قد شُغِل فيه بغيره. فلما دفع اللّه، عزّ وجلّ، عنه ذلك الجسم

الذي هو مشغولٌ به، صار ذلك الشُّغْل مصروفاً إلى من وضع يده فيه؛ إذ كان لا ينفكُّ من عمله.

وكان مع ذلك يزعم أنك لو أطفأتَ نارَ الأتُّون[1] لم تجدْ شيئاً من الضوء، ووجدت الكثير من الحر؛ لأن الضياء لما لم يكن له في الأرض أصلٌ ينسب إليه، وكان له في العلوّ أصلٌ، كانَ أولَى به.

وفي الحقيقة أنهما جميعاً قد اتصلا بجوهرهما من العالم العلويّ. وهذا الحر الذي تجده في الأرض، إنما هو الحرُّ الكامن الذي زال مانعه.

هكذا كان ينبغي أن يقول. وهو قياسُه.

وكان يزعم أنك إن أبصرتَ مصباحاً قائماً إلى الصُّبح أن الذي رأيته في أول وهلةٍ قد بَطلَ من هذا العالَم، وظَفر من الدهن بشيء من وزنه وقدره بلا فضل[2]، ثم كذلك الثالث والرابع والتاسع. فأنت إن ظننتَ أن هذا المصباحَ ذلك، فليس به، ولكن ذلك المكان لما كان لا يخلو من أقسامٍ متقاربة متشابهة، و لم يكن في الأول شيةٌ[3] ولا علامة، وقع عندك أن المصباحَ الذي رأيته مع طلوعِ الفجر، هو الذي رأيته مع غروب الشّفقِ.

وكان يزعم أن نار المصباح لم تأكل شيئاً من الدُّهن ولم تشربْه، وأن النار لا تأكل ولا تشرب، ولكن الدهن ينقص على قدرِ ما يخرجُ منه من الدخان والنار الكامنَين، اللذَينِ كانا فيه. وإذا خرج كلُّ شيء فهو بُطْلانه.

١٢٧٢ - [المجاز والتشبيه الأكل]

وقد يقولون ذلك أيضاً على المثل، وعلى الاشتقاق، وعلى التشبيه.

فإن قلتم: فقد قال الله عزّ وجلّ في الكتاب: ﴿الَّذينَ قَالُوا إنَّ اللّه عَهدَ إلَيْنا أَنْ لاَ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تأْكُلُهُ النَّارُ﴾[4] علِمْنَا ان اللّه، عزّ وجلّ، إنما كلمهم بلغتهم.

---

(١) الأتُّون: الموقد.

(٢) الفضل: الزيادة.

(٣) الشية: اللون يخالف معظم اللون.

(٤) ١٨٣ /آل عمران:٣.

وقد قال أوسُ بنُ حَجَر[1]: [من الطويل]

فأشْرَط فيها نفسَه وهْو مُعْصِمٌ ... وألقى بأسباب له وتوكَّلا[2]

وقد أكَلَتْ أظْفَارَه الصَّخْرُ كلما ... تَعَايا عليه طولٌ مَرْقًى تَوَصَّلاَ

فجعل النحتَ والتَّنَقُّصَ أكلاً.

وقال خفَافُ بن نَدْبَة[3]: [من البسيط]

أبا خُرَاشَةَ أمَّا كنْتَ ذَا نَفَرٍ ... فإنَّ قومِيَ لم تأكُلْهُمُ الضبُعُ

والضَّبُعُ: السَّنَة. فجعل تَنَقُّصَ الجدْبِ، والأزْمة، أكلاً.

باب آخر مما يسمونه أكلاً

وقال مِرْداسُ بن أُدَيّة[4]: [من البسيط]

وأدّتِ الأرضُ منِّي مِثْلَ مَا أكَلَتْ ... وقرّبُوا لحِسَابِ القِسْطِ أعمالي

وأكْلُ الأرض لما صارَ في بطنها: إحالتها له إلى جَوْهَرِها.

بـــاب آخـــر

١٢٧٣ - [في المجاز والتشبيه بالأكل]

وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً﴾[5] وقوله

---

(١) ديوان أوس بن حجر ٨٧، والسمط ٤٩٢، والأول في اللسان والتاج (شرط، عصم)، وأساس البلاغة (شرط)، والعين ٦/٢٣٦، والجمهرة ٧٢٦، والسمط ٤٩٢، والفاخر ١٢٣، والثاني في أساس البلاغة (أكل).

(٢) في ديوانه: «قال ابن السكيت: أشرط نفسه: جعلها علماً للموت، ومنه أشراط الساعة. ويقال: أشرط نفسه في ذلك الأمر؛ أي خاطر بها. والمعصم: المتعلق بالحبل. والسبب: الحبل».

(٣) البيت لخفاف بن ندبة في ديوانه ٥٣٣، وللعباس بن مرداس في ديوانه ١٠٦، والاشتقاق ٣١٣، والخزانة ٤/١٣، ١٤، ١٧، ٢٠٠، ٥/٤٤٥، ٦/٥٣٢، ١١/٦٢، وشرح شذور الذهب ٢٤٢، وشرح شواهد المغني ١/١١٦، ١٧٩، وشرح قطر الندى ١٤٠، وشرح المفصل ٢/٩٩، ٨/١٣٢، والكتاب ١/٢٩٣، والمقاصد النحوية ٢/٥٥، واللسان (خرش، ضبع)، وبلا نسبة في الأزهية ١٤٧، والإنصاف ٧١، ومغني اللبيب ١/٣٥، واللسان والتاج (ما)، وأوضح المسالك ١/٢٦٥، والجنى الداني ٥٢٨.

(٤) البيت في شعر الخوارج ٥٠.

(٥) ١٠/ النساء: ٤.

تعالى، عزَّ اسمُه: ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾(١). وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة، ولبسوا الحُللَ، وركبوا الدوابَّ، ولم ينفقوا منها دِرْهَماً واحداً في سبيل الأكل.

وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً﴾(٢). وهذا مجازٌ آخر.

وقال الشاعر في أخذ السِّنينَ من أجزاء الخمر(٣): [من الخفيف]

أَكَلَ الدَّهْرُ ما تجسَّمَ منها ... وتَبَقَّى مُصاصَهَا المكنونا(٤)

وقال الشاعر: [من السريع]

مَرّتْ بِنَا تَخْتَالُ فِي أرْبَعٍ ... يأكُلُ منها بعضُهَا بعضَا(٥)

وهلْ قوله(٦): «وقد أكَلَتْ أظْفَارَه الصَّخْرُ»، إلا كقوله(٧): [من الطويل]

كضَبِّ الكُدَى أفنى بِرَاثِنَهُ الحفرُ(٨)

وإذا قالوا: أكَلَهُ الأسَد، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف. وإذا قالوا: أكَلَهُ الأسْوَد(٩)، فإنما يعنون النَّهْشَ واللَّدْغَ والعضَّ فقط.

وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿أيُحبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً﴾(١٠). ويقال: هم لحوم الناس.

---

(١) ٤٢ / المائدة: ٥

(٢) ١٠ / النساء: ٤.

(٣) البيت لأبي نواس في ديوانه ٣٠.

(٤) المصاص: خالص كل شيء، ورواية الديوان «وتبقى لبابها»، المكنون: المستور.

(٥) أربع: أراد: صواحبها، وأراد أنها في تَثَنّيها وتَعَطُّفها كانما ياكل بعضها بعضاً.

(٦) جزء من بيت لأوس بن حجر، ورد في الصفحة السابقة.

(٧) صدر البيت: (ترى الشَّرَّ قد أفْنى دوائرَ وَجْهِهِ)، وهو لخالد بن علقمة في ديوان علقمة الفحل ١١٠، ولابن الطيفان خالد بن علقمة بن مرثد في المؤتلف والمختلف ٢٢١، وللزبرقان بن بدر في المقاصد النحوية ٤ / ١٧١، وللحصين بن القعقاع في ثمار القلوب (٦١٣).

(٨) في ديوان علقمة: «قد أفنى دوائر وجهه، أي: قد ملأ الشر وجهه أجمع؛ فانت تستبين أثر الشر وتغييره في وجهه. وقوله: كضب الكدى: الضب لا يحتفر أبداً إلا في مكان صلب كيلا يهدم عليه جحره، واستعار للضب أنامل مكان البراثن لما أخبر عنه بمثل ما يخبر به عن الآدميين من الحفر».

(٩) الأسود: ضرب خبيث من الأفاعي.

(١٠) ١٢ / الحجرات: ٤٩.

وقال قائلٌ لإسماعيل بن حماد: أيّ اللُّحْمَان أطيب؟ قال: لحومُ الناس، هي واللّهِ أطيبُ من الدجاج، ومن الفراخ، والعُنُوز الحُمْرِ[1].

ويقولون في باب آخر: فلانٌ يأكل الناس. وإن لم يأكلْ من طعامهم شيئاً.

وأما قولُ أوس بن حَجَر[2]: [من الطويل]

وذو شُطبات ٍقَدّهُ ابنُ مجدّعٍ ... له رَونقٌ ذرّيُّـهُ يتأكَّلُ[3]

فهذا على خلاف الأول. وكذلك قول دُهْمان النهري[4]: [من الرمل]

سألْتني عنْ أُناسٍ أكلُوا ... شَرِبَ الدَّهْرُ عليهمْ وأكَلْ

فهذا كله مختلف، وهو كله مجاز.

بـــاب آخـــر

١٢٧٤ - [في مجاز الذوق]

وهو قول الرَّجل إذا بالغ في عقوبةِ عبده: ذُقْ! و: كيف ذقته؟! و: كيف وجدتَ طعمَه!

وقال عزّ وجلّ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[5].

وأما قولهم: «ما ذقْت اليوم ذَواقاً»[6]، فإنه يعني: ما أكلتُ اليوم طعاماً، ولا شربتُ شراباً، وإنما أراد القليل والكثير، وأنه لم يذقه، فضلاً عن غير ذلك.

---

(١) العنوز: جمع عنز، وهي الأنثى من المعز.

(٢) ديوان أوس بن حجر ٩٥، وديوان المعاني ٢/٥٧.

(٣) في ديوانه: «الشطبات: جمع شطبة، وهي الطريقة من طرائق السيف. قده: قطعه وصنعه. وابن مجدع: قين مشهور بصنع السيوف. الرونق: ماء السيف وصفاؤه وحسنه. الذري: التلألؤ واللمعان. يتاكل: يبرق ويلمع بشدة».

(٤) لم يرد البيت منسوباً إلى دهمان النهري في المصادر المتاحة، وهو للنابغة الجعدي في ديوانه ٩٢، ٩٨، والأزهية ٢٨٥، واللسان والتاج (طرب، أكل)، وأساس البلاغة (شرب)، والمعاني الكبير ١٢٠٨، وأمالي المرتضى ١/٦٦، وبلا نسبة في مجمع الأمثال ١/٤٢، وانظر المستقصى ٢/٢٨٣.

(٥) ٤٩/ الدخان: ٤٤.

(٦) المثل في مجمع الأمثال ٢/٢٨١، والمستقصى ٢/٣٢١، وأمثال ابن سلام ٣٩٠.

وقال بعض طبقات الفقهاء، ممن يشتهي أن يكون عند الناس متكلماً: ما ذقت اليوم ذواقاً على وجهٍ من الوجوه، ولا على معنًى من المعاني، ولا على سبب من الأسباب، ولا على جهةٍ من الجهات، ولا على لون من الألوان.

وهذا من عجيب الكلام!

قال: ويقول الرجل لوكيله: ايتِ فلاناً فذُقْ ما عنده

وقال شمّاخ بن ضِرار[1]: [من الطويل]

فذاق فأعطَتْه من اللِّين جانباً ... كَفى، ولَهَا أن يُغرِقَ السهمَ حاجزُ

وقال ابن مُقْبِل[2]: [من البسيط]

أو كاهتزازِ رُدَيْنيٍّ تَذَاوقَهُ ... أَيْدِي التِّجَارِ فَزَادُوا مَتْنَهُ لِينَا[3]

وقال نَهْشَلُ بن حَرِّيٍّ[4]: [من الوافر]

وعَهْدُ الغَانِيَات كَعَهْدِ قَيْنٍ ... وَنَتْ عنهُ الجعائلُ مستذاقِ[5]

الجعائلُ: من الجُعْل.

وتجاوزوا ذلك إلى أن قال يزيدَ بن الصّعق، لبني سُليم حين صنعوا بسيِّدهم العباسِ ما صنعوا. وقد كانوا توّجوه ومَلَّكوه، فلما خالفَهُم في بعض الأمر وثَبوا عليه، وكان سببَ ذلك قلة رَهْطِه. وقال يزيد بن الصّعِق[6]: [من الوافر]

وإن اللّه ذاق حُلُوم قَيْسٍ ... فلمـا ذاق خِفَّتَهَـا قَلاَهـا

---

(١) ديوان الشماخ ١٩٠، وجمهرة أشعار العرب ٨٣٢، والتهذيب ٩/٢٦٣، واللسان والتاج وأساس البلاغة (ذوق)، وبلا نسبة في المقاييس ٢/٣٦٥، والمخصص ٦/٤٧.

(٢) ديوان ابن مقبل ٣٢٨ (٢٣٢)، والحماسة البصرية ٢/٩١، والأمالي ١/٢٢٩، والموشح ١٥، واللسان والأساس (ذوق).

(٣) في ديوانه: «الرديني: الرمح، منسوب إلى ردينة، وهي امرأة كانت تتقن هي وزوجها سمهر صنع الرماح بخط هجر. والتجار: جمع تاجر، وهو الذي يتجر في الشيء، أو الحاذق في الأمر. شبّه تثني النساء في مشيهن باهتزاز الرمح اللدن».

(٤) ديوان نهشل بن حري ١١٧، واللسان والتاج (ذوق، لمق)، وجمهرة الأمثال ١/٢٣، ومجمع الأمثال ١/٤١، والمستقصى ١/١٢٥، ونسب خطأ إلى جرير في أساس البلاغة (ذوق)، وهو بلا نسبة في التهذيب ٩/٢٦٣.

(٥) القين: الحداد أو العامل. ونت: أبطأت. الجعائل: جمع جعالة، وهو ما يجعل للعامل على عمله. مستذاق: مختبر.

(٦) البيتان في أشعار العامريين الجاهليين ٦٣.

رآها لا تطيعُ لها أميراً فخلاَّها تردَّدُ في خلاها[1]

فزعم أن اللّه، عزَّ وجلَّ، يذوق.

وعند ذلك قال عباس الرِّعلي يخبر عن قلَّتِه وكثرتهم، فقال[2]: [من الطويل]

وأمُّكمُ تُزْجي التُّؤام لِبَعْلِهَا وأمُّ أخيكم كَزَّة الرِّحمِ عاقرُ[3]

وزعم يونس أنَّ أسلم بن زرعة لما أُنشدَ هذا البيت اغرَوْرَقَتْ عيناه.

وجعل عباسٌ أمّه عاقراً إذْ كانت نَزوراً. وقد قال الغنويّ[4]: [من الكامل]

وتحدثوا مَلاً لِتُصْبِحَ أمُّنَا عَذْرَاءَ لا كَهْلٌ وَلا مَوْلُودُ

جَعَلَهَا إذْ قلَّ ولدُها كالعذراء التي لم تلد قَطُّ. لما كانت كالعذراء جعلها عذراء.

وللعربِ إقدام على الكلام، ثقةً بفهمِ أصحابهم عنهم. وهذه أيضاً فضيلةٌ أخرى.

وكما جوَّزُوا لقولهم أكل وإنما عضَّ، وأكَلَ وإنما أفْنَى، وأكلَ وإنما أحاله، وأكل وإنما أبطلَ عينه - جوّزوا أيضاً أن يقولوا: ذُقْتَ ما ليس بطعم، ثم قالوا: طعِمْت، لغير الطعام. وقال العرْجيُّ[5]: [من الطويل]

وإنْ شئْتُ حَرَّمتُ النساءَ سِوَاكُمُ وإن شئتُ لم أطعمْ نُقاخاً ولا بَرْدَا[6]

وقال اللّه تعالى: ﴿ إنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فلَيْسَ مِنِّي ومَنْ لَمْ يَطْعَمْه فإنهُ مِنِّي ﴾[7]، يريد: لم يذقْ طعمه.

---

(١) خلاّها: تركها. الخلى: جمع خلاة، وهو الرطب من النبات.

(٢) تقدم البيت في الفقرة (٢٥٥) ١/٢٣٩.

(٣) تزجي: تسوق. التؤام: جمع توءم، وهو المولود مع غيره في بطن. كزة: قليلة الخير.

(٤) البيت لأبيّ بن هرثم الغنوي في تهذيب إصلاح المنطق ٣٦٨، وبلا نسبة في إصلاح المنطق ١٥٠، واللسان والتاج (ملا)، والتهذيب ١٥/٤٠٥.

(٥) البيت للعرجي في ديوانه ١٠٩، واللسان والتاج (نقخ، برد)، والتنبيه والإيضاح ١/٢٩٢، ٢/١٠، ولعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٣١٥، وللحارث بن خالد المخزومي في ديوانه ١١٧، وبلا نسبة في المقاييس ١/٢٤٣، والتهذيب ١٤/١٠٥، وديوان الأدب ١/١٠٢.

(٦) النقاخ: الماء البارد العذب الصافي. البرد: الريق.

(٧) ٢٤٩/ البقرة: ٢.

وقال عَلقمة بن عَبَدَةَ[١]: [من البسيط]

وقد أُصاحِبُ فتياناً طعامُهُـمُ ... خُضْرُ المَزاد ولحمٌ فيه تنشيمُ[٢]

يقول: هذا طعامهم في الغزو والسفرِ البعيد الغاية، وفي الصيف الذي يُغَيِّرُ الطعام والشراب.

والغزوُ على هذه الصفةِ من المفاخر؛ ولذلك قال الأول[٣]: [من مجزوء الكامل]

لا لا أعقُّ ولا أحُـو ... بُ ولا أُغيرُ عَلَى مُضَرْ

لَكِنّما غَزْوي إذا ... ضجَّ المَطِيُّ من الدَّبَرْ

وعلى المعنى الأولِ قولُ الشاعر[٤]: [من الرجز]

قالت ألاَ فاطْعِمْ عُمَيْراً تمرا ... وكان تَمْري كهرةً وزَبْـرا

وعلى المعنى الأولِ قال حاتم: «هذا فَصْدِي أنَهْ!»[٥]

ولذلك قال الرّاجز[٦]: [من الرجز]

لعامراتِ البيتِ بالخرابِ

يقول: هذا هو عمارتها.

---

(١) ديوان علقمة ٧٧، وأساس البلاغة (نشم)، والمفضليات ٤٠٣، وبلا نسبة في اللسان والتاج (نشم)، والتهذيب ١١/٣٨٢.

(٢) في ديوانه: «قوله: طعامهم خضر المزاد، فيه قولان: أحدهما أن يكون ماؤهم في مزادة، قد طحلبت لطول الغزو أو السفر وتغيرت؛ والآخر: أن يريد أن الماء نفد عندهم لطول السفر، فكانوا إذا جهدهم العطش افتظّوا الكروش فشربوا ما فيها من الماء؛ وذلك الماء أخضر لما في الكروش من بقية العلف. و«التنشيم» التغيير. ووصف في البيت جلادته، وبعد همته».

(٣) البيتان للحارث بن يزيد جد الأحيمر السعدي، وهما في البيان ٣/٢٠٠، وتقدما في ١/٨٨.

(٤) تقدم البيتان في ٤/٣٩٤.

(٥) ورد هذا القول في عمدة الحفاظ ١/١٣٤، ٣/١٠٦، وهو من الأمثال في مجمع الأمثال ٢/٣٩٤، وانظر الأغاني ١٧/٣٩١، وديوان حاتم الطائي ٢٧٥، البيت رقم ١٠٤ وتعليق المحقق عليه، والفصد: كانوا يفصدون النوق في الجدب، ويستقبلون موضع الفصد برأس مِعًى، فإذا امتلأ شدوا رأسه وشووه وأكلوه ضرورة. وانظر ما تقدم في ٤/٣٩٤، س ٦.

(٦) الرجز بلا نسبة في البيان ١/١٥٢، وديوان المعاني ٢/١٥١، وربيع الأبرار ٥/٤٧٠، وتقدم في ٤/٣٩٤، وسيعيده الجاحظ في الصفحة ١٤١.

١٢٧٥ - [تأويل النظام لقولهم: النار يابسة]

وكان أبو إسحاق يتعجبُ من قولهم: النار يابسة. قال: أما قولهم: الماء رَطْب، فيصح؛ لأنا نراه سيَّالاً. وإذا قال الأرض يابسة، فإنما يريد الترابَ المتهافتَ فقط. فإن لم يُرِدْ إلا بَدَنَ الأرض الملازمَ بعضُه لبعض؛ لما فيها من اللُّدُونة فقط، فقد أخطأ، لأن أجزاءَ الأرض مخالطةٌ لأجزاءِ الماء، فامتنعتْ من التهافتِ على أقدار ذلك.

ومتى حفرنا ودخلنا في عُمْق الأرض، وجدنا الأرض طيناً؛ بل لا تزال تجدُ الطين أرطبَ حتى تصيرَ إلى الماء. والأرض اليوم كلها أرضٌ وماء، والماء ماءٌ وأرض، وإنما يلزمها من الاسم على قدر الكثرة والقلة.فأما النار فليست بيابسة البدن. ولو كانت يابسة البدن لتهافتتْ تهافت التراب، ولتَبَرّأ بعضها من بعض. كما أن الماء لما كان رطباً كان سيَّالاً.

ولكن القوم لما وجدوا النار تستخرج كل شيء في العودِ من النار فظهرت الرطوباتُ لذلك السببِ، ووجدوا العودَ تتميزُ أخلاطه عند خروج نيرانه التي كانت إحدى مراتعها من التمييز فوجدوا العودَ قد صار رماداً يابساً مُتهافتاً - ظنوا أن يُبْسَهُ إنما هو مما أعطته النار وولَّدتْ فيه.

والنارُ لم تُعْطِهِ شيئاً، ولكن نار العودِ لما فارقَتْ رطوباتِ العودِ، ظهرت تلك الرطوباتُ الكامنة والمانعة، فبقيَ من العودِ الجزءُ الذي هو الرماد، وهو جزء الأرض وجَوْهَرُها؛ لأن العود فيه جزء أرضيٌّ، وجزءٌ مائيٌّ، وجزءٌ ناريٌّ، وجزءٌ هوائيٌّ، فلما خرجتِ النارُ واعتزلت الرطوبة بقيَ الجزءُ الأرضيّ.

فقولهم: النار يابسةٌ، غلطٌ، وإنما ذهبوا إلى ما تراه العيون، ولم يغوصوا على مُغَيَّباتِ العِلَل.

وكان يقول: ليس القوم في طريق خُلَّصِ المتكلمين، ولا في طريق الجهابذةِ المتقدِّمين.

١٢٧٦ - [علاقة الذكاء بالجنس]

وكان يقول: إنَّ الأُمَّة التي لم تنْضِجْها الأرحام[١]، ويخالفون في ألوان أبدانِهم،

(١) أراد بذلك سكان الإقليم السادس والسابع في التقسيم البلداني القديم، وهم من الجنس الأبيض.=

وأحداقِ عيونهم، وألوانِ شعورهم، سبيلَ الاعتدال - لا تكون عقولهم وقرائحهم إلا على حسبِ ذلك. وعلى حسبِ ذلك تكون أخلاقهم وآدابهم، وشمائلهم، وتصرُّف هممهم في لؤمهم وكرمهم، لاختلاف السَّبْكِ وطبقاتِ الطبخ. وتفاوتُ ما بين الفطير والخمير[1]، والمقصِّر والمجاوز - وموضع العقل عضوٌ من الأعضاء، وجزءٌ من تلك الأجزاء - كالتفاوت الذي بين الصَّقالبَةِ والزّنج[2].

وكذلك القولُ في الصور ومواضع الأعضاء. ألا ترَى أن أهل الصين والتُّبَّتِ، حُذَّاقُ الصناعات، لها فيها الرِّفق والحِذْق، ولُطفُ المداخل، والاتساعُ في ذلك، والغَوْصُ على غامضه وبعيده. وليس عندهم إلا ذلك؛ فقد يُفْتَح لقوم في باب الصناعات ولا يُفتحَ لهم في سِوَى ذلك.

١٢٧٧ - [تخطئة من زعم أن الحرارة تورث اليبس]

قال: وكان يخطِّئهم في قولهم: إن الحرارة تورث اليُبْس، لأن الحرارة إنما ينبغي أن تورثَ السخونة، وتولّدَ ما يشاكلها. ولا تولدُ ضرباً آخر مما ليس منها في شيء. ولو جازَ أن تولّد من الأجناس التي تخالفها شكلاً واحداً لم يكن ذلك الخلاف بأحقَّ من خلافِ آخر. إلا أن يذهبوا إلى سبيلِ المجاز: فقد يقول الرجلُ: إنما رأيتك لأني التفتُّ. وهو إنما رآه لطبع في البصر الدرَّاك[3]، عند ذلك الالتفاتِ.

وكذلك يقول: قد نجد النار تداخلُ ماءَ القُمقم[4] بالإيقاد من تحته، فإذا صارت النارُ في الماء لابسَتْه، واتصلت بما فيه من الحرَاراتِ، والنار صَعَّادةٌ - فيحدثُ عند ذلك للماء غليانٌ؛ لحركة النار التي قد صارت في أضعافه. وحركتها تصعُّدٌ. فإذا تَرَفّعت أجزاءُ النار رَفَعَت معها لطائف من تلك الرُّطوباتِ التي قد لابَسَتْها؛ فإذا دام ذلك الإيقادُ من النار الداخلةِ على الماء، صعدت أجزاء الرطوباتِ

= وأما من أنضجتهم الأرحام فهم سكان الأقاليم الثالث والرابع والخامس، وأما من جاوزت أرحامهم حد الإنضاج فهم سكان الإقليمين الأول والثاني، وهم الزنوج، انظر ما تقدم ٣ / ١١٩، ومقدمة ابن خلدون ٧٣.

(١) الفطير: ما يختبز من ساعته قبل أن يختمر، والخمير: ما ترك حتى اختمر.

(٢) جعل الصقالبة والزنج متضادات، أي أن الصقالبة لم تنضجهم الأرحام، أما الزنج فقد زادت الأرحام في إنضاجهم.

(٣) الدرّاك: المدرك.

(٤) القمقم: ضرب من الأواني، وهو من نحاس وغيره، يسخن فيه الماء؛ ويكون ضيق الرأس.

الملابسةُ لأجزاء النار. ولقوة حركة النار وطلبها التِّلاَدَ(١) العُلْويَّ، كان ذلك. فمتى وجد من لا عِلْمَ له في أسفل القمقم كالجِبس(٢)، أو وجد الباقيَ من الماء مالحاً عند تصعُّدِ لطائفه، على مثال ما يعتري ماءَ البحر ـ ظنَّ أن النار التي أعطته اليُبْسَ.

وإن زعموا أن النار هي الميَبِّسَة – على معنى ما قد فسرنا – فقد أصابوا. فإن ذهبوا إلى غير المجازِ أخطؤوا.

وكذلك الحرارة، إذا مُكنت في الأجساد بعثَت الرطوبات ولابَسَتْهَا، فمتى قويَتْ عَلَى الخروج أخرجتها منه، فعند خروج الرطوبات توجد الأبدان يابسةً، ليس أن الحرّ يجوز أن يكون له عملٌ إلا التسخينَ والصعودَ؛ والتقلبُ إلى الصعود من الصعود، كما أن الاعتزال من شكل الزوال(٣).

وكذلك الماء الذي يفيض إلى البحر من جميع ظهور الأرضينَ وبطونها، إذا صار إلى تلك الحفرة العظيمة. فالماء غسَّال مصّاص، والأرض تقذف إليه ما فيها من الملوحة.

وحرارةُ الشمس والذي يخرج إليه(٤) من الأرض، من أجزاء النيران المخالطة يرفعان لطائفَ الماء بارتفاعهما، وتبخيرهما. فإذا رَفَعَا اللطائفَ، فصار منهما مطرٌ وما يشبه المطر، وكان ذلك دأبهما، عادَ ذلك الماء ملحاً لأن الأرض إذا كانت تعطيه الملوحة، والنيران تخرجُ منه العذوبة واللطافة – كان واجباً أن يعود إلى الملوحة. ولذلك يكون ماء البحرِ أبداً عَلَى كيلٍ واحدٍ، ووزن واحد؛ لأن الحرارات تطلب القرارَ وتجري في أعماق الأرض، وترفع اللطائف(٥)؛ فيصير مطراً، وبَرَداً، وثلجاً، وطَلاًّ(٦). ثم تعود تلك الأمواه سيولاً تطلب الحَدورَ(٧)، وتطلب القرار، وتجري في أعماق الأرض، حتى تصير إلى ذلك الهواء. فليس يضيع من ذلك الماء شيء، ولا يبطلُ منه شيء. والأعيانُ قائمة. فكأنه مَنْجَنُونٌ(٨) غرف من بحر، وصبٌّ في جدول يفيضُ إلى ذلك النهر.

---

(١) التِّلاد: أراد: الموطن الأول، وانظر الفقرة (١٢٦٩)، ص ٧، س ١٩.

(٢) الجبس: الذي يبنى به.

(٣) إيضاحاً لهذه العبارة؛ انظر ص ١٨.

(٤) أي إلى البحر.

(٥) اللطائف: أراد بها: الأبخرة الدقيقة.

(٦) البَرَد: حب الغمام. الطل: المطر الضعيف.

(٧) الحدور: مكان الانحدار.

(٨) المنجنون: دولاب يستقى عليه. وهو على شكل الناعورة.

فهو عملُ الحرارات[1] إذا كَانت في أجواف الحطب، أو في أجواف الأرَضينَ، أو في أجواف الحيوان.

والحر إذا صار في البدَن، فإنما هو شيء مُكْرَه، والمكرهُ لا يألو يتخلصُ وهو لا يتلخص إلا وقد حَمَل معه كلَّ ما قويَ عليه، مما لم يشتد، فمتى خرج خرج معه ذلك الشيءُ.

قال: فمن ههنا غَلط القَوم.

١٢٧٨ - [قول الدُّهرية في أركان العالم]

قال أبو إسحاق: قالت الدهرية في عالَمِنَا هذا بأقاويلَ: فمنهم من زعم أن عالمنا هذا من أربعة أركانٍ: حرّ، وبرد، ويبس، وبِلَّة[2]. وسائر الأشياء نتائجُ، وتركيبٌ، وتوليد. وجعلوا هذه الأربعة أجساماً.

ومنهم من زعم أن هذا العالم من أربعة أركانٍ: من أرض، وهواءٍ، وماءٍ، ونار. وجعلوا الحر، والبرد، واليُبْس، والبلّة أعراضاً في هذه الجواهر. ثم قالوا في سائر الأراييح، والألوان، والأصوات: ثمارُ هذه الأربعة[3]، عَلَى قدر الأخلاط، في القلة والكثرة، والرقة والكثافة.

فقدَّموا ذِكر نصيب حاسَّةِ اللمس فقط، وأضربوا عن أنصباء الحواسِّ الأربع.

قالوا: ونحن نجد الطُّعومَ غاذيةً وقاتلة، وكذلك الأراييح[4]. ونجد الأصوات مُلذة ومؤلمة، وهي مع ذلك قاتلة وناقصةٌ للقوى مُتْلفة. ونجد للألوان في المضار والمنافع، واللّذَاذَة والألَم، المواقعَ التي لا تجهل، كما وجدنا مثل ذلك في الحر والبر، واليُبْس والبِلّة، ونحن لم نجد الأرض باردة يابسة، غير أنا نجدها مالحة، أي ذات مَذاقةٍ ولون كما وجدناها ذات رائحةٍ، وذات صوتٍ متى قَرَعَ بعضها بعضاً.

فبردُ هذه الأجرامِ وحرها، ويُبْسُهَا ورطوبتها، لم تكن فيها لعلة كون الطُّعوم والأراييح والألوان فيها. وكذلك طعومها، وأراييحها وألوانها، لم تكن فيها لمكانِ كمون البرد، واليُبْس، والحر، والبِلّة فيها.

---

(١) الحرارات: جمع حرارة.

(٢) البلّة: البلل.

(٣) أي: الحر والبر؛ واليبس والبلة.

(٤) الأراييح: جمع للريح، وهو الرائحة.

ووجدنا كلَّ ذلك إما ضاراً وإما نافعاً، وإما غاذياً وإما قاتلاً، وإما مؤلماً وإما مُلِذّاً.

وليس يكون كون الأرض مالحة أو عذبة، ومنتنَةً أو طيبة أحقَّ بأن يكون علة لكون اليُبْس والبرد، والحر والرطوبة، من أن يكونَ كون الرطوبةِ واليُبْس، والحر والبرد- عِلّة لكون اللون والطعم والرائحةِ.

وقد هجم الناسُ على هذه الأعراض الملازمةِ، والأجسام المشاركةِ هجوماً واحداً، عَلَى هذه الحِلْية والصورة ألفَاها الأولُ والآخِرُ.

قال: فكيف وقع القول منهم عَلَى نصيب هذه الحاسَّة[1] وحدها ونحن لم نر من البِلَّة، أو من اليُبْس نفعاً ولا ضراً، تنفرد به دونَ هذه الأمور؟!.

قال: والهواء يختلف على قَدْرِ العوامل فيه من تحت ومن فوق، ومن الأجرام المشتملة عليه والمخالطة له. وهو جسم رقيق، وهو في ذلك محصورٌ، وهو خَوّارٌ سريعَ القَبول. وهو مع رقّته يقبل ذلك الحصر؛ مثل عمل الريح والزِّقّ[2]، فإنها تدفعه من جوانبه، وذلك لعلة الحصر ولقَطْعه عن شكله.

والهواء ليس بالجسم الصعاد، والجسمِ النَّزَّال، ولكنه جسم به تعرف المنازل والمصاعد.

والأمور ثلاثة: شيء يصعدُ في الهواء، وشيء ينزِل في الهواء، وشيء مع الهواء. فكما أن الصاعد فيه، والمنحدرَ - لا يكونان إلا مخالفين، فالواقُع معه لا يكون إلا موافقاً.

ولو أنَّ إنسانًا أرسل من يده - وهو في قَعْر الماء - زِقّاً[2] منفوخاً، فارتفع الزِّقُّ لدفع الريح التي فيه، لم يكن لقائل أن يقول: ذلك الهواءُ شأنه الصعود بل إنما ينبغي أن يقول: ذلك الهواء من شأنه أن يصير إلى جوهره، ولا يقيم في غير جوهره؛ إلا أن يقول: من شأنه أن يصعد في الماء، كما أن من شأن الماء أن ينزل في الهواء، وكما أن الماء يطلبُ تِلاَدَ الماء، والهواءَ يطلب تلاد الهواء.

قالوا: والنار أجناسٌ كثيرة مختلفة. وكذلك الصاعد. ولا بدّ إذا كانت مختلفة

---

(١) أي حاسة اللمس.

(٢) المزق: أي الهواء المحصور في الزق، والزق: السقاء والقربة.

أن يكون بعضها أسرع من بعض، أو يكون بعضها إذا خرج من عالم الهواء، وصار إلى نهاية، إلى حيث لا منفذ - ألاّ يزال فوق الآخر الذي صعد معه، وإن وجد مذهباً لم يقم عليه.

ويدلُّ على ذلك أنا نجد الضياء صعَّاداً، والصوت صعّاداً، ونجد الظلام رابداً[1]، وكذلك البردَ والرُّطوبة. فإذا صح أن هذه الأجناس مختلفة، فإذا أخذت في جهة، علمنا أن الجهة لا تخالف بين الأجناس ولا توافق، وأن الذي يوافق بينهما ويخالف اختلافُ الأعمال.

ولا يكون القطعانِ متفقين، إلا بأن يكون سرورهما سواء. وإذا صارا إلى الغاية، صار اتصال كل واحد منهما بصاحبه، كاتصال بعضه ببعض. ثم لا يوجد أبداً، إلا إمّا أعْلَى، وإما أسفل.

قال أبو إسحاق: فيستدل على أن الضياء أخفُّ من الحر بزواله. وقد يذهب ضوء الأتّون، وتبقى سخونته.

قال أبو إسحاق: لأمر ما حُصر الهواء في جوف هذا الفَلَك. ولا بد لكل محصور من أن يكون تقلبه وضغطه على قدر شدة الحصار. وكذلك الماء إذا اختنق.

قال: والريح هواء نزل لا غير. فلِمَ قضَوا على طبع الهواء في جوهريته باللدونة، والهواء الذي يكون بقرب الشمس، والهواء الذي بينهما على خلاف ذلك؟

ولولا أن قُوَى البرد غريزيةٌ فيه، لما كان مروِّحاً عن النفوس، ومنفِّساً عن جميع الحيوان إذا اختنق في أجوافها البخارُ والوهجُ المؤذي، حتى فزعتْ إليه واستغاثتْ به، وصارت تجتلب من رَوْحه وبردِ نسيمه، في وزن ما خَرَجَ من البخار الغليظ، والحرارة المستَكِنَّة.

قال: وقد علموا ما في اليُبْس من الخصومة والاختلاف. وقد زعم قومٌ أن اليُبْس إنما هو عدم البلَّة. قالوا: وعلى قدر البلة قد تتحول عليه الأسماء. حتى قال خصومهم: فقولوا أيضاً إنما نجدُ الجسم بارداً على قدر قلة الحَرِّ فيه.

وكذلك قالوا في الكلام: إن الهواء إنما يقع عندنا أنه مُظلم لفِقْدان الضياء،

---

(١) الرابد: المقيم.

ولأن الضياء قرصٌ قائم، وشعاع ساطعٌ فاصل، وليس للظلام قرص. ولو كان في هذا العالم شيء يقال له ظلامٌ، لما قام إلا في قرص، فكيف تكون الأرض قُرْصَةً، والأرض غبراء، ولا ينبغي أن يكون شعاع الشيء أسبغَ منه(١).

قال: والأول لا يشبِه القول في اليُبْس والبلة، والقولَ في الحر والبرد، والقول في اليُبْس والرطوبة. والقول في الخشونة واللين، لأن التراب لو كان كله يابساً، وكان اليبس في جميع أجزائه شائعاً، لم يكن بعضه أحق بالتقطيع والتبرد والتهافت، من الجزء الذي نجده متمسكاً(٢).

قال خصمه: ولو كَان أيضاً التهافت الذي نجده فيه إنما هو لعدمِ البلة، وكله قد عدم البِلَّة، لكان ينبغي للكل أن يكون متهافتاً، ولا نجد منه جزأين متلازقين.

فإن زعمتم أنه إنما اختلف في التهافت على قدر اختلاف اليُبْس، فينبغي لكم أن تجعلوا اليُبْس طبقات، كما يُجعل ذلك للخُضرة والصُّفرة.

وقال إبراهيم: أرأيت لو اشتمل اليُبس الذي هو غاية التُّراب كله كما عرض لنصفه، أما كان واجباً أن يكون الافتراقُ داخلاً على الجميع؟ وفي ذلك القولُ بالجزء الذي لا يتجزأ.

وأبو إسحاق، وإن كان اعترض على هؤلاء في باب القول في اليبس، فإنّ المسألة عليه في ذلك أشد.

وكان أبو إسحاق يقول: من الدليل على أن الضياء أخفُّ من الحرِّ أنَّ النارِ تكون منها على قاب غلوة(٣) فيأتيك ضوؤها ولا يأتيك حرها. ولو أن شمعة في بيت غير ذي سقف، لارتفع الضوء في الهواء حتى لا تجد منه عَلَى الأرض إلا الشيء الضعيف، وكان الحرُّ عَلَى شبيهٍ بحاله الأول.

١٢٧٩ - [رد النظام على الديصانية]

وقال أبو إسحاق: زعمت الديصانية(٤) أن أصلَ العالَم إنما هو من ضياءٍ وظلام،

---

(١) أسبغ منه: أكبر منه.

(٢) متمسكاً: عنى به: الحجر ونحوه.

(٣) الغلوة: مقدار رمية السهم.

(٤) الديصانية: فرقة من المجوس، وهم أصحاب ديصان، الذي كان قبل ماني. والمذهبان متقاربان، ويختلفان في اختلاط النور والظلمة. انظر فهرست ابن النديم ٤٧٤، والملل والنحل ٢ /٨٨.

وأن الحرَّ والبردَ، واللون والطعمَ والصوت والرائحة، إنما هي نتائج عَلَى قدر امتزاجهما[١].

فقيل لهم: وجدنا الحبْر إذا اختلطَ باللبن صار جسماً أغبر، وإذا خلَطْتَ الصَّبِرَ[٢] بالعسل صار جسماً مُرَّ الطعم عَلَى حساب ما زدْنا. وكذلك نجدُ جميع المركبات. فما لنا إذا مزجنا بين شيئين من ذواتِ المناظر، خرجنا إلى ذوات الملامس، وإلى ذوات المَذَاقة والمشَّمة؟!

وهذا نفسُه داخلٌ عَلَى من زعم أن الأشياء كلها تولدت من تلك الأشياء الأربعة[٣]، التي هي نصيبُ حاسةٍ واحدة[٤].

١٢٨٠ - [نقد النظام لبعض مذاهب الفلاسفة]

وقال أبو إسحاق: إنْ زعَمَ قومٌ أن ههنا جنساً هو روحٌ، وهو ركن خامس - لم نخالفهم.

وإن زعموا أن الأشياء يحدثُ لها جنسٌ إذا امتزجتْ بضربٍ من المزاجِ، فكيف صار المزاجُ يُحْدِث لها جنساً وكلٌّ واحد منه إذا انفرد لم يكن ذا جنس، وكان مفْسِداً للجسم، وإن فصَل عنها أفسدَ جنسها؟! وهل حكمُ قليلِ ذلك إلا كحكم كثيرِه؟ ولم لا يجوز أن يُجمعَ بين ضياءٍ وضياءٍ فيحدُثَ لهما منع الإدراك؟!.

فإن اعتلَّ القومُ بالزاج[٥] والعفْص[٦] والماء، وقالوا: قد نجدُ كلَّ واحد من هذه الثلاثة ليس بأسودَ ،وإذا اختلطت صارت جسماً واحداً أشدَّ سواداً من الليل، ومن السَّبَج[٧]، ومن الغراب - قال أبو إسحاق: بيني وبينكم في ذلك فَرْق. أنا أزعمُ أن السواد قد يكون كامناً ويكون ممنوع المنظرة، فإذا زال مانعهُ ظهر، كما أقولُ في

---

(١) اي الضياء والظلام.

(٢) الصَّبر: عصارة شجر مر، ونبات الصَّبر كنبات السوسن الأخضر، غير أن ورق الصبر أطول وأعرض وأثخن كثيراً، وهو كثير الماء جداً.

(٣) المراد بالأشياء الأربعة: الأرض والهواء، والماء، والنار، أو: الحر والبرد؛ واليبس والبلة، انظر الفقرة (١٢٧٨)، ص ٢١.

(٤) هي حاسة اللمس، انظر الفقرة (١٢٧٨) السطر السادس فيها.

(٥) الزاج: يقال له: الشب اليماني، وهو من الأدوية، وهو من أخلاط الحبر، فارسي معرب.

(٦) العفص: شجر وثمر معروف بهذا الاسم، يتخذ منه الحبر.

(٧) السبج: الخرز الأسود.

النار والحجَرِ(١) وغير ذلك من الأمور الكامنة. فإن قلتم بذلك فقد تركتم قولَكم. وإن أبيتم فلا بدٌّ من القول. قال أبو إسحاق: وقد خلط أيضاً كثيرٌ منهم فزعموا أن طباع الشيخ البلغَم.

ولو كان طباعُهُ البلغَم، والبلغم ليّنٌ رَطْبٌ أبيضُ، لما ازداد عَظمه نحولاً، ولونهُ سواداً، وجلدهُ تقبُّضاً.

وقال النَّمرُ بنُ تَولب(٢): [من الطويل]

كَأَنَّ مِحَطّاً في يَدَيْ حَارِثِيّةٍ صَنَاعٍ عَلتْ مِنّي به الجِلْدَ مِنْ عَلُ(٣)

وقال الراجز(٤): [من الرجز]

وكثرت فواضل الإهابِ(٥)

قال: ولكنهم لما رأَوْا بَدَنَهُ يَتَغَضّنُ، ويظهرُ من ذلك التغضُّنِ رطوبات بدنية كالبلغم من الفم، والمخاطِ السائل من الأنف، والرَّمَص(٦) والدمع من العين، ظنوا أن ذلك لكثرة ما فيه من أجزاء الرطوبات. وأرادوا أن يقسّموا الصِّبا والشباب، والكهولة والشيوخة على أربعة أقسام كما تهيأ لهم ذلك في غير بابٍ.

وإذا ظهرت تلك الرطوباتُ، فإنما هي لنفْيِ اليُبْس لها، ولعَصْرِهِ قُوى البَدَن. ولو كان الذي ذكروا لكان دمعُ الصِّبا أكثرَ ومخاطه أغزرَ، ورطوباته أظهر. وفي البقولِ والرياحين والأغصان والأشجار ذلك؛ إذ كانت في الحداثة أرطبَ، وعَلَى مرور السنينَ والأيام أيْبَس.

قال الرَّاجز(٧): [من الرجز]

---

(١) يقصد كمون النار واختفاءها في الحجر الذي تقتدح منه النار.

(٢) ديوان النمر بن تولب ٣٦٧، واللسان والتاج (حطط)، والجمهرة ٩٩، والبرصان ١٨٩، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٣/٥٣.

(٣) في ديوانه: «المحط: حديدة أو خشبة يصقل بها الجلد حتى يلين ويبرق، وأراد بالحارثية: النسبة إلى الحارث بن كعب لأنهم أهل أدم. شبّه برقان بدنه لماء الشباب بالأديم المصقول».

(٤) الرجز بلا نسبة في البرصان ١٨٩.

(٥) الإهاب: الجلد ما لم يدبغ.

(٦) الرمص: هو البياض الذي تقطعه العين ويجتمع في زوايا الأجفان.

(٧) الرجز في البيان ١/٣٩٩-٤٤٠، ٢/٦٩، وعيون الأخبار ٢/٣٢١، والفاضل للمبرد ٧٠، والعقد ٢/٥٢، واللسان والتاج (عكر)، والتهذيب ١/٣٠٥.

اسمَعْ أنبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ نَوْمُ العَشِيِّ وَسُعَالٌ بالسَّحَرْ[١]
وسرعةُ الطَّرفِ وضعفٌ في النظر وتَرْكِيَ الحسناء في قُبْلِ الطُّهُرْ[٢]
وحذرٌ أزدادُه إلى حَذَرْ والناسُ يَبْلَوْنَ كما يَبْلَى الشجرْ[٣]

وكان يتعجَّب من القول بالهيولَى.

وكان يقول: قد عرفنا مقدارَ رزانة[٤] البِلَّة. وسنعطيكم أن للبرد وزناً. أليس الذي لا تشُكُّونَ فيه أن الحر خفيف ولا وزن له، وأنه إذا دخل في جِرمٍ له وزنٌ صار أخفّ. وإنكم لا تستطيعون أن تثبتوا لليبس من الوزن مثل ما تثبتون للبِلَّة. وعلى أنَّ كثيراً منكم يزعم أن البرد المجْمِدَ للماء هو أيبس.

وزعم بعضهم أن البرد كثيراً ما يصاحب اليبس، وأن اليبس وحده لو حلَّ بالماء لم يُجمِدْ، وأن البرد وحده لو حلَّ بالماء لم يَجْمُدْ، وأن الماء أيضاً يجمد لاجتماعهما عليه. وفي هذا القولُ أن شيئين مجتمعين قد اجتمعا على الإجماد، فما تنكرون أن يجتمع شيئان عَلَى الإذابة؟!.

وإن جاز لليبس أن يُجمد جاز للبِلَّة أن تُذِيب.

قال أبو إسحاق: فإن كان بعض هذه الجواهر صعّاداً وبعضها نزّالاً، ونحن نجد الذهب أثقلَ من مثله من هذه الأشياء النزّالة، فكيف يكون أثقل منها وفيه أشياء صَعّادة؟!.

فإن زعموا أن الخفة إنما تكونُ من التَّخَلْخُل والسُّخْف[٥]، وكثرةِ أجزاء الهواء في الجرم. فقد ينبغي أن يكون الهواء أخفَّ من النار، وأن النار في الحجَرِ، كما أن فيه هواءً. والنار أقوى رفع الحجَر من الهواء الذي فيه.

---

(١) بعده في البيان، والفاضل؛ وعيون الأخبار:

(وقلة النوم إذا الليل اعتكر وقلة الطعم إذا الزاد حضر)

(٢) بعده في الفاضل: (وكثرة النسيان فيما يُدَّكر).

(٣) بعده في الفاضل: (فهذه أعلام آيات الكِبَرْ).

(٤) الرزانة: الثقل.

(٥) التخلخل: أن يكون الجسم غير متضام الأجزاء، والسخف: الخفة والرقة.

وكان يقول: من الدليل على أن النار كامنةٌ في الحطب، أن الحطب يُحرقُ بمقدار من الإحراق، ويُمنع الحطب أن يخرج جميع ما فيه من النيران، فيجعل فحماً، فمتى أحببت أن تستخرِجَ الباقيَ من النار استخرجته، فترى النار عند ذلك يكون لها لهبٌ دون الضرام. فمتى أخرجت تلك النار الباقية، ثم أوقدْتَ عليها ألف عامٍ لم تَسْتَوْقدْ. وتأويل: «لم تستوقد» إنما هو ظهور النار التي كانت فيه. فإذا لم يكن فيه شيءٌ فكيف يستوقد؟.

وكان يُكثِر التعجُّبَ من ناس كانوا ينافسون في الرّآسة، إذا رآهم يجهلون جهلَ صغارِ العلماء، وقد ارتفعوا في أنفسهم إلى مرتبةِ كبار العلماء.

وذلك أن بعضهم كان يأخذ العود فيَنقيه[1] فيقول: أين تلك النار الكامنة؟! ما لي لا أراها، وقد ميّزْتُ العود قشراً بعد قشر؟!.

١٢٨١ - [استخراج الأشياء الكامنة]

فكان يقول في الأشياء الكامنة: إن لكل نوع منها نوعاً من الاستخراج، وضرباً من العلاج. فالعيدَانُ تُخرجُ نيرانُها بالاحتكاك، واللبنُ يُخرَج زبدُه بالمخْض، وجُبْنه يُجمع بإنْفَحَّة[2]، وبضروب من علاجه.

ولو أن إنساناً أراد أن يخرج القَطِرَانَ من الصَّنَوْبَر، والزِّفْتَ من الأَرْز[3]؛ لم يكن يخرج له بأن يقطع العود ويدُقّه ويقشِره، بل يوقد له ناراً بقربه، فإذا أصابه الحرُّ عَرِق وسالَ، في ضروب من العلاج.

ولو أن إنساناً مَزَجَ بين الفضة والذهب، وسبكهما سبيكة واحدة، ثم أراد أن يعزل أحدهما من صاحبه لم يُمكنه ذلك بالفَرْض[4] والدَّق. وسبيل التفريق بينهما قريبة سهلة عند الصَّاغة، وأرباب الحُمْلانات[5].

١٢٨٢ - (رد النظام على أرسطاطاليس)

وزعم أبو إسحاق أن أرسطاطاليس كان يزعم أن الماء الممازِجَ للأرض لم

(١) ينقيه: يستخرج نقيَّه، وأصل النقي: مخ العظام.
(٢) الإنفحة: شيء يستخرج من بطن الجدي الرضيع، أصفر، يعصر في صوفة مبتلة في اللبن فيغلظ.
(٣) الزفت: ما يسيل من شجر الصنوبر، والأرْز: شجر الصنوبر.
(٤) الفرض: القطع والحز.
(٥) ورد في القاموس المحيط: «وفي اصطلاح الصاغة ما يحمل على الدراهم من الغش».

ينقلب أرضاً، وأن النار الممازجة للماء لم تنقلب ماء. وكذلك ما كان من الماء في الحجَر، ومن النار في الأرض والهواء. وأن الأجرامَ إنما يخفُّ وزنها وتَسْخُفُ[1]، على قدر ما فيها من التخلخلُ[2] ومن أجزاء الهواء. وأنها ترزُنُ[3] وتصلب وتَمْتُن على قدر قلَّةِ ذلك فيها.

ومن قال هذا القولَ في الأرض والماء والنار والهواء، وفيما تركّب منها من الأشجار وغير ذلك - لم يصل إلى أن يزعمَ أن في الأرض عرضاً يحدث، وبالْحَرَا[4] أن يَعجزِ عن تثبيت كون الماء والأرض والنار عرضاً.

وإذا قال في تلك الأشجار بتلك القالة[5]، قال في الطول والعرض، والعُمق، وفي التربيع والتثليث والتدوير، بجواب أصحاب الأجسام. وكما يُلزِمُ أصحابُ الأعراضُ[6] أصحابَ الأجسام[7] بقولهم في تثبيت السكون والحركة أن القول في حِرَاكِ الحجَر كالقول في سكونه - كذلك أصحاب الأجسام يلزمون كلّ من زعم أن شيئاً من الأعراض لا يُنقَض أنَّ الجسمَ يتغير في المَذَاقة والمَلْمَسَة والمنْظرَة والمشَمّة من غير لون الماء. وفي برودة نفس الأرض وتثبيتها كذلك.

ومتى وجدْنا طينة مربَّعة صارت مدوَّرة، فليس ذلك بحدوثِ تدويرٍ لم يكن. فكان عنده تغيُّره في العَين أوْلَى من تَغَيُّر الطينةِ في العين من البياض إلى السواد. وسبيلُ الصلابة والرَّخاوة؛ والثقل والخِفَّة، سبيل الحلاوةِ والملوحة، والحرارة والبرودة.

---

(١) السخف: الخفة والرقة.

(٢) التخلخل: أن يكون الجسم غير متضام الأجزاء.

(٣) ترزن: تثقل.

(٤) الحرا: الجدير والخليف، وبالحرا: بالأجدر.

(٥) القالة: القول.

(٦) أصحاب الأعراض: يزعمون أن الإنسان أعراض مجتمعة؛ وكذلك الجسم أعراض مجتمعة من لون وطعم ورائحة وحرارة وبرودة وغير ذلك، وهو مذهب أصحاب ضرار بن عمرو، ويعرفون بالضرارية. انظر مروج الذهب ٧ / ٤٣٦، مقالات الأشعري ٢٨١، ٣٠٥، ٣١٧.

(٧) أصحاب الأجسام: يزعمون أن ليس في العالم إلا جسم، وأن الألوان والحركات ما هي إلا أجسام، وهو مذهب أصحاب هشام بن الحكم، ويعرفون بالهشامية. انظر الفصل ٥ / ٦٦، وما سيأتي في الفقرة (١٢٨٥) ص ٣٢.

١٢٨٣ - [أصحاب القول بالاستحالة]

وليس يقيس القول في الأعراض إلا من قال بالاستحالة. وليس في الاستحالة شيءٌ أقبحُ من قولهم في استحالة الجبل الصَّخير[١] إلى مقدار خردلة، من غير أن يدخل أجزاءَه شيءٌ على حال. فهو عَلَى قولِ من زعم أنّ الخردلة تتنصَّفُ أبداً أحسن. فأما إذا قال بالجزء الذي لا يتجزأ، وزعم أن أقلَّ الأجسام، الذي تركيبه من ثمانيةِ أجزاءٍ لا تتجزأ، أو ستة أجزاءٍ لا تتجزأ، يستحيل جسْماً عَلَى قدر طول العالَم وعرضه وعُمْقه - فإنّا لو وجدناه كذلك لم نجد بدّاً من أن نقول: إنا لو رفعنا من أوهامنا من ذلك شبراً من الجميع، فإن كان مقدار ذلك الشبرِ جزءاً واحداً فقد وجدناه جِسماً أقلَّ من ثمانية أجزاء ومن ستة أجزاء. وهذا نقضُ الأصل. مع أنّ الشبرَ الذي رفعناه من أوهامنا، فلا بدَّ إن كان جسماً أن يكون من ستةِ أجزاء أو من ثمانية أجزاء. وهذا كله فاسد.

١٢٨٤ - [الأضواء والألوان]

والنار حرٌّ وضياء، ولكلِّ ضياء بياضٌ ونور، وليس لكلِّ بياض نورٌ وضياء. وقد غلط في هذا المقام عالمٌ من المتكلمين.

والضياء ليس بلون، لأن الألوان تتفاسد، وذلك شائعٌ في كلها، وعامٌّ في جميعها؛ فاللبَن والحبر يتفاسدان، ويتمازجُ التراب اليابس والماء السائل، كما يتمازج الحارُّ والبارد، والحلو والحامض. فصنيع البياض في السواد، كصنيعِ السواد في البياض. والتفاسُدُ الذي يقع بين الخُضْرَةِ والحمرة، فبذلك الوزنِ يقع بين البياض وجميعِ الألوان.

وقد رأينا أن البياضَ مَيّاعٌ[٢] مفسدٌ لسائر الألوان. فأنت قد ترى الضياء عَلَى خلافِ ذلك؛ لأنه إذا سقط عَلَى الألوان المختلفة كان عملُه فيها عملاً واحداً، وهو التفصيلُ بين أجناسها، وتمييزُ بعضها من بعض، فيبين عن جميعها إبانة واحدة، ولا تراه يخصُّ البياضَ إلا بما يخص بمثله السواد، ولا يعملُ في الخُضْرة إلا مثلَ عمله في الحُمرة، فدلَّ ذلك عَلَى أن جنسه خلافُ أجناسِ الألوان، وجوهرَه خلافُ جواهرها، وإنما يدل عَلَى اختلاف الجواهرِ اختلافُ الأعمال؛ فباختلاف الأعمالِ واتفاقها تعرفُ اختلافَ الأجسام واتفاقَها.

---

(١) الصخير: الكثير الصخر.

(٢) مياع: سيّال.

قالوا: الألوان كلها متضادّة، وكذلك الطعوم، وكذلك الأراييح، وكذلك الأصوات، وكذلك المَلاَمس: من الحرارة والبرودة، واليبس والرطوبة، والرخاوة والصلابة،[والملاَسة][1] والخشونة. وهذه جميع الملامس.

وزعموا أن التضادُدَ إنما يقع بين نصيبِ الحاسّة الواحدة فقط. فإذا اختلفت الحواس صار نصيب هذه الحاسة الواحدة من المحسوسات، خلاف نصيب تلك الحاسة، ولم يضادّها بالضدّ كاللَّون واللون؛ لمكان التفاسد، والطعم والرائحة؛ لمكان التفاسد.

ولا يكون الطعم ضدّاً اللون، ولا اللون ضدّ الطعم، بل يكونُ خلافاً. ولا يكون ضدًّا ولا وفاقاً، لأنه من غير جنسه، ولا يكون ضدّاً، لأنه [لا] [1] يفاسده.

وزعم من لا علم له من أصحاب الأعراض[2]، أن السوادَ إنما ضادّ البياضَ، لأنهما لا يتعاقبان، ولا يتناوبان، ولأنهما يتنافيان.

قال القوم: لو كان ذلك من العلة، كان ينبغي لذهاب الجسم قُدُماً أن يكون بعضه يضاد بعضاً، لأن كونَه في المكان الثاني لا يوجدُ مع كَونه في المكان الثالث. وكذلك التربيع: كطينة لو رُبِّعت بعد تثليثها، ثم رُبِّعت بعد ذلك. ففي قياسهم أن هذين التربيعين ينبغي لهما أن يكونا متضادَّين، إذ كانا متنافيين، لأن الجسم لا يحتمل في وقت واحد طولَين، وأن الضدَّ يكون عَلَى ضدين: يكون أحدهما أن يخالف الشيءُ الشيءَ من وجوهٍ عدة، والآخرُ [أن][3] يخالفه من وجهين [أو وجهٍ][3] فقط.

قالوا: والبياض يخالف الحمرةَ ويضادُّها، لأنهُ يُفاسدُها ولا يفاسدُ الطعم؛ وكذلك البياض للصفرة والحُوّة[4] والخُضرة. فأما السواد خاصة فإن البياض يضاده بالتفاسد، وكذلك التفاسد، وكذلك السواد.

وبَقِيَ لهما خاصة من الفصول في أبواب المضادة: أن البياض ينصبِغ ولا يَصبُغ، والسواد يصبغ ولا ينصبغ، وليس كذلك سائر الألوان لأنها كلها تصبُغ وتَنْصَبِغ.

---

(١) زيادة يقتضيها المعنى.
(٢) انظر الحاشية السادسة، ص ٢٩.
(٣) زيادة يقتضيها المعنى.
(٤) الحوة: سواد إلى خضرة، أو حمرة إلى سواد.

قالوا: فهذا بابٌ يساق.

باب آخر

إن الصفرة متى اشتدت صارت حُمْرة، ومتى اشتدت الحمرةُ صارت سواداً، وكذلك الخضرةُ متى اشتدت صارتْ سواداً.

والسواد يضاد البياضَ مضادة تامة، وصارت الألوان الأخر فيما بينها تتضاد عادة، وصارت الطُّعوم والأراييح والملامس تخالفها ولا تضادها.

١٢٨٥ - [أصل الألوان]

وقد جعل بعض من يقول بالأجسام[١] هذا المذهب دليلاً عَلَى أن الألوان كلَّها إنما هي من السواد والبياض، وإنما تختلفان عَلَى قدر المزاج. وزعموا أن اللونَ في الحقيقة إنما هو البياض والسواد، وحكموا في المقالة الأولى بالقوة للسواد علَى البياض؛ إذ كانت الألوان كلها كلما اشتدت قربت من السواد، وبَعُدت من البياض، فلا تزال كذلك إلى أن تصيرَ سواداً.

وقد ذكرنا قبل هذا قولَ من جعل الضياء والبياض جنسين مختلفين، وزَعَم أن كلَّ ضياء بياضٌ وليس كلُّ بياضٍ ضياء.

١٢٨٦ - [عِظَم شأن المتكلمين]

وما كان أحْوَجَنَا وأحوجَ جميعَ المرضى أن يكون جميعُ الأطباء متكلمين، وإلى أن يكون المتكلمون علماء؛ فإن الطبّ لو كان من نتائج حُذاق المتكلمين ومن تلقيحهم له، لم نجدْ في الأصول التي يبنون عليها من الخَلَلِ ما نجدُ.

١٢٨٧ - [ألوان النِّيران والأضواء]

وزعموا أن النار حمراء، وذهبوا إلى ما ترى العينُ، والنار في الحقيقة بيضاء. ثم قاسوا عَلَى خلافِ الحقيقة المِرَّة الحمراء[٢]، وشبّهوها بالنار. ثم زعموا أن المرة الحمراء مُرّة. وأخْلِقْ بالدخان أن يكون مرّاً. وليس الدخان من النار في شيء.

---

(١) انظر الحاشية ٦ ص٢٩.

(٢) المرة : مزاج من أمزجة البدن الأربعة. وهي البلغم والدم والصفراء والسوداء، والمرة هي المرة الصفراء. قال داود في التذكرة: «والطبيعي منها أحمر عند المفارقة، أصفر بعدها».

وكل نور وضياء هو أبيض، وإنما يحمرُّ في العين بالعرَض الذي يَعرِض للعين. فإذا سَلِمَتْ من ذلك، وأفضت إليه العين رأته أبيضَ، وكذلك نار العود تنفصل من العود، وكذلك انفصال النار من الدُّهن ومعها الدخَان ملابساً لأجزائها. فإذا وقعت الحاسة على سوادٍ أو بياض في مكان واحد، كان نتاجهما[1] في العين منظرةَ[2] الحمرة.

ولو أنَّ دخاناً عرض بينك وبينه قرص الشمس أو القمر لرأيته أحمر. وكذلك قرص الشمس في المشرق أحمر وأصفر، للبخار والغبارِ المعترض بينك وبينه. والبخار والدخان أخوانِ.

ومتى تحلَّق القرص في كبد السماء، فصار على قمة رأسك؛ ولم يكن بين عينيك وبينه إلا بقدر ما تمكن البخار من الارتفاع في الهواء صُعُداً – وذلك يسيرٌ قليل – فلا تراه حينئذٍ إلا في غاية البياض.

وإذا انحطَّ شرقاً أو غرباً صار كلُّ شيء بين عينيك وبين قرصها من الهواء، ملابساً للغبار والدخان والبخار، وضروب [3] الضَّباب والأنداء[4] فتراها إما صفراء، وإما حمراء.

ومن زعم أن النار حمراءُ فلم يكذب إن ذهب إلى ما ترى العين، ومن ذهب إلى الحقيقة والمعلوم في الجوهرية، فزعم أنها حمراءُ، ثم قاس على ذلك جهِلَ وأخطأ.

وقد نجد النار تختلف على قدر اختلاف النِّفط الأزرقِ، والأسود، والأبيض. وذلك كله يدور في العين مع كثرة الدخانِ وقلته.

ونجد النار تتغير في ألوانها في العين، عَلَى قدر جفوفِ الحطَب ورطوبته، وعَلَى قدر أجناس العيدان والأدهان، فنجدُها شقراء، ونجدها خضراء إذا كان حطبُها مثلَ الكبريت الأصفر.

---

(١) نتاجهما: أي نتاج السواد والبياض.
(٢) المنظرة: المنظر.
(٣) الضروب: الأنواع.
(٤) الأنداء: جمع ندى.

١٢٨٨ - [سبب تلون السحاب]

ونجد لون السحاب مختلفاً في الحمرة والبياض، عَلَى قدر المقابلات والأعراض، ونجد السحابةَ بيضاء، فإذا قابلت الشمسَ بعض المقابلة، فإن كانت السحابة غربية أفقية والشمسُ منحطَّة، رأيتَها صفراء، ثم سوداء، تعرض للعين لبعض ما يدخلُ عليها.

١٢٨٩ - [شعر في ألوان النار]

وقال الصَّلَتَان الفهْمِيّ في النار: [من الطويل]

وتُوقدها شقراءَ في رأسِ هَضْبةٍ ليعْشُو إليها كلُّ باغٍ وجازِعِ(١)

وقال مزرِّد بن ضِرار(٢): [من الطويل]

فأبصرَ ناري وهْيَ شقراءُ أُوقِدَتْ بعلياء نَشْزٍ، للعيونِ النواظرِ(٣)

وقال آخر(٤): [من الطويل]

ونار كسَحْرِ العَوْد يرفعُ ضَوْءَها مع الليل هَبّاتُ الرياح الصَّوَارِدُ(٥)

والغبار يناسب بعضَ الدخان. ولذلك قال طُفَيْلٌ الغَنَويّ(٦): [من الطويل]

إذا هبطتْ سَهْلاً كأنّ غبارَه بجانبها الأقصى دواخنُ تَنضُبِ(٧)

لأن دخَانَه يكون أبيض يشبه الغبار، وناره شقراء.

والعرب تجمَعُ الدخان دواخِن. وقال الأزرق الهمْدَانيّ: [من الطويل]

ونوقدها شقراء من فَرعِ تَنضُبٍ وَلَلْكُمْتُ أرْوَى للنِّزَالِ وأشْبَعُ

---

(١) يعشو إلى النار: يقصد إليها .الباغي: الطالب.الجازع: الذي يقطع الوادي أو الأرض.

(٢) البيت لمزرد بن ضرار في البخلاء ٢٤٣، ويروى عجز البيت: (بليل فلاحت للعيون النواظر) ونسب إلى جبيهاء الأسدي في اللسان والتاج (حفر)، وإلى جبيهاء الأشجعي في حماسة ابن الشجري ٢٥٨.

(٣) في البخلاء: «جعلها شقراء ليكون أضوأ لها، وكذلك النار إذا كان حطبها يابساً كان أشد لحمرة ناره، وإذا كثر دخانه قلَّ ضوءه».النشز: المكان المرتفع.

(٤) البيت بلا نسبة في البخلاء ٢٤٣، وشرح ديوان الحماسة ٢/١٣٦، والزهرة ٣٢١.

(٥) السَّحْر: الرئة ومايتعلق بالحلقوم .العود: الجمل المسن. الصوارد: جمع صرد، وهو البرد.

(٦) ديوان طفيل الغنوي ٢٥، والمعاني الكبير ١/٥٨.

(٧) تنضب: شجر ضخام وورقه متقبض، وعيدانه بيض، له شوك قصار، ينبت بالحجاز.

وذلك أن النار إذا أُلْقِيَ عليها اللحمُ فصار لها دخَان، اصْهَابَّتْ[1] بدخَان ماء اللحم وسوادِ القُتَار[2]. وهذا يدل أيضاً عَلَى ما قلنا.

وفي ذلك يقول الهيَّبان الفهميّ: [من الوافر]

له فوقَ النِّجَاد جِفَانُ شِيزَى ... ونارٌ لا تضرَّمُ للصِّلاءِ[3]
ولكن للطَّبيخ، وقد عَرَاها ... طليحُ الهمِّ مُسْتَلبُ الفراءِ[4]
وما غذيَتْ بغير لظًى، فناري ... كمرتَكم الغمامة ذي العِفَاءِ[5]

وقال سحر العود: [من الوافر]

له نارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ ... لكلِّ مُرْعَبَلِ الأهدام بالي[6]
ونار فوقها بُجْرٌ رِحَابٌ ... مُبَجّلَةٌ تَقَاذَفُ بالمَحَالِ[7]

١٢٩٠- [اختلاف ألوان النار]

ويدلُّ أيضاً على ما قلنا: أن النار يختلف لونُها على قدر اختلاف جنس الدُّهن والحطب والدخَان، وعَلَى قدر كثرة ذلك وقلَّته، وعَلَى قدر يُبْسه ورطوبته - قولُ الراعي حين أراد أن يصف لونَ ذئبٍ فقال[8]: [من الكامل]

وَقْعَ الربيعِ وَقَدْ تَقَاربَ خَطْوُهُ ... ورأى بعَقْوَته أَزَلّ نَسُولا[9]

---

(١) اصهابت، صارت صهباء ،وهي الحمرة يعلوها سواد.

(٢) القتار: ما يتصاعد من الشواء.

(٣) النجاد: جمع نجد، وهوما غلظ من الأرض وارتفع. الشيزى: شجر تعمل منه القصاع والجفان. الصلاء: مقاساة حر النار، أو التمتع بها في الشتاء .

(٤) عراها: غشيها وقصدها. الطليح: المتعب المعيى .

(٥) المرتكم: المتراكم ، أي المجتمع. عفاء السحاب: كالخمل في وجهه لا يكاد يخلف !.

(٦) اليفاع: التل. المرعبل: الممزق. الأهدام: جمع هِدْم، وهو الثوب الخَلِق البالي.

(٧) البجر: جمع بجراء، وهي العظيمة البطن، وأراد بها هنا القدور. الرحاب: الواسعات . المبجلة المعظمة. المحال: جمع محالة، وهي الفقرة من فقار البعير.

(٨) ديوان الراعي ٢٣٩-٢٤٠، والأول في اللسان (نهش)، والتاج (نسل)، وبلا نسبة في الأزمنة والأمكنة ٢/١١٣، والبيت الثاني في اللسان (نهش)، والتاج (نهش ،شكل)، والتهذيب ٥/١٥٨، ٦/٨٣، ٨٥، والتنبيه والإيضاح ٢/٣٢٧، وبلا نسبة في اللسان والتاج (وضح، شهل)، والثالث في الجمهرة ٤٦٤ والتهذيب١١/٣٣، واللسان والتاج (تلع، رجل)، وبلا نسبة في الجمهرة ١٣٠٠، والمجمل ٢/٤٦٨ وتقدم البيت في ٢/٤٣١.

(٩) وقع الربيع: أي مثل شدة ضرب المطر للأرض. العقوة: الساحة، وماحول الدار، الأزَلّ: السريع وعنى به الذئب. النسول: مشية الذئب إذا أسرع .

مُتَوَضِّحُ الأقراب فيه شُهْبَةٌ هَشُّ الْيَدَيْنِ تخالُهُ مشكُولا[١]

كدخَانِ مُرْتجِلٍ بأعْلَى تَلْعَةٍ غَرْثانَ ضَرَّمَ عَرْفَجاً مبْلولا[٢]

المرتجل: الذي أصاب رِجلاً من جرادٍ، فهو يشويه. وجعله غَرْثان لكون الغَرِث لا يختار الحطب اليابس عَلَى رطْبه، فهو يشويه بما حضَره. وأدار هذا الكلام، ليكون لون الدخَان بلون الذئب الأطحل[٣] متفقين.

١٢٩١ - [تعظيم زرادُشت لشأن النار]

وزرادُشت هو الذي عظم النار وأمر بإحيائها، ونهى عن إطفائها، ونهى الحيَّض عن مسها والدنوِّ منها. وزعم أن العقاب في الآخرة إنما هو بالبردِ والزمهرير والدَّمَق[٤].

١٢٩٢ - [سبب تخويف زرادشت أصحابه بالبرد والثلج]

وزعم أصحاب الكلام أن زَرَادُشت - وهو صاحب المجوس - جاء من بَلْخ، وادعى أن الوحي نزل عليه عَلَى جبال سيلان، وأنه حين دعا سكان تلك الناحية الباردة، الذين لا يعرفون إلا الأذى بالبرد، ولا يضربون المثل إلا به؛ حتى يقول الرجل لعبده: لئن عدت إلى هذا لأنزعنَّ ثيابك، ولأقيمنَّك في الريح، ولأُوقفنَّك في الثلج! فلما رأى موقِع البردِ منهم هذا الموقع، جعل الوعيد بتضاعُفِه، وظنَّ أنّ ذلك أزجَرُ لهم عما يكره.

وزَرادُشت في توعده تلك الأمة بالثلج دون النار، مُقرٌّ بأنه لم يُبعث إلا إلى أهل تلك الجبال. وكأنه إذا قيل له: أنت رسول إلى من ؟ قال لأهل البلاد الباردة، الذين لابدّ لهم من وعيدٍ، ولا وعيدَ لهم إلا بالثلج.

وهذا جهلٌ منه، ومن استجاب له أجهلُ منه.

١٢٩٣ - [ردٌّ على زرادشت في التخويف بالثلج]

والثلج لا يكْمُل لمضادَّة النار، فكيف يبلغ مبلغها؟ والثلج يُؤْكَلُ ويشرب،

---

(١) المتوضح: الأبيض.
الأقراب: جمع قرب وهي الخاصرة. الشهبة: لون بياض يصدعه سواد في خلاله. الهش: الخفيف.
المشكول: المشدود بالشكال، وهو عقال الدابة.

(٢) التلعة: ما ارتفع من الأرض. الغرثان: الجوعان. العرفج: نبت سريع الالتهاب.

(٣) الذئب الأطحل: الذي لونه كلون الرماد.

(٤) الدمق: الثلج مع الريح يغشى الإنسان من كل أوب، حتى يكاد يقتل من يصيبه.

ويُقضم قضماً، ويمزَج بالأشربة، ويدفن فيه الماء وكثير من الفواكه.

وربما أخذ بعض المترفين القطعة منه كهامَة[1] الثور، فيضعها عَلَى رأسه ساعة من نهار، ويتبرّد بذلك.

ولو أقام إنسان عَلَى قطعة من الثلج مقدارِ صخرة في حَمدان ريح[2] ساعةً من نهار، لما خيفَ عليه المرض قَطُّ.

فلو كان المبالغة في التنفير والزجر أراد، وإليه قَصدَ؛ لذَكَر ما هو في الحقيقة عند الأمم أشدُّ. والوعيد بما هو أشد، وبما يعم بالخوف سكان البلاد الباردة والحارة أشبه، إذا كان المبالغةَ يريد.

والثلج قد يداوَى به بعض المرضى، ويتولد فيه الدود، وتخوضه الحوافرُ، والأظلاف، والأخفاف، والأقدام، بالليل والنهار، في الأسفار.

وفي أيام الصيد يهون عَلَى من شرِب خمسة أرطال نبيذ أن يعدوَ عليه خمسة أشواط.

١٢٩٤ - (معارضة بعض المجوس في عذاب النار)

وقد عارضني بعض المجوس وقال: فلعلَّ أيضاً صاحبكم إنما توعَّد أصحابه بالنار، لأن بلادهم ليست ببلاد ثلج ولا دَمَق[3]، وإنما هي ناحية الحرور والوهَج والسَّموم[4]، لأن ذلك المكروه أزجر لهم. فرأي هذا المجوسي أنه قد عارضني! فقلت له: إن أكثر بلاد العرب موصوفة بشدة الحر في الصيف. وشدة البرد في الشتاء؛ لأنها بلاد صخور وجبال، والصخر يقبل الحر والبرد ولذلك سمت الفرس بالفارسية، العرب والأعراب: « كَهْيَان »، والكَه بالفارسية هو الجبل. فمتى أحببت أن تعرف مقدار برد بلادهم في الشتاء وحرِّها في الصيف، فانظر في أشعارهم، وكيف قسَّموا ذلك، وكيف وضعوه لتعرف أن الحالتين سواء عندهم في الشدة.

١٢٩٥ - [القول في البرودة والثلج]

والبلاد ليس يشتد بردها عَلَى كثرة الثلج، فقد تكون بلدة أبرد وثلجها أقل،

---

(١) الهامة: الرأس.

(٢) حمدان الريح: لعله من قولهم: يوم محتمد: أي شديد الحر.

(٣) الدمق: الثلج مع الريح يغشى الإنسان من كل أوب حتى يكاد يقتل من يصيبه.

(٤) السموم: الريح الحارة.

والماء ليس يجمدُ للبرد فقط، فيكون متى رأينا بلدة ثلجها أكثر، حكمنا أن نصيبها من البرد أوفر.

وقد تكون الليلة باردة جداً، وتكون صِنَّبْرَةً[1] فلا يجمد الماء، ويجمد فيما هو أقلُّ منها برداً. وقد يختلف جمود الماء في الليلة ذات الريح، عَلَى خلاف ما يقدِّرون ويظنون.

وقد خبرني من لا أرتاب بخبره، أنهم كانوا في موضعٍ من الجبَل، يستَغْشُونَ[2] به بلبس المبطَّنات[3]، ومتى صبوا ماءً في إناء زجاجٍ، ووضعوه تحت السماء، جَمَدَ من ساعته.

فليس جُمُود الماء بالبرد فقط، ولا بد من شروطٍ ومقادير، واختلافِ جواهر، ومقابلات أحوال، كسرعة البرد في بعض الأدهان، وإبطائه عن بعض وكاختلاف عمله في الماء المغْلَى، وفي الماء المتروك عَلَى حاله وكاختلاف عمله في الماء والنبيذ، وكما يعتري البَوْل من الخُثُورة والجمود، عَلَى قدر طبائع الطعام والقلة.

والزَّيت خاصة يصيبه المقدار القليل من النار، فيستحيل من الحرارة إلى مقدار لا يستحيل إليه ما هو أحرّ.

١٢٩٦ - [ردٌّ آخر على المجوس]

وحجةٌ أخرى عَلَى المجوس. وذلك أن محمداً صلى اللّه عليه وسلم، لو كان قال: لم أُبعثْ إلا إلى أهل مكة - لكان له متعلق من جهة هذه المعارضة. فأما وأصل نبوَّته، والذي عليه مخرجُ أمرِه وابتداءُ مبعثه إلى ساعة وفاته، أنه المبعوث إلى الأحمر والأسود، وإلى الناس كافة[4]، وقد قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّه

(١) الصنبرة: الشديدة البرد.

(٢) يستغشون: يتغطون.

(٣) المبطنات: ثياب مبطنة بالفراء.

(٤) انظر مسند أحمد ١/ ٢٥٠، ٣٠١، ٤٠٣. وصحيح البخاري في كتاب التيمم، الحديث ٣٢٨، وكتاب المساجد، الحديث ٤٢٧، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، الحديث ٥٣١، والدارمي في «السير»، والنسائي في «الطهارة». وفي النهاية ١/ ٤٣٧ «بعثت إلى الأحمر والأسود، أي العرب والعجم؛ لأن الغالب على ألوان العجم الحمرة والبياض، وعلى ألوان العرب الأدمة والسمرة. وقيل: أراد الجن والإنس. وقيل: أراد بالأحمر: الأبيض مطلقاً.

إِلَيْكُم جَمِيعاً﴾[1] وقد قال تعالى: ﴿نذيراً لِلْبَشَرِ﴾[2] - فلم يبق أن يكون مع ذلك قولهم معارضة، وأن يُعَدّ في باب الموازنة.

١٢٩٧ - [ما قيل من الشعر في البرد]

ومما قالوا في البرد قول الكميت[3]: [من المتقارب]

إذا التفّ دون الفتاةِ الضَّجيعُ ... ووَحْوَحَ ذو الفَرْوَةِ المُرْمِلُ[4]

وراح الفَنِيقُ مع الرائحاتِ ... كإحدى أوائلها المرسَلِ[5]

وقال الكميت أيضاً في مثل ذلك[6]: [من البسيط]

وجاءت الريح من تلقاء مَغْرِبها ... وَضَنَّ من قِدْره ذُو القِدْرِ بالْعُقَبِ[7]

وكهْكَهَ المدْلِجُ المقرورُ في يَدِهِ ... واستدفأ الكلب في المأسور ذي الذِّئب[8]

وقال في مثله جِرَانُ العَودِ[9]: [من الوافر]

ومشبوحِ الأشاجِعِ أرْيَحِيٍّ ... بعيدِ السَّمْعِ، كالقمر المنيرِ[10]

رفيع الناظرَين إلى المعالي ... عَلى العِلاّتِ في الخُلُق اليسيرِ[11]

يكادُ المجدُ ينضحُ من يديهِ ... إذا دُفِع اليتيمُ عنِ الجَزُورِ[12]

---

(١) ١٥٨/الأعراف :٧.

(٢) ٣٦/المدثر:٧٤.

(٣) ديوان الكميت ٢/١٤، والبيت الأول في اللسان والتاج (فرا)، والتهذيب ١٥/٢٤١.

(٤) وَحْوَح الرجل من البرد: إذا ردد نفسه في حلقه حتى تسمع له صوتاً. الفروة: الوفضة التي يجعل فيها السائل صدقته. المرمل: الذي نفذ زاده.

(٥) الفنيق: الفحل المكرم من الإبل، لا يُركب لكرامته على أهله.

(٦) ديوان الكميت١/١٢٧، والبيت الثاني في اللسان والتاج والأساس (كهه).

(٧) العقب: جمع عُقبة، وهي المرقة ترد في القدر المستعارة، فقد كانوا إذا استعاروا قدراً ردوا فيها شيئاً من المرق.

(٨) كهكه المقرور تنفس في يده ليسخنها بنفسه من شدة البرد.
المأسور: المشدود بالإسار وهو القد الذي يؤسر به القتب، والقتب: وهو الفرجة بين دفَّتي الرحل.

(٩) ديوان جران العود ٢٤- ٢٨.

(١٠) مشبوح الأشاجع: عريض الكف، والأشجع، العصب الذي على ظاهر الكف. الأريحي: الذي يرتاح للمعروف. السمع: المقصود بها: الذكر الحسن

(١١) على العلات: على كل حال.

(١٢) الجزور: الناقة المجزورة. جزر الناقة: نحرها وقطعها.

وألجأتِ الكلاب صبًا بليلٌ   وآلَ نُباحهنَّ إلى الهرير[1]
وقد جعلتْ فتاةُ الحي تدنو   مع الهُلاَّك من عَرَنِ القدور[2]

وقال في مثل ذلك ابن قميئة[3]: [من الخفيف]

ليس طُعمي طُعمَ الأرامل إذ قـ   ـلَّصَ دَرُّ اللِّقاح في الصِّنَّبْرِ[4]
ورأيتَ الإماءَ كالجِعِثْنِ البا   لي عكوفاً عَلَى قُرارة قِدْرِ[5]
ورأيتَ الدخَان كالودع[6] الأهْـ   جَنِ ينباع من وراءِ السِّتْرِ
حاضر شركم وخيركُمُ دَ   رٌّ خروسٍ من الأرانبِ بِكْرِ[7]

وقال في مثل ذلك[8]: [من الكامل]

وإذا العَذارى بالدُّخان تَقَنَّعتْ   واستعجلت نَصْبَ القدور فملَّتِ
دَرَّتْ بأرزاق العيالِ مَغَالِقٌ   بيديَّ من قَمَع العشار الجِلَّةِ[9]

---

(١) البليل: الريح الباردة التي كأنها يقطر منها الماء لبردها.
آل: جع وصار. الهرير: صوت الكلب في صدره .

(٢) فتاة الحي: أي الفتاة المصونة. الهُلاك: الصعاليك. العَرَن: ريح القدر.

(٣) ديوان عمرو بن قميئة ٧٧ – ٧٨، ورسائل الجاحظ ٢/٣٥٧ (كتاب البغال)، والبيت الأخير في البخلاء ٢١٤، وبلا نسبة في اللسان والتاج (خرس)، والجمهرة ٥٨٤، والمقاييس ٢/١٦٧.

(٤) اللقاح: جمع لقحة؛ وهي الناقة الحلوب. قلص درها: ارتفع لبنها .
الصنبر: شدة البرد .

(٥) الجعثن: أصل كل شجرة إلا شجرة لها خشب، شبههن به في التقبض وشوه الخلق مما أضرَّ بهن الجرب وسوء الغذاء .
عكوفاً: مستديرات حولها. القرارة : ما لزق بأسفل القدر من مرق، أو حطام تابل محترق، أو سمن، أو غيره .

(٦) الودع: خرز بيض جوف في بطونها شق كشق. النواة. الأهجن: الأبيض ، جعل الدخان أبيض لضعف ناره. ينباع يجري جرياً لَيِّناً .

(٧) الدر: اللبن. الخروس: صاحبة الخرسة، والخرسة طعام النفساء، والخرس: الطعام الذي يتخذ صبيحة الولادة للرجال والنساء، وانظر تعليق الجاحظ في البخلاء ٢١٣– ٢١٤.

(٨) البيتان لسلمى بن ربيعة في الخزانة ٨/٣٦، ٤٤، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي٥٥، ونوادر أبي زيد ١٢١، والأمالي ١/٨١، ولعلباء بن أرقم في الأصمعيات ١٦٢، وبلا نسبة في شرح اختيارات المفضل ٨١٦.

(٩) درَّت: در الضرع: كثر لبنه. العيال: جمع عيل، وهو الفقير. المغالق: جمع مِغْلق وهي قداح الميسر. القمع: الأسنمة. العشار: جمع عشراء، وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر. الجلة: العظام الكبار، جمع جليل .

وقال الهذليّ[1]: [من البسيط]

وليلة يصطلي بالفرث جازرُها ... يختصُّ بالنَّقَرَى المثْريـنَ دَاعيهـا
لا ينبح الكلبُ فيها غيـرَ واحـدةٍ ... من الشِّتاء ولا تَسرِي أفاعيها

وفي الجَمدِ والبرد والأزمات يقول الكميت[2]: [من الوافر]

وفي السنةِ الجمـادِ يكون غيـثـاً ... إذا لم تعط درَّتـهـا الغضـوبُ[3]
ورُوِّحـت الـلِّقـاحُ مُبْهَـلاَتٍ ... ولم تُعْطَف عَلَى الرُّبَعِ السَّلوبُ[4]
وكـان السُّوف للفتيان قـوتـاً ... تعيش بـه وهُيِّبت الـرقـوب[5]

وفي هذه القصيدة يقول في شدة الحر:

وخَرْقٍ تعزف الجِنَّانُ فيه ... لأفئدة الكماةِ لها وَجِيـب[6]
قطعتُ ظلامَ ليلته ويوماً ... يكاد حَصَى الإكام به يذوب

وقال آخر لمعشوقته[7]: [من الطويل]

وأنتِ التي كلفتني البرد شاتياً ... وأوردتنيـه فانظـري أيَّ مـوردِ[8]

فما ظنك ببرد يؤدّي هذا العاشق إلى أن يجعل شدَّته عذراً له في تركه الإلمام بها . وذلك قوله في هذه القصيدة[9]:

فيا حسنها إذ لم أعُجْ أن يقالَ لي ... تروَّحْ فشيعنا إلى ضحوة الغَدِ
فأصبحتُ مما كان بيني وبينها ... سِوى ذكرها كالقابض الماءَ باليد

---

(١) تقدم تخريج البيتين في ١ /٢٥٨؛ الفقرة (٢٦٩)، ٢ /٢٩٠؛ الفقرة (٢٩٣) .
(٢) ديوان الكميت١ /٨٤، والبيت الأول بلا نسبة في اللسان والتاج (جمد)، والتهذيب ١٠ /٦٧٩، والثالث للكميت في أساس البلاغة (سوف)، والأزمنة والأمكنة ٢ /٢٩٩ .
(٣) سنة جماد: لا مطر فيها. الغضوب: الناقة العبوس .
(٤) رُوِّحت: رُعيت وقت الرواح. المبهلات: المهملات. الرُّبَع: الفصيل ينتج وقت الربيع. السلوب: الناقة فقدت ولدها .
(٥) السُّوف: الأماني. الرقوب: هي التي لا تدنو إلى الحوض من الزحام، وذلك لكرمها .
(٦) الخرق: الفلاة الواسعة تنخرق فيها الريح. الجنّان: الجن . عزيفها: تصويتها .الوجيب: الخفقان والاضطراب .
(٧) البيت بلا نسبة في اللسان والتاج (برك)، والتهذيب ١٠ /٢٢٨، والعين ٥ /٣٦٧، وكتاب الجيم ١ /٨١.
(٨) الرواية في المصادر السابقة: «البِرْك» مكان «البرد»، والبرك: مستنقع الماء وشبه حوض يحفر في الأرض، لا يجعل له أعضاد فوق صعيد الأرض .
(٩) ديوان مسكين الدارمي ٣٦ .

ومما يقع في الباب قبل هذا، ولم نجد له باباً قول مسكين الدَّارِميّ: [من الوافر]

وإني لا أقومُ عَلَى قَناتي أسبُّ الناسَ كالكلب العقور[1]

وإني لا أحـلُّ ببَطـن وادٍ ولا آوِي إلى البيتِ القصيرِ

وإني لا أحاوِص عِقْدَ نادٍ ولا أدعو دُعائي بالصفير[2]

ولستُ بقائل للعَبْدِ أوقِدْ إذا أوْقَدْتَ بالعُودِ الصَّغيرِ

ولو تأملتَ دخان أتُّون[3] واحد، من ابتدائه إلى انقضائه، لرأيت فيه الأسود الفاحم، والأبيض الناصع.

والسواد والبياض، هما الغاية في المضادَّة، وذلك عَلَى قدر البخار والرطوبات. وفيما بينهما ضروب من الألوان.

وكذلك الرماد، منه الأسود، ومنه الأبيض، ومنه الأصهب، ومنه الخَصِيف[4]. وذلك كله على قدر اختلاف حالات المحترق وجواهره.

فهذا بعضُ ما قالوا في البرد.

١٢٩٨ - [ما قيل من الشعر في صفة الحر]

وسنذكر بعض ما قالوا في صفة الحر. قال مضرِّس بن زُرارة بن لقيط[5]: [من الطويل]

ويوم من الشِّعرى كأنّ ظباءَه كواعبُ مقصورٌ عليها ستورُها[6]

---

(١) القناة: العصا. الكلب العقور: الذي يعقر، أي يجرح ويعض.

(٢) يقال: فلان يحاوص فلاناً، أي ينظر إليه بمؤخر عينيه ويخفي ذلك. النادي: مجلس القوم. الصفير: التصويت بالفم والشفتين.

(٣) الأتون: الموقد.

(٤) رماد خصيف: فيه سواد وبياض.

(٥) الأبيات في الحماسة البصرية ٢/٢٤٣، من قصيدة تنسب إلى مضرس بن ربعي بن لقيط الأسدي، أو شبيب بن البرصاء، أو عوف بن الأحوص الكلابي، والأبيات في الأزمنة والأمكنة ٢/١٦١، والثاني والثالث في الألفاظ لابن السكيت٥٥٢، والثاني في اللسان والتاج (نور)، وراجع المزيد من المصادر في حاشية الحماسة البصرية ٢/٢٤٣.

(٦) الشعرى: كوكب نَيِّر يقال له المِرْزَم؛ يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر. كواعب: جمع كاعب، وهي الجارية قد نهد ثديها.

تـدلّت عليهـا الشمسُ حتى كـأنـه مـن الحـر يُرمى بـالسكينة نُـورُهـا[1]
سجوداً لدَى الأرْطَى كأن رؤوسهـا عـلاها صداعٌ أو فَوَالٍ يصُورهـا[2]

وقال القطاميُّ[3]: [من البسيط]

فهـن معترضـاتٌ والحصى رمِضٌ والريحُ ساكنـةٌ والظـلُّ معتـدلُ[4]
حتى وردْن ركِيَّاتِ الغُوَيْـرِ وقـد كاد المُلاءُ من الكتَّان يشتعلُ[5]

وقال الشماخ بن ضِرار[6]: [من الطويل]

كأنّ قُتودي فوق جأب مطرّد من الحُقب لاحتْه الجِداد الغوارزُ[7]
طوى ظمأها في بَيضة القيْظ بَعْدَما جرَت في عِنان الشِّعرَيين الأماعزُ[8]
وظلَّت بِيَمْؤُودٍ كأن عيونَها إلى الشمس، هل تدنو، رُكيٌّ نواكزُ[9]

---

(١) السكينة: السكون. النور: جمع نوار، وهي النفور من الظباء والوحش.

(٢) الأرطى: شجر تتخذ الظباء في أصوله كنسها. فوال: جمع فالية، وهي التي تفلي الرأس. يصورها: يميلها.

(٣) ديوان القطامي ٢٦ـ٢٧، والبيت الأول بلا نسبة في اللسان والتاج (رمض)، والتهذيب ١٢/٣٢، والبيت الثاني في اللسان والتاج (عور)، ونظام الغريب ٢٢٢.

(٤) في ديوانه: «فهن: يعني النوق. الحصى رمض: حار».

(٥) الركيات: جمع ركية؛ وهي البئر. الغوير: موضع. الكتان: هاهنا القطن.

(٦) ديوان الشماخ ١٧٥ – ١٧٦، وجمهرة أشعار العرب ٨٢٤، والبيت الأول في اللسان والتاج (جدد)، والعين ٦/٨، والجمهرة ٧٠٦، والتهذيب١٠/٤٦٢، وبلا نسبة في الجمهرة ٢٦٤، والمجمل ١/٤١٩، والبيت الثاني في اللسان والتاج (بيض، عنن)، والأساس (بيض)، والعين ١/٩٠، والمقاييس ٤/١٩، والجمهرة ٨٢٥، والكامل ٩٢٨ (الدالي)، وبلا نسبة في التهذيب ١/١١٠، ١٢/٨٩، والثالث في اللسان والتاج (مأد).

(٧) في ديوانه: «القتود: جمع قتد، وهو خشب الرحل. الجأب: الصلب الشديد من حمير الوحش المطرد: الذي طردته الرماة، أعني مطاردة الصائد إياه. الحقب: جمع أحقب، وهو الحمار الأبيض الحقوين. لاحته: غيرته. الجداد: جمع جَدُود، وهي التي يبس لبنها. الغوارز: جمع غارز، وهي التي قلّت ألبانها».

(٨) في ديوانه: «طوى ظمأها: زاد فيه. بيضة القيظ: وقت اشتداد الحر وتلهبه. الشعريان: هما شعرى العبور؛ وشعرى الغميصاء، وهما من نجوم القيظ. الأماعز: جمع أمعز: أي جرى بها السراب بعدما طلعت الشعرى».

(٩) في ديوانه: «يمؤود: واد بعطفان. هل: بمعنى إذ، أي حين تدنو. الركي: الآبار. النواكز: الغوائر، نكزت البئر تنكز نكوزاً: إذا ذهب ماؤها».

ولهذه الأبيات كان الحطيئة والفرزدق يقدِّمان الشماخَ بغاية التقديم.

وقال الراعي[1]: [من الوافر]

ونــار وديـقــة في يــوم هَيْـجٍ　　من الشِّعرى نصبْتُ لها الجبينا[2]
إذا مَعـــزاءُ هـــاجـرةٍ أرنَّتْ　　جَنادُبهـا وكـان العيسُ جُونـــا[3]

وقال مسكينٌ الدارمي[4]: [من الطويل]

وهـاجرةٍ ظَلَّتْ كـأنّ ظبـاءَهـــا　　إذا مـا اتَّقتهـا بالقـرون سجــودُ
تلوذ لشُؤبوبٍ من الشَّمس فوقَها　　كما لاذَ من حَرِّ السِّنان طريدُ[5]

وقال جرير[6]: [من الطويل]

وهاجدِ مَوْماةٍ بعثْتُ إلى السُّرى　　ولَلنَّومُ أحلَى عنده من جَنَى النَّحلِ[7]
يكون نزولُ الركب فيها كلاَ وَلا　　غِشَاشاً ولا يدنون رحْلاً إلى رحْلِ[8]
ليوم أتتْ دون الظلال سَمُومُه　　وظَلَّ المَها صُوراً جماجمها تَغْلي[9]

وفيها يقول جرير: [من الطويل]

تمنَّى رجال من تميمٍ لي الرَّدى　　وما ذاد عن أحسابهم ذائدٌ مثلي[10]

---

(١) ديوان الراعي النميري ٢٦٦، والأزمنة والأمكنة ١ /٢٨٧، والأول في اللسان والتاج (هيج).
(٢) الوديقة: حر نصف النهار: يوم هيج: يوم ريح.
(٣) المعزاء: الأرض الحزنة الغليظة. الهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر. أرنّت: صَوَّتت.
(٤) ديوان مسكين الدارمي ٣٢، وحماسة القرشي ٤٦٣، ومعاهد التنصيص ٢ /١١٩، والبيت الثاني بلا نسبة في اللسان والتاج (أول) والتهذيب ١٥ /٤٤١، والجمهرة ١٣٠٥.
(٥) تلوذ: تلجأ. الشؤبوب: الدفعة من المطر، واستعارها هنا ليدل على شدة حرارة الشمس.
(٦) ديوان جرير ٤٦١ (الصاوي)، والنقائض ١٦٠ – ١٦١، والأبيات من قصيدة في هجاء البعيث والفرزدق.
(٧) الهاجد: الساهر. الموماة: الفلاة.
(١) كلا: أي مثل «لا» سرعة النطق بها. الغشاش: العجلة.
(٢) دون الظلال: قريباً منها. السموم: الريح الحارة.
المها: جمع مهاة، وهي البقرة الوحشية. الصور: جمع أصور وهو المائل العنق.
(٣) بهذا البيت يرد جرير على الفرزدق الذي قال:
(أنا الضامن الراعي عليهم وإنما　　يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي)
وهذا البيت هو الثامن من قصيدته في النقائض ١٢٧ – ١٥٧، وديوانه ٢ /١٥٣ (صادر).

١٢٩٩ - [احتجاج النظام للكمون]

وقال أبو إسحاق: أخطأ من زعم أن النار تصعدُ في أول العود، وتنحدر وتغوص فيه، وتظهر عليه، وتأخذ منه عَرَضاً.

وقال: العود، النار في جميعه كامنة، وفيه سائحة، وهي أحد أخلاطه. والجزء الذي يُرى منها في الطرف الأول، غير الجزء الذي في الوسط والجزء الذي في الوسط غير الجزء الذي في الطرف الآخر. فإذا احتكّ الطرف فحميَ زال مانعه، وظهرت النار التي فيه. وإذا ظهرت حَميَ لشدة حرها الموضعُ الذي يليها، وتنحَّى أيضاً مانعه. وكذلك الذي في الطرَف الآخر ولكن الإنسان إذا رأى النار قد اتصلت في العود كله، وظهرت أولاً فأولاً، ظن أن الجزء الذي كان في المكان الأول قد سَرَى إلى المكان الثاني، ثم إلى المكان الثالث. فيخبرُ عن ظاهر ما يرى ولا يعرف حقيقة ما بطن من شأنها.

وقال أبو إسحاق: ولو كانت العيدان كلها لا نار فيها، لم يكن سرعةُ ظهورها من العراجين، ومن المرْخ والعَفار[١]، أحقّ منها بعود العُنَّاب[٢] والبَرديّ[٣] وما أشبه ذلك. لكنها لمَّا كانت في بعض العيدان أكثر، وكان مانعها أضعفَ، كان ظهورها أسرع، وأجزاؤها إذا ظهرت أعظمَ. وكذلك ما كَمَنَ منها في الحجارة. ولو كانت أجناس الحجارة مستوية في الاستسرار[٤] فيها، لما كان حجَرُ المرْوِ أحقَّ بالقَدْح إذا صُكَّ بالقدَّاحة، من غيره من الحجارة، ولو طال مُكثُه في النار ونُفِخَ عليه بالكير.

ولِمَ صار لبعض العيدان جَمْرٌ باق، ولبعضها جمر سريع الانحلال، وبعضها لا يصير جمراً؟ ولمَ صار البَرْديّ مع هَشَاشته ويبسه ورخاوته، لا تعمل فيه النيران؟ ولذلك إذا وقع الحريق في السُّوق سَلِمَ كل مكان يكون بين أضعاف البردي. ولذلك ترى النار سريعة الانطفاء في أضعاف البرديّ، ومواضعِ جميع اللِّيف.

وقال أبو إسحاق: فلِمَ اختلفَتْ في ذلك؟ إلا على قدر ما يكونُ فيها من النار، وعَلَى قدر قوة الموانع وضعفها.

---

(١) المرخ والعفار: شجران يتخذ منهما زناد القدح.

(٢) العُنّاب: شجر مثمر من الفصيلة السِّدْرية، له ثمرة نووية حلوة تؤكل. معجم الألفاظ الزراعية ٣٧٢.

(٣) في اللسان «حفأ»: (الحفأ: البَرْدي. وقيل: هو البَردي الأخضر ما دام في منبته، وقيل هو أصله الأبيض الرطب الذي يؤكل) وفي معجم الألفاظ الزراعية ٢٠٩: (البردي نوع مائي كانوا يصنعون ورق البردي من لحائه). وانظر المخصص ١١/١٦٦.

(٤) الاستسرار: الكمون.

ولم صارت تقدَح عَلَى الاحتكاك حتى تلهبت، كالساج[1] في السفن إذا اختلط بعضه ببعض عند تحريك الأمواج لها؟ ولذلك أعدُّوا لها الرجال لتَصُبّ من الماء صَبّاً دائماً. وتدوِّم الريحُ فتحتك عيدان الأغصان في الغياض، فتلتهب نار فتحدثُ نيران.

ولِمَ صار العود يحمَى إذا احتكَّ بغيره؟ ولمَ صار الطّلَقُ[2] لا يحمى؟ فإن قلت لطبيعة هناك، فهل دللتمونا إلا عَلَى اسم علّقتموه عَلَى غير معنًى وجدتموه؟ أولسنا قد وجدنا عيون ماءٍ حارة وعيون ماءٍ بارد، بعضها يبرص ويُنفْط الجلد[3]، وبعضها يُجمِدُ الدمَ ويورث الكُزَاز[4]؟ أولسنا قد وجدنا عيون ريح[5] وعيون نار[6]؟ فلِمَ زعمتم أن الريحَ والماء كانا مختنقين في بطون الأرض و لم تجوِّزوا لنا مثل ذلك في النار؟ وهل بين اختناق الريح والماء فرق؟ وهل الريح إلا هواءٌ تحرَّكَ؟ وهل بين المختنق والكامن فرْق؟.

وزعم أبو إسحاق: أنه رمى بردائه في بئر النبي صلى اللّه عليه وسلم التي من طريق مكة، فردّته الريح عليه.

وحدَّثني رجل من بني هاشم قال: كنت برَامةَ[7]، من طريق مكة فرميت في بئرها ببعرة فرجعت إليَّ، ثم أعدتها فرجعَتْ، فرمَيْت بحصاة فسمعتُ لها حَريقاً[8] وحفيفاً[9] شديداً وشبيهاً بالجوَلان، إلى أن بلغَتْ قرار الماء.

---

(١) الساج: شجر يعظم جداً، ويذهب طولاً وعرضاً، وله ورق أمثال التراس الديلمية، يتغطى الرجل بورقة منه فتكنه «أي تستره» من المطر، وله رائحة طيبة. تشابه رائحة ورق الجوز مع رقة ونعمة. «اللسان: سوج».

(٢) الطَّلَق: نبت تستخرج عصارته فيتطلى به الذين يدخلون في النار. «اللسان: طلق».

(٣) يبرص: يصيب بالبرص. ينفط: أصابه بالنفطة، وهي في أصلها بشرة تخرج في اليد من العمل ملأى ماء.

(٤) الكزاز: تشنج يصيب الإنسان.

(٥) عيون ريح: تنجم عن تحلل مواد عضوية في باطن الأرض، فتنشأ أبخرة وتتجمع، ثم تندفع إلى ظاهر الأرض.

(٦) عيون نار: هي ما تعرف بالبراكين.

(٧) رامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة، في طريق البصرة إلى الكوفة. «معجم البلدان: رامة».

(٨) الحريق: الصريف، وفي الحديث: «يحرقون أنيابهم غيظاً وحنقاً» أي يحكّون بعضها ببعض. والصوت الذي سمعه ذلك الرجل من الحصاة إنما هو لدفع الهواء إياها إلى أعلى ومحاولتها هي النزول.

(٩) الحفيف: صوت الشيء تسمعه كالرنّة.

وزعم أبو إسحاق أنه رأى عين نار في بعض الجبال، يكون دخانُها نهاراً وليلاً. أو ليس الأصل الذي بُني عليه أمرُهم: أن جميع الأبدان من الأخلاط الأربعة(١): من النار، والماء، والأرض، والهواء؟ فإذا رأينا موضعاً من الأرض يخرج منه ماءٌ قلنا: هذا أحدُ الأركان؛ فما بالُنا إذا رأينا موضعاً من الأرض يخرج منه نارٌ لم نقل مثل ذلك فيه؟.

ولِمَ نقولُ في حجرِ النار إنه متى وُجد أخف من مقدار جسمه من الذهب والرّصاص والزئبق، إنما هو لما خالَطَه من أجزاء الهواء الرّافعة له؟ وإذا وجدناه أعْلَكَ عُلوكة، وأمتَنَ متانة، وأبعد من التهافُت جعلنا ذلك لما خالطه من أجزاء الماء. وإذا وجدناه ينقض الشرر، ويُظهرُ النار جعلناَ لك للذي خالطه من الهواء؟ ولِمَ جعلناه إذا خف عن شيء بمقدار جسمه، لما خالطه من أجزاء الهواء، ولا نجعله كذلك لما خالطه من أجزاء النار؟! ولا سيما إذا كانت العينُ تجدُه يقدَح بالشرر، ولَمْ تجْر أجزاء الهواء فيه عندنا عِياناً. فلِمَ أنكروا ذلك، وهذه القصةُ توافقُ الأصل الذي بَنَوْا عليه أمرهم؟.

قال: أو ليس من قوله أنه لولا النيرانُ المتحركة في جوف الأرض، التي منها يكون البُخارُ – الذي بعضه أرضيٌّ وبعضه مائيٌّ – لم يرتفعْ ضبابٌ، ولم يكن صواعق ولا مطرٌ ولا أنداء.

١٣٠٠ - [الصواعق وما قيل فيها]

ومتى كان البخار حارّاً يابساً قَدَحَ وقَذَفَ بالنار التي تسمى «الصاعقة»، إذا اجتمعت تلك القوى في موضع منه. فإن كانت القوَى ريحاً كان لها صوتٌ، وإن كانت ناراً كانت لها صواعقُ. حتى زعم كثير من الناس [أن بعض السيوف من خبث نيران الصواعق](٢)، وذلك شائع على أفواه الأعراب والشعراء. قال أبو الهوْل الحِمْيري(٣): [من الخفيف]

---

(١) انظر الفقرة (١٢٧٨)، ص ٢١.

(٢) الزيادة من ثمار القلوب (٨٨٨).

(٣) الأبيات لأبي الهول الحميري أو ابن يامين البصري في الوحشيات ٢٨٠، وثمار القلوب ٤٩٨ (٨٨٧ – ٨٨٨)، والعقد ١/١٨٠، ووفيات الأعيان ٦/١٠٩، وفوات الوفيات ٢/٢٠٤، ومروج الذهب ٤/١٩٥، وديوان المعاني ٢/٥٢، والحماسة الشجرية ٧٩٧، وحماسة القرشي ٤٥٤، ٤٥٥، والسمط ٦٠٤، وإعجاز القرآن ٢٤٢، والأنوار ومحاسن الأشعار ١/٣٣، وزهر الآداب ٧٨١.

حاز صَمْصَامَةَ الزُّبيديِّ من بيـ ـن جميعِ الأنامِ موسى الأمينُ[1]

سيفُ عَمرو، وكَان فيما سَمِعنا خيرَ ما أُطْبِقَتْ عليه الجُفُونُ[2]

أوْقَدَتْ فوقهُ الصواعقُ ناراً ثم ساطتْ به الزُّعافَ المَنُونُ[3]

وقال منهم آخر[4]: [من الكامل]

يكفيك من قَلَعِ السماء عقيقةٌ فوق الذِّراع ودون بَوْع البائعِ[5]

قال الأصمعيّ: الانعقاق: تشقُّق البرق. ومنه وصف السيف بالعقيقةِ، وأنشد[6]: [من الوافر]

وسيفي كالعقيقةِ وَهْوَ كِمْعِي[7]

وقال الأخطل[8]: [من الطويل]

وأرَّقَني من بعد ما نِمْتُ نَوْمَةً وعَضْبٌ إباطي كالعقيق يمَانِي[9]

---

(١) الصمصامة: سيف عمرو بن معدي كرب، وهو من أشهر سيوف العرب، وقد وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله ﷺ على اليمن، فلم يزل في آل سعيد إلى أيام هشام بن عبد الملك، فاشتراه خالد القسري بمال خطير وأنقذه إلى هشام فلم يزل الأمرعند بني مروان حتى زال الأمر عنهم، ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدي، فلم يجدوه، وجدَّ الهادي في طلبه حتى ظفر به، وطلب من الشعراء أن يقولوا فيه، فقالوا وأطالوا، حتى قام أبو الهول الحميري وأنشد قصيدته، فوهبه الهادي الصمصامة. انظر وفيات الأعيان ٦ / ١٠٩، وثمار القلوب (٨٨٦ – ٨٨٨)، والأغاني ١٥ / ٢١١، وزهر الآداب ٧٨٠، والعقد الفريد ١ / ١٨٠.

(٢) الجفون: جمع جفن، وهو قِراب السيف.

(٣) السوط: الخلط. الزعاف: السم السريع القتل.

(٤) البيت لمنصور النمري في ديوانه ١٠٩، وبلا نسبة في الوحشيات ٢٨١، والأنوار ومحاسن الأشعار ١ / ٣٠، والأشباه والنظائر للخالديين ٢ / ٤٤.

(٥) القلع: جمع قَلَعَة، وهي السحابة الضخمة. العقيقة: السيف. فوق الذراع: أي طوله فوق الذراع: البوع: قدر مدِّ اليدين وما بينهما من البدن.

(٦) عجز البيت: (سِلاحي لا أَفَلَّ ولا فُطارا)، وهو لعنترة في ديوانه ٤٣، واللسان والتاج (فطر، كمع، عقق، فلل)، والتهذيب ١٣ / ٣٠٣، وديوان الأدب ١ / ١٨٨، ٤٤٢، وبلا نسبة في الجمهرة ٧٥٥.

(٧) في ديوانه: «العقيقة: شعاع البرق. كمعي: ضجيعي،و وأراد: لا يفارقني. أفل: ذو فلول، أي مثلم. الفُطار: فيه صدوع وشقوق لا يقطع».

(٨) ديوان الأخطل ٢٩٤، ورواية عجزه في الديوان: (وعَضْبٌ، جَلَتْ عنه القيونُ، بِطاني).

(٩) العضب: السيف القاطع. إباطي: تحت إبطي.

(١) أي فقد الماء.

ونذكرُ بعَونِ اللّهِ وتأييده جُمْلةً مِنَ القَول في الماء ثمَّ نصير إلى ذكر ما ابتدأنا به، من القول في النار

ذكروا أن الماء لا يغذو، وإنما هو مَرْكَبٌ ومعْبَرٌ ومَوْصِلٌ للغِذاء. واستدلّوا لذلك بأن كلّ رقيق سَيّال فإنك متى طبَخْته انعقَد، إلا الماء. وقالوا في القياس: إنه لا ينعقد في الجوف عند طبخِ الكبِد له، فإذا لم ينعقِد لم يجئْ منه لحمٌ ولا عظم. ولأننا لم نر إنساناً قطُّ اغتذاه وثبت عليه روحُه، وإن السمك الذي يموت عند فقده[1] لَيَغْذُوه سِواه مما يكون فيه دونه.

قال خصمهم: إنما صار الماء لا ينعقد؛ لأنه ليس فيه قُوًى مستفادةٌ مأخوذة من قُوى الجواهرِ. والماء هو الجوهرُ القابلُ لجميع القُوَى. فبضربٍ من القُوى والقبول يصير دُهناً، وبضرب آخر يصير خلاًّ، وبضرب آخر يصير دماً، وبضرب آخر يصير لبَناً. وهذه الأمور كلها إنَّما اختلفت بالقُوى العارضة فيها. فالجوهرُ المنقلبُ في جميع الأجرام[2] السّيَّالة، إنما هو الماء. فيصير عند ضرب من القبول دُهناً، وعند ضرب من القبول لبناً.

وعصير كل شيء ماؤه والقابلُ لِقُوى ما فيه. فإذا طبخْتَ الماء صِرْفاً، سالماً على وجهه، ولا قُوَى فيه، لم ينعقد وانحلَّ بُخاراً حتى يتفاني؛ وإنما ينعقد الكامن من الملابس له. فإذا صار الماء في البدنِ وحده ولم يكن فيه قوى لم ينعقد. وانعقاده إنما هو انعقاد ما فيه.

والماء لا يخلو من بعض القَبُول ولكنَّ البعض لا ينعقد ما لم يكثُر.

وزعم أصحاب الأعراض[3] أن الهواء سريعُ الاستحالة إلى الماء، وكذلك الماء إلى الهواء، للمناسبة التي بينهما من الرطوبة والرقة. وإنما هما غير سيَّارين. ويدل على ذلك اجتذابُ الهواء للماء وملابسته له، عند مَصِّ الإنسان بفيه فم الشَّرابة[4]. ولذلك سَرَى الماء وجرى في جوف قَصَبِ الخيزُرَانِ، إذا وضَعْتَ طرفه في الماء.

---

(٢) الأجرام: الأجسام.

(٣) انظر الحاشية السادسة، ص ٢٩ .

(٤) الشرابة: هي التي تسميها العامة سارقة الماء ، أعني الأنبوبة المعطوفة المعمولة من زجاج أو غيره. فيوضع أحد رأسيها في الماء أو غيره من الرطوبات المائية، ويمص الرأس الآخر؛ إلى أن يصل الماء إليه وينصبّ منه، فلا يزال يسيل إلى أن ينكشف رأسه الذي في الماء. انظر مفاتيح العلوم ١٤٤، وانظر ما سيذكره الجاحظ في الصفحة ٦٤ حيث سماها هناك «السكابة».

وكذلك الهواء، فيه ظلامُ الليل وضياء النهار وما كان فيه من الأشباح. والحدَقة لا ترى من الضياء العارض في الهواء ما تباعد منها.

١٣٠١ - [ألوان الماء]

والماء يرقّ فيكون له لون، ويكون عمقه مقداراً عَدْلاً فيكون له لون، فإنْ بعد غَوْرُه وأفرط عمقه رأيته أسودَ.

وكذلك يحكون عن الدُّرْدُور[١].

ويزعمون أن عين حوارا ترمى بمثل الزنوج.

فتجدُ الماء جنساً واحداً، ثم تجد ذلك الجنسَ أبيض إذا قلّ عمقه، وأخضَرَ إذا كان وسطاً، وأسودَ إذا بعُدَ غَوْرُه.

ويختلف منظره على قدر اختلاف إنائه وأرضه، وما يقابله. فدلّ ذلك على أنه ليس بذي لون، وإنما يعتريه في التخييل لونُ ما يقابله ويحيط به. ولعلَّ هذه الأمور إذا تقابلت أن تصنع في العين أموراً، فيظنّ الإنسان مع قُرب المجاورة والالتباس، أن هذه الألوان المختلفة إنما هي لهذا الماء الرائق الخالص، الذي لم ينقلب في نفسه، ولا عَرَضَ له ما يقْلبه. وكيف يعرض له ويقلبه وعينُ كل واحد منهما غيرُ عينِ صاحبه؟ وهو يرى الماء أسودَ كالبحر، متى أخذ منه أحدٌ غُرفة رآه كهيئته إذا رآه قليل العُمق.

ويتشابهان أيضاً لسُرعة قبولهما للحر والبرد، والطّيب والنّتْن؛ والفساد والصلاح.

١٣٠٢ - [حجة للنظام في الكمون]

قال أبو إسحاق: قال اللّه عزَّ وجلّ عند ذكر إنعامه على عباده وامتنانه على خلقه، فذكَر ما أعانهم به من الماعون: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ. أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ المنْشِئُون﴾[٢]، وكيف قال «شَجَرَتَهَا» وليس في تلك الشجرة

---

(١) الدُّرْدُور: موضع في وسط البحر يجيش ماؤه، لا تكاد تسلم منه السفينة؛ يقال: لجَّجوا فوقعوا في الدردور، والدردور: الماء الذي يدور ويخاف منه الغرق. انظر اللسان «درر»، والسامي في الأسامي ٣٨٣، وفيه «الدردور: دوامة الماء».

(٢) ٧١/ الواقعة: ٧٦.

شيء. وجوفها وجوفُ الطَّلَق[1] في ذلك سواء. وقدرة الله على أن يَخلق النار عندَ مسِّ الطَّلَق، كقدرته على أن يخلقها عند حكِّ العود وهو، تعالى وعز، لم يُرِد في هذا الموضع إلا التعجيبَ[2] من اجتماع النار والماء.

وهل بين قولكم في ذلك وبين من زعم أن البذر الجيِّد والرديء والماء العذب والملح، والسَّبَخَة[3] والخبِرَة[4] الرِّخوة، والزمان المخالفَ والموافقَ، سواءٌ، وليس بينها من الفرْق إلا أن الله شاء أن يخلق عند اجتماع هذه ﴿حَبّاً. وعِنَباً وَقَضْباً. وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً﴾[5] دون تلك الأضداد.

ومن قال بذلك وقاسه في جميع ما يلزم من ذلك، قال كقول الجَهْمِيّةِ في جميع المقالات، وصار إلى الجهالات، وقال بإنكار الطبائعِ والحقائق.

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ ناراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[6].

ولو كان الأمر في ذلك على أن يخلقها ابتداءً لم يكن بين خلقها عند أخضرِ الشجر وعند اليابس الهشيم فرق، ولم يكن لذكر الخضْرَةِ الدّالة عَلَى الرطوبةِ مَعْنًى.

وقد ذكرنا جملةً من قولهم في النار. وفي ذلك بلاغ لمن أراد معرفة هذا الباب. وهو مقدارٌ قصدٌ، لا طويل ولا قصير.

فأما القولُ في نار جهنم، وفي شُواظها[7] ودوامها وتسعُّرها وخبوِّها والقول في خلق السماء من دُخَان والجانِّ من نار السّموم[8]، وفي مَفْخَر النار على الطين، وفي احتجاج إبليس بذلك - فإنا سنذكر من ذلك جملة في موضعه إن شاء الله تعالى.

١٣٠٣ - [حسن النار]

ونحن راجعون في القول في النار إلى مثل ما كنا ابتدأنا به القول في صدر هذا

---

(١) الطلق: نبت تستخرج عصارته فيتطلى به الذين يدخلون في النار. «اللسان: طلق».

(٢) عجبه تعجيباً: حمله على التعجب.

(٣) السبخة: أرض ذات نزٍّ وملح.

(٤) الخبرة: منقع الماء في أصول السِّدْر، ومنبت السِّدْر في القيعان.

(٥) ٢٧ - ٢٩/ عبس: ٨٠.

(٦) ٨٠/ يس: ٣٦.

(٧) شواظ النار: لهبها الذي لا دخان فيه.

(٨) السموم: الريح الحارة.

الكلام، حتى نأتيَ من أصناف النيران على ما يحضرنا، إن شاء اللّه تعالى.

قالوا: وليس في العالم جسمٌ صِرْفٌ غير ممزوج، ومرسلٌ غير مركب، ومُطلق القُوَى، غير محصور ولا مقصور، أحسنُ من النار.

قال: والنار سماوية عُلْوِية؛ لأن النار فوق الأرض، والهواء فوق الماء، والنار فوق الهواء.

ويقولون: «شراب كأنه النار»، و «كأن لونَ وجهها النار». وإذا وصفوا بالذكاء قالوا: «ما هو إلا نار» وإذا وصفوا حمرة القِرمز[1] وحمرة الذهب قالوا: «ما هو إلا نار».

قال: وقالت هند[2]: «كنتُ واللّه في أيام شبابي أحسنَ من النار الموقَدَة!».

وأنا أقول: لم يكن بها حاجةٌ إلى ذكر «الموقَدَة» وكان قولها: «أحسنَ من النار» يكفيها. وكذلك اتهمتُ هذه الرواية.

وقال قُدَامة حكيم المشرق في وصف الذّهن[3]: «شُعاعٌ مركوم[4]، ونَسَمٌ معقود، ونورٌ بصَّاص[5]. وهو النار الخامدة، والكِبريت الأحمر»[6].

ومما قال العتَّابي: «وجمالُ كل مجلس بأن يكون سَقْفهُ أحمرَ، وبساطُه أحمر».

وقال بشّار بنُ بُرْد: [من الطويل]

هِجانٌ عليها حُمْرةٌ في بياضِها ... تروق بها العَينَين والحسنُ أحمرُ[7]

وقال أعرابيٌّ: [من الطويل]

هِجانٌ عليها حمرةٌ في بياضِها ... ولا لونَ أدنى للهِجان من الحُمْرِ

---

(١) القرمز: صبغ أرمني أحمر، يقال: إنه من عصارة دود يكون في آجامهم، فارسي معرب.

(٢) هي هند بنت الخس، والخبر في ثمار القلوب ٦٤٠ (٨٢٨)، والتمثيل والمحاضرة ٢٦٢، ومحاضرات الأدباء ٢/٢٧٧، وانظر أخبارها في بلاغات النساء ٨٠ – ٨٦، والمزهر ٢/٥٤٠ – ٥٤٥.

(٣) الخبر في محاضرات الأدباء ٢/٢٧٧.

(٤) مركوم: مجموع.

(٥) بصاص: لمّاع وبرّاق.

(٦) الكبريت الأحمر: يسمى حجر الفلاسفة، ويدخل في عمل الذهب عند أهل الصنعة. انظر قاموس الأطبا ١/٧٢، واللسان والتاج (كبرت)، ومفاتيح العلوم ١٥٠ «حجر الصنعة». ومن الأمثال قولهم: «أعز من الكبريت الأحمر»، والمثل في مجمع الأمثال ٢/٤٤، والمستقصى ١/٢٤٥، وجمهرة الأمثال ٢/٣٣.

(٧) الهجان: البيضاء، وقوله: «الحسن أحمر» من الأمثال في مجمع الأمثال ١/١٩٩، وجمهرة الأمثال ١/٣٦٦، وفصل المقال ٣٤٤، وأمثال ابن سلام ٣٨، والمستقصى ١/٣١٢.

١٣٠٤ - [تعظيم الله شأن النار]

قال(١): ومما عظم الله به شأن النار أنها تنتقم في الآخرة من جميع أعدائه. وليس يستوجبها بَشريٌّ منْ بَشَريّ، ولا جنيٌّ من جنيّ بضغينةٍ ولا ظلمٍ، ولا جنايةٍ ولا عُدْوان، ولا يَسْتَوْجِبُ النارَ إلا بعداوة الله عزَّ وجلَّ وحده، وبها يَشْفي صدورَ أوليائه من أعدائهم في الآخرة.

١٣٠٥ - [تعظيم الله لما أضافه إلى نفسه]

وكل شيء أضافه الله إلى نفسه فقد عظَّم شأنه، وشدَّد أمره. وقد فَعَل ذلك بالنار(٢)، فقالوا بأجمعهم: دَعْهُ في نار الله وسقَرِه، وفي غضب الله ولعنته، وسَخَط الله وغضبه. هما ناره أو الوعيدُ بناره، كما يقال: بيتُ الله، وزُوّار الله، وسماءُ الله، وعرشُ الله.

ثم ذكرها فامْتَنّ بها على أهل الأرض من وجهين(٣): أحدهما قوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ ناراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾(٤) فَجَعَلَهَا من أعظم الماعون معونة، وأخفها مؤُونة.

١٣٠٦ - [استطراد لغوي]

والماعون الأكبر: الماء والنار، ثم الكَلأُ والملح.

قال الشاعر في الماعون بيتاً جامعاً، أحسن فيه التأديةَ حيث قال(٥): [من البسيط]

لا تَعْدِلَنّ أَتَاوِيِّينَ قد نزلوا وَسْطَ الْفَلاَةِ بِأَصْحَابِ المُحِلاَّتِ(٦)

والمُحلاَّت هي الأشياء التي إذا كانت مع المسافرين حَلّوا حيثُ شاؤوا، وهي القَدَّاحة، والقِرْبة، والمِسْحاة. فقال: إياك أن تَعْدِلَ، إذا أردت النّزولَ، مَنْ مَعَهُ أصنافُ

---

(١) ثمار القلوب ٤٥٤ (٨٢٠).

(٢) ثمار القلوب (٨٠).

(٣) ثمار القلوب ٤٥٧ (٨٢٣)، فقرة «نار الشجر».

(٤) ٨٠/ يس: ٣٦.

(٥) البيت بلا نسبة في اللسان والتاج (حلل، أتو)، وأساس البلاغة (حلل). والمخصص ١٣/ ٢٢٥، والمقاييس ١/ ٥٢، ٥/ ٤٧٤، والبيان ٣/ ٢٣.

(٦) الأتاوي: الغريب في غير وطنه.

الماعونِ بأتَاوِيِّين، يعني واحداً أتى مِنْ ها هنا، وآخر أتى من ها هنا. كأنهم جماعة التقَوْا من غيرِ تعريف بنسب ولا بلد.

وإذا تجمعوا أفذاذاً[1] لم يكمل كلّ واحدٍ منهم خصال المحِلاَّت.

قال أبو النجم[2]: [من الرجز]

يَضَعْنَ بالفَقْرِ أتَاوِيَّاتِ مُعْتَرِضاتٍ غَيْرَ عُرْضِيَّاتِ[3]

وقالت امرأة من الكفار، وهي تحرِّض الأوسَ والخزْرج، حين نزل فيهم النبي صلّى اللّه عليه وسلم وعلى آله وصحبه: [من المتقارب]

أطعْتُمْ أتَاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُمْ فَلاَ مِنْ مُرَادٍ وَلاَ مَذْحِجِ

ولم تردْ أنهما أشرفُ من قريش، ومن الحيّيْن كعبٍ وعامر، ولكنها أرادت أن تؤلّبَ وتُذْكِيَ العصبيّة.

وقالوا: لا تُبْتَنَى المدن إلا على الماء والكلإِ والمحتطبِ. فدخلت النار في المحتطَب؛ إذ كان كلُّ عود يوري.

وأما الوجه الآخرُ[4] من الامتنان بها، فكقوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ﴾[5] ثم قال على صلَة الكلام: ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكما تكَذِّبَانِ﴾[6]. وليس يريدُ أنّ إحراقَ اللّه عز وجلَّ العبدَ بالنار من آلائه ونعمائه. ولكنه رأى[7] أن الوعيدَ الصادق إذا كان في غاية الزجر عما يُطغيه ويُرْدِيه[8] فهو من النعم السابغة والآلاء العظام.

---

(١) الرجز لأبي النجم في ديوانه٧٤، ولحميد الأرقط في اللسان (عرض، هيه، أتي)، والتاج (عرض، صنبع، أتو)، والتهذيب ١/٤٥٩، ٤٦٣، ١٤/٣٥١، وبلا نسبة في التاج (هيه)، والجمهرة ١٣٢١، وشرح المفصل ٤/ ٦٥ - ٦٦.

(٢) يضعن: من الوضع، وهو ضرب من العَدْو فوق الخبب. الأتاويات: الغريبات. معترضات: نشيطات لم يكسلهن السفر. عرضيات: من غير صعوبة.

(٣) البيت لعصماء بنت مروان اليهودي في أنساب الأشراف ٣٧٣، ولامرأة هجت الأنصار في اللسان والتاج (أتى)، والتهذيب ٢/٣٥٩.

(٤) ثمار القلوب ٤٥٧ (٨٢٤)، فقرة «نار الشجر».

(٥) في ثمار القلوب «كقوله للثقلين».

(٦) ٣٥/ الرحمن: ٥٥.

(٧) في ثمار القلوب «أراد».

(٨) يرديه: يهلكه.

وكذلك نقول في خلْقِ جهنم: إنها نعمة عظيمة، ومنَّةٌ جليلةٌ، إذا كان زاجراً عن نفْسه ناهياً، وإلى الجنة داعياً. فأما الوقوع فيها فما يُشَكُّ أنه البلاءُ العظيم.

وكيف تكونُ النقمُ نِعَماً! ولو كانت النقمة نعمةً لكانت رحمة، ولكان السّخط رضا وليس يَهْلكُ عَلَى البينة إلا هالك. وقال اللّه عزّ وَجلَّ: ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[1].

١٣٠٧ - [من مواعظ الحسن البصري]

وقال الحسن: «واللّهِ يا ابن آدم، ما توبِقُكَ إلا خطاياك! قد أُريد بك النجاةُ فأبيتَ إلا أن توقِعَ نفسَك»!.

وشهِد الحسَنُ بعضَ الأمراء، وقد تعدّى إقامة الحدّ، وزاد في عددِ الضرب، فكلمه في ذلك، فلما رآهُ لا يقبلُ النصح قال: أمَا إنكَ لا تضرِبُ إلا نفسكَ، فإن شئْتَ فَقَلِّلْ، وإن شئتَ فَكثِّر.

وكان كثيراً ما يتلو عند ذلك: ﴿ فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[2].

١٣٠٨ -[عقاب الآخرة وعقاب الدنيا]

والعقاب عقابان: فعقاب آخرةٍ، وعقابُ دنيا. فجميعُ عقاب الدنيا بَلِيَّةٌ من وجه، ونعمةٌ من وجه. إذ كان يؤدِّي إلى النعمة وإن كان مؤلماً. فهو عن المعاصي زاجرٌ، وإن كان داخلاً في باب الامتحان والتعبُّد، مع دخوله في باب العقاب والنعمة؛ إذ كان زجراً، وتنكيلاً لغيره. وقد كلّفنا الصبرَ عليه، والرضا به، والتسليم لأمر اللّه فيه.

وعقاب الآخرة بلاءٌ صِرْف، وخزيٌ بَحْت. لأنه ليس بِمخْرَج منه، ولا يحتملُ وجهين.

١٣٠٩ - [معارف في النار]

وقال أبو إسحاقَ: الجمرُ في الشمس أصهب[3]، وفي الفيء أشكلُ[4]، وفي ظلّ

(١) ٤٢/ الأنفال: ٨.
(٢) ١٧٥/ البقرة: ٢
(٣) الأصهب: الأبيض تخالطه حمرة.
(٤) الأشكل: الأسود تخالطه حمرة.

الأرض – الذي هو الليل – أحمر. وأيُّ صوتٍ خالطَتْه النار فهو أشد الأصوات، كالصاعقة، والإعصار الذي يخرج من شِقِّ[1] البحر، وكصوت المُوم[2]، والجَذْوَةِ من العود إذا كان في طَرَفِه نارٌ ثم غمستَه في إناءٍ فيه ماءُ نَوًى مُنْقَع.

ثم بالنار يعيشُ أهلُ الأرض من وجوه: فمن ذلك صنيعُ الشمس في بردِ الماء والأرض؛ لأنها صِلاءُ جميعِ الحيوان، عند حاجتها إلى دفع عاديةِ البردِ. ثمّ سراجُهم الذي يستصبحون به، والذي يميزون بضيائه بين الأمور.

وكلٌّ بخار يرتفع من البحار والمياهِ وأصول الجبال، وكل ضبابٍ يعلو، وندًى يرتفع ثم يعود بركة ممدودة عَلَى جميع النبات والحيوان – فالماءُ الذي يحلُّه ويلطِّفه، ويفتحُ له الأبوابَ، ويأخُذُ بضَبْعه[3] من قَعر البحر والأرضِ النارُ المخالطة لهما من تحتُ، والشمسُ من فوق.

١٣١٠ – [عيون الأرض]

وفي الأرض عيون نار، وعيونُ قَطِران، وعيون نِفْط وكباريت وأصناف جميع الفلزّ من الذهب والفضة والرَّصاص والنُّحاس. فلولا ما في بطونها من أجزاء النار لما ذَابَ في قعرها جامدٌ، ولَمَا انسبك في أضعافها شيءٌ من الجواهر، ولَمَا كان لمتقاربِها جامع، ولمختلفها مُفَرِّق.

١٣١١ – [قول العرب في الشمس]

قال: وتقول العرب[4] «الشمسُ أرحَمُ بنا».

وقيل لبعض العرب: أيُّ يوم أنفع؟ قال: يومُ شَمَال وشَمْس.

وقال بعضهم[5] لامرأته: [من الوافر]

تـمَنَّيْنَ الطَّلاَقَ وأنْتِ عِنْدِي   بِعَيْشٍ مثلِ مَشْرُقَةِ الشَّمالِ[6]

---

(١) الشِّق: الناحية والجانب.

(٢) في اللسان «موم»: (الموم: الشمع، معرب، واحدته مومة).

(٣) الضبع: العضد كلها أو وسطها.

(٤) انظر تعليق الجاحظ في ٣/١٧٣، الفقرة (٨٠٩).

(٥) البيت بلا نسبة في عيون الأخبار ٤/١٢٥، وأخبار النساء ٧٩، واللسان والتاج (شرق)، والمخصص ٩/٢٣.

(٦) المشرقة؛ مثلثة الراء: الموضع الذي تشرق عليه الشمس. الشمال: الريح الشمالية.

وقال عُمَر(١): «الشمسُ صِلاءُ العرب». وقال عُمر: «العربيُّ كالبعير، حيثما دارت الشمسُ استقبلَهَا بهامَتِه».

ووصف الرّاجز إبلاً فقال(٢): [من الرجز]

تستقبل الشمسَ بجُمْجُماتها

وقال قَطِران العبسيّ(٣): [من الطويل]

بمستأسد القُرْيَانِ حُوٌّ تلاعَهُ ... فنُوّارُهُ مِيلٌ إلى الشمسِ زاهِرُهْ(٤)

١٣١٢ - [نبات الْخِيريّ]

والخِيريُّ(٥) ينضم ورقه بالليل، وينفتح بالنهار.

ولإسماعيل بن غزْوان في هذا نادرةٌ. وهو أن سائلاً سألَنَا من غير أهل الكلام، فقال: ما بالُ ورق الخِيريّ ينضم بالليل وينتشرُ بالنهار؟ فانبَرَى له إسماعيل بنُ غَزْوان فقال: لأن بردَ الليل وثِقلَه، من طباعهما الضمُّ والقبض والتّنويم، وحرّ شمس النهار من طباعه الإذابة، والنشر، والبسْط، والخفَّة، والإيقاظ. قال السائل: فيما قلت دليلٌ، ولكنه! قال إسماعيل: وما عليك أن يكون هذا في يدك، إلى أن تصيبَ شيئاً هو خيرٌ منه.

وكان إسماعيل أحمَر حَليماً، وكذلك كان الحَراميّ. وكنت أظن بالحمر الألوانِ التسرعَ والحدَّةَ، فوجدت الحلْمَ فيهم أعمّ. وكنت أظن بالسمان الخِدالِ(٦) العظامِ أنّ الفالِجَ إليهم أسرعُ، فوجدتُهُ في الذينَ يُخالفون هذه الصِّفَةَ أعَمّ.

---

(١) ثمار القلوب (٢٧٩).

(٢) الرجز لعمر بن لجأ في ديوانه ١٥٤، والأصمعيات ٣٥، والرواية فيهما: «واتقت الشمس بجمجماتها»، وبلا نسبة في ثمار القلوب (٢٧٩).

(٣) البيت للحطيئة في ديوانه ٢٠، والأغاني ٢/١٥٥ وبلا نسبة في المخصص ١٠/٢١٩.

(٤) في ديوانه: «استأسد النبت: طال وأتم. القُرْيان: مجاري الماء إلى الرياض، وأحدها قريٌّ. الحُوّ: التي قد اشتدت خضرتها حتى ضربت إلى السواد. التلاع: مسيل الماء إلى الوادي، واحدها تلعة. النوّار: الزهر. زاهره: ما زهر منه».

(٥) الخيري: جنس زهر من الفصيلة الصليبية. يعرف بالعربية باسم «المنثور»، وهو نوع ينبت برياً ويتبقلونه لوجود عقد نشوية في جذورها؛ طعمها يشبه طعم الكستناء. انظر معجم الألفاظ الزراعية ٣٠٧.

(٦) الخِدال: جمع خدل، وهو الممتلئ الأعضاء لحماً في رقة عظام.

١٣١٣ -[أثر الجوِّ في الأبدان]

وقال إياسُ بن معاوية: «صِحَّة الأبدان مع الشمس». ذهب إلى أهل العَمَد والوبر.

وقال مثنَّى بن بشير: «الحركة خيرٌ من الظل والسُّكون».

وقد رأينا لِمَن مدح خلاف ذلك كَلاَماً، وهو قليل.

وقيل لابنة الخسِّ: أيُّمَا أشَدُّ: الشتاء أمِ الصيف؟ قالت: ومن يجعل الأذى كالزمانة[١]؟!.

وقال أعرابيٌّ: لا تَسبُّوا الشَّمال فإنها تضعُ أنفَ الأفعى، وترفع أنف الرِّفقة.

وقال خاقانُ بن صبيح، وذكر نُبْلَ الشتاء وفضلَه عَلَى نُبْلِ الصيف فقال: «تغيب فيه الهوام، وتنجحر[٢] فيه الحشرات، وتظهر الفِرْشَة والبزَّةُ[٣]، ويكثُر فيه الدّجْن[٤]؛ وتطيب فيه خمْرة[٥] البيت، ويموت فيه الذِّبان والبَعوض، ويبرُد الماء، ويسخُن الجوفُ، ويطيبُ فيه العِناق».

وإذا ذكرت العربُ بَرْدَ الماء وسخونة الجوف قالت[٦]: «حِرَّةٌ تحت قِرّة».

ويجود فيه الاستمراء؛ لطول الليل، ولتَفصِّي الحرِّ[٧].

وقال بعضهم: لا تُسَرّنَّ بكثرة الإخوان، ما لم يكونوا أخياراً؛ فإن الإخوان غيرَ الخِيَارِ بمنزِلةِ النار، قليلُها متاعٌ، وكثيرها بوار[٨].

---

(١) الزَّمانة: العاهة والآفة. والخبر في البيان ١/٣١٣، وفيه «من جعل بؤساً كأذًى»، وانظر أخبارها في بلاغات النساء ٨٠ - ٨٦، والمزهر ٢/٥٤٠ - ٥٤٥.

(٢) تنجحر: تدخل في الجحر.

(٣) البزة: الهيئة والشارة واللبس.

(٤) الدجن: ظل الغيم في اليوم المطير.

(٥) الخمرة؛ مثلثة الراء: الرائحة الطيبة.

(٦) مجمع الأمثال ١/١٩٧، وجمهرة الأمثال ١/٣٤١، ٣٥٥، وهو مثل يضرب للذي يظهر خلاف ما يضمر.

(٧) تفصي الحر: ذهابه وخروجه.

(٨) البوار: الهلاك.

١٣١٤ - [نار الزحفتين]

قال(١): ومن النيران «نار الزَّحْفَتَيْنِ»، وهي نار أبي سريع، وأبو سريع هو الْعَرْفجُ(٢).

وقال قُتيبة بن مسلم، لعُمَرَ بن عبَّاد بن حُصين: واللّه لَلسُّؤْدُدُ أسرعُ إليك من النار في يبيس العَرْفَجِ(٢)!.

وإنما قيل لنار العَرفج: نار الزحفتين؛ لأن العَرفَج(٢) إذا التهبَتْ فيه النار أسرعَتْ فيه وعَظُمَتْ، وشاعت واستفاضت، في أسرَعَ من كل شيء. فمن كان في قُرْبها(٣) يزحف عنها،ثم لا تلبثُ أن تنطفئ من ساعتها، في مثل تلك السرعة؛ فيحتاج الذي يزحف عنها أن يزحَفَ إليها من ساعته؛ فلا تزالُ للمصْطَلي كذلك، ولا يزال المصطلي بها كذلك. فمن أجْلِ ذلك قيل: «نار الزَّحْفَتَيْنِ».

قال(٤): وقيل لبعض الأعراب: ما بالُ نسائكم رُسْحاً(٥)؟ قال: أرْسَحَهُنَّ عَرْفَجُ الهَلْبَاءِ(٦).

١٣١٥ - [شرط الراعي على المسترعي]

وهذا شرط الراعي فيما بينه وبين من استرعاه ماشيته في القارِّ والحارِّ(٧)، وذلك أن شرطهم عليه أن يقول المسترعي للراعي(٨): «إن عليك أن تردَّ ضالَّتها، وتهنأ جرْباها(٩)، وتلوط(١٠) حوضَهَا. ويدُك مبسوطةٌ في الرِّسْل(١١) ما لم تُنْهِكَ حَلْباً، أو تضرّ بنَسْلٍ».

---

(١) الخبر في ثمار القلوب ١٩٧ (٣٩٣ - ٣٩٤)، ٤٦٢ (٨٣١)، وانظر مجالس ثعلب ١٤٦، والنبات لابن حنيفة، ومطلع الفوائد ٤٢.

(٢) العرفج: ضرب من النبت، واحدته عرفجة، وهو نبات طيب الريح أغبر إلى الخضرة، وله زهرة صفراء وليس له حب ولا شوك. وهو سريع الاشتعال بالنار، ولهبه شديد الحمرة. «اللسان: عرفج».

(٣) في ثمار القلوب «فمن كان قريباً منها».

(٤) مجالس ثعلب ١٤٦، والمخصص ١١ /٣٧، واللسان (رسح).

(٥) الرسحاء: القليلة لحم العجز والفخذين.

(٦) الهلباء: موضع بين اليمامة ومكة.

(٧) القار والحار: أي البارد والساخن.

(٨) انظر البيان ٣ /٥٧، واللسان «ثمن».

(٩) يهنأ الجربى. يعالجها بالهناء، وهو ضرب من القطران، يطليها به.

(١٠) لاط الحوض بالطين: طَيَّنَه.

(١١) الرسل: اللبن.

قال: فيقول عند ذلك الراعي لرب الماشية، بعد هذا الشرط: «ليس لك أن تَذْكُرَ أُمِّي بخيرٍ ولا شرّ ولك حذْفَةٌ[1] بالعصا عند غضَبك، أخطأتَ أو أصبْتَ، ولي مَقعدي من النار وموضعُ يدي من الحارّ [والقارّ][2]»

١٣١٦ - [شبه ما بين النار والإنسان]

قال: ووَصف بعض الأوائل شبَهَ ما بين النار والإنسان، فجعل ذلك قرابة ومشاكلة، قال: وليس بين الأرض وبين الإنسان، ولا بين الإنسان، والماء، ولا بين الهواء والإنسان، مثل قرابة ما بينه وبين النار؛ لأن الأرض إنما هي أمٌّ للنبات، [وليس للماء][3] إلا أنّه مَرْكَب. وهو لا يغذُو؛ إلاّ ما يعقدهُ الطبخ وليس للهواء فيه إلا النسيم والمتقلَّب. وهذه الأمور وإن كانت زائدة، وكانت النفوسُ تَتلَفُ مع فَقْدِ بعضها، فطريق المشاكلةِ والقرابةِ غير طريق إدخال المَرْفَق وجَرِّ المنفعة، ودفعِ المضَرّة.

قال: وإنما قضيتُ لها بالقرابة، لأني وجدت الإنسان يَحْيَا ويعيشُ في حيثُ تحيا النار وتعيشُ، وتموتُ وتَتْلَفُ حيث يموت الإنسان ويتلف.

وقد تدخل نار في بعض المطامير[4] والجِباب[5]، والمغاراتِ، والمعادن[6]، فتجدها متى ماتت هناك علمنا أن الإنسان متى صار في ذلك الموضِع مات. ولذلك لا يدخلها أحدٌ ما دامت النار إذا صارتْ فيها ماتت. ولذلك يعمد أصحاب المعادن والحفايرِ إذا هجموا على فَتْق في بطن الإرض أو مغارة في أعماقها أو أضعافها، قدّموا شمعةً في طرَفها أو في رأسها نارٌ، فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا في طلب الجواهر من الذهب وغير ذلك. وإلا لم يتعرَّضوا له. وإنما يكونُ دخولُهم بحياة النار، وامتناعُهم بموت النار.

وكذلك إذا وقعوا على رأس الجُبِّ الذي فيه الطعامِ، لم يجسُروا على النزول

(١) الحذفة: الرمية عن جانب.
(٢) زيادة من البيان واللسان.
(٣) زيادة يقتضيها المعنى.
(٤) المطامير: حُفَرٌ تحفر في الأرض، توسَّع أسافلها، تخبأ فيها الحبوب.
(٥) الجباب: جمع جب، وهو البئر البعيدة القعر، الكثيرة الماء.
(٦) المعادن: جمع معدِن، وهو موضع تستخرج منه جواهر الأرض.

فيه، حتى يُرسلوا في ذلك الجبِّ قِنديلاً فيه مصباحٌ أو شيئاً يقومُ مقامَ القِنديل، فإن مات لم يتعرَّضوا له، وحرّكوا في جوفه أكسية[1] وغيرها من أجزاء الهواء.

قال: وممّا يُشبَّه النارُ فيه بالإنسان، أنك ترى للمصباح قبل انطفائه ونفاد دهنه، اضطراماً وضياءً ساطعاً، وشُعاعاً طائراً، وحركة سريعةً وتنقضاً[2] شديداً، وصوتاً متداركاً. فعندها يخْمُدُ المصباح.

وكذلك الإنسان، له قبلَ حالِ الموت، ودُوَيْنَ انقضاء مُدَّته بأقرب الحالات، حال مُطْمِعَةٌ تزيد في القوة على حاله قَبلَ ذَلك أضعافاً، وهي التي يسمونها «راحة الموت»، وليس له بعد تلك الحال لُبث.

١٣١٧ - [قول رئيس المتكلّمين في النفس]

وكان رئيسٌ من المتكلمين، وأحدُ الجِلَّة المتقدمين، يقولُ في النفس قولاً بليغاً عجيباً، لولا شُنْعته لأظْهَرْتُ اسمه، وكان يقول: الهواءُ اسم لكل فتق، وكذلك الحيِّز[3]. والفتق لا يكون إلا بين الأجرام الغلاظ، وإلا فإنما هو الذي يسميه أصحاب الفَلَك «اللُّجَّ». وإذا هم سألوهم عن خُضْرَة الماء قالوا: هذا لُجّ الهواء، وقالوا: لولا أنكَ في ذلك المكانِ لرأيت في اللُّجِّ الذي فوق ذلك مثل هذه الخضرةَ. وليس شيء إلا وهو أرقُّ من كَتِيفه أو من الأجرام الحاصرة له. وهو اسمٌ لكل متحرِّك ومُتَقَلَّب لكل شيء فيه من الأجرام المركبة. ولا يستقيم أن يكون من جنس النسيم، حتى يكونَ محصوراً، إما بحصر كَتِيفِيٍّ كالسفينة لما فيها من الهواء الذي به حَمَلَتْ مثلَ وزنِ جرمها الأضعاف الكثيرة، وإما أن يكون محصوراً في شيء كهيئة البيضة المشتملة على ما فيها، كالذي يقولون في الفَلَكِ الذي هو عندنا: سماء.

قال: وللنسيم الذي هو فيه معنى آخر، وهو الذي يجعلُهُ بعضُ الناس ترويحاً عن النفس، يعطيها البَرْدَ والرِّقَّة والطِّيب، ويدفعُ النَّفسَ، ويُخرج إليه البخارَ والغِلَظ، والحرارات الفاضلة[4]، وكلّ ما لا تقوى النَّفسُ على نفْيه واطِّرادِه.

---

(١) أكسية: جمع كساء.

(٢) التنقض: صوت الفتيلة إذا قاربت الانطفاء.

(٣) الحيز: عند المتكلمين هو الفراغ المتوهّم الذي يشغله شيء ممتد كالجسم؛ أو غير ممتد كالجوهر الفرد، انظر التعريفات للجرجاني ٩٩.

(٤) الفاضلة: الزائدة.

قال: وليس الأمر كذلك. بل أزعمُ أنّ النفس من جنس النسيم وهذه النفسُ القائمة في الهواء المحصور، عرضٌ لهذه النفسِ المتفرِّقة في أجرام جميع الحيوان، وهذه الأجزاء التي في هذه الأبدان، هي من النسيم في موضع الشعاع والأكثاف، والفروع التي تكون من الأصول.

قال: وضياء النفس كضياء دخلَ من كوّة[١] فلما سُدَّت الكوَّةُ انقطع بالطَّفْرة إلى عنصره من قُرْص الشمس وشُعاعها المشرِق فيها، ولم يُقِم في البيت مع خلاف شكله من الجُروم[٢]. ومتى عَمَّ السَّدُّ لم تُقِم النفْسُ في الجِرم فوق لا.

وحكمُ النفْس عند السَّدِّ - إذ كنا لا نجدها بعد ذلك - كحكم الضياء بعد السدّ، إذ كنا لا نجده بعد ذلك.

فالنفسُ من جنس النسيم، وبفساده تفسُدُ الأبدانُ، وبصلاحه تصلحُ. وكان يعتمدُ على أن الهواء نفْسَه هو النفسُ والنسيم، وأن الحرّ واللدونةَ وغير ذلك من الخلاف، إنما هو من الفساد العارضِ.

قيل له: فقد يفسُدُ الماء فتفسُدُ الأجرام من الحيوان بفساده، ويصلُحُ فتَصلح بصلاحه، وتمْنَعُ الماء وهي تنازعُ إليه فلا تَحُلُّ[٣] بعد المنازعة إذا تمَّ المنْعُ، وتوصَلُ بجِرْمِ الماء فتقيمُ في مكانها. فلعل النفسَ عند بُطلانِها في جسمها قد انقطعت إلى عُنصر الماء بالطّفرة.

وبعدُ فما عَلَّمَكَ؟ لعلّ الخنْقَ هيَّجَ عَلى النفس أضداداً لها كثيرةً، غمرتها حتى غرقت فيها، وصارت مغمورةً بها.

وكان هذا الرئيس يقول: لولا أن تحت كلِّ شعرةٍ وزَغَبَةٍ مجرى نَفَسٍ لكان المخنوقُ يموتُ مع أوّلِ حالات الخنق، ولكن النفْسَ قد كان لها اتصالٌ بالنسيم من تلك المجاري على قدر [مِنَ][٤] الأقدار، فكان نَوْطُها[٥] جوف الإنسان. فالرِّيح والبُخَارُ لمَّا طلَبَ المنفذ فلم يجِدْه، دارَ وكثُفَ وقويَ؛ فامتدَّ له الجلدُ فسدَّ له

---

(١) الكوة: خرق في الحائط.

(٢) الجروم: جمع جرم، وهو الجسد والجسم.

(٣) تحل: تقيم.

(٤) زيادة يقتضيها المعنى.

(٥) نوطها: متعلقها.

المجاري. فعند ذلك ينقطع النفَس. ولولا اعتصامها بهذا السبب لقد كانت انقطعت إلى أصلها من القُرْص، مع أول حالات الخنق.

وكان يقول: إن لم تكن النفسُ غُمرت بما هُيّج عليها من الآفات، ولم تنقطع للطَّفْر إلى أصلها جاز أن يكون الضياءُ الساقطُ على أرض البيت عند سدِّ الكُوّةِ أن يكون لم ينقطع إلى أصله. ولكن السدَّ هيَّج عليه من الظلام القائم في الهواء ما غمرَه، وقطعه عن أصله. ولا فرْق بين هذَين.

وكان يعظّم شأنَ الهواء، ويُخبر عن إحاطته بالأمور ودخوله فيها، وتفضُّل قوّته عليها.

وكان يزعمُ أن الذي في الزّقّ[1] من الهواء، لو لم يكن له مَجَارٍ ومنافسُ، ومُنِع من كل وجهةٍ - لأقَلَّ الجَمَلَ الضخم.

وكان يقول: وما ظنّك بالرِّطل من الحديد أو بالزُّبْرَة[2] منه، أنه متى أُرسل في الماء خرَقه، كما يخرق الهواء! قال: والحديد يسرعُ إلى الأرض إذا أرسلتَه في الهواء، بطبعه وقوّته، ولطلبه الأرضَ المشاكِلَةَ له، ودفعِ الهواء له، وتبرِّيه منه، ونفيه له بالمضادة، واطِّرَادِه له بالعداوة.

قال: ثمّ تأخذُ تلك الزُّبْرَة[2] فتبسُطها بالمطارق، فتنزل نزولاً دون ذلك؛ لأنها كلما اجتمعت فكان الذي يلاقيها من الماء أصغَر جِرْماً، كانت أقوى عليه.

ومتى ما أشخَصْتَ[3] هذه الزُّبْرَة[2] المفطوحة المبسوطةَ المسطوحة، بنتْق[4] الحيطان في مقدارِ غِلظ الإصبع، حَمَلَ مثلَ زِنَتِه المرارَ الكثيرةَ وليس إلا لما حصرَتْ تلكَ الإصبعُ من الهواء. وكلما كان نتوُّ الحيطان أرفع كان للأثقال أحْمَلَ، وكان الهواء أشدَّ انحصاراً.

قال: ولولا أن ذلك الهواءَ المحصورَ متَّصلٌ بالهواء المحصور في جرم الحديد، وفي جرم الخشبِ والقارِ، فرفَعَ بذلك الاتصال السفينةَ عُلوًّا - لَمَا كان يبلُغُ من حصر ارتفاع إصبعٍ للهواء ما يحملهُ البَغْل.

---

(١) الزق: وعاء من الجلد ينقل فيه الخمر.

(٢) الزبرة: القطعة من الحديد.

(٣) أشخصت: رفعت.

(٤) النتق: الرفع.

ويدلّ على ذلك شأن السكّابة[1]؛ فإنَّك تضعُ رأسَ السكّابة الذي يلي الماء في الماء، ثم تمصه من الطرف الآخر، فلو كان الهواء المحصورُ في تلك الأنبوبة إنما هو مجاورٌ لوجهِ الماء، ولم يكن متصلاً بما لابَس جرْم الماء من الهواء، ثم مصصْتَه بأضعافِ ذلك الجذْبِ إلى ما لا يتناهى لَمَا ارتفع إليك من الماء شيءٌ رأساً.

وكان يقول في السَّبيكة التي تُطيل عليها الإيقاد، كيف لا تتلوّى، فما هو إلا أن يُنفخ عليها بالكيرِ[2] حتى تدخلَ النيرانُ في تلك المداخلِ، وتُعاونَها الأجزاءُ التي فيها من الهواء.

وبمثل ذلك قامَ الماءُ في جوف كُوز المسْقاة المنكس. ولعلمهم بصَنيع الهواء إذا احتَصَر وإذا حُصِر، جعلوا سَمْكَ[3] الصِّينية مِثلَ طولها. أعني المركبَ الصِّينيّ.

وكان يخبر عن صنيع الهواء بأعاجيب.

وكان يزعم[4] أنّ الرّجلَ إذا ضُرِبت عنقُه سقط عَلَى وجهه، فإذا انتفخَ انتفخَ غُرمُوله وقامَ وعَظُم. فَقَلَبَه عند ذلك على القفَا. فإذا جاءت الضّبُع لتأكله فَرأته على تلك الحال، ورأت غُرمُوله على تلك الهيئة، استَدْخَلَتْه وقضتْ وطرَها من تلك الجهة، ثم أكلَت الرّجلَ، بعد أن يقوم ذلك عندها أكثر من سِفاد الذِّيخ.

والذِّيخ: ذكر الضِّباع العَرقاء[5].

وذكر بعضُ الأعراب أنه عاينَها عند ذلك، وعند سِفاد الضَّبُع لها، فوجد لها عند تلك الحال حركةً وصياحاً، لم يجده عندها في وقت سِفاد الذِّيخ لها.

ولذلك قال أبو إسحاق لإسماعيل بن غَزْوان: «أشهد باللّه إنك لَضَبُعٌ». لأن إسماعيل شدّ جاريةً له على سُلّم وَحلَف ليضربَنّها مائةَ سَوْط دونَ الإزار - ليلتزقَ جلدُ السّوط بجلدها، فيكون أوْجَعَ لها - فلما كشفَ عنها رَطْبةً بَضّةً خَدْلَةً[6]، وقَع عليها، فلما قضى حاجته منها وفَرَغَ، ضربَها مائة سوط. فعند ذلك قال أبو إسحاقَ ما قال.

---

(١) انظر الصفحة ٤٩، حيث سماها هناك «الشرابة».

(٢) الكير: الزق الذي ينفخ فيه الحداد.

(٣) السَّمك: الارتفاع.

(٤) هو اليقطري؛ كما سيأتي في ٦/ ٤٥٠.

(٥) العرفاء: الكثيرة شعر الرقبة.

(٦) الخدلة: الممتلئة الأعضاء لحماً في رقة عظام.

١٣١٨ - [أحوال الغرقى][١]

وإذا غرقت المرأةُ رسبتْ. فإذا انتفخت وصارت في بطنها ريح وصارت في معنى الزقّ، طفا بدنُها وارتفع، إلا أنها تكون مُنْكَبَّةً، ويكونُ الرّجل مستلقياً.

وإذا ضُربتْ عُنقُ الرّجلِ وأُلقيَ في الماء لم يَرسُب، وقام في جوف الماء وانتصب، ولم يغْرَق، ولم يَلزم القعر، ولم يظهر. كذلك يكونُ إذا كان مضروبَ العُنق، كان الماء جارياً أو كان ساكناً. حتى إذا خفّ وصار فيه الهواء، وصار كالزِّقِّ المنفوخ، انقلبَ وظهَرَ بدنه كله، وصار مستلقياً، كان الماءُ جارياً أو كان قائماً. فوُقوفُه وهو مضروب العُنق، شبيهٌ بالذي عليه طباعُ العقربِ التي فيها الحياة، إذا ألقيتَها في ماء غَمْرْ[٢]، لم تطفُ ولم ترسبْ، وبقيتْ في وسط عُمْق الماء، لا يتحرَّك منها شيء.

والعقرب من الحيوان الذي لا يسبَح. فأما الحيّة فإنها تكونُ جيِّدَةَ السباحةِ، إذا كانت من اللواتي تنساب وتزحف. فأمّا أجناس الأفاعي التي تسير على جنبٍ فليس عندها في السباحة طائل.

والسِّباحة المنعوتة، إنما هي للإوزّةِ والبقرةِ والكلبِ. فأمّا السمكةُ فهي الأصل في السباحة، وهي المثل، وإليها جميع النسبة.

والمضروب العنق يكون في عُمْق الماء قائماً. والعقربُ يكون على خلاف ذلك.

١٣١٩ - [مناغاة الطفل للمصباح]

ثمّ رجع بنا القول إلى ذكر النار.

قال: والنار من الخصال المحمودةِ أنَّ الطفل لا يُناغي شيئاً كما يُناغي المِصْباح. وتلك المناغاة نافعةٌ له في تحريك النفْس، وتهييج الهمة، والبعثِ على الخواطر، وفتق اللّهاة، وتسديد[٣] اللسان، وفي السرور الذي له في النفس أكرمُ أثر.

---

(١) ورد الخبر في عيون الأخبار ٢ / ٦٣.

(٢) الغمر: الماء الكثير.

(٣) تسديد اللسان: تقويمه.

١٣٢٠ - [قول الأديان في النار]

قال: وكانت النار معظَّمةً عند بني إسرائيل، حيث جعلها اللّه تعالى تأكل القربان، وتدل على إخلاص المتقرِّب، وفساد نية المُدْغِل(١)، وحيث قال اللّه لهم(٢): «لا تُطْفِئُوا النَّارَ مِنْ بُيُوتِي». ولذلك لا تجد الكنائس وَالبِيَعَ أبداً إلا وفيها المصابيح تزْهر(٣)، ليلاً ونهاراً، حتى نَسَخَ الإسلام ذلك وأمرنا بإطفاء النيران، إلا بقدر الحاجة.

فَذَكَرَ ابنُ جُريجٍ قال: أخبرني أبو الزّبير، أنه سمع جابرَ بن عبدِ اللّه يقول: أمرني رسولُ اللّه صلّى اللّه عليه وسلم فقال(٤): «إذا رَقَدْتَ فأغلق بابك، وخَمِّرْ(٥) إناءك، وأوْكِ سقَاءَك(٦)، وأطفئ مصباحَك، فإن الشيطان لا يفتح غَلَقاً ولا يكشفُ إناءً، ولا يحلُّ وِكاءً. وإن الفارة الفُويسِقَة تحرقُ أهل البيت».

وفِطْر بن خليفة عن أبي الزبير؛ عن جابر بن عبد اللّه، قال(٧): قال لنا رسولُ اللّه صلّى اللّه عليه وسلم: «أغْلقُوا أبوابَكم، وأوْكُوا أسقيتكم وخَمِّروا آنيتكم، وأطفئوا سُرُجكم، فإن الشيطان لا يفتحُ غلَقاً، ولا يُحلُّ وِكاءً، ولا يكشفُ غِطاءً. وإن

---

(١) المدغل الذي يدخل في أمره ما يفسده.

(٢) تقدم هذا القول في ٤/٤٩٨، س ١٤ - ١٥.

(٣) تزهر: تتلألأ.

(٤) أخرج البخاري في بدء الخلق، حديث رقم ٣١٠٦: (حدثنا ابن جريج قال: أخبرني عطاء، عن جابر رضي اللّه عنه، عن النبي قال: إذا استجنح الليل، أو: كان جنح الليل، فكُفُّوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعةٌ من العشاء فخلّوهم، وأغلق بابَك واذكر اسم اللّه، وأطفئ مصباحك واذكر اسم اللّه، وأوْكِ سقاءَك واذكر اسم اللّه، وخمِّرْ إناءك واذكر اسم اللّه، ولو تَعْرُض عليه شيئاً)، وانظر صحيح مسلم؛ في الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، رقم: ٢٠١٢، وأخرج البخاري في بدء الخلق، حديث رقم ٣١٣٨: (عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما رفعه قال: خمِّروا الآنية، وأوكوا الأَسْقيَة، وأجيفوا الأَبْوَابَ، واكْفتُوا صبيانَكم عند العشاء، فإنّ للجنّ انتشاراً وخطفةً، وأطفؤوا المصابيحَ عند الرُّقاد، فإنّ الفُوَيْسِقَةَ ربما اجْتَرَّتِ الفتيلةَ فأحرقتْ أَهْلَ البيت).

(٥) خمِّر: من التخمير؛ وهو التغطية.

(٦) أَوْكِ: من الإيكاء وهو الشد، والوكاء اسم ما يشدّ به فم القربة ونحوها. والسقاء: ما يوضع فيه الماء أو اللبن ونحو ذلك.

(٧) انظر صحيح البخاري في بدء الخلق، حديث رقم ٣١٢٨، وفي الأشربة، حديث رقم ٥٣٠٠، ٥٣٠١، وفي الاستئذان، حديث رقم ٥٩٣٧، ٥٩٣٨، ومسند أحمد ٣/٣٠١، ٣٨٨.

الفويسقَة تضرِّم البيتَ على أهله. وكُفُّوا مَوَاشِيَكم وأهليكم حينَ تغرُب الشمس، حتى تذهبَ فحمةُ العِشاء».

قال: ويدل على أنه صلى اللّه عليه وسلم لم يأمر بحفظها إلا بقَدر الحاجة إليها، ويأمر بإطفائها إلا عند الاستغناء عنها - ما حدَّث به عبَادُ بن كثير قال: حدّثني الحسن بنُ ذكْوان عن شَهْر بن حَوشب قال[1]: «أمر رسولُ اللّه صلّى اللّه عليه وسلم أن تحبسوا صبيانَكم عند فحمة العشاء، وأن تُطفئوا المصابيح، وأن توكئوا الأسقية، وأن تخمِّروا الآنية، وأن تغلِّقوا الأبواب». قال: فقام رجلٌ فقال: يا رسول اللّه إنه لاَ بدّ لنا من المصابيح، للمرأة النُّفساء، وللمريض، وللحاجة تكون. قال: فلا بأسَ إذاً، فإن المصباحَ مَطْرَدَةٌ للشيطانَ، مذبَّةٌ للهوام[2]، مَدَلَّةٌ[3] على اللصوص.

١٣٢١ - [نار الغول]

قال: ونارٌ أخرى، وهي التي تذكر الأعرابُ أن الغولَ تُوقدُها بالليل، للعبث والتخليل، وإضلال السابلة.

قال أبو المطراب عُبيد بن أيوبَ العَنبَرِيّ[4]: [من الطويل]

فللّه دَرُّ الغُولِ أيُّ رَفيقةٍ ... لصاحب قَفْرٍ خائفٍ مُتَقَتِّرُ
أرنّت بلَحْنٍ بعدَ لَحْنٍ وأَوقَدَتْ ... حَوَالَيَّ نِيراناً تبوخُ وتزهرُ

١٣٢٢ - [جَمَرات العرب]

قال: وجَمَراتُ العرب: عبسٌ، وضَبّةُ، ونُمَير[5]. يقال لكلٍّ واحد منهم: جمرة[6].

---

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) الذَّبُّ: الطرد. الهوام: الحيات وكل ذي سم يقتل سمه. انظر اللسان: «همم».

(٣) مَدَلَّةٌ: يدلّ.

(٤) تقدم البيتان في ٤/ ٥٠٠، وهما في اللسان والتاج (لحن)، والتهذيب ٤/ ٦٣، والشعر والشعراء ٤٩٣ (ليدن).

(٥) اختلف العلماء في تعيين جمرات العرب، ففي ثمار القلوب١٢٦ (٢٧٧): «بنو ضبة، وبنو الحارث بن كعب، وبنو نمير بن عامر وبنو عبس بن بغيض، وبنو يربوع بن حنظلة»، وفي النقائض ٢/ ٩٤٦، وزهر الآداب ٥٥، «بنو ضبة وبنو الحارث وبنو نمير»، وفي العمدة٢/ ١٩٧: «ضبة وعبس والحارث بن كعب»، وانظر السمط٤٢٤، والمحبر٢٣٤، والأوائل للعسكري ٢/ ١٩٠، واللسان (جمر)، والشريشي١/ ٢٩٨، والعقد٢/ ٢٣٣، والكامل٢/ ٢٣٣، (أبو الفضل إبراهيم). ١/ ٣٧٧ (المعارف). وقول الجاحظ نقله صاحب اللسان في مادة (جمر) ٤/ ١٤٥.

(٦) الجمرة: كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم، لا يحالفون أحداً، ولا ينضمون إلى أحدٍ، تكون القبيلة نفسها جمرةً تصبر لمقارعة القبائل كما صبرت عبس لقيس كلها. ثمار القلوب١٢٦ (٢٧٧)، واللسان (جمر). وانظر سبب التسمية في العمدة ٢/ ١٩٧ - ١٩٨.

وقد ذكر أبو حَيَّةَ النُّميري قومَه خاصَّةً فقال[١]: [من الطويل]

وهمْ جَمْرَةٌ لا يَصْطَلي الناسُ نارَهم   تَوَقَّدُ لا تُطْفا لِريْبِ النّوائبِ

ويروى: الدوابر[٢].

ثم ذكر هذه القبائل فعمّهُمْ بذلك، لأنها كلّها مُضَرِيَّة، فقال[٣]: [من الطويل]

لنا جَمَراتٌ ليس للناس مثلها   ثَلاثٌ فَقَدْ جُرِّبْنَ كلّ التَّجاربِ

نُمَيْرٌ وعَبْسٌ تُتَّقَى صَقَرَاتُهَا   وضَبّةُ قَوْمٌ بَأْسُهُمْ غَيْرُ كاذِبِ

يعني شدّتها[٤].

إلى كلِّ قومٍ قَدْ دَلَفْنَا بجَمْرَةٍ   لها عارضٌ[٥] جَوْنٌ قَويُّ المناكبِ

وعلى ذلك المعنى قيل: «قد سقَطت الجَمْرة»، إذا كان في استقبال زمان الدّفاء[٦]. ويقولون: قد سقطت الجمرة الأولى، والثانية، والثالثة[٧].

١٣٢٣ - [استطراد لغوي]

والجمار: الحصى الذي يُرْمَى به. والرَّمْي: التجمير، قال الشاعر[٨]: [من الطويل]

ولم أرَ كالتجميرِ منظَرَ ناظِرٍ   ولا كلَيَالِي الحجِّ أفْتَنَّ ذا هَوَى

---

(١) ديوان أبي حية النميري ١١٩.

(٢) هذه الرواية في تهذيب اللغة ١١/٧٥.

(٣) البيتان الأول والثاني في ديوان أبي حية النميري ١١٩، واللسان والتاج (جمر)، والتهذيب ١١/٧٥، ولم يرد البيت الثالث في ديوانه.

(٤) شدتها؛ تفسير لكلمة «صقراتها» في البيت السابق.

(٥) العارض: السحاب المعترض في الأفق والجبل. الجون: الأسود والأبيض.

(٦) الدفاء: مصدر دفئت من البرد.

(٧) يكون سقوط الجمرات في شهر شباط ولسَبْعٍ منه تسقط الجمرة الأولى وهي الجبهة، والأربع عشرة منه تسقط الجمرة الثانية، وهي الزُبرة، ولإحدى وعشرين منه تسقط الجمرة الثالثة وهي الصَّرْفة فينصرف البرد. انظر مروج الذهب ٢/٣٤٠ - ٣٤١، الباب (٥٦)، في ذكر شهور السريانيين، والأزمنة والأمكنة ١/٢٧٦، وعجائب المخلوقات ٥٦ «فصل: في شهور الروم».

(٨) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٤٥٩، والأغاني ٢/٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٧، والكامل ١/٣٧٦ (المعارف)، والموشح ٢٠٣.

والتجمير أيضاً: أن يُرْمَى بالجُنْد في ثغر[1] من الثُّغورِ، ثم لا يُؤْذَنَ لهم في الرجوعِ.

وقال حُمَيْدٌ الأرقطُ: [من الرجز]

فاليومَ لا ظلم ولا تَتْبيـرُ ولا لغازٍ إنْ غزَا تَجميرُ[2]

وقال بعضُ مَنْ جُمِّرَ من الشعراء في بعض الأجناد[3]: [من الطويل]

مُعَاوِيَ إمّا أنْ تُجهِّزَ أهْلَنَا إلينـا، وإما أن نـؤُوبَ مُعاويـا

أجَمَّرْتَنَا تَجميرَ كِسْرى جُنُودَهُ ومَنَّيْتَنا حتى مَلِلنا الأمانيا

وقال الجعديُّ[4]: [من الخفيف]

كالخلايا أنشأنَ من أهل سابا طَ بجنْـدٍ مُجَمَّـرٍ بِـأَوَالِ

ويقال قد أجمر الرجل: إذا أسرع أوْ أعجلَ مركَبه.

وقال لبيد[5]: [من الرمل]

وإذا حَرَّكْـتُ غَرْزِي أجْمَرَتْ أَوْ قَرَا بي، عَدْوُ جَوْنٍ قَدْ أَبَلْ[6]

وقال الراجز: [من الرجز]

أجْمَرَ إجْمَاراً لَهُ تَطْمِيمُ

التّطميم: الارتفاع والعلوُّ. ويقال: أجْمَرَ ثوبَه، إذا دخّنه[7].

والمِجْمرة والمِجْمر: الذي يكون فيه الدُّخنة. وهو مأخوذٌ من الجَمْر.

---

(١) الثغر: الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين المسلمين والكفار.

(٢) التتبير: الإهلاك.

(٣) البيتان لسهم بن حنظلة في أساس البلاغة (جمر)، والبيت الثاني بلا نسبة في اللسان والتاج (جمر)، والتهذيب ١١/٧٤.

(٤) ديوان النابغة الجعدي ٢٣٢.

(٥) ديوان لبيد ١٧٦، واللسان والتاج (جمر، غرز، أبل)، والعين ٦/١٢٢، ٨/٣٤٢، والمقاييس ١/٤١، والتهذيب ٨/٤٦.

(٦) في ديوانه: «أجمر الرجل والبعير: أسرع وعدا. والغرز للناقة مثل الركاب للفرس والبغل فهو ركاب الرحل. أبل: جزأ عن الماء بالرطب».

(٧) في اللسان: «أجمرت الثوب وجمَّرته: إذا بخرته بالطيب».

ويقال: قد جَمَّرت المرأةُ شَعْرَها إذا ضَفَرته. والضَّفر يقال له الجمير[1]. قال: ويسمى الهلالُ قبل ليلةِ السِّرار[2] بلَيلةٍ: «ابن جَمِير» قال أبو حَرْدَبة[3]: [من الكامل]

فهل الإله يُشيِّعُني بفوارسٍ لبَنِي أمَيّةَ في سِرار جَميرِ

وأنشدني الأصمعيُّ: [من الرجز]

مَضْفُورُها يُطوَى على جَميرها

ويقال: قد تجمَّر القوم، إذا هم اجتمعوا حتى يصير لهم بأسٌ، ويكونوا كالنارِ على أعدائهم فكأنهم جمرةٌ،أو كأنهمْ جَميرٌ من شعر مضفور، أو حَبل مُرصّعِ القُوَى[4].

وبه سمِّيت تلك القبائلُ والبطونُ من تميم: الجمار[5].

والمجمَّر مشدّد الميم: حيثُ يقع حصى الجمار. وقال الهذلي[6]: [من الطويل]

لأَدْركهمْ شُعْثَ النّوَاصِي كأنهمْ سوابقُ حُجّاجٍ تُوَافي المجمَّرا

ويقال خُفٌّ مجمَّرَ: إذا كان مجتمعاً شديداً.

ويقال: عدَّ فلانٌ إبله أو خيله أو رجاله جَمَاراً[7]: إذا كان ذلك جُملة واحدة. وقال الأعشى[8]: [من المتقارب]

فَمَنْ مُبْلَغٌ وائلاً قومَنا وأعْني بذلك بَكراً جَمَارَا

قال: ويقال في النار وما يسقط من الزَّند: السِّقط، والسُّقط، والسَّقْط. ويقال: هذا مَسقِط الرمل، أي مُنْقَطَع الرمل، ويقال: أتانا مَسْقِط النَّجْمِ، إذا جاء حين غاب.

---

(١) الجمير: ما جُمِّر من الشعر، أي ضفر.

(٢) ليلة السرار: آخر ليلة من الشهر، وفيها يختفي القمر.

(٣) البيت لأبي حَرْدَبَة في أشعار اللصوص ١٣٤.

(٤) حبل مرصع: معقودٌ عقداً مثلثاً متداخلاً. القوى: طاقات الحبل.

(٥) انظر ما تقدم في الحاشية ٥ صفحة ٦٧.

(٦) البيت لحذيفة بن أنس الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٥٥٧، واللسان والتاج (جمر).

(٧) جماراً: جماعة.

(٨) ديوان الأعشى ٩٩، واللسان والتاج (جمر).

ويقال رَفَعَ الطائرُ سِقْطَيْه[1]. وقال الشاعر[2]: [من البسيط]

حتى إذا ما أضاء الصُّبْحُ وانبعثتْ عنهُ نعامةُ ذِي سِقْطَينِ مُعْتكرِ[3]

أراد ناحيتي الليل.

ويقال: شبّت النار والحرب تَشِبّ شَبّاً، وشببْتها أنا أشبُّها شَبّاً، وهو رجل شَبُوبٌ للحرب.

ويقال: حَسَبٌ ثاقب، أي مضيءٌ متوقد. وكذلك يقال في العلم. ويقال: هب لي ثقوباً، وهو ما أثقَبْتَ[4] به النار، من عُطْبَة[5] أو من غيرها. ويقال: أثقب النار إذا فتح عَيْنَهَا لتشتعل. وهو الثُّقوب، ويقال: ثَقَبَ الزندُ ثُقوباً، إذا ظهرت ناره. وكذلك النار. والزند الثاقب الذي إذا قدِح ظهرت النار منه.

ويقال: ذَكَتِ النارُ تَذْكُو ذُكُوّاً، إذا اشتعلت. ويقال ذكّها إذا أريد اشتعالها. وذُكاءُ اسم للشمس، مضموم الذال المعجمة، وابن ذُكاء: الصبح، ممدود مضموم الذال. وقال العجّاج[6]: [من الرجز]

وابنُ ذُكاءٍ كامنٌ في كَفْرِ

وقال ثَعلَبة بن صُعير المازني[7]. وذكر ظليماً ونعامةً: [من الكامل]

---

(١) السقطان: الجناحان.

(٢) البيت للراعي النميري ١٢٩، واللسان والتاج وأساس البلاغة (سقط)، والتهذيب ٨/٣٩١، وبلا نسبة في المجمل ٣/٧٩.

(٣) النعامة؛ هنا: سواد الليل. السقطين: أوله وآخره. المعتكر: الذي اشتد سواده واختلط.

(٤) أثقبت النار: أشعلتها.

(٥) العطبة: القطن؛ أو خرق تؤخذ بها النار.

(٦) لم يرد الرجز في ديوان العجاج، وهو لحميد الأرقط في المرصع ١٧٩، ولحميد (؟) في اللسان (كفر)، والتاج (كفر، ذكا)، وبلا نسبة في اللسان (ذكا)، والمقاييس ١/٣٠٣، وديوان الأدب ١/١١١، والتهذيب ١٠/٣٣٨، والمخصص ٦/٧٨، ٩/١٩، ١٣/٢٠٧، ١٦/٣٦، وثمار القلوب ٢١٠ (٤١٨)، وعمدة الحفاظ ٢/٤٥ (ذكو).

(٧) البيت لثعلبة بن صعير المازني في المفضليات ١٣٠، واللسان (رثد، كفر، ثقل، يمن، ذكا، يدي)، والتاج (رثد، كفر، ثقل، يمن، ذكا)، وأساس البلاغة (ثقل)، والتهذيب ٩/٧٨، ١٠/١٩٧، ٣٣٨، ١٤/٨٩، والجمهرة ٤١٩، ٧٨٧، ١٠٦٤، ١٣٢٢، والمخصص ٦/٧٨، ٢/٤٨٧، ٥/١٩١، والعين ٥/٤٠٠، وعمدة الحفاظ ٢/٤٥ (ذكو).

فتذكَّرا ثَقَـلاً رَثِيداً بعدَ ما ... أَلْقَتْ ذُكاءُ يَمينَهَا في كافِرِ[1]

وأما الذكاء مفتوح الذال ممدود فحدَّة الفُؤاد، وسُرعةُ اللَّقْنِ[2].

وقالوا: أضْرَمْتُ النار حتى اضطرمتْ وألهبْتُها حتى التهبت، وهما واحد. والضِّرام من الحطب: ما ضعُف منه ولان. والجَزْل: ما غلُظ واشتدَّ. فالرِّمْث[3] وما فوقه جَزْل[4]. والعَرْفَج[5] وما دونه ضرام[6]. والقصب وكل شيء ليس له جمرٌ فهو ضِرام. وكل ما له جَمر فهو جَزل.

ويقال: ما فيها نافخ ضَرَمَة، أي ما فيها أحدٌ ينفخ ناراً.

ويقال: صَلَيتُ الشاةَ فأنا أصْليها صَلْياً إذا شَوَيتها، فهي مَصْليَّة. ويقالُ: صَلِيَ الرجُلُ النار يَصْلاها، وأصلاه اللّه حرَّ النارِ إصلاءً. وتقول: هو صالٍ حرَّ النار، في قومٍ صالين وصُلَّى.

ويقال: هَمَدت النار تَهمُدُ هُمُوداً، وطفِئَتْ تطفَأ طُفُوءاً، إذا ماتت. وخَمَدَتْ تَخْمُدُ خُمُوداً، إذا سكن لهبُها وبَقِي جمراً حارّاً.

وشبّت النار تشبُّ شُبوباً إذا هاجتْ والتهبت، وشبّ الفرسُ بيديه فهو يشِبّ شِباباً، وشبَّ الصبيُّ يَشِبُّ شَباباً. ويقال: ليس لك عَضَّاضٌ ولا شَبّاب.

ويقال: عَشَا إلى النار فهو يعشو إليها عَشْواً وعُشُوًّا، وذلك يكون من أول الليل، يرى ناراً فيعشو إليها يستضيءُ بها. قال الحطيئة[7]: [من الطويل]

---

(١) الثقل: المتاع؛ وكل شيء مصون، وأراد به بيضها. الرثيد: المنضود بعضه فوق بعض. الكافر: الليل؛ لأنه يغطي بظلمته كل شيء.

(٢) اللقن: الفهم، وغلام لَقِن: سريع الفهم.

(٣) الرمث: شجر يشبه الغضى.

(٤) الجزل: الحطب اليابس.

(٥) العرفج: ضرب من النبات طيب الريح؛ أغبر إلى الخضرة، وله زهرة صفراء وليس له حب ولا شوك.

(٦) الضِّرام: ما دَقّ من الحطب ولم يكن جزلاً.

(٧) البيت للحطيئة في ديوانه ٨١، وإصلاح المنطق ١٩٨، والخزانة ٣/٧٤، ٧/١٥٦،٩/٩٢، ٩٤، والكتاب ٣/٨٦، وشرح أبيات سيبويه ٢/٦٥، ومجالس ثعلب ٤٦٧، والمقاصد النحوية ٤/٦٣٩، واللسان (عشا)، وبلا نسبة في الجمهرة ٨٧١، والخزانة ٥/٢١٠، وشرح المفصل ٢/٦٦، ٤/١٤٨، ٧/٤٥، ٥٣، وشرح ابن عقيل، وشرح عمدة الحافظ ٣٦٣، وعمدة الحفاظ ٣/٧٨ (عشو)، ٤/٦٧ (متي).

متى تأته تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ		تجِدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ

وقال الأعشى[1]: [من الطويل]

وباتَ على النارِ الندى والمحلق

ويقال: عَشِيَ الرجل يَعْشَى عَشاوةً، وهو رجلٌ أعشى، وهو الذي لا يبصر بالليل. وعشِيَ الرجلُ علَى صاحبِه يعشَى عَشاً شديداً.

١٣٢٤ - [نار الحرب]

ويذكرون ناراً أخرى، وهي على طريق المثل [والاستعارة][2]، لا على طريق الحقيقة، كقولهم في نار الحرب. قال ابن مَيَّادة[3]: [من الطويل]

يداه: يدٌ تَنْهَلُّ بالخير والنّدا		وأُخْرَى شديدٌ بالأعادي ضَرِيرُها[4]

وناراهْ: نارٌ نارُ كَلٍّ مُدَفَّعٍ		وأخرى يُصيبُ المجرمينَ سَعيرُها[5]

وقال ابن كُناسَةَ: [من الخفيف]

خَلْفَهَا عارضٌ يَمُدُّ عَلَى الآ		فاقِ سِتْرَيْنِ مِنْ حديدٍ ونارِ[6]

نارُ حربٍ يشُبُّها الحَدُّ والجِ		دّ وتُعْشِي نوافذَ الأبصارِ[7]

وقال الرَّاعي: [من الطويل]

وَغارَتُنا أوْدَتْم ببَهراءَ، إنها		تصيبُ الصّريحَ مَرّةَ والمواليا[8]

وكانت لنا ناران: نارٌ بجاسِمٍ		ونارٌ بدَمْخٍ يُحرِقانِ الأعاديا

---

(١) صدر البيت: (تُشَبُّ لمَقْرورَيْن يصطليانها)، وهو في ديوان الأعشى ٢٧٥، وأساس البلاغة (رضع)، والخزانة ٧/١٤٤، ١٥٥، ١٥٧، وشرح شواهد المغني ١/٣٠٣، واللسان (حلق)، وبلا نسبة في الخزانة ٩/١١٩، وشرح شواهد المغني ١/٤١٦، ومغني اللبيب ١/١٠١، ١٤٣.

(٢) الزيادة من ثمار القلوب (٨٢٥).

(٣) ديوان ابن ميادة ١٢٩.

(٤) التضرير: الشدة.

(٥) الكل: اليتيم. المدفّع: الفقير الذليل.

(٦) العارض: أراد به الجيش.

(٧) الحد: الحدة والبأس. تعشي البصر: تضعفه. النوافذ: النافذات النظر.

(٨) بهراء: اسم قبيلة. الصريح: الخالص النسب.

جاسم: بالشام. ودمْخ: جَبَلٌ بالعالية[1].

١٣٢٥ - [نار القِرى]

ونار أخرى[2]، وهي مذكورةٌ عَلَى الحقيقة لا على المثل، وهي مِن أعظم مفاخر العرب، وهي النار التي تُرْفَع للسَّفر، ولمن يلتمسُ القِرَى. فكلما كان موضِعها أرفَع كان أفخر.

وقال أميَّة بن أبي الصَّلْت[3]: [من الخفيف]

لا الغياباتُ منْتَوَاكَ ولكنْ ... في ذُرَى مُشْرِفِ القصورِ ثَوَاكَا[4]

وقال الكناني[5]: [من المتقارب]

وبَوَّأْتَ بَيْتَكَ في مَعْلَمٍ ... رفيعِ المَبَاءَةِ والمسْرَحِ[6]

كَفَيْتَ العُفَاةَ طِلاَبَ القِرَى ... وَنَبْحَ الكِلاَبِ لِمُسْتَنْبِحِ[7]

ترى دَعْسَ آثار تِلْكَ المط ... يِّ أخاديدَ كاللَّقَمِ الأفْيَحِ[8]

ولو كنتَ في نَفَقٍ رائغٍ ... لَكُنْتَ عَلَى الشَّرْكِ الأوضحِ[9]

وأنشدني أبو الزِّبرقان[10]: [من الوافر]

---

(١) العالية: عالية نجد.

(٢) الخبر في ثمار القلوب (٨٢٤)، والخزانة ٧/١٤٧، والأوائل ٤٣.

(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت ٤٢٨.

(٤) في ديوانه: «الغيابات: مفردها غيابة، وهي ما انخفض من الأرض. المنتوى: الموضع يقصده القوم حين تحولهم من مكان إلى مكان. الثواء: الإقامة».

(٥) الكناني: لعل الصواب «العماني»، فقد أنشد الأصفهاني في الأغاني ١٨/٣١٦ بيتين على الوزن والروي نفسهما؛ وهما:

نَمَتْـه العرانيـنُ من هـاشمٍ ... إلى النسب الأوضحِ الأصرحِ

إلى نَبْعـةٍ فرعُهـا في السمـاء ... ومغـرسُهـا سُـرَّةُ الأَبْـطَـحِ

(٦) المباءة: المنزل.

(٧) العفاة: جمع عافٍ، وهو من يطلب المعروف. المستنبح: الذي يضل الطريق فينبح لترد عليه الكلاب بنباحها، فيستدل على أهل المنزل.

(٨) اللقم: وسط الطريق. الأفيح: الواسع.

(٩) الشرك: وسط الطريق.

(١٠) البيتان لأبي زياد الأعرابي في الحماسة المغربية ٢٩٧، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٥٩٢، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/٧١، والخزانة ٦/٤٦٧، ومعاهد التنصيص ٢/٥٩، وشرح الشريشي ٢/٣٢١، وبلا نسبة في ثمار القلوب (٨٢٥).

له نارٌ تُشَبُّ بكلِّ ريع إذَا الظلماءُ جَلَّلَت البقاعَا[١]

وما إن كان أكْثَرَهم سَوَاماً ولكنْ كان أرْحَبَهُمْ ذِرَاعا[٢]

ويروى: «ولَمْ يَكُ أكْثَرَ الفِتْيَانِ مالا».

وفي نار القِرَى يقول الآخر: [من الطويل]

عَلَى مِثْلَ هَمَّامٍ ولَـمْ أَرَ مِثْلَـهُ تُبَكِّي البَـوَاكي أو لبِشْرِ بـنِ عامـرِ

غلامـان كـان استَوْرَدَا كلَّ مَـوْرِدٍ مِنَ المجـدِ ثمَّ استوسعـا في المصـادرِ

كـأنَّ سَنَـا نـاريهما كـلَّ شَتْـوَةٍ سَنَا الفجرِ يبـدَو للعُيُـونِ النّواظـرِ

وفي ذلك يقول عوفُ بن الأحوص[٣]: [من الطويل]

وَمُسْتَنْبِحٍ يَخْشَى القَواءَ وَدُونَهُ مِنَ اللَّيْلِ بَابَا ظُلْمَة وسُتُورُها[٤]

رَفَعْتُ لَهُ نارِي فلمَّا اهتدَى بها زَجَرْتُ كِلاَبي أَن يَهرَّ عَقُورُها

فلا تسأليني واسألي عَنْ خليقتي إذا ردَّ عَافي القِدْرِ مَنْ يَسْتَعيرُها[٥]

تَرَى أنّ قِدْرِي لا تزالُ كأنَّها لذِي الفروة المقرور أمٌّ يَزُورُها[٦]

مبرّزَة لا يُجْعَلُ السِّتر دُونَها إذا أُخمِدَ النيرانُ لاحَ بشيرُها[٧]

---

(١) الريع: المكان المرتفع. جللت: غطت.

(٢) السوام: الإبل الراعية.

(٣) الأبيات لعوف بن الأحوص أو لمضرس بن ربعي أو شبيب بن البرصاء في الحماسة البصرية ٢/٢٤٢ - ٢٤٣، وأشعار العامريين ٤٩، ولشبيب بن البرصاء في الأغاني ١٢، ٢٧٥، والبيتان الثالث والخامس للأعشى في ديوانه ٣٧١، والثالث لمضرس الأسدي في اللسان والتاج (عفا)، وللكميت في أساس البلاغة (عفو) وليس في ديوانه، وبلا نسبة في اللسان (فور)، وأساس البلاغة (زبن)، والمقاييس ٤/٥٧، والتهذيب ٣/٢٢٨، وعمدة الحفاظ (عفو)، وللمزيد من المصادر انظر الحماسة البصرية؛ والمفضليات.

(٤) في المفضليات: «المستنبح: الذي يضل الطريق فينبح لتجيبه الكلاب، فيستدل على الحي فيقصدهم. القواء: الخالي من الأرض،أي يخشى أن يهلك فيه».

(٥) في المفضليات: «عافي القدر: قال الأصمعي: كانوا في الجدب إذا استعار أحدهم قدراً ردّ فيها شيئاً من طبيخ، فالعافي: ما يبقونه فيها».

(٦) في المفضليات: «ذو الفروة: السائل المستجدي، وفروته: جعبته التي يضع فيها ما يعطى. المقرور: الذي اشتد به البرد».

(٧) في المفضليات: «مبرزة: يعني النار. بشيرها: ضوؤُها، يبشر الناظر إليه ويستدل به على الخير».

إذا الشَّوْلُ راحَتْ ثم لَمْ تفْدِ لحمَهَا بـألبـانـهـا ذاقَ السِّنـانَ عَقِيـرُهـا[1]

١٣٢٦ - [ما قيل من الشعر في الماء]

أما إن ذكرنا جُملةً من القول في الماء من طريق الكلام وما يدُخل في الطب، فسنذكُر من ذلك جملة في باب آخر:

قالوا[2]: مدَّ الشعبي يدهُ وهو على مائدة قتيبة بن مسلم يلتمس الشرابَ، فلم يَدْرِ صاحبُ الشراب اللبن، أم العسلَ، أم بعضَ الأشربة؟ فقال له: أي الأشربةِ أحبُّ إليك؟ قال: أعزُّها مفقوداً، وأهونُها موجوداً! قال قُتيبة: اسقِه ماءً.

وكان أبو العتاهية في جماعة من الشعراء عند بعض الملوك، إذ شرب رجلٌ منهم ماء، ثم قال: «بَرَدَ الماءُ وطابَ»! فقال أبو العتاهية: اجعله شعْراً. ثم قال: مَنْ يجيز هذا البيت؟ فأطرق القومُ مفكرين، فقال أبو العتاهية: سبحان الله! وما هذا الإطراق؟! ثم قال[3]: [من مجزوء الرمل]

بَرَدَ الماءُ وطابا حبَّذَا الماءُ شرابا

وقال الله عز وجل: ﴿أنهارٌ منْ مَاءٍ غَيرِ آسنٍ﴾[4] ثم لم يذكرْهُ بأكثر من السلامةِ من التغيُّر، إذْ كان الماء متى كان خالصاً سالماً لم يحتجْ إلى أن يُشربَ بشيء غيرِ ما في خلقته من الصَّفاء والعُذوبة، والبَرْدِ والطِّيب، والحُسنِ، والسَّلَس في الحَلْق. وقد قال عديُّ بن زَيد[5]: [من الرمل]

لوْ بغَيْرِ الماء حَلْقِي شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماء اعتصاري[6]

---

(١) في المفضليات: «الشول: الإبل التي شولت ألبانها، أي ارتفعت. راحت: رجعت من المرعى. يقول: إذا راحت ولم يكن بها لبن عقرتها».

(٢) الخبر باختصار في عيون الأخبار ٢/ ٢٠٠.

(٣) الخبر مع البيت في ديوان أبي العتاهية ٤٨٦، ومروج الذهب ٤/ ١٧٥، وشذرات الذهب ٢/ ٢٥، والمثل السائر ١/ ١٧٦.

(٤) ١٥/ محمد: ٤٧، والآسن: المتغير.

(٥) ديوان عدي بن زيد ٩٣، والبيان ٣/ ٣٥٩، والأغاني ٢/ ١١٤، ومعجم الشعراء ٨١، واللسان والتاج (عصر، غصص، شرق)، وأساس البلاغة (عصر)، وعمدة الحفاظ ٢/ ٢٦٥ (شرق)، والخزانة ٨/ ٥٠٨، ١١/ ١٥، ٣/ ٢٠٣، والعين ٤/ ٣٤٢، والجمهرة ٧٣١، والمقاييس ٣/ ٢٦٤، ٤/ ٣٨٣، والمقاصد النحوية ٤/ ٤٥٤، وبلا نسبة في الاشتقاق ٢٦٩، والكتاب ٣/ ١٢١، ومغني اللبيب ١/ ٢٦٨، وهمع الهوامع ٢/ ٦٦.

(٦) في معجم الشعراء ٨١: «ينشد هذا البيت فيمن تستغيث به وتلجأ إليه»، الاعتصار: أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء، وهو أن يشربه قليلاً قليلاً.

قال أبو المطراب عبيد بن أيُّوب العنبريُّ[1]: [من الطويل]

وأوّلُ خُبْثِ الماء خُبْثُ تُرَابِه وأوّلُ خُبْثِ النَّجْلِ خُبْثُ الحَلاَئِلِ[2]

وأوصَى رجلٌ من العرب ابنته ليلةَ زفافها بوصايا، فكان مما قال لها[3]: «احذرِي مَوَاقِعَ أنفه، واغتسلي بالماء القَرَاح[4]، حتى كأنك شَنٌّ[5] ممطور!»

وأوصت امرأةٌ ابنتَها بوصايا، فكان منها: «وليكنْ أطيبَ طِيبك الماءُ».

وزعموا أنها القائلةُ لبنتها: [من الرجز]

بُنَيَّتِي إنْ نامَ نامِي قَبْلَهُ وأكْرِمي تابعهُ وأهلَهُ

ولاتكوني في الخِصامِ مِثْلَهُ فَتَخْصِمِيه فتكوني بَعْلَهُ[6]

ومن الأمثال: [من الطويل]

فأصبحتُ مما كان بَيْنِي وبينَها سِوى ذِكْرِها كالقابض الماءَ باليدِ

وأخذ المسيحُ عليه السلام في يده اليُمْنى ماءً، وفي يده اليسرى خُبزاً فقال: «هذا أبي، وهذا أمِّي»، فجعل الماء أباً، لأن الماءَ من الأرض يقوم مقام النطفةِ من المرأة.

وإذا طُبخ الماء ثم بَرَدَ لم تَلْقَحْ عليه الأشجار، وكذلك قُضبان الشجر. والحبوبُ والبذور لو طُبخت طبخةً ثمَّ بُذرَت لم تَعْلق.

وقالوا في النظر إلى الماء الدائم الجريان ما قالوا[7].

وجاء في الأثر: من كان به برصٌ قديمٌ فليأخذْ دِرْهماً حلالاً، فلْيَشْتَرِ به عَسلاً، ثم يَشرَبهُ بماء سماء، فإنه يبرأ بإذن اللّه.

---

(١) البيت في أشعار اللصوص ٢٢٩.

(٢) النجل: الولد. الحلائل: جمع حليلة، وهي الزوج.

(٣) ورد القول للفرافصة بن الأحوص يوصي ابنته نائلة حين جهزها إلى عثمان بن عفان انظر الوصية في عيون الأخبار ٤/٧٦، والأغاني ١٦/٣٢٣.

(٤) القراح: الماء الخالص.

(٥) الشن: القربة الخلق.

(٦) خصمه: غلبه في الجدال.

(٧) يقصد ما جاء في الأثر: «ثلاثة يذهبن الحزن: الماء، والخضرة، والوجه الحسن».

والنزيف هو الماء عند العرب.

وما ظنُّكم بشراب خَبُث ومَلحَ فصار ملْحاً زُعاقاً[١]، وبحراً أُجَاجاً[٢]، ولّد العنبر الوَرْدَ[٣]، وأنسل الدّرّ النفيس، فهل سِمعْتَ بِنَجْلٍ أكرمَ ممن نجَله، ومن نِتاجٍ أشرفَ ممن نَسَله.

وما أحسن ما قال أبو عبَّاد كاتبُ ابن أبي خالد حيثُ يقولُ[٤]: «ما جلسَ بين يديّ رجلٌ قط، إلا تمثَّل لي أنني سأجلِسُ بين يديه. وما سَرَّني دهرٌ قطٌّ، إلا شغلني عنه تذكرُ ما يليق بالدهور من الغِيَر».

قال اللّه عزَّ وجلّ: ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فلمَّا رَأتْهُ حَسِبتْهُ لُجَّةً وكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ﴾[٥]. لأن الزجاج أكثرُ ما يُمدحُ به أن يقال: كأنه الماء في الفيافي.

وقال اللّه عز وجل: ﴿ هذا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ ﴾[٦].

وقال القُطامي[٧]: [من البسيط]

وهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَولٍ يُصِبْنَ به　　　مواقِعَ الماء منْ ذِي الغُلَّةِ الصَّادي

وقال اللّه عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دابَّةٍ مِنْ مَاء ﴾[٨].

فيقال: إنه ليس شيء إلا وفيه ماء، أو قَدْ أصابه ماء. أو خُلِق من ماء. والنُّطفة ماء، والماء يسمى نُطفة. وقال اللّه تعالى: ﴿ وكَانَ عَرْشُهُ على المَاء ﴾[٩]. قال ابن عباس: موج مكفوف.

وقال عز وجل: ﴿ وَنَزَّلنَا مِنَ السَّماء مَاءً مُبَاركاً ﴾[١٠].

---

(١) الزعاق: الشديد الملوحة.

(٢) الأجاج: الشديد الملوحة.

(٣) العنبر: ضرب من الطيب.

(٤) الخبر في البيان ١/٤٠٨.

(٥) ٤٤/ النمل: ٢٧، والخطاب موجه إلى بلقيس، وكان سليمان قد بنى لها قصراً من الزجاج، ثم أرسل الماء تحته؛ وألقى فيه السمك وغيره.

(٦) ١٢/ فاطر: ٣٥.

(٧) ديوان القطامي ٨١، واللسان (صدى)، وأساس البلاغة (نبذ).

(٨) ٤٥/ النور: ٢٤.

(٩) ٧/ هود: ١١.

(١٠) ٩/ ق: ٥٠.

وحين اجتهدوا في تسميةِ امرأةٍ بالجمال. والبركة، والحُسنِ. والصَّفاء، والبَياض قالوا: ماء السماء[1]. وقالوا: المنذر بن ماء السماء.

ويقال: صِبْغٌ له ماء، ولونٌ له ماء، وفلان ليس في وجهه ماء، ورَدَّني فلانٌ ووجهي بمائه. قال الشاعر: [من الطويل]

ماءُ الحياء يجولُ في وجَناتِهِ

وقالت أمُّ فَروة[2] في صفة الماء: [من الطويل]

وما ماءُ مُزْنٍ أيُّ ماءٍ تقولُه ... تحَدَّر مِنْ غُرٍّ طِوَالِ الذَّوَائبِ
بمنْعَرَجٍ أو بَطْنِ وَادٍ تحدَّبت ... عليه رياحُ المزْنِ من كلِّ جانبِ
نَفَى نَسَمُ الرِّيح القَذَى عن مُتونه ... فما إنْ به عيبٌ تراه لِشاربِ
بأطيبَ ممنْ يقصرُ الطَّرْفَ دونَه ... تُقَى اللّه واستحياءُ بعضِ العواقبِ

١٣٢٧ - [حب الحيوان لأنواع من الماء][3]

والإبل لا تحبُّ من الماء إلا الغليظَ. والحوافر لا تحبُّ العُذوبة وتكره الماء الصافي، حتى ربَّما ضَرَب الفرسُ بيده الشريعة ليثوِّر الماء ثمّ يشربَه.

والبقر تعافُ الماءَ الكدِرَ، ولا تشرب إلا الصافي.

والظباء تَكرَع في ماء البحرِ الأُجاج، وتخضِمُ الحنظَل.

١٣٢٨ - [استطراد لغوي]

والأبيضان: الماء، واللبن. والأسودان: الماء، والتمر.

وسواد العِراق: ماؤه الكثير. والماء إن كان له عُمْق اشتدّ سوادُه في العين.

١٣٢٩ - [شعر في صفة الماء]

وقال العُكليّ في صفة الماء: [من الرجز]

---

(١) به لقبت أم المنذر بن امرئ القيس، واسمها ماوية بنت عوف بن جشم، وسميت بماء السماء تشبيهاً به في الحسن والصفاء والطهارة. وانظر ثمار القلوب ٤٤٦ (٨٠٨).

(٢) الأبيات في الوحشيات ٢٠٢، ومعجم الأديبات الشواعر ٣١٢، وتقدمت الأبيات في ٣/٢٤، الفقرة (٥٦٩).

(٣) وردت هذه الفقرة في ربيع الأبرار ٥/٣٩٥.

عادَهُ مِنْ ذِكْرِ سَلْمَى عُوَّدُهْ والليل داجٍ مطلخِمٌ أسودُه[1]
فبتُّ ليلي ساهراً ما أرقُده حتى إذا الليل تولى كَبِدُهْ
وانكبّ للغَوْر انْكِبابًا فَرْقَدُهْ وحثّه حادٍ كميشٌ يَطرُدُه[2]
أَغَرُّ أجلى مُغْرَبٌ مُجَرَّدُه أصبحَ بالقلبِ جوًى ما يَبردُه[3]
ماءُ غمامٍ في الرِّصاف مَقْلدُهْ زَلّ به عن رأسَ نِيقٍ صَدَده[4]
عن ظَهر صَفْوانٍ مَزَلّ مِجْسَده حتى إذا السّيلُ تناهى مَدَده[5]
وشكَّد الماء الذي يشكِّده بين نُعَامَى ودَبُورٍ تلْهَدُه[6]
كلُّ نَسيمٍ من صَبًا تَسْتَوْرِده كأنما يشهده أو يفقده
فهو شِفاءُ الصاد مما يَعْمِدُه[7]

وقال آخَر[8] في الماء: [من الكامل]

يا كأس ما ثَغَبٌ برأس شَظِيَّةٍ نَزِلٍ أصابَ عِراصَها شُؤْبوبُ[9]

---

(١) البيت مخروم، ويمكن إتمامه بـ «قد عاده»، أو «عاوده». مطلخم: مظلم متراكب.
(٢) الغور: الغروب. الفرقد؛ أراد: الفرقدين، وهما كوكبان قريبان من القطب. الكميش: السريع الجاد في السوق. الحادي؛ عنى به: الصبح.
(٣) الأغر: الأبيض. الأجل: الحسن الوجه الذي انحسر الشعر عن جبهته. المُغْرَب: الأبيض. المجرد: ما جرد عنه الثياب من الجسد.
(٤) الرِّصافة: حجارة مرصوف بعضها إلى بعض في مسيل ماء. المقلد: المجمع. زلّ: سقط. النيق: الحرف من حروف الجبل. الصدد: الناحية.
(٥) الصفوان: الحجارة الصلدة الضخمة. المزَل: موضع الزلل، أي السقوط. المِجْسَد: أصله الثوب يلي الجسد.
(٦) الشكد: العطاء، وأراد به: المدد الذي يتلقاه من السيل. النعامى: ريح الجنوب. الدبور: الريح الغربية. تلهد: تدفع دفعاً شديداً.
(٧) الصاد: الظمآن.
(٨) الأبيات بلا نسبة؛ وهي موزعة في المصادر التالية،و الأول في كتاب الجيم ١/٢٤٣، والثاني في اللسان (عقب)، ومعجم ما استعجم ١٥٥، والثالث في اللسان والتاج (لوب، دغش)، والتهذيب ١٦/١٦٣.
(٩) كأس: وفي كتاب الجيم «ليل»؛ وهما اسم من يشبب بها. الثغب: ماء مستنقع في صخرة. الشظية: رأس من رؤوس الجبل. النزل: السريع السيل. العراص: جمع عرصة، هي الأرض الواسعة. الشؤبوب: الدفعة من المطر.

ضَحْيَانُ شاهقةٍ يرفّ بَشَامُه ... نديانَ، يقصر دونَهُ اليعقوب[1]
بألذَّ منكِ مَذاقةً لمحلأٍ ... عطْشانَ دَاغَشَ ثم عاد يَلوبُ[2]

وقال جرير[3]: [من الكامل]

لو شئتِ قد نَقَعَ الفؤَادُ بشَرْبةٍ ... تَدَعُ الحوائـمَ لا يَجِدْنَ غليلا[4]
بالعَذْب من رصَف القِلات مَقيلُه ... قضُّ الأباطح لا يـزالُ ظليلا[5]

١٣٣٠ - [فضل الماء]

قال: وفي الماء أنَّ أطيب شراب عُمل ورُكِّب، مثل السَّكَنْجَبين[6]، والجُلاَّب[7]، والبَنَفْسَجِ وغير ذلك مما يُشْرَبُ من الأشربة، فإنْ لذَّ وطاب، فإنَّ تمام لذَّته إن يَجرعَ شاربُه بعد شُربه له جُرَعاً من الماء، يغْسل بها فمه، ويطيِّب بها نفسه، وهو في هذا الموضع كالخُلَّة والحَمض جميعاً[8] وهو لتسويغ الطعام في المرِيء[9]، والمركَبُ والمِعْبر، والمتوصَّل به إلى الأعضاء.

فالماء يُشربُ صِرْفاً وممزوجاً، والأشربة لا تُشرَبُ صِرفاً، ولا يُنْتَفَعُ بها إلا بممازَجَة الماء.

---

(١) الضحيان: البارز للشمس. شاهقة: عالية. البشام: نبت طيب الريح والطعم. يرف: يهتز. نديان: أصابه الندى.

(٢) المحلأ: الممنوع من الماء. داغش: من المداغشة، وهي أن يحوم حول الماء من العطش. يلوب: يدور حول الماء.

(٣) ديوان جرير ٤٥٣ (الصاوي)، وهما لجرير أو لبيد في اللسان والتاج (وجد)، ولم يردا في ديوان لبيد، والأول لجرير في اللسان والتاج (نقع)، والمقاصد النحوية ٤/ ٥٩١، ومغني اللبيب ١/ ٢٧٢، وشرح شواهد الشافية ٥٣، وللبيد في شرح شافية ابن الحاجب ١/ ٣٢، وبلا نسبة في المنصف ١/١٨٧، وهمع الهوامع ٢/٦٦، وشرح المفصل ١٠/٦٠، وسر صناعة الإعراب ٢/٥٩٦.

(٤) في ديوان جرير: «النقع: الري. الحائم: الطالب للحاجة، وهو من يحوم حول الماء».

(٥) في ديوان جرير: «القلات: جمع قلت؛ وهي البئر في الصخرة من ماء السماء ولا مادة لها من الأرض. القض: الموضع الخصب، وهو أعذب ماء وأصفى».

(٦) السكنجبين: معرب من الفارسية، وأصله فيها «سركَنْكَبين»، و«سركا» تعني الخل، و«أنكبين» تعني العسل. انظر السامي في الأسامي ٢٠١، ٢٠٤.

(٧) الجلاب: ماء الورد.

(٨) الخلة: ما فيه حلاوة من النبت، والحمض: ما فيه حموضة أو ملوحة.

(٩) المريء: مجرى الطعام والشراب.

وهو بعدُ طهورُ الأبدانِ، وغسولُ الأدران.

وقالوا: هو كالماء الذي يطهر كلّ شيء، ولا ينجّسه شيء.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بئر رُومة[1]: «الماءُ لا ينجِّسُه شيءٌ».

ومنه ما يكون منه المِلْح، والبَرَد، والثَّلج، فيجتمع الحُسن في العين، والكرم في البياض والصفاء، وحسنُ الموقع في النفس.

وبالماء يكون القَسَم، كقول الشاعر: [من السريع]

غَضبى ولا واللّه يا أهْلَهَا   لا أشْرَبُ الباردَ أو تَرْضَى

ويقولون: لو علِمَ فلانٌ أنَّ شُرْبَ البارِدِ يَضَعُ من مروءَتِه لما ذاقه.

وسمَّى اللّه عز وجل أصلَ الماء غَيثاً بعد أن قال: ﴿وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماء﴾[2].

ومن الماء ماء زمزم، وهو لِمَا شَرِبَ له[3]. ومنه [ما][4] يكونُ دواءً وشفاءً بنفسه، كالماء للحمَّى.

١٣٣١ - [علَّة ذكر النار في كتاب الحيوان]

قد ذكرنا جملة من القَول في النار، وإن كان ذلك لا يدخل في باب القول في أصناف الحيوان، فقد يرجع إليها من وجوه كريمة نافعة الذكر، باعثةٍ على الفكر، وقد يعرِضُ من القَوْلِ ما عسى أن يكون أنفعَ لقارئ هذا الكتاب من باب القول في الفيل، والزَّندبيل[5]، وفي القرد والخنزير، وفي الدُّب والذئب، والضَّبّ والضَّبع، وفي السِّمْعِ والعسْبار[6].

وعَلَى أن الحكمةَ ربما كانت في الذُّبابة مع لطافة شخصها، ونذالةِ قَدْرِها،

---

(١) رومة: أرض بالمدينة بين الجُرْف وزِغابة نزلها المشركون عام الخندق؛ وفيها بئر رومة، اسم بئر ابتاعها عثمان بن عفان وتَصدق بها. معجم البلدان ٣/١٠٤. والحديث التالي ورد في مسند أحمد ١/٣٣٧ برواية «إن الماء لا ينجس».

(٢) ٧/هود: ١١.

(٣) أخرجه ابن ماجة في المناسك، باب رقم ٧٨.

(٤) زيادة يقتضيها المعنى.

(٥) الزنديبل: كبير الفيلة. «حياة الحيوان ١/٥٤٠».

(٦) السمع: ولد الذئب من الضبع. «حياة الحيوان ١/ ٥٦٤». العسبار: ولد الضبع من الذئب. «حياة الحيوان ٢/٢٢».

وخساسة حالها ـ أظهرَ منها في الفرس الرَّائع ، وإن كان الفرسُ أنفع في باب الجهاد، وفي الجاموس مع عَظم شخصه، وفي دودة القَزِّ، وفي العنكبوت ـ أظهرَ منها في الليثِ الهصور، والعُقَابِ الشّغْوَاء[(١)].

وربما كان ذكرُ العظيم الجُثة الوثيق البَدَن، الذي يجمعُ حدَّةَ الناب وصولةَ الخلق أكثرَ فائدةً، وأظهرَ حكمةً من الصَّغيرِ الحقير ، ومن القليل القَمِيّ[(٢)]. كالبعير والصُّؤابة، والجاموس والثعلب والقَملة.

وشأن الأرَضة أعجَبُ من شأن البَبْرِ[(٣)] مع مسالمة الأسد له، ومحاربته للنمر.

وشأنُ الكُركيّ[(٤)] أعجبُ من شأن العَندليب، فإن الكركيَّ من أعظم الطّير، والعندليبَ أصغر من ابن تَمْرة[(٥)].

ولذلك ذكر يونس بعضَ لاطَة الرُّواة فقال[(٦)]: «يضربُ ما بين الكُركيِّ إلى العندليب». يقول: لا يدع رجلاً ولا صبيًّا إلاَّ عَفَجَه.

ويشبه ذلك هجاءُ خلفٍ الأحمر أبا عبيدة، حيثُ يقول: [من السريع]

ويضربُ الكُرْكي إلى القُنبرِ ... لا عانساً يبقـي ولا مُحْتَلِـمْ

والعانس من الرجال مثله من النساء.

فلسنا نُطنبُ في ذكر العظيم الجثة لِعظَم جُثّته، ولا نَرْغَبُ عن ذكر الصّغير الجثة ، لصغر جُثَّته، وإنما نلتمس ما كان أكثر أعجوبة، وأبلغَ في الحكمة، وأدلّ عند العامة على حكمة الرّبّ. وعلى إنعام هذا السّيّد.

ورُبّ شيء الأعجوبةُ فيه إنما هي في صورته، وصَنعته، وتركيب أعضائِه، وتأليف أجزائه، كالطاووس في تعاريج ريشه، وتهاويل ألوانه، وكالزَّرافة في عجيب

---

(١) الشغواء: العقاب؛ سميت بذلك لفضل منقارها الأعلى على الأسفل. «حياة الحيوان ١ / ٦٠١».

(٢) القمي: مخفف القميء، وهو الصغير الجسم.

(٣) الببر: ضرب من السباع، شبيه بابن آوى، ويقال إنه متولد من الزبرقان واللبوة. «حياة الحيوان ١/١٥٩».

(٤) الكركي: طائر كبير؛ أغبر؛ طويل الساقين. «حياة الحيوان ٢ / ٢٤٤».

(٥) ابن تمرة: أصغر ما يكون من الطير، يجرس الزهر والشجر، كما تجرس النحل والدبر. «المخصص ٨/١٦٥».

(٦) في مجمع الأمثال ٢ /٤٢٨ : «يصيد ما بين الكركي إلى العندليب». وانظر كنايات الثعالبي ٢٧.

تركيبها، ومواضع أعضائها. والقولُ فيهما شبيهٌ بالقول في التُّدرُج والنَّعامة.

وقد يكون الحيوانُ عجيبَ صنعةُ البَدن، ثم لا يُذكرُ بعدَ حُسن الخَلْق بخُلُق كريم، ولا حِسٍّ ثاقبٍ، ولا معرفة عجيبة، ولاصنعة لطيفة. ومنه ما يكون كالببغاء، والنحْلة، والحمامة، والثعلب، والدُّرّة[١]، ولا تكون الأعجوبةُ في تصويره، وتركيب أعضائه، وتنضيد ألوانِ ريشه في وزن تلك الأشياء التي ذكرناها، أو يكون العَجَبُ فيما أعطى في حنجرته من الأغاني العجيبة، والأصوات الشجيَّة المطربة، والمخارج الحسنة ـ مثلَ العجب فيما أعْطِيَ من الأخلاق الكريمة، أو في صنعة الكفِّ اللطيفة، والهداية الغريبة، أو المِرْفق النافع، أو المضرَّة التي تدعو إلى شدَّة الاحتراس، ودقة الاحتيال، فيقدَّم في الذكر لذلك.

١٣٣٢ - [العقعق]

وأيُّ شيء أعجبُ من العَقْعَق[٢] وصِدْق حِسِّه، وشدَّة حَذَرِه، وحُسْنِ معرفته، ثم ليس في الأرض طائر أشدُّ تضْييعاً لبيضه وفراخه منه. والحُبارَى مع أنها أحمقُ الطير، تحوطُ بيَضها أو فراخَها أشدَّ الحياطة[٣]، وبأغْمَضِ معرفة، حتى قال عثمانُ بن عفان، رضي الله عنه: «كلُّ شيء يحب ولدَه حتى الحبارى»[٤]. يَضْرَبُ بها المثلَ في الموق[٥].

ثم العقعَقُ مع حذقه بالاستلاب، وبسرعة الخطف، لا يستعمل ذلك إلا فيما لا ينتفع به، فكَمْ من عِقْدٍ ثمين خَطير، ومن قُرْطٍ شريف نفيس، قد اختطف من بين أيدي قومٍ، فإمّا رَمَى به بعد تَحلُّقه في الهواء، وإما أحرزه ولم يلتفت إليه أبداً.

وزعم الأصمعيُّ أنّ عَقعقاً مرةً استلَبَ سخاباً[٦] كريماً لقوم، فأخذَ أهلُ السِّخَاب أعرابيَّة كانت عندهم، فبينما هي تُضْرَبُ، وتُسْحَبُ وتسَبُّ إذ مرَّ العَقعَقُ

---

(١) الدُّرَّة: الببغاء. «حياة الحيوان ١/٤٧٨».

(٢) العقعق: طائر على قدر الحمامة وعلى شكل الغراب. «حياة الحيوان ٢/٦٧».

(٣) وردت هذه الفقرة من قوله «وأي شيء أعجب» في ثمار القلوب (٧٠١)، وربيع الأبرار ٥/٤٤٩.

(٤) الحديث في النهاية ١/٣٢٨، وهو من الأمثال في مجمع الأمثال ٢/١٤٦، والمستقصى ٢/٢٢٧.

(٥) الموق: حمق في غباوة.

(٦) السخاب: القلادة، والخبر مع البيت التالي في ربيع الأبرار ٥/٤٤٩.

والسُّخابُ في منقاره، فصاحوا به فرمى به، فقالت الأعرابية وتذكرَّتِ السلامة بعد أن كانت قد ابتُليت ببليَّة أخرى فقالت[1]: [من الطويل]

وَيومُ السُّخَاب منْ تَعَاجيبِ ربِّنَا   كما أنه من بَلْدَةِ السَّوْء نجَّاني

تَعني الذين كانت نزلت بهم من أهل الحاضِرة.

١٣٣٣ - [كلام في الاستطراد]

ولا بأس بذكر ما يعرض. ما لم يكن من الأبواب الطِّوال. التي ليس فيها إلا المقاييس المجرَّدة، والكلامية المحضة، فإن ذلك مما لا يخفٌّ سماعه ولا تَهَشُّ النفوسُ لقراءته. وقد يحتمل ذلك صاحبُ الصناعة، وملتمس الثواب والحِسْبَة[2]، إذا كان حليفَ فِكَرٍ، أليفَ عِبَرٍ، فمتى وجدنا من ذلك باباً يحتمل أن يوشَّح بالأشعار الظريفة البليغة. والأخبار الطريفة العجيبة، تكلّفنا ذلك، ورأيناه أجمعَ لما ينتفع به القارئ.

ولذلك استجزْنا أن نقولَ في باب النار ما قلنا.

وأنا كاتبٌ لك بعد هذا؛ إذْ كنتُ قد أمللْتُكَ بالتطويل، وحملتُك على أصعَب المراكب، وأوْعَر الطُّرق، إذ قد ذكرنا فيه جملةً صالحةً من كلام المتكلمين، ولا أرى أن أزيد في سآمتك، وأُحَمِّلكَ استفراغ طاقتك، بأن أبتدئَ القول في الإبل، والبقر، والغنم، والأُسْدِ، والذئاب، والحمير، والظباء، وأشباه ذلك، مما أنا كاتِبُهُ لك.

ولكني أبدأ بصغار الأبواب وقصارها، ومُحَقَّراتها، ومِلاحها، لئلا تخرج من الباب الأول، إلا وأنت نشيط للباب الثاني، وكذلك الثالث والرابع إلى آخر ما أنا كاتبه لك، إن شاء اللّه.

١٣٣٤ - [سَرد منهج سائر الكتاب]

ونبدأ بذكر ما في العصفور، ثم نأخذ في ذكر ما في الفأر والعقرب، والذي بينهما من العَداوة، مع سائر خصالهما.

ثم القولُ في العقرب والخنفساء، وفي الصداقة بينهما، مع سائر خصالهما.

---

(١) البيت بلا نسبة في اللسان (سخب، وشح)، والتاج (سخب)، والتهذيب ٧/ ١٨٧.

(٢) الحسبة: الأجر والثواب.

ثم القول في السِّنَّوْر، وبعضُ القول في العقرب.

ثم القولُ في البعوض والبراغيث، ثم القول في القَمل والصِّئْبان. ثم القول في الورَل والضَّبّ. ثم القول في اليربوع والقنفذ. ثم القول في النسور والرّخم.

ثم القول في العُقاب، وفي الأرنب. ثم القول في القِرْدان والضفادع. ثم القول في الحُبارى وما أشبه ذلك. وإن كنا قد استعملنا في هذا الكتاب جمَلاً من أخبار ما سمينا بذلك.

وسنذكر قبل ذكرنا لهذا الباب أبواباً من الشعر طريفة، تصلُحُ للمذاكرة، وتبعث على النشاط معه وتُستَخَفّ معه قراءة ما طال من الكتبِ الطوال.

ولولا سوءُ ظني بمن يُظْهِرُ التماسِ العلم في هذا الزمان، ويذكر اصطناعَ الكتبِ في هذا الدهر - لَمَا احتجْتُ في مداراتهم واستمالتهم، وترقيق نفوسهم وتشجيع قلوبهم، مع كثرةِ فوائد هذا الكتابِ - إلى هذه الرياضة الطويلة، وإلى كثرة هذا الاعتذار، حتى كأنَّ الذي أُفيدُه إياهم أستفيدُهُ منهم، وحتى كأنَّ رغبتي في صَلاحِهم، رغبةُ منَ يرْغَبُ في دنياهم، ويتضرَّعُ إلى ما حوته أيديهم.

هذا. ولم أذكر لك من الأبواب الطوال شيئاً، ولو قد صرت إلى ذكرِ فرقِ ما بين الجن ّوالإنس، وفرق ما بين الملائكة والأنبياء، وفرق ما بين الأنثى والذكر، وفرق ما بينهما وبين ما ليس بأنثى ولا ذكر، حتى يمتدَّ بنا القولُ في فضيلة الإنسان على جميع أصنافِ الحيوان، وفي ذكر الأمم والأعصار، وفي ذكر القَسم والأعمار، وفي ذكر مقادير العقول والعلوم والصناعات. ثم القول في طباع الإنسان منذُ كان نطفة إلى أن يُفْنيهُ الهرَم، وكيف حقيقة ذلك الردّ إلى أرذل العمر، فإن مَلِلْتَ الكتابَ واستَثْقَلْتَ القراءة، فأنت حينئذ أعذَرُ، ولحظٌ نفسك أبْخَسُ. وما عندي لك من الحيلة إلا أن أصوّره لك في أحسن صورة، وأقلّبَك منه في الفنون المختلفة، فأجعلَكَ لا تخرجُ من الاحتجاج بالقرآن الحكيم إلا إلى الحديث المأثور، ولا تخرجُ من الحديث إلا إلى الشِّعر الصحيح، ولا تخرجُ من الشّعر الصحيحِ الظريف إلا إلى المثلِ السائر الواقع، ولا تخرج من المثل السائر الواقع إلا إلى القول في طُرَف الفلسفة، والغرائب التي صحَّحَتْها التجربة، وأبرزها الامتحان، وكشَف قناعَها البُرهانُ، والأعاجيبِ التي للنفوسِ بها كلَفٌ شديدٌ وللعقول الصحيحة إليها النزاع القويّ.

ولذلك كتبتُه لك، وسُقتُه إليك، واحتسبتُ الأجرَ فيك.

فانظر فيه نظَر المنْصف من الأكْفاء والعُلَمَاء، أو نَظر المسترشِد من المتعلِّمين والأتباع. فإن وجَدت الكَتابَ الذي كتبتُه لك يخالفُ ما وصفتُ فانْقُصْني من نشاطك له على قَدْر ما نَقَصْتُكَ مما ينشطك لقراءته، وإن أنت وجدتني - إذا صحَّ عقلُك وإنصافك - قد وفَّيتُكَ ما ضمنت لك فوجدتَ نشاطك بعدَ ذلك مدخولاً، وحَدَّكَ مفلُولاً فاعلم أنا لم نُؤْتَ إلا من فُسولتِك[1]، و من فسادِ طبعك، ومن إيثارك لما هو أضرُّ بك.

---

(١) الفسولة: النذالة.

بـــاب

في مديح النصارى واليهود والمجوس والأنذال وصغار الناس

من ذلك ما هو مديحُ رغبة، ومنه ما هو إحماد[1].

أنشدنا أبو صالح مسعود بن قنْد الفزاريّ، في ناسٍ خالَطَهم من اليهود: [من الوافر]

وَجَدْنَا في اليهودِ رجالَ صدْقٍ ... عَلىَ ما كانَ من دينٍ يُريبُ[2]
لعَمْرُكَ إنَّني وابنَيْ عريضٍ ... لَمثْلُ الماء خالَطَهُ الْحَليبُ
خَليلان اكتَسَبْتُهُمَا وإني ... لِخَلّةِ ماجد أبداً كسوبُ

وقال أبو الطَّمَحَان الأسَديّ، وكان نديماً لناسٍ من بني الحَدَّاء وكانوا نَصَارى، فأحمدَ نِدامهم فقال[3]: [من الطويل]

كأنْ لم يكنْ في القَصْرِ قَصْرِ مُقاتلٍ ... وَزَوْرَةَ ظلٌّ ناعمٌ وصَديقُ[4]
ولم أرِد الْبطْحَاء أَمْزُجُ مَاءَها ... بخَمْرٍ منَ الْبَرُّوقَتَيْن عَتيقُ[5]
مَعي كلُّ فَضفاض القميص كأنه ... إذا ما جرَى فيه المُدَامُ فَنيقُ[6]
بنو الصَّلْت والحدّاء كلُّ سَمَيْدَعٍ ... له في العروق الصالحات عروقُ[7]
وإني وإنْ كانوا نصَارى أحِبُّهم ... ويرتاحُ قلبي نحوهم ويتوقُ

---

(١) الإحماد: مصدر أحمده، أي وجده مستحقاً للحمد.

(٢) يريب: يحمل على الريب.

(٣) الأبيات لطخيم بن أبي الطخماء الأسدي في الكامل للمبرد ١/٢٦ (المعارف)، و٥٧ - ٥٨ (الدالي). ومعجم البلدان ٣/١٥٧ (زورة). والبيتان الأول والثاني في معجم البلدان ١/٤٠٥ (البرْوُوقَتَان).

(٤) زورة: هو زورة بن أبي أوفى: موضع بين الكوفة والشام، أو موضع بالكوفة. معجم البلدان ٣/١٥٧.

(٥) البطحاء: موضع بعينه قريب من ذي قار. معجم البلدان ١/٤٤٦. البروقتان: موضع قرب الكوفة، معجم البلدان ١/٤٠٥؛ وفيه «برْوُوقَتان» بواوين.

(٦) في الكامل «قوله: معي كل فضفاض القميص»؛ يريد أن قميصه ذو فضول، وإنما يقصد إلى ما فيه من الخيلاء». الفنيق: الفحل المكرم من الإبل.

(٧) السميدع: السيد الكريم السخي الموطأ الأكناف.

وقال ابن عَبْدَلٍ، أو غيرُه، في مجوسيٍّ ساق عنه صَدَاقاً فقال[1]: [من المتقارب]

شهدْتُ عليك بطيب المُشَا ... شِ وَأنَّكَ بحرٌ جَوَادٌ خِضَمْ[2]
وإنك سيدُ أهل الجحيم ... إذا ما تردَّيْتَ فيمن ظَلَمْ
نظيراً لهامانَ في قَعْرِها ... وفرعونَ والمكتَني بالحَكَمْ[3]
كفاني المجوسيُّ مَهْرَ الرَّبا ... ب، فِدًى للمجوسيِّ خالِي وعَمْ

فقال له المجوسيُّ: جعلْتَني في النار؟ أمَا ترضى أن تكون مع مَن سمّيتُ؟قال: بَلى. قال: فمن تَعني بالحكَم؟ قال: أبا جهل بن هشام.

وأنشدني أبو الرُّدَيني العُكْليّ، لبعض العُكْليِّين، وكان قينٌ لهم أَحدّ جلماً[4] له، فقال يمدحه: [من الرجز]

يا سَوْدُ يا أكرمَ قَيْنٍ في مُضَرْ ... لك المساعي كلُّهَا والمفْتَخَرْ
على قُيون الناس، والوجهُ الأغرْ ... كانَ أبوكَ رَجُلاً لا يُقْتَسَرْ[5]
ثبْتاً إذا ما هو بالكِير ازبأرْ ... زادَكَ نَفْخاً تَلْتَظِي مِنْهُ سَقَرْ[6]
حتى يطيرَ حولَهُ منها شَرَرْ ... قد عطف الكتيفَ حتى قد مَهرْ[7]
بالشَّعْب إن شاء وإن شاء سَمَرْ ... مازالَ مُذْ كانَ غُلاماً يشْتبرْ[8]
له على العَيْرِ إكافٌ وثَفَرْ ... والكَلْبَتَان والعَلاةُ والوتَرْ[9]
فانظر ثَوابي، والثَّوَابُ يُنتظَرْ ... في جَلَمَيَّ والأحاديثُ عِبرْ[10]

---

(١) الأبيات للأقيشر الأسدي في ديوانه ٧٦، والأغاني ١١/٢٦٦، والخزانة ٢/٢٨٢، وبهجة المجالس ٢/٧٥٥، ونهاية الأرب ٤/٥٣، ومعاهد التنصيص ٣/٢٤٩، والبيتان (١ – ٢) بلا نسبة في عيون الأخبار ٢/١٩٦.

(٢) طيب المشاش: طيب النفس. خضم: السيد المعطاء.

(٣) هامان: وزير فرعون. أبو الحكم: كنية أبي جهل.

(٤) الجلم: المقراض يُجَزُّ به.

(٥) يقتسر: يقهر ويغلب.

(٦) الكير: الزق الذي ينفخ فيه الحداد. ازبأر: انتفش وتهيأ للعمل.

(٧) الكتيف: حديدة طويلة عريضة.

(٨) الشعب: الجمع والإصلاح. سمر الحديد ونحوه: شده بالمسمار. الشبر: الأجر والعطاء.

(٩) العير: الحمار. الإكاف: برذعة الحمار. الثفر: سير في مؤخر السرج. الكلبتان: آلة للحداد يأخذ بها الحديد المحمي. العلاة: سندان الحداد يضرب عليها الحديد.

(١٠) الجلم: المغراض يُجَزّ به.

بـــاب
من أراد أن يمدح فهجا

١٣٣٥ - [خطأ الأخطل]

قال سعيد بن سَلْم: لما قال الأخطلُ بالكوفة: أخطأ الفرزدقُ حين قال[١]: [من الكامل]

أَبَني غُدَانَةَ إنني حَرَّرْتُكُمْ فوهبتكم لعَطيّةَ بن جعالِ[٢]
لولا عَطيَّةُ لاجتدَعْتُ أُنوفكُمْ منْ بينِ ألأم أعْيُنٍ وَسِبَالِ[٣]

- كيف يكون قد وهبهم له وهويهجوهم بمثل هذا الهجاء؟! قال: فانبرى له فتى من بني تميم فقال له: وأنتَ الذي قلتَ في سويد بن منجوف[٤]: [من الطويل]

وماجِذْعُ سَوْءٍ رَقَّق السُّوسُ جَوْفَه لِمَا حُمِّلْتَهُ وائلٌ بمطيق

أردت هجاءه فزعمتَ أنّ وائلاً تعصبُ به الحاجات، وقَدْرُ سويد لا يبلغ ذلك عندهم، فأعطيْتَه الكثيرَ ومنعتَه القليلَ[٥]!

وأردتَ أن تهجوَ حاتمَ بنَ النعمانِ الباهليّ، وأنْ تصغِّرَ شأنه، وتَضَعَ منه، فقلتَ[٦]: [من الوافر]

وسَوّدَ حاتماً أنْ ليس فيها إذا ما أُوقدَ النيرانُ نارُ
فأعطيتَه السُّودَدَ من قيس ومنعتَه ما لايضرُّه[٧].

---

(١) ديوان الفرزدق ٧٢٦، والنقائض ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٢) في النقائض: «قوله: حررتكم، يعني أعتقتكم وجعلتكم أحراراً. وعطية، كان خليلاً للفرزدق، وهو من سادة بني غدانة».

(٣) اجتدعت: قطعت. السبال: جمع سبلة؛ وهي ما على الشارب من الشعر؛ أو ما على الذقن إلى طرف اللحية.

(٤) ديوان الأخطل ٦٦٦، والأغاني ٨/٣١٢، وطبقات ابن سلام ٤٦٩، والموشح ١٣٥.

(٥) في ديوان الأخطل ٦٦٦: «قال سويد: لم تُحسنْ أن تهجوني، إنما أنا سَيِّد بني سدوس، فجعلتني سيد وائل كلها»، وانظر الأغاني ٨/٣١٢، وطبقات ابن سلام ٤٧١.

(٦) ديوان الأخطل ٤٧٥.

(٧) في ديوانه: «هذا حاتم بن النعمان الباهلي، يقول: سَوَّده أنه ليس في قيسٍ نارٌ توقد لمكرمة ولا ضيفانٍ، غيرُ ناره».

وأردت أن تمدح سِماك بن زيد الأسدي فهجوتَه فقلت[1]: [من البسيط]

نِعم المجيرُ سِماكٌ من بني أسَدٍ ... بالطَّفِّ إذْ قَتَلَتْ جِيرانَهَا مُضَرُ
قد كنتُ أحسِبُهُ قَيْناً وأُنْبَـؤُه ... فاليومَ طُيِّرَ عن أثوابه الشرَرُ

وقلتَ[2] في زُفَرَ بنِ الحارث: [من البسيط]

بني أمَيّة إنِي ناصحٌ لكُمُ ... فلا يَبِيتَنَّ فيكُمْ آمِناً زُفَـرُ
مُفْتَرِشاً كافتراش الليث كَلْكَلَهُ ... لوَقْعَةٍ كائـن فيهـا لكـم جـزَرُ

فأردت أن تُغْري به بني أُمَيّةَ فوهّنْتَ أمرهم، وتركتَهُم ضُعفاءَ ممتَهَنِينَ، وأعطيتَ زُفَرَ عليهم من القوةِ ما لم يكنْ في حسابه.

١٣٣٦ - [أبو العطاف وعمرو بن هداب]

قال[3]: ورجَعَ أبو العطاف من عند عمرو بن هَدَّاب، في يومين كانا لعمرو، وأبو العطَّاف يضحك. فسئل عن ذلك فقال: أما أحدُ اليومين فَإِنَّهُ جلَس للشعراء، فكان أولُ من أنشده المديحَ فيه طريفُ بنُ سَوادة، فما زال يُنشدهُ أرجوزةً له طويلة، حتى انتهى إلى قوله: [من الرجز]

أبرصُ فيّاضُ اليدَيـنِ أكْلَـفُ ... وَالْبُرْصُ أَنْدَى باللُّهى وأعْرَفُ[4]
مجلوِّذٌ في الزَّحَفاتِ مِزْحَفُ[5]

المجلوِّذ: السريع.

وكان عمرو أبرص فصاح به ناس: ما لكَ؟ قطع اللّه لسانك!. قال عمرو: مَهْ، البرَصُ من مَفاخرِ العرب. أما سمِعتُم ابن حبناءَ يقول[6]: [من البسيط]

---

(١) ديوان الأخطل ٦٧٣، ٦٧٤، والأغاني ٨/٣١٢، وطبقات ابن سلام ٤٧٠، وبعد البيتين «يقال: إن سماكاً قال للأخطل. ما تحسن أن تمدح، كان هذا كلاماً يقال، فذهبت بمدحتي، فصيرتني قيناً حقاً».

(٢) ديوان الأخطل ٢٠٣.

(٣) الخبر مع الرجز في البرصان ٣٤ – ٣٥، ومحاضرات الأدباء ٢/١٣٣.

(٤) اللهى: العطايا.

(٥) المزحف: الكثير الزحف إلى العدو.

(٦) البيتان في عيون الأخبار ٤/٦٤، وأمالي القالي ٢/٢٣٣، والسمط ٧١٦، والمؤتلف ١٠٥، والبرصان ٢٥، والأغاني ١٣/٩١.

إنّي امرؤٌ حنظليٌّ حين تنسُبُني ... لامِلْ عَتيكِ ولا أخواليَ العَوَقُ
لا تحسبِنّ بياضاً فِيّ مَنْقَصَةً ... إنّ اللّهامِيمَ في أقرابِهَا بَلَقُ

أوَ ما سمعتم قولَ الآخر[1]: [من الرجز]

يا كأسُ لا تستنكري نُحُولِي ... ووضحاً أوْفى عَلَى خَصِيلي[2]
فإنّ نَعْتَ الفرَسِ الرّجيلِ ... يكمُل بالغرَّةِ والتّحْجيلِ[3]

أوَ ما سمعتُم بقول أبي مسهر[4]: [من الطويل]

يَشْتُمُني زَيدٌ بأنْ كُنْتُ أبْرَصاً ... فكلُّ كريمٍ لا أبالَكَ أبرصُ

ثم أقبل على الرّاجزِ فقال: ما تَحْفَظُ في هذا؟ قال: أحفظُ واللّهِ قولهُ[5]: [من الرجز]

يا أُخْتَ سَعْدٍ لاتَعُرِّي بالرَّوَقْ ... ليس يضرُّ الطِّرْفَ توليعُ البَلَقْ[6]
إذا جرى في حَلْبَةِ الخيْلِ سَبَقْ

ومحمد بنُ سلاّم يزعمُ أنه لم يَرَ سابقاً قطّ أبلقَ ولا بَلْقاءَ[7].

وقد سبق للمأمون فرسٌ، إمّا أبلقُ وإما بلقاء.

وأنشدني أبو نواسٍ لبعضِ بني نهشَل[8]: [من الرمل]

نَفَرَتْ سَودةُ عنّي أنْ رأتْ ... صَلَعَ الرَّأس وفي الجلدِ وَضَحْ[9]

---

(١) الرجز لمعاوية بن حزن بن موءلة في البرصان ٢١، وفي هامش معجم الشعراء ٣١٦، وبلا نسبة في عيون الأخبار ٤/٦٥.

(٢) أوفى: ارتفع. الخصيل: جمع خصلة، وهي الشعر المجتمع.

(٣) الرجيل، من الإبل والدواب: الصبور على طول المشي الذي لا يعرق. الغرة: البياض في وجه الفرس. التحجيل: البياض في قوائمه.

(٤) البيت في عيون الأخبار ٤/٦٤، والبرصان ٣٥.

(٥) الرجز للحارث بن حلزة في البرصان ٢٤، وبلا نسبة في عيون الأخبار ٤/٦٥.

(٦) عرّه: سبّه. الرّوق: الجمال المعجب. الطرف: الجواد الكريم العتيق. التوليع: التلميع من البرص. البلق: استطالة البياض وتفرقه. والمعنى: لا يأسرك الجمال المعجب فإن الفرس الكريم لا يضره ما به من وضح إذا أتى يوم الحلبة سابقاً.

(٧) ورد القول في البرصان ٢٤.

(٨) الأبيات لسويد بن أبي كاهل في البرصان ٣٢، ولبعض بني نهشل في عيون الأخبار ٤/٦٥، وربيع الأبرار ٥/١١٥، وحماسة البحتري ٢/١١.

(٩) الوضح: البرص.

قلتُ يا سَوْدة، هذا والذي ... يَفْرِجُ الكُرْبَةَ مِنَّا والكلحْ
هو زَيْنٌ لِيَ في الوجهِ كما ... زَيَّنَ الطِّرفَ تحاسينُ القَرَحْ[1]

وزعم أبو نُواس أنهم كانوا يتبركون به، وأن جَذيمةَ الوضّاحَ كان يفخرُ بذلك.

وزعم أصحابنا أنَ بَلعاءَ بنَ قيس، لمَّا شاع في جلْده البَرص قال له قائل: ما هذا يا بَلعاء؟ فقال: «هذا سيف اللّه جلاَه!». وكنانة تقول: «سيف اللّه حَلاَّه»[2].

ثم رجع الحديثُ إلى أبي العَطَّاف وضَحِكه. قال[3]: وأما اليوم الآخرِ فإنَّ عَمْراً لمَّا ذهبَ بصرهُ، ودخلَ عليه الناس يُعَزُّونَهُ، دخل عليه إبراهيمُ بنُ جامع، وهو أبو عتَّابٍ من آل أبي مَصاد، وكان كالجَمل المحجوم، فقام بين يديْ عمروٍ فقال: يا أبا أُسَيِّد لا تجزعنَّ مِنْ ذهَاب عينَيك وإن كانتا كريمتَيك؛ فإنك لو رأيتَ ثوابهما في ميزانك تمنيتَ أن يكونَ اللّه عز وجل قد قطعَ يدَيكَ ورِجلَيْك، ودقَّ ظهرك، وأدمَى ضِلَعَك.

قال: فصاحَ به القومُ وضَحِك بعضهم. فقال عمرو: معناه صحيحٌ، ونيتُه حسنة، وإن كان قد أخطأ في اللفظ[4].

١٣٣٧ - [بين الجاحظ وأبي عتاب]

وقلتُ لأبي عتَّاب: بلغني أن عبدَ العزيز الغزّال قال: ليتَ أن اللّه لم يكن خَلَقَني، وأني الساعةَ أعْور. قال أبو عتَّاب: بئسَ ما قال؛ وددتُ واللّه أن اللّه لم يكن خَلَقَني وأنّي الساعة أعمى مقطوعُ اليدينِ والرِّجلين.

وأتى بعضُ الشعراء أبا الواسع وبنُوهُ حَولَه، فاستعفاه أبو الواسع من إنشاد مديحه، فلم يزلْ به حتى أذِن له. فلما انتهى إلى قوله: [من البسيط]

فكيف تُنْفَى وَأَنْتَ الْيَوْمَ رَأْسُهُمُ ... وحَولَكَ الْغُرُّ مِنْ أَبْنَائِكَ الصِّيدِ

قال أبو الواسع: ليتكَ تركْتَهم رأساً برأس!

---

(١) الطرف: الجواد الكريم العتيق. القرح: بياض يسير في وجه الفرس.
(٢) انظر هذا القول في البرصان ٣٢، والأغاني ١٣/٩١ وعيون الأخبار ٤/٦٣، والمعارف ٥٨٠، والكنايات للثعالبي ٣٥، وربيع الأبرار ٥/١١٥.
(٣) الخبر في البيان ٢/٣١٧ - ٣١٨، والبرصان ٣٤، وعيون الأخبار ٢/٤٨، وربيع الأبرار ٥/١١٥.
(٤) في البرصان ٣٤: «فقال - عمرو - يرعى له حسن نيته ويلغى سوء لفظه».

ومدح الممزِّق أبو عباد بن الممزِّق، بِشْرَ بنَ أبي عمرو ـ وليس هو بشر بن أبي عمرو بن العلاء فقال[1]: [من الكامل]

مَنْ كَانَ يزعُمُ أن بشراً مُلصَقٌ   فاللّه يَجْزِيه وَرَبُّكَ أَعْلمُ[2]
تنْبيك قامته وقلَّةُ لحمه   وتشادُقٌ فيه ولوْنٌ أسحَمُ[3]
إنَّ الصَّريحَ المَحْضَ فيه دلَالةٌ   والعرْقُ مُنْكَشف لمنْ يتوسَّمُ[4]
أما لسانك واحتباؤُك في المَلاَ   فزُرارَةَ العُدُسيُّ عِندكَ أَعْجَمُ[5]
إِني لأرجو أنْ يكونَ مقالهُمْ   زُوراً، وشانئُك الحسود المرغَمُ[6]

١٣٣٨ - [خطأ الكميت في المديح]

ومِن المديح الخطإ الذي لمْ أرَ قَطُّ أعجب منه، قولُ الكميتِ بن زيدٍ وهو يمدح النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فلو كان مديحه لبني أُمَيَّةَ لجاز أن يعيبهم بذلك بعض بني هاشم، أوْ لو مَدَحَ به بعض بني هاشمٍ لجاز أن يعترض عليه بعضُ بني أميَّة، أوْ لو مدح أبا بلال الخارجيّ لجاز أن تعيبه العامّة، أو لو مدح عَمرو بن عُبيَدٍ لجازَ أن يعيبه المخالف ، أوْ لو مدح المهلَّب لجاز أن يعيبه أصحابُ الأحنفِ.

فأما مديح النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فمن هذا الذي يسوؤُهُ ذلك حيثُ قال[7]: [من المنسرح]

فاعتتبَ الشَّوقُ مِنْ فُؤَادِيَ والشعـ   ـرُ إلى مَنْ إليه مُعْتَتَبُ[8]
إِلى السِّراجِ المنيرِ أحمدَ لا   يَعْدِلُني رَغْبَةٌ ولاَ رَهَبُ[9]

---

(١) الأبيات للمازني في البيان ٢/١٥١، وفيه قبل إنشاد الأبيات «ومما قالوا في التشديق وفي ذكر الأشداق».
(٢) الملصق: الدعي في القوم، وليس منهم بنسب.
(٣) التشادق: من الشدق، وهو سعة الشدق.
(٤) العِرْق: الأصل.
(٥) الاحتباء: هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره، ويشده عليها.
(٦) الشانئ: المبغض. المرغم: المقهور.
(٧) الأبيات للكميت في شرح الهاشميات ٥١ ـ ٥٢، والبيان ٢/٢٣٩ والعمدة ٢/١٤٣.
(٨) اعتتب: انصرف.
(٩) لا يعدلني: لا يحولني.

عنه إلى غيره، ولو رفعَ النا سُ إليَّ العُيونَ وارتقبُوا[1]
وقيل: أفْرَطتَ بل قصَدتُ ولو عَنَّفَنِي القائلونَ أو ثَلَبُوا[2]
إلَيكَ يا خيرَ منْ تَضمَّنَت الأرْ ضُ ولو عابَ قَوْلِيَ العُيُبُ[3]
لجَّ بتَفْضِيلِكَ اللسانُ ولو أُكْثِرَ فيك الضِّجَاج واللَّجَبُ[4]
أنت المصفَّى المحْضُ المهذّب في الـ نِّسْبَةِ إنْ نَصَّ قَومَك النَّسَبُ

ولو كان لم يقلْ فيه عليه السلام إلا مثلَ قوله[5]: [من الطويل]

وَبُورِكَ قَبْرٌ أنْتَ فيه وَبُورِكَتْ به، وله أهلٌ بذلك يَثْرِبُ
لقد غَيَّبُوا برًّا وحَزْماً وَنائلاً عَشيَّةَ وَاراكَ الصَّفيحُ المنصَّب[6]

فلو كان لم يمدحْه عليه السلام إلا بهذه الأشعار التي لا تصلح في عامة العرب لما كان ذلك بالمحمود، فكيفَ مع الذي حَكينا قبل هذا؟!

١٣٣٩ - [غلط بعض الشعراء في المديح والفخر]

ومن الأشعار الغائظة لقبيلة الشاعر - وهي الأشعار التي لو ظنَّت الشعراءُ أن مَضرَّتها تَعُودُ بعُشر ما عادتْ به، لكان الخرسُ أهْوَنَ عليها من ذلك القول - فمن ذلك قولُ لبيدِ بنِ ربيعةَ[7]: [من الكامل]

أبَني كلابٍ كيف تُنفَى جعفرٌ وبنو ضُبَيْنَةَ حاضِرُو الأجْبابِ[8]
قتلوا ابن عُروةَ ثمّ لَطُّوا دونه حتى تحاكَمْتمْ إلى جوَّابِ[9]
يَرْعَوْنَ مُنخَرَق اللديد كأنهم في العزّ أسْرَةُ حاجبٍ وشهابِ[10]

---

(١) رفع الناس إلي العيون: أوعدوني. ارتقبوا: أي ارتقبوا لي الشر.

(٢) أفرطت: تغاليت. قصدت: أي اعتدلت في محبتهم. ثلبوا: عابوا.

(٣) العُيُب: العيابون.

(٤) لجّ: تمادى. الضجاج والضجيج واحد: الصياح عند المكروه. اللجب: الصياح.

(٥) البيتان في شرح هاشميات الكميت ٣٢ - ٣٣، والبيان ٢ / ٢٤٠.

(٦) واراك: سترك. الصفيح: الحجارة العريضة، جمع صفيحة. المنصب: يعني جحارة القبر.

(٧) ديوان لبيد ٢٣ - ٢٤، والنقائض ٣٠٠.

(٨) في ديوانه: «ضبينة: قبيلة. جب وأجباب: آبار. قال الأصمعي: بنو ضبينة حي الذين قتلوا عروة، وقد كانوا قتلوا ابن أخ لجوّاب، فقال جوّاب: لا أديه لأنهم قتلوا ابن أخي؛ فيكون قتيل بقتيل».

(٩) في ديوانه: «لطوا: ستروا؛ هو يلط دون قدره أي يستر. جعلوا جوّاب حكماً. عروة بن عتبة بن جعفر. جواب: رجل من بني أبي بكر بن كلاب».

(١٠) في ديوانه: «منخرق اللديد: حيث انخرق فمضى. واللديد: جانبا الوادي جميعاً وجمعها =

متظاهرٌ حَلَقُ الحَديد عليهمُ   كبَني زُرارة أو بني عتَّابِ[1]
قومٌ لهم عَرَفَتْ مَعَدٌّ فَضْلَهَا   والحقُّ يَعْرِفُهُ ذوُو الألبابِ

ومن هذا الباب قولُ منظور بن زبّانَ بن سَيَّارِ بن عَمرو بن جابر الفَزَارِي، وهو أحَدُ سادةِ غَطفان: [من الطويل]

فجاؤوا بَجمْعٍ مُحْزئِلٍّ كأنهمْ   بنو دارمٍ إذا كان في الناسِ دَارِمُ[2]

وذلك أن تميماً لما طالَ افتخارُ قيس عليها بأن شعراء تميم كانت تضربُ المثلَ بقبائل قيس ورجالها، فغَبَرتْ تميمٌ زماناً لاترفعُ رؤُوسها حتى أصابتْ هذين الشعْرين من هذين الشّاعرينِ العظيمَي القدر، فزال عنها الذُّلُّ وانتصفت، فلو علم هذان الشاعران الكريمان ماذا يصنعان بعشائرهما ـ لكانَ الخَرسُ أحبّ إليهما.

قال أبو عبيدة: ومن ذلك قولُ الحارث بن حِلِّزَة، وأنشَدَها الملكَ[3] وكان به وضَحٌ[4] وأنشَدَه من وراء سِتر فبلغ من استحسانه القصيدة إلى أن أمَرَ برفْع السِّتر.

ولكراهتهم لدُنُوِّ الأبرصِ منهم قال لبيدُ بن ربيعة[5]، للنُّعمان بن المنذر، في الربيع بن زياد: [من الرجز]

مَهْلاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ لا تأكلْ مَعَهْ   إنّ استَه مِنْ بَرَصٍ مُلمَّعَهْ[6]
وإنهُ يُدخِلُ فيها إصْبَعَهْ   يُدْخِلُهَا حتى يُواري أشْجعَه[7]
كأنما يطلُبُ شيئاً ضَيَّعَهْ

= ألدة. أسرة حاجب: قوم الرجل حاجب هذا الدارمي، وشهاب من بني يربوع فيهم العز فيقول كأنا مثلهم».

(١) لم يرد البيت في متن الديوان، واستدركه المحقق من النقائض في حاشية الصفحة ٢٤ من ديوانه. حلق الحديد: ما تنسج منه الدروع. تظاهر: ركب بعضه بعضاً وتضاعف.

(٢) احزأل القوم: اجتمعوا. دارم: هم بنو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة.

(٣) الملك: هو عمرو بن هند، والقصيدة التي أنشدها هي معلقته. انظر البرصان ٢٤.

(٤) الوضح: البرص. وكان الحارث بن حلزة أبرص. انظر اللسان (برص) والبرصان ٢٤.

(٥) ديوان لبيد ٣٤٣، والبرصان ٥٧، وعيون الأخبار ٤/٦٥، ومجالس ثعلب ٣٨٢، وشرح المفصل ٢/٩٨، ومجمع الأمثال ٢/٣٣، وأمالي المرتضى ٢/٣٦، والبيتان (٣ - ٤) في اللسان والتاج (شجع)، وبلا نسبة في المخصص ٢/٦.

(٦) في دوان لبيد: «الملمع: الذي يكون في جسده بقع تخالف سائر لونه».

(٧) في ديوان لبيد: «الأشجع: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف».

قال ابنُ الأعرابيّ: فلما أنشدَ الملكَ لبيدٌ في الربيع بن زيادٍ ما أنشد قال الربيعُ: أبيتَ اللّعن، واللّه لقد نكتُ أمَّه، قال: فقال لبيد: قد كانت لعَمْري يتيمة في حجْرك، وأنتَ ربيتها، فهذا بذاك، وإلا تكن فعَلْتَ ما قُلتَ فما أولاك بالكذب! وإن كانت هي الفاعلة فإنها منْ نِسوةٍ لذلك فُعُل. يعني بذلك أن نساءَ عَبْس فَواجرُ، لأن أُمه كانت عَبْسيّة.

والعربيُّ يعافُ الشيءَ ويهجو به غيره، فإن ابتُلي بذلك فَخَر به. ولكنه لا يفخرُ به لنفسه منْ جهة ما هجا به صاحبه. فافهم هذه؛ فإن الناس يَغْلطُونَ على العَرَب ويزعُمون أنهم قد يمدَحونَ الشيء الذي قد يهجُون به. وهذا باطلٌ، فإنه ليس شيءٌ إلا وله وجهان وطَرَفان وطريقان.

فإذا مدحوا ذكروا أحسنَ الوجهين، وإذا ذَمُّوا ذكروا أقبحَ الوجهين.

والحارثُ بنُ حِلِّزَة فَخَرَ ببكر بنِ وائلٍ على تَغْلِبَ، ثم عاتَبهم عِتاباً دلَّ على أنهم لا ينتصفون منهم، فقال[1]: [من الخفيف]

وأتانا عن الأراقمِ أنبا ... ءٌ وخَطْبٌ نُعْنَى به ونُسَاءُ[2]
يَخْلِطُونَ البريءَ منا بذي الذنْـ ... ـبِ ولا يَنْفَعُ الخليَّ الخَلاَءُ
زعموا أن كلَّ مَنْ ضَرَب العَيْـ ... ـرَ مَوَالٍ لنا وأنَّا الوَلاءُ[3]
إنَّ إخوانَنَا الأراقمَ يَغْلُو ... نَ علينا في قولهم إحفاءُ[4]

ثم قال:

واتركوا الطَّيْخَ والتَّعَاشِي وإمَّا ... تَتَعَاشَوْا ففي التعاشِي الدَّاءُ[5]
واذكروا حلْفَ ذي المجاز وَمَا قُـ ... ـدِّمَ فيه، العهودُ والكفلاءُ[6]
حذَرَ الجَوْرِ وَالتَّعدِّي وهل ينـ ... ـقُضُ ما في الْمَهَارِقِ الأهْواءُ[7]

---

(١) الأبيات من معلقته في شرح القصائد العشر ٣٧٩، وشرح القصائد السبع ٤٤٩.
(٢) الأراقم: أحياء من بني تغلب وبكر بن وائل.
(٣) العَيْر: الوتد، أي كل من يضرب وتداً ألزمونا ذنبه.
(٤) الغل: تجاوز الحد. الإحفاء: الاستقصاء، أو هو من أحفيت الدابة: إذا كلفتها ما لا تطيق حتى تحفى.
(٥) الطيخ: الكبرة والعظمة. التعاشي: التعامي والتجاهل.
(٦) ذو المجاز: موضع جمع فيه عمر بن هند بكراً وتغلب، وأصلح بينهما، وأخذ منهما الوثائق والرهون.
(٧) المهارق: جمع مهرق؛ وهو الصحيفة.

واعلموا أننا وإياكُمُ فيـ ـما اشترطنا يومَ اختلفنا سواءُ
أمْ علينا جُناحُ كندَةَ أنْ يَغْـ ـنَمَ غَازيهِمُ ومنَّا الجزاءُ[1]
أمْ علينا جرًّا حَنيفة أم ما جَمَّعَتْ من مُحارِب غَبراءُ[2]
أمْ علينا جرًّا قضاعَةَ أم ليـ ـس علينا فيما جنَوْا أنداءُ[3]
ليس منَّا المضَرَّبونَ، ولا قَيْـ ـسٌ، ولا جَندلٌ، ولا الحَدَّاءُ[4]
أم جنايا بَني عَتيق فمن يَغْـ ـدرْ فإنا من غدرهم بُرآءُ
عَنناً باطلاً وظلماً كما تُعـ ـتَر عن حَجرَةِ الرّبِيضِ الظِّبَاءُ[5]

ومن المديح الذي يقبُح، قولُ أبي الحَلال في مَرْثِيَةِ يزيدَ بن مُعاوية، حيث يقول: [من الرجز]

يا أيُّها الميْت بحُوَّارِينا إنّك خيرُ الناسِ أجمعينا[6]

وقال الآخر: [من الرجز]

مدحتُ خير العالمين عَنْقَشَا يشبُّ زهراءَ تقود الأعمشا[7]

وقال الآخر: [من الرجز]

إنَّ الذي أمْسى يُسمَّى كُوزَا اسماً نبيهاً لم يكن تَنْبيزا[8]
لما ابْتَدَرْنَا القصَبَ المركوزا وَجَدْتُني ذا وثْبة أبُوزَا[9]

---

(١) الجناح: الإثم.
(٢) الجرّا والجراء: الجناية. الغبراء: الصعاليك والفقراء.
(٣) الأنداء: جمع ندى؛ وهو ما يصيب الإنسان.
(٤) المضربون: قوم من بني تغلب ضربوا بالسيف. الحداء: قبيلة من ربيعة.
(٥) العنن: الاعتراض. تعتر: تذبح. الحجرة: الموضع الذي يكون فيه الغنم. الربيض: جماعة الشاء. وكان الرجل ينذر إن بلغ اللّه غنمه مائة ذبح منها واحدة للأصنام، ثم ربما ضنت نفسه بها فأخذ ظبياً وذبحه مكان الشاة الواجبة عليه.
(٦) حوارين: حصن من ناحية حمص، وقيل هي التي تدعى القريتين، وهي من تدمر على مرحلتين، وبها مات يزيد بن معاوية. انظر معجم البلدان ٢ / ٣١٦ (حوارين)، ٤ / ٣٣٥ (القريتان).
(٧) عنقش: اسم من أسمائهم. الزهراء: المضيئة، أراد بها النار، أي إن هذه النار يهتدي بها الأعمش؛ فكيف بغير الأعمش.
(٨) التنبيز: التلقيب.
(٩) القصب: أراد به الرماح. المركوز: المغروز في الارض ونحوها. الأبوز: الذي يأبز في عدوه، أي يقفز.

ودخل بعضُ أغثاث[١] شعراءِ البَصريين على رجل من أشراف الوجوه يُقال في نسَبه[٢]، فقال: إني مَدَحْتُكَ بشعر لم تُمْدَحْ قطُّ بشعر هو أنفعُ لك منه . قال: ما أحْوَجَني إلى المنفعة، ولا سيَّما كلُّ شيء منه يخلدُ على الأيام، فهاتِ ما عندك فقال: [من السريع]

سَأَلتُ عَنْ أَصْلِكَ فيما مضى ... أبناءَ تِسْعين وقد نَيَّفُوا[٣]

فكُلُّهُمْ يخبرُني أنه ... مُهَذَّبٌ جَوْهَرُهُ يُعْرَفُ

فقال له: قمْ في لعنةِ اللّه وسَخَطِه! فَلَعَنَكَ اللّه ولعنَ مَنْ سَأَلْتَ ولعنَ من أجابك!!

بـــاب

١٣٤٠ - [في السُّخف والباطل]

وسنذكر لك باباً من السُّخْف، وما نتسَخَّفُ به لك ، إذ كان الحق يثقلُ ولا يخفُّ إلا ببعضِ الباطل.

أنشدنا أبو نُوَاسٍ في التدليك : [من الرجز]

إنْ تَبْخَلي بالرَّكَبِ المحلوقِ ... فإنَّ عندي رَاحَتي ورِيقِي

وهذا الشعرُ مما يقالُ إن أبا نَواس ولَّدَهُ.

ومما يُظَنُّ أنه ولَّدَه قولُه: [من الرجز]

لم أرَ كاللَّيلةِ في التوفيقِ ... حِراً على قارِعةِ الطريـقِ

كأنَّ فيه لَهَبَ الحريقِ

وأنشدني ابن الخاركي لبعضِ الأعربِ في التدليك: [من الرجز]

لا بـارَكَ الإلـه في الأحْـراحِ ... فإن فيها عَدَمَ اللِّقاحِ

لا خَيرَ في السفاح واللِّقاحِ ... إلا مُناجاة بطونِ الرَّاحِ

---

(١) أغثاث: جمع غث؛ وهو الرديء السيئ الخلق، والخبر مع الشعر في عيون الأخبار ٢/٥٣.

(٢) أي يطعن في نسبه.

(٣) في عيون الأخبار «أبناء سبعين».

وأنشدني محمد بنُ عَبَّاد: [من الرجز]

تَسْأَلُني ما عَتِدي وعن ددي فإنني يا بِنْتَ آلِ مَرْثَدِ[١]
راحلتي رِجلايَ وامْرَاتي يَدي

وأنشدني بعض أصحابنا لبعض المدنيِّين: [من المنسرح]

أُصفِي هَوى النفسِ، غيرَ مُتَّئِبٍ حَليلةً لا تَسُومُني نَفَقَهْ[٢]
تكونُ عوني على الزمانِ لِلْـ ـكَسْبِ، إذا ما أخْفَقْتُ، مُرْتَفِقَه[٣]

وشعرٌ في ذلك سمعناه على وجه الدهر، وهو قولُه[٤]: [من البسيط]

إذا نَزَلْتَ بوادٍ لا أنيسَ به فاجلِدْ عُمَيرةَ لا عارٌ ولا حَرَجُ

وأنشدنا أبو خالد النُّميريّ[٥]: [من البسيط]

لو أنها رَخْصَةٌ قَضَّيْتُ مِنْ وطَري لكنَّ جِلْدَتَها تُرْبي عَلَى السَّفَنِ[٦]
أشكو إلى اللّه نعْظاً قدْ بُليتُ به وما ألاقي مِنَ الإمْلاقِ والحزَنِ[٧]

وقال الذّكوانيُّ يردُّ على الأولِ قولَه: [من البسيط]

جَلْدي عُميرةَ فيه العارُ والحُوبُ والعَجزُ مُطَّرِح والفُحْشُ مَسْبُوبُ[٨]
وبالعِراق نساءٌ كالمَها قُطُفٌ بأرخصِ السَّوْمِ خَدْلاتٌ مَناجيبُ[٩]
وما عُميرةُ منْ ثدْياءَ حاليةٍ كالعاجِ صَفَّرها الأكنانُ والطِّيبُ[١٠]

قال: مَثَلُ هذا الشعرِ كمثل رجُلٍ قيلَ له: أبوكَ ذاك الذي ماتَ جُوعا؟ قال: فَوَجَدَ شيئاً فلم يأكله؟!

---

(١) العتد: الفرس التام الخلق السريع الوثبة. الدد: اللهو واللعب.
(٢) اتَّأب الرجل: استحيا. الحلية: عنى بها كفه. تسومني: تكلفني.
(٣) مرتفقة: منتفعة.
(٤) البيت في محاضرات الأدباء ٢/ ١١٥ (٣/ ٢٥٦).
(٥) البيتان لأبي حية النميري في ديوانه ١٩٥، والسمط ٦٧٠.
(٦) في ديوانه: «رخصة: ناعمة؛ أي يده. السفن: قطعة خشناء من جلد ضب أو جلد سمكة يسحج بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة».
(٧) الإملاق: الفقر والحاجة.
(٨) الحوب: الهلاك. مسبوب: مقطوع.
(٩) قطف جمع قطوف، وهي الضيقة المشي البطيئة. خدلات: ممتلئات الأعضاء. المناجيب: جمع منجاب، وهي التي تلد النجباء.
(١٠) الثدياء: العظيمة الثدي. حالية: عليها الحلي. الأكنان: جمع كن، وهو البيت.

وقال الحَرامي: [من الوافر]

عِيَالٌ عالَةٌ وكسادُ سُوقٍ وأَيرٌ لا ينامُ ولا يُنِيمُ

بـــاب
مما قالوا في السرّ

قال ابن ميّادة[1]: [من الطويل]

أَتُظْهِرُ ما في الصَّدْرِ أَمْ أنتَ كاتمُهْ وكِتمانُهُ داءٌ لِمَنْ هو كاتمُه

وإضمارُهُ في الصدرِ داءٌ وَعِلّةٌ وإظهارُهْ شنْعٌ لِمَنْ هوَ عالمه

وتقول العرب: «من ارتاد لسِرِّه [موضعاً][2] فقد أشاعه».

وأرى الأول قد أذِنَ في واحدٍ[3] وهو قولُه[4]: [من المتقارب]

وسِرُّكَ ما كانَ عندَ امرئٍ وسرُّ الثلاثةِ غيرُ الخَفِي

وقال الآخر[5] فيما يوافق فيه المثل الأول: [من المتقارب]

فلا تُفْشِ سرَّك إلا إليكَ فإنَّ لكلِّ نصيحٍ نصيحا

فإني رأيتُ غُواة الرجا ل لا يتركُون أديماً صحيحا

وقال مسكينٌ الدَّارِميّ[6]: [من الطويل]

إذا ما خليلي خانني وائتمنتُه فذاكَ وداعِيه وذاكَ وَداعُها

---

(١) ديوان ابن ميادة ٢٢٤.

(٢) ورد القول في عيون الأخبار، وكلمة «موضعاً» زيادة منه.

(٣) في واحد: يعني إفشاء السر إلى واحد.

(٤) البيت للصلتان العبدي في عيون الأخبار ١/٣٩، وعجزه في محارضات الأدباء ١/٥٩ (١٢٥). وتقدم في ٣/٢٣٠.

(٥) البيت لأنس بن أسيد في أدب الدنيا والدين للماوردي ٢٧٩، ويعزى إلى علي بن أبي طالب أو لغيره في الكامل ٢/١٧ (المعارف)، وعيون الأخبار ١/٣٩، وبلا نسبة في محاضرات الأدباء ١/٥٩ (١/١٢٥)، ورسائل الجاحظ ١/١٤٦، ٢/١٥٥.

(٦) ديوان مسكين الدارمي ٥٢، والحماسة البصرية ٢/٣٥، ورسائل الجاحظ ١/١٥٢، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١١١٦، وعيون الأخبار ١/٣٩، وأمالي القالي ٢/١٧٦، وأمالي المرتضى ٢/٦٢.

رَدَدْتُ عليه وُدَّهُ وتركتُها مطلَّقةً لا يُستطاعُ رِجاعُها
وإني امرؤٌ مني الحياءُ الذي تَرَى أعيشُ بأخلاق قليل خِداعُها
أُوَاخي رجالاً لستُ أُطلِعُ بعضَهمْ على سرِّ بعض غيرَ أني جِماعُها
يَظلُّونَ شتَّى في البلادِ، وسِرُّهم إلى صخرةٍ أعيا الرِّجالَ انصداعُها

وقال أبو محْجَنٍ الثَّقَفيّ[1]: [من البسيط]

وقد أجُودُ وما مالي بذي فَنَعٍ وأكتُمُ السِّرَّ فيه ضربةُ الْعُنُقِ[2]

وقال عمر بن الخطاب، رضي اللّه عنه[3]: «منْ كَتم سِرَّهُ كانَ الخيار في يَدِه».

وقال بعضُ الحكماء: «لا تُطلعْ واحداً من سِرِّك، إلا بقدر ما لا تجدُ فيه بدّاً من معاونتك».

وقال آخر[4]: «إنَّ سِرَّكَ مِنْ دَمِك، فانظرْ أينَ تُريقُهُ!».

وقال الشاعر[5]: [من البسيط]

ولو قَدَرْتُ عَلَى نسيانِ ما اشْتَمَلَتْ مني الضلوعُ من الأسرارِ والخَبَرِ
لكنت أوَّلَ من ينسى سرائره إذ كنت من نشرها يوماً على خَطَرِ

وقال الآخر: [من الرمل]

فإذا اسْتَوْدَعْتَ سِرّاً أحَداً فَقَدِ اسْتَوْدَعْتَ بالسرِّ دَمَكْ

وقال قيس بنُ الخطيم[6]: [من الطويل]

وإنْ ضَيَّعَ الإخْوانُ سِرّاً فإنني كتُومٌ لأَسْرارِ العَشِير أمينُ
يكونُ له عندي إذا ما ائتُمِنْتُهُ مكانٌ بسَوداءِ الفُؤَادِ مَكينُ

---

(١) البيت لأبي محجن الثقفي في اللسان والتاج (فنا، فجر، فنع)، والمخصص ١٢ / ٢٨٠، وهو في ديوانه ١٩، ٢١، والرواية فيه:

وأكشف المأزِقَ المكروبَ غُمَّتُهُ وأكْتُمُ السرَّ فيه ضربةُ العُنُق
وقد أجود وما مالي بذي فَنَعٍ وقد أكرُّ وراءَ المُجْحَرِ البَرِقَ

(٢) في ديوانه: «ذو فنع: ذو كثرة. وأصل الفنع: الحسن».

(٣) نسبه البيهقي للرسول ﷺ في المحاسن والمساوئ ٢ / ٥٧ ضمن حديث طويل، وورد القول لعتبة ابن أبي سفيان في عيون الأخبار ١ / ٤١، والعقد الفريد ١ / ٣٥، ولعنبسه بن أبي سفيان في الفاضل للمبرد ١٠١، ونهاية الأرب ٦ / ٨٢.

(٤) ورد القول منسوباً إلى المنصور في المحاسن والمساوئ ٢ / ٥٦، والعقد الفريد ١ / ٣٥.

(٥) البيتان بلا نسبة في لباب الآداب ٢٤١، وعيون الأخبار ١ / ٣٩، وأدب الدنيا والدين للماوردي ٢٨١.

(٦) ديوان قيس بن الخطيم ١٦٣، وأمالي القالي ٢ / ٧٧، والفاضل ١٠٢، والمقاصد النحوية ٤ / ٥٦٦.

وقيل لمَزبِّد: يا مُزَبِّد، ما هذا الذي تحتَ حضنك؟ فقال: يا أحمق، فلمَ خبأتُه[1]؟!

وقال أبو الشِّيص: [من الطويل]

ضعِ السرّ في صَمَّاءَ ليستْ بصخرةٍ صَلودٍ كما عايَنْتَ من سائر الصَّخر
ولكنها قلبُ امرئٍ ذي حفيظةٍ يَرَى ضَيْعَةَ الأسرارِ هتراً من الهترِ[2]
يموتُ وما ماتَتْ كرائمُ فِعْلِه ويَبْلَى وما يَبْلَى نَثَاهُ عَلَى الدَّهرِ[3]

وقال سُحَيمٌ الفقعسيّ، في نشر ما يُودَعُ من السرِّ[4]: [من الطويل]

ولا أكتُمُ الأسرارَ لَكِنْ أُذيعُها ولا أدَعُ الأسرارَ تَغْلي عَلَى قلبي
وإن قليلَ العقلِ من باتَ ليلهُ تقلِّبه الأسرارُ جنباً إلى جنب

وقال الفَرّارالسُّلَميُّ - وهذا الشعر في طريقِ شعرِ سُحَيمٍ، وإن لم يكن في معنى السرِّ - وهو قوله[5]: [من الكامل]

وكتيبةٍ لبَّسْتُهَا بكتيبةٍ حتى إذا التَبَسَتْ نفضْتُ بها يدي
وتركتُهُمْ تَقِصُ الرِّماح ظهورَهم من بينِ مُنْجدلٍ وآخرَ مُسْنَدِ[6]
ما كانَ ينفعني مَقالُ نِسائهم وقتِلتُ دون رجالِهمْ: لا تَبْعَدِ

١٣٤١ - [تخاذل أسلم بن زرعة]

وقيل لأسلم بن زَرْعة إنك إن انهزمتَ من أصحاب مِرْداسٍ بن أديَّة غضبَ عليك الأمير عبيدُ الله بن زياد قال: يغضبُ عليَّ وأنا حيٌّ؛ أحبُّ إليَّ مِنْ أن يرضَى عني وأنا ميِّت.

---

(١) ورد الخبر في عيون الأخبار ١/٣٩.

(٢) الهتر؛ بالفتح: مزق العرق، وبالضم: ذهاب العقل من بر أو مرض، وبالكسر: الباطل والخطأ في الكلام.

(٣) النثا: ما أخبرت به الرجل من حسن أو سيئ.

(٤) البيتان بلا نسبة في الحماسة المغربية ١٢٩٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٨٥٠، وللتبريزي ٤/١٦٧، وعيون الأخبار ١/٤١.

(٥) الأبيات في الحماسة البصرية ١/٢٨، ومحاضرات الأدباء (٣/١٨٦)، وعيون الأخبار ١/١٦٤.

(٦) تقص: تكسر. المنجدل: المصروع الملقى على الجدالة، وهي الأرض. المسند: الذي أسند إلى ما يمسكه وبه رمق.

قال: ووليَ دسْتَبى[1] فخرج إليها في أصحابه، فلما شارفَها عرضَتْ له الخوارجُ، وكان أكثر منهم عدداً وعُدّة، فقال: واللّه لأصافَّنَّهم، ولأُعَبِّيَنّ أصحابي فلعلهم إذا رأوا كثْرَتهُم انصرفوا، ولا أزال بذلك قويًّا في عملي هذا . فلما رأت الخوارج كثرةَ القوم نزلوا عن خيولهم فعَرْقَبُوهَا[2] وقطَّعوا أجفانَ سيوفهم، ونبذوا كل دقيق كان معهم، وصبُّوا أسقيَتَهُم. فلما رأى ذلك رأى الموتَ الأحمر. فأقبل عليهم فقال: عرقبتم دوابَّكم وقطَّعتم أجفان سيوفكم، ونبذتم دقيقكم؟ خارَ اللّه لنا ولكم ! ثم ضربَ وجوهَ أصحابه وانصرفَ عنهم.

١٣٤٢ - [ضيق صدر النظَّام بحَمْلِ السرّ]

وكان أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن سيّارٍ النظَّام. أضْيقَ الناس صدراً بحملِ سرٍّ وكان شرَّ ما يكون إذا يُؤَكِّد عليه صاحبُ السرِ وكان إذا لم يؤكِّدْ عليه ربما نسِيَ القِصَّةَ، فيسلمُ صاحبُ السرّ.

وقال له مرةً قاسمٌ التمَّار: سبحان اللّه ما في الأرض أعجبُ منك، أودعتُك سِرّاً فلم تصبر عن نشره يوماً واحداً، واللّه لأشكونّك للناس!

فقال: يا هؤلاء، سَلُوه نَمَمْتُ عليه مرةً واحدةً، أو مرتين، أو ثلاثاً، أو أربعاً، فلمن الذنبُ الآن؟

فلم يرضَ بأن يشاركه في الذَّنب، حتى صيَّرَ الذّنبَ كله لصاحب السرّ.

١٣٤٣ - [شعر في حفظ السرّ]

وقال بعضُ الشعراء[3]: [من المتقارب]

خَتَمْتُ الفؤَادَ على سرِّها ... كـذاكَ الصحيفةُ بالخاتـمِ
هوَى بي إلى حُبِّهـا نظْـرةٌ ... هُوِيَّ الفراشةِ للجاحمِ[4]

وقال البَعيث[5]: [من الطويل]

فإنْ تَك لَيلَى حَمَّلَتْني لُبانَةً ... فلا وأبي ليلى إذاً لا أخُونُهـا[6]

---

(١) دَسْتَبَى: كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمذان. معجم البلدان ٢ / ٤٥٤ .

(٢) عرقبوها: حزوا عراقيبها بالسيوف. وعرقوب الدابة في رجلها؛ بمنزلة الركبة في يدها.

(٣) البيتان بلا نسبة في ثمار القلوب ٣٩٩ (٧٣٠)، وتقدما في ٣ /١٨٨، ١٨٩ .

(٤) الجاحم: النار العظيمة في مهواة.

(٥) البيت الأول لمجنون ليلى في ديوانه ٢٦٨، وبلا نسبة في أمالي القالي ١ / ٧١ .

(٦) اللبانة: الحاجة.

حَفِظْتُ لها السرّ الذي كان بيننا ولا يحفَظُ الأسرارَ إلا أمينُها

وقال رجلٌ من بني سَعد[1]: [من الوافر]

إذا ما ضاق صدرُك عن حديثٍ فأفشَتْهُ الرجالُ فمَنْ تلومُ
إذا عاتبتُ من أفشى حَديثي وسرِّي عندَه فأنا الظلومُ
وإني حين أسْأَمُ حَمْلَ سرّي وقد ضَمَّنْتُهُ صَدْرِي سَؤُومُ
ولستُ محدِّثاً سرّي خليلاً ولا عِرْسي، إذا خَطَرتْ هُمومُ
وأطوِي السرّ دونَ الناس، إني لما اسْتُودِعْتُ من سرٍّ كتومُ

١٣٤٤ - [حال من يودع سره الصبيان]

قال: وقيل لشيخٍ: ويحَك هاهنا ناسٌ يسرق أحدُهم خمسين سنة، ويزْني خمسين سنةً، ويَصْنَع العظائم خمسين سنة، وهو في ذلك كله مستور جميل الأمر، وأنت إنما لُطْتَ منذُ خمسة أشهر، وقد شُهرتَ به في الآفاق! قال: بأبي أنت. ومن يكون سرُّهُ عند الصِّبْيَان أيُّ شَيء تكونُ حالُه!

١٣٤٥ - [وصية العباس لابنه في حفظ السر]

أبو الحسن، عن محمد بن القاسم الهاشمي قال: قال العباسُ بن عبد المطلب لعبد الله ابنه: «يا بُنيّ أنتَ أعْلمُ منّي، وأنا أَفْقَهُ منك، إن هذا الرجلَ يُدْنيك - يعني عُمَر بن الخطاب - فاحفظْ عني ثلاثاً: لا تُفْش له سرّاً، ولا تَغْتَابَنَّ عنده أحداً، ولا يَطَّلِعَنَّ منك على كِذْبة».

بــــاب
فـــي ذكـــر المُـنـى

قال[2]: سئل ابن أبي بكرة: أيُّ شيء أدْوَم إمتاعاً؟ قال: المُنَى.

قال[3]: وقال يزيد بن معاوية على منبره: ثلاثٌ يُخْلقْنَ العقْل، وفيها دليل على الضّعف: سرعةُ الجواب، وطُول التمنّي، والاستغراق في الضَّحك!

---

(١) الأبيات لرجل من بني عبد شمس بن سعد في لباب الآداب ٢٤٣، بلا نسبة في عيون الأخبار ٣٩/١.
(٢) الخبر في عيون الأخبار ١/٢٦١، ومحاضرات الأدباء ١/٢١٦ (٢/٤٥٤).
(٣) الخبر في عيون الأخبار ١/٢٦٠ - ٢٦١.

وقال عبايةُ الجُعْفي: ما سرّني بنصيبي من المنى حُمْرُ النَّعم!

وقال الأصمعي: قال ابن أبي الزِّناد: المنى والحُلُم أخَوان[1].

وقال مُعمَّر بن عبَّاد: «الأماني للنَّفس، مثُلُ التُرَّهات[2] لِلّسان».

وقال الشاعر: [من البسيط]

اللّهُ أصْـدَقُ والآمـالُ كـاذبـةٌ ... وجُلُّ هذي المنَى في الصَّدر وِسْواسُ

وقال الآخر[3]: [من البسيط]

إذا تمَنَّيْتُ مالاً بتُّ مُغتبطاً ... إنّ المنى روسُ أموالِ المفاليسِ

لولا المنى مِتُّ من هَمٍّ ومن حَزَن ... إذا تذكرتُ ما في داخلِ الكيسِ

وقال بعضُ الأعراب[4]: [من الطويل]

مُنًى إن تَكنْ حَقًّا تَكُنْ أحسنَ المُنَى ... وإلاَّ فقدْ عشنا به زَمنَاً رَغْدا

أمانيُّ مِن سَلمى حسانٌ كأنما ... سَقَتْني بها سَلمَى على ظما بردَا

وقال بشار[5]: [من الطويل]

كَرَرْنا أحاديثَ الزمانِ الذي مَضى ... فلذَّ لنا محمودُها وذميمها

وروَى الأصمعيُّ عن بعضهم أنه قال: الاحتلام أطيبُ من الغِشْيان، وتمنِّيك للشيء أوفرُ حظاً في اللَّذةِ من قُدْرتك عليه.

قال: كأنه ذَهَبَ إلى أنه إذا ملَكَ وجَبَتْ عليه في ذلك المِلْك حقوقٌ، وخاف الزوالَ واحتاجَ إلى الحفظ.

---

(١) الخبر بلا نسبة في عيون الأخبار ١/٢٦١، ومحاضرات الأدباء ١/٢١٦ (٢/٤٥٤).

(٢) الترهات: الأباطيل.

(٣) البيت الأول بلا نسبة في عيون الأخبار ١/٢٦١، وعجزه في محاضرات الأدباء ١/٢١٧، وهذا المعنى أخذه الخالدي فقال:

ولا تكن عبد المنى فالمنى ... رؤوس أموال المفاليس

وهذا البيت في تزيين الأسواق ٤٥٦، ويتيمة الدهر ٢/١٩٢.

(٤) البيتان في ذيل الأمالي ١٠٢، وعيون الأخبار ١/٢٦١، ومحاضرات الأدباء ١/٢١٦ (٢/٤٥٤)، وشرح عمدة الحفاظ ٣٦٨.

(٥) البيت في عيون الأخبار ١/٢٦١.

وقال: وفي الحديث المأثور: «ما عظُمتْ نعمةُ اللّه على أحدٍ إلاّ عظمتْ مؤونةُ الناسِ عليه».

قال: وقيل لمزبِّد: أيسرُّك أن عندكَ قنّينةَ شَرَابٍ ؟ قال: يا ابنَ أُمٍّ، من يسرُّهُ دخولُ النار بالمجاز؟!

قال: وقدّموا إلى أبي الحارث جُمَّيز جامَ خبيصٍ(١) وقالوا له: أهذا أطيَبُ أم الفالوذَج(٢)؟ قال: لا أقْضي على غائب!

قال: وقال مَدينيٌّ لرجل: أيسرُّك أن هذه الدار لك؟ قال: نعم. قال: وليس إلا نَعَمْ فقط؟ قال: فما أقول؟ قال: تقول: نَعم، وأحمّ(٣) سَنة! قال: نعم، وأنا أعْور.

قال(٤): وقيل لمزبِّد: أيسُرُّك أن هذه الجُبَّةَ لك؟ قال: نعم، وأُضرَبُ عشرين سوطاً. قال: ولمَ تقولُ هذا؟ قال: لأنه لا يكون شيءٌ إلا بشيء.

قال(٥): وقال عبدُ الرحمن بن أبي بَكْرة: مَنْ تمنَّى طول العمر فلْيوَطِّنْ نفسه على المصائب.

يقول: إنه لا يخلو من موتِ أخٍ، أو عمٍّ، أو ابن عمٍّ، أو صديق، أو حَميم

وقال المجنون(٦): [من الطويل]

أيا حَرَجاتِ الحيِّ حيثُ تحمّلُوا ... بذي سَلَمٍ لا جادَكنّ رَبيعُ(٧)
وخَيماتُكَ اللاتي بمنْعَرج اللِّوَى ... بَلِينَ بلًى لم تَبْلَهُنَّ رُبُوعُ
فقَدْتُكَ من قلبٍ شَعاعٍ، فطالما ... نهيْتُك عن هذا وأنتَ جميعُ(٨)
فقرَّبتَ لي غيرَ القريبِ، وأشرَفَتْ ... مُناكَ ثَنايَا ما لهنّ طُلوعُ

---

(١) الجام: إناء من فضة. الخبيص: حلوى تصنع من التمر والسمن.
(٢) الفالوذج: حلوى تصنع من الدقيق والماء والعسل.
(٣) أَحَمَّ: أصابته الحمى.
(٤) الخبر في عيون الأخبار ١/٢٦٣، وهو برواية مختلفة في محاضرات الأدباء ١/٢١٨ (٢/٢٥٧).
(٥) الخبر في ربيع الأبرار ٣/١٠٢.
(٦) الأبيات لمجنون ليلى في ديوانه ١٩٠، ١٩٢، ولقيس بن ذريح في ديوانه ١١٤ - ١١٥، ولجميل ابن معمر في ديوانه ١٢٢.
(٧) الحرجات: جمع حرجة؛ وهي الشجرة بين الأشجار لا تصل إليها الآكلة. ذو سلم: اسم موضع.
(٨) قلب شَعاع: متفرق موزع.

١٣٤٦ - [أمانيّ الخوارج]

قال[١]: وقال عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث: لولا أربعُ خصال ما أعطَيتُ عربياً طاعة: لو ماتت أمّ عَمْرو - يعني أمّه - ولو نَسَبْت، ولو قَرَأتُ القرآن، ولو لم يكن رأسي صغيراً.

قال: وقدم عبدُ الملك، وكان يحبُّ الشّعر فبعثْتُ إلى الرواة، فما أتَتْ عَلَيَّ سنةٌ حتى رويتُ الشاهدَ والمثَل، وفُصولا بعد ذلك. وقدم مُصْعبٌ وكان يحبُّ النّسَب، فدعوتُ النَّسَّابين فتعلّمتُه في سنة. ثم قدِم الحجَّاج، وكان يُدْنِي على القرآن، فحفِظته في سَنة.

قال: وقال يزيدُ بنُ المهلَّب: لا أخرجُ حتى أحجّ، وأحفَظَ القرآن، وتموت أُمّي. فخرج قبل ذلك كلّه.

وقال عُبَيْدُ اللّه بنُ يحيى: كان من أصحابنا بمَرْو جماعة، فجلَسنا ذات يومٍ نتمنَّى، فتمنَّيتُ أن أصيرَ إلى العراق من أيامي سالماً، وأن أقْدَمَ فأتزوّج سَمَاعِ[٢]، وألِيَ كَسْكر[٣].

قال: فقدِمتُ سالماً، وتزوجتُ سَمَاعِ، ووليتُ كسْكَر.

١٣٤٧ - [أخبار وأشعار في نهري دجلة والفرات]

قال: ووقف هشامُ بنُ عبد الملك على الفرات، ومعه عبدُ الرحمنِ بنُ رستَم، فقال هشام: ما في الأرض نهرٌ خيرٌ من الفُرات! فقال عبد الرحمن: ما في الأرض نهرٌ شرٌّ من الفرات، أوّلُه للمُشْرِكين، وآخرُه للمنافقين.

وقال أبو الحسن: الفرات ودِجلة رائدان[٤] لأهل العراق لا يكذبان.

قال الأصمعيّ وأبو الحسن: فهما الرائدان، وهما الرَّافدان.

---

(١) الخبر في البيان ٢ / ١١٤.

(٢) سماعِ: اسم امرأة، وهو مبني على الكسر لأنه على وزن فَعالِ كقَطامِ.

(٣) الي: أصير والياً عليها. كسكر: كورة واسعة بين الكوفة والبصرة، ينسب إليها الفراريج الكسكرية لأنها تكثر بها جداً. معجم البلدان ٤ / ٤٦١، وقد تحدث الجاحظ عن ذلك في ٣ / ١٤١، الفقرة (٧٥٠).

(٤) الرائد: هو الذي يرسله قومه في طلب الكلأ. وفي مجمع الأمثال ٢ / ٢٢٣: «الرائد لا يكذب أهله».

وقالِ الفرزْدَق[١]: [من الوافر]

أميرَ المؤمنين وأنتَ عَفٌّ ... كريم، لستَ بالوالي الحريصِ[٢]
بَعَثْتَ إلى العراق ورافدَيه ... فَزاريّاً أحَذَّ يَد القَميصِ[٣]
ولم يكُ قَبْلهَا راعي مَخَاضٍ ... ليَأْمَنَهُ على وَرِكَيْ قَلُوصِ[٤]
تَفَيْهَقَ بالعِراق أبو المثَنَّى ... وعَلَّمَ قَوْمَهُ أكلَ الخَبيصِ[٥]

١٣٤٨ - [نهر أم عبد اللّه]

قال[٦]: وبينا غَيْلان بن خرَشَة، يسيرُ مع [عبد اللّه][٧] بن عامر، إذ وَرَدَا على نهر أمِّ عبد اللّه[٨] فقال ابنُ عامر: ما أنفعَ هذا النهرَ لأهل هذا المصر! قال غيلان: أجَلْ أيها الأمير، واللّه إنهم ليَسْتَعْذبُونَ[٩] منه، وتفيضُ مياهُهم إليه، ويتعلمُ صبيانهم فيه العَوم، وتأتيهمْ ميرَتهم[١٠] فيه.

فلما أن كان بعد ذلك سايَرَ ذاتَ يوم زياداً – وكان زيادٌ عدُوّاً لابن عامر – فقال زياد: ما أضَرَّ هذا النهرَ بأهل هذا المصر! فقال: أجَلْ واللّه أيها الأمير! تنِزُّ منه دُورُهم، ويغرقُ فيه صبيانهم، ويُبْعَضون ويُبَرْغَثُونَ[١١]!

---

(١) ديوان الفرزدق ١/٣٨٩ (دار صادر)، ٤٨٧ (الصاوي)، والكامل ٢/٧٣ (المعارف)، والكنايات للجرجاني ٧٤، وزهر الآداب ٥٦، والفاضل ١١١.

(٢) الحريص: ذو الحرص؛ والحرص: الجشع.

(٣) علق ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٢٤ «ليدن» على هذا البيت بقوله: «يريد: أوليتها خفيف اليد، يعني في الخيانة، فاضطرته القافية إلى ذكر القميص. ورافداه: دجلة والفرات».

(٤) المخاض: الحوامل من النوق. القلوص: الشابة من الإبل. إفال: جمع أفيل؛ وهو الفصيل. وفي البيت إشارة إلى أن بني فزارة يرمون بإتيان الإبل. انظر زهر الآداب ٥٦.

(٥) تفيهق: من التفيهق في الكلام، وهو التوسع فيه والتنطع. الخبيص: حلوى تصنع من التمر والسمن.

(٦) الخبر في البيان ١/٣٩٤ – ٣٩٥، والعمدة ١/٤٨، (باب البلاغة).

(٧) زيادة من البيان والعمدة.

(٨) نهر أم عبد اللّه: بالبصرة؛ منسوب إلى أم عبد اللّه بن عامر بن كريز أمير البصرة في أيام عثمان. معجم البلدان ٥/٣١٧.

(٩) يستعذبون: يستقون.

(١٠) الميرة: الطعام يمتاره الإنسان، أي يجتلبه.

(١١) يبعضون: يؤذيهم البعوض. يبرغثون: يؤذيهم البرغوث.

القول في العصافير

وسنقول باسم الله وعونه في العصفور بجملةٍ من القول.

وعلى أنّا قد ذكرنا من شأنه أطرافاً ومقطَّعاتٍ من القول تفرّقْنَ في تضاعيف تلك الأصناف. وإذا طال الكلامُ وكثُرت فنونه، صار الباب القصيرُ من القولِ في غماره مُسْتَهْلَكاً، وفي حومته غَرِقاً، فلا بأسَ أن تكون تلك الفقرُ مجموعاتٍ، وتلك المقطَّعاتُ موصولاتٍ، وتلك الأطراف مستقصياتٍ مع الباقي من ذِكْرِنا فيه؛ ليكون البابُ مجتمعاً في مكانٍ واحد. فبالاجتماع تجتمع القوة، ومن الأبعاض يلتئم الكُلُّ، وبالنظام تظهرُ المحاسن.

١٣٤٩ - [دعوى الإحاطة بالعلم]

ولستُ أدَّعي في شيء من هذه الأشكالِ الإحاطة به، والجمعَ لكل شيء فيه. ومن عَجَز عن نظم الكثير، وعن وضعه في مواضعه - كان عن بُلوغ آخره، وعن استخراج كل شيء فيه أعجز. والمتحَ[١] أهونَ من الاستنباط[٢]، والحصْدُ أيسَرُ من الحرث.

وهذا البابَ لو ضمَّنه على كتابه من هو أكثرُ مني رواية أضعافاً، وأجود مني حفظاً بعيداً، وكان أوسع مني علماً وأتمَّ عزماً، وألطفَ نظراً وأصدَقَ حسّاً، وأغوصَ على البعيد الغامض، وأفهَمَ للعويص الممتنع، وأكثرَ خاطراً وأصحَّ قريحةً، وأقلَّ سآمَةً، وأتمَّ عنايةً، وأحسنَ عادةً مع إفراط الشهوةِ، وفراغ البال، وبُعْدِ الأمَل، وقوة الطمعِ في تمامه، والانتفاعِ بثمرته، ثم مُدَّ له في العمر، ومكَّنته المقدرة - لكان قد ادَّعى مُعْضلة، وضمِنَ أمراً معجزاً، وقال قولاً مرغوباً عنه، متعجّباً منه؛ ولكان لغْواً ساقطاً، وحارضاً بَهْرَجاً[٣]؛ ولكان ممن يفضلُ قوله على فعله، ووَعدُه على مقدار إنجازه؛ لأن الإنسان، وإن أُضيفَ إلى الكمال وعُرف بالبَراعة، وغَمَرَ[٤] العلماء؛ فإنه

---

(١) المتح: جذب الماء بالدلو من رأس البئر.

(٢) الاستنباط: استخراج الماء بحفر الأرض وبحثها.

(٣) الحارض: الفاسد الضعيف. البهرج: الرديء.

(٤) غمر العلماء: علاهم شرفاً.

لا يكْمُلُ أن يُحيط علمُه بكلٍّ ما في جناحِ بَعوضة، أيام الدنيا، ولو استمد بقوة كلِّ نظَّارٍ حكيم؛ واستعارَ حِفظ كلّ بحّاثٍ واعٍ[١]؛ وكلِّ نَقَّاب في البلاد، ودَرّاسة للكتب.

وما أشكُّ أَن عندَ الوُزراء في ذلك ما ليس عند الرعيَّة من العلماء، وعند الخلفاء ما ليس عند الوزراء، وعند الأنبياء ما ليس عند الخلفاء، وعند الملائكة ما ليس عند الأنبياء، والذي عندَ اللّه أكثر، والخلقُ عن بلوغه أعجز، وإنما عَلَّمَ اللّهُ كلَّ طبقة من خَلْقه بِقَدْرِ احْتمالِ فِطَرِهم، ومقدارِ مَصْلحتهم.

١٣٥٠ - [القول في قوله تعالى: ﴿علَّمَ آدمَ الأسماء كلها﴾]

فإن قلت: فقد علَّم اللّهُ عزّ وجلَّ آدمَ الأسماءَ كلّها[٢] - ولا يجوز تعريفُ الأسماء بغير المعاني - وقلتَ: ولولا حاجةُ الناس إلى المعاني، وإلى التعاوُن والترَافُد، لَمَا احتاجوا إلى الأسماء. وعلى أن المعانيَ تفضلُ[٣] عن الأسماء، والحاجات تجوز مقاديرَ السِّمات، وتفوت ذَرْع العلامات[٤] فممَّا لا اسم له خاصٌّ الخاصّ. والخاصِّيَّاتُ كلها ليست لها أسماءٌ قائمة.

وكذلك تراكيب الألوان، والأرابيح، والطعوم، ونتائجها.

وجوابي في ذلك: أن اللّه عزّ وجلّ لم يخبرْنا أنه قد كان علَّم آدمَ كلّ شيء يعلمه تعالى، كما لا يجوز أن يُقْدِرَه على كلِّ شيء يقدرُ عليه.

وإذا كان العبدُ المحدودُ الجسمِ، المحدود القوَى، لا يبلُغ صِفةَ ربِّه الذي اخترعه، ولا صفةَ خالقه الذي ابتدعه - فمعلومٌ أنه إنما عَنَى بقوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّهَا﴾[٥] عِلْمَ مصلحتِه في دُنياه وآخرته.

وقال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٦]. وقال اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحرٍ مَا نَفِدَتْ

(١) واعٍ: حافظ.
(٢) انظر المزهر ١/٢٨.
(٣) تفضل: تزيد.
(٤) الذرع: الطاقة. العلامات: السمات.
(٥) ٣١/ البقرة: ٢.
(٦) ٧٦/ يوسف: ١٢.

كَلِمَاتُ اللّهِ ﴾(١). وقال اللّه تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾(٢). وقال تَقَدَّسَتْ أسماؤه: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ ﴾(٣). وقال اللّه عَزَّ وجلّ: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعلَمُونَ ﴾(٤).

وهذا الباب من المعلوم، غيرُ باب عِلْم ما يكونُ قبلَ أن يكون؛ لأن بابَ (كَانَ) قد يُعْلَمُ بعضُه، وبابُ (يكون) لا سبيل إلى معرفةِ شيء منه. والمخاطبةُ وقَعَتْ على جميعِ المتعبِّدين، واشتملت على جميع أصنافِ الممتَحَنين، ولم تقع على أهْلِ عَصْرٍ دونَ عصر، ولا على أهل بلدٍ دونَ بلد، ولا على جنسٍ دونَ جنس، ولا على تابع دون متبوع ولا على آخرٍ دونَ أوَّل.

أجناس الطير التي تألفُ دورَ الناس

العصافير، والخطاطيف، والزّرازِير، والخفافيش. فبين هذه [وبين الناس](٥) مناسَبَةٌ ومُشاكلة، وإلْفٌ ومحبّةٌ.

والخطاطيفُ تقطع(٦) إليهمْ وتعزُب(٧) عنهم. والعصافير لا تفارقهم. وإن وجدَتْ داراً مبنيةً لم تَسْكنْها حتى يَسْكُنَها إنسان. ومتى سكنتها لم تُقِم فيها إذا خرج منها ذلك الإنسان. فبفراقه تُفارِق، وبسُكناه تسكُن، وهذه فضيلةٌ لها على الخطاطيف.

والحمام لا يقيمُ معهم في دُورهم إلا بعد أن يثبِّتوه ويعلِّموه، ويُرتِّبوا حاله ويدرِّجوه. ومنها ما هو وحشيٌّ طُوراني(٨)، وربما توحّش بعد الأُنْس والعصافير على خلاف ذلك، فلها بذلك فضيلةٌ على الحمام، وعلى الخُطَّاف.

(١) ٢٧/ لقمان: ٣١.
(٢) ٧/ الروم: ٣٠.
(٣) ٣١/ المدثر: ٧٤.
(٤) ٨/ النحل: ١٦.
(٥) إضافة يقتضيها المعنى.
(٦) تقطع: تنتقل من بلد إلى آخر.
(٧) تعزب: تبعد.
(٨) الطوراني: في معجم البلدان ٤ / ٢٤ (طرآن): «قال أبو حاتم: حمام طرآني؛ من طرأ علينا فلان أي طلع، ولم نعرفه، قال: والعامة تقول طوراني وهو خطأ» وفيه أيضاً: طرآن: جبل فيه حمام كثير؛ إليه ينسب الحمام الطرآني».

وقد يُدرَّب العصفورُ ويثَبَّتُ فيستجيبُ من المكان البعيد، ويثْبُتُ ويَدْجُن. فهو مما يثبُت ويُعايش الناسَ، من تلقاء نفسه مرةً، وبالتثبيتِ مرةً. وليس كذلك شيء مما يأوي إلى الناس من الطير.

وقد بلَغني أن بعضَ ما يستجيب منها قد دُرِّبَ فرجع من مِيل. فأما الهدايةُ من تلقاء نفسه فمن الفراسخ الكثيرة.

١٣٥١ - [انتقال العصافير إلى البساتين]

وحدَّثني حَمّوَيْه الخُرَيْبيّ وأبو جرَاد الهزَاردَريّ قالا: إذا كان زمان البيادر لم يبق بالبصرة عُصفورٌ إلا صارَ إلى البساتين، إلا ما أقام عَلَى بيضه وفراخه. وكذلك العصافير إذا خَرَجَ أهلُ الدّار من الدَّار، فإنه لا يقيمُ في تلك الدار عُصفُورٌ إلا عَلَى بيض أو فِراخ. فإذا لم يكنْ لها استَوْحَشَتْ، والتمستْ لأنفسها الأوكارَ في الدُّور المعمورة. ولذلك قال أبو يعقوب إسحاقُ الخُرَيمي[١]: [من المنسرح]

فتلك بغدادُ ما تَبنَّى من الْـ ... وَحْشةِ في دُورِها عصافِرُها

قالا[٢]: فعلى قدْرِ قُرب القبائل من البساتين سبقُ العصافير إليها، فإذا جاءت العصافيرُ التي تلي أقرب القبائل منها إلى أوائل البساتين فوجدت عصافير ما هو أقربُ إليها منها قد سبقت إليها تعدَّتها إلى البساتين التي تليها وكذلك صنيعُ ما بَقِيَ من عصافير القبائل الباقية حتى تصير عصافير آخر البصرة إلى آخر البساتين. وذلك شبيهٌ بعشرين فَرْسخاً. فإذا قضت حاجتها، وانقضى أمرُ البيادر أقبلت من هناك، على أمارات لها معروفةٍ، وعلامات قائمة، حتى تصير إلى أوكارها.

١٣٥٢ - [ضروب الطير]

والطيرُ كله على ثلاثة أضرب: فضربٌ من بهائم الطير، وضربٌ كسباع الطير، وضربٌ كالمشترَك المركَّب منها جميعاً[٣].

فالبهيمة كالحمام وأشباه الحمام، مما يَغتذي الحبوبَ والبزُورَ والنبات، ولا يغتذي غير ذلك.

---

(١) ديوان الخريمي ٣٢.

(٢) يقصد حمويه وأبا جراد اللذين ورد اسمهما في بداية الفقرة.

(٣) انظر عيون الاخبار ٢/ ٨٩.

والسبع[1]: الذي لا يَغْتَذِي إلا اللحم.

وقد يأكل الأسدُ الملحَ[2]، ليس على طريق التغذي، ولكن على طريق التَّملُّح والتحمُّض.

١٣٥٣ - [ما يشارك فيه العصفور بهائم الطير]

فممَّا يُشاركُ فيه العصفور بهائم الطَير، أنه ليس بذي مخْلَبٍ ولا مِنْسَر[3]، وهو مما إذا سقط على عُودٍ قَدّم أصابعه الثلاثَ، وأخَّر الدّابرة[4]. وسباعَ الطير تقدِّم إصْبَعَينْ، وتؤخِّر إصبَعَيْنِ.

ومما شارك فيه السَّبع[5] أنَّ بهائم الطير تزقّ فراخها، والسِّباع تُلقِم فِرَاخها.

١٣٥٤ - [ضروب الفراخ]

والفراخ على ثلاثة أضربٍ: ففرخٌ كالفرُّوج لا يُزَق ولا يُلْقَم؛ وهو يظهر كاسباً[6]. وفرخ كفرخ الْحمام وأشباه الحمام، فهو يُزَقُّ ولا يُلْقَم. وفرخ كفرخ العُقاب والبازِي، والزرّقُ، والشاهين والصقر، وأشباهِها من السِّباع فهو يُلقَم ولا يُزقّ. فأشبهها العُصفورُ من هذا الوجه.

وفيه من أخلاق السِّباع[7]: أنه يصيد الجرادة، والنملَ الطيَّار، ويأكل اللحم، ويُلقِم فراخَه اللحم.

وليس في الأرض رأسٌ أشبَهُ برأس حَيَّةٍ من رأس عصفور[8]

١٣٥٥ - [الأجناس التي تعايش الناس]

والأجناس التي تعايش الناس: الكلبُ، والسِّنّور، والفرَس، والبعير، والحمار، والبغل، والحمام، والخُطَّافَ، والزّرزور، والخُفَّاش، والعصفور.

---

(١) أي السبع من سباع الطير.

(٢) انظر ما تقدم في ٣/١٢٧، الفقرة (٧٢٢).

(٣) المنسر: منقار الطير الجارح.

(٤) الدابرة: الإصبع التي من وراء رجل الطائر، وانظر عيون الأخبار ٢/٨٩.

(٥) أي السبع من سباع الطير.

(٦) كاسباً: أي يكسب القوت لنفسه منذ يخرج من بيضته.

(٧) عيون الأخبار ٢/٨٩.

(٨) ربيع الأبرار ٥/٤٥٤.

١٣٥٦ - (أطول الحيوان عمراً وأقصره)

قالوا[١]: وليس في جميعها أطولُ عُمْراً من البغل، ولا أقْصَرُ عمراً من العصفور.

قالوا: ونظن ذلك إنما كان لقلّة سفاد البغل، وكثرة سفاد العصفور.

ويزعمون أن محمدَ بنَ سليمان أنزَى البغالَ على البغلات، كما أنزَى العتاق على الحُجور، والبَرَاذينَ[٢] على الرِّماك[٣]، والحمير على الأتن[٤]، فوجد تلك الفُحُولة من البغال بأعيانها، أقصَرَ أعماراً من سائر الحافر، حين سوَّى بينها في السِّفاد، ووَجد البغالَ تلقح إلقاحاً فاسداً لا يتمّ ولا يعيش.

وذكروا أن قِصَر العُمر لم يعرض لإناثها كما عَرَض لذكورتها.

وهذا شبيهٌ بما ذكر صاحبُ المنطق[٥] في العصافير، فإنه ذكر أن إناثها أطولُ أعماراً. وأن ذكورتها لا تعيش إلا سنةً واحدة.

١٣٥٧ - [السمن يجعل الأنثى عاقراً]

والمرأة تنقطع عن الحَبَل قبل أن ينقطعَ الرجُلُ عن الإحبال بدَهْر، وتُفرط في السمن فتصيرُ عاقراً، ويكونُ الرجُلُ أسْمَنَ منها فلا يصير عاقراً.

وكذلك الحجر، والرَّمَكَة، والأتان. وكذلك النخلة المطعِمَة. ويَسْمَنُ لُبُّ الفُحَّال[٦] فيكون أجْوَد لإلقاحه. وهما يختلفان كما ترى.

١٣٥٨ - [الأجناس الفاضلة من الحيوان]

وللعصفور فضيلة أُخرى. وذلك أنَّ من فضْل الجنْس أن تتميز ذكورتُه في العين من إناثه، كالرجل والمرأة، والدِّيك والدجاجة، والفُحال والمُطعِمة، والتَّيْسِ والصفيَّة[٧]، والطاوس، والتُّدْرُج[٨]، والدُّرَّاج[٩] وإناثها.

---

(١) ربيع الأبرار ٥/٣٩٧.

(٢) البرذون: هو من الخيل ما كان أبواه أعجميان. حياة الحيوان ١/١٦٨.

(٣) الرمكة: أنثى البرذون. حياة الحيوان ١/٥٢٨.

(٤) الأتن: جمع أتان: الحمارة. حياة الحيوان ١/٢٧.

(٥) أي أرسطو.

(٦) الفحال: ذكر النخل.

(٧) الصفية: أنثى المعز

(٨) التدرج: طائر كالدراج يغرد في البساتين بأصوات طيبة، يكون بأرض خراسان وغيرها من بلاد فارس. حياة الحيوان ١/٢٣٠.

(٩) الدراج: طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر على خلقة القطا؛ إلا أنه ألطف. حياة الحيوان ١/٤٧٧.

وليس ذلك كالحجْر والفرَس، والرَّمَكة والبرذَون، والناقة والجمل، والعير والأتان، والأسد واللَّبُؤَة، فإن هذه الأجناسَ تُقبلُ نحوَك فلا ينفصل في العين الأنثى من الذكر، حتى تتفقّدَ مواضع القُنْبِ[1] والأطْباء[2]، وموضعِ الضّرع والثِّيل[3]، وموضعَ ثَفْر الكلبة[4] من القضيب.

لأنّ للعُصفور الذّكَرِ لحيَةً سوداء. وليس اللحية إلا للرجل والجمل، والتيس، والدِّيك، وأشباه ذلك. فهذه أيضاً فضيلةٌ للعُصفور. وذكر ابنُ الأعرابيِّ أن للناقة عُثْنُوناً[5] كعثنونَ الجمل، وأنها متى كان عُثنونها أطْوَلَ كان فيها أحْمَدَ.

١٣٥٩ - [حب العصافير فراخها]

وليس في الأرض طائرٌ، ولا سبعٌ ولا بهيمةٌ، أحْنى على ولد، ولا أشدّ به شغَفاً، وعليه إشفاقاً[6] - من العصافير. فإذا أصيبت بأولادها، أو خافَتْ عليها العَطب، فليس بينَ شيء من الأجناسِ من المساعدة، مثلُ الذي مع العصافير، لأن العصفورَ يرى الحيَّةَ قد أقبلت نحو حجره وعُشّه ووكره، لتأكُلَ بيضه أو فراخه، فيصيح ويُرَنِّق[7] فلا يسمعُ صوته عُصفورٌ إلا أقبل إليه وصنَعَ مثلَ صنيعه، بتحرُّق ولوعة، وقَلَقٍ، واستغاثةٍ وصراخ، وربما أفلت الفرْخ وسقط إلى الأرض - وقد ذهبت الحيّة - فيجتمعن عليه، إذا كان قد نَبَتَ ريشه أدنى نبات، فلا يزلْنَ يُهَيِّجْنَهُ، ويَطِرْنَ حوله، لعلمها أن ذلك يحدثُ للفرْخ قوةً عَلَى النُّهوض فإذا نهضَ طِرْنَ حواليه ودونه، حتى يحتثْثْنَهُ[8] بذلك العمل.

وكان الخُرَيميّ ينشد[9]: [من الرجز]

واحْتَثَّ كلُّ بازلٍ ذَقُونِ   حتى رفَعْنَ سَيْرَةَ اللَّجُونِ[10]

---

(١) القنب: وعاء قضيب الدابة.

(٢) الأطباء: حلمات الضرع التي من خُفٍّ وظلف وحافر وسبع، وهي جمع طِبْي.

(٣) الثيل: وعاء قضيب البعير وغيره.

(٤) الثفر: كالحياء للناقة، وهو لكل ذات مخلب.

(٥) العثنون: شُعَيْرات طوال تحت حنك البعير.

(٦) الشعف: أن يذهب الحب بفؤاده.

(٧) رنق الطائر: خفق بجناحيه في الهواء وثبت ولم يطر.

(٨) الحث: الاستعجال.

(٩) ديوان الخريمي ٨٠، وبلا نسبة في اللسان (خدر)، والتهذيب ٧/ ٢٦٦.

(١٠) في ديوانه، احتث: أسرع في سيره. البازل من الإبل: ما كان في التاسعة. الذقون: التي تميل ذقنها إلى الأرض تستعين بذلك على السير. اللجون: الثقيل المشي من الإبل.

وينشد[1]: [من الرجز]

واحْتَثَّ مُحْتَثَّاتُهَا الخَدُورا[2]

وتقول العرب[3]: «العاشِية تهيجُ الآبية»[4].

ولو أن إنساناً أخذ فرْخَيْ عُصْفورٍ من وكره، ووضعهما بحيثُ يراهما أبواهما في منزله، لوجدَ العصفور يتقحّم في ذلك المنزل، حتى يدخل في ذلك القفص، فلا يزالُ في تعهُّده بما يُعيشه حتى يستغنِيَ عنه. ثم يحتملانِ في ذلك غاية التغْريرِ والخِطار؛ وذلكَ من فرط الرِّقَّة على أولادهما.

١٣٦٠ - [ضروب الحيوان التي لا تمشي]

وأجناس الحيوان التي لا تستطيع أن تُسمحَ[5] بالمشي ضروب: منها الضبع، لأنها خُلقت عرْجاء، فهي أبداً تخمَع. قال الشاعر[6]: [من الوافر]

وجاءتْ جَيْأَلٌ وأبو بنيها أَحَمُّ المَأْقِيَيْنِ به خُمَاعُ[7]

وقال مدرك بن حِصْن[8]: [من الطويل]

من الغُثْرِ ما تَدْرِي أرجُلُ شمالُها بها الظَّلع إمَّا هَرْوَلَتْ أمْ يَمينُها[9]

---

(١) الرجز للعجاج في ديوانه ١/٥٣٣، وبلا نسبة في اللسان والتاج (خدر).

(٢) في اللسان: «الخدور: التي تخلفت عن الإبل، فلما نظرت إلى التي تسير سارت معها».

(٣) مجمع الأمثال ٢/٩، وجمهرة الأمثال ٢/٥٧، والمستقصى ١/٣٣١، وفصل المقال ٥١٦، والفاخر ١٦٠، وأمثال ابن سلام ٣٩٤.

(٤) العاشية: واحدة العواشي، وهي الإبل والغنم التي ترعى بالليل. الآبية: التي تأبى الرعي.

(٥) أسمحت: انقادت.

(٦) البيت لمشعث العامري في الأصمعيات ١٤٨، ومعجم الشعراء ٤٤٧، والمعاني الكبير ٢١٥، والدرة الفاخرة ٢/٣٩٩، ومجمع الأمثال ٢/٣٥٥، واللسان (جأل)، والتاج (خمع)، وللمثقب العبدي في ملحق ديوانه ٢٧٧، واللسان (خمع)، وبلا نسبة في أساس البلاغة (مأق)، والجمهرة ١١٧٠، والبرصان ١٦٢، والمذكر والمؤنث للأنباري ١٠٨.

(٧) جيأل: علم جنس لأنثى الضبع؛ غير مصروف للعلمية والتأنيث، وصرف هنا للشعر. أحم: أسود. المأق: طرف العين مما يلي الأنف. الخماع: العرج.

(٨) البيت لمدرك بن محصن في اللسان والتاج (ظلع)، والبرصان ١٦٤، وبلا نسبة في اللسان (عرن).

(٩) الغثراء: الغبراء أو قريب منها، واسم الضبع.

والذئب أقزل[١] شَنِج[٢] النسا، وإن أُحِثَّ إلى المشي فكأنه يتوجَّى[٣].

وكذلك الظَّبيُ، شَنِجُ النَّسا، فهو لا يُسْمِحُ بالمشي. قال الشاعر[٤]: [من الهزج]

وقُصْرَى شَنِجِ الأنسا ءِ نبَّاحٍ من الشُّعْبِ[٥]

ظبيٌ أَشعب: إذا كان بعيد ما بين القرنين. ولا يسمع له نُباح. وإذا أراد العَدْو، فإنما هو النَّقْز[٦] والوثب، ورفع القوائم معاً.

ومن ذلك الأسد فإنه يمشي كأنه رَهِيص[٧]، وإذا مشى تخَلَّع[٨].

قال أبو زبيد[٩]: [من البسيط]

إذا تبهْنَسَ يمشي خِلْتَهُ وعِثاً وعَتْ سواعدُ منه بعد تكسيرِ[١٠]

ومن ذلك الفرسُ، لا يُسمِح بالمشْي. وهو يوصف بشَنَج النسا.

وقال الشاعر[١١]: [من الرمل]

شَنِج الأنْساءِ من غيرِ فَحَجْ[١٢]

---

(١) الأقزل: الأعرج الدقيق الساقين.

(٢) شنج النسا: متقبضه.

(٣) يتوجى: يشتكي باطن خفه.

(٤) البيت لأبي دؤاد الإيادي في ديوانه ٢٨٨، واللسان والتاج (شعب، شنج، نبح، قصر)، والمعاني الكبير ١٤٢، ولعقبة بن سابق في الأصمعيات ٤١، وبلا نسبة في همع الهوامع ٢ / ١٢٠، والمقرب ١/ ٢٢٨.

(٥) القصرى: أسفل الأضلاع.

(٦) النقز: الوثب.

(٧) الرهيص: من الرهص، وهو الفخر، وأن يصيب حافر الدابة شيء يوهنه.

(٨) تخلع: مشى مشية متفككة.

(٩) ديوان أبي زبيد الطائي ٦٢٣، والبرصان ١٤١.

(١٠) في ديوانه: «تبهنس: تبختر. وعثاً: يمشي في وعث، وهو ما كثر فيه الرمل. وعى الساعد: يقول كأنها قد انكسرت ثم جبرت بعد».

(١١) صدر البيت: (شَنِجُ المرسِن مجبولُ القرى)، وهو لعمرو بن العاص في البرصان ١٤٠.

(١٢) مجبول القرى: قوي الظهر. الفحج: تداني صدور القدمين وتباعد العقبين في المشي، وهو عيب في الفرس.

ومن ذلك الغراب، فإنه يحجِل كأنه مقيَّد. قال الشاعر[١]: [من الطويل]

كتاركٍ يوماً مشْيةٍ من سَجيَّةٍ لأُخْرى ففاتَتْه فأصبحَ يحجِلُ

وقال الطِّرِمّاح[٢]: [من الكامل]

شُنِجَ النسا أدفَى الجَناحِ كأنهُ في الدّار بعدَ الظَّاعِنين مُقيَّدُ[٣]

والسِّنّورُ، والفَهْد، وأشباهُهما في طريق الأسَد.

والحيَّة تمشي. ومنها ما يَثِب، ومنها ما ينتصِبُ ويقومُ على ذنَبه.

والأفعى إذا نَهشت أو انباعت للنَّهش[٤]، لم تستقلّ[٥] ببدنها كلِّه ولكنها تَستقِلُّ[٥] ببدنها الذي يلي الرأس، بحركةٍ ونَشْطٍ أسرعَ من اللَّمْح.

والجرادة تطير وتمشي وتطمر[٦]. فإذا صِرتَ إلى العصفور ذهب المشي البتّة. وأكثر ما عند البرغوث الطُّمور[٦] والوثوب.

وقال الحسنُ بن هانئ[٧] يصفُ رجلاً يفْلي القَمْلَ والبُرغوث بأنامله:

أو طامريٍّ واثبٍ لم يُنْجِهِ منه وِثابُهْ

لأن البرغوث مشّاء وثّاب.

قال: وقول الناس[٨]: «طامر بن طامر»[٩]، إنما يريدون البرغوث.

---

(١) البيت لأبي عمران الأعمى كما تقدم في ٤/٤١٨، الفقرة (١١٧١) وهو في العققة والبررة ٣٥٥ (نوادر المخطوطات)، ونسب إلى أبي عمران الأعجم في البرصان ١٤٠.

(٢) ديوان الطرماح ١٣٠ (١٠٩)، واللسان والتاج (شنج، حرق، وقال)، والعين ٨/٨١، والتهذيب ١٠/٤٥١، والمعاني الكبير ١٥١، والبرصان ٢٣، ١٤٠.

(٣) في ديوانه: «شنج النسا: أي قصير النسا متقبضه، وهو لا يسمح بالمشي، ولذلك يحجل الغراب. النسا: عرق يستبطن الفخذ. أدفى الجناح: طويل الجناح. الظاعنون: الراحلون عن الديار. يريد: أن هذا الغراب يألف الديار إذا رحل عنها أهلها، فكأه مقيد فيها».

(٤) النهش: العض. انباعت: بسطت نفسها.

(٥) تستقل: من قولهم: استقل الطائر في سطيرانه: إذا نهض للطيران وارتفع.

(٦) تطمر: تثب.

(٧) البيت في نهاية الأرب ١/١٧٨، والبرصان ١٤٣.

(٨) هذا القول من الأمثال في مجمع الأمثال ١/٤٣٢، والمستقصى ٢/٣٩٨، والفاخر ٥٨، وجمهرة الأمثال ١/٤٢، وثمار القلوب ٢١٣ (٤٢٢).

(٩) يقال المثل لمن لا يُعْرَف أبوه ولا يدري من هو.

والعصفور ليس يعرفُ إلا أنْ يجمعَ رجليه ثم يثب، فيضعهما معاً ويرفَعهما معاً. فليس عنده إلا النَّقزَانُ[1]. ولذلك سُمِّي العصفورُ نقَّازاً.

وهو العصفور والجمع عصافير، ونقَّاز والجمع نقَاقيز. وهو الصّعْو. ويزعمون أن العرب تجعلُ الخرّق[2] والقُنْبر، والحُمَّر، وأشباه ذلك كله، من العصافير. والعصفور طَيرَانه نَقَزانٌ أيضاً، فهو لا يُسمِحُ بالطيران كما لا يسمح بالمشي.

١٣٦١ - [شدة وطء العصفور والكلب]

وليسَ لشيء جسمُه مثلُ جسمِ العُصفور مراراً كثيرةً، من شدَّة الوطء، وصلابة الوقْع عَلَى الأرض، إذا مشى، أو عَلَى السطح - ما للعصفور، فإنك إذا كنتَ تحت السّطح الذي يمشي عليه العصفور حسِبتَ وقْعَه عليه وقْعَ حَجَر.

والكلبُ منعوتٌ بشدة الوطء، وكذلك الخصْيانُ من كل شيء. والعصفور يَأخذ بنصيبه من ذلك أكثرَ من قِسْط جِسْمِهِ من تلكَ الأجسام بالأضعاف الكثيرة.

١٣٦٢ - [ضروب الحيوان التي تمشي]

والذُّباب من الطير الذي يجيدُ المشي. ويمشي مشياً سَبْطاً حَثِيثاً، وحسناً مستوياً.

والقطاة مَليحةُ المِشْية، مقاربَة الخطْو.

وقد توصف مِشْيَةُ المرأة بمِشية القَطَاة. وقال الكُمَيت[3]: [من الكامل]

يمشينَ مَشْيَ قَطَا البُطاحِ تأوُّداً　　　قُبَّ البُطونِ رَوَاجِحَ الأكْفَالِ[4]

وقال الشاعر[5]: [من مجزوء الرمل]

يتمشين كما تمـ　　　شي قطا أو بقراتُ

لأن البقرةَ تتبخترُ في مِشْيتها.

---

(١) النقزان: الوثبان.

(٢) الخرّق: ضرب من العصافير.

(٣) ديوان الكميت ٢/٥٣، ومعجم الشعراء ٢٣٩، والبرصان ١٤٤، والحماسة البصرية ٢/٨٩، والأغاني ٨/٢٢٧، ١٦/١٥١، ولباب الآداب ٣٧١.

(٤) القبب: دقة الخصر وضمور البطن.

(٥) البيت بلا نسبة في البرصان ١٤٤، واللسان (شجا).

وقلت لابن دَبُوقاء[1]: أي شيء أول التَّشاجي[2]؟ قال: التباهُر والقَرْمَطة[3] في المشي. وقال[4]: [من مجزوء الكامل]

فدفعتُها فتدافعتْ   مَشْيَ القطاةِ إلى الغدير

وكلٌّ حيوان من ذوات الرجلين والأربع، إذا انكسرت لها قائمة تحامَلَت بالصحيحة، إلا النعامة فإنها تسقُط البتَّة.

١٣٦٣ - [كثرة سفاد العصفور]

قال[5]: وكثرةُ عدد السِّفاد، والمبالغة في الإبطاء، والدّوامُ في كثرة العدد لضروبٍ من الحيوان - فالإنسانُ يغلبُ هذه الأجناس بأن ذلك دائم منه في جميع الأزمنة. فأما الإبطاءُ في حال السِّفاد فللجمل والورَل والذِّبّان والخنازير. فهذه فضيلةُ لذة لهذه الأجناس والأصناف. فأما كثرةُ العدَد فللعصافير.

١٣٦٤ - [سفاد التيس]

وقد زعم أبو عبد الله العتبيّ الأبْرَصُ، وكان قاطعَ الشهادة عند أصحابنا البَصريِّين - أن الذي يقال له المِشْرَطِيُّ قَرَعَ في يومٍ واحدٍ نيفاً وثمانين[6] قَرْعة.

إلا أن ذلك منه ومن مثله ينمحقُ؛ حتى يعودَ جافراً[7] في الأيام القليلة.

١٣٦٥ - [تيس بني حمَّان]

وبنو حمّان يزعمون أن تيسَ بني حمّان قَرَع وألقَحَ بعد أن ذُبح[8]. وفخَرُوا بذلك، فقال بعضُ من يهجوهم: [من الطويل]

وألهى بَنِي حِمّان عَسْبُ عَتُودِهم   عن المجْدِ حتى أحْرَزَتْه الأكارمُ[9]

---

(١) هذا الخبر نقله ابن منظور عن الجاحظ في اللسان، مادة (شجا)، ١٤/٤٢٤.

(٢) التشاجي: تمنُّع المرأة وتحازنها.

(٣) التباهر: إظهار البُهر، وهو انقطاع النفس من الإعياء. القرمطة: مقاربة الخطو.

(٤) البيت للمنخل اليشكري في الأغاني ٢١/٣، والأصمعيات ٦٠، وبلا نسبة في أساس البلاغة (شطو).

(٥) انظر رسائل الجاحظ ٢/٣١٥ - ٣١٦ (كتاب البغال).

(٦) سيأتي الخبر ص ٢٥٣.

(٧) أجفر الرجل: انقطع عن الجماع.

(٨) ثمار القلوب (٥٦٤) وفيه أن تيس بني حمان قَفَط سبعين عنزاً بعدما فُريت أوداجه.

(٩) العسب: ماء الفحل. العتود: الجدي قد بلغ السفاد، والبيت للفرزدق في ربيع الأبرار ٥/٤٠٩.

١٣٦٦ - [زعم لصاحب المنطق في سفاد الثور]

وزعمَ صاحبُ المنطق، في كتاب الحيوان، أن ثَوْراً فيما سلف من الدهر سَفِدَ وأَلْقَحَ من ساعته بعد أنْ خُصِي.

فإذا أفرطَ المديحُ وخرجَ من المقدار، أو أفرطَ التعجيبُ وخرج من المقدار - احتاج صاحبُه إلى أن يثْبته بالعيان، أو بالخبر الذي لا يكذّبُ مثله، وإلا فقد تعرَّض للتكذيب.

ولو جعلوا حركتهم خبراً وحكاية، وتبرؤوا عن عيْبه - ما ضرَّهم ذلك، وكان ذلك أصْوَن لأقدارهم، وأتمَّ لمروءات كتبهم.

١٣٦٧ - [القول في الجناح واليد والرجل]

وقالوا: وكلُّ طائر جيِّد الجناح، يكونُ ضعيفَ الرجلين، كالزُّرزُور والخُطَّاف؛ وجناحاهما أجْود من جناح العصفور. ورجل العُصفور قويَّة.

والجناحان هما يدا الطائر؛ لأنهم يجعلون كلَّ طائر وإنسان ذا أربع: فجناحا الطائر يداه، ويدا الإنسان جناحاه. ولذلك إنْ قُطعت يدُ الإنسان لم يُجِد العَدْو. وكذلك إن قُطِعَتْ رجلُ الطائر لم يُجد الطَّيران.

والدابة قد تقوم على رجليها دون يديها، والإنسان قد يمشي على أربع. قالوا: فَهُم في عدد الأيدي والأرجل سواء. وفي الآلات الأربع؛ إلا أن الآلة تكونُ في مكان ببعض الأعمال أليَقَ، وهو عليها أسهل، فتجذبُها طبائعها إلى ما فيها من ذلك، كمشي الدابة عَلَى يديها، وثِقَل ذلك على الإنسان.

والحمام يضربُ بجناحه الحمامَ، ويقاتلُه به، ويدفع به عن نفسه. فقوادمه[١] هي أصابعه، وجناحُه هُو يدُه، ورجله كالقدم. وهي رجلٌ وإنْ سمّوها كفّاً، حين وجدوها تكفُّ به، كما يصنع الإنسانُ بكفِّه.

وكلُّ مقطوعِ اليدينِ، وكل من لم يُخلق له يدانِ فهو يصنعُ برجليه عامَّةَ ما يصنَعُه الوافرُ الخلق بيديه.

وكل سبُع يكون شديدَ اليدين فإنه يكونُ ضعيفَ الرجلين.

وكل شيء من ذوات الأربع، من البراثن والحوافر، فإن أيديَها أكبرُ من أرجُلها. والناس أرجلهم أكبرُ من أيديهم، وأقدامهم أكبر من أكفِّهم.

---

(١) القوادم: أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح، الواحدة قادمة.

وجعلوا رُكَبَهُم في أرجُلهم، وجعلوا رُكَبَ الدّواب في أيديها.

١٣٦٨ - [فائدة العصافير وضررها]

وللعصافير طَبَاهجَات[١] وقلايا[٢] تُدْعَى العصافيريَّة، ولها حَشاوي يطعمها العوامّ المَفلوجَ. والعوامُّ تأكلها للقوَّة على الجماع. وعِظامُ سُوقِها وأفخاذِها أحَدُّ وأذْرَب من الإبر. وهي مَخُوفةٌ على المعدة والأمعاء.

وهي تخرِّب السُّقف تخريباً فاحشاً. وتجتلبُ الحيّات إلى منازل الناس؛ لحرْص الحياتِ على ابتلاع العصافير وفراخها وبيضها.

١٣٦٩- [عمر العصفور والذباب والبغل]

والذين زعموا أن ذكورتها لا تعيش إلا سنةً، يحتاجون إلى أن يعرِّفوا الناس ذلك. وكيفَ يستطيعون تعريفَهم؟!

وقد تكون القُرى بقُرب المزارعِ والبيادر مملوءة عصافيرَ، ومملوءة من بَيْضها وفراخها، وهم مع ذلك لم يروْا عصفوراً قط ميتاً.

والذين يزعمون أن الذبابَ لا يعيشُ أكثر من أربعين يوماً، وكانوا لا يكادون يروْن ذبابة ميتة - أعْذرُ، لأنهم ذهبوا إلى الحديث[٣]. وأصحاب الحديث لا يؤاخذون بما يؤاخَذ به الفلاسفة.

والذين زعموا أن البغل إنما طال عمره لقلَّة السِّفاد، والعصفورَ إنما قصُرَ عمره لكثرة السِّفاد وغُلمته[٤] - لو قالوا بذلك عَلى جهة الظنِّ والتقريب، لم يلُمْهم أحد من العلماء. والأمور المقرّبة غيرُ الأمور الموجَبة، فينبغي أن يعرفوا فصْل ما بين الموجب والمقرَّب، وفصلَ ما بين الدليل وشبه الدليل ولعلّ طول عمر البغل يكون للذي قالوا، ولشيء آخر.

وليس ينبغي لنا أن نجزمَ على هذه العلّة فقط، إلا بعد أن يحيط علمنا بأن عمرَه لم يفْضُلْ على أعمار تلكَ الأجناس إلا لهَذه العلّة.

---

(١) طباهجات: جمع طباهجة، وهو ضرب من قلي اللحم، وهو ما يسمى «الكباب». انظر المخصص ٤ /١٢٨، ومعجم البلدان (كباب).

(٢) قلايا: جمع قلية، وهي اللحم المقلي.

(٣) ورد الحديث في ٣ /١٥١، الفقرة (٧٦٥)، وهو «أن عمر الذباب أربعون يوماً».

(٤) انظر ما تقدم في فقرة ١٣٥٦ ص ١١٥ - ١١٦.

١٣٧٠ - [بعض خصال العصفور]

والعصفورُ لا يستقرُّ ما كان خارجاً من وكْره، حتى كأنه في دوام الحركة وصبيٌّ. له صوت حديدٌ مؤْذ.

وزعموا أن البُلبل لا يستقر أبداً وهذا غَلَطٌ، لأن البُلبل إنما يقْلَقُ لأنه محصورٌ في قفص. والذين عاينوا البلابلَ والعصافير في أوكارها، وغير محصورة في الأقفاص، يعلَمون فضلَ العصفورِ عَلَى البُلبل في الحركة.

فأما صدْق الحسِّ، وشدَّة الحذَر، والإزكان[١] الذي ليس عند خبيث الطير[٢]، ولا عند الغُرَاب[٣] - فإن عند العصفور منه ما ليسَ عندَ جميع ما ذكرنا، لو اجتمعت قواهم، ورُكِّبوا في نصاب واحد.

من ذلك أنه يغمّ بحدَّة صوته بعضَ من يقرُب منه، فيصيح به ويُهوي بيديه إلى الأرض كأنه يريد أن يرميَه بحجر فلا يراه يحفِل بذلك. فإن وقعت يدُه على حصاةٍ طارَ من قبل أن يتمكّنَ من أخذها.

١٣٧١ - [علة العداوة بين الحمار وعصفور الشوك]

وزعم صاحبُ المنطق أن بين الحمار وعصفورِ الشَّوك عداوةً. وقال: لأن الحمارَ يدخل الشجر والشّوك، فربما زاحَمَ الموضع الذي فيه وكْرُه فيبدِّد عُشَّه. وربما نهق الحمارُ فسقَطَ فرخُ العُصفور أو بيضه من جوفِ وكْره. قال: ولذلك إذا رآه العصفورَ رنَّق[٤] فوقَ رأسه، وعلى عينيه، وآذاه بطيرانه وصِياحه.

وربّما كان العصفورُ أبْلَق[٥]. ويصابُ فيه الأصبغ[٦]، والجرادِيّ[٧]، والأسود، والفيقع[٨]، والأغْبَس[٩]. فإذا أصابوه كذلك باعوه بالثَّمن الكثير.

---

(١) الإزكان: الفطنة والحدس الصادق.

(٢) الخبيث: الخداع.

(٣) من الأمثال قولهم: «أحذر من غراب»، والمثل في مجمع الأمثال ١/٢٢٦، وجمهرة الأمثال ١/٣٤٣، ٣٩٦، والمستقصى ١/٦٢.

(٤) رنّق الطائر: خفق بجناحيه ورفرف ولم يطر.

(٥) البلق: سواد وبياض.

(٦) الأصبغ: المبيض الذنب.

(٧) الجرادي: الذي لونه لون الجراد.

(٨) الفقيع: الأبيض.

(٩) الأغبس: الذي لونه لون الرماد.

١٣٧٢ - [تأويل عبد الأعلى][1]

وقال أبو بدر الأُسَيديّ: قيل لعبد الأعلى القاصّ: لم سمّي العصفورُ عُصفوراً؟ قال: لأنه عَصى وفرّ. وقيل: ولم سمّي الطَّفْشيل[2] طفشيلاً؟ قال: لأنه طفا وشال. وقيل له: لم سمي الكلبُ القَلَطيُّ قَلَطيّاً؟[3] قال: لأنه قلَّ ولَطِئَ. وقيل له: لم سمي الكلبُ السَّلوقيُّ سَلوقيّاً؟ قال: لأنه يستَلّ ويَلقَى.

١٣٧٣ - [حديث في قتل العصفور]

قال[4]: وحدّثنا سُفيان بن عيينة، عن عَمرو بن دينار، عن صُهَيب مولى ابن عامر، عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص، قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «ما منْ إنسان يقتل عصفوراً أو ما فوقها بغير حقها إلا سأله اللّه عنها». قيل: يا رسول اللّه: وما حقها؟ قال: «أن تذْبحها فتأكُلَها، ولا تقطع رأسَها فترميَ بها».

١٣٧٤ - [صياح العصافير ونحوها]

ويقال: قد صرّ العصفورُ يصرُّ صريراً. قال: ويقال للعصافير والمَكاكيّ[5] والقنابر، والخُرّق[6]، والحُمَّر: قد صفَر يصفِرُ صفيراً. وقال طَرَفة بنُ العبْد[7]: [من الرجز]

يا لَكِ مِنْ قُبَّرة بمعْمَرِ ... خَلا لك الجوُّ فبيضي واصفِري
ونَقِّري ما شِيتِ أن تُنَقِّري

ويقال: قد نطق العصفور. وقال كثَيِّر[8]: [من الطويل]

سوى ذِكرةٍ منها إذا الرَّكبُ عَرَّسُوا ... وهَبَّتْ عصافيرُ الصَّريمِ النواطقُ[9]

---

(١) البخلاء: ١٠٦.

(٢) الطفشيل: ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجزر والعسل، وهو لفظ فارسي معرب. انظر معجم استينجاس ٣١٣.

(٢) الكلب القلطي: ضرب من الكلاب القصيرة.

(٣) الكلب القلطي: ضرب من الكلاب القصيرة.

(٤) انظر الجامع الصغير ٨٠٢٥.

(٥) المكاكي: جمع مكاء، وهو نوع من القنابر له صفير حسن. حياة الحيوان ٢ / ٣٢٢.

(٦) الخرّق: نوع من العصافير. حياة الحيوان ١ / ٤١٣.

(٧) تقدم تخريج الرجز في ٣ / ٣٠.

(٨) ديوان كثير ٤١٧.

(٩) الصريم: الصبح، أو الليل، وهي من الأضداد.

ولذِكْر العصفور موضعٌ آخر: وذلك أنَّ العصافير تصيحُ معَ الصُّبح . وقال كلثومُ ابنُ عمرو(١): [من البسيط]

يا ليلةً لي بحُوّارينَ ساهرةً حتى تكلم في الصبحِ العصافيرُ

وقال خلفٌ الأحمر(٢): [من المتقارب]

فلما أصاتَتْ عصافيرُه ولاحت تَباشيرُ أرْواقه(٣)

غَدَا يَقْتَري أُنُفاً عازِباً ويَلتَسُّ ناضِرَ أوْرَاقِه(٤)

وقال الوليد بنُ يزيد(٥): [من مجزوء الوافر]

فلما أنْ دنا الصبحُ بأصواتِ العَصافيرِ

١٣٧٥ - [أحلام العصافير]

ولها موضع آخر. وذلك أنهم يضربون المثلَ بأحلامِ العصافير لأحلام السُّخَفَاء(٦). وقال دُرَيد بنُ الصِّمَّة(٧): [من البسيط]

يا آلَ سُفيانَ ما بالي وبالُكمْ أنتم كثير وفي أحلامِ عُصفورِ

وقال حسَّانُ بنُ ثابت(٨): [من البسيط]

لا بأسَ بالقومِ من طولٍ ومن عِظَمٍ جسمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ

ومن هذا الباب في معنى التَّصغير والتَّحقير، قولُ لبيد(٩): [من الطويل]

فإنْ تسألينا فيمَ نحنُ فإننا عَصافيرُ من هذا الأنامِ المسحَّرِ

---

(١) البيت في العمدة ١/٢٦٧، والموشح ٢٩٣، وبلا نسبة في معجم البلدان ٢/٣١٥ (حوارين)، وتقدم في ٢/٤٠٧.

(٢) البيتان في مجمع الذاكرة ١/١٥٦.

(٣) أصاتت: صوتت. الأرواق: جمع روق، وأرواق الليل أثناء ظلمته.

(٤) يقتري: يتتبع. أُنُفاً: لم يَرْعَه أحد قبله. عازباً: بعيداً. يلتس: يأكل.

(٥) البيت للوليد بن يزيد في الكامل ١/١٢ (المعارف)، وليس في ديوانه، وهو ليزيد بن ضبة في الأغاني ٧/٩٤، ٩٧.

(٦) ثمار القلوب ٣٨٨ (٧١٣).

(٧) ديوان دريد بن الصمة ٧٤، وثمار القلوب ٣٨٨ (٧١٣).

(٨) ديوان حسان بن ثابت ١/٢١٩ (دار صادر)، وثمار القلوب ٣٨٨ (٧١٣)، والخزانة ٤/٧٢، وشرح شواهد المغني ١/٢١٠، والكتاب ٢/٧٣، والمقاصد النحوية ٢/٣٦٢، وشرح أبيات سيبويه ١/٥٥٤.

(٩) ديوان لبيد ٥٦، واللسان (سحر)، والتهذيب ٤/٢٩٢، وديوان الأدب ٢/٣٥٣، والبيان =

والمسحَّر: المخدَّع، على قوله[1]: [من الوافر]

ونُسحَرُ بالطعامِ وبالشَّرابِ

وقال لبيد[2]: [من الوافر]

عَصافيرٌ وذِبّانٌ ودُودٌ وأجرأ من مُجَلِّحَةِ الذِّئَابِ[3]

فكأنه يخبر عن ضَعْف طِباع الإنسان.

وقال قوم: المسحّر، يعني كلّ ذي سَحْر، يذهب إلى الرئة؛ لقوله: [من الوافر]

ونُسْحَر بالطعامِ وبالشراب

١٣٧٦ - [قولهم: صرمت سحري منك]

ولذكر السَّحْر موضعٌ آخر، يقول الرجلُ لصاحبه[4]: «صرَمْت سَحْري منك»، أيْ لستُ منك. وقال خُفافُ بن نُدْبة[5]: [من الوافر]

ولولا ابنا تُماضِر أن يُساؤوا وأنّي منك غيرُ صَريمِ سَحْرِ

فكأنه قال: لستُ كذلك منك.

وقال قيسُ بنُ الخطيم[6]: [من الوافر]

تقولُ ظَعينَتي لما استقَلَّتْ أتَتْرُكُ مَا جَمَعْتَ صَرِيمَ سَحْرِ

أي قد تركتَه آيساً منه.

= ١/١٨٩، وينسب البيت إلى أمية بن أبي الصلت، انظر ديوانه ٥٥٠، وبلا نسبة في الجمهرة ٥١١، والمقاييس ٣/١٣٨، والمجمل ٣/١٢٣، والعين ٣/١٣٥، والمخصص ١/٢٧.

(١) عجز البيت: (أرانا موضعين لأمر غيبٍ)، وهو لامرئ القيس في ديوانه ٩٧، واللسان والتاج (سحر)، والتنبيه والإيضاح ٢/١٣١، والعين ٣/١٣٥، والجمهرة ٥١١.

(٢) البيت ليس للبيد؛ بل لامرئ القيس في ديوانه ٩٧، واللسان (جلح، سحر)؛ والتاج (جلح)، والجمهرة ٤٤٠، ٥١١، والتهذيب ٤/١٤٩.

(٣) المجلحة: الجريئة.

(٤) في مجمع الأمثال ١/١٧٥ (جاء صريم سحر).

(٥) ديوان خفاف بن ندبة ٤٧، والأغاني ١٥/٨٥، وديوان قيس بن الخطيم ١٨١، وعجزه بلا نسبة في أساس البلاغة (صرم).

(٦) ديوان قيس بن الخطيم ١٨١، وبلا نسبة في اللسان والتاج (سحر)، وأساس البلاغة (صرم).

وأنشد الآخر[١]: [من الوافر]

أَيَذْهَبُ ما جمعتُ صَرِيمَ سَحْرٍ ... ظليفاً، إنَّ ذا لهو العجيبُ[٢]

كَذَبْتُمْ والَّذي رَفَعَ المعالِي ... ولَمَّا يُخْضَبِ الأَسَلُ الخضيبُ[٣]

١٣٧٧ - [العصفور والضب]

وإذا وصفوا شدّة الحرّ، وصفوا كيفَ يُوفِي[٤] الحرباءُ على العُود والجِذْل[٥]، وكيف تلجأ العصافيرُ إلى جِحَرة الضِّباب[٦] من شدة الحرّ.

وقال أبو زُبَيد[٧]: [من الخفيف]

أيُّ ساعٍ سَعَى ليقْطَعَ شِرْبي ... حين لاحَتْ للصّابح الجوزَاءُ[٨]

واستَكنَّ العُصفورُ كَرْهاً مع الضَّـ ... ـبِّ وَأَوْفَى في عُودِه الحرباءُ

ونفى الجُندُبُ الحَصى بكُراعَيْـ ... ـه وأذْكَتْ نيرانها المعزاءُ[٩]

من سَمُومٍ كأنَّهَا لفْحُ نار ... صَقرتها الهَجِيرةُ الغرّاء[١٠]

وأنشدوا[١١]: [من الطويل]

تجاوزتُ والعَصفورُ في الجُحْر لاجئٌ ... مع الضّبِّ والشّقّذانُ تسمو صدورها

قال: الشِّقْذان[١٢]: الحَرَابيّ. قوله: «تسمو» أي ترتفع عَلَى رأس العُود. والواحد من الشِّقْذان شَقَذَان، بتحريك القاف وفتح الشين.

---

(١) البيت الأول بلا نسبة في اللسان والتاج (سحر، صرم)، وأساس البلاغة (صرم)، ومجمع الأمثال ١/١٧٥.

(٢) ظليفاً: إذا أخذه بغير ثمن.

(٣) الأسل: الرماح. الخضيب: الذي خضب بالحمرة، ويقصد: الدم في القتال.

(٤) يوفي: يشرف.

(٥) الجذل: أصل الشجرة.

(٦) الجحرة: جمع جحر. الضِّباب: جمع ضب.

(٧) ديوان أبي زبيد ٥٧٩، والحماسة البصرية ٢/٣٥٧ - ٣٥٨، والخزانة ٧/٣٢٢، وستأتي الأبيات ص ٢٩٥.

(٨) في ديوانه: «الشِّرْب: النصيب من الماء. الصابح: من صبحت الإبل، إذا سقيتها في أول النهار».

(٩) في ديوانه: «الجندب: ذكر الجراد. كراعا الجندب: رجلاه». المعزاء: الأرض الغليظة ذات الأحجار.

(١٠) السموم: الريح الحارة. صقرتها: شدة حرها. الهجيرة: نصف النهار عند اشتداد الحر.

(١١) البيت لذي الرمة في ديوانه ٢٣٨، واللسان (شقذ)، والتهذيب ١٨/٣١٢.

(١٢) في اللسان (شقذ): «أي تشخص في الشجر، وقيل الشِّقذان: الحشرات كلها والهوام، واحدتها شقذة. والشقذان: الذئب والصقر والحرباء».

١٣٧٨ - [عصافير النعمان]

وأكرم فحْلٍ كان للعَرَب من الإبل كان يسمى عصفوراً، وتسمى أولاده عصافير النُّعمان[١].

وكانوا يقولون: صنعَ به الملكُ كذا وكذا، وحَبَاه بكذا وكذا، ووهب له مائة من عصافيره.

وعصفور، ودَاعر، وشاغِر، وذو الكَبْلَيْن: فحولة إبل النعمان.

وعصافير الرَّحْل[٢] واحدها عصفور.

١٣٧٩ - [عصفور القواس]

وعصفور القَوّاس إليه تضاف القسِيُّ العُصفورية[٣]. وقد ذكره ابن يَسير حين دعَا على حمام له بالشّواهين، والصُّقورة، والسَّنانير والبنادق، فقال[٤]: [من الكامل]

مِنْ كلِّ أَكْلَفَ باتَ يُدْجِنُ لَيْلُه ... فغدَا بغُدْوَة ساغبٍ مَمْطُورِ[٥]
ضَرِمٍ يقلِّبُ طرفه مُتَأَنِّساً ... شيئاً فكُنَّ له من التقدير[٦]
يأتي لهنَّ مَيامناً ومَياسراً ... صَكّاً بكلِّ مُذَلَّق مطرور[٧]
لا ينجُ منه شريدُهنّ، فإنْ نجا ... شيءٌ فصار بجانبات الدُّور[٨]
لِمُشَمِّرينَ عن السَّواعد حُسَّرٍ ... عنها بكلِّ رَشيقة التّوتير[٩]
ليسَ الذي تُشوي يداه رميَّة ... فيهم بمعتذر ولا معْذُور[١٠]
يتبوَّعون مع الشروق غُدَيَّة ... في كل مُعطيَةِ الجِذاب نَتُورِ[١١]

---

(١) هو النعمان بن المنذر، انظر الأغاني ١١/٢٨، وانظر ما تقدم في ٣/١٩٨.

(٢) عصافير الرحل: خشبات تكون في الرحل يشد بها رؤوس الأحناء.

(٣) انظر البيان ٣/٧٢، الحاشية الثانية.

(٤) الأبيات لمحمد بن يسير الرياشي في ديوانه ٧٩ - ٨٠، والأغاني ١٤/٣٤-٣٩، وانظر البيان ٣/٧٣.

(٥) في ديوانه: «الكلفة: لون بين السواد والحمرة. الدُّجن: إلباس الغيم أقطار السماء. الساغب: الجائع. الممطور: الذي أصابه المطر».

(٦) في ديوانه: «ضرم: اشتد جوعه. تأنّس البازي: نظر رافعاً رأسه».

(٧) الصك: الضرب. المذلق: المحدد. المطرور: المحدد أيضاً.

(٨) الجانب: الغريب.

(٩) مشمرين عن السواعد: يقصد الصيادين بالسهام. التوتير: شد الوتر.

(١٠) أشوى الرمية: لم يصب الصيد.

(١١) يتبوع: يمد باعه. معطية الجذاب: عند المجاذبة، وأراد بها القوس. النتور: الشديدة الجذب.

عُطْفُ السِّيات موانع في بذْلها　　تُعزى إذَا نُسِبَتْ إلى عصفورِ[1]
يَنْفُثْنَ عن جَذْب الأكفِّ سَوَاسياً　　مُتشابهات صُغْنَ بالتَّدْوِيرِ[2]
تجري لها مُهَجُ النّفوس وإنَّها　　لنَواصِلٌ سُلُبٌ من التَّحْسيرِ[3]
ما إن يَني مُتبايِنٌ مُتباعَدٌ　　في الجوِّ يحسرُ طرفَ كلِّ بصيرِ[4]
عن سَمْتِهِنَّ إذا قصَدْنَ لجَمْعه　　متقطِّراً متَضَمِّخاً بعَبيرِ[5]
فيؤوب ناجيهِنَّ بينَ مُجَلْهَقَ　　دامٍ، ومخلوبٍ إلى مَنْسورِ[6]
عاري الجَناحِ من القوادم والقرَا　　كاسٍ عليه بصائرُ التامورِ[7]

١٣٨٠ - [شعر في العصفور]

وقال أبو السِّرِيّ، وهو مَعْدَانُ الأعمى المديبريّ، وهو يذكر ظهورَ الإمام، وأشراطَ خُروجه، فقال: [من الخفيف]

في زمان تبيض فيه الخَفافيـ　　ـشُ وتُسقَى سُلافَةَ الجرْيَـال[8]
ويقيم العُصفورُ سِلماً مع الأيْـ　　ـمِ وتحمِي الذِّئابُ لحمَ السِّخالِ[9]

يقول: إذا ظهر الإمامُ فآية ذلك أنْ تبيض الخفافيش - وهي اليومَ تلِدُ - وتحلُّ لنا الخمرُ، وتسالِمُ الحيّاتُ العصافيرَ، والذئابُ السِّخَالَ.

١٣٨١ - [طول سجود عيسى بن عقبة]

ورَوَوْا في طولِ سجودِ عيسى بنِ عُقبة، أنه كان يطيل ذلك حتى يظنّ العصفورُ

---

(١) سية القوس: ما عطف من طرفيها.
(٢) النفث: النفخ. سواسيا: متشابهات.
(٣) المهج: جمع مهجة، وهي الدم أو دم القلب. نواصل: جمع ناصل. السلب: جمع سليب، وأصلها الشجرة سلبت ورقها وأغصانها. التحسير: سقوط ريش الطائر.
(٤) يني: يبطئ.
(٥) السمت: القصد. متقطر: ساقط على قطره، أي جانبه. المتضمخ: المتطيب.
(٦) الجلاهق: البندق، ومنه قوس الجُلاهق، وأصله بالفارسية جُلَهْ، وهي كبة غزل، الكثير جلَها.
والجلاهق: الطين المدور المُدَمْلق. انظر اللسان (جلهق). المخلوب: الذي أصابه مخلب الطير الجارح. المنسور: الذي أصابه منسر النسر، وهو منقاره.
(٧) القوادم: أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح. القرا: الظهر. البصائر: جمع بصيرة، وهي الدم. التامور: دم القلب.
(٨) الجريال: صفوة الخمر.
(٩) الأيم: الحية الأبيض اللطيف. السخال: جمع سخلة، وهي ولد الشاة.

أنه كالشيء الذي لا يُخافُ جانبه، وحتى يظنّ العصفورُ أنه سارية، فيسقط عليه.

وذكر عُمَرُ بن الفضل، عن الأعمش، عن يزيد بن حيّان قال[1]: كان عيسى بن عقبة إذا سجد وقعت العصافيرُ عَلَى ظهره؛ من طول سجوده.

وكان محمدُ بنُ طلحةَ يسجُد حتى إن العصافير ليَسْقُطْنَ على ظهره ما يحسبْنَه إلا حائطاً.

١٣٨٢ - [الشيخ والعصفور]

وفي المثل: أنَّ شيخاً نصَبَ للعصافير فَخّاً، فارْتَبْنَ به وبالفخ، وضربه البرد، فكلما مشى إلى الفخِّ وقد انضمَّ عَلَى عصفور، فقبض عليه ودقَّ جناحَه، وألقاه في وعائه، دَمعت عينُه مما كان يَصُكُّ وجهَه من برد الشّمال. قال: فتوامَرَت[2] العصافيرُ بأمره وقلن: لا بأس عليكنَّ، فإنه شيخٌ صالحٌ رحيم رقيقُ الدَّمعة! قال: فقال عصفورٌ منها: لا تنظروا إلى دموع عينَيه، ولكن انظروا إلى عمل يديه!

١٣٨٣ - [استطراد]

ومن أمثال العامّة للشيء تتعرّفه بغير مؤُونة: «الحجرُ مَجّان[3]، والعصفور مجّان!».

قال: ويقال عصفور وعصفورة. وأنشدَ قوله[4]: [من الطويل]

ولو أنها عصفورةٌ لحسبْتَها مُسَوّمَةٌ تدعو عُبيداً وأزنما[5]

١٣٨٤ - [شعر فيما يصوِّره الفزَع]

وقال في هذا المعنى جريرٌ، وإن لم يكن ذكر العصفور، حيث يقول[6]: [من الكامل]

---

(١) ورد الخبر في عيون الأخبار ٢ / ٣٦٥.

(٢) توامرت: تآمرت.

(٣) المجان: الكثير الكافي. وأخذه مجاناً: أي بلا بدل.

(٤) البيت لجرير في ديوانه ٣٢٣، وشرح شواهد المغني ٢ / ٦٦٢، وله أو للبعيث في حماسة البحتري ٢٦١، وللعوام بن شوذب في العقد الفريد ٥ / ١٩٥، واللسان (زنم)، والمعاني الكبير ٩٢٧، ومعجم الشعراء ١٦٣، والمقاصد النحوية ٤ / ٤٦٧، والوساطة ٤٢٣، والوحشيات ٢٣٠، والنقائض ٥٨٥، ولابن حوشب في معجم البلدان ٤ / ١٣٠ (العُظالى)، ولمغيرة بن طارق في أمالي اليزيدي ٦٦، والمراثي لليزيدي ١٦٨، وبلا نسبة في تذكره النحاة ٧٣، والجمهرة ٨٢٨، والجنى الداني ١٨٢، ومغني اللبيب ١ / ٢٧٠، والرسالة الموضحة ٦٥، وديوان المعاني ١ / ١٩٥، وعيون الأخبار ١ / ١٦٦.

(٥) المسوّمة: الخيل المعلمة بعلامة. عبيد: يعني عبيد بن ثعلبة. أزنم: يعني أزنم بن عبيد بن ثعلبة ابن يربوع.

(٦) ديوان جرير ٥٣، والرسالة الموضحة ٦٤، والمختار من شعر بشار ٩، والعقد الفريد ٣ / ١٣٢.

مازلتَ تحسِبُ كلَّ شيءٍ بَعْدَهم خيلاً تشدُّ عليكمُ ورجالا

قال يُونس: أخذَ هذا المعنى من قولِ اللّه: ﴿يَحْسَبُونَ كلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ﴾[1].

وقال الشاعر[2]: [من الطويل]

كأن بِلادَ اللّه وهْيَ عريضةٌ عَلَى الخائف المطلوب كِفَّةُ حابلِ[3]
يُؤَدَّى إليه أَنَّ كلَّ ثنِيَّةٍ تَيَمَّمَهَا تَرْمِي إِلَيهِ بقاتلِ[4]

وقال بشّارٌ في شبيه ذلك[5]: [من الوافر]

كأنَّ فؤادَه كُرةٌ تَنَزَّى حذارَ البَيْنِ لو نَفَعَ الحذارُ[6]
جَفَتْ عَيْني عن التّغميض حتى كأنّ جفونها عنه قصارُ
يروِّعُه السِّرَارُ بكلِّ أمْرٍ مخافةَ أن يكونَ به السِّرارُ[7]

وقال عُبيدُ بن أيُّوب[8]: [من الطويل]

لقد خِفْتُ حتى لو تطيرُ حمامةٌ لقلتُ عدُوٌّ أو طليعةُ مَعْشَرِ
فإنْ قيلَ خيرٌ قلتُ هذا خديعةٌ وإن قيل شَرٌّ قلتُ حقّاً فشمِّرِ
وخِفْتُ خليلي ذَا الصّفاءِ ورابَني وقلتُ: فلاناً أو فُلاَنَةَ فاحْذَرِ

---

(١) ٤ / المنافقون: ٦٣.
(٢) البيتان لعبد اللّه بن العجاج في الأغاني ١٣/١٦٢، وديوانه ٣١١ - ٣١٢، ولعبيد بن أيوب العنبري في أشعار اللصوص ١٣٠، والحماسة البصرية ١/٢٩، ولباب الآداب ٣٢٤ - ٣٢٥، وللطرماح في ملحق ديوانه (٣١٦)، وله أو لعبيد بن أيوب في مجموعة المعاني ١٣٠، وبلا نسبة في الكامل ٢/١٠٣ (المعارف)، والبيت الأول بلا نسبة في اللسان والتاج (كفف)، والتهذيب ٤/١٣٩، وثمار القلوب ٧٤٣، (٨٩٨) ونسب سهواً إلى الأعشى في عمدة الحفاظ (عرض).
(٣) كفة الحابل: حِبالة الصائد التي يأخذ بها الصيد.
(٤) يؤدّى إليه: يخيل إليه. الثنية: الطريق في الجبل. تيممها: قصدها.
(٥) الأبيات لبشار بن برد في ديوانه ١/٢٤٩، والمختار من شعره ٧، وأمالي القالي ٢/٦١، والحماسة البصرية ٢/١١٦، والكامل ٢/٥٠ (المعارف)، وطبقات ابن المعتز ٢٩، ولنصيب في ديوانه ٨٩، ولهما معاً في اللسان (نزا)، وانظر ما ورد في حاشية الحماسة البصرية ٢/١١٦.
(٦) تنزى: أصلها تتنزى: تتوثب.
(٧) السرار: المسارة.
(٨) الأبيات في أشعار اللصوص ٢٢١، والحماسة البصرية ١/١١١، وحماسة البحتري ٢٦٠، ومجموعة المعاني ٧٧.

وقال أبان اللاَّحقيُّ[1]: [من الخفيف]

اخْفِضِ الصَّوتَ إنْ نَطَقْتَ بليلٍ والتَفِتْ بالنهار قبل الكلامِ

١٣٨٥ - [من مُلَح أحاديث الأصمعي]

ومن مُلح أحاديثِ الأصمعيّ، قال: حدَّثني شيخٌ من أهلِ المدينة وكان عاليَ السِّنِّ قال: قال الغاضري: كانت هذه الأرضُ لقومٍ ابتدؤوها وشقُّوها، وكانت الثمرة إذا أدركتْ قال قائلهم لقيِّمه: اثلُمِ الحائط، ليصيبَ المارُّ مما فيه والمعْتَفي[2]. ثم يقول: أرْسِلْ إلى آل فلان بكذا وكذا، وإلى آل فلان بكذا وكذا. فإذا بيعَت الثمرة قال: أرسل إلى فلان بكذا وكذا ودينار، وإلى فلان بكذا وكذا. فيضجُّ[3] الوكيل. فيقول: ما أنت وهذا؟! لا أمَّ لك! فلما عُمرت الأرضون وأغَنَّتْ[4] أُقْطعَها[5] قومٌ سواهم، فإنَّ أحدهم ليسدُّ حائطَه، ويصغّر بابَه، ثم يُدْلِجُ[6] فيمرُّ فيقولَ: ما هذه الثُّلمة[7]؟! ويستطيف[8] من وراء الحائط، فهو أطول من مَعقِل[9] أبي كريز.

وإذا دخلِ حائطه دخل معه بقَذَّافة، فإذا رأى العصفورَ على القنا[10] رماه، فيقع العصفورُ مَشْوِيّاً على قُرْص[11]، والقُرْص كالعصفور.

١٣٨٦ - [العصافير الهبيرية]

وبحمْص العصافيرُ الهُبَيريّة، وهي تطعم على رفوف. وتكون أسمَنَ من السُّمانَى، وأطيبَ من كلّ طير. وهي تُهدَى إلى ملوكنا. وهي قليلةٌ هناك.

---

(١) البيت في أخبار الشعراء المحدثين ٣٧، والأغاني ٢٣/ ١٦٦، والخزانة ٣/٤٥٨ (بولاق)، وبلا نسبة في البيان ١/٢٦٩، وعيون الأخبار ١/٤١، ومحاضرات الأدباء ١/ ٦٠ (١٢٦).

(٢) المعتفي: طالب المعروف.

(٣) يضج: يصيح.

(٤) اغنت: كثر عشبها.

(٥) الإقطاع: أن يقطعه قطعة من الأرض.

(٦) أدلج: سار من أول الليل.

(٧) الثلمة: الفرجة.

(٨) استطاف: دار حول الشيء.

(٩) المعقل: الحصن.

(١٠) القنا: عذق النخلة بما فيه من الرطب.

(١١) القرص: يعني قرص الخبز أي الرغيف.

١٣٨٧ - [شعر للراعي في نطق العصفور]

وقال الرَّاعي[١]: [من البسيط]

ما زال يركبُ رَوْقَيه وكَلْكَلَه حتى اسْتَثَارَ سَفاةً دونَها الثَّأَدُ[٢]
حتى إذا نَطَقَ العصفورُ وانكشفَتْ عَمَايةُ الليل عنه وهو مُعتمِدُ[٣]

وقال الراعي[٤]: [من البسيط]

وأصْفَر مجدول من القدِّ مارن يُلاثُ بعينَيها فيُلْوى ويُطْلَقُ[٥]
لَدَى ساعِدَيْ مَهْرِيّة شَدَنية أُنيخَتْ قليلاً والعصافيرُ تنطقُ[٦]

١٣٨٨ - [صيد العصافير]

قال[٧]: وتُصاد العصافيرُ بأهونِ حيلة. وذلك أنهم يعملون لها مَصْيَدَةً، ويجعلون لها سَلَّة في صورة المحْبَرة التي يقال لها: اليهودية، المنكوسة الأنبوبة؛ ثم يُنْزَل في جوفها عصفورٌ واحد، فتنقضُّ عليه العصافيرُ ويدْخُلْن عليه، وما دخل منها فإنه لا يجد سبيلاً إلى الخروج منها. فيصيد الرجُلُ منها في اليوم الواحد المئين[٨] وهو وادع، وهنّ أسرعُ إلى ذلك العصفورِ من الطير إلى البُوم إذا جُعِلن في المصائد.

ومتى أخذ رجلٌ فراخ العصافير من أوكارها، فوضعها في قفص بحيث تراها الآباءُ والأمّهات، فإنها تأتيها بالطُّعم على الخطَر الشديد، والخوف من الناس والسَّنانير، مع شدة حذرها، ودقَّة حسِّها. ليس ذلك إلا لبرّها بأولادها، وشدة حبّها لها.

١٣٨٩ - [القول في العقارب والفأر والسنانير]

نقول في العقارب والفأرِ والجرذَان بما أمكن من القول. وإنما ذكرنا العقارِبَ

---

(١) ديوان الراعي النميري ٥٦.

(٢) الروق: القرن. الكلكل: الصدر. السفاة: التراب. الثأد: الثرى.

(٣) عماية الليل: ظلمته. معتمد: أي يسري طول الليل.

(٤) ديوان الراعي ١٨٠.

(٥) الأصفر المجدول: عنى به زمام الناقة. السير يقد من جلد غير مدبوغ. المارن: اللين. اللوث: الطي واللي.

(٦) المهرية: الناقة المنسوبة إلى مهرة بن حيدان، وهو حي من أحياء العرب. الشدنية: الناقة المنسوبة إلى شدن، وهو موضع باليمن.

(٧) الخبر في عيون الأخبار ٢/٩٥، والعقد الفريد ٤/٢٦٣.

(٨) المئين: جمع مائة، وفي عيون الأخبار «مائتين».

مع ذكرنا للفأر، للعداوة التي بين الفأر والعقارب. كما رأينا أن نذكُر السّنانير في باب ذكر الفأرِ، للعداوة التي بينهما.

فإن قلت: قد عرَفنا عداوة الفأر للعقرب، فكيف تُعادي الفأرةُ السنّور، والفأرة لا تقاوم السنّور؟!

قيل: لعَمري إن جرذانَ أنطاكيَة لَتُساجِلُ السنانيرَ في الحرب التي بينهما، وما يقوم لها ولا يقوى عليها إلا الواحد بَعْدَ الواحِد. وهي بخراسان قويَّةٌ جدّاً، وربما قطعتْ أُذنَ النائم[1].

وفي الفأر ما إذا عضَّ قتل. أخبرني أبو يونس الشريطي أنه عاين ذلك.

وأنا رأيتُ سنّوراً عندنا ساور جُرذاً في بيت الحطَب، فأفلَتَ الجُرذُ منه وقد فقأ عينَ السِّنَّوْر.

١٣٩٠ - [قتال الحيوان]

والقتالُ يكونُ بين الدِّيَكة، وبين الكباشِ والكلاب والسُّمَانَى[2] والقَبج[3]، وضروبٍ مما يقبل التَّحريشَ، ويواثبُ عند الإغراء.

١٣٩١ - [قتال الجرذان]

ويزعمون[4] أنهم لم يَروا قتالاً قطُّ بينَ بهيمتين ولا سبعين أشدَّ من قتال يكونُ بين جُرذين. فإذا ربط أحدُهما بطرَف خيط، وشُدَّ رجْل الآخر بالطّرَف الآخر من الخيط، فلهما عند ذلك من الخلب والخَمْش[5] والعضِّ، والتَّنْييب[6] والعفاس[7]، ما لا يوجد بين شيئين من ذوات العِقار والهراش. إلا أن ذلك ما داما في الرِّباط، فإذا

---

(١) ربيع الأبرار ٥ / ٤٧٢.

(٢) السماني: على وزن الحبارى؛ اسم لطائر يلبد بالأرض ولا يكاد يطير إلا أن يُطار، ويسمى قتيل الرعد، من أجل أنه إذا سمع الرعد مات، وهو من الطيور القواطع لا يدرى من أين يأتي. حياة الحيوان ١ / ٥٦٣.

(٣) القبج: واحده قبجة الحجل، والقبجة اسم جنس يقع على الذكر والأنثى. حياة الحيوان ٢ / ١٩٥.

(٤) ربيع الأبرار ٥ / ٤٧٢.

(٥) الخلب والخمش: الخدش والجرح.

(٦) التنييب: العض بالأنياب.

(٧) اعتفس القوم: اصطرعوا.

انحلَّ أو انقطع ولَّى كلُّ واحد منهما عن صاحبه، وهربَ في الأرض، وأخذ في خلاف جهته الآخر.

١٣٩٢ - [قتال الجرذ والعقرب]

وإن جُعلا في إناء من قوارير، أعني الجُرذَ والعقرب، وإنما ذكرت القوارير، لأنها لا تستر عن أعيُن الناس صَنيعَهما، ولا يستطيعان الخُروجَ؛ لمَلاسة الحيطان - فالفأرة عند ذلك تختِلُ العقربَ، فإن قبضَتْ على إبرتها قَرَضَتها(١)، وإن ضربها العقربُ ضرباً كثيراً فاستنفَدَتْ سمّها كان ذلك من أسباب حتفها.

ودخلت مرة أنا وحَمْدان بن الصباح عَلَى عبيد بن الشُّونيزي فإذا عنده بَرنيّة(٢) زُجاج، فيها عشرون عقرباً وعشرون فأرةً، فإذا هي تقتتل، فخيِّل لي أن تلك الفأرَ قد اعتراها ورمٌ من شدةِ وقْع اللسع. ورأيت العقاربَ قد كلَّتْ عنها وتاركتْها، ولم أر إلا هذا المقدارَ الذي وصفت.

وحدثنا عنها عبيدٌ بأعاجيبَ. ولو كان عبيدٌ إسناداً(٣) لخبّرت عنه، ولكنَّ موضعَ البياض من هذا الكتابِ خيرٌ من جميع ما كان لعبيد.

١٣٩٣ - [أعاجيب في الجرذ]

وللجُرذِ تدبير في الشيء يأكلُه أو يَحسُوه، فإنه ليَأتي القارورةَ الضَّيِّقَة الرأس، فيحتال حتى يُدْخلَ طرفَ ذَنَبه في عُنقها. فكلَّما ابتلّ بالدُّهنِ أخرجه فلطعَه، ثم أعاده، حتى لا يدعَ في القارُورة شيئاً.

ورأيتُ من الجرْذان أعجوبةً، وذلك أن الصيادة لما سقطت عَلَى جُرذٍ منها ضخمٍ، اجتمعْن لإخراجه وسلِّ عُنقه من الصيَّادة، فلما أعجزهنَّ ذلك قرضْنَ الموضِعَ المنضمَّ عليه من جميع الجوانب، ليتسع الخَرْقُ فيجذبْنه. فهجَمْتُ على نُحاتَةٍ لو اعتمَدْتُ بسكين عَلَى ذلك الموضع لظننْت أنه لم يكن يمكنني إلا شبيهٌ بذلك.

١٣٩٤ - [علة دفن السنور خرأه]

وزعم(٤) بعضُ الأطباء أن السنورَ إنما يدفِنُ خُرأه ثم يعودُ إلى موضعه فيشتمّه

---

(١) قرضت: قطعت، والخبر في ربيع الأبرار ٥ / ٤٧١، ومحاضرات الأدباء (٤ / ٦٦٨).

(٢) البرنية: شبه فخارة ضخمة خضراء، وربما كانت من القوارير الثخان الواسعة الأفواه.

(٣) إسناداً: أي ممن يصح إسناد الخبر إليه.

(٤) ربيع الأبرار ٥ / ٤٧٢.

فإن كان يجدُ من ريحه بعدُ شيئاً زاد عليه من التراب، لأنّ الفأرةَ لطيفة الحسِّ، جيِّدةُ الشمّ، فإذا وجدَتْ تلك الرائحة عرفَتْها فأمعنَتْ في الهربِ، فلذلك يصنَعُ السنَّورُ ما يصنَع.

١٣٩٥ - [فأرة العرم][١]

ولا يشكُّ الناسُ [في][٢] أن أرضَ سبإٍ وجنّتَيها إنما خربتا حين دخلهما سيلُ العرِم - والعرِم: المسنّاة - وأن الذي فجّر المسنّاة، وسبّب لدخول الماء الفأرة.

والسّيل إذا دخل أخْرَبَ بقدر قوّته. وقوّتُه من ثلاثة أوجه: إمّا أنْ تدفعه ريحٌ في مكان يفْحُشُ فيه الريح، وإما أن يكون وراءه وفوقه ماءٌ كثير، وإما أن يُصيبَ حَدُوراً عميقاً.

١٣٩٦ - [حديث ثمامة عن الفأر]

وأما حديث ثمامةَ فإنه قال: لم أرَ قطُّ أعجبَ من قتال الفأر، كنتُ في الحبْس وحْدي، وكان في البيت الذي أنا فيه جُحرُ فأر، يقابلُه جُحر آخر، فكان الجُرذ يخرُج من أحد الجُحْرين فيرقص ويتوعّد، ويضرب بذنبه، ثم يرفع صدره ويهزُّ رأسه. فلا يزال كذلك حتى يخرجَ الجرذ الذي يقابله، فيصنع كصنيعه. فبينما هما إذ عَدَا أحدُهما فَدَخل جُحره، ثم صنع الآخرُ مثلَ ذلك. فلم يزل ذلك دأبَهما في الوعيد وفي الفِرار، وفي التحاجُز وفي ترك التّلاقي. إلا أني في كل مرةٍ أظنُّ للذي يظهَرُ لي من جدهما واجتهادهما، وشدة توعُّدهما، أنهما سيلتقيان بشيء أهونُه العضّ والخمْش، ولا واللّه إن التقَيا قطُّ؟ فعجبتُ من وعيدٍ دائمٍ لا إيقاعَ معه، ومن فِرار دائمٍ لا ثباتَ معه، ومن هرب لا يمنعُ من العَودة، ومن إقدامٍ لا يوجبُ الالتقاء. وكيف يتوعّدُ صاحبه ويتوعدُه الآخر؟ وبأيّ شيء يتوعدُه، وهما يعلمان أنهما لا يلتقيان أبداً؟ فإن كان قتالهما ليس هو إلا الصَّخَب والتَّنْييب[٣] فلمَ يفرُّ كلّ واحدٍ منهما حتى يدخل جحره؟ وإن كان غير ذلك فأيّ شيء يمنعهما من الصَّدْمة؟ وهذا أعجبُ.

---

(١) ثمار القلوب (٦٠٩).

(٢) إضافة من ثمار القلوب، حيث نقل الخبر عن الجاحظ.

(٣) التنييب: إنشاب الأنياب.

١٣٩٧ - [أطول الحيوان ذماءً وأقصره]

وتقول العرب[١]: «الضبُّ أطولُ شيء ذَماءً»[٢].

ولا أعلَمُ في الأرض شيئاً أقصرَ ذَماءً[٢]، ولا أضعَفَ مُنّة[٣] ولا أجدَر أن يقتُلَه اليسير من الفأر.

١٣٩٨ - [لعب السنور بالفأر]

وبلغ من تحرُّزه واحتياطه، أنه يسكن السقوف، فربما فاجأه السِّنَّور وهو يريد أن يعبُر إلى بيته والسِّنَّور في الأرض والفأرةُ في السّقف، ولو شاءت أن تدخل بيتها لم يكن للسِّنَّور عليها سبيل، فتتحيَّر، فيقول السِّنّور بيده كالمشير بيساره: ارجع. فإذا رجعت أشار بيمينه: أن عُدْ فيعود. وإنما يطلب أن تَعيا أو تَزْلَق أو يُدَارَ بها[٤]. ولا يفعل ذلك بها ثلاثَ مرَّات، حتى تسقط إلى الأرض، فيثبَ عليها. فإذا وثَبَ عليها لعبَ بها ساعةً ثم أكلها. وربما خلَّى سبيلها، وأظهر التغافل عنها فتمعن في الهرَب، فإذا ظنّتْ أنها نجتْ وثَبَ عليها وثْبة فأخذها. فلا يزال كذلك كالذي يحبُّ أن يسخَرَ من صاحبه، وأن يخدعه، وأن يأخُذَهُ أقوى ما يكون طمعاً في السَّلامة، وأن يُورِثَه الحسرَةَ والأسَفَ، وأن يلذَّ بتنغيصه وتعذيبه.

وقد يفعل مثلَ ذلك العقابُ بالأرنب، ويفعل مثل ذلك السِّنَّورُ بالعقرب.

١٣٩٩ - [أكل الجرذان واليرابيع والضباب والضفادع]

وقال أبو زيد[٥]: دخلتُ على رُؤبةَ هو يَمُلُّ[٦] جرذاناً، فإذا نضجت أخرَجَها من الجمْر فأكلها، فقلت له: أتأكل الجرذان؟! قال: هي خيرٌ من اليرابيع والضِّباب. إنها عندكم تأكل التَّمْر والجُبْن والسويق والخبز، وتحسُو الزَّيتَ والسمن.

وقد كان ناسٌ من أهل سِيف البحْر[٧] من شِقِّ فارس يأكلون الفأر والضفادع،

---

(١) مجمع الأمثال ١/٤٣٧، والمستقصى ١/٢٢٧، وجمهرة الأمثال ٢/٢٠، والدرة الفاخرة ١/٢٨٤، ٢٨٦، ٢/٤٣٨.

(٢) الذماء: بقية الروح.

(٣) المنة: القوة.

(٤) يدار بها: يصيبها الدوار. وهو شبه الدوران يأخذ في الرأس.

(٥) الخبر في الأغاني ٢٠/٣٥٠، وربيع الأبرار ٥/٤٧٢.

(٦) يمل: يشوي في الملة، وهي الرماد الحار الجمر.

(٧) سيف البحر: شاطئه.

ممقورةً[1] ومملوحة، وكانوا يسمونها: جَنْك جَنْك[2] ووَال وَال[3].

وقال أوسُ بنُ حجَر[4]: [من الطويل]

لحَينَهُمُ لَحْيَ العصَا فطَردنَهم ... إلى سَنَة جرذانُها لم تَحَلَّمِ[5]

يقال: تَحلَّم الصَّبيُّ: إذا بدأ في السِّمَن؛ فإذا زاد عَلى المقدار قيل قد ضَبَّبَ، أي سَمِنَ سِمَناً متناهياً.

١٤٠٠ - [مثل وشعر في الجرذ]

ويقال[6]: «أسْرق من زَبَابَة». والزَّبابة: الفارة. ويقال[7]: «أسْرَق من جُرَذ».

وقال أنس بن أبي إياس لحارثة بن بدر حينَ ولِيَ أرض سُرَّق[8]: [من الطويل]

أحارِ بْنَ بَدْرٍ قَدْ وليتَ ولايةً ... فكنْ جُرَذاً فيها تخونُ وتَسْرِقُ

وبَاهِ تَميماً بالغِنَى إنّ للْغنَى ... لساناً به المرءُ الهَيُوبَةُ ينْطِقُ

فإنَّ جميعَ الناس إمَّا مكَذِّبٌ ... يقول بما تهوى وإمَّا مصدِّقُ

يقولون أقوالاً ولا يعلَمُونَها ... وإن قيلَ هاتوا حقِّقوا لم يحققوا

فلا تحقِرَنْ يا حارِ شيئاً أصبْتَه ... فحظُّكَ من مُلك العِراقين سُرَّقُ

فلما بلغَتْ حارثَةَ بنَ بدر قال: لا يعمَى عليك الرُّشْد.

١٤٠١ - [تمني كثرة الجرذان]

قال[9]: ووقفت عجوزٌ عَلَى قيس بن سعد، فقالت: أَشكو إليك قلَّة الجُرذان.

---

(١) المقر: إنقاع السمك المالح في الماء.

(٢) جنك: كلمة فارسية تعني الجميل والمليح. انظر معجم استينجاس ١١٠٠.

(٣) وال: كلمة فارسية تعني السمك الكبير. انظر معجم استينجاس ١٤٥٣.

(٤) ديوان أوس بن حجر ١١٩، واللسان والتاج (حلم، لحى)، والتهذيب ٥/١٠٨، والجمهرة ٥٦٦، ٩٧٥، والمجمل ٢/٩٦، والمقاييس ٢/٩٣، ٥/٢٤٠، وديوان الأدب ٢/٤٦١، وكتاب الجيم ١/٢٠٤، وبلا نسبة في المخصص ١/٣٢، ٢/٧٨.

(٥) لَحَيْنَهم لَحْيَ العصا: قشرنهم كما يقشر لحاء العصا.

(٦) مجمع الأمثال ١/٣٥٣، وجمهرة الأمثال ١/٥٣٣، والمستقصى ١/١٦٧، والدرة الفاخرة ١/٢٣٢.

(٧) المستقصى ١/١٦٧، والدرة الفاخرة ١/٢١٨.

(٨) سرق: إحدى كور الأهواز، والأبيات التالية تقدمت مع تخريجها وشرحها في ٣/٥٩.

(٩) انظر الخبر في عيون الأخبار ٣/١٢٩.

قال: ما ألطَفَ ما سألت! لأملأنّ بيتك جُرذاناً. تذكر أنّ بيتها قَفْرٌ من الأَدَم والمأدوم، فأكثِرْ لها يا غلامُ من ذلكَ.

قال[1]: وسمعت قاصّاً مدينياً يقول في دعائه: اللهمّ أكثِرْ جُرذاننا وأقِلّ صبياننا.

١٤٠٢ - [فزع الناس من الفأر]

وبين الفأرِ وبينَ طباعِ كثير من الناس منافرةٌ، حتى إنّ بعضهم لو وطئ عَلَى ثعبان، أو رُمِيَ بثُعبان – لكان الذي يدخله من المكروه والوَحْشَةِ والفزَع، أيسرَ مما يدخُله من الفأرة لو رُمِيَ بها، أو وطئ عليها.

وخبرني رجالٌ من آل زائدة بن مقسم، أن سليمان الأزرق دُعِيَ لحيّة شَنْعَاء قد صارت في دارهم، فدخلَتْ في جُحر، وأنه اغتصبها نفسها حتى قبضَ على ما ألفى منها، ثم أدارها على رأسه كما يُصْنَع بالمخْراق[2]، وأهوى بها إلى الأرض ليضربها بها، فابتَدَرَتْ من حلْقها فأرة كانت ازْدَرَدَتْها. فلما رأى الفأرةَ هرَب وصرخ صرخة. قالوا: فأخذ مشايخُنا الغلمانَ بإخراج الفأرةِ وتلك الحيّة الشنعاء إلى مجلس الحيّ ليعجِّبوهم من إنسانٍ قتَلَ هذه وفرَّ من هذه.

١٤٠٣ - [علة نتن جلود الحيات]

وسألتُ بعضَ الحوّائين ممن يأكلُ الأَفاعيَ فما دونها، فقلت: ما بالُ الحيات مُنتنة الجلود والجرُوم[3]؟ قال: أمَّا الأفاعي فإنَّها ليست بمنتنة، لأنها لا تأكل الفأر، وأما الحيَّات عامة فإنها تطلبُ الفأرَ طلباً شديداً. وربما رأيتُ الحيَّة وما يكونُ غلظها إلا مثل غلظ إبهام الكبير، ثم أجدُها قد ابتلعت الجُرذَ أغْلَظَ من الذّراع. فأنكرَ نتنَ الحيَّات إلا من هذا الوجه. ولم أر الذي قال قولاً.

١٤٠٤ - [رجز في الجرذان]

ودخل أعرابيٌّ بعضَ الأمصار، فلقِيَ من الجِرذان جَهداً، فرجز بها ودعا عليها، فقال[4]: [من الرجز]

---

(١) انظر الخبر في عيون الأخبار ٣/ ١٢٩، وربيع الأبرار ٥/ ٤٧٢.

(٢) المخراق: منديل أو نحوه، يلف ويُلوى ليضرب به أو يفزع به.

(٣) الجروم: جمع جرم، وهو الجسد.

(٤) الرجز في ربيع الأبرار ٥/ ٤٧٠، وديوان المعاني ٢/ ١٥١، ونهاية الأرب ١٠/ ١٦٨.

يُعجِّلُ الرحمنُ بالعقاب لعامرات البيت بالخراب
حتى يُعجِّلنَ إلى الثياب كُحْلُ العينِ وقصٌّ الرقاب[1]
مُستتبعاتٍ خلْفَةَ الأذنابِ مثل مَدارِي الحُصُن السُّلاَّبِ[2]

ثم دعا عليهنَّ بالسَّنُّور فقال:

أَهْـوَى لهـنَّ أنـمَرُ الإهــاب منهرتُ الشِّدْقِ حديدُ النَّابِ[3]
كأنما بُرْثِنَ بالحِرابِ

١٤٠٥ - [تشبيه عضلات الإنسان بالجرذان]

وتُوصَف عضلُ الحفَّار والماتح[4] والذي يعمَل في المعادن، فتُشَبَّه بالجُرْذان، إذا تَفلَّقَ لحمه عن صلابة، وصار زِيَماً[5]. قال الرَّاجز[6]: [من الرجز]

أعدَدتُ للورد، إذا الوِرْدُ حَفَزْ غَرْباً جَرُوراً وجُلالاً خُزَخِزْ[7]
وماتِحاً لا ينْثَني إذا احتَجَزْ كأنَّ جوفَ جلده إذا احتَفَزْ[8]
في كلِّ عُضو جُرَذَينِ أو خُزَز

والخُزَز: ذكر الأرانب و اليرابيع.

١٤٠٦ - [أنواع الفأر]

والزَّبابُ، والخُلْد، واليرابيع، والجرذان، كله فأر. ويقال لولد اليرابيع درص وأدراص. والخلْد أعمى، لا يزال كذلك. والزّبابُ أَصمٌّ، لا يزالُ كذلك. وأنشدَ[9]: [من مجزوء الكامل]

---

(١) وقص: جمع وقصاء، وهي القصيرة العنق.
(٢) المداري: جمع مدرى، وهو المشط. الحصن: جمع حَصان،و وهي المرأة العفيفة.
(٣) الإهاب: الجلد. منهرت: واسع. الحديد: الحاد.
(٤) الماتح: الذي نيزع الماء من رأس البئر.
(٥) أيما: متفرقاً.
(٦) الرجز بلا نسبة في اللسان والتاج (خزز)، والجمهرة ١١٦٧، والمنصف ١/٢٧، والتهذيب ٦/٥٥٥، وسر صناعة الإعراب ٢/٤٧٧.
(٧) الغرب: الدلو العظيمة. الجُلال: الجليل العظيم، وأراد به البعير. الخزخز: القوي الشديد.
(٨) الماتح: الذي ينزع الماء من رأس البئر. احتجز: شد إزاره على حجزته، والحجزة: معقد الإزار. احتفز: اجتهد.
(٩) تقدم البيت في الفقرة (٢٠١٥)، ٤/٤٥٨، وهو للحارث بن حمزة. في عيون الأخبار ٢/٩٦، =

وهمُ زَبابٌ حائرٌ لا تسمعُ الآذانُ رَعْدا

هكذا أنشَدونا.

١٤٠٧ - [شعر وخبر في الفأر]

وأنشد الأصمعي لمزرِّد بن ضِرار، في تشبيه الجرع في حُلوق[١] الإبل بجثمان[٢] الزَّباب - وهو الشكل الذي وصفناه - فقال في وصف ضيف له سقاهُ، فوصف جَرْعه: [من الطويل]

فقلتُ له اشْرَبْ لو وجَدْتَ بهازِراً طوالَ الذُّرى من مُفرِهات خناجِر[٣]
ولكنما صادفتَ ذَوْداً مَنيحة لمثْلكَ يأتي للقِرَى غيرَ عاذِر[٤]
فأهْوَى له الكفَّينِ وامتدّ حلْقُه بجَرْعٍ كأثْباج الزّبابِ الزّنابِر[٥]

وقال أعرابيٌّ وهو يطنُز[٦] بغريم له، ويذكر قرْض الفأر الصِّكاك، عند فراره منه: «الزم الصَّكّ لا يقرِضه الفأر!» تهزَّؤوا به[٧]: [من البسيط]

أَهْوِنْ عَلَيّ بسيَّارٍ وصَفْوَته إذا جعلتُ ضِرَاراً دُونَ سيّار[٨]
التَّابِعي ناشراً عندي صَحيفَتَه في السوق بينَ قطينٍ غيرِ أبْرَار[٩]
جاؤوا إليّ غضَاباً يَلغطون معاً يَشْفي إرَاتهمُ أَنْ غابَ أَنصاري[١٠]
لمَّا أبَوْا جَهْرَةً إلا مُلازَمَتي أَجْمعْتُ مَكراً بهمْ في غير إنكارِ

= واللسان والتاج (بب)، والخزانة ٥/ ١١٣، والتهذيب ١٣/ ١٧١، والمعاني الكبير ٦٥٦.

(١) الحلوق: جمع حلق.

(٢) الجثمان: الجسم.

(٣) البهازر: جمع بهزرة، وهي الناقة الجسيمة الضخمة. الذرى أعالي أسنمة الإبل. المفرهات: التي تلد الفره، والفره: جمع فاره: وهو النشيط القوي. الخناجر: جمع خنجر وخنجرة، وهي الناقة الغزيرة.

(٤) الذود: الجماعة من الإبل. المنيحة: منحة اللبن.

(٥) أثباج: جمع ثبج، وهو معظم كل شيء. الزنابر: جمع زنبور.

(٦) الطنز: السخرية.

(٧) الأبيات لصخر بن الجعد في الأغاني ٢٢/ ٣٨، ومعجم البلدان ١/ ٣٠١ (بئر مطلب)، وبلا نسبة في عيون الأخبار ١/ ٢٥٤، والعقد الفريد ٢/ ٣٠٠، والوحشيات ٢٩٦.ر

(٨) الصفوة: خالص الأصدقاء.

(٩) القطين: الأتباع.

(١٠) اللغط: الجلبة. الإرات: جمع إرة، وهي النار.

وقلتُ: إني سيأتيني غداً جَلَبي وإنّ موعدكم دارُ ابنِ هَبَّارِ
وما أُواعدُهُمْ إلا لأَرْبُثَهُمْ عني فيخْرِجُني نقضي وإمراري[1]
وما جَلَبْتُ إليهم غير راحلة تخْدي برَحْلِي وسَيفٍ جَفْنُهُ عاري[2]
إنَّ القضاءَ سيأتي دونه زَمَنٌ فاطْوِ الصحيفةَ واحفظهَا منَ الفارِ
وصَفْقَةٍ لا يقال الرِّبحَ تاجرُها وقَعْتُ فيها وقوع الكلب في النار[3]

١٤٠٨ - [تشبيه فم الإنسان بفم الفأرة]

والعربُ تعيبُ الإنسانَ إذا كان ضيِّق الفم، أو كان دقيقَ الخطم، يشبّهون ذلك بفمِ الفأرة. وقال عَبْدَةَ بن الطبيب[4]: [من البسيط]

ما معَ أنكَ يومَ الورْدِ ذُو لَغَط ضَخْمُ الجُزارَةِ بالسَّلْمَيْنِ وكَّارُ[5]
تكْفِي الوليدةَ في البادِيِّ مؤتَزراً فاحلبْ فإنك حلاّبٌ وصَرَّارُ[6]
ما كنتَ أَولَ ضَبٍّ صابَ تَلْعَتَهُ غيثٌ فأمرَعَ واسترختْ به الدارُ[7]
أنت الذي لا نُرَجِّي نَيْلَهُ أبداً جلد النَّدَى، وغدَاةَ الرَّوعِ خوَّارُ[8]
تدعو بُنيّيْكَ عَبَّاداً وحِذْيَمَةً فا فأرةٍ شَجَّهَا في الجُحْرِ مِحْفَارُ[9]

١٤٠٩ - [شعر أبي الشمقمق في الفأر والسنور]

وقال أبو الشَّمَقْمَق[10] في الفأر والسِّنَّور: [من الخفيف]

ولقد قلتُ حينَ أَقفرَ بَيْتي من جرَابِ الدّقيقِ والفَخَّارَه
ولقد كان آهلاً غيرَ قَفْر مُخْصباً خَيرُه كثيرَ العمَارَه
فأرى الفأرَ قد تَجنّبْنَ بيْتي عائذاتٍ منهُ بدارِ الإمارَه

(١) ربثته: حبسته عن حاجته. النقض: نقض الفتل. الإمرار: إجادة فتل الحبل.
(٢) تخدي: تسرع.
(٣) يقال: يُفسخ. أقلته البيع: فسخته.
(٤) ديوان عبدة بن الطبيب ٣٨، ونوادر أبي زيد ٤٧.
(٥) اللغط: الجلبة. الجزارة: القوائم، يعني بها يديه ورجليه. السلم: الدلو. الوكار: الممتلئ.
(٦) الصرار: الذي يصر ضرع الناقة بالصرار لئلا يحتلبها حالب.
(٧) التلعة: ما ارتفع من الأرض.
(٨) الخوار: الضعيف.
(٩) بنييك: مثنى بني، وهو تصغير ابن. شجّ: كسر. المحفار: ما يحتفر به.
(١٠) ديوان أبي الشمقمق ١٣٨ - ١٣٩.

ودَعَا بالرَّحيلِ ذبّانُ بَيتي — بينَ مَقْصُوصَةٍ إلى طيَّاره
وأقامَ السِّنَّوْرُ في البيت حَوْلاً — ما يَرى في جوانب البَيْت فاره
يُنْغضُ الرَّأسَ منهُ من شدَّة الجُو — عِ وعيش فيه أذًى ومَرَاره[1]
قلتُ لمّا رأيتُه ناكسَ الرَّأْ — سِ كئيباً، في الجَوف منه حَراره
وَيْكَ صَبْراً فأنتَ من خير سنَّـ — ورٍ رأتْهُ عينايَ قطُّ بحاره
قال: لا صبر لي، وكيفَ مُقامي — بِبيوتٍ قَفْر كَجَوْف الحماره
قلتُ: سِرْ راشداً إلى بيت جارٍ — مخصبٍ رَحْلهُ عظيمِ التِّجاره
وإذا العنكبوتُ تَغْزِلُ في دنِّي — وَحُبِّي والكوزِ والقَرْقارَه[2]
وأصابَ الجُحامُ كلبي فأضحى — بين كلبٍ وكلْبَةٍ عَيَّارَه[3]

وقال أيضاً: [من الخفيف]

ولقد قلتُ حين أجْحَرني البر — دُ كما تُجْحرُ الكلابُ ثُعَالَهْ[4]
في بُيَيْتٍ من الغضَارَة قَفْرٍ — ليسَ فيه إلا النَّوى والنُّخالهْ[5]
عطَّلَتْهُ الجُرذانُ مِنْ قلَّة الخَيْـ — رِ وطارَ الذُّبابُ نحو زُبالهْ[6]
هَاربات مِنْهُ إلَى كُلِّ خِصْبٍ — جيدة لَمْ يَرْتجينَ مِنْهُ بلالهْ[7]
وأقام السِّنَّوْرُ فيه بشَرٍّ — يسأل اللّه ذا العُلا والجَلالهْ
أن يرى فأرةً، فلم يرَ شيئاً — ناكساً رأسُهُ لطول المَلالَهْ
قلتُ لمّا رأيته ناكسَ الرأ — س كئيباً يمشي عَلَى شرِّ حالَهْ
قلتُ صبراً يا نازُ رأسَ السّنا — نيرِ، وعلَّلته بحسْن مقالهْ[8]
قال: لا صبر لي، وكيف مُقامي — في قِفارٍ كمثل بِيدِ تَبالهْ[9]

---

(١) ينغض الرأس: يحركه إلى فوق وإلى أسفل.
(٢) الدن: الراقود العظيم، وهو كهيئة الحب. والحُب: الجرة الضخمة. القرقارة: الإناء.
(٣) الجُحام: داء يأخذ الكلب في رأسه.
(٤) أجحره: جعله يدخل في جحره. ثعالة: علم للثعلب.
(٥) بييت: تصغير بيت. الغضارة: الطين اللازب الأخضر.
(٦) زبالة: موضع بعد القاع من الكوفة.
(٧) البلالة: الندوة.
(٨) ناز: كلمة فارسية تعني السنور. انظر معجم استينجاس ١٣٧٢.
(٩) بيد: جمع بيداء، وهي الفلاة. تبالة: بلد من أرض تهامة في طريق اليمن.

لا أرى فيه فأرةً أُنغضُ الرأ … سَ ومَشْيي في البيت مشي خَيَالهْ[1]
قلت: سِرْ راشداً فخارَ لك اللّه … ولا تعْدُ كُرْبَجَ البقالهْ[2]
فإذا ما سمعت أنَّا بخير … في نعيم من عيشةٍ ومَنَالهْ
فائْتنَا راشداً ولا تعدُوَنَّا … إن منْ جازَ رَحْلَنَا في ضَلالهْ
قالَ لي قولةً، عليك سلامٌ … غيرَ لعْب منه ولا ببطَالهْ[3]
ثمّ ولَّى كأنه شيخُ سَوءٍ … أخرجوه من مَحبِسٍ بكفَالهْ

وقال أيضاً[4]: [من مجزوء الرمل]

نــزَلَ الـفـأرُ بـبـيـتـي … رِفْقة من بعد رِفْقه
حـلَـقـاً بـعـد قِـطـارٍ … نزلـوا بالـبـيـت صَـفـقـه
ابنَ عِرْس رأس بيتي … صاعداً في رأس نبقه
سَـيـفُهُ سـيـفٌ حـديـدٌ … شَقَّه من ضِلع سِلْقَه[5]
جـاءنا يطـرُق بـالـلَّـيْـلِ … فـدَقّ الـبـابَ دَقَّـه
دخـل الـبـيـتَ جهـاراً … لم يَدَعْ في البيت فلْقه[6]
وتـتـرّس بـرغـيـف … وصفقْ نازُويَه صَفقه[7]
صـفـقـة أبصـرتُ منهـا … فـي سـواد العين زُرْقه
زرقـة مثـلَ ابـنِ عِـرس … أغبـشٌ تَعْـلوهُ بُلْقـه[8]

وقال أيضاً: [من مجزوء الرمل]

أخذ الفأرُ برِجلي … جَفَلوا منها خِفافي[9]
وسـراويلاتِ سـوء … وَتَبَـابِـينَ ضِعـافِ[10]

---

(١) أنغض الرأس: أحركه إلى فوق وإلى أسفل.
(٢) كربج: حانوت البقال. انظر معجم استينجاس ١٠٢١ .
(٣) البطالة: اللهو والجهالة.
(٤) الأبيات (١ ، ٣، ٨ ، ٩) في حياة الحيوان ٢ / ٩٩ (ابن عرس).
(٥) السلقة: الأنثى من الذئاب.
(٦) الفلقة: الكسرة من الخبز.
(٧) تترس بالشيء: جعله كالترس. نازويه: كلمة فارسية تعني السنور. انظر معجم استينجاس ١٣٧٢ .
(٨) الأغْبس: ما لونه الغبسة، وهي لون الرماد. البلقة: سواد وبياض.
(٩) جفلوا: نزعوا. خفاف: جمع خف.
(١٠) التبابين: جمع تبان، وهو سروال صغير مقدار شبر يستر العورة.

درَجوا حَوْلي بزَفْنٍ وبضَرْبٍ بالدِّفاف[1]
قلت: ما هذا؟ فقالوا: أنت من أهل الزِّفَاف
ساعةً ثمَّتَ جازوا عن هوايَ في خلافَ
نقروا اسْتِي وباتوا دون أَهلي في لحافي
لعَقُوا استي وقالوا ريحُ مِسْكٍ بسُلاَف[2]
صفعوا نازويَةً حتى استهلَّت بالرُّعاف[3]

١٤١٠ - [أحاديث في الفأرة والهرة]

يُرْوَى عن النبيِّ ﷺ أنه قال[4]: «خمسٌ يُورِثْنَ النسيان: أكلُ التفاح، وسُؤر الفأرة، والحِجَامةُ في النقرة، ونبذُ القَمْلة، والبولُ في الماء الراكد».

وابن جُريجٍ قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمعَ جابر بن عبد اللّه عن النبيِّ ﷺ أنه قال[5]: «إذا رَقَدْتَ فَأَغْلقْ بابَكَ، وخَمِّر إناءَكَ، وأوْكِ سقاءَك، وأطْفِئْ مصباحَك؛ فإن الشيطان لا يفتح غَلَقاً ولا يكشف إناءً، ولا يحل وِكَاءً، وإن الفأرة الفُويسقة تحرِّق على أهل البيت».

قالوا: في قول النبي ﷺ في السنانير: «إنهنّ من الطَّوَّافات عليكم»[6]، وفي تفريقه بين سُؤر السِّنَّور وسُؤر الكلب - دليلٌ عَلَى حُبِّه لاتخاذهنَّ. وليْس لاتخاذهنّ وجهٌ إلا إفنَاءَ الفأر وقتلَ الجُرذان. فكأنَّ النبيّ ﷺ كما أحبَّ استحياءَ السنانير، فقد أحبَّ إهلاك الفأر.

وعن نافع، عن ابن عُمَر، عن النبيِّ ﷺ قال[7]: «عُذبت امرأةٌ في هرّة سجنتْها - ويقال: ربَطَتْها - فلم تطْعمها ولم تَسْقها، ولم تُرْسِلْهَا تأكل من خَشَاش الأرض».

---

(١) الزفن: الرقص. الدفاف: جمع دف.
(٢) السلاف: الخمر الخالصة.
(٣) الرعاف: سيلان دم الأنف.
(٤) انظر عيون الأخبار ٣ / ٢٧٢: وسيأتي الحديث ص ٢٠٤.
(٥) انظر الحاشية الرابعة للصفحة ٦٥.
(٦) أخرجه أبو داود في الطهارة ١ / ١٩، والترمذي في الطهارة ١ / ١٥٤، وأحمد في المسند ٥ / ٢٩٦.
(٧) أخرجه البخاري في المساقاة برقم ٢٢٣٥، ٢٢٣٦، وفي بدء الخلق برقم ٣١٤٠، وفي الأنبياء ٣٢٩٥.

وعن أبي سلَمة، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال[1]: «دخلَتِ امرأةٌ ممن كان قبلكم النارَ في هرَّة ربطتها، فلا هي أطعَمَتهَا، ولا هي تركتْهَا تُصيب من خشاش الأرض[2]، حتى ماتت فأدخلَتِ النارَ، كلما أقبلَتْ نهشَتْهَا، وكلما أدْبرتْ نَهَشَتها».

قال: وذكَرَ النبيّ ﷺ، صاحبَ المحْجَنِ يجرُّ قُصْبَه[3] في النار حتى قال[4]: «وحتى رأيتُ فيها صاحِبةَ الهِرَّةِ التي رَبَطتهَا، فلم تدعْها تأكلُ من خشاش الأرض».

١٤١١ - [وصف السنور بصفة الأسد]

قال ابن يسير في صفة السِّنَّور - فوصفه بصفةِ الأسَد، إلا ما وصفَه به من التنمير، فإن السنوْر يوصفُ بصفة الأسد، إذا أرادوا به الصورةَ والأعضاء، والوثوب والتخلُّع في المشي. ألا إن في السنانير السودَ والنُّمر والبُلْق[5]، والخلنْجيَّة[6]. وليس في ألوانِ الأسد من ذلك شيء، إلا كما ترونَ في النوادر: من الفأرة البيضاء، والفاختة البيضاء، والورَشَان الأبيض، والفَرَس الأبيض - فقال ابن يسير في دعائهِ على حمام ذلك الجار حين انتهى إلى ذكر السنور[7]: [من الكامل]

وخُبَعْثنٍ في مَشْيه متبهنسٍ خَطف المؤخَّر كاملِ التصدير[8]
مما أُعيرَ مَفَرّ أغضَفَ ضيغمٍ عنْ كلِّ أعْصَل كالسِّنَان هَصُور[9]
مُتسَرْبِلٍ ثوبَ الدُّجَى أوْ غُبشَةً شِيبَتْ عَلَى مَتنَيْه بالتَّنمير[10]

---

(١) أخرجه البخاري في المساقاة برقم ٢٢٣٥، ٢٢٣٦، وفي بدء الخلق برقم ٣١٤٠، وفي الأنبياء ٣٢٩٥.
(٢) خشاش الأرض: الحشرات والهوام وما أشبهها.
(٣) المحجن: كل عصا معوجة. القصب: اسم للأمعاء.
(٤) مسند أحمد ٣/٣١٨.
(٥) البلق: جمع أبلق، وهو الذي فيه بياض وسواد.
(٦) الخلنجية: التي لها خطوط وطرائق مثل الخطوط والطرائق التي ترى في خشب الخلنج، والتي ترى في الجزع، وهو الخرز اليماني. انظر معجم استينجاس ٤٧٢.
(٧) ديوان محمد بن يسير الرياشي ٨٠.
(٨) الخبعثن: الأسد، وأراد به هنا السنور. المتبهنس: المتبختر. التصدير: حزام البعير، وأراد به هنا موضع الحزام.
(٩) فرّ الدابة: كشف عن أسنانها ليعرف عمرها. الأغضف: الأسد المسترخي جفنه الأعلى على عينه. الأعصل: المعوج. الهصر: الكسر.
(١٠) الغبشة: ظلمة آخر الليل.

يختصُّ كلَّ سليلِ سابقِ غايةٍ مَحْضِ النِّجَارِ مُهَذَّبٍ مَخْبُورِ[1]

١٤١٢ - [فزع الناقة من الهر]

وإذا وصفوا الناقة بأنها رُواع[2] شديدة التفزُّع، لفَرط نشاطها ومَرَحِهَا، وصفوها بأن هِرًّا قد نَيَّبَ[3] في دفِّها. وأكثرُ ما يذكرون في ذلك الهِرّ؛ لأنه يَجمعُ العضَّ بالناب، والخمشَ بالمخالب. وليس كل سَبُعٍ كذلك.

وقال ضابئ بن الحارث[4]: [من الطويل]

بأدماءَ حُرجُوجٍ ترى تحتَ غَرْزِها تهاويلَ هِرٍّ أَوْ تَهاوِيلَ أَخْيَلا[5]

وقد أوس بن حَجَر[6]: [من البسيط]

كأنَّ هراً جنيباً تحتَ مَغْرِضها والتَفَّ ديكٌ برجْلَيْهَا وخنزيرُ[7]

وقال عنترة[8]: [من الكامل]

وكأنَّما ينأى بجانب دفِّها الـ وَحْشيِّ من هَزِجِ العَشِيِّ مُؤوَّمِ[9]

هِرٍّ جَنيبٍ كلما عَطَفَتْ له غَضْبَى اتّقَاهَا باليدين وبالفمِ[10]

والفيلُ يفزَعُ من السنَّورِ فزعاً شديداً.

١٤١٣ - [شعر في هجاء السِّنَّور]

ومما يقع في باب الهجاء، للسنور، قول عبد الله بن عمرو بن الوليد، في أمِّ سعيد بنت خالد: [من الوافر]

---

(١) السليل: الولد. سابق غاية: يسبق إلى الغاية. مخبور: من خبره: إذا امتحنه.

(٢) رواع: من الروع، وهو الفزع.

(٣) نيّب: عض بالناب.

(٤) البيت في الأصمعيات ١٨١.

(٥) أدماء: يريد ناقة بيضاء. الحرجوج: الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. الغرز: للناقة مثل الحزام للفرس. التهاويل: ما يهول به. الأخيل: طائر صغير يتشاءمون به.

(٦) ديوان أوس بن حجر ٤٢، والموشح ٨٦، وعيار الشعر ١٧٩.

(٧) في ديوانه: «جنيب: مجنوب، جنب الدابة قادها إلى جنبه. الغرضة: حزام الرحل.

(٨) البيتان من معلقة عنترة في ديوانه ٢١ - ٢٢، واللسان والتاج (هزج)، والأول في اللسان (وحش، دفف، أوم)، والتاج (أوم)، وبلا نسبة في المخصص ١ / ٦١، والثاني في اللسان (غضب).

(٩) في ديوانه «الدف: الجنب. الجانب الوحشي: اليمين. الهزج: الصوت. المؤوم: القبيح الرأس العظيمه. قوله: من هزج العشي، أي: من خوف هزج العشي».

(١٠) هر: بدل من هزج العشي. اتقاها: استقبلها.

وما السِّنَّوْرُ في نَفْسِي بأهلٍ لِغزْلانِ الخمائلِ والبِراقِ[1]
فطلِّقها فَلَسْتَ لها بأهْلٍ ولو أَعْطيْتَ هِنداً في الصَّداقِ[2]

١٤١٤ - [الرجم بالسنانير والكلاب]

قال صاحب الكلب: قالوا: ولما مات القصبيّ - وكان من موالي بني ربيعة بن حنظلة، وهو عمرو القصبي، ومات بالبصرة - رُجم بالسنانير الميّتة. قال: وقد صنعوا شبيهاً بذلك بخالد بن طليق، حين زعم أهله أن ذلك كان عن تدبير محمد بن سليمان.

وقالوا: ولم نر الناس رَمَوْا أحداً بالكلاب الميّتة. والكلابُ أكثر من السنانير حيَّة وميّتة. فليس ذلك إلا لأن السنانير أحقرُ عندهم وأنتن.

١٤١٥ - [استطراد لغوي]

قال: ويقال للجرذان العضلان. وأولاد الفأرِ أدراص، والواحد دِرْص. وكذلك أولاد اليرابيع. يقال: أدراص ودُروص. وقال أوسُ بن حَجَر[3]: [من الطويل]

ودَّ أبو ليلى طُفيل بن مالكٍ بمنعرَج السُّوبان لو يتقصَّع[4]

قال: واليرابيع: ضربٌ من الفأر. قال: ويقال: نفَّق اليربوع ينفِّق تنفيقاً: إذا عمل النافقاء، وهي إحدى مجاحره، ومحافره. وهي النافقاء والقاصعاء، والدَّامَّاء، والراهِطاء. وقال الشاعر[5]: [من الوافر]

فَمَا أُمُّ الرُّدَيْنِ وَإِنْ أدلَّتْ بعالمةٍ بأَخْلاقِ الكرامِ
إذا الشيطانُ قَصَّع في قفاها تنفَّقْنَاهُ بالحَبْلِ التُّؤَامِ[6]

---

(١) البراق: جمع برقة؛ وهي أرض ذات حجارة مختلفة الألوان.

(٢) الهند: اسم للمائة من الإبل. الصداق: المهر.

(٣) ديوان أوس بن حجر ٥٨، ومعجم ما استعجم ٧٠٩ (السؤبان)، والجمهرة ٣٦٧، وبلا نسبة في المقاييس ٥/ ٩٢.

(٤) في ديوانه: «يريد: تمنى لو يختفي. وأصله من تقصع اليربوع، وهو أن يدخل قاصعاءه. والسؤبان: واد في ديار بني تميم؛ ويوم من أيام عامر وتميم؛ وفيه فرّ طفيل بن مالك».

(٥) البيتان بلا نسبة في اللسان والتاج (نفق)، والتهذيب ٩/ ١٩٣، والثاني في اللسان والتاج والأساس (قصع).

(٦) تنفقناه: استخرجناه. التؤام: المزدوجات.

فإذا طلبَ من إحدى هذه الحفائر نافق، أي فخرج النّافقاء، وإن طُلب من النافقاء قصّع. ويقال: أنفقته إنفاقاً: إذا صاح به حتى يخرُج. ونَفِقَ هو: إذا خَرَجَ من النافقاء.

١٤١٦ - [احتيال اليرابيع]

وفي احتيالِ اليرابيعِ بالنافقاء، والقاصعاء، والدّامّاء والرّاهطاء، وفي جَمْعها الترابَ على نفسِ باب الجُحْر، وفي تقدمها بالحيلة والحِراسة، وفي تغليطها لمن أرادها، والتّوريةِ بشيء عن شيء، وفي معرفتها بباب الخديعة، وكيف تُوهِم عَدُوّها خلاف ما هي عليه، ثم في وطئها على زمَعاتها[١]، في السهولة وفي الأرض اللينة، كي لا يعرفَ أثرها الذي يقتَصُّه[٢]، وفي استعمالها واستعمال بعض ما يقاربها في الحيلة التوبير - والتوبير: الوطْء على مآخِير أكفِّها - العجبُ العجيب.

١٤١٧ - [أنفاق الزباء]

وزعم أبو عَقيل بن دُرُسْت، وشدَّادٌ الحارثيّ، وحسين الزهريّ أن الزباء الروميّة إنما عمِلت تلك الأنفاق التي ذكرها الشاعرُ فقال[٣]: [من الوافر]

أقام لها على الأنفاقِ عَمرٌو   ولم تشعُرْ بأَنَّ لَهَا كمينَا

على تدبير اليرابيع في محافيرها هذه، ومخارجِها التي أعدَّتها ومداخِلها، وعلى قدر ما يفجَؤُها من الأمر.

وأن أهل تُبَّت والرُّوم، إنما استخرجوا الاحتيال بالأنفاق والمطامير والمخارق على تدبير اليرابيع.

١٤١٨ - [اشتقاق المنافق]

وإنما سمّى اللّه عزّ وجلّ الكافرَ في باطنه المورِّيَ بالإيمان، والمستتر بخلاف ما يُسِرّ - بالمنافق، على النافقاء والقاصعاء، وعلى تدبير اليربوع في التورية بشيء عن شيء. قال الشاعر[٤]: [من الوافر]

إذا الشيطانُ قَصَّع في قَفَاها   تنفقْنَاه بالحَبْلِ التُّؤَامِ

---

(١) الزمعات: الشعرات المدلاة في مؤخر رجل الشاة والظبي.

(٢) يقتصه: يتتبعه.

(٣) ديوان عدي بن زيد ١٨٣.

(٤) تقدم البيت في ١٤٩.

وهذا الاسمُ لم يكن في الجاهلية لمن عمِل بهذا العمل. ولكن اللّه عزّ وجلّ اشتق لهم هذا الاسم من هذا الأصل.

١٤١٩ - [كلمات إسلامية لم تكن في الجاهلية]

وقد علمْنا أن قولهم لمن لم يُحجّ: «صَرُورة»[١]، ولمن أدرك الجاهلية والإسلام: «مخضرم»[٢]، قولهم وتسميتهم لكتاب اللّه: «قرآناً» «فرقاناً»، وتسميتهم للتمسُّح بالتراب: «التيمُّم»، وتسميتَهم للقاذف بـ «فاسق» - أن ذلك لم يكنْ في الجاهلية.

وإذا كان للنابغة أن يبتدئ الأسماء على الاشتقاق من أصْل اللغة، كقوله[٣]: [من البسيط]

والنُّؤيُ كالحوضِ بالمظْلومة الجَلَدِ[٤]

وحتى اجتمعت العَرب على تصويبه، وعلى اتباع أثره، وعلى أنها لغة عربية - فاللّه الذي لهُ أصلُ اللغةِ أحقُّ بذلك.

١٤٢٠ - [شعر شمّاخ في الزّموع]

وذكر شمَّاخُ بنُ ضرار الزَّموع[٥]، وكيف تطأ الأرنبُ عَلَى زَمَعاتها[٥] لتغالِطَ الكِلاب وجميعَ ما يطالبها - فذكر بديئاً شأن العَيرِ والعانة، فقال[٦]: [من الوافر]

إذا ما اسْتافَهُنَّ ضَرَبْنَ منهُ ... مكان الرُّمح من أنف القَدُوعِ[٧]

---

(١) في النهاية ٣/٢٢ «الصرورة: أصله من الصر: الحبس والمنع».

(٢) في النهاية ٢/٤٢ «قيل لكل من أدرك الجاهلية والإسلام مخضرم، لأنه أدرك الخضرمتين. وأصل الخضرمة: أن يجعل الشيء بين بين».

(٣) صدر البيت: (إلا الأواريُّ لأياً ما أُبَيِّنُها)، وهو في ديوان النابغة الذبياني ١٥، والأغاني ١١/٣١، والخزانة ٤/١٢٢، ١١/٣٦، واللسان (جلد، ظلم، بين)، والكتاب ٢/٣٢١، والدرر ٣/١٥٩، ٦/٢٥٧، والمقاصد النحوية ٤/٣١٥، ٥٧٨.

(٤) في ديوانه: «الأواري: محابس الخيل ومرابطها. النؤي: حاجز من تراب حول الخباء لئلا يدخله السيل. المظلومة: الأرض التي لم تُمطر فجاءها السيل فملأها. الجلد: الأرض الصلبة».

(٥) الزمعات: الشعرات المدلاة في مؤخر رجل الأرنب.

(٦) ديوان الشماخ ٢٢٧ - ٢٣٢.

(٧) في ديوانه: «استافهن: شمهن. القدوع: الفحل يريد الناقة الكريمة ولا يكون كريماً، فلا يزال يضرب أنفه بالرمح أو غيره حتى يرجع.

وقد جعلَتْ ضَغَائنهنّ تبدُو بما قد كان نالَ بلا شفيعِ[1]
مُدِلأَت، يُرِدْنَ النَّأيَ منه وهُنَّ بِعَينِ مُرْتَقِبٍ تَبُوعِ[2]

ثم أخذ في صفة العُقاب، وصار إلى صفة الأرنب فقال:

كأنَّ مُتُونَهُنَّ مولِّيات عصِيُّ جناحِ طالبةٍ لَمُوعِ[3]
قليلاً ما تريث إذا استفادتْ غريضَ اللّحمِ عن ضرمٍ جَزوعِ[4]

ثم قال:

فما تَنْفَكُّ بين عُويرِضاتٍ تجُرُّ برأس عكْرِشةٍ زَمُوعِ[5]
تطاردُ سيدَ صاراتٍ، ويوماً على خزَّان قاراتِ الجموعِ[6]
تلوذ ثعالبُ الشَّرَفينِ منها كما لاذ الغريمُ من التَّبيعِ[7]
نماَهَا العزُّ في قَطَنٍ، نماها إلى فرخَين في وكْرٍ رفيعِ[8]
ترى قِطَعاً من الأحْناش فيها جَمَاجِمُهُنَّ كالخَشَلِ النَّزِيعِ

والزَّموع: التي تمشي على زَمعاتها: مآخير رِجْليها

قال أبو المفضل: توبِّر بيديها، وتمشي عَلَى زَمَعاتها عَلَى رجليها، وهي مواضع الثُّنَن[9] من الدوابِّ، والزَّمَعِ المعلَّقِ خلفَ الظُّلف من الشاة والظبي والثور.

---

(١) في ديوانه: «ضغائنهن: ما في قلوبهن من الحقد عليه. يريد: أنهن كنَّ يمكنه منهن بلا حاجة إلى شفيع له في ذلك، فلما حملن أبدين ضغائنهن المخبوءة بما نال منهن من قبل».

(٢) في ديوانه: «مدلات: جمع مدلة، من أدلت المرأة: إذا أبدت غضباً وهي راضية. النأي: البعد».

(٣) في ديوانه: «متونهن: ظهورهن. موليات: مدبرات. عصي جناح: أصول الريش. طالبة: يريد عقاباً طالبة للصيد. لموع: من لمع الطائر بجناحيه: حركهما في طيرانه وخفق بما».

(٤) في ديوانه «تريث: تبطئ. غريض اللحم: طريه. الضرم: الشديد الجوع».

(٥) في ديوانه: «عويرضات: اسم موضع كثير الآبار والحياض. العكرشة: الأرنبة الضخمة. زموع: تمشي على زمعتها، وهي الشعرة المدلاة في مؤخر رجلها».

(٦) في ديوانه: «السيد: الذئب. صارات، جمع صارة، وصارة: اسم جبل في ديار بني أسد، وقيل: جبل قرب فيد، وقيل: جبل بين تيماء ووادي القرى. خزان: جمع خزز، وهو ذكر الأرانب. قارات: جمع قارة: وهي الجبل الصغير؛ والأكمة العظيمة الجموع. الجماعات، يريد: جموع أحياء العرب».

(٧) في ديوانه: «تلوذ: تستتر وتفر. الغريم: الذي عليه الدين والذي له الدين جميعاً، والمراد هنا الأول. التبيع: صاحب الدين. يعني: أن هذه الثعالب تجد في الهرب من العقاب، كما يجد المدين في الهرب من صاحب الدين».

(٨) في ديوانه: «قطن: جبل بنجد في بلاد بني أسد. الوكر: عش الطائر. رفيع: مرتفع».

(٩) الثنن: جمع ثُنّة، وهي شعرات مدلاة في مؤخرة الحافر

قال : وكل ذلك توْبير. وهو أن تطأ عَلَى مآخير قوائمها، كي لا يعرفَ أثرها إنسانٌ ولا كلب.

وذكر أنها تطاردُ ذئباً مرّةً، وخُزَزاً مرةً، وهو الذَّكر من الأرانب؛ والعكْرِشة: الأنثى، والخِرْنِق: ولدها. فإذا قلتَ أرنب، أو عُقاب فليس إلا التأنيث. هذه العُقاب، وهذه الأرانب، إلا أن تقول: خُزَز.

وقطَن: جبَل معروف. والأحناش: الحيات. وأحناش الأرض: الضبّ، والقنفذ، واليربوع، وهي أيضاً حشرات الأرض. فجعل الحيةَ حنشاً على قولهم: « قد آذَتْني دوابُّ رأسي »: يعنون القمل؛ وعلى قوله تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلا دَابَّة الأرضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾(١).

قال أبو المفضَّل العنبري: ما أراد إلا الحيّات بأعيانها في هذا الموضع، فإن العقبان أسرعُ إلى أكل الحيّات، من الحيّات إلى أكل الفار. ويدلُّ على أنه إنما أراد رؤوسَ الحيَّات بأعيانها، قوله(٢): [من الوافر]

ترَى قِطعاً من الأحناش فيها ... جَمَاجِمُهُنَّ كالخَشَلِ النزيع

لأن أرؤُسَ الحياتِ سخيفةٌ، قليلة اللّحم والعظام. فلذلك شبَّهها بالخَشَل النزيع. والخشل: المُقْل السخيف اليابس الخفيف.

١٤٢١ - [شعر فيه ذكر المقل والحتيّ]

قال خلف الأحمر(٣): [من الوافر]

سَقَى حُجَّاجَنَا نَوْءُ الثُّريّا ... عَلَى ما كان من مَطْلٍ وبُخْلِ
هُمُ جَمَعُوا النِّعالَ فأحْرَزُوها ... وسدُّوا دونها باباً بقُفْلِ
إذا أهديتُ فاكهةً وشاةً ... وعشْرَ دجائجٍ بَعَثُوا بنَعْلِ
ومِسْوَاكَيْنِ طولهُما ذِرَاعٌ ... وعَشْرٍ منْ رَدِيِّ المقْلِ خشْلَ(٤)

---

(١) ١٤/سبأ: ٣٤.

(٢) انظر الكلام على هذا البيت في الصفحة السابقة.

(٣) الأبيات لخلف الأحمر في البيان ٣/١١١، وطبقات ابن المعتز ١٤٨، والشعر والشعراء ٧٦٤ (شاكر)، والبيتان الأخيران في الوحشيات ٢٣٥، والأبيات بلا نسبة في عيون الأخبار ٣/٣٨.

(٤) المقل: ثمر الدّوم. الخشل: المقل السخيف اليابس الخفيف.

فإن أهديتُ ذاك ليحملوني على نعْل فدقَّ اللّه رِجْلي[1]
أناسٌ تائهونَ، لهم رُواءٌ[2] تَغيمُ سماؤهم من غيرِ وَبْلِ[3]
إذا انتَسَبُوا ففرعٌ من قُريش ولكنّ الفعالَ فعالُ عُكْلِ[4]

والحَتِيّ، المقْلُ عَلَى وجهه، وقال أبو ذؤيب[4]: [من البسيط]

لادَرَّ دَرِّيَ إن أطعمتُ نازلَهمْ قِرْفَ الحتيِّ وعندي البُرُّ مكنوز[5]

بـــاب آخــر
مما للسنور فيه فضيلة على جميع أصناف الحيوان
ماخلا الإنسان

وإذا قال القائل: فلانٌ وضعَ كتابًا في أصناف الحيوان - فليس يدخل فيها الملائكةُ والجنُّ. وعلى هذا كلام الناس.

وللحيوان موضع آخر، وهو قول اللّه عزّ وجلّ في كتابه: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخرةَ لَهِيَ الحَيَوانُ﴾[6].

قد علمْنا أن العُجْم من السِّباع والبهائم، كلما قرُبت من مُشاكلَة الناس كان أشرف لها والإنسان هو الفصيح وهوالناطق.

١٤٢٢ - [إطلاق الناطق على الحيوان]

وقد يشتقُّون لسائر الحيوان الذي يُصَوِّتُ ويصيح، اسم الناطق إذا قرنوه في

---

(١) الدق: الكسر.

(٢) تائهون: من التيه، وهو الكبر. الرواء: من الرؤية، وهو حسن المنظر في البهاء. الوبل: المطر الغزير.

(٣) عكل: قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم.

(٤) البت لأبي ذؤيب الهذلي في البيان ١/١٧، وشرح شواهد الشافية ٤٨٨، وللمتنخل الهذلي في الجمهرة ٦٧، والسمط ١٥٧، وشرح أشعار الهذليين ١٢٦٣، وديوان الهذليين ٢/٨٧، واللسان (برر، كنز)، والتاج (حتي)، والمعاني الكبير ٣٨٤، وللهذلي في الكتاب ٢/٨٩، واللسان (حتا)، وبلا نسبة في اللسان (درر).

(٥) لادر دره: أي لا كان له خير يدر على الناس، وفي ديوان الهذليين: «يقول: لا رزقت الدر، كأنه قال ذلك لنفسه كالهازئ. وقِرْف كل شيء ما قرف يعني ققشره. والحتي: المقل، وهو الدَّوْم».

(٦) ٦٤/ العنكبوت: ٢٩، والحيوان في هذه الآية مصدر كالحياة.

الذكر إلى الصامت. ولهذا الفرق أعطوه هذه المشاكلةَ، وهذا الاشتقاق. فإذا تهيأ من لسانِ بعضها من الحروف مقدارٌ يَفضُلُ به عَلَى مقادير الأصناف الباقية، كان أولى بهذا الاسم عندهم. فلما تهيأ للقَطاة ثلاثة أحرف قاف. وطاء، وألف، وكان ذلك هو صوتها، سمَّوها بصوتها. ثم زعموا أنها صادقةٌ في تسميتها نفسها قطا. قال الكميت[1]: [من مجزوء الكامل]

كالناطقــات الصــادقــا ... تِ الواسقاتِ مِنَ الذَّخائرْ[2]

وقال الآخر وذَكرَ القطاة[3]: [من الطويل]

وصادقةٍ قد خَبّرَتْ، ما بعَثتْها ... طُرُوقًا، وباقي الليل في الأرض مُسْدِفُ[4]

فجعلها مُخْبِرة، وجعل خبرها صدقًا، حين زعمتْ أنها قطًا؛ وإنّ كانت القطاة لم تَرُمْ[5] ذلك.

والعرب تتوسع في كلامها. وبأي شيء تفاهَم الناسُ فهو بيانٌ؛ إلا أن بعضه أحسنُ من بعض.

والذي تهيأ للشاةِ قولها: ما، ولذلك قال ذو الرُّمة[6]: [من البسيط]

لايرفعُ الصَّوْتَ إلا ما تخوّنه ... داعٍ يناديه باسم الماء مبغُومُ[7]

وقال أبو عبَّاد النميريّ لخربَق العُمَيري، وكان يتعشَّقه ورآه قد اشترى أُضْحِية، فقال: [من المجتث]

يا ذابح الماه ماه ... فعلْتَ فعل الجفاه
أما رَحِمْتَ مِنَ المو ... تِ يا خريبق شاه

والصبيان هم الذين يسمون الشاة: ماه، كأنهم سموْها بالذي سمعوه منها، حينَ جهلوا اسمها.

---

(١) ديوان الكميت ١/٢٣٦، وأساس البلاغة (أبي)، والعمدة ٢/٢٧.
(٢) الواسقات: الجامعات.
(٣) البيت للفرزدق في اللسان والتاج (عشش)، وليس في ديوانه.
(٤) طروقاً: ليلاً. مسدف: مظلم.
(٥) رام الشيء: أراده.
(٦) ديوان ذي الرمة ٣٩٠، والخزانة ٤/٣٤٤، والخصائص ٣/٢٩.
(٧) الماء: حكاية صوت الشاة. بغمت الظبية: صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها.

وقيل لصبي يلعب على بابهم[1]: من أبوكَ يا غلام؟ وكان اسم أبيه كلبًا - فقال: وَوْ وَوْ.

وزعم صاحبُ المنطق، أن كل طائر عريض اللسان، والإفصاح بحروف الكلام منه أوجَد.

ولابن آوى صياح يشبهُ صياحَ الصبيان. وكذلك الخنزير. وقد تهيأ للكلب مثلُ: عَفْ عَفْ، ووَوْ وَوْ، وأشباه ذلك. وتهيَّأ للغراب القاف. وقد تهيَّا للهزاردَسْتان - وهو العندليب - ألوانٌ أُخر، وقد تهيَّأ للببغاء من الحروف أكثر. فإذا صرْتَ إلى السنانير وجدتها قد تهيَّأ لها من الحروفِ العددُ الكثير، ومتى أحبَبتَ أن تعرِفَ ذلك فتسمّعْ تجاوُبَ السنانيرِ، وتوعُّدَ بعضها لبعض في جوف الليل، ثم أحصِ ما تسمعه وتتبَّعْه، وتَوَقَّفْ عنده، فإنك ترى من عدد الحروف ما لو كان لها من الحاجات والعقولِ والاستطاعات؛ ثمّ ألَّفْتَهَا لكانت لغة صالحة الموضع، متوسِّطة الحال.

١٤٢٣ - [العلة في صعوبة بعض اللغات]

واللغاتُ إنما تشتدُّ وتعسُرُ عَلَى المتكلم بها؛ عَلَى قدْر جهله بأماكنها التي وُضعت فيها، وعَلَى قدْر كثرةِ العدد وقلّته، وعلَى قدْر مخارجها، وخفَّتها وسَلَسهَا، وثقلها وتعقُّدها في أنفسها، كفرق ما بين الزِّنجي والخُوزي فإن الرجل يتنخَّس[2] في بيعِ الزّنج وابتياعهم شهرًا واحدًا فيتكلَّمُ بعامّة كلامِهم، ويبايع الخُوزَ، ويجاورُهم زمانًا فلا يتعلَّق منهم بطائل.

والجملة: أنَّ مِنْ أعْوَنِ الأسباب عَلَى تعلُّم اللغة فرط الحاجةِ إلى ذلك. وعلى قدْر الضرورة إليها في المعاملةِ يكونُ البلوغُ فيها، والتقصير عنها.

١٤٢٤ - [مناسبة الهر للإنسان]

والسنور يناسبُ الإنسان في أمور[3]: منها أنه يعطسُ، ومنها أنه يتثاءَب، ومنها أنه يتمطَّى ويغسل وجهه وعينَيه بلعابه، وتلطع الهِرّةُ وبرَ جلدِ ولدِها بعد الكبر، وفي الصغر، حتى يصير كأن الدِّهان تجري في جلده.

---

(١) الخبر في البيان ١/ ٦٤.

(٢) يتنخس: يحترف النِّخاسة، وهي بيع الرقيق والعبيد.

(٣) الخبر في ربيع الأبرار ٥/ ٤٢٧.

١٤٢٥ - [مايتهيأ للغربان من الحروف]

ويتهيأ لبعض الغِرْبان من الحروف والحكايةِ ما لا يَعْشِره[١] الببغاء.

١٤٢٦ - [نفع خرء الفأر]

وزعمت الأطباء أن خُرْءَ الفأر يُسقاهُ صاحبُ الأسر فيُطْلَق عن بوله. والأسر هو حُصر البول ولكن لا يسمّى بذلك. وهو الأسر بالألف، دون الياء.

ويصيب الصبيَّ الحُصر فيحتمل من خرْء الفأر فيُطْلق عنه. فقد تهيأ في خرء الفأر دواءان لداءين قاتلين مجْهِزين. ولذلك قيل[٢] لأعرابيّ قد اجتمعتْ فيه أوجاعٌ شداد: أيَّ شيءٍ تشتكي؟ قال: أمّا الذي يعْمدني[٣] فحُصرٌ وأُسْر.

١٤٢٧ - [استطراد لغوي]

يقال: خَثَى الثور يَخْثي خثْيًا. وواحد الأخثاء خِثْيٌ كما ترى.

ويقال: خَزق الطائر، وذَرَق، ومَزَق، وزَرَق.

قال ابنُ الأعرابيّ: لا يكون النّجوُ جَعرًا حتى يكون يابسًا.

ويقال: ونَم الذُّبابُ. واسم نجوِه: الونيم. وقال الشاعر[٤]: [من الوافر]

وقد وَنَمَ الذُّبابُ عليه حتى   كأنَّ ونيمهُ نَقْط المِداَدِ

وهو ونِيم الذُّباب، وعُرَّة الطائر، وصوم النّعام، ورَوْث الحمار، وبعر البعير والشاةِ والظبي، وخِثي البقر.

وقال الزُّبير: «منْ أهْدَى لَنَا مِكْتلاً من عُرَّةٍ أهدَيْنَا لهُ مِكْتَلاً منْ تمر»[٥].

---

(١) يعشره: يبلغ عشره.

(٢) الخبر في البيان ١/٤١٠، واللسان ٣/٣٠٣ (عمد).

(٣) عمده: أضناه وأوجعه.

(٤) البيت للفرزدق في ديوانه ٢١٥ (الصاوي)، واللسان والتاج (ونم)، والمجمل ٤/٥٥٦، والجمهرة ٩٩٢، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٣/٢٥٥، والمخصص ٨/١٨٦، والتهذيب ١٥/٥٣٥، ١٦/٢٠٩، وتقدم البيت في ٣/١٦٩.

(٥) النهاية ٣/٢٠٥: (ومنه حديث سعد أنه كان يَدْمُل أرضه بالعرة، أي يصلحها. وفي رواية: كان يحمل مكيال عرة إلى أرض له بمكة).

قال: العرَّة اسمٌ لجميعِ ما يكونُ من جميعِ الحيوان. ولذا قال الزبيرُ ما قال.

قال: ويقال: رَمَصَت الدجاجة، وذرقت، وسَلَحت. فإذا صاروا إلى الإنسان والفأرة قالوا: خرء الإنسان وخُرء الفأرة. ويقال خروءة الفأرة أدخلوا الهاء فيه، كما قالوا ذكورة للذُّكران. وقد يُستعار ذلك لغير الإنسان والفأرة. قالت دَخْتَنُوس بنتُ لقيط بن زُرارة، في يوم شِعب جَبَلة[١]: [من مجزوء الكامل]

فرّت بنو أسَدٍ خرو ءَ الطَّير عن أربابها[٢]

فلذلك يقال لبني أسد: خروء الطير. وقيل لهم: عبيد العَصَا[٣] ببيت قاله صاحبهم بشر بن أبي خازم[٤]، قالها لأوس بن حارثة: [من الطويل]

عَبيدُ العَصَا لَمْ يَتَّقُوكَ بذمةٍ سوى سَيب سُعْدَى إنّ سَيْبَكَ واسعُ[٥]

١٤٢٨ - [اتقاء ألسن الشعراء]

فيجبُ على العاقل بعدَ أن يعرف مِيسم الشِّعرُ مَضرّته، أن يتَّقي لسانَ أخسٍّ الشُّعراء وأجهلهم شِعراً بشطْر ماله؛ بل بما أمكَن من ذلك. فأما العربيُّ أو المولى الرَّاوية، فلو خرجَ إلى الشعراء من جميع مِلكه لما عنّفْتُه.

والذي لا يكترث لوقْع نِبال الشعر، كما قال الباخَرْزيّ[٦]: [من المنسرح]

ما لي أرَى الناسَ يأخُذُونَ ويُعطُو نَ ويستَمْتعـون بالنَّشَـب[٧]
وأنتَ مثلُ الحمار أبهَمُ لا تشكو جراحاتِ ألْسُنِ العَرَبِ

---

(١) يوم شعب جبل: كان لعامر وعبس على ذبيان وتميم، واجتمعت فيه أسد وغطفان إلى لقيط، ودارت الدائرة على ذبيان وتميم، وقتل لقيط، وأسر أخوه حاجب. انظر معجم البلدان ٢/١٠٤، والأغاني ١١/١٣١، والنقائض ٦٥٤، والعمدة ٢/٢٠٣.

(٢) البيت في الأغاني ١١/١٤٦، والنقائض ٦٦٦، ومعجم الأديبات ٢٢٥، وبلاغات النساء ٢٥٦، وشاعرات العرب ٥٢، ومراثي شواعر العرب ٥٣، والدر المنثور ١٩١، والجمهرة ١٠٩٦.

(٣) عبيد العصا: مثل يضرب للذليل الذي يكون نفعه في ضره؛ وعزه في إهانته. والمثل في مجمع الأمثال ٢/١٩، والفاخر ١٩٢. والمستقصى ٢/٣٩٨، ثمار القلوب (٨٩٥).

(٤) ديوان بشر بن أبي خازم ١١٥ (١٤٢)، والبيان ٣/٤٠، وثمار القلوب (٨٩٥).

(٥) في ديوانه: «السيب: العطاء. سعدى: هي سعدى بنت حصن الطائي أم أوس بن حارثة، وبشر يمدح أوس بن حارثة في هذا البيت. ويهجو بني أسد، وبنو أسد قوم بشر، فهو يتقرب إليه بهجاء قومه».

(٦) البيتان بلا نسبة في عيون الأخبار ٢/٤١.

(٧) النشب: المال.

ولأمر مّا قال حذيفةُ لأخيه، والرماحُ شوارعُ في صدره: «إياك والكلاَمَ المأثور»[1].

وهذا مذهبٌ فَرَعتْ[2] فيه العربُ جميع الأمم. وهومذهبٌ جامع لأسباب الخير.

١٤٢٩ - [استطراد لغوي]

قال: ويقال لموضع الغائط: الخَلاء، والمذْهب، والمخْرَج، والكنيفُ والحُشُّ، والمرحاض، والمِرْفق.

وكل ذلك كناية واشتقاق، وهذا أيضًا يدلك على شدة هربهم من الدناءة والفُسولة، والفحْش والقذَع.

قال: وعن اليزيديّ: رجع الرجُلُ، من الرجيعِ

وخبرني أبو العاص عن يونس، قال: ليس الرجيع إلا رجيعَ القول والسَّفر والجِرَّة. قال اللّه تعالى: ﴿والسّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ﴾[3] وقال الهذليُّ وهو المتنخِّل[4]: [من السريع]

أبيضَ كالرَّجْعِ رسوبٌ إذا ... ما ثاخ في مُحْتَفَلٍ يَخْتلي[5]

وفي الحديث[6]: «فلما قدِمنا الشامَ وجدْنا مرافقهم[7] قد استُقْبلَ بها القِبْلة، فكنَّا ننحَرِف ونستغفرُ اللّه».

---

(١) قال حذيفة هذا القول في يوم الهباءة، وورد هذا القول في البيان ٢/١٠٥، والعقد الفريد ٣/٣١٦. وتقدم هذا القول في ٣/٦٠. ويقوم الهباءة: هو يوم الجفر، وكان لعبس على ذبيان، وفيه قتَلَ حذيفة بن بدر وأخوه حَمَ لسيدا بني فزارة. انظر العمدة ٢/٢٠٢، ومعجم البلدان ٥/٣٨٩ (هباءة).

(٢) فرع القوم: علاهم شرفاً.

(٣) ١١/ الطارق: ٨٦، والرجع في هذه الآية هو المطر.

(٤) البيت للمتنخل الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٢٦٠، واللسان (رسب، ثوخ، رجع، حفل)، والتاج (حفل)، والتهذيب ١/٣٦٤، ٥/٧٧، والمخصص ٦/٢١، ١٠/١٢٩، والتنبيه والإيضاح ١/٢٨٣، وللهذلي في ديوان الأدب ١/١١٦، وبلا نسبة في الجمهرة ٤٦٠.

(٥) في ديوان الهذليين ٢/١٣: «الرجع: الغدير فيه ماء المطر. المحتفل: معظم الشيء، ومحتفل الوادي معظمه. ثاخ وساخ واحد، أي غاب. يختلي: يقطع. الرسوب: الذي إذا وقع غمض مكانه لسرعة قطعه».

(٦) الحديث لأبي أيوب في النهاية ٢/٢٤٧ (رفق).

(٧) مرافقهم: أراد الكنف والحشوش. «النهاية ٢/٢٤٧.

١٤٣٠ - [شعر ابن عبدل في الفأرة والسنّور]

وقال ابن عَبدَل في الفأرة والسنَّور: [من الخفيف]

يا أَبا طلحة الجوادَ أَغثْني بسجال من سَيْبك المقسومْ[1]

أَحْيِ نفسي فَدَتْكَ نفسي فإني مفْلسٌ قد - عَلمْتَ ذاك - عديمْ

أو تطوّعْ لنا بسَلْف دقيق أجرُه إن فعَلت ذاك عظيمْ[2]

قد علمتُم فلا تعامَسُ عنّي ما قَضَى اللّهُ في طعامِ اليتيمْ[3]

أراد: لا تعامَسُوا. فاكتفى بالضمة من الواو. وأنشد[4]: [من الوافر]

فلو أنَّ الأطبَّا كانُ حولي وكان مع الأطباء الأساةُ

ليس لي غيرُ جرّة وأصيص وكتاب مُنَمْنَمٍ كالوُشومْ[5]

وكساءٍ أبيعُه برغيف قد رَقَعْنَا خُروقَه بأديمْ[6]

وإكافٍ أعارَنيه نَشيطٌ هُو لحافٌ لكلِّ ضيف كريمْ[7]

ونبيذٍ مما يبيع صُهيبٌ يذَر الشّيخَ رمحه ما يَقُومْ

ربَّ حَلاًّ فقد ذكرتُ أصيصي ولحافي حتى يَغُورَ النُّجومْ

كل بيت عليه نصفُ رغيف ذاك قَسْمٌ عليهمُ معلومْ

فرَّ منه مولِّياً فارُ بيتي ولقد كان ساكناً ما يَريمْ

قلتُ: هذا صومُ النصارى فحلُّوا لا تُليحُوا شيوخَكم في السَّمومْ[8]

ضحِكَ الفأرُ ثم قلْن جميعاً أهو الحقُّ كلَّ يومٍ تَصُومْ

قلتُ: إن البراءَ قد قامَ في الـ ـنّاس بإذنٍ وأنتَ فينا ذميمْ[9]

حَمَلُوا زادَهم عَلَى خُنْفَسَات وقُراد مخيَّس مَزْمُومْ[10]

---

(١) سجال: جمع سَجْل، وهو الدلو العظيمة. السيب: العطاء.

(٢) السلف: الجراب الضخم.

(٣) التعامس: التغافل.

(٤) البيت بلا نسبة في مجالس ثعلب ٨٨، والإنصاف ٣٨٥، وشرح المفصل ٧/ ٥، ٩/ ٨٠، والمقاصد النحوية ٤/ ٥٥١، والخزانة ٥/ ٢٢٩، ٢٣١، وهمع الهوامع ١/ ٥٨، والدرر ١/ ١٧٨.

(٥) الأصيص: إناء كهيئة الجرة له عروتان يحمل فيه الطين، أو هو الخابية تزرع فيه الرياحين.

(٦) الأديم: الجلد.

(٧) الإكاف: البرذعة. نشيط: اسم رجل.

(٨) لا تليحوا: لا تهلكوا. السموم: الريح الحارة.

(٩) البراء: الليلة الأولى أو الأخيرة، أو اليوم الأول أو الأخير من الشهر.

(١٠) خنفسات: جمع خنفسة. مخيس: مذلل. مزموم: وضع عليه الزمام.

وإذا ضفدعٌ عليه إكافٌ علَّموه بعد النِّفار الرَّسيمْ[١]
خطموا أنْفَهُ بقطعة حبل يا لَقومي لأنفه المخْطُومْ
نَصَبُوا مَنْجنيقهم حَولَ بيتي يا لَقَوْمي لِبَيْتِيَ المهدومْ[٢]
وإذا في الغباء سَمٌّ بُرَيصٌ قائمٌ فوقَ بيتنا بِقَدُومْ[٣]
قلتُ: بيتُ الجرينِ مجمعُ صدق كان قدْماً لجمعكم معلومْ[٤]
قلنَ: لولا سنَّوْرَتَاهُ احتفَرْنا مَسْكَناً تحتَ تمرِه المركومْ[٥]
إن تُلاق سنَّوْرَتاهُ فضاءً تذرانا وجَمْعُنَا كالهزيمْ
عشَّشَ العنكبوتُ في قعرِ دَنِّي إنَّ ذا مِنْ رَزِيَّتي لعظيمْ
ليتني قد غَمَرتُ دَنِّيَ حتى أُبصرَ العنكبوتَ فيه يعومْ
غَرِقاً لا يُغيثه الدهرَ إلا زَبَدٌ فوقَ رأسه مَرْكومْ
مخرجاً كفَّه يُنَادي ذباباً أنْ أغثْني فإنني مظلومْ
قال ذَرْني فَلَنْ أطيقَ دُنُوّاً من نَبيذٍ يَشَمّه المزْكوم

وقال في الفأر والسنور: [من المنسرح]

قد قال سَنَّوْرُنا وأعهَدُهُ قد كان عضْباً مُفَوَّهاً لَسِنَا[٦]
الو أصبحتْ عندنا جنازتُها لحُنِّطت واشترى لها كَفَنا[٧]
ثم جمعْنا صحابتي وغدَوا فيهم كُرَيْبٌ يَبْكي وقام لنا
كلٌّ عجوزٍ حُلوٍ شمائلُهَا كانت لجُرْذَان بيتنا شَجَنا[٨]
من كلِّ حَدْباءَ ذَاتِ خشْخَشَةٍ أَوْ جُرَذٍ ذي شوارب أَرِنَا[٩]

---

(١) الرسيم: ضرب من السير.
(٢) المنجنيق: آلة حربية ثقيلة تستخدم لقذف الأحجار والسهام وقوارير النفط أو أي مقذوفات أخرى باتجاه العدو. وكلمة «منجنيق» دخلت العربية من الفارسية تحريفاً لعبارة «من جه نيك» وقيل إنها تعني «أنا ما أجودني»، أو بكلمة «منجك» ومعناها «الارتفاع إلى فوق». انظر الأنيق في المناجنيق ١٦.
(٣) الغباء: الغبار. سم بريص: أراد سام أبرص.
(٤) الجرين: موضع التمر الذي يجفف.
(٥) سنورتاه: مثنى سنورة. المركوم: المجموع.
(٦) العضب: الحديد في الكلام.
(٧) حنطت: طيبت بالحنوط، وهو طيب يخلط للميت خاصة.
(٨) عجوز: أي من السنانير.
(٩) حدباء: أي من الجرذان. الخشخشة: صوت كل شيء يابس. وأراد ما تصدره من صوت حين تقضم الخبز اليابس ونحوه. الأرن: النشيط.

سَقْياً لِسِنَّوْة فُجِعْتُ بها كانتْ لميثاء حقبةً سكنا[1]

١٤٣١ - [ضروب الفأر]

قال: والفأر ضروب: فمنها الجُرذان والفأر المعروفان، وهما كالجواميس والبقر، وكالبُخْت والعِراب. ومنها الزباب. ومنها الخُلدْ. واليرابيع شكلٌ من الفأر، واسم ولدِ اليربوع دِرص، مثل ولد الفأر.

ومن الفأر فأرةُ المسك[2]، وهي دويْبةٌ تكونُ في ناحية تُبّت، تصادُ لنوافجها وسُرَرِها[3]، فإذا اصطادها صائدٌ عصَب سُرّتَها بعصاب شديد، وسُرّتها مدلاة، فيجتمع فيها دمها فإذا أحكَم ذلك ذبحها.

وما أكثَر من يأكلها - فإذا ماتت قوّر السرةَ التي كان عصبَها له والفأرة حيّة، ثم دفنها في الشعير حتى يستحيلَ ذلك الدمُ المحتقِنُ هناك، الجامدُ بعد موتها، مِسكاً ذَكياً، بعد أن كان ذلك الدَّمُ لا يُرام نَتْناً.

قال: وفي البيوت أيضاً قد يوجد فأرٌ مما يقال له: فأر المسك، وهي جرذانٌ سودُ ليس عندها إلا تلك الرائحة اللازمةُ له.

قال: وفي الجِرذان جنْسٌ لها عبثٌ بالعقود والشُّنوف[4]، والدراهم والدنانير، على شبيه بالذي عليه خُلُق العَقعَق[5]؛ إلا أن هذه الجرذان تفرح بالدنانير والدراهم، وبخشخاش الحلي. وذلك أنها تخرجُها من جُحورها في بعض الزمان، فتلعب عليها وحواليها، ثم تنقلها واحداً واحداً، حتى تُعيدَها عن آخرها إلى موضعها.

فزعم الشَّرقيُّ بنُ القُطاميّ - وقد رَوَوْهُ عن شَوكَر أن رجلاً[6] من أهل الشام اطَّلع على جُرُذ يُخرجُ من جُحره ديناراً ديناراً، فلما رآه قد أخرج مالاً صالحاً استخفَّهُ الحِرصُ، فهمّ أن يأخُذَهُ، ثم أدركه الحزْم، وفتح له الرزقُ المقسوم باباً من الفطنة،

---

(١) ميثاء: اسم لامرأة. الحقبة: مدة من الدهر. سكنا: هو كل ما سكنت إليه واطمأننت به من أهل وغيره.

(٢) هذا القول حتى قوله «لا يرام نتناً» نقله ابن منظور في اللسان ٥/٤٢ - ٤٣ (فأر)، والنويري في نهاية الأرب ١٠/١٧١.

(٣) النوافج: جمع نافجة، وهي وعاء المسك. السرر: جمع سرة؛ وهي الوقبة في وسط البطن.

(٤) الشنوف: جمع شنف، وهو القرط.

(٥) العقعق: طائر مولع بالسرقة. انظر ما تقدم في ص ٨٤ - ٨٥.

(٦) الخبر في ربيع الأبرار ٥/٤٧٣.

فقال: الرأيُ أن أمْسك عن أخذه ما دامَ يخرجُ، فإذا رأيتُهُ يُدخِلُ فعند أوَّلِ دينار يغيّبه ويُعيده إلى مكانه أثِبُ عليه، فأجترفُ المال.

قال: ففعلتُ وعدتُ إلى موضعي الذي كنتُ أراه منه. فبينما هو يُخْرجُ إذ ترك الإخراج، ثم جعل يرقصُ ويثبُ إلى الهواء، ويذهبُ يَمنة ويَسرةً ساعة، ثم أخذ ديناراً فولّى به، فأدخله الجُحر، فلما رأيتُ ذلك قمتُ إلى الدنانير فأخذتها، فلما عادَ ليأخذَ ديناراً آخر فلم يجد الدنانير أقبل يثبُ في الهواء، ثم يضربُ بنفسه الأرضَ، حتى مات.

وهذا الحديثُ من أحاديثِ النساء وأشباه النساء.

باب آخر
يـدَّعــونه للـفــأْر

وهو الذي ينظر فيه أصحاب الفِراسة في قرض الفأر، كما ينظر بعضهم في الخيلان[1]، وفي الأكتاف، وفي أسرار الكفّ[2].

ويزعمون[3] أنَّ أبا جعفر المنصور نزلَ في بعض القُرَى، فقرض الفأْرُ مِسْحاً له كان يجلسُ عليه، فبعث به ليُرفَأَ[4]، فقال لهم الرفَّاء: إنَّ هنا أهل بيتٍ يَعْرفون بقَرضِ الفأْر ما ينال صاحب المتاعِ من خير أو شر، فلا عليكم أن تعرضوه عليهم قبل أن تصلحوه. فبعث المنصورُ إلى شيخهم، فلما وقعت عينُه على موضعِ القرضِ وثَب وقام قائماً ثم قال: مَن صاحبُ هذا المِسح؟ فقال المنصور: أنا. فقام ثم قال: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةَ اللّه وبركاتُه! واللّه لَتَلِيَنَّ الخِلافة أو أكون جاهلاً أو كذاباً!

ذكر هذا الحديث عُمر بن مجمِّع السَّكوني الصَّرِيمي وقد قَضَى على بعض البلدان.

---

(١) الخيلان: جمع خال، وهو نكتة سوداء في البدن.

(٢) أسرار الكف: خطوطها.

(٣) الخبر في نهاية الأرب ١٠/١٦٨.

(٤) رفأ الثوب: لأم خرقه.

١٤٣٢ - [فأرة المسك]

وسألت(١) بعضَ العطارين من أصحابنا المعتزلة عن فأْرة المسكِ فقال: ليس بالفأْرة، وهو بالخشف أشبه. ثم قصَّ عَلَيَّ شأْن المسك وكيف يُصْطنع. وقال، لولا أنَّ رسولَ اللّه ﷺ قد تطيَّب بالمِسْكِ لَمَا تطيبْت به، فأَمَّا الزبادُ(٢) فليس مما يقرب ثيابي منه شيء.

قلت له: وكيف يرتَضِع الجديُ من لَبَنِ خنزيرة فلا يحرمُ لحمه؟ قال: لأنَّ ذلك اللبن استحال لحماً، وخرجَ من تلك الطبيعة، ومن تلك الصورة، ومن ذلك الاسم. وكذلك لحومُ الجلاَّلة(٣). فالمسكُ غيرُ الدَّم، والخَلُّ غير الخمر. والجوهرُ ليس يحرمُ بعينه، وإنما يحرم للأعراض والعلَل. فلا تَقَزَّزْ منه عند تذكرك الدَّم الحقين؛ فإنه ليس به. وقد تتحوَّل النار هواءً، والهواءُ ماءً، فيصير الشبه الذي بين الماء والنار بعيداً جداًّ.

١٤٣٣ - [بيت الفأر]

والجِرذانُ لا تحفرُ بيوتها على قارعةِ طريقٍ، وتجتنبُ الخفض؛ لمكان المطَر، وتجتنبُ الجوَادَّ(٤)؛ لأن الحوافر تهدمُ عليها بيوتها. فإذا أخرجها وقعُ حافر فرس، مع هذا الصَّنيع، دلّ ذلك على شدة الجري والوقع. وقال امرؤ القيس(٥) يصفُ فرسَه: [من الطويل]

فلِلسَّوطِ أُلهوبٌ ولِلرِّجْلِ دِرَّةٌ ... وللزّجْرِ منه وقعُ أهْوَجَ مِنْعبِ(٦)

---

(١) هذا الخبر نقله ابن منظور في اللسان ٥/٤٢ - ٤٣ (فار)، وجعله متصلاً مع الخبر الذي ورد في ص ١٦٢.

(٢) الزباد: ضرب من الطب، وهو عرق حيوان يشبه السنور.

(٣) الجلالة: التي تأكل العذرة وتتبع النجاسات.

(٤) الجواد: جمع جادة، وهي معظم الطريق.

(٥) ديوان امرئ القيس ٥١، والأول في اللسان والتاج (نعب)، والجمهرة ١١٩٣، والتهذيب ٦/٣١٥، وبلا نسبة في المخصص ٦/١٦٦، وهو بقافية (مهذب) في اللسان والتاج (لهب، هذب)، وبلا نسبة في المقاييس ٥/٢١٤، والثاني في شرح شذور الذهب ٢٠٢، والأساس (نوط)، والثالث في اللسان (عكد، غبا)، والتاج (عكد)، والتهذيب ٨/٢٠٨، والرابع في اللسان والتاج (نفق، خفي)، والمقاييس ٢/٢٠٢، والعين ٤/٣١٤، والتهذيب ٧/٥٩٦، وبلا نسبة في التاج (جلب).

(٦) في ديوانه: «يقول: إذا حركه بساقه ألهب الجرْي، أي أتى بجري شديد كالتهاب النار، وإذا ضربه بالسوط درَّ بالجري، وإذا زجره وقع منه موقعه من الأهوج الذي لا عقل معه؛ أي كان هذا الفرس =

فأدرَكَ، لَمْ يَعرَقْ مَناطُ عِذَارِه ... يَدرٌّ كَخُذْرُوف الوليد المثقَّب[1]
ترى الفأر في مستعكد الأرضِ لَاجِئاً ... إلى جَدَدِ الصحراء من شدٍّ مُلهبِ[2]
خَفَاهُنَّ من أنفاقِهنَّ كأنَّما ... خَفَاهُنَّ ودْقٌ من سحابٍ مُرَكَّبِ[3]

خفاهُنَّ: أظهرهنَّ. وقرأ بعضهم: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾[4]، بفتح الألف[5]؛ أي أظهرها. وقال امرؤ القيس[6]: [من المتقارب]

فإن تَدْفِنُوا الداءَ لا نخْفِه ... وإن تبعثوا الحربَ لا نقعُدِ

وقال أعرابيّ[7]: إن بني عامرٍ جَعَلَتنِي على حنديرة[8] أعينُها، تريد أن تختفيَ دمي[9].

١٤٣٤ - [استطراد لغوي]

وقال أبو عبيدة: أربعة أحرف تهمزُها عُقَيل من بين جميع العرب، تقول[10]: فأرة، ومُؤْسَى، وجُؤْنة، وحُؤت[11].

= مجنون أهوج لما يبدو من شدة حركته ونشاطه عند الزجر. والمِنْعَب: الذي يستعين بعنقه. في الجري ويمده».

(١) رواية صدر البيت في الديوان «فأدرك لم يجهد ولم يَثْنِ شأوه». أي أدرك الفرس الوحش دون مشقة أو تعب. لم يثن شأوه: أي أدركها في طَلَق واحد دون أن تثنيه لسرعته، وشبهه لسرعته وخفته بالخذروف المثقب إذا أداره الوليد. والخذروف: عود أو قصبة مشقوقة، يفرض في وسطه، ثم يشد بخيط، فإذا أمر دار وسمعت له حفيفاً. وهو لعبة للصبيان.

(٢) رواية صدر البيت في الديوان «ترى الفار في مستنقع القاع لاحباً»، المستعكد: الغليظ من الأرض. الجدد: ما استوى من الأرض وصلب. المهلب: لشديد العدو الملتهب في الجري.

(٣) في ديوانه: «خفاهن: أي أظهرهن، أي استخرجهن. الأنفاق: الأسراب تحت الأرض. الودق: المطر».

(٤) ١٥/ طه: ٢٠

(٥) هي قراء الحسن وعاصم وابن كثير وأبي الدرداء ومجاهد وسعيد بن الجبير وقتادة وحميد. المحتسب ٢/٤٧، والبحر المحيط ٦/٢٣٢، وعمدة الحفاظ ١/٥١٨ (خفي).

(٦) البيت لامرئ القيس في ديوانه ١٨٦، واللسان (خفا)، والتاج (خفي)، ولعمرو بن أحمر في ملحق ديوانه ١٨٠، وبلا نسبة في التهذيب ٧/٥٩٥.

(٧) ورد في اللسان ١٤/٢٣٥ (خفي): «ومنه قول الغنوي لأبي العالية: إن بني عامر أرادوا أن يختفوا دمي».

(٨) الحنديرة: حدقة العين.

(٩) أي تريد أن تقتلني خفية دون أن يُعلم بي.

(١٠) في اللسان ٥/٤٣ (فار): «وعقيل تهمز الفارة والجؤنة والمؤسى «والحؤت».

(١١) المؤسى: موسى الحلاق، يذكر ويؤنث. الجؤنة: ظرف لطيب العطار. الحؤت: الحوت.

فأصناف ما يقع عليه اسمُ الفأرة: فأرة البيش، وفأرة البيت، وفأرة المِسْك، وفأرة الإبل. وفي فأرة المسك يقول حُمَيْدٌ الأرقط: [من الرجز]

مَمْطورَة خالَطَ منها النَّشْرُ ذا أرَجٍ شُقِّـقَ عنـه الفأْرُ

وفي فأرة الإبل قال الشاعر[1]: [من البسيط]

كأنّ فأرةَ مِسْك في مباءتها إذا بدا من ضياء الصُّبح تبشيرُ[2]

وهذا شبيهٌ بالذي قال الراعي[3] - وليس به -: [من الطويل]

تبيتُ بناتُ القَفْر عند لَبانـه بأحْقَفَ من أنقاء تُوضحَ هائلِ[4]
كأنّ القِطارَ حرَّكتْ في مَبيتَه جَدِيّةَ مِسكٍ في مُعَرَّس قافـلِ[5]

١٤٣٥ - [فأرة الإبل]

قال الأصمعيّ: قلت لأبي مهدية: كيف تقول: لا طيبَ إلا المسْك؟ قال: فأين أنتَ من العنبر؟! قال: فقلت: لا طيب إلا المسك والعنبر. قال: فأَين البان؟! فقلتُ: لا طيب إلا المسك والعنبر والبان[6]. قال: فأَين أنت عنْ أدهان بحَجْر[7]؟! قال: فقلت: لا طيب إلا المسك، والعنبر. والبان، وأدهان بحَجْر. قال: فأين فأْرة الإبل صادرة؟! قال الأصمعيّ: فأْرة الإبل[8].

---

(١) البيت بلا نسبة في ثمار القلوب (٦١٢).

(٢) مباءة الإبل: مناخها ومعطنها.

(٣) ديوان الراعي النميري ٢٠٩.

(٤) بنات القفر: بنات النقا، وبنت النقا تعرف باسم شحمة الأرض،و وهي دويبة صغيرة تغوص في الرمل وتسبح فيه سباحة السمك في الماء. «انظر ثمار القلوب (٧٣٦)، والمخصص ٨/١٠١». اللبان: الصدر. الأحقف: المائل من الرمل. الأنقاء: الكثبان. توضح: اسم موضع بعينه.

(٥) القطار: جمع قطر؛ وهو المطر. الجدية: القطعة من المسك. المعرس: مبيت القوم من آخر الليل. القافل: الراجع من السفر.

(٦) البان: شجر يسمو ويطول في استواء مثل بغات الأسل، وليس لخشبه صلابة، ينبت في الهضب، وثمرته تشبه قرون اللوبياء، ولها حب، ومن ذلك الحب يستخرج دهن البان.

(٧) حجر: قصبة اليمامة.

(٨) نبّه محقق ثمار القلوب (٦١١) إلى وجود نقص هنا يمكن استدراكه من نقل ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٦/٣٥٠، وذكر في الحاشية «وليس للإبل فأرة، وإنما هي رائحة طيبة تفوح منها إذا رعت العشب وزهره، ثم شربت فعرقت فاح منها رائحة طيبة، يقال لها: فأرة الإبل»، وانظر اللسان ٥/٤٣ (فأر).

١٤٣٦ - [فأرة البيش والسمندل]

وفأْرة البيش دويبة تغْتذي السُّمومَ فلا تضرها. والبِيش سمّ، وحكمه حُكم الطائر الذي يقال له: سَمَنْدَل؛ فإنه يسقُط في النار فلا يحترق ريشَه

٢٢٣٧ - [الخشب الذي لا يحترق]

ونُبِّيت عن أمير المؤمنين المأْمون أنه قال: لو أُخِذَ الطُّحْلَب فجفف في الظِّلِّ، ثم أسقِطَ في النِّيران لم يحترق.

ولولا ما عاينوا من شأن الطَّلَق والعُود الذي يُجاء به من كَرْمان[١] لاشتدَّ إنكارهم.

وزعم[٢] ابن أبي حرب أن قَسّاً راهنَ عَلَى أن الصليبَ الذي في عُنقه من خشب، أنه لا يحترق؛ لأنه من العود الذي كان صُلب عليه المسيح، وأنه كان يفْتن بذلك ناساً من أهل النظر، حتى فطن له بعضُ المتكلمين، فأتاهم بقطعة عودٍ يكون بكِرمان[١]. فكان أبقى عَلَى النار من صليبه.

١٤٣٨ - [مساوي السنانير]

قال صاحب الكلب: والسنور لصٌّ لئيم، وشَرِهٌ خَؤُون. فمن ذلك أن صاحب المنزل يرمي إليه ببعض الطعم، فيحتملُه احتمالَ المُريب، واللصِّ المغير، حتى يُولج به خَلْفَ حُبّ أو رَاقود، أو عدْلٍ[٣] أو حطب، ثم لا يأْكله إلا وهو يتلفَّت يميناً وشمالا، كالذي يخافُ أن يُسْلَبَ ما أُعطيَ، أو يُعْثَرَ على سَرِقته فيعاقَب. ثم ليس في الأرض خِبْثَةٌ إلا وهو يأْكلها، مثل الخنافس والجعْلان، وبنات وَردان، والأوزاغ، والحيّاتِ، والعقاربِ، والفأْر، وكلِّ نتن وكل خبْثة، وكلِّ مستقذَر.

وهذه الأنعامُ تدخل الغيض، فتجتنبُ مواضع السمومِ بطبائعها، وتتخطاها ولا تلتفت لِفْتها. وربما أشكل الشيءُ على البعير، فيمتَحنُه بالشَّمة الواحدة. فلا تغلط الإبلُ إلا في البيش وحده. ولا تغلط الخيل إلا في الدِّفلَى[٤] وحدَه.

---

(١) كرمان: ولاية بين فارس ومران وسجستان وخَراسان.

(٢) انظر هذا الزعم في عيون الأخبار ٢/١٠٧، وثمار القلوب (٦٦٣).

(١) الحب: الجرة الضخمة. الراقود: إناء من خزف مستطيل. العدل: نصف العدل على أحد جنبي البعير.

(٤) انظر مثل هذه الفقرة في ربيع الأبرار ٥/٤٢٧.

والسنانيرُ تموت عن أكْل الأوزاغ والحيّات والعقارب، وما لا يحصى عدده من هذه الحشرات، فهذا يدلُّ عَلَى جهل بمصلحةِ المعاش، وعَلَى حسٍّ غليظ وشَرَهٍ شديد.

١٤٣٩ - [هَيْج الحيوان]

قالوا: وكل أنثى من جميعِ الحيوانِ، ما خلا المرأةَ، فلا بدَّ لها من هَيج في زمان معلوم، ثم لا يُعْرف ذلك منها وفيها إلّا بالدلائل والآثار، أو ببعض المعاينة.

وإناثُ السنانير، إذا هجن للسِّفاد، آذَيْن بصياحهنَّ أهلَ القبائل ليلاً ونهاراً، بشيء ظاهر قاهر عليّ. لا يعتريهن فَترةٌ ولا مَلالةٌ ولا سآمة. فربَّ رجُل حُرٌّ شديدِ الغَيرة، وهو جالسٌ مع نسائه وهُنَّ يتردّدْن عَلَى مثل هذه الهيئة، ويصرُخْن في طلب السِّفاد. فكم من حرة قد خجِلت، وحُرّ قد انتقضت طبيعته.

وليس لشيء من فحولتها[١] مثلُ ذلك. فكل جنس في العالم من الحيوان فذكورته أظهر هيجاً، إلا السَّنانير.

وليس لشيء من فحولة الأجناس مثلُ الذي للجمل من الإزباد، وهجْران الرَّعْي، وتركِ الماء، حتى تنضمَّ أياطله[٢]، ويتورَّمَ رأسُه، ويكون كذلك الأيامَ الكثيرة. وهو في ذلك الوقت لو حُمِّل على ظهره - مع امتناعه شهراً من الطعام - ثلاثةَ أضعافِ حِمْله لحملَهَا.

١٤٤٠ - [أمنية المكي وإسماعيل بن غزْوان]

ونظر المكيّ إلى جمل قد أزبدَ وتلغّم، وطار على رأسه منه كشقَق البُرْسِ[٣]، وقد زمّ بأنْفه، وهو يهدر ويقبقب[٤]، لا يعقل شيئاً إلا ما هو فيه، فقال لإسماعيل بن غزوان: واللّه لودِدْت أن أهل البصرةِ رأوني يوماً واحداً إلى الليل عَلَى هذه الصفة، وأنِّي خرجتُ من قليلِ مالي وكثيره! فقال له إسماعيل: وأي شيء لك في ذلك؟ قال: كنت واللّه لا أصبح حتى يوافِيَ داري جميعُ نساء أهل البصرة، وجَواريكَ فيهنَّ فلا

---

(١) أي فحولة السنانير.

(٢) الأياطل: جمع أيطل، وهو الخاصرة.

(٣) الشقق: جمع شقة، وهي السبيبة المستطيلة من الثياب. البُرس: القطن.

(٤) يقَبقب: يرجع في هديره.

أبداً إلا بهنّ! قال إسماعيل: إنك والله ما سبقتَني إلا إلى القول، وأما النية والأُمْنيَّة فأنا والله أتمنَّى هذا منذ أنا صبيٌّ!.

١٤٤١ - [حال بعض الحيوان عند معاينة الأنثى]

وللحمار والفرَس عندَ معايَنَة الحِجْر والأتان هَيْجٌ وصياحٌ، وقلق وطلب. والجملُ يقيم على تلك الصِّفة عاينَ أو لم يعاين، ثم يُدنى من هذه الذُّكورة إناثُها فلا تسمحُ بالإمكان إلا بعد أن تَسوَّى وتُدَارَى.

١٤٤٢ - [مقارنة بين السنور والكلب والحمام]

قالوا: والسنانير إذا انتقل أربابها من دارٍ إلى دارٍ، كان وطنُها أحبَّ إليها منهم، وإن أثبَتت أعيانهم. فإن هم حوّلوها فأنكرت الدار لم تقِمْ عَلَى معرفتهم، فربما هربت من دارهم الحادثة ولم تعرف دارَهم الأولى، فتبقى متردِّدة: إما وحْشية، وإما مأخوذةً، وإما مقتولة.

والكلب يخلِّي الدار، ويذهب مع أهل الدار. والحمام في ذلك كالسنور.

١٤٤٣ - [اختلاف أثمان السنور]

قال صاحب الكلب: السنور يسوَى في صغره دِرهماً، فإذا كبر لم يَسْوَ شيئاً[1]. وقال العمّيّ[2]: [من الطويل]

فإنَّكَ فيما قد أتَيْتَ من الْخنَا ... سَفاهاً، وما قد رِدْتَ فيه بإفراطِ
كسِنَّوْرِ عَبْدِ الله، بِيعَ بدِرْهَمٍ ... صغيراً فلمّا شَبَّ بِيعَ بقيراطِ

وصاحب هذا الشعر، لو غبرَ مع امرئِ القيس بن حُجْر، والنابغةِ الذُّبياني، وزهير ابن أبي سُلْمَى، ثم مع جرير والفرزدق، والراعي والأخطل، ثم مع بشار وابن هَرْمة، وابن أبي عُيينة، ويحيى بن نوفل وأبي يعقوب الأعور، ألف سنة - لما قال بيتاً واحداً مرضياً أبداً.

وقد يضاف هذا الشعر إلى بشّار، وهو باطل.

---

(١) ورد مثل هذا القول في ثمار القلوب (٦٠٨)، وربيع الأبرار ٥/٤٢٨.

(٢) البيتان لبشار بن برد في ديوانه ٤/١١١، ومجمع الأمثال ٢/١٧٣، ووفيات الأعيان ٦/١٩٠، وعقلاء المجانين ٨٩، وانظر الحاشية السابقة.

١٤٤٤ - [حُلاق الحيوان وبعض الأمم]

وزعم لي مَنْ لا أردُّ خبرَه، أن الحُلاقَ قد يَعرض للسنانير، كما يعرِض للخنازير والحمير.

وزعم لي بعضُ أهلِ النظر، أنّ الزِّنج أشبهوا الحميرَ في كلِّ شيء، حتى في الحُلاق؛ فإنه ليس على ظهرها زنجيٌّ إلا وهو حَلَقيّ.

وقد غلط. ليس عليها زنجيٌّ عليه مَؤُونة من أن يُناك. وليس هذا تأويلَ الحُلاق. وتأويلُ الحُلاق أن يكون هو الطالب.

والنبيذ يهتِكُ ستر الحَلَقيّ، وينقُضُ عزْم المتجمِّل[١]. وهم يشربون النبيذ أبداً. وسوءُ الاحتمال له، وسرعة السكْرِ إليهم عامٌّ فيهم.

وعندنا منهم أممٌ. فلو كان هذا المعنى حقّاً لكان علمُه ظاهراً. فخبَّرني صاحبُنَا هذا[٢] أن في منزل أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكِنْدي هرّين ذكرَين عظيمين، يكومُ أحدُهما الآخَر، وذلك كثيراً ما يكون. وأن المنكوحَ لا يمانعُ الناكحَ، ولا يلتمسُ منه مثلَ الذي يبذله له.

١٤٤٥ - [أكل الهرة أولادها]

قالوا: والهرة تأكل أولادَها. فكفاك بهذه الخصْلة لُؤْماً وشَرَهاً، وعُقوقاً وغِلظَ قلب!

وقال السيِّد الحميريُّ - وذكر مَسيرَ عائشة، رضي الله تعالى عنها، إلى البصرة مع طلحةَ والزُّبير، حينَ شهِدَتْ ما لم يشهَدَا، وأقدمت على ما نكَصا عنه[٣] -: [من السريع]

جاءت مع الأشقَينَ في هَودجٍ تُزجي إلى البَصرة أجنادَها
كأنَّها في فِعْلِهَا هِرَّةٌ تُريد أن تأكلَ أولادها

ولبئس ما قال في أُمِّ المؤمنين وبنت الصدّيق! وقد كان قادراً على أن يوفِّر على عليٍّ - رضي الله عنه - فضْله، من غير أن يشتُم الحَوارِيِّينَ، وأُمّهاتِ المؤمنين، ولو

---

(١) المتجمل: المتصبر الذي يظهر للناس خلاف ما يبطن من الألم.

(٢) تقدم الخبر في ٣/ ٩٢ - ٩٣.

(٣) ديوان السيد الحميري ١٧٣.

أراد الحقَّ لسار فيها وفي ذكرها سيرةَ علي بن أبي طالب. فلا هو جعل عليّاً قدوة، ولا هو رعَى للنبيِّ ﷺ حرمة.

وذكورة سنانيرِ الجيران تأكلُ أولادَ الهرة، مادُمنَ صغاراً أو فوقَ الصغار شيئاً، وتقتلها وتطلبها أشدَّ الطلب. والأمهات تحرُسها منها وتقاتلُ دونَها، مع عجزها عن الذكورة.

١٤٤٦ - [الألوان الأصيلة في الحيوان]

قال أبو إسحاق: السنور الذي هو السنور، هو المنمّر، وهو الأنمر، وهو الذي يُقال له: البقّاليّ، وذلك لكثرة اتخاذ البقالين لها، من بين سائر السنانير، لأنها أصيد للفأر.

قال: وجميعُ ألوانِ السنانير إنما هي كالشِّيات الدَّاخلةِ على اللون.

قال: وكذلك الحمار، إنما هو الأخضر، والألوانُ الأُخَرُ داخلةٌ عليه.

قال: فأما الأسدُ فليْستْ بذاتِ شيات، ولا تعدو لوناً واحداً، ويكونُ ذلك اللونُ متقارباً غير متفاوتٍ.

١٤٤٧ - [أحوال إناث السنانير وذكورها]

قال: ومن فضيلةِ ما في السنانير، أنها تضَعُ في السَّنَةِ مرتين وكذلك الماعزة في القرى، إلا ما داس الحَبَّ.

قال: ويحدُث لإناث السنانير من القوة والشجاعة إذا كامها الفحل وهرب منها عند الفراغ فلو لحقَتْهُ قطَّعته.

ويحدثُ للذكر استخذاءٌ، كما يحدُث للذئب القويِّ إذا ناله الخدشُ اليسير، ويحدث للضعيف من الجراةِ عليه حتى يثبَ عليه فيأْكلَه؛ فلا يمتنعَ منه. كما قال الشاعر(١): [من الطويل]

وكنتَ كذئب السَّوء لما رأى دماً   بصاحبه يوماً أحالَ على الدمِ

ويحدث مثلُ ذلك للجرذ إذا خُصِي، من الحَرْد على سائر الجِرذان، حتى يثب فيقطِّعها، وتهرب منه ضعفاً عنه.

---

(١) البيت للفرزدق في ديوانه ٢/١٨٧ (صادر)، ٧٤٩ (الصاوي)، واللسان والتاج (سوأ، حول)، والتنبيه والإيضاح ١/٢٠، والتهذيب ٥/٢٤٦، وبلا نسبة في اللسان والتاج (دمي).

وسائرُ الحيوانِ إنما يعتريه الضَّعفُ عن أمثاله إذا خُصي وترك أمثالُه على حالها.

١٤٤٨ - [قول زَرَادشت في الفأر والسنور والردُّ عليه]

ثم رجَعنا إلى قول زَرادُشتَ في الفأر.

زعم زَرَادُشتُ أن الفأْرة من خَلْق اللّه. وأن السنَّوْرَ من خَلْق الشيطان. فقيل للمجوس: ينبغي على أصل قولكم أن يكون الشيءُ الذي خلق اللّهُ خيراً كله ونفعاً كلُّه، ومرفقاً[١] كله، ويكونَ ما خلقَ الشيطان على خلاف ذلك. ونحن نجدُ عياناً أن الذي قلتم به خطأ. رأينا الناس كلهم يرون أن الفأرَ بلاءٌ ابتلوا به، فلم يجدوا بدّاً من الاحتيالِ لصرْف مضرَّته، كالداء النازل الذي يلتمسُ له الشفاء. ثم وجدناهم قد أقاموا السنانير مُقامَ التداوي والتعالُج، وأقاموا الفأر مُقامَ الداء الذي أنزله اللّه، وأمر بالتداوي منه، فاجتلبوا لذلك السنانير وبناتِ عِرْس، ثم نصبوا لها ألوانَ الصيَّادات، وصنعوا لها ألوان السُّموم و المعجونات التي إذا أكلت منها ماتَت. واسْتَفْرَهُوا[٢] السنانير واختاروا الصيَّادات.

واجتَبوا السِّنَّور دون ابن عِرس، لأن ابنَ عِرسٍ يعمل في الفأر والطير كعَمل الذِّئب بِالغنم، فأوّل ما يصنع بالفريسة أن يذبَحها، ثم لا يأْكلُها إلا في الفَرْط. والسِّنَّوْرُ يقتل ثم يأكل. فالفار من السنورِ أشدُّ فَزَعاً، وهو الذي قوبل به طباعها وطباعه.

وكما أن الذي يأكل الدجاجَ كثيرٌ، وأن الذي جُعِل بإزائِه ابن آوى. وكما أن الذي يأكل الغَنمَ كثيرٌ، والذي جعِلَ بإزائها الذئب.

والأسد أقوى منه على النعجة، والنَّعجة من الذِّئب أشد فَرَقاً[٣].

والحيَّاتُ تُطَالِبُ الفأرَ والجِرذان، وهي من السنور أشد فزَعاً.

وإن كان في الجُرذان ما يُساوي السنور فإنها منه أشد فزعاً.

فإن كنتم إنما جعلتموه من خلْق الشيطان لأكْلِه صِنفاً واحداً من خلق اللّه - فالأصناف التي يأكلُها من خَلق الشيطان أكثر.

---

(١) المرفق: ما استعين به.

(٢) يستفره: يختار الفاره الجيد.

(٣) الفرق: الخوف.

وزعم زَرَادُشْت أن السِّنَّوْرَ لو بال في البحر، لقَتَلَ عشرة آلافِ سَمَكَة.

فإن كان إنما استبْصَرَ في ذمِّه في قتل السمك فالسمكُ أحقُّ بأنْ يكون من خلق الشيطان؛ لأن السمكَ يأكلُ بعضه بعضاً، والذكر يتبع الأنثى في زمان طرْح البيض، فكلما قذفتْ به التهمه. وإن غرِق إنسان في الماء، بحراً كان أو وادياً، أو بعضُ ذواتِ الأربع – فالسمكُ أسرعُ إلى أكله من الضِّباع والنسورِ إلى الجيَف.

وعلى أنَّ اعتلاله على السنور، وقوله: لو بال في البحر قتل عشرة آلافِ سمكة. فما يقول فيمن زَعَم أن الجُرذَ لو بالَ في البحر قَتَلَ مائة ألف سَمَكة؟ وبأي شيء يَبين منه؟ وهل ينبغي لمن كسر هذا القول الظاهر الكسْر، المكشوف المُوق[1] أن يفرح؟! وهل تقرُّ الجماعةُ والأممُ بأنَّ في الفأر شيئاً من المرافق؟! وهل يُمازجُ مضرَّتَها شيءٌ من الخير وإن قلَّ؟! أو ليست الفأرُ والجرذانُ هي التي تأكل كُتُبَ اللّه تعالى، وكتبَ العلْم، وكتب الحساب؛ وتقرض الثِّيابَ الثمينةَ، وتطلب سرَّ نوى[2] القطن، وتُفسد بذلك اللُّحُفَ والدَّواويج[3] والجباب، والأقبية والخفاتين[4]، وتحسُو الأدهان، فإن عجزتْ أفواهُها أخرجَتْهَا بأذنابها؟! أو ليست التي تنقب السِّلال وتقرض الأوكية[5] وتأكل الجُرُب حتى يُعلَّقَ المتاعُ في الهواء إذا أمكن تعليقُه؟!.

وتجلبُ إلى البيوت الحيّات؛ للعداوة التي بينها وبين الحيَّات، و لحرْص الحيَّات على أكلها، فتكونَ سبباً في اجتماعها في منازلهم، وإذا كثُرن قتلنَ النفوس.

وقال ابن أبي العجوز: لولا مكان الفأر لما أقامت الحيَّاتُ في بيوت الناس، إلا ما لا بال به من الإقامة.

وتقتل الفسيل[6] والنخل، وتهلك العلفَ والزرع، وربما أهلكن القَرَاحَ[7] كله، وحملْنَ شعير الكدْس وبُرَّه.

---

(١) الموق: الحمق.
(٢) سر النوى: لبه.
(٣) الدواويج: جمع دُوَّاج، وهو ضرب من الثياب.
(٤) الخفاتين: جمع خفتان، وهو ثوب يلبس تحت السلاح، أي الدرع ونحوه. انظر معجم استينجاس ٤٦٨.
(٥) الأوكية: جمع وكاء، وهو رباط القربة.
(٦) الفسيل: صغار النخل.
(٧) القراح: الأرض المخلصة لزرع أو لغرس.

أو ليس معلوماً من أخلاقها اجتذابُ فتائل المصابيح رغبةً في تلك الأدهان، حتى ربما جذَبَتْها جهلاً وفي أطرافها الأخر السُّرج تستوقد فتحرق بذلك القبائلَ الكثيرة، بما فيها من الناس والأموال والحيوان؟!.

وهي بعدُ آكل للبيض وأصناف الفِراخ من الحيَّات لها.

فكيف لم تكن من هذه الجهة من خَلْق الشيطان؟!.

هذا، وبين طِباعها وطِباع الإنسان مُنافرةٌ شديدةٌ، ووَحْشةٌ مفرِطة. وهي لاتأنسُ بالناس وإن طالتْ معايشتُها لهم والسِّنَّوْرُ آنسُ الخلق بهم.

وكيف تأنس بهم وهم لا يُقلعون عن قتلها ما لم تقلع هي عن مَساءتهم؟! فلو كنَّ مما يؤكل لكان في ذلك بعض المرفق[1]. فكيف وإنها لتُلقى في الطريق ميّتة، فما يعرض لها الكلبُ الجائع!

فالأمم كلها على التفادي منها واتخاذ السنانير لها.

وزَرَادُشْت بهذا العقل دعا الناس إلى نكاح الأمهات، وإلى التوضؤ بالبول، وإلى التوكيل في نيك المُغيبات، وإلى إقامة سُورِ للسُّنْبِ[2]، وصاحب الحائض والنفساء[3].

١٤٤٩ - [سبب نجاح زرادشت]

ولولا أنَّه صادف دهراً في غاية الفساد، وأُمَّةً في غاية البُعْد من الحرية ومن الغَيْرة والألفة، ومن التقزُّز والتنظف، لما تمّ له هذا الأمر.

وقد زعم ناسٌ أن ذلك إنما كان وإنما تمَّ لأنه بدأ بالملك[4]؛ فدعاه على قدْر ما عرَف من طباعه وشهوته وخُلُقه. فكان الملكُ هو الذي حَمَل على ذلك رعيَّتَه.

والذي قال هذا القولَ ليس يعرف من الأمور إلا بقدر ما باينَ[5] به العامّة؛ لأنه لا يجوز أن يكون الملكُ حملَ العامّة على ذلك، إلا بعد أن يكون زَرَادشتُ أَلْفى

---

(١) المرفق: المنفعة.

(٢) سور للسنب: كلمتان فارسيتان معناهما عيد للخفض، ونساء المجوس يحتفلون يوم تطهير المرأة.

(٣) من عادة المجوس تكريم صاحب الحائض في أول يوم يحدث الطمث فيه لابنته البالغ، لأنه أصبح أباً مستعداً لزيادة البشر.

(٤) الملك هو يُسْتاسْف بن لُهْراسْف، أتاه زرادشت بدين المجوسية. انظر مروج الذهب ١ / ٢٧٠ (باب ملوك الفرس الأولى).

(٥) باين: فارق.

على ذلك الفساد أجنادَ الملك. ولم يكن الملك ليقوى على العامة بأجناده، وبعشرة أضعاف أجناده، إلا أن يكون في العامة عالمٌ من الناس، يكونون أعواناً للأجناد على سائر الرعية.

وعلى أن الملوكَ ليس لها في مثل هذه الأمور عِلَّةٌ تدعو إلى المخاطرة بملكها، وإنما غايةُ الملوك كل شيء لابد للملوك منه، فأمَّا ما فضَل عن ذلك فإنها لا تخاطر بأصول المُلك تطلُّب الفضول، إلا من كان مُلْكه في نصاب إمامة، وإمامتُه في نصاب نُبوّة، فإنه يتَّبع كلّ شيء توجبه الشريعة، وإن كان ذلك سبيلَ الرأي؛ لأن الذي شرع الشريعة أعْلَمُ بغيب تلك المصلحة.

وقد ينبغي أن يكون ذلك الزمان كان أفسدَ زمان، وأولئك الأهل كانوا شرّ أهل. ولذلك لم تر قطُّ ذا دين تحوّل إلى المجوسيَّة عن دينه. ولم يكن ذلك المذهبُ إلا في شِقِّهِم وصُقْعهم[1] من فارسَ والجبالِ وخراسان. وهذه كلها فارسية.

١٤٥٠ - [أثر البيئة في العقيدة]

فإن تعجّبْت من استسقاطي لعَقْلِ كسْرَى أبرَويز وآبائه، وأحْبَائه وقَرابينه وكُتَّابه وأطبائه، وحكمائه وأساورته - فإني أقول في ذلك قولاً تَعرف به أني ليس إلى العصبيّة ذهبت.

اعلم أني لم أعْنِ بذلك القول الذين وُلدوا بعدُ على هذه المقالة، ونشؤوا على هذه الدِّيانة، وغُذُوا بهذه النِّحلة، ورُبُّوا جميعاً على هذه الملة؛ فقد علمْنا جميعاً أن عقولَ اليونانيةِ فوقَ الدِّيانة بالدهرية والاستبصار في عبادة البروج والكواكب؛ وعقول الهند فوقَ الديانة بطاعة البُدِّ[2]، وعبادة البِدَدَة[3]، وعقول العرب فوق الدِّيانة بعبادة الأصنام والخشب المنجور، والحجر المنصوب، والصخرة المنحوتة.

فداء المنشأ والتقليد، داءٌ لا يُحْسنُ علاجَه جالينُوس ولا غيرُه من الأطباء. وتعظيمُ الكبراءِ، وتقليدُ الأسلاف، وإلْفُ دينِ الآباء، والأُنس بما لا يعرفون غيره، يحتاج إلى علاج شديد. والكلام في هذا يطول.

فإن آثرت أن تتعجب، حتى دعاك التعجُّب إلى ذكر أبرويز - فاذكر ساداتِ قُريش، فإنهم فوق كسرى وآل كسرى.

---

(١) الشق والصقعة: الناحية.

(٢) البددة: جمع بد، وهي كلمة فارسية معناها الصنم.

١٤٥١ - [دفاع صاحب السنور]

وقال المحتجُّ للسنانير: قد قالوا: «أبر من هرَّة»[١] و«أعق من ضَبٍّ»[٢]، وهذا قول الذينَ عاينوها تأكلُ أولادها. وزعموا أن ذلك من شدة الحبِّ لها. وقال بعضهم: إنما يعتريها ذلك من جنونٍ يعتريها عند الولادة، وجوعٍ يذهبُ معه علمها بفرْقِ ما بين جِرائها وجراء غيرها من الأجناس، ولأنها متى أُشْبِعَتْ أو أطعمت شطْرَ شِبَعِها لم تعرض لأولادها. والرد على الأمم أمثالها عملٌ مسخوط. والعربُ لا تتعصب للسنّور عَلَى الضبِّ؛ فيُتوهَّم عليها في ذلك خلافُ الحقِّ، وإنما هذا منكم عَلَى جهة قولكم في السنور إذا نَجَثَ[٣] لنجْوه ثم ستره، ثم عاودَ ذلك المكان فشمّه فإذا وجد رائحةً زاد عليه من التراب. فقلتم: ليس الكرمَ وستر القبيح أراد، وإنما أراد تأنيس الفار. فنحنُ لا نَدَعُ ظاهر صنيعَه الذي لا حُكم له إلا الجميل لِمَا يدّعي مُدّعٍ من تصاريفِ الضمير.

وعلى أن الذي قلْتموه إن كان حقّاً فالذي أعطيتموه من فضيلة التدبير أكثر مما سلبْتموه من فضيلة الحياء.

١٤٥٢ - [العيون التي تسرج بالليل]

قال: والعيون التي تُسرج بالليل: عيون الأسْد، والأفاعي؛ والسنانير، والنُّمور.

والأُسْدُ سُجْر[٤] العيون. وعيون السنانير منها زُرق، ومنها ذهبية، كعيون أحرار الطير وعِتاقها. وعيونُ الأفاعي بين الزُّرْق والذهبية. وقال حسان بنُ ثابت[٥]: [من الطويل]

ثَريدٌ كأنّ السَّمْنَ في حَجَرَاتِه ... نُجومُ الثُّريَّا أو عُيُون الضَّيَاوِنِ

---

(١) مجمع الأمثال ١/١١٦، والدرة الفاخرة ١/٧٥، ٨٢، وجمهرة الأمثال ١/٢٠٤، ٢٤٣، والمستقصى ١/١٧.

(٢) مجمع الأمثال ٢/٤٧، والدرة الفاخر ١/٣٠٦، وجمهرة الأمثال ٢/٦٩، والمستقصى ١/٢٥٠، وأمثال ابن سلام ٣٦٩.

(٣) بخيث البئر والحفرة: ماخرج من ترابهما.

(٤) السجرة: حمرة في العين في بياضها، وبعضهم يقول: إذا خالطت الحمرة الزرقة فهي أيضاً سجراء. وقال بعضهم: هي الحمرة في سواد العين، وقيل: البياض الخفيف في سواد العين، وقيل: هي كدرة في بطن العين من ترك الكحل. اللسان ٤/٣٤٧ (سجر).

(٥) لم يرد البيت في ديوان حسان بن ثابت، وهو بلا نسبة في اللسان والتاج (ضون).

الضَّيون: السّنّور.

١٤٥٣ - [تحقيق في الألوان]

وإذا قال الناس: ثوب أزرق فإنهم يذهبون إلى لون واحد. وإذا وصفوا بذلك العينَ وَقَعَ على لونين؛ لأن البازي يسمى أزرق وكذلك العقاب، والزُّرَّقُ، وكل شيء ذهبيُّ العَين. فإذا قالوا: سنور أزرق لم يُدْرَ، أذهبوا إلى ألوان الثياب أم إلى ألوانِ عيون البزاة.

وقد قال صُحَارٌ العبديُّ حين قال له معاوية: يا أزرق! قال: البازي أزرَق. وأنشد[١]: [من الطويل]

ولا عَيْبَ فيها غيرَ شُكْلَةِ عينِها كذاك عِتاقُ الطيرِ شُكْلٌ عيونُها

والذهب قد يقال له أصفر، ويقال له أحمر.

وقال بعض بني مَرْوَانَ لبعض ولد متمِّم بن نُويرة: يا أحمر! قال: الذهَب أحمر. فلذلك زعم أن عِتاقَ الطير شُكلٌ عيونها.

وقال الأخطل[٢]: [من الطويل]

وما زالت القَتْلَى تَمُورُ دماؤُهم بدِجْلَةَ حتى ماءُ دِجلة أشكَلُ

فالشُّكلة عندهم تقع على الصُّفرة والحمرة إذا خالطا غيرهما.

١٤٥٤ - [الزرق العيون من العرب]

فمن الزرق من الناس صُحارٌ العبديُّ، وعبدُ الرحمن ابنُه، وداوُد بن متمِّم بن نويرة، والعباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، ومرون بن محمد بن مروان، وسعيد بن قيس الهمداني، وزرقاءُ اليمامة. وهي عَنْز، من بنات لُقمان بن عادِيا.

ومن الزُّرق ممن كانوا يتشاءمون به: قيس بن زهير، وكان أزرق وكان بكراً وابن بِكْرين[٣].

---

(١) البيت بلا نسبة في ثمار القلوب (٦٥٤) وتقدم البيت والخبر قبله في ٤/٣٧٢.

(٢) البيت ليس للأخطل؛ بل لجرير في ديوانه ١٤٣، والخزانة ٩/٤٧٧، ٤٧٩، والأزهية ٢١٦، والجنى الداني ٥٥٢، والدرر ٤/٣٢، وشرح شواهد المغني ١/٣٧٧، وشرح المفصل ٨/١٨، واللمع ١٦٣، ومغني اللبيب ١/١٢٨، والمقاصد النحوية ٤/٣٨٦، والتاج (شكل)، وبلا نسبة في أسرار العربية ٢٦٧، والدرر ٤/١١٢، وشرح الأشموني ٣/٥٦٢، واللسان (شكل)، وهمع الهوامع ١/٢٤٨، ٢/٢٤.

(٣) البكر: أول ولد الرجل، والعرب تتشاءم به إذا كان ذكراً، فإذا كان كلٌّ من أبويه أيضاً كذلك، قيل له=

وكانت البسوسُ زَرْقَاءَ وبكراً بنتَ بِكرين. ولها حديث لا أحقّه.

وكانت الزّبّاء زرقاء. والزرْق العيون، من بني قَيس بن ثعلبةَ، منهم المرقِّشان، وغيرهما.

١٤٥٥ - [الحمر الحماليق من العرب]

والحمرُ الحماليق[١]، من بني شيبان. وكان النعمان أزرقَ، أقشرَ، أحمرَ العينين، أحمر الحماليق. وفيه يقول أبو قُردودة حين نهى ابن عمار عن منادَمته[٢]: [من البسيط]

إني نَهيتُ ابنَ عمّارٍ وقلتُ له ... لا تأمَنَنْ أحمرَ العَينينِ والشَّعَرَهْ
إن الملوكَ متى تنزِلْ بساحتهمْ ... تطرْ بنارك من نيرانهمْ شَرَرَهْ
يا جَفْنَةً كإزاء الحوض قد هَدَمُوا ... ومَنْطِقاً مِثْلَ وشْيِ اليمنة الحِبَرَهْ

١٤٥٦ - [شعر في الزرق]

وقال عبد اللّه بن همام السّلوليّ: [من البسيط]

ولا يكونَنَّ مالُ اللّه مَأْكُلَة ... لِكلِّ أزرقَ من هَمْدانَ مكْتَحِلِ

وقال آخر[٣]: [من الطويل]

لقد زَرِقَتْ عيناك يا ابنَ مُكَعْبِرٍ ... كما كلُّ ضَبِّيٍّ من اللؤمِ أزرقُ

وفي باب آخر يقول زُهير[٤]: [من الطويل]

فلما وردْنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُه ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضر المتخيِّم[٥]

= بكر بكرين، وهو النهاية في الشؤم. ثمار القلوب ٥٣٣ (٩٤٢) وانظر عيون الأخبار ٢/٦٤، والحيوان ٣/٨٨، الفقرة (٦٥٩).

(١) الحملاق: باطن الجفن الأحمر الذي إذا قلب للكحل بدت حمرته، وقيل الحماليق من الأجفان ما يلي المقلة من لحمها.

(٢) تقدمت الأبيات في ٤/٣٧٨.

(٣) البيت لسويد بن أبي كاهل في الأغاني ٢١/٣٩٦، وبلا نسبة في اللسان والتاج (زرق)، والجمهرة ٧٠٨، والمخصص ١/١٠٠، ١٠/٨٣. ومجالس ثعلب ٣٦٧، وخلق الإنسان ١٣٣.

(٤) ديوان زهير ٢٢، واللسان (ورد، زرق، جمم)، والتاج (ورد، زرق)، والأساس (خيم، زرق)، والتهذيب ٧/٦٠٨، ٨/٦٢٩، وبلا نسبة في اللسان (خيم، عصا)، والمخصص ١٢/٦٢، والجمهرة ١٢/٦٢.

(٥) في ديوانه: «زرقاً جمامه: إذا صفا الماء رأيته أزرق إلى الخضرة، والجمام: ما اجتمع من الماء. =

١٤٥٧ - [معارف في حمرة العين]

وقال يونس: لم أرَ قرَشيّاً قطُّ أحمرَ عروقِ العينين إلا كان سيِّداً شُجاعاً.

ورُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان أشكلَ العينين ضليع الفم[١].

١٤٥٨ - [الدعاء على الفأر بالسنانير]

قال: ونزل أبو الرِّعْل الجرميّ بعض قرى أنطاكيَةَ فلَقي من جِرذانها شرّاً، فدعا عليها بالسنانير فقال: [من البسيط]

يا رَب شُعْث بَرَى الإسآدُ أوجههم ... ومُنْزِلَ الحُكم في طَه وحاميمِ[٢]
أَتحْ لشَيْخٍ ثَوَى بالشَّامِ مُغْتَرِباً ... نائي النَّصيرِ بعَيدِ الدَّارِ مَهْمومِ
تكَنَّفَتْهُ قريباتُ الخُطى دُكُنٌ ... وُقْصُ الرِّقابِ لطيفاتُ الخراطيمِ[٣]
حُجنُ المخالب والأنياب شابكةٌ ... غُلْبُ الرِّقاب رَحيبات الحيازيمِ[٤]
ثارُوا لهنَّ فما تَنْفَكُّ منْ قَنَصٍ ... لكلِّ ذَيَّالَةٍ مَقّاءَ عُلجومِ[٥]
حتى أبيتَ وزادِي غَيْرُ مُنعَكمٍ ... على النَّزيلِ ولا كُرزِي بمعْكومِ[٦]

وأنشدَني ابنُ أبي كريمة، ليزيدَ بنِ ناجيَة السَّعْدي: سعدِ بن بكر، وكان لقيَ من الفأرجَهْداً، فدعا عليهنّ بالسنانير، فقال: [من الكامل]

أزُهيرُ ما لَكَ لا يهمُّك ما بي ... أخزَى إلهُ محمدٍ أصحابي
كحْلُ العيون، صغيرة آذانُها ... جُنحَ الحنادِسِ يعتورْنَ جِرابي[٧]

= وضعن عصي: أي أقمن. والمتخيم: المقيم. والحاضر: الذين حضروا الماء، والحاضرة: أهل القرى».

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ٤ / ١٨٢٠، والترمذي في المناقب ٥/٦٠٣، وأحمد في المسند ٥/٨٦، ٨٨، ٩٧، ١٠٣.

(٢) الشعث: جمع أشعث. وهو المتلبد الشعر. الإسآد: سير الليل كله. طه وحاميم: أراد بهما سور القرآن.

(٣) الداكنة: لون يضرب إلى الغبرة بين الحمرة والسواد، أو هو لون يضرب إلى السواد. الوقص: جمع وقصاء، وهي القصيرة العنق.

(٤) الأحجن: المعوج. الأغلب: الغليظ الرقبة. الحيزوم: الصدر.

(٥) الذيالة: الطويلة الذيل. المقاء: الطويلة في دقة. العلجوم: الشديد السواد.

(٦) الكرز: ضرب من الجوالق، أو هو الخرج. المعكوم: المشدود.

(٧) الحندس: الظلمة. وأسود حندس: شديد السواد، كقولك: أسود حالك.

شُمُّ الأنوفِ لريحِ كلِّ قَفيَّةٍ	يلحَظْنَ لحظ مُرَوَّعٍ مُرتابِ[1]
دُكْنُ الجبابِ تدرَّعَتْ أبدانها	صُعْلُ الرُّؤوسِ طويلَةُ الأذنابِ[2]
شُخُتُ المخالب والأنايبِ والشَّوَى	ثُجْل الخصور رَحيبة الأقرابِ[3]
أسْقى الإلهُ بلادَهُنَّ سحائباً	غُرَّ النَّشاصِ بعيدةَ الأطنابِ[4]
تَرْمي بِغُبْسٍ كاللّيوث تَسَرْبَلَتْ	منها الجلودُ مَدارِعَ السِّنْجابِ[5]
غُلْب الرِّقاب لطيفة أعجازُها	فُطْحِ الجبَاه رَهيفة الأنيابِ[6]
مُتَبَهْنِسَاتٍ للطِّرادِ كأنها	آسادُ بِيشَةَ أُدْمِجَتْ بخضابِ[7]

ونحن نظنُّ أنّ هذه القصيدةَ من توليد ابنِ أبي كريمة.

١٤٥٩ - [معارف في السنور والفأر]

والسنّور ثاقبُ البصر بالليل. وكذلك الفأرة سوداءُ العينين، وهي في ذلك ثاقبة البصر.

والسنَّوْرُ ضعيفُ الهامة. وهامته من مَقاتِله. ولا يستطيعُ أنْ يذوقَ الطعامَ الحارّ والحامضَ.

١٤٦٠ - [مقارنة بين السِّنور والكلب]

قال: وللسنور فضيلةٌ أخرى: أنه كثيرُ الأسماء القائمة بأنفسها، غير المشتقات. ولا أنها تجمع الصفاتِ والأعمالَ، بل هي أسماءٌ قائمةٌ. من ذلك: القطُّ، والهِرُّ، والضَّيْوَن، والسنَّوْر.

وليس للكلب اسمٌ سِوَى الكلبِ، ولا للدِّيك اسمُ إلا الديك.

(١) القفية: المختار.
(٢) الداكنة: لون يضرب إلى الغبرة بين الحمرة والسواد، أو هو لون يضرب إلى السواد. الجباب: جمع جبة، وهي موصل ما بين الساق والفخذ. الصعل: جمع أصعل وصعلاء، وهو الخفيف الرأس.
(٣) الشخيت: الدقيق. الأنايب: أصلها الأناييب، وهي جمع ناب. الشوى: اليدان والرجلان، وقيل اليدان والرجلان والرأس من الآدميين، وشوى الفرس: قوائمه.
(٤) النشاص: السحاب المرتفع. الأطناب: جمع طنب، وهو حبل الخباء.
(٥) الغُبْسة: لون الرماد. المدارع: الثياب.
(٦) غلب: غلاظ. فطح: واسعات عريضات.
(٧) التبهنس: التبختر. بيشة: اسم موضع تنسب إليه الآساد.

وليس للأسد اسمٌ إلا الأسد واللَّيث، وأمَّا الضيغم، والخنابس، والرِّئبالُ، وغيرها - فليست بمقطوعة، والباقي ليست بأسماءٍ مقطوعة؛ ولا تصلح في كل مكان.

وكذلك الخمر. فإذا قالوا: قهوة، ومدامةً، وسُلاَف، وخَنْدَرِيسٌ وأشباه ذلك، فإنما تلك أسماءٌ مشتركة. وكذلك السيف. وليس هذه الأسماءُ عند العامة كذلك.

قال: وعلى السّنور من المحبة، ولا سيما من مَحَبَّة النِّساء، ومعه من الإلف والأنس والدنُوِّ، والمضاجعة والنوم في اللِّحاف الواحد - ما ليس مع الكلب، ولا مع الحمام، ولا مع الدَّجاج، ولاَ مع شيء مما يعايش الناس.

هذا، ومنها الوحشي والأهليّ فلولا قُوَّةُ حبِّه للناس لما كان في هذا المعنى أكثرَ من الكلاب، والكلاب كلّها أهلية.

قالوا: وليس بعجيبٍ أن يكون الكلبُ طيِّبَ الفم؛ لكثرةِ ريقه، ولبُعد قرابَته ومشاكَلَته للأَسد، وإنما العَجبُ في طيبِ فم السنَّور، وكأنه في الشّبه من أشبالَ الأسد.

ومن يُقَبِّل أفواه السنانير وأجْراءها من الخرائد[1] وربَّات الحِجال، والمخدَّرات، والمطهَّمات[2]، والقينات[3] أكثر من أن يُحصى لهنَّ عدد، وكلهنَّ يخبرنَ عن أفواهها[4] بالطِّيب والسلامةِ مما عليه أفواهُ السباع، وأفواهُ ذوات الجِرَّة[5] من الأنعام.

وما رأينا وضيعة قطُّ ولا رفيعة، قبَّلت فَمَ كلبٍ أو ديكٍ. وما كان ذلك من حارس قطُّ، ولا من كلابٍ، ولا من مكلِّب[6]، ولا من مُهَارِش.

والسنور يُخْضَب، وتُصاغُ له الشنوف[7] والأقْرِطَة، ويُتحف[8] ويدلَّل.

ومَنْ رأى السنوْر كيف يَختِلُ العُصفورَ، مع حَذَرِ العُصفور، وسُرعة طيرانه -

---

(١) الخريدة: الكبر التي تمسس قط، وقيل هي الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخضرة المتسترة.

(٢) المطهم: الحسن التام كل شيء منه على حدته فهو بارع الجمال.

(٣) القينات: جمع قينة، وهي الأَمَة.

(٤) ربيع الأبرار ٥/٤٢٨.

(٥) الجِرَّة: ما يخره البعير ونحوه من جوفه ثم يمضغه ويبلعه.

(٦) الكلاَّب: صاحب الكلاب. المكلب: الذي يعلم الكلاب أخذ الصيد.

(٧) الشنوف: الأقراط التي تعلق في الأذن.

(٨) يتحف: تقدم إليه التحف.

على أن جهته في الصيد جهةُ الفهد والأسد. ومنْ رآه كيفَ يرتفعُ بوَثْبته إلى الجرادة في حال طيرَانها - علم أنه أَسْرَعُ من الجرادة.

وله إهابٌ فضفاضٌ، وقميصٌ من جلده واسعٌ، يموج فيه بدنُه. وهو مما يضبع[1] لسعَة إبطيه، ولو شاء إنسان أن يعقدَ صُلْبَهُ، ويَثْنِيَ أوَّله عَلَى آخرِه، كما يُثْنَى المِخْراق[2]، وكما يثنى قضيبُ الخيزُرانَ لفَعَلَ.

ويوصفُ الفَرَسُ بأنه رهِل اللَّبان[3]، رحيبُ الإهاب، واسع الآباط. وعيب الحمار للكزَازة التي في يديه، وفي منكبيهِ، وانضمامهما إلى إبطيه، وضِيق جلدِهِ، وإنما يعدُو بعُنقه.

١٤٦١ - [التجارة في السنانير]

قالوا: وللسنور تجَّارٌ وباعة، ودلاّلون، وناسٌ يعرفون بذلك. ولها رَاضَة[4].

وقال السِّنْديُّ بن شاهك[5]: ما أعياني أحدٌ من أهل الأسواق: من التجّار، ومن الباعة والصنّاع، كما أعياني أصحابُ السنانير، يأخذون السنّوْر الذي يأكل الفرَاخ والحمامَ، ويواثب أقفاص الفواخت والوراشين والدّباسي[6] والشّفانين[7]، ويدخلُونه في دَنٍّ، ويشدُّون رأسَه، ثم يدحْرِجونه على الأرض حتى يَشْغَلَه الدُّوَار، ثم يدخلونه في قفص فيه الفراخُ والحمام، فإذا رآه المشتري رأى شيئاً عجباً، وظنّ أنه قد ظفر بحاجته. فإذا مضى به إلى البيت مَضى بشيطانٍ، فيجْمع عليه بليَّتين إحداهما أكْلُ طيوره وطيور الجيران، والثانية أنه إذا ضَرِيَ عليها لم يطلُبْ سِواها.

ومررتُ يوماً وأنا أريدُ منزلَ المكّي بالأساورة[8] وإذا امرأة قد تعلّقَت برجُل وهي تقول: بيني وبينك صاحبُ المسْلَحَة[9] فإنك دَلَلْتَنِي عَلَى سِنَّوْرٍ، وزعمتَ أنه

---

(١) يضبع: يمد ضبعيه في سيره، والضبع: وسط العضد بلحمه.
(٢) المخراق: منديل أو نحوه، يلف ويلوى ليضرب به؛ أو يفزع به.
(٣) الرهل: الاسترخاء. اللبان: الصدر.
(٤) راضة: جمع رائض، وهو الذي يروض الدواب.
(٥) الخبر في ربيع الأبرار ٥/٤٢٨.
(٦) الدباسي: ضرب من الحمام الوحشي، منسوب إلى دبس الرطب.
(٧) الشفنين: ضرب من الحمام حسن الصوت.
(٨) الأساورة: قوم من العجم بالبصرة؛ نزلوها قديماً؛ كالأحامرة بالكوفة. انظر اللسان ٤/٣٨٨ (سور).
(٩) المسلحة: قوم ذوو سلاح.

لا يقربُ الفراخ، ولا يكشفُ القدُور، ولا يدنو من الحيوان، وزعمت أنك أبصر الناس بسنور، فأعطيتُك على بصرك و دلالتك دانقاً[1]؛ فلما مضيتُ به إلى البيت مضيتُ بشيطان قد واللّه أهْلَكَ الجيرانَ بعد أن فرغَ منا. ونحنُ منذ خمسةِ أيامٍ نحتال في أخذه، وها هو ذا قد جئتك به فرُدَّ عَلَيَّ دانقي[1]، وخُذ ثمنه من الذي باعني. ولا واللّه إن تُبْصِرُ من السنانير قليلاً ولا كثيراً!

قال الدلاّل: انظروا بأيِّ شيء تستقيلني[2]؟! ولا واللّه إنْ في ناحيتنا فتًى هو أبصرُ بسنور منِّي، وذلك من مَنِّ سيِّدي ومولاي!

فقلتُ للدَّلاّل: ولا واللّه إن في هذه الناحية فتًى هو أشكر للّه منك.

١٤٦٢ - [أكل السنانير]

وناس يأكلون السنانيرَ ويستطيبونها. وليس يأكل الكلبَ أحَدٌ إلا في الفُرْط

والعامة تزعم[3] أن من أكل السِّنَّوْر الأسود لم يَعْمَلْ فيه السحر. والكلبُ لايؤكل.

١٤٦٣ - [أكل الديك]

والديك خبيث اللحم عَضِله، إلا أن يُخْصَى. وتلك حيلة لأهل حِمْص وليست عندنا فيه حيلة. وقال جَحْشويه: [من الخفيف]

كيفَ صبري عن مثلِ جُمجُمة الهـــرِّ تثنَّى بمُسْبَطِرٍّ متينِ[4]
ليس يَخفى عليك حين تراها أنهـا عُـدّةٌ لـداءٍ دفيـنِ

١٤٦٤ - [سكينة التابوت]

قالوا[5]: وزعم بعضُ أهل الكتاب، وبعضُ أصحاب التفسير، أن السَّكينة التي كانت في تابوت موسى كانت رأس هِرٍّ[6].

---

(١) الدانق: سدس الدينار والدرهم.
(٢) استقاله: طلب إليه أن يقيله، أي أن يفسخ ما بينه وبينه.
(٣) ورد هذا الزعم في ربيع الأبرار ٥/ ٤٢٨، وتقدم في ٢/ ٣٦٠، الفقرة (٤٠٧)، س ١٣.
(٤) المسبطر: كل شيء ممتد.
(٥) الخبر في ربيع الأبرار ٥/ ٤٢٨.
(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إنَّ آيَةَ مُلْكه أن يأتيَكم التابوتُ فيه سكينةٌ من ربكم﴾ ٢٤٨: البقرة.

١٤٦٥ - [استطراد لغوي]

قالوا: وقلتم في الاشتقاق من اسم الكلب: كلَيب، وكلاب، ومَكْلَبة، ومُكالب، وأصاب القومَ كُلْبَة الزمان، مثل هُلْبة، وهي الشدَّة.

والكلابُ واحدُها كَلْب، وتجمع على كلاب وأكلب وكليب، كما يجمع البُخْت بَخيتاً وأبختاً.

والكَلاّب بتثقيل اللام: صاحب الكلاب. والمُكَلِّب، بتثقيل اللام وضمّ الميم: الذي يعلّم الكِلابَ الصَّيْدَ. وقال طُفيلٌ الغَنَويّ[١]: [من الطويل]

تُبَارِي مَرَاخِيهَا الزِّجَاجَ كأنها ... ضِرَاءٌ أحسَّت نَبأةً من مكلِّبِ[٢]

وقال الآخر[٣]: [من الكامل]

خُوصٌ تَرَاحُ إلى الصُّدَاح إذا غَدَتْ ... فِعْلَ الضِّرَاءِ تَرَاحُ للكَلاَّبِ[٤]

والكَلَب: داء يقع في الإبل، فيقال كلبت الإبلُ تَكْلَبُ كلَباً، وأكلَب القَوم: إذا وقع في إبلهم الكَلَب. ويقال كَلِب الكلبُ واستكلب: إذا ضَرِيَ وتعوَّدَ أكلَ الناس، ويقال للرّجل إذا عضّه الكلبُ الكَلِبُ: قد كُلِبَ الرَّجلُ.

ويقال: إن الرَّجلَ الكلِبَ يَعَضُّ إنساناً آخر، فيأتون رجلاً شريفاً، فيقطُرُ لهم من دَمِ إصبعه، فيَسْقُونَ ذلك الكلِبَ فيبرأ[٥]. وقال الكُميت[٦]: [من البسيط]

أحلامكم لسِقَام الجهلِ شافيـةٌ ... كما دِماؤكم يُشْفَى بها الكَلَبُ

قالوا: فقد يقولون للسنور هِرّ، وللأنثى هِرّة. ويقال من ذلك هرَّ الكلبُ يهرُّ

---

(١) ديوان طفيل الغنوي ٢٤، واللسان والتاج (بوأ، كلب)، والمخصص ١٦/ ٣٠، والتهذيب ١٥/ ٥٩٨، وكتاب الجيم ٢/ ٢٤، ٣/ ١٧٠، والجمهرة ١٠٥٣، والمجمل ١/ ٣٠٠، والمقاييس ٥/ ١٣٤، وبلا نسبة في الجمهرة ٣٧٦، ١٠٦٦.

(٢) المراخي: جمع مرخاء؛ وهي السهلة العدو. الزجاج: الأسنة. الضراء: أشلاء الكلب على الصيد؛ مأخوذ من أضريته بمعنى عودته. النبأة: الصوت.

(٣) البيت بلا نسبة في اللسان والتاج (روح).

(٤) الخوص: جمع خوصاء؛ وهي الغائرة العين من الإبل. تراح: تجد راحة. الصداح: الغناء.

(٥) انظر بداية الجزء الثاني من كتاب الحيوان هذا.

(٦) ديوان الكميت ١/ ٨١، واللسان والتاج (كلب).

هريراً، وتسمَّى المرأةُ بهرَّة، ويكنى الرّجُل أبا هِرٍّ، وأبا هُريرة. وقال الأعشى[1]: [من البسيط]

ودِّعْ هُريرةَ إنَّ الركبَ مُرْتحِلُ وهل تُطيق وَداعاً أيها الرجلُ

وقال امرؤ القيس[2]: [من الكامل]

دارٌ لهرٍّ والرَّبابِ وفَرْتَنَى ولِميس قبْلَ تفرُّقِ الأيَّامِ[3]

وقال ابن أحمرَ[4]: [من السريع]

إنَّ امرأَ القيسِ عَلَى عَهْده في إرْث ما كان بناه حُجُرْ
بَنَّتْ عليه الملك أطنابَها كأسٌ رَنَوْناةٌ وطِرْفٌ طِمِرْ[5]
يلهُو بهندٍ فوقَ أنماطِها وفَرْتَنَى تَسْعَى عليه وهِرْ[6]

١٤٦٦ - [أطْباء الهرة ومدة حملها]

قال: وللهرة ثمانية أطباء: أربعةٌ تقابلُ أربعة، أوَّلهنَّ بين الإبط والصَّدْر، وآخِرُهُنَّ عند الرُّفْغ. وتحملُ خمسين يوماً، وتضع جراهَا عُمْياً. وليس بين تفقيحها وتفقيح جراءِ الكلابِ إلا اليَسير.

١٤٦٧ - [إيثار الهرة والديك]

والهِرَّةُ من الخلْق الذي يؤثِر على نفسه، ولها فضيلةٌ في ذلك على الدِّيك الذي له الفضيلة في ذلك على جميع الحيوان، إلا أن الديك لا يفعل ذلك بالدجاج إلا مادام شابّاً. ولا يفعل ذلك بأولاده، ولا يعرفهم؛ وإنما يفعل ذلك بالدجاجِ عَلَى غير الزِّواج، وعَلَى غير القصد إلى واحدة يقصد إليها بالهوى.

والهرَّة يُلقى إليها الشيء الطيبُ وهي جائعة، فتدعو أولادها، وقد استغنين عن اللبن، وأطَقْنَ الأكل والتقمُّم والتكسُّب، نعم حتى ربما فعلتْ ذلك بهنّ وهنَّ في

---

(١) ديوان الأعشى ١٠٥، واللسان (جهنم)، والتاج (ودع)، والمقاييس ٤/١٢٦.

(٢) ديوان امرئ القيس ١١٤.

(٣) في ديوانه: «يقول: هذه الديار لهند وصواحبها، إذ نحن جيرة قبل أن تحدث الأيام الفراق».

(٤) ديوان عمرو بن أحمر ٦٢ - ٦٣، واللسان (رنا).

(٥) الرنوناة: الدائمة على الشرب. الطرف: الخيل العتيق الكريم. الطمر: الوثاب.

(٦) فقح الجرو: فتح عينيه وهو صغير.

العينِ شبيهاتٌ بها في العظم؛ فلا تزالُ ممسكة عن تلك الشحمة على جُوعها، ومع شرهِ السنانير، حتى يُقبِلَ ولدُها فيأكلَه.

ورجلٌ من أصحابنا ائتمنوه على مال، فشدّ عليه فأخذه، فلما لامه بعضُ نصحائه قال: يطرحون اللحم قُدّام السِّنَّورِ فإذا أكله ضربوه!

فضَرَبَ شَرَهَ السنور مثلاً لنفسه.

والهرَّة ربما رموا إليها بقطعة اللحم، فتقصدُ نحوها حتى تقف عليها، فإذا أقبلَ ولدها تجافتْ عنها. وربما قبضتْ عليها بأسنانها فرمت بها إليه بعد شمِّ الرائحة، وذَوق الطعم.

١٤٦٨ - [نقل الهرة أولادها]

والهرَّة تنقل أولادها في المواضع، من الخوف عليها. ولا سبيل لها في حملها إلا بفيها. وهي تعرِف دقَّةَ أطْرَافِ أنيابها، وذَرَب أسنانها. فلها بتلك الأنياب الحدَاد ضربٌ من القبض عليها، والعَضِّ لهَا، بمقدار تبلغُ به الحاجة، ولا تؤثّر فيها ولا تؤذيها.

١٤٦٩ - [مخالب الهرة والأسد]

فأما كفُّها والمخالبُ المعقَّفة الحِدَادُ التي فيها، فإنها مصونة في أكمامها. فمتى وقعت كفُّها على وجه الأرض صارت في صوْن، ومتى أرادت استعمالها نَشرَتها وافرة، غير مكلومةٍ ولا مثلومة، كما وصف أبو زُبَيْدٍ كفَّ الأسد فقال[1]: [من الوافر]

بحُجْن كالمحاجنِ في قنُوبٍ   يَقيها قِضَّةَ الأرضِ الدَّخيسُ

١٤٧٠ - [أنياب الأفاعي]

كذلك مخالبها ومخالبُ الأسد، وأنيابُ الأفاعي. وقد قال الرَّاجز، وهو جاهليٌّ[2]: [من الرجز]

حتَّى دنا من رأس نَضْناض أصمّ   فَخَاضَه بين الشِّراك والقَدَمْ[3]
بِمِذْرَبٍ أخرجَه من جوف كُمْ[4]

---

(١) ديوان أبي زيد الطائي ٦٣٢، والبرصان ٢٣٣، والمعاني الكبير ٦٧٥. وتقدم البيت في ٤ / ٤٠٠.

(٢) تقدم الرجز في ٤ / ٣٩٩.

(٣) النضناض: الحية تحرك لسانها. الشراك. سير النعل.

(٤) المذرب: الحاد، وأراد به هنا الناب.

١٤٧١ - [زعم بعض المفسرين والقصّاص في خلق السنانير والخنازير]

وزعم بعض المفسرين أن السنور خلِق من عطسة الأسد، وأن الخنزير خُلِق من سلحة[١] الفيل؛ لأن أصحابَ التفسير يزعمون أن أهلَ سفينةِ نوح لما تأذَّوْا بكثرة الفأر وشكَوا إلى نوح ذلك سألَ ربَّه الفرَج، فأمره أن يأمُرَ الأسد فيعطِسَ. فلما عطس خرج من منخرَيه زوجُ سنانير: ذكر وأنثى. خرج الذّكَر من المنْخر الأيمن، والأنثى من المنخر الأيسر. فكفَياهم مؤُونة الجُرذان. ولما تأذَّوْا بريح نَجْوهما شكوا ذلك إلى نوح، وشكا ذلك إلى ربِّه. فأمره أن يأمر الفيل فليَسْلح. فَسَلَح زوجَ خنازير فكفياهم مؤُونة رائحة النجو.

وهذا الحديثُ نافقٌ عند العوَامِّ، وعندَ بعض القُصَّاص.

١٤٧٢ - [إنكار تخلُّق الحيوان من غير الحيوان، والرد عليه]

وقد أنكر ناسٌ أن يكون الفأر تخلَّق في أرحام إناثها من أصلاب ذكورتها ومن أرحام بعض الأرَضين[٢] كطينة القاطول[٣]؛ فإن أهلها زعموا[٤] أنهم ربما رأوا الفأرةَ لم يتمَّ خلْقُها بعدُ، وإن عينيها لتبِصَّان[٥]، ثم لا يريمون حتى يتمَّ خَلقها وتشتدَّ حركتها.

وقالوا: لا يجوز لشيء خُلِقَ من الحيوان أن يُخلق من غير الحيوان. ولا يجوز أن يكونَ شيءٌ له في العالم أصلٌ أن يؤلِّف الناسُ أشياءَ تستحيل إلى مثل هذا الأصل. فأنكروا من هذا الوجْه تحويل الشبَه[٦] ذهباً، والزّيبق فضة.

وقد علمنا أن للنُّوشاذُر في العالم أصلاً موجوداً. وقد يصعِّدُون[٧] الشّعر ويدبِّرونه حتى يستحيل كحجر النوشاذُر، ولا يغادر منه شيئاً في عَمَلٍ ولا بَدَن.

---

(١) السُّلح: النجو.

(٢) الأرضون: جمع أرض.

(٣) القاطول: نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمَّر، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر؛ وبنى على فوهته قصراً. معجم البلدان ٤/ ٢٩٧

(٤) ورد هذا الزعم في ربيع الأبرار ٥/ ٤٧٣.

(٥) بص: لمع.

(٦) الشَّبَه: النحاس الأصفر.

(٧) التصعيد: شبيه بالتقطير.

وقد يدبِّرون الرّماد والقِلْيَ[1] فيستحيل حجارة سوداً إذا عُمل منها أرْحاءٌ[2] كان لها في الرّيْع[3] فضيلة.

قالوا[4]: وللمُردَارسَنْج[5] في العالم أصلٌ قائم. والرصاص يُدبَّر فيستحيل مُرداسَنْجاً[5]. وللرّصاص في العالم أصل قائم، فيدبِّرون المرداسنج[5] فيستحيل رصاصاً.

وللتُّوتياء[6] أصل قائم، فيدبرون أقليميا[7] النُّحاس فتستحيل تُوتياء.

وكذلك المينا[8]، له أصل قائم، وقد عمِله الناس.

وكذلك الحجارة السُّود للطحين وغير ذلك.

فأما قولهم: لا يجوز أن يكون شيء من الحيوان يُخلقُ من ذكر وأنثى - فيجيء من غير ذكر وأنثى - فقد قلنا في جميع ذلك في صدْر كتابنا هذا بما أمكننا.

١٤٧٣ - [معارف في الحيّات والأفاعي]

وقال: الحيّاتُ كلها تعومُ[9]، إلا الأفاعي، فإنها لايعومُ منها إلا الجَبَليّات.

قال: والحيَّة إن رأت حيّة ميتة لم تأكلها، ولا تأكلُ الفأر ولا الجرذانَ الميتة، ولا العصافير الميتة، مع حرص الحية عليها، ولا تأكل إلا لحمَ الشيء الحيِّ، إلا أن يُدخلَ الحوّاءُ في حلوقها اللحمَ إدخالاً. فأما من تلقاء نفسها فإن وجدَته، وهي جائعة لم تأكله.

فينبغي أن يكون صاحبُ المنطق إنما عَنَى بقوله: «أخبثُ ما تكون ذواتُ السمومِ إذا أكلَ بعضها بعضاً» الابتلاعَ دون كل شيء. وهم لا يعرفون ذلك في

(١) القلي: شيء يتخذ من حريق الحمض، وانظر عيون الأخبار ٢/١٠٨.
(٢) الأرحاء. جمع رحى، وهي الحجر التي يطحن به الحب.
(٣) الريع: فضل كل شيء.
(٤) الخبر في عيون الأخبار ٢/١٠٩.
(٥) المردارسنج: ما يكون من سائر المعادن المطبوخة إلا الحديد. انظر معجم استينجاس ١٢١٢.
(٦) التوتياء: حجر يكتحل به.
(٧) أقليميا: زبد يعلو المعدن عند سبكه.
(٨) المينا: جوهر الزجاج الذي يعمل منه الزجاج. انظر معجم استينجاس ١٣٤٦.
(٩) انظر الحديث عن الحيات المائية في ٤/٣٢٢، الفقرة (١٠٣٥).

الحيّات إلا للأسوَد، فإنه ربما كان مع الأفاعي في جُونة، فيجوع فيبتلعها. وذلك إذا أخذها من قِبَل رؤوسها، وإن رام ذلك من جهة الرأس فعضته الأفعى قتلتْه.

وزعموا أن الحيةَ لا تَصَّاعَدُ في الحائط الأملس ولا في غير الأمْلس، فإنما يقول ذلك أصحاب المخاريق[1] والذين يستخرجون الحياتِ بزعمهم من السقوف، ويشمون أرابيحَ أبدانها من أطراف القَصَب، إذا مَسَحوها في ترابيع البيوت.

قالوا: وقد تصعد الحيّات في الدّرج وأشباه الدَّرَج؛ لتطلبَ بيوتَ العصافير، والفأرِ، والخطاطيفِ، والزَّرازير، والخفافيش، وتتحامى في السُّقُف.

القول في العقرب

وسنذكر تمامَ القوْل في العقْرب؛ إذْ كنا قد ذكرنا من شأنها شيئاً في باب القول في الفأر.

١٤٧٤ - [نفع العقرب]

ولمَّا قيل ليحيى بن خالد، النازلِ في مُربَّعة الأحنف - وزعموا أنهم لم يروْا رجُلاً لم يختلف إلى البيمارستانات[2] ولا رجُلاً مسلماً ليس بنصرانيّ ولا رجلاً لم ينصبْ نفسه للتكسب بالطب كان أطبَّ منه - فلما قيل له: إن القينيّ قال[3]: «أنا مِثلُ العقرب أضرُّ ولا أنفع» قال: ما أقلَّ علمه باللّه عزّ وجلّ؛ لعَمْري إنها لتنفع إذا شُقَّ بطنها ثم شُدَّ على موضع اللَّسعة، فإنها حينئذٍ تنفع منفعةً بينةً!.

والعقربُ تُجعل في جوف فَخَّارٍ مشدودِ الرّأس مطيّن الجوانب، ثم يوضع الفخَّارُ في تنّور، فإذا صارت العقربُ رماداً سُقي من ذلك الرَّمادِ مَنْ به الحصاة مِقدارَ نصفِ دانقَ[4].

---

(١) المراد بالمخاريق: الاعيب المشعوذين.

(٢) البيمارستان: كملة فارسية تعني دار المرضى. انظر معجم استينجاس ٢٢٤، واللسان والتاج (مرس).

(٣) تقدم الخبر في ٤/٣٦٦ مع نسبته إلى الضبي، والخبر أيضاً في ربيع الأبرار ٥/٤٧٦، وعيون الأخبار ٢/١٠٣.

(٤) انظر هذه الفقرة في ربيع الأبراره/٤٧٦، وعيون الأخبار ٢/١٠٣.

وقال حُنين: وقد يُسقى منه الدانق وأكثر، فيفتِّتُ الحصاةَ من غير أن يضرَّ بشيء من الأعضاء والأخلاط. وخيرُ الدواء ما قصَد إلى العضْو السقيم، وسلِمَتْ عليه الأعضاء الصحيحة.

وقال يحيى: وقد تَلْسَعُ أصحابَ ضروبٍ من الحُميات العقاربُ فيُفيقُون، وتلسع الأفاعيَ فتموت، ومنها ما يلسع بعضها بعضاً فيموت الملسوع، فهي من هذا الوجه تكفي الناسَ مؤونةً عظيمة.

وتُلَقى العقربُ في الدُّهن وتُتْرَكُ فيه، حتى يأخُذ الدهن منها ويمتصّ ويجتذبَ قواها كلها بعد الموت، فيكونُ ذلك الدهنُ يفرِّق الأورام الغِلاظ. وقد عَرَف ذلك حُنين.

١٤٧٥ - [بعض أعاجيب العقرب]

ومِنْ أعاجيبها أنها لا تسبَحُ، ولا تتحركُ إذا أُلقيت في الماء كيف كان الماءُ: ساكناً أو جارياً[١].

والعقرب تطلبُ الإنسان وتقصد نحوه، فإذا قصَدَ نحوها فرَّتْ وهَربت وتقصِدُ أيضاً نحو الإنسان، فإذا ضربَتْهُ هربتْ، هربَ مَنْ قد أساء، وتعلم أنها مطلوبة.

والزنابير تطالبُ من تعرَّض لها وتقصِد لِعَينه، ولا تكادُ تعرض للكافّ عنها.

١٤٧٦ - [المودَّة والمسالمة في الحيوان]

وبين العقارب وبين الخنافس مودة. والمودَّة غيرُ المسالمة.

والمسالمة: أن يكون كل واحد من الجنسين لا يعرض للآخر بخير ولا شر، بعد أن يكون كل واحد منهما مقرَّباً لصاحبه.

والعداوة أن يعرض كل واحد منهما لصاحبه بالشرّ والأذى والقتل، ليس من جهةِ أن أحدهما طعامٌ لصاحبه.

والأسدُ ليس يثبُ على الإنسان والحمار والبقرة والشاة من جهة العداوةِ، وإنما يثبُ عليه من طريق طلبِ المطعم. ولو مرَّ به وهو غيرُ جائعٍ لم يعرض له الأسد.

---

(١) محاضرات الراغب ٢/ ٣٠٥ (٤/ ٦٧٢).

والنمر على غير ذلك. ولكن قد يقال: إن بين البَبْرِ[1] والأسد مُسالمة.

والمودة: كما يكون بين العقارب والخنافس، فإنَّ بعضها يتألف بعضاً، وليست تلك بمسالمة، وكما بين الحيَّات والوزغ، فإنها تَساقَى السّمّ وتَزَاقُّ، وكما بينَ ضروب من العقارب وأسودَ سالخ[2].

والأسْوَدُ ربَّما جاعَ في جُونة الحَوَّاء فأكل الأفعى وربما عَضَّتْهُ الأفعى فقتلتْه.

١٤٧٧ - [علاقة الرائحة بالطعم]

وريح العقارب إذا شويت مثلُ ريحِ الجراد.

وما زلتُ أظنُّ أن الطعم أبداً يتْبع الرائحة، حتى حقَّق ذلك عندي بعضُ من يأكلها مشوية ونِيَّة، أنه ليس بينها وبين الجراد الأعرابي السمين فرْق.

١٤٧٨ - [معاينة الخرق الذي في إبرة العقرب]

وزعم لي بختيشوع بن جبريل، أنه عاين الخرق الذي في إبرة العقرب. وإن كان صادقاً كما قال، فما في الأرض أحدٌ بصراً منه. وإنه لبعيدٌ، وما هو بمستنكر.

١٤٧٩ - [من أعاجيب العقرب]

وفي العقارب أعجوبةٌ أخرى؛ لأنه يقال: إنها مائية الطِّباع، وإنها من ذوات الذَّرْوِ[3] والإنسال وكثرة الولد، كما يعتري ذلك السَّمَكَ والضّبّ والخنزيرة، في كثرة الخنانِيص[4].

١٤٨٠ - [موت العقرب بعد الولادة]

قال[5]: ومع ذلك إن حَتْفها في أولادها، وإن أولادها إذا بلغْنَ وحانَ وقتُ الولادة، أكلْن جلدَ بطنها من داخل، حتى إذا خَرَقْنَهُ خَرَجْنَ منه وماتت الأُمُّ.

---

(١) البير: ضرب من السباع، شبيه بابن آوى، ويقال إنه متولد من الزبرقان واللبوة. حياة الحيوان ١/١٥٩.

(٢) أسود سالخ: ضرب من الحيات، وهو شر الحيات. حياة الحيوان ١/٤١.

(٣) الذرو: الذرية.

(٤) الخنانيص: جمع خنَّوْص، وهو ولد الخنزير.

(٥) انظر ما تقدم في ٤/٣٤٢، ونهاية الأرب ١٠/١٤٧.

وقد يطأ الإنسانُ على العقرب وهي ميتة، فتغترز إبرتها في رِجله، فيلقى الجهدَ الجاهِدَ؛ وربما أمْرَضَتْ، وربّما قتلت.

قال: وفي أشعار اللُّغز قيلَ في أكل أولاد العقرب بطنَ الأمّ، وأنّ عَطَبَهَا في أولادها(١): [من الطويل]

وحاملة لا يكْمُلُ الدَّهرَ حملُها ... تموتُ ويبقى حملها حينَ تَعْطَبُ

وليس هذا شيئاً.

١٤٨١ - [ولادة العقرب من فيها]

خبَّرني من أثق بعقله، وأسكنُ إلى خبره، أنه أرى العقرب عياناً وأولادُها يخرُجْنَ من فيها، وذكر عدداً كثيراً، وأنها صغارٌ بيضٌ على ظهورها نقطٌ سُودٌ، وأنها تحمل أولادها على ظهرها، وأنه عاين ذلك مرةً أخرى. فقلت: إن كانت العقرب تلد مِنْ فيها فأخلِقْ بها أن يكون تلاقُحُها من حيثُ تلدُ أولادَها!.

١٤٨٢ - [العقارب القاتلة]

والعقاربُ القاتلةُ تكون في موضعين(٢): بشَهْرَزُور. وقرى الأهواز، إلا أن القواتلَ التي بالأهواز جرّارات(٣). ولم نذكر عقاربَ نصيبين، لأن أصلها - فيما لا يشكُّون فيه - من شَهْرَزُور حين حُوصرَ أهلها ورُموا بالمجانيق(٤)، وبكيزان محشوَّة من عقارب شَهْرَزُور، حتَّى توالَدَتْ هناك، فأعْطَى القومُ بأيديهم.

١٤٨٣ - [لغز في العقرب]

ومن اللُّغز فيها في غير هذا الجنس: [من الطويل]

وما بَكرةٌ مضبورةٌ مقمْطرَةٌ ... مُسرّةُ كبْرٍ أن تُنال فتَمرَضا(٥)
بأَشْوسَ منها حين جاءت مُدِلَّةً ... لتقتلَ نفساً أو تصيبَ فتُمرِضا(٦)
فلما دنا نادى أوابا بنعم غيرها ... ديراً إذا نال الغريفة أو قَضَا

(١) البيت بلا نسبة في محاضرات الأدباء ٢/٣٠٥ (٤/٦٧٢)، ونهاية الأرب ١٠/١٤٧.
(٢) انظر الخبر في ثمار القلوب (٦٣٢).
(٣) الجرارات ضرب من العقارب تجرر أذنابها. انظر ما تقدم في ٤/٣٢٨ - ٣٢٩، ٣٦٦.
(٤) المجانيق: جمع منجنيق. انظر ما تقدم في الحاشية الثانية ص ١٦١
(٥) البكرة: الفتية من الإبل. المضبورة: المكتنزة اللحم. المقمطرة: الشديدة.
(٦) الشوس: النظر بمؤخر العين.

١٤٨٤ - [استخراج العقارب بالجراد والكرّاث]

قال[١]: والعقارب تُسْتَخْرَجُ من بيوتها بالجراد: تُشَدُّ الجرادةُ في طرف عود، ثم تُدْخَلُ الجُحْرَ، فإذا عاينتْها تعلقتْ بها، فإذا أُخرج العُودُ خرجت العقربُ وهي متعلقة بالجرادة.

فأما إبراهيم بن هانىء فأخبَرني أنه كان يُدْخِلُ في جُحْرها خُوط[٢] كرّاث، فلا يبقى منها عقربٌ إلا تبعته.

١٤٨٥ - [ألسنة الحيات والأفاعي]

ألسنة الحيّات كلها سودٌ. وألسنة الأفاعي حُمرٌ، إلا أنها مشقوقة.

١٤٨٦ - [جرّارات الأهواز]

وسنذكر عقارب الشتاء وعُقيرب الحرّ. وكلَّ شيء من هذا الباب، ولكنا نبدأُ بذكر جرّارات الأهواز.

ذكروا أنَّ أقتلها عقاربُ عَسكَر مُكْرَم، وأنها متى ضَرَبَتْ رجُلاً فظنَّ أن تلك العضة عضَّةُ نملة، أو وخزةُ شوكة، فنال من اللحم تضاعَفَ ما به.

وربما باتت مع الرجل في إزاره فلم تضربْه.

وهي لا تدبُّ على كل شيء له غَفْر[٣]، ولا تدبُّ على المُسوح[٤]، وما أكثرَ ما تأوي في أصول الآجُرِّ الذي قد أُخرج من الأتاتين[٥] ونضِّد في الأنابير[٦].

وكان أهل العسكر يروْن[٧] أن من أصلح ما يُعالج به موضع اللسعة أن يُحجَم، وكان الحجَّام لا يرضى إلا بدنانير ودنانير، لأن ثناياه ربما نَصَلَتْ، وجلدَ وجهه ربما

---

(١) ورد الخبر في ربيع الأبرار ٥ / ٤٨٤.

(٢) الخوط: القضيب من النبات.

(٣) الغفر: زئبر الثوب وما شاكله، والزئبر: ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخز، أو هو ما يظهر من درز الثوب.

(٤) المسوح: جمع مسح، وهو الكساء من الشعر.

(٥) الأتاتين: جمع أتون، وهو الموقد.

(٦) الأنابير: جمع أنبار، وهو أهراء الطعام، والهري: بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان.

(٧) انظر هذا الخبر في ربيع الأبرار ٥ / ٤٧٧.

تبطَّطَ[١] من السمِّ الذي يرتفع إلى فيه، بمصَّته وجذْبته من أذناب المحاجم[٢]. حتى عمدوا بعد ذلك إلى شيء من قُطْنٍ، فحشَوْا به تلك الأنبوبة، فإذا جذب بمصّته فارتفع إليه من بخار الدَّمِ أجزاءٌ من ذلك السم، تعلقت بالقطن، ولم تنفُذْ إلى فيه. والقطن ليس مما يدفع قوَّة المص. ثم وقعوا بعد ذلك على حشيشةٍ فوجدوا فيها الشفاء!

١٤٨٧ - [من أعاجيب العقرب]

ومن أعاجيب ما في العقرب أنا وجدْنا عقارب القاطول يموتُ بعضُها عن لسع بعض، ثم لا يموتُ عن لسعها شيء غير العقارب[٣].

ونجدُ العقربَ تلسعُ إنسانًا فيموت الإنسان، وتسلع آخرَ فتموت هي. فَدَلَّ ذلك على أنها كما تعطي تأخُذ، وأن للناس أيضًا سُمومًا عجيبة. ولذلك صار بعضهم إذا عضّ قتل.

ومن أعاجيبها أنها تضرب الطست[٤] أو القمقُم[٥] فتخرقُه. وربما ضربتْه فتثبُتُ فيه إبرتُها ثم تنصل حتى تَبين منها.

١٤٨٨ - [العنبر وأثره في الطيور والبالِ]

والعنبر يقذفه البحرُ إلى عبريه[٦]، فلا يأكل منه شيء إلا مات، ولا ينقُره طائرٌ بمنقار إلا نصل فيه منقاره. فإذا وضع رجليه نصلتْ[٧] أظفاره. فإن كان قد أكلَ منه قتلَهُ ما أكل. وإن لم يكن أكلَ فإنه ميت لا محالة، لأنه إذا بقي بغير منقار، ولم يكن للطائر شيءٌ يأكل به مات.

والبحْريُّونَ والعطَّارُون يُخبرونَنَا أنهم ربما وجدوا فيه المنقارَ والظفر. وإنَّ البال[٨] ليأكلُ منه اليسيرَ فيموت.

---

(١) تبطط: تشقق.

(٢) المحاجم: جمع محجم، وهي الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة.

(٣) ربيع الأبرار ٥ / ٤٧٦.

(٤) الطست: إناء من آنية الصفر؛ أي النحاس.

(٥) القمقم: إناء من نحاس وغيره، ويسخن فيه الماء، ويكون ضيق الرأس.

(٦) عَبْرُ البحر: شاطئه.

(٧) نصلت: خرجت.

(٨) البال: الحوت العظيم. انظر تفصيل القول فيه في حياة الحيوان ١ / ١٥٩.

والبالُ: سمكة ربما كان طولها أكثر من خمسين ذراعًا.

١٤٨٩ - [أعاجيب لسع العقرب]

ومن أعاجيب العقارب أنها تلسع الأفعى فتموتُ الأفعى ولا تموت هي، وتلسع بعضَ الناس، فتموتُ هي، ولا ينال الملسوع منها مِن المكروه قليل ولا كثير. ويزعم العوامُّ أن ذلك إنما يكونُ لمن لسعتْ أمَّه عقربٌ وهو حَمْلٌ في بطنها.

وقد لسعت عقربٌ رجلاً مفلوجًا، فذهبَ عنه الفالِجُ[١]. وقصةُ هذا المفلوج معروفة، وقد عرفها صليبا وغيرهُ من الأطباء.

ومن العقارب طياراتٌ وجراراتٌ، ومعقَّفات، وخضرٌ، وحمرٌ.

١٤٩٠ - [اختلاف السموم، واختلاف علاجها]

وتختلف سمومُ العقارب بأسباب: منها اختلاف أجناسها، كالجرّارة وغيرها، ومنها اختلافُ التُّرب كفَرق ما بين جرّاراتِ عقارب شهرزور[٢] وعسكر مُكْرَم.

وتختلف مَضَرَّةُ سمومها على قدر طباع الملسوع. ويختلف قدر سمومها على قَدْر مواضع اللسعة، وعلى قدر اختلاف ما بين النهار والليل، وعلى قدر ما صادفَت عليه الملسوع من غذائه، ومن تفتُّح منافسه، وعلى قدْر ما تُصادَف عليه العقرب من الحَبَلِ وغير الحَبَل وعلى قدر لَسْعَتِها في أوَّلِ الليل عند خروجها من جُحرها بعد أن أقامت فيه شَتوَتَها. وأشدُّ من ذلك أن تلسع أوّلَ ما تخرجُ من جُحْرها بعد أن أقامتْ فيه يومها.

قال ماسرْجويه: فلذلك اختلفت وجوه العلاج، فصار ضَرْبٌ من العلاج يفيق عنه إنسانٌ ولا يُصلح أمر الآخر.

١٤٩١ - [لسعة الزنبور]

وخبرني ثمامةُ عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال[٣]: قال لي بختيشوع بن جبريل وسَلْمَوَيْه، وابن ماسَوَيه: «إن الذبابَ إذا دُلِكَ به موضعُ لسعةِ الزنبور سكن»

---

(١) عيون الأخبار ٢/١٠٣، وربيع الأبرار ٥/٤٧٧.

(٢) تقدم الحديث عن عقارب شهرزور في ١٩٢.

(٣) عيون الأخبار ٢/١٠٣ - ١٠٤، والعقد الفريد ٤/٢٦٣، وربيع الأبرار ٥/٤٦٠.

فلسَعني زنبورٌ فحككْتُ على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكَن إلا في قدْر الزمان الذي كان يسكُن فيه من غير علاج. فلم يبق في يدي منهم إلا أن يقولوا: كان هذا الزنبور حَتْفًا قاضيًا، ولولا هذا العلاج لَقَتَلَكَ.

١٤٩٢ - [حُججُ الأطِبّاء]

وكذلك همْ إذا سقَوا دواءً فضرّ، أو قطعوا عِرْقًا فضرّ، قالوا: أنت مع هذا العلاج الصَّوابِ تجِدُ ما تجد! فلولا ذلك العلاجُ كنتَ الساعة في نار جهنم.

وقيل لي - وقرأت في كتاب الحيوان - إنّ ريحَ السَّذَاب[١] يشتدُّ على الحيّات. فألقيتُ على وجوه الأفاعي جُرَز السَّذَاب فما كان عندها إلا كسائر البَقْل.

فلو قلت لهم في هذا شيئًا لقالوا: الحيّات غير الأفاعي. وهذا باطلٌ. الأفاعي نوع من الحيات. وكلهم قد عمَّ ولم يخص.

١٤٩٣ - [مايَدَّخر من الحيوان]

وجميع الحشرات والأحناش، وجميع العقاربِ وهذه الدَّبّابات[٢] التي تعضُّ وتلسع، التي تكمُن في الشتاء لا تأكلُ شيئاً في تلكَ الأشهر ولا تشرب، وكذا كل شيء من الهمَج والحشرات مما لا يتحرّك في الشتاء إلا النملَ والذرَّ والنحل، فإنها قد ادخرت ما يكفيها، وليست كغيرها مما تثبتُ حياتُه مع ترك الطعم.

١٤٩٤ - [حرص العقارب والحيات على أكل الجراد]

وللعقرب ثماني أرجل وهي حريصة على أكل الجراد. وكذلك الحيات. وما أكثر ما تلدغ وتنْهش صاحب الجراد[٣].

١٤٩٥ - [أثر المُرضِع في الرضيع]

ومن عجيب سمِّ الأفاعي ما خبرني به بعضُ من يخبُر شأن الأفاعي قال[٤]:

---

(١) السذاب: نوع من النعناع. «السامي في الأسامي ٣٩٥»، وفي عيون الأخبار ٢/٩ «الحيات تكره ريح السذاب والشيح».

(٢) الدبابات: التي تدب من الحيوان، أي تمشي على هينة.

(٣) صاحب الجراد: أي الذي يصطاد الجراد. وانظر ما تقدم في ١٩٣، وفي ٣٧٦/٤، الفقرة (١١٢٦).

(٤) ربيع الأبرار ٤٧٦/٥.

كنت بالبادية ورأيت ناقة ترتعُ، وفصيلها يرتضعُ من أخلافها، إذ نهشَت الناقةَ على مشافرها أفعى، فبقيتْ واقفةً سادرة، والفصيلُ يرتضع، فبينا هو يرتضعُ إذ خرَّ ميِّتًا.

فكان موتُه قبل موتِ أمِّه من العجب. وكان مرورُ السمِّ في تلك الساعة القصيرة أعجبَ، وكان ما صار من فضول سمها في لبنِ الضَّرعِ حتى قَتَلَ الفصيلَ قبل أمه عجبًا آخر.

والمرأةُ المرضِعُ تشربُ النبيذَ فيسكر عن لبنها الرضيع وتشربُ دواء المشْي فيعتري الرضيعَ الخِلْفة[1]. فلذلك يختار الحكماء لأولادهم الظئر البريئة من الأدواء: في عقلها، وفي بدنها.

وتوهَّموا أن اللبن إنما نجع في الفصيل لقرابة ما بين اللبنِ والدَّم، فصار ذلك السمُّ أسرعَ إليه منه إلى أمه. ولعل ضعفَ الفصيل قد أعان أيضًا على ذلك.

١٤٩٦ - [قصتان في من لسعته العقرب]

قال أبو عُبَيْدة[2]: لسعت أعرابيًّا عقربٌ بالبصرة، فخيفَ عليه فاشتدّ جزَعُه، فقالَ بعضُ الناس: ليس شيءٌ خيرًا له من أن تُغْسَل له خصيةُ زنجي عَرِق - وكانت ليلة غَمِقَة[3] - فلما سقَوه قطَبَ[4]، فقيل له: طعم ماذا تجد؟ قال: طعمُ قِرْبَةٍ جديدة.

وخبرني محمد وعليٌّ ابنا بشير، أن ظئرًا لسليمان بن رِياش لسعتها عقربٌ فملأت الدنيا صُرَاخًا، فقال سليمان: اطلبوا لها هذه العقرب، فإن دواءها أن تلسعها لسعة أخرى في ذلك المكان، فقالت العجوز: قد برئتُ، وقد سكنَ وجعي، ولاحاجة لي إلى هذا العلاج. قال: فأتوْه بعقرب لا واللّه إن يُدرَى: أهي تلك أم غيرُها؟ فأمرَ بها فأُمسكت فقالت: أنشُدكَ باللّه واللبن فأبى وأرسلها عليها. فلسعتها فغُشِيَ عليها ومرضتْ زمانًا وتساقط شعر رأسها. فقيل لسليمان في ذلك فقال: يا مجانين! لا واللّه إن ردَّ عليَّ رُوحها إلا اللسعةُ الثانية. ولولا هِيَ لقد كانت ماتت.

---

(١) الخلفة: استطلاق البطن.

(٢) عيون الأخبار ٢/١٠٣، وربيع الأبرار ٥/٤٧٦.

(٣) غمقة: ثقيلة الندى مع سكون الريح.

(٤) قطب: زوى ما بين عينيه.

بـــاب

القول في القَمْل والصُّؤَاب

وسنقول في القَمْل والصُّؤَاب ما وجدنا تمكيناً مِنَ القول، إن شاء اللّه تعالى.

١٤٩٧ - [ما زعمه إياس بن معاوية والرد عليه]

ذكروا عن إياسِ بن معاوية، أنه زعم أن الصِّئبان ذكورةُ القَمْلِ والقمل إناثها، وأن القملَ من الشَّكل الذي تكون إناثه أعظمَ من ذكورته.

وذكروا عنه أنه قال: وكذلك الزَّرارقة والبُزَاة. فجعل البُزَاةَ في الإناث.

وليس فيما قال شيء من الصواب والتَّسْديد. وقد خبّرناكم[١] عن حكايته في الشَّبُّوط، حين جعله كالبغل، وجعلَه مخلوقاً من بينِ البُنِّيِّ والزَّجْر.

والقمل يعتري مِنَ العَرَق والوسَخ، إذا علاهما ثوبٌ، أو رِيشٌ، أو شعر، حتى يكون لذلك المكانِ عَفَن وخُموم.

١٤٩٨ - [أثر لون الشَّعر في لون القملة][٢]

والقملة تكون في رأس الأسوَد سوداء، ورأسِ الأبيض الشعر بيضاءَ، وتكون خصيفة[٣] اللون، وكالحَبْل الأبرَق[٤] إذا كانت في رأس الأشمط[٥]. وإذا كانت في رأس الخاضب بالحمرة كانت حمراء، وإن كان الخاضب ناصلَ الخضاب كان في لونها شُكْلة[٦]، إلا أن يستولي على الشعر النُّصول فتعود بيضاء.

وهذا شيءٌ يعتري القملَ، كما تعتري الخضرةُ دَودَ البَقْلِ، وجرادَه وذبابه، وكلَّ شيءٍ يعيش فيه.

١٤٩٩ - [أثر البيئة في الحيوان]

وليس ذلك بأعجب من حَرَّة بن سُليم، فإن من طباع تلك الحرة أن تُسَوِّدَ كل

---

(١) انظر ما تقدم في ١ / ٩٨، الفقرة (١١٢).

(٢) انظر ما تقدم في ٤ / ٢٩٥-٢٩٦، وربيع الأبرار ٥ / ٤٨١.

(٣) الخصيفة: ما فيها لونان من سواد وبياض.

(٤) في اللسان: «الخصيف من الحبال ما كان أبرق، بقوة سوداء، وأخرى بيضاء».

(٥) الشمط: بياض في شعر الرأس يخالف سواده.

(٦) الشكلة: بياض وحمرة قد اختلطا.

شيء يكونُ فيها[١]: من إنسان، أو فَرَس، أو حِمَارٍ، أو شاة، أو بعير، أو طائرٍ، أو حيّة.

ولم نسمع ببلدة أقوى في هذا المعنى من بلاد الترك، فإنها تصوِّر إبلَهم وخيلَهم، وجميعَ ما يعيش فيها، على صورة التُّرك.

١٥٠٠ - [تولد القمل]

والقمل يعرضُ لثياب كلِّ الناس إذا عرض لها الوسخُ والعرق، والخموم، إلا ثيابَ المجذَّمين[٢] فإنهم لايَقْمَلون.

وإذا قَمِلَ إنسانٌ وأفرط عليه ذلك، زأبَق[٣] رأسه إن كنّ في رأسه أو جسده، وإن كنّ في ثيابه،فموّتْن.

وقال أبو قطيفة لأصحابه[٤]: أتدرون ما يذْرأ[٥] القمل! قالوا: لا. قال: ذاك والله من قلة عنايتكم بما يصلحُ أبدانكم! يذرأُ القملَ الفُساء.

فأما ثمامة فحدثني عن يحيى بن خالد البرمكي، أن شيئين يُورِثان القَمل[٦]:

أحدُهما الإكثارمن التِّين اليابس، والآخر بخار اللُّبان إذا أُلقي على المجمرة.

١٥٠١ - [الإنسان القَمِلُ الطباع]

وربما كان الإنسان قَمِل الطباع، وإن تنظَّف وتعطّر وبدَّل الثياب، كما عَرَضَ لعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوّام، استأْذَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم،في لباس الحرير فأذن لهما فيه[٧]؛ ولولا أنهما كانا في حدٍّ ضرورة لَمَا أذِنَ لهما فيه، مع ما قد جاء في ذلك من التشديد[٨].

---

(١) انظر ما تقدم في ٤ / ٢٩٦، س٣-٤، وربيع الأبرار ٥ / ٤٨١.

(٢) الأجذم: المقطوع اليد، وقيل: هو الذي ذهبت أنامله. وفي ربيع الأبرار ٥ / ٤٨٠ (وثياب أكثر الناس تقمل، إلا ثياب المخدمين المترفين).

(٣) زأبق: طلى بالزئبق.

(٤) انظر الخبر في البخلاء ١١٤.

(٥) يذرأ: يكثر.

(٦) الخبر في ربيع الأبرار ٥ / ٤٨٠.

(٧) أخرجه البخاري في اللباس، حديث رقم ٥٥٠١ «عن أنس قال: رخَّص النبي ﷺ للزبير وعبد الرحمن في لبس الحرير، لحكة بهما».

(٨) انظر هذا الخبر في ربيع الأبرار ٥ / ٤٨٠.

فلما كان في خلافة عمر، رأى عمر على بعض بني المغيرة من أخواله، قميصَ حريرٍ، فعلاَه بالدِّرّة[1]، فقال المغيريُّ: أو ليس عبد الرحمن بنُ عوفٍ يلبسُ الحرير؟ قال: وأنت مثل عبد الرحمن؛ لا أمَّ لك!

١٥٠٢ - [الاحتيال للبراغيث]

واحتاج أصحابنا إلى التسلُّم من عضّ البراغيث، أيامَ كنَّا بدمشق، ودخلنا أنطاكيَة، فاحتالوا لبراغيثها بالأسِرَّة فلم ينتفعوا بذلك؛ لأن براغيثهم تمشي.

وبراغيثهم نوعان: الأبْجلُ والبقّ، إنما سمّوا ذلك الجنس على شبيهٍ بما حَكَى لي ثمامةُ عن يحيى بن خالدٍ البرمكيّ، فإن يحيى زعمَ أن البراغيثَ من الخلق الذي يعرضُ له الطيران فيستحيل بقًّا، كما يعرض الطيرانُ للنَّمل، وكما يعرض الطيرانُ للدَّعاميص؛ فإن الدعاميصَ إذا انسلخت صارت فَرَاشًا.

فكان أصحابنا قد لَقُوا من تلك البراغيث جَهْداً. وكانت لها بليَّة أخرى: وذلك أن الذي تُسهِرُهُ البراغيث لا يستريح إلا أن يقتلها بالعرْك والقتْل. وإلى أن يقبضَ عليها فيرميَ بها إلى الأرض من فوق سريره فيرى أنهَنّ إذا صِرْنَ عشرينَ كان أهون عليه من أنْ يكُنَّ إحدى وعشرين. فكان الرجلُ إذا رام ذلك من واحدة منها نتُنَتْ يده وكانوا مُلوكاً، ومثلُ هذا شديدٌ علَى مثلهم، فما زالوا في جهد منها حتى لبِسوا قُمُصَ الحرير الصِّينيّ، وجعلوها طويلة الأردان والأبدان فناموا مستريحين[2].

١٥٠٣ - [خروج القمل من جسم الإنسان]

وخبّرني كم شئت من أطبَّاء الناس وأصحاب التجارب، منهم من يقشعر من الكذب، ويتقزز منه - أنهم رأوا القمل عِيانًا وهو يخرج من جلد الإنسان. فإذا كان الإنسان قمِلاً كان قمله مستطيلاً، في شبيه بخلقة الديدانِ الصغار البيض.

ويُذكر أن مثلَ ذلك قد كان عرضَ لأيوبَ النبي، صلى الله عليه وسلم، حين كان امتُحِن بتلك الأوجاع حتى سُمِّي: «المبتلَى»

وخبَّرني شيخٌ من بني ليث، أنه اعتراه جَرَبٌ، وأنه تطَلّى بالمَرْتَك[3] والدُّهن،

---

(١) الدرة: درة السلطان التي يضرب بها.

(٢) الخبر باختصار في ربيع الأبرار ٥ / ٤٧٩

(٣) المرتك: هو المردارسنج، ويكون من سائر المعادن المطبوخة إلا الحديد. انظر معجم استينجاس ١٢١٢.

ثم دخل الحمَّام فرأى قملاً كثيراً، يخرج من تلك الجُلَب[1] والقروح.

وخبَّرني أبو موسى العباسيُّ صديقُنا أنه كان له غلامٌ بمصر، وكان الغلام ربما أخذه إبرة ففتَح بها فتحاً في بعض جسده، في الجِلْد، فلا يلبثُ أن يطلع من تحت الجلد في القيحِ قملة.

١٥٠٤ - [قمل الحيوان]

والقمل يُسرعُ إلى الدّجاجِ والحمام، إذا لم يغتَسِلْ ويكُنْ نظيف البيت. وهو يعرض للقرْد[2]، ويتولّد من وسَخِ جلد الأسير وما في رأسِه من الوسخ. ولذلك كانوا يضجُّون ويقولون: أكلَنَا القِدُّ[3] والقمل!

١٥٠٥ - [تلبيد الشعر]

وكانوا يلبِّدون شعورهم، وذلك العمل هو التلبيد، والحاجُّ الملبّد هو هذا. وقال الشاعر: [من الكامل]

يا ربِّ، ربَّ الراقصاتِ عشيَّةً ... بالقومِ بين مِنًى وبين ثَبيرِ[4]
زُحُفِ الرَّوَاحِ قد انقضت مُنَّاتهُمْ ... يحمِلْنَ كلَّ مَلَبِّد مأجُورِ[5]

وقال عبد اللّه بن العَجْلان النهديُّ: [من المنسرح]

إني وما مارَ بالفُرَيْقِ وما ... قرْقَرَ بالجَلْهَتَيْنِ من سُرُبِ[6]

جماعة من القطا وغيره، واحدتها سُرْبَة وعبر بها ها هنا عن الحُجَّاج.

من شَعَرٍ كالغَليل يُلْبَدُ بالـ ... ـقمْلِ وما مارَ من دمٍ سَرَبِ[7]
والعِتر عتر النَّسيك يخفر بالـ ... ـبُدْن لحِلّ الإحرامِ والنُّصُبِ[8]

---

(١) الجلب: جمع جلبة، وهي القشرة تعلو الجرح عند البرء.
(٢) الخبر في ربيع الابرار ٥ / ٤٨٠.
(٣) القد: سير من جلد غير مدبوغ.
(٤) الراقصات: الإبل تسرع في سيرها. ثبير: جبل من أعظم جبال مكة.
(٥) زحف: جمع زحوف، وهي الناقة أعيت فجرّت فرسنَها. المُنَّة: القوة.
(٦) الفريق: تصغير فَرْق أو فِرْق، وهو اسم موضع بتهامة. «معجم البلدان ٤ / ٢٦٠». القرقرة: عنى بها تلبية الحجيج.
(٧) الغليل: القت والنوى والعجين تعلفه الإبل. السرب: السائل.
(٨) العتر: ما عتر؛ أي ذبح. النسيك: الذبيح.

وقال أميَّةُ بن أبي الصَّلت(١): [من البسيط]

شاحينَ آباطَهُمْ لم ينزِعُوا تَفَثًا ... ولمْ يسُلُّوا لهم قملاً وصِئبانًا(٢)

ويروى: «لم يقرَبوا تَفَثًا» قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿ثمّ لْيَقضوا تَفَثَهُمْ﴾(٣). وما أقل ما ذَكَروا التَّفَثَ في الأشعار.

والتلبيد: أن يأخذ شيئًا من خِطْميٍّ وآسٍ وَسِدْر، وشيئًا من صَمْغٍ فيجعله في أصول شعره وعلى رأسه، كي يتلبد شعرُهُ ولايعْرَق ويدخله الغبار، ويخمَّ فيقمَل.

وكانوا يكرهون تسريح الشعر وقتل القمل. فكان ذلك العمل يقلُّ معه القمل.

وقد قال النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم لكعب بن عُجْرة: هل آذاك هَوَامُّ رأسِك؟!»(٤)

١٥٠٦ - [تعيير هَوازن وأسدٍ بأكل القُرَّة]

وقال ابنُ الكلبيّ(٥): عُيِّرَتْ هَوَازِنُ وأسدٌ بأكل القُرَّة(٦). وهما بنو القملة. وذلك أن أهل اليمن كانوا إذا حلقوا رؤوسهم بمِنًى وضع كل رجل منه على رأسه قُبْضةً من دقيق. فإذا حلقوا رؤوسهم سقط ذلك الشَّعرُ مع ذلك الدقيق، ويجعلونَ الدقيق صدقةً. فكان ناسٌ من الضُّركاء(٧) وفيهم ناسٌ من قيس وأسد، يأخذون ذلك الشعر بدقيقه، فيرمُون بالشعر، وينتفعون بالدقيق.

وأنشد لمعاويةَ بن أبي معاويةَ الجرْميّ، في هجائهم(٨): [من الطويل]

---

(١) ديوان أمية بن أبي الصلت ٥١٨.

(٢) في ديوانه: «شحا الرجل: باعد بين خطاه، وشحا الرجل فاه: فتحه. والآباط: مفردها: إبْط، وأراد بذلك رفع الحجاج أيديهم بالدعاء. والسَّلُّ: انتزاع الشيء وإخراجه برفق كإخراج الشعرة من العجين. والتفث: نتف الشعر وقص الأظفار وكل ما يحل بعد الخروج من الإحرام».

(٣) ٢٩/ الحج: ٢٢.

(٤) أخرجه البخاري في الإحصار وجزاء الصيد، حديث رقم ١٧١٩، ١٧٢٠، ١٧٢٢، ومسلم في الحج، باب: جواز حلق للرأس للمحرم إن كان به أذى..، رقم ١٢٠١.

(٥) الخبر مع البيتين التاليتين في كتاب الأصنام لابن الكلبي ٤٨-٤٩، ومعجم البلدان ١/ ٢٣٨ (الأقيصر)، واللسان والتاج (قرر).

(٦) القرة: ناقة تؤخذ من المغنم قبل قسمة الغنائم فتنحر وتصلح ويأكلها الناس، يقال لها قرة العين.

(٧) الضركاء: جمع ضريك، وهو الفقير الهالك سوء الحال.

(٨) البيتان في البخلاء ٢١٧، وانظرهما في مصادر الحاشية قبل السابقة.

ألم تـر جَرمـاً أنْجَـدتْ وأبوكـم مع الشعر في قصِّ الملبَّد شارِعُ[1]
إذا قرَّةٌ جاءت يقولُ أصبْ بها سوى القمل إني من هَوَازِنَ ضـارعُ

١٥٠٧ - [شعر في هجو القملين]

وقال بعض العُقيليِّين، ومرّ بأبي العلاء العُقيليّ وهو يتفلّى، فقال[2]: [من الكامل]

وإذا مررْت به مررتَ بقانصٍ متصيِّد في شَرقَةٍ مقرورِ[3]
للقملِ حولَ أبي العلاء مَصارعٌ منْ بين مقتول وبينَ عقير
وكأنهنّ لدى خُبون قميصه فَذٌّ وتَوْءَمُ سمسمٍ مقشورِ[4]
ضَرِجِ الأنامل من دماء قتيلها حَنِق علَى أخرى العدوِّ مُغيرِ[5]

وقال الحسنُ بنُ هانىء[6]، في أيوبَ، وقد ذهب عني نسبُه، وطالما رأيته في المسجد: [من مجزوء الكامل]

مَن يَنْأ عنه مصادُهُ فمصادُ أيوبٍ ثيابُه
تكفيه فيها نظرةٌ فتُعَلُّ من علَقٍ حِرَابُه[7]
يا رُبَّ محترس بَخبْـ ـنِ الدَّرْزِ تكْنُفُه صؤابه[8]
فاشي النِّكاية غير معلو مٍ إذا دبَّ انسيابُه
أو طامريٌّ واثِبٍ لم يُنْجِهِ عنه وِثابه

الطامريّ: البرغوث. ثم قال:

أهْـوَى لـهُ بمـذلَّـقِ الـــغَرْبَينِ إصْبَــعُه نِصـابُــه[9]

---

(١) أنجدت: دخلت بلاد نجد.
(٢) الأبيات لبعض العقيليين في نهاية الأرب ١٠/١٧٧، ولبعض الأسديين في الحماسة المغربية ١٢٨٣، وبلا نسبة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٨٤٣، والتبريزي ٤/١٦٤، والبيتان (٢-٣) بلا نسبة في ديوان المعاني ٢/١٥٠، ومحاضرات الأدباء ٢/١٣٣ (٣/٢٩٤).
(٣) الشرقة: المكان الذي يتشرق فيه في الشتاء. المقرور: الذي أصابه القر؛ وهو البرد.
(٤) الخبن: خياطة الثوب لتقليصه. الفذ: الفرد.
(٥) الضرج: المصبوغ بالحمرة.
(٦) لم ترد الأبيات في ديوان أبي نواس، وهي في نهاية الأرب ١٠/١٧٨.
(٧) تعل: تشرب مرة بعد مرة. العلق: الدم.
(٨) الخبن: خياطة الثوب لتقليصه.
(٩) مذلق: حاد. الغربين: مثنى غرب؛ وهو حد السلاح.

لله درُّك من أخـــي		قنـص أصابِعُـه كِلابُـه[1]

١٥٠٨ - [أحاديث وأخبار في القمل]

وفي الحديث أن أكل التفاح، وسُؤْرَ الفارة، ونَبْذَ القملة يورث النّسيان[2].

وفي حديث آخر أنَّ الذي ينبذ القملة لا يُكفَى الهمّ.

والعامة تزعم أن لُبس النِّعال السودِ يورث الغمَّ والنسيان.

وتناول أعرابيٌّ قملة دبَّتْ عَلَى عُنقه، ففدغَها ثم قتلها بين باطنِ إبهامه وسَبَّابته، فقيل له: ما تصنع ويلك بحضرة الأمير؟!فقال: بأبي أنتَ وأميٌّ: وهل بقي منها إلاخِرشاؤها؟ يعني جلدَتَها وقِشرتها وكل وعاءٍ فهو خرشاء.

١٥٠٩ - [المأمون وسعيد بن جابر]

وحدثني إبراهيم بنُ هانىء، قال: حدّثني سعيدُ بنُ جابر، قال: لما كادت الأجناد تحيط ببغداد من جوانبها. قال لنا المخلوع[3]: لو خرجنا هكذا قُطْرُبُّل[4] علَى دوابنا، ثم رجعنا من فورنا، كان لنا في ذلك نُشرة[5]، قال: فلما صرنا هناك هجمنا عَلَى موضع خَمَّارين، فرأى أناسًا قد تطافروا[6] من بعض تلك الحانات، فسأل عنهم، فإذا هم أصحابُ قِمار ونَرْدٍ ونبيذٍ، فبعث في آثارهم فرُدُّوا وقال لنا: أشتهي أن أسمع حديثَهم، وأرى مجلسهم وقِمارهم. قال: فدخلْنا إلى موضعهم، فإذا تحت النّرد قطعةُ لِبْد، وإذا فصوص النَّردِ من طين، بعضُه مسوَّد وبعضه متروك، وإذا الكعبان من عُروة كوز محكّكة، وإذا بعضُهم يتكئُ عَلَى دَنٍّ خالٍ وتحتهم بَوَار قد تنسَّرتْ[7]. قال: فبينا هو يضحك منهم إذ رأيت قملة تدب عَلَى ذيله، فتغفَّلتُه وأخذْتها فرآني وقد تناولتُ شيئًا، فقال لي: أي شيء تناولتَ؟ فقلتُ: دُوَيْبَّة دبت

---

(١) القنص: الصيد.

(٢) تقدم الحديث في ١٤٦.

(٣) المخلوع: هو الخليفة محمد الأمين، وانظر الخبر في ربيع الأبرار ٥ / ٤٨٠-٤٨١.

(٤) قطربل: اسم قرية بين بغداد وعُكْبرا ينسب إليها الخمر وكانت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين. معجم البلدان ٤ / ٣٧١.

(٥) النشرة: ضرب من الرقية والعلاج؛ يعالج به المجنون والمريض.

(٦) الطفر: الوثوب.

(٧) البواري: جمع بارية؛ وهي الحصير المعمول من القصب. تنسرت: انتشرت.

علَى ذيلك من ثيابِ هؤلاء. قال: وأيُّ دابة هي؟ قلت: قملة. قال: أرِنيها؛ فقد واللّه سمعت بها!

قال: فتعجبتُ يومئذ من المقادير كيفَ ترفَع رجالاً في السماء، وتحطُّ آخرينَ في الثَّرى!

١٥١٠ - [لذة قصع القمل على الأظفار]

قال: والقردُ يتفلّى، فإذا أصاب قملةً رمى بها إلى فيه.

ونساء العوامِّ يعجِبُهُنَّ صوتُ قصْع القمل على الأظفار.

ورأيت مرةً أنا وجعفر بن سعيد، بقَّالاً في العتيقة وإذا امرأته جالسةٌ بين يديه، وزوجها يحدِّثها وهي تفلِّي جيْبَها وقد جمعت بين باطن إبهامها وسَبَّابتها عدَّة قمل، فوضعتها على ظفر إبهامِها الأيسر، ثم قلبت عليها ظفرها الأيمن فشدخَتْها به، فسمعتُ لها فَرقعةً، فقلتَ لجعفر: فما منعها أن تضَعَها بين حَجَرين؟ قال: لها لذةٌ في هذه الفرقعة، والمباشرةُ أبلغُ عندها في اللذة. فقلت: فما تكرهُ مكانَ زوجها؟ قال: لولا أن زوجها يُعجبُ بذلك لنهاها!

١٥١١ - [شعر لابن ميادة]

وقال ابن مَيَّادة[1]: [من الطويل]

سَقَتني سُقاةُ المجدِ منْ آلِ ظالمٍ بأرشيَةٍ أطرافُها في الكواكبِ[2]
وإنَّ بأعْلَى ذي النُّخَيل نسَيَّة يسيِّرن أعياراً شدادَ المناكبِ[3]
يَشُلْنَ بأستاهٍ عليهنَّ دُسْمَة كما شال بالأذناب سُمْرُ العقاربِ[4]

---

(١) ديوان ابن ميادة ٨٣-٨٤، والبيت الأول في طبقات ابن المعتز ١٠٧، والشعر والشعراء ٧٧٢ (شاكر)، وعجزه منسوب لابن مناذر في الصناعتين ٣١٦.

(٢) الأرشية: جمع رشاء، وهو حبل الدلو.

(٣) ذو النخيل: موضع قرب مكة. نسية: مصغر نسوة. الأعيار: جمع عير، وهو الحمار.

(٤) يشلن: يرفعن. الدسمة: أصله ما يشد به خرق السقاء.

بـــاب

١٥١٢ - [القول في البرغوث](1)

والبرغوث أسودُ أحدبُ نَزَّاء، من الخلق الذي لا يمشي صِرفاً.

وبما قال بعضهم: دبيبُها من تحتي أشدُّ عَلَيّ مِنْ عضِّها .

وليس ذلك بدبيب. وكيف يمكنهُ الدَّبيبُ - وهو مُلزَق عَلَى النِّطع بجلد جنب النائم؟! ولكنّ البرغوثَ خبيثٌ، فمتى أرادَ الإنسان أن ينقلب من جنب إلى جنب، انقلب البرغوث واستلقى عَلَى ظهره، ورفع قوائمه فدغدغه بها، فيظنُّ من لا علم عنده أنه إنما يمشي تحت جنبه.

وقد ذكرنا من شأنه في مواضع، ولو كان الباب يكبر حتى يكون لك مجموعاً ولم تعرفه تكلفت لك جمعه.

١٥١٣ - [شعر في البرغوث]

وقال بعضُ الأعراب(2): [من البسيط]

ليلُ البراغيث عنّاني وأنْصَبني ... لا باركَ اللَّهُ في ليل البراغيثِ(3)
كأنهنَّ وجلدي إذْ خلونَ به ... أيتامُ سَوْءٍ أغاروا في المواريثِ

وقال محبوب بن أبي العشَنَّط النهشليّ(4): [من البسيط]

لروْضة من رِياضِ الحزْن أو طَرَفٌ ... من القُرَيَّة جَرْد غير محروثِ(5)
لِلنَّوْرِ فيه إذا مجَّ النَّدَى أرَجٌ ... يشفي الصُّداعَ ويشفي كلَّ مَمْغوثِ(6)

---

(١) وردت الفقرة في ربيع الأبرار ٥ / ٤٧٩ .

(٢) البيتان بلا نسبة في كتاب العين ٤ /٤٦٧، وربيع الأبرار ٥/٤٧٩، ومحاضرات الأدباء ٢ /٣٠٦ (٤ /٦٧٣).

(٣) عناه: أنصبه وجشمه العناء.

(٤) الأبيات في اللسان (توت)، والخزانة ١١ /٢٥٨، ومعجم البلدان ٤ / ٣٤٠ (القرية)، والأول والثالث في التاج (توث)، و(٤، ٥، ٦) في ربيع الأبرار ٥ / ٤٧٩ .

(٥) الحزن: اسم موضع. الطرف: الناحية. القرية: من قرى اليمامة. الجرد: لا نبات فيه.

(٦) النور: الزهر. الممغوث: المحموم.

أملا وأحلى لعَيني إنْ مررتُ به | من كَرْخ بغدادَ ذي الرُّمّانِ والتُّوثِ[1]
الليلُ نِصفان: نصفٌ للهموم فما | أقضى الرُّقادَ ، ونصف للبراغيث
أبيتُ حين تُساميني أوائُلها | أنزو وأخلط تسبيحاً بتغويثِ[2]
سُودٌ مَدَاليجُ في الظلماء مُؤْذِيةٌ | وليس مُلتَمَسٌ منها بمشْبُوثِ[3]

وقد جعل «التوثَ» بالثاء. ووجه الكلام بالتاء. وتعجيمها نقطتان من فوقها.

وقال آخر[4]: [من الطويل]

وَإِنَّ امرأً تؤْذي البراغيثُ جلدَه | ويُخرجنَهُ من بيته لذليلُ
ألاَ رُبَّ برغوثٍ تركتُ مجدّلاً | بأبيض ماضي الشّفرَتَيْنِ صَقيلِ[5]

وقال آخر: [من الطويل]

لقد عَلِمَ البرُغوثُ حين يَعَضّني | ببغدادَ إني بالبلاد غريبُ

وقال آخر: [من الطويل]

لقيتُ منَ البرغوث جَهْداً ولا أرى | أميراً عَلَى البرغوث يقضِي ولا يُعْدِي
يَقلِّبني فوقَ الفِراشِ دبيبُه | وتصبح آثارٌ تَبَيّنُ في جِلْدِي

وقال آخر[6]: [من الطويل]

ألا يا عبادَ الله مَنْ لقبيلةٍ | إذا ظهرتْ في الأرض شدَّ مُغيرُها
فلا الدِّينُ ينهاها ولا هي تنتهي | ولا ذُو سِلاحٍ من مَعَدٍّ يَضيرُها

وقال يزيد بن نُبيه الكِلابّي: [من الطويل]

أصبحتُ سالمتُ البراغيثَ بعد ما | مَضَتْ ليلة مني وقَلَّ رُقُودها

---

(١) أملا: أملأ. الكرخ: موضع ببغداد.
(٢) تساميني: تعاليني. انزو: أثب. التغويث: الصياح بالقول «واغوثاه».
(٣) المداليج: جمع مدلاج، وهو من أدلج: إذا سافر ليلاً. مشبوث: مأخوذ.
(٤) البيت الثاني فيه إقواء، وهو بلا نسبة في محاضرات الأدباء ٢/٣٠٦ (٣/٦٧٤).
(٥) مجدلاً: ملقياً على الجدالة؛ وهي الأرض. الأبيض: السيف، وأراد به هنا أظفاره.
(٦) البيتان بلا نسبة في ديوان المعاني ٢/١٤٩، وربيع الأبرار ٥/٤٧٩، ونهاية الأرب ١٠/١٧٣، وإذا كان الجاحظ قد جعل هذين البيتين في البراغيث فإنه في الصفحة ٢٣٢ فيما سيأتي قال: «وفي القردان يقول الآخر، قال: وبعضهم يجعلها في البراغيث، وهذا باطل».

فيا ليت شعري هل أزُورَنَّ بلدةً ... قليلٌ بها أوباشُها وسَنيدُها[1]
وهل أسمعنَّ الدَّهرَ أصواتَ ضُمَّرٍ ... تُطالِعُ بالركبانِ صُعْراً خُدُودُها[2]
وهل أرَيَنَّ الدهر ناراً بأرْضِها ... بنفسي وأهلي أرضُها ووُفودُها
تَراطَنُ حوْلي كلما ذَرَّ شارِقٌ ... ببغداد أنباطُ القُرَى وعبيدُها

وقال آخر: [من البسيط]

لا باركَ اللّهُ في البرغوثِ، إن له ... لذعاً شديداً كلذْعِ الكيِّ بالنارِ
أقول والنجمُ قد غارت أوائله ... وغَلَّسَ المدلِجُ الساري بأسحار[3]
لبُرْقَةٌ منْ براقِ الحزن أعْمُرُها ... فيها الظِّبَاءُ تُراعي غبَّ أمطار[4]
أشفى لِدَائيَ مِنْ دَرْبٍ به نَبطٌ ... ومَنْزِلٍ بين حَجَّام وجَزَّار
مَنْ ينحر الشَّوْلَ لا يُخْطِي قوائمَها ... بمُدْيَةٍ كشرارِ النار بَتَّارِ[5]

وقال آخر: [من الخفيف]

إنَّ هذا المصلوبَ لا شك فيه ... هو من بعد صَلْبِه مَبْعُوثُ
حلٌّ من حيثُ ليس يأكله الـ ... بَقُّ ولا يهتدي له البرغوثُ
بينَ حِنْوَيْ مَطيَّةٍ إنْ يسُقْها ... سائقاها فذاك سَيرٌ مكيثُ[6]
فعليهِ الدبارُ والخزْيُ لمَّا ... قلتُ مَنْ ذا فقال لصٌّ خبيثُ[7]

وقال أبو الرماح الأسديُّ[8]: [من الطويل]

تطاوَلَ بالفسطاط ليلي ولـم يكن ... بِحنْو الغَضَا ليلٌ عَليَّ يطـولُ
يؤرِّقُني حُدْبٌ صغارٌ أذلـةٌ ... وإن الـذي يؤذينَـهُ لذليـلُ
إذا جُلتُ بعض الليل منهن جَوْلَةً ... تعلَّقْنَ بي أو جُلْـنَ حيثُ أجـولُ

(١) الأوباش: الأخلاط من الناس. السنيد: الدعي.
(٢) الضمَّر: الإبل الضامرة. الأصعر: المائل.
(٣) غلس: سار في الغلس وهو ظلمة آخر الليل. المدلج: الذي يسافر ليلاً.
(٤) البرقة: غلظ فيه حجارة ورمل وطين. أعمرها: أسكنها. تراعي: ترعى مع سواها. غب الشيء: بعده.
(٥) الشول: الإبل التي نقصت ألبانها. المدية: الشفرة. البتار: القطَّاع.
(٦) الحنو: كل شيء فيه اعوجاج. المكيث: البطيء.
(٧) الدبار: الهلاك.
(٨) الأبيات في ديوان المعاني ٢ / ١٥٠، وربيع الأبرار ٥ / ٤٨٠، ونهاية الأرب ١٠ / ٣٠٣.

إذا ما قتلناهنّ أُضعفْنَ كَثْـرَةً ... علينا ولا يُنعى لهنّ قتيلُ
ألا ليت شعري هل أبيتَنَّ ليلة ... وليس لبرغوث عَلَيَّ سبيلُ

وقال أبو الشَّمقمق[1]: [من المنسرح]

يا طولَ يومي وطول لَيْلَتِيَهْ ... إن البراغيثَ قد عَبثْنَ بيَهْ
فيهنّ بُرغوثَةٌ مُجَوَّعَـةٌ ... قد عقدَتْ بَنْدها بفقْحَتيه[2]

وقال آخر[3]: [من الطويل]

هنيئًا لأهل الرّي طيبُ بلادهم ... وأن أميرَ الرَّيِّ يحيى بنُ خالدِ
تطاولَ في بغدادَ ليلي ومن يكُنْ ... ببغدادَ يلبثْ ليلَه غيرَ راقدِ
بلادٌ إذا جنّ الظلامُ تَقَافَزَتْ ... براغيثها من بين مَثْنَى وَوَاحدِ
ديازِجَةٌ سود الجلود كأنها ... بِغالُ بريد أُرسلتْ في مَذاوِدِ[4]

وقال آخر[5]: [من الرجز]

أرَّقَني الأُسَيْوِدُ الأسكُّ ... ليلةَ حَكٌّ ليس فيها شكُّ
أحُكُّ حتى مالهُ مَحَكُّ ... أحُكُّ حتى مِرفقـي مُنفَكُّ

وقال آخر: [من الرجز]

يا أُمَّ مَثْواي عَدمْتُ وَجْهكِ ... أنقذني ربُّ العُلا من مصْرِكِ
ولذْعِ برغوثٍ أُراهُ مُهْلكي ... أبيتُ ليلي دائمَ التحكُّكِ
تحكُّكَ الأجربِ عند المبركِ

وقال آخر: [من البسيط]

الحمد للّه برغوث يُؤَرِّقني ... أحَيْلِكُ الجلْدِ لا سمْعٌ ولا بصرُ[6]

---

(١) ديوان أبي الشمقمق ١٥٣، ومحاضرات الأدباء ٢/٣٠٦ (٤/٦٧٢).

(٢) البند: العلم الكبير.

(٣) الأبيات بلا نسبة في ديوان المعاني ٢/١٤٩، وربيع الأبرار ٥/٤٨٠، ومعجم البلدان ١/٤٦٦ (بغداد).

(٤) ديازجة: جمع ديزج، وهو الأخضر. المذاود: جمع مذود، وهو معلف الدابة.

(٥) الرجز بلا نسبة في اللسان والتاج (قذذ، حكك، سكك)، والتهذيب ٨/٢٧٤، والجمهرة ١٠١، والأساس (قذذ).

(٦) أحيلك: تصغير أحلك، والحلكة: شدة السواد.

وقال آخر: [من الرجز]

قبيلةٌ في طولها وعَرْضِها ... لم يُطْبِقُوا عينًا لهم بغُمْضِها
خوْفَ البراغيثِ وخوفَ عضِّها ... كأنَّ في جلودها من مَضِّها[1]
عقارباً ترفضُ من مُرَفَضِّها ... إن دام هذا هربتْ منْ أرضِها[2]
يا ربُّ فاقْتلْ بعضَها ببعضِها

١٥١٤ - [معارف في البرغوث]

قال: والبرغوثُ في صورة الفيل. وزعموا أنها تبيض وتفرخ، وأنهم رأوْا بيضَها رؤية العين. والبراغيث تَنَاكَحُ وهي مستدبرةٌ ومتعاظلة[3]. وهي من الجنس الذي تطول ساعة كوْمِها.

١٥١٥ -[شدة استقذار الناس للقمل]

وليس الناسُ لشيءٍ مما يعَضُّهم ويؤذيهم، من الجرجس، والبقِّ، والبراغيثِ والذِّبان – أشد استقذاراً منهم للقمل. ومن العجب أنّ قرابته أمسُّ. فأما قملة النِّسرِ، وهي التي يقال لها بالفارسية: « دَدَه »،وهي تكون بالجبل، فإنها إذا عضّت قتلت.

١٥١٦ - [القول في البعوض ونتائج عضها]

حدَّثني إبراهيم بن السِّنديِّ قال: لما كان أبي بالشام واليًا، أحبَّ أن يسوِّي بين القَحطانيِّ والعَدناني، وقال: لسنا نقدِّمُكم إلا على الطاعة للّه عزّ وجلّ، وللخلفاء، وكلُّكم إِخْوة، وليس للنِّزاريِّ عندي شيءٌ ليس لليَمانيِّ مثله.

قال: وكان يتغدّى مع جملة من جِلَّة[4] الفريقين، ويسوِّي بينهم في الإِذن والمجلس. وكان شيخ اليمانية يدخل عليه معتمًّا، وقد جذب كورَ عمامته حتى غطى بها حاجبه وكان لا ينزِعها في حر ولا برد، فأراد فتى من قيس – وقد كان أبي يستخليه ويقرِّبه – أن يُسْقطه من عينِ أبي ويوحِشَه منه، فقال له ذات يوم ووجدَ المجلس خاليًا: إني أريدُ أن أقول شيئًا ليس يخرِجه مني إلا الشكر والحُرية، وإلا

(١) المض: الحرقة والألم.
(٢) ترفض: تتفرق.
(٣) تعاظلت: لزم بعضها بعضاً في السفاد.
(٤) الجلة: العظماء.

المودة والنصيحة، ولولا ما أعرفُ من تقزُّزك وتنطُّسك[١]؛ وأنك متى انتبهت على ما أنا مُلْقيه إليك لم آمَنْ أنْ تستغشَّني[٢]، وإن لم تُظْهِرْه لي. إن هذا اليمانيّ إنما يعتم أبداً، ويمدُّ طُرّةَ[٣] العمامة حتى يغطّي بها حاجِبَيْه؛ لأن به داءً لو عَلِمْتَ به لم تؤاكلْهُ!

قال: فقال أبي: فرَماني والله بمعنى كاد ينقضُ عليَّ جميع ما بيدي، وقلتُ: والله لئن أكلت معه وبه الذي به إنّ هذا لهو البلاءُ، ولئنْ منعت الجميع مؤاكلتي لأوحِشَنهم جميعًا بعد المباسطة والمباثّة[٤] والملابسة والمؤاكلة، ولئن خصَصْتُه بالمنع أو أقعدتُه على غير مائدتي. ليغضَبَنّ، ولئن غضب ليغضَبنّ معه كل قحطاني بالشام. فبتُّ بليلة طويلة. فلما كان الغدُ وجلست، ودخلوا للسلام، جرى شيءٌ من ذكر السمومِ وغرائبِ أعمالها، فأقبل عَليَّ ذلك الشيخُ فقال: عندي من هذا بالمعاينةِ ما ليس عند أحد. خرجت مع ابن اخي هذا، ومع ابن عمّي هذا، ومع ابني هذا، أريد قَريتي الفُلانية، فإذا بقُرب الجادّةِ بعير قد نهشته أفعى. وإذا هو وافرُ اللحم، وكل شيء حَوَالَيه من الطَّير والسباع ميت، فقمنا منه على قابِ أرماحٍ نتعجب، وإذا عليه بعوض كثيرة.

فبينا أنا أقول لأصحابي: يا هؤلاء، إنكم لترون العجَب: أولُ ذلك أن بعيراً مثل هذا يتفسَّخ من عَضة شيء لعله أن لا يكون في جسم عرقٍ من عروقه، أو عَصَبة من عصَبه، فما هذا الذي مَجَّه فيه، وقذفه إليه؟ ثم لم يرضَ بأن قتلَه حتى قتلَ كلّ طائر ذاق منه، وكلّ سبُعٍ عضّ عليه. وأعجب من هذا قتلُه لأكابر السِّباع والطيرِ، وتركه قتْلَ البعوضة، مع ضَعفها ومهانتِها!

فبينا نحن كذلك إذ هبَّت ريحٌ من تلقاء الجيفة، فطيّرت البعوض إلى شقّنا، وتسقط بعوضة على جبهتي، فما هو إلا أن عضتْني إذ اَسْمَأَدَّ[٥] وجهي تورَّم رأسي، فكنت لا أضربُ بيدي إلى شيء أحكُّه من رأسي وحاجبي، إلا انتثر في يدي. فحُمِلْت إلى منزلي في محمل وعولجْت بأنواع العلاجِ، فَبَرَأْت بعد دهر طويل. على أنه أبقى عليَّ من الشَّين أنه تركني أقرعَ الرأس. أمرط الحاجبين.

---

(١) التقزز: التباعد من الدنس. التنطس: التقذر والتقزز.

(٢) استغشه: ظن به الغش.

(٣) طرة الشيء: طرفه.

(٤) المباثة: من البث؛ وهو إظهار الحديث.

(٥) اسمأد: ورم وانتفخ.

قال: وَالقومُ يخوضون معه في ذلك الحديث، خَوْضَ قوم قد قتَلوا[1] تلك القصة يقيناً.

قال: فتبسمْت، ونَكَس الفتى القيسيُّ رأسه، فظن الشيخ أنه قد جرى بيننا في ذلك ذَرْءٌ[2] من القول، فقال: إن هذا القيسيّ خبيث،ولعله أن يكون قد احتال لكَ بحيلة!

قال إبراهيم: فلم أسمع في السموم بأعجبَ من هذا الحديث.

١٥١٧ - [طلسمات البعوض والعقرب]

ويزعم أهلُ أنطاكية أنهم لا يُبْعَضونَ لطِلَّسمٍ هناك. ولو ادعى أَهلُ عقْر الدَّير، المتوسطة لأجمةِ ما بينَ البصرةَ وكَسْكَر لكانَ طِلَّسْمُهُمْ أعجب.

ويزعم[3] أَهلُ حِمْص أن فيها طِلَّسْماً من أَجلِه لا تعيشُ فيها العقارب. وإنْ طُرِحَتْ فيها عقَربٌ غريبةٌ ماتَتْ من ساعتها.

و لَعَمري إنه ليجوزُ أَن تكون بلدة تضادُّ ضرباً من الحيوان فلا يعيش فيها ذلك الجنس، فيدعي كذَّابو أهلها أَن ذلك برُقْية، أَو دعوة، أَو طلّسم.

١٥١٨ - [ألم عضة البرغوث والقملة والبعوض]

والبرغوثُ إذا عض، وكذاك القملة، فليس هناك من الحُرقة والألم ما لَه مدةٌ قصيرة ولا طويلة.

وأما البعوضُ فأشهد أن بعوضةً عضتْ ظهر قدمي، وأنا بقرب كاذَة والعَوْجاء[4]، وذلك بعد أَن صلى الناسُ المغرب، فلم أَزَل منها في أُكالٍ وحُرْقَة، وأنا أَسير في السفينة، إلى أن سِمعتُ أَذانِ العشاء.

ولذلك يقال: إن البعوضة لو ألحقت بمقدار جرْم الجرَّارة[5] - فإنَّها أصغرُ العقارب - ثم زيدتْ من تضاعيف ما معها من السُّمِّ عَلَى حَسَبِ ذلك لكانت شرًّا من

---

(١) قتله يقيناً: أحاط به علماً.

(٢) ذرء من القول: طرف منه.

(٣) ورد هذا الزعم في ربيع الأبرار ٥ / ٤٧٧.

(٤) كاذة: قرية من قرى بغداد. العوجاء: اسم موضع.

(٥) الجرارة: عقارب صغار تجرر أذنابها، انظر ما تقدم في ١٩٢، فقرة ١٤٨٢.

الدُّوَيْبّة التي تسمى بالفارسية: «دَدَهْ» وهي أكبر من القملة شيئاً، وتكون بمهرجان قُذُق[1]. فإنها مع صِغر جسمها تفسَخ الإنسان في أَسرعَ من الإشارة باليد، وهي تعضُّ ولا تلسع، وهي من ذوات الأفواهِ، وهي التي بزعمهم يقال لها «قملة النَّسر». وذلك أن النّسر في بعض الزمان، إذا سقط بتلك الأرض سقطت منه قملة تستحيل هذه الدابةَ الخبيثةَ.

والبعوضةُ من ذوات الخراطيم.

وحدّثني محمد بن هاشم السِّدريّ قال: كنتُ بالزُّطّ[2]. فكنت والله أرَى البعوضَة تطير عن ظهر الثور فتسقط على الغُصْن من الأغصان، فتقلِس[3] ما في بطنها، ثم تعود.

والبعوضة تَغْمِس خرطومها في جلد الجاموس، كما يغمِسُ الرجلُ أصابعَه في الثريد.

ومن العجب أن بين البصرة وواسط شطرين. فالشّطر الذي يلي الطّف وباب طنج يبيت أهله في عافية، وليس عندهم من البَعوض ما يذكر، والشطر الذي يلي زقاق الهِفَّة لا ينامُ أَهله من البعوض. فلو كان هذا ببلاد الشام أَو بلاد مصر لادَّعوا الطِّلَّسم.

وحدَّثني إبراهيم النَّظام قال[4]: وردنا فم زقاق الهفة، في أجَمة البصرة،فأردنا النفوذ فمنعنا صاحبُ المسْلحة[5]، فأرَدْنا التأخُّر إلى الهَوْر[6] الذي خرَجْنا منه، فأبى علينا. وورَدْنا عليه وهو سكران وأَصحابُه سُكارى، فغضِب عَلَى مَلاَّح نَبَطِيٍّ، فشدَّهُ قماطاً، ثم رمى به في الأجمة، على موضعِ أرض تتصل بموضع أكواخ صاحب المسْلَحةَ[7]. فصاح الملاح: اقتلني أيَّ قتلة شئتَ وأرحْني! فأبى وطرحه، فصاح،

(١) مهرجان قَذَق: كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همذان. معجم البلدان ٥/٢٣٣.

(٢) الزط: نهر قديم من أنهار البطيحة «معجم البلدان ٣/١٤٠». والبطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة «معجم البلدان ١/٤٥٠».

(٣) تقلس: تقيء.

(٤) الخبر في ربيع الأبرار ٥/٤٦٢.

(٥) المسلحة: القوم الذين يحرسون الثغور من العدو.

(٦) الهَوْر: يقال جرف هور: أي واسع بعيد.

(٧) المسلحة: القوم الذين يحرسون الثغور من العدو.

ثم عاد صياحُه إلى الأنين، ثم خَفَتَ وناموا في كِلَلِهم[1] وهم سكارى. فجئتُ إلى المقموط، وما جاوز وقت عتمةٍ، فإذا هو ميتٌ، وإذاهو أشد سواداً من الزنجي. وأشد انتفاخاً من الزقِّ المنفوخ، وذلك كله بقدر ما بين العشاء والمغرب. فقلت: إنها لمَّا لسَبَتْه ولسَعته من كلِّ جانب لسْعاً عَلى لسع إن اجتماعَ سمومها فيه أَرْبَتْ[2] عَلَى نهشة أفعى بعيداً. فهي ضررٌ ومحنةٌ، ليس فيها شيءٌ من المرافق.

١٥١٩ - [نفع العقرب]

والعقاربُ بأكلها مَشويةً من بعينه ريح السَّبَل[3]، فيجدُها صالحة. ويرمَى بها في الزيت، حتى إذا تفسَّخت وامتصَّ الزيتُ ما فيها من قواها فطلوْا بذلك الدهنِ الخُصى[4] التي فيها النفخ - فرّق تلك الريح حتَّى تخمُص[5] الجلِدة، ويذهب الوجع.

فإذا سمعْتَ بدُهْن العقارب فإنما يعنون هذا الدهن.

بـــاب

١٥٢٠ - [أجناس البعوض]

في البقِّ، والجِرجس[6] والشَّرَّان[7]، والفَرَاش، والأذَى.

وقال اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللّه لا يَسْتَحْيِ أَنْ يَضْرِبَ مَثلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَها﴾[8]، قال: يريد فما دونها.

وهو قول القائل للرجل يقول: فلانٌ أسفلُ الناسِ وأنذلهُم! فيقول: هو فوق ذلك! يضعُ قوله فوق، في موضع: هوشَرٌّ من ذلك.

---

(١) الكِلّة: ستر رقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البعوض.

(٢) أَرْبَتْ: زادت.

(٣) ريح السبل: داء يصيب في العين.

(٤) الخصى: جمع خصية.

(٥) تخمص الجلدة: يذهب ورمها.

(٦) الجرجس: البعوض الصغار.

(٧) الشران: جمع شرانة، وهي دويبة مثل البعوض.

(٨) ٢٦/ البقرة: ٢.

قال: وضروب من الطير لا تلتمسُ أرزاقها إلا بالليل، منها الخُفَّاش، والبُومة، والصَّدى[1]، والضُّوَع[2]، وغُرابُ الليل.

والبعوض بالنهار تؤذي بعض الأذى، وإنما سلطانها بالليل. وكذلك البراغيث.

وأما القملُ فأمره في الحالات مستوٍ. وليس للذِّبَّانِ بالليل عملٌ. إلا أنّي متى بيَّتَ معي في القبة ما صار إليها، وسكن فيها من الذِّبّان، ولم أطرُدْها بالعشيِّ وبعد العصر، فإني لا أجدُ فيها بعوضة واحدة.

١٥٢١ - [شعر في البعوض]

وقال الرَّاجز في خرطوم البعوضة[3]: [من الرجز]

مثل السَّفَاة دائمٌ طَنِينُهَا ... رُكِّبَ في خُرْطُومِها سِكِّينُهَا[4]

وقال الهذليّ[5]: [من الوافر]

كـأنَّ وغىَ الخَمـوشِ بجانِبَيْـه ... وغَى رَكْـبٍ أُمَيْمَ ذوِي هِيَاطِ[6]

والخموش: أصناف البعوض. والوغى: أصوات الملتفة التي لا يُبين واحدُها عن معنى، وهو كما تسمع من الأصوات الجيشين إذا التقيا عَلَى الحرب، وكما تسمعُ من ضجَّة السوق.

وقال الكُمَيت وهو يذكر قانصاً وصاحب قُتْرَة[7] - لأنه لا يَبتَنِي بيته إلاّ عند

---

(١) الصدى: ذكر البوم، وتقول العرب إنه يخلق من رأس المقتول، يصيح في هامة المقتول إذا لم يؤخذ بثأره يقول: اسقوني اسقوني؛ حتى يقتل قاتله. حياة الحيوان ١ / ٦١٠.

(٢) الضوع: طائر من طير الليل من جنس الهوام، وقيل: هو ذكر البوم. حياة الحيوان ١ /٦٤٩.

(٣) الرجز في ذيل الأمالي ١٢٩، وتقدم في ٣ / ١٥١، الفقرة (٧٦٦).

(٤) السفاة: الشوك.

(٥) البيت للمتنخل الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٢٧٢، واللسان (خمش، زيط، لغط، وعي، وغي) والتاج (خمش، زأط، زيط، لغط، وعي، وغي)، والتنبيه والإيضاح ٢ /٣١٧، وللهذلي في الجمهرة ٦٠٣، ١٢٥٥، والمخصص ٨ /١٨٥، والأساس (وعي)، وبلا نسبة في التهذيب ١٣ / ٢٣٤، والمقاييس ٢ / ٢١٩.

(٦) في ديوان الهذليين ٢ / ٢٥: «الخموش: البعوض. والهياط: الصياح والمجادلة؛ ويقال: فعلته بعد الهياط والمياط، أي بعد الجلبة والصوت. والوغى والوعى واحد، وهو الصوت في الحرب».

(٧) القترة: البئر: يحتفرها الصائد يكمن فيها.

شريعةٍ[١] ينتابها الوحْش - فقال وهو يصف البعوض[٢]: [من الطويل]

به حاضرٌ من غير جنٍ تروُعه ... ولا أنسٌ ذو أَرْنانٍ وذُو زَجَلْ[٣]

والحاضر: الذي لا يبرحه البعوض، لأن البعوض من الماء يتخّلق فكيف يفارقه، والماءُ الراكد لا يزال يولدُهُ؟! فإن صار نطافاً أو ضَحْضَحاً[٤] استحال دعاميص، وانسلخت الدَّعاميص فصارت فراشاً وبعوضاً. وقال ذو الرُّمّة[٥]: [من الطويل]

وأيقنَ أنّ القِنْعَ صارتْ نِطافُه ... فَرَاشاً وأن البقْل ذاوٍ و يابسُ

وصفَ الصَّيف. وقال أبو وجْزَة[٦]، وهو يصِفُ القانصَ والشريعة والبعوض: [من البسيط]

تَبيتُ جارَتَهُ الأفعى وسامرُه ... رُمْدٌ به عاذرٌ مِنهن كالجَربِ

رُمْدٌ في لونها، يعني البعوض، وهي التي تسامرُ القانِصَ وتُسْهِره. والعاذر: الأثر. يقول: في جلده عواذير وآثارٌ كآثارِ الجَرَبِ من لسع البعوض، وهو مَعَ ذلك وسْطَ الأفاعي.

وقال الراجز يصف البَعُوض[٧]: [من الرجز]

ولَيلةٍ لم أدرِ ما كَرَاها ... أمارِسُ البَعُوضَ في دُجَاها[٨]

كلُّ زَجُول خَفِقٍ حَشاها ... ستٌّ لدَى إيفائها شَوَاها[٩]

لا يطْربُ السامعُ من غناها ... حَنّانة أعظَمُها أذاها

---

(١) الشريعة: مورد الماء.

(٢) ديوان الكميت ٢/٩٣، والمقاييس ٢/٤٦٣، والمجمل ٢/٤٣٩، والمعاني الكبير ٦٠٧، وبلا نسبة في اللسان والتاج (رون).

(٣) الأرونان: الصوت. الزجل: الجلبة.

(٤) النطاف: جمع نطفة، وهي القليل الماء. الضحضح: الماء القليل يكون في الغدير وغيره.

(٥) ديوان ذي الرمة ١١٢١، وتقدم في ٣/١٦٥، ١٧٦.

(٦) تقدم البيت في ٤/٣٦٥، الفقرة (١١١٤).

(٧) الرجز بلا نسبة في اللسان والتاج (بعض)، ومحاضرات الأدباء ٢/٣٠٦ (٤/٦٧٣).

(٧) الكرى: النوم. المراس: شدة المعالجة.

(٨) الزجول: الكثير الزجل، وهو الجلبة. الخفق: المضطرب. الشوى: اليدان والرجلان.

١٥٢٢ - [أرجل الجرادة والعقرب والنملة والسرطان]

وكذلك قوائم الجرادة، هي ستّ: يدان، ورجلان، والميشاران وبهما تعتمد إذا نَزَت[١].

فأما العقرب فلها ثمان أرجل. وللنملة ست أرجل.

وللسَّرَطان ثمان أرجل، وهو في ذلك يستعين بأسنانه، فكأنه يمشي على عَشر. وعيناه في ظهره. وما أكثر من يشويه ويأكله للشهوة، لا للحاجة ولا للعلاج.

١٥٢٣ - [شعر في البعوض]

وقال الرَّاجز[٢]، ووصَفَ حالَهُ وحَالَ البَعوض: [من الرجز]

١- لم أرَ كاليوم ولا مُذْ قَطٌّ ... أطولَ من ليلي بنهر بَطٌّ
٣- كأنما نجومُه في رُبْط ... أبيتُ بينَ خُطَّتَيْ مشتطٌّ
٥- من البَعُوض ومن التغطّي ... إذا تَغَنَّيْنَ غناءَ الزُّطّ[٣]
٧- وهُنَّ منّي بمكان القُرْطِ ... فثِقْ بوقْعٍ مثلِ وقْعِ الشَّرْطِ

وقال أيضاً[٤]: [من الرجز]

إذا البعوضُ زجَلَت أصواتُها ... وأخذ اللحنَ مغنّياتُها
لم تطرب السامعَ خافضاتُها[٥] ... كلُّ زجُولٍ تُتَّقى شَذاتُها[٦]
صغيرةٌ، عظيمةٌ أذاتها ... تنقُص عن بُغيتها بُغاتُها
ولا تصيبُ أبداً رُماتُها ... رامحةٌ، خُرطومُها قَنَاتُها[٧]

وأنشدني جعفر بن سعيد: [من الرجز]

---

(١) نزت: وثبت.

(٢) الأبيات (١، ٢، ٤، ٥) بلا نسبة في اللسان والتاج (بطط). والأبيات (٦، ٧، ٨) بلا نسبة في محاضرات الأدباء ٢/٣٠٦ (٤/٦٧٣)، وربيع الأبرار ٥/٤٦٣.

(٣) الزط: جيل من الهند.

(٤) الرجز بلا نسبة في ديوان المعاني ٢/١٤٨، ونهاية الأرب ١٠/٣٠٢، ومجموعة المعاني ١٩٦.

(٥) بعد هذا البيت في ديوان المعاني ونهاية الأرب: «وأرّق العينين رافعاتها».

(٦) الشذاة: الأذى.

(٧) الرامحة: ذات الرمح. القناة: الرمح.

ظَلِلْتُ بالبصرة في تَهْوَاشِ وفي براغيثَ أذاها فاشي[1]
من نافرٍ منها وذي اهتماشِ يرفع جَنْبَيَّ عن الفراشِ
فأنا في حَكٍّ وفي تخراشِ تتركُ في جنبيّ كالخراشِ[2]
وزوجةٍ دائمةِ الهراشِ تغلي كغَلْيِ المِرْجَلِ النَّشَّاشِ[3]
تأكلُ ما جَمَّعت من تَهباشي بل أمٌّ معروف خَموشٌ ناشِ[4]

وقال رجل من بني حِمَّانَ، وقَع في جُنْد الثغور: [من الطويل]

أأنصُرُ أهلَ الشَّامِ مِمَّنْ يَكيدُهُمْ وأهلي بنَجدٍ ساءَ ذلك من نصرِ
بَراغيثُ تُرْذِيني إذا الناسُ نَوَّمُوا وبَقٌّ أقاسيه على ساحل البحرِ[5]
فإن يك فرضٌ بَعدها لا أعُدْ لَـهُ وإن بذلوا حُمْرَ الدنانيرِ كالجمْرِ[6]

بـــاب
فـــي العنكبـوت

قال اللّه عز وجل: ﴿مَثَل الَّذينَ اتخذوا منْ دُون اللّه أَوْليَاء كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوت اتَّخَذَتْ بَيْتاً، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوت لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوت لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[7]، ثم قال على إثر ذلك: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضرِبُها للنَّاسِ وَمَا يَعْقِلها إلاّ العَالِمُونَ﴾[8] يريد ذكره بالوهَن. وكذلك هو. ولم يُرِدْ إحكام الصنعة في الرِّقَّة والصَّفاقة، واستواء الرقعة، وطول البقاء، إذا كان لا يعمل فيه تعاوُرُ الأيام، وسَلِمَ من جنايات الأيدي.

---

(١) التهواش: الاختلاط. الفاشي: المنتشر.
(٢) الخرش: الخدش والخمش.
(٣) الهراش: القتال، وأصله هراش الكلاب. المرجل: القدر. النشاش: الذي ينش، أي يصوت عند الغليان.
(٤) الهبش: الجمع والكسب. الخموش: البعوض.
(٥) ترذيني: تهزلني وتضعفني.
(٦) الفرض: العطية المرسومة.
(٧) ٤١ / العنكبوت: ٢٩.
(٨) ٤٣ / العنكبوت: ٢٩.

١٥٢٤ - [شعر في العنكبوت]

وقال الحُدّانيّ: [من الطويل]

يزهِّدُني في وُدِّ هارونَ أنـه ... غَذَتْـهُ بأطْباءٍ مُلَعَّنَة عُكَّـلُ
كأنّ قَفَا هارُونَ إذْ قَـامَ مُدْبِـراً ... قفا عنكبوت سَلّ من دُبْرِهَا غَـزْلُ
ألا ليت هاروناً يسافرُ جائعـاً ... وليس عَلَى هارون خفٌّ ولا نعْـلُ

وقال مزرِّدُ بن ضِرار: [من الطويل]

ولـو أنَّ شيخاً ذا بَنِيـنَ كأنما ... على رأسه من شاملِ الشَّيْب قَوْنَسُ[١]
ولم يَبْقَ من أضراسه غير واحـدٍ ... إذا مَسَّه يَدْمى مِرَاراً ويَضْرَسُ[٢]
تـبيِّت فيـه العنكبـوتُ بنـاتِهـا ... نواشِئَ حتى شِبْنَ أَوْ هُـنّ عُنَّـسُ
لظَـلَّ إليهـا رَانِيـاً وكـأنـه ... إذا كشّ ثورٌ من كريص مُنَمِّسُ[٣]

١٥٢٥ - [أجناس العنكبوت ونسيجها]

قال: ومن أجناس العنكبوت جنس رديء التدبير، لأنه ينسِجُ سترهُ على وجه الأرض، والصخور. ويجعله على ظهر الأرض خارجاً، وتكونُ الأطرافُ داخلة. فإذا وقع عليه شيءٌ مما يغْتَذِيه من شكل الذّبّان وما أشبه ذلك أخذه.

وأما الدقيق الصَّنعة فإنه يصعِّد بيته ويمدُّ الشَّعرة ناحيةَ القرون والأوتاد، ثم يسدِّي من الوسط، ثم يهيِّئُ اللُّحمة،ويهيِّئُ مَصيدَتَه في الوسط، فإذا وقع عليها ذباب تحرَّك ما هناك ارتبط ونشبت به[٤]، فيتركه على حاله حتى إذا وثق بوَهْنه وضَعْفه، غَلَّه[٥] وأدخَلَه إلى خزانته. وإن كان جائعاً مصَّ من رطوبته ورمَى به. فإذَا فَرَغَ رمّ ما تشعَّثَ من نَسْجه.

وأكثرُ ما يقعُ عَلَى تلك المصيدة من الصَّيدِ عند غيبوبة الشمس.

---

(١) القونس: مقدم بيضة السلاح.

(٢) الضرس: خور يصيب الضرس أو السن عند أكل شيء حامض.

(٣) رانياً: من الرنو، وهو إدامة النظر. كَشَّ: صَوَّت. الثور: القطعة من الأقط، والأقط: لبن جامد مستحجِر. «انظر النهاية ١/٢٢٨». الكريص: الأقط المجموع المدقوق. المنمس: الذي فسد وأنتن.

(٤) نشبت به: علقت به المصيدة.

(٥) غله: قيَّده.

وإنما تنسجُ الأنثى. فأما الذكرُ فإنه ينقُض ويُفسِد.

وولد العنكبوتِ أعجبُ من الفرُّوج، الذي يظهر إلى الدنيا كاسباً[1] محتالاً مكتفياً.

قال: وولد العنكبوت يقومُ عَلَى النسج ساعةَ يولد.

قال: والذي ينسِجُ به لا يخرجُ من جوفه، بل من خارج جسده.

وقال الحُدَّانيُّ[2]: [من الطويل]

كأن قفا هارون إذ قام مُدْبراً قفا عنكبوت سُلَّ من دُبْرها غزْلُ

فالنحل، والعنكبوت، ودود القزّ، تختلف من جهات ما يقال إنه يخْرُج منها.

١٥٢٦ - [العنكبوت الذي يسمى الليث]

ومن العناكب جنسٌ يصيد الذُّبابَ صيد الفهود، وهو الذي يسمى: «الليث» وله ستٌّ عيون. وإذا رأى الذُّبابَ لطئَ بالأرض، وسكَّنَ أطرافه. وإذا وثَبَ لم يخطئْ[3]. وهو من آفات الذّبّان، ولا يصيدُ إلا ذِبّان الناس.

١٥٢٧ - [قتل الذبّان للأسد][4]

وذِبَّانُ الأُسْدِ علَى حِدَة، وذِبّانُ الكلاب على حِدَة، وليس يقوم لها شيءٌ. وهي أشدُّ من الزنابير، وأضرُّ من العقارب الطيَّارة. وفيها من الأعاجيب أنها تعضُّ الأُسْدَ، كما يعضُّ الكلبَ ذِبَّانُ الكَلْب.

وكذلك ذِبّانُ الكلأ، لما يغشَى الكَلأ من بعير وغير ذلك. ولها عضٌّ مُنكَر، ولا يبلغُ مبلغَ ذِبَّانِ الأُسْد.

فمن أعاجيبها سِوى شدةِ عضِّها وسَمِّها، وأنها مقصورة علَى الأسد، وأنها متى رأت بأسد دماً من جراح أو رَمْي، ولو في مقدار الخُديش الصغير فإنها تستجمعُ عليه، فلا تقلعُ عنه حتى تقتله.

---

(١) كاسباً: يكسب قُوتَه بنفسه.

(٢) تقدم البيت في الصفحة السابقة ٢١٩.

(٣) ورد القول في نهاية الأرب ١٠ / ٢٩١، وثمار القلوب (٥٧٠)، والجملة الأخيرة في الثمار: «فمتى سكن ووثب لم يخطئ».

(٤) الخبر في ربيع الأبرار ٥ / ٤٦١.

١٥٢٨ - [قتل الذر للحية]

وهذا شبيهٌ بما يُرْوَى ويُخبَر عن الذَّرّ، فإن الذَّرّ متى رأتْ بحيَّة خدْشاً لم تقْلِعْ عنه حتى تقتله، وحتى تأكله.

١٥٢٩ - [شدة ولوع النمل بالأراك]

ولقد أردتُ أن أغْرِسَ في داري أراكةً، فقالوا لي: إن الأراكة إنما تنبت من حبِّ الأراك، وفي نباتها عسْرٌ، وذلك أن حبّ الأراك يغرس في جوف طين، وفي قواصرَ[١]، ويُسقى الماءَ أياماً. فإذا نبتَ الحبُّ وظهر نباتُه فوق الطين، وُضِعت القَوْصَرَة[١] كما هي في جوف الأرض، ولكنها إلى أنْ تصير في جوف الأرض، فإن الذرَّ يطالبها مطالبة شديدة. وإن لم تُحفظ منها بالليل والنهار أفسدتها.

فعمدتُ إلى منارات من صُفر[٢] من هذه المسارج[٣]، وهي في غاية الملاسة واللِّين، فكنتُ أَضَعُ القوصَرَة عَلَى التُّرسِ الذي فوق العمود الأملس، فأجد فيها الذرّ الكثير، فكنتُ أنقُل المنارةَ من مكان إلى مكان، فما أفلحَ ذلك الحبُّ.

١٥٣٠ - [ضروب العناكب]

قال: والعناكب ضروبٌ: فمنها هذا الذي يقال له الليث، وهو الذي يصيد الذبّان صيد الفهد، وقد ذكرنا في صدر هذا الكلام[٤] حِذقه ورِفْقه، وتأتّيه وحيلته.

ومنها أجناس طِوَالُ الأرجلُ، والواحدةُ منها إذا مشت علَى جلْد الإنسان تبثَّر[٥]. ويقال إن العنكبوت الطويلة الأرجل، إنما اتخذت بيتاً وأعدَّت فيه المصايد والحبائل، والخيوطَ التي تلتفُّ على ما يدخُل بيتها من أصناف الذّبان وصغارِ الزنابير ـ لأنها حين علِمَتْ أنها لا بدّ لها من قوت، وعرفت ضعفَ قوائمها، وأنها تعجزُ عما يقْوَى عليه الليثُ، احتالت بتلك الحيل.

فالعنكبوتُ، والفأر، والنحلُ، والذَّرّ، والنمل، من الأجناس التي تتقدم في إحكام شأنِ المعيشة.

---

(١) القوصرة: وعاء من قصب يرفع فيه التمر.

(٢) الصفر: النحاس.

(٣) المسرجة: التي فيها الفتيل.

(٤) انظر ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٥) تبثر: ظهرت فيه بثور.

ومنها جنس رديء، مشنوء[1] الصورة، غليظ الأرجل، كثيراً مايكون في المكان التَّرِب من الصناديق والقماطر والأسفاط. وقد قيل: إنَّ بينه وبين الحيَّة، كما بين الخنفساء والعقرب.

وإناث العناكب هي العوامل: تغزل وتنسج. والذَّكَرُ أخرق ينقضُ ولا ينْسِجُ. وإن كان ما قال صاحب المنطق حَقّاً فما أغرَبَ الأُعجوبة في ذلك، وذلك أنه زعم أن العنكبوت تقْوَى على النَّسْج، وعلى التقدمِ في إحكام شأن المعاش حين تولد.

١٥٣١ - [الكاسب من أولاد الحيوان]

وقالوا: وأشياءُ من أولاد الحيوان تكونُ عالمةً بصناعتها، عارفة بما يُعيشها ويُصْلحها، حتى تكون في ذلك كأُمهاتها وآبائها، حين تخرجُ إلى الدنيا، كالفرُّوج من وَلد الدجاج، والحِسْل من ولد الضِّباب، وفرخ العنكبوت.

وهذه الأجناسُ، مع الفأر والجرذان، هي التي من بين جميع الخلق تدَّخرُ لنفسها ما تعيش به من الطُّعم.

بـــاب
فـــي النحـــل

زعمَ صاحبُ المنطق أن خليَّة من خلايا النحل فيما سلف من الزمان، اعتلتْ ومَرِض ما كان فيها من النحل، وجاء نحلٌ من خَليَّةٍ أخرى يقاتلُ هذا النحل حتى أخرجت العسل، وأقبل القيِّم على الخلايا يقتل بذلكَ النحل الذي جاء إلى خليته.

قال: فخرج النحلُ من الخليَّة يقاتلُ النحلَ الغريب، والرجل بينها يطردُ الغريب، فلم تلسعه نحل الخليَّة التي هو حافظُها، لدفعه المكروهَ عنها.

قال: وأجودُ العسل ما كان لونه لون الذهب.

١٥٣٢ - [تقسيم النحل للأعمال]

قال: والنحل تجتمع فتقسم الأعمال بينها، فبعضَها يعملُ الشّمع، وبعضها يعملُ العسل، وبعضها يبني البيوتَ، وبعضها يَسْتَقي الماء ويصبُّه في الثقْب، ويلطخه بالعسل.

---

(١) المشنوء: المكروه.

ومنه ما يبكِّر إلى العمل. ومن النحل ما يَكفُّه[1]؛ حتى إذا نهضتْ واحدةٌ طارت كلها. يقال: «بَكَرَ بُكورَ اليَعْسوب»، يريد أمير النحل لأنها تتبعه غُدوةً إلى عملها.

ومنها ما ينقل العسل من أطرافِ الشجر، ومنها ما ينقل الشَّمعَ الذي تبني به، فلا تزالُ في عملها حتى إذا كان الليل آبت إلى مآبها.

١٥٣٣ - [استطراد لغوي]

قال: والأرْي: عمل العسل. يقال: أرت تأري أرْياً. والأرْي في غير هذا الموضع: القيء[2]. وقال أبو ذؤيب[3]: [من الطويل]

بأرْيِ التي تأرِي إلى كل مَغْربٍ ... إذا اصفرَّ ليطُ الشمس حان انقلابُها[4]

ومغارب: جمع مغرب. وكل شيء واراك من شيء فهو مغرب، كما جعله أبو ذؤيب. والأصل مغرب الشمس. وقال أبو ذؤيب[5]: [من الطويل]

فباتَ بجَمْعٍ ثُمَّ تـمَّ إلـى مِـنًى ... فأصبحَ رَأْداً يبتغي المزْجَ بالسَّحْلِ[6]

المزْجُ: العسل. والسَّحْل: النقد.

١٥٣٤ - [ما له رئيس من الحيوان]

ومن الحيوان ما يكون لكل جماعة منها رأس وأمير، ومنها ما لايكونُ ذلك له. فأما الحيوان الذي لا يجد بدّاً ولا مصلحة لشأنه إلا في اتخاذ رئيس ورقيب فمثل ما يصنع الناس، ومثلُ ما تتخذ النحلُ والغَرانيق، والكَرَاكيّ[7].

---

(١) يكفه: يجمعه.

(٢) أي ما تجمعه من العسل في أجوافها ثم تلفظه.

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٤٨، وديوان الهذليين ١/٧٥، واللسان (ليط)، والتاج (لوط).

(٤) في ديوان الهذليين: «قوله: إذا اصفر ليط الشمس، أراد لونها. قوله: حان انقلابها، أي في ذلك الوقت إلى موضعها».

(٥) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٩٥، وديوان الهذليين ١/٤١، واللسان (رود، جمع، سحل، تمم)، والتاج (سحل)، وديوان الأدب ١/١٢٦، وللهذلي في التهذيب ٤/٣٠٧، وبلا نسبة في المخصص ٢/١١٥، ١٢/٢٩.

(٦) في ديوان الهذليين: «قوله: بجمع، يعني المزدلفة. وأصبح رأداً: يعني رائداً: طالباً».

(٧) الكراكي: جمع كركي: وهو طائر كبير، ذهب بعض الناس إلى أنه الغرنوق، وهو أغبر طويل الساقين، وهو من الحيوان الذي لا يصلح إلا برئيس. حياة الحيوان ٢/٢٤٤.

فأما الإبل والحمير والبقر، فإن الرياسة لفحْل الهجْمة[1]، ولعَير العانة[2]، ولثَور الرَّبْرَب[3]. وذكورتها لا تتخذ الرُّقباء من الذُّكورة.

وقد زعم[4] ناس أن الكراكيَّ لا تُرَى أبداً إلا فُرادَى فكأن الذي يجمعها الذكر، ولا يجمعُها إلا أزواجاً.

ولا أدري كيف هذا القول؟!

والنحل أيضاً تسير بسيرة الإبل والبقر والحمير، لأن الرئيس هو الذي يورِدُها ويُصْدِرها، وتنْهَضُ بنهوضه، وتقع بوقوعه. واليعسوب هو فحلها. فترى كما ترى، سائر الحيوان الذي يتخذ رئيساً إنما هي إناث الأجناس، إلا الناس؛ فإنهم يعلمون أن صلاحهم في اتخاذ أمير وسيِّد، ورئيس.

وزعم بعضهم أن رياسة اليعسوبِ، وفحل الهجْمة، والثورِ، والعَير، لأحد أمرين: أحدهما لاقتدار الذَّكر على الإناثِ، والآخر لما في طباع الإناث من حبّ ذكورتها.

ولو لم تتأمَّرْ عليها الفحولُ لكانت هي لحبِّها الفحولِ تغدو بغدوِّها، وتروح بَروَاحها.

قالوا: وكذلك الغرانيق والكراكيّ[5]. فأما ما ذكروا من رؤساء الإبل والبقر والجواميس والحمير، فما أبعدهم في ذلك عن الصواب.

وأما إلحاقهم الغرانيقَ والكراكي[5] بهذه المنزلة فليس علَى ما قالوا.

وعلى أنَّا لا نجدُ بُدّاً من أن يعلم أن ذكورتها أقوى على قسرِ الإناث وجمعها إليها من الإناث.

وعلى أنه لا بد من أن يكون بعض طاعة الإناث لها من جهة ما في طباعها من حبِّ ذكورتها.

---

(١) الهجمة: القطعة الضخمة من الإبل، وقيل: هي ما بين الثلاثين والمائة، وقيل: الهجمة أولها الأربعون إلى ما زادت، وقيل: ما بين السبعين إلى المائة.

(٢) العانة: جماعة حمر الوحش.

(٣) الربرب: القطيع من بقر الوحش.

(٤) انظر هذا الزعم في ربيع الأبرار ٥/٤٥٣.

(٥) انظر الحاشية الأخيرة في الصفحة السابقة.

ولو كان اتخاذ الغرانيق والكراكيّ الرؤساءَ والرُّقباء إنما علته المعرفة - لم يكن للغرانيق والكراكيِّ في المعرفة فضلٌ على الذّرِّ والنمل، وعلى الذِّئب والفيل، وعلى الثعلب والحمام.

أما الغنم فهي أغْثَرُ وأمْوَق[1] من أن تجري في باب هذا القول.

وقد تخضع الحياتُ للحية، والكلاب للكلب، والدِّيوك للديكِ، حتى لا ترومَه[2] ولا تحاول مدافعتَه.

١٥٣٥ - [هيبة الكلاب]

ولقد خرجت في بعض الأسحار فِي طلبِ الحديث، فلما صرتُ في مربَّعة المحلَّة، ثار إليّ عدّةٌ من الكلاب، من ضِخامها، ومما يختارُه الحُرّاس. فبينا أنا في الاحتيال لهنَّ وقد غشِينَني إذ سَكَتْنَ سكتةً واحدة معاً، ثم أخذ كل واحد في شقّ كالخائف المستخفي، وسمعت نغمة[3] إنسان، فانتهزتُ تلك الفُرصةَ من إمساكهنّ عن النُّباح، فقلتُ: إنَّ هَهُنَا لَعلَّة إذ أقبلَ رجلان ومعهما كلبٌ أزبُّ[4] ضخمٌ دَوسر[5]، وهو في ساجور[6]، ولم أرَ كلَباً قط أضخم منه، فقلت: إنهنَّ إنما أمْسَكن عن النُّباح وتسترن، من الهيبة له! وهي مع ذلك لا تتخذ رئيساً.

١٥٣٦ - [سادة الحيوان]

ورُوِي عن عبّاد بن صهيب، عن عوف بن أبي جميلة، عن قسامة بن زُهير قال: قال أبو موسى[7]: «إن لكل شيء سادة حتى إن للنمل سادة». فقال بعضهم: سادة النمل: المتقدِّمات.

وهذا تخريج، ولا ندري ما معنى ما قال أبو موسى في هذا.

ولو كان اتخاذُ الرئيس من النحل، والكراكيِّ، والغرانيق[8]، والإبل، والحمير،

---

(١) الغثر والموق: الحمق.

(٢) أي تكفيه مؤونة الطلب.

(٣) النغمة: الكلام الخفي.

(٤) الأزب: الكثير الشعر.

(٥) الدوسر: الضخم الشديد.

(٦) الساجور: القلادة التي توضع في عنق الكلب.

(٧) هو أبو موسى الأشعري كما تقدم قوله في ٤ / ٢٦٩، الفقرة (٩٥٣).

(٨) انظر الحاشية الأولى ص٢٢٣.

والثيران، لكثرة ما معها من المعرفة - لكانت القرود، والفيلة والذرّ، والثعالبُ، أولى بذلك. فلا بد من معرفةٍ، ولا بد من طباعٍ وصَنْعة.

والحمام يُزْجَلْن[1] من لُؤلؤة[2]، وهنَّ بَصريَّات وبغداديَّات، وهنّ جُمَّاعٌ من هاهنا و ها هنا، فلا تتخذ رئيساً.

١٥٣٧ - [طعن ناس من الملحدين في آية النَّحل]

وقد طعنَ ناسٌ من الملحدين، وبعضٌ من لا علم له بوجوه اللغة وتوسُّع العرب في لُغتها، وفَهْمِ بعضها عن بعض، بالإشارة والوحي - فقالوا: قد علمْنا أن الشمع شيءٌ تنقله النحل، مما يسقط على الشجر، فَتَبني بيوت العسل منه، ثم تنقل من الأشجار العسل الساقط عليها، كما يسقط التَّرَنْجُبين[3]، والمنُّ[4]، وغير ذلك. إلا أن مواضع الشمع وأبدانه خفيٌّ. وكذلك العسل أخفى وأقلّ. فليس العسل بقيءٍ ولا رجْع[5]، ولا دخَلَ للنحلة في بطْنٍ قطٌّ.

١٥٣٨ - [رد الجاحظ على الملحدين]

وفي القرآن قول اللّه عز وجل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[6].

ولو كان إنما ذهبَ إلى أنه شيءٌ يُلتَقَطُ من الأشجار، كالصُّموغِ وما يتولد من طِباع الأنداء والأجْواء والأشجارِ إذا تمازجت - لما كان في ذلك عجبٌ إلا بمقدار ما نجده في أمور كثيرة.

---

(١) يزجلن: يرسلن على بعد.

(٢) لؤلؤة: قلعة قرب طرسوس. ولؤلؤة: ماء بسماوة كلب. معجم البلدان ٥/ ٢٦.

(٣) الترنجبين: مادة تتجمع فوق بعض النبات شبيهة بالعسل.

(٤) المن: قيل هو الترنجبين، وقيل: هو صمغة حلوة تنزل على الشجر. انظر عمدة الحفاظ ٤/ ١١٥ (منن).

(٥) الرجع: النجو والروث.

(٦) ٦٨-٦٩/ النحل: ١٦.

١٥٣٩- [زعم الجهّال في نبوة النحل]

قلنا: قد زعم ابن حائط وناسٌ من جُهَّالِ الصُّوفيَّة، أن في النحل أنبياء، لقوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾. وزعموا أن الحَوَارِيِّينَ كانوا أنبياء لقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلى الحَوارِيِّينَ﴾[1].

قلنا: وما خالف إلى أن يكون في النحل أنبياء؟ ! بل يجبُ أن تكون النحل كلها أنبياء، لقوله عز وجل على المخرج العامّ: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾، ولم يخصّ الأمهات والملوكَ واليعاسيب، بل أطلقَ القول إطلاقاً.

وبعدُ فإن كنتم مسلمين فليس هذا قولَ أحد من المسلمين. وإلا تكونوا مسلمين فلِمَ تجعلون الحجة على نبوة النحل كلاماً هو عندكم باطل؟!

١٥٤٠ - [قول في المجاز]

وأما قوله عز وجل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾[2] فالعسل ليس بشرابٍ، وإنما هو شيء يحوَّلُ بالماء شراباً، أو بالماء نبيذاً. فسماه كما ترى شراباً، إذ كان يجيء منه الشراب.

وقد جاء في كلام العرب أن يقولوا: جاءت السماءُ اليوم بأمر عظيم.

وقد قال الشاعر[3]: [من الوافر]

إذا سقط السماءُ بأرْضِ قوْمٍ ... رَعيناه وإن كانوا غِضَابَا

فزعموا أنهم يرعَونَ السماء، وأنَّ السماء تسقط.

ومتى خرج العسلُ من جهةِ بطونها وأجوافها فقد خرج في اللغة من بطونها وأجوافها.

ومَنْ حمل اللغة على هذا المركب، لم يفهم عن العرب قليلاً ولا كثيراً وهذا

---

(١) ١١١/ المائدة: ٥.

(٢) ٦٩/ النحل: ١٦.

(٣) البيت لمعود الحكماء (معاوية بن مالك) في المفضليات ٣٥٩، والأصمعيات ٢١٤، وأشعار العامريين ٥٤، والسمط ٤٤٨، ومعجم الشعراء ٣١٠، والحماسة البصرية ١/ ٧٩، ونسب خطأ إلى جرير في العمدة ١/٢٦٦، وإلى الفرزدق في التاج (سما)، وبلا نسبة في المقاييس ٣/٩٨، والمخصص ٧/١٩٥، ١٦/ ٣٠، وديوان الأدب ٤/٤٧، والأمالي ١/ ١٨١.

الباب هو مفخرُ العربِ في لغتهم، وبه وبأشباهه اتسعت. وقد خاطبَ بهذا الكلام أهل تِهامة، وهُذيلاً، وضواحِيَ كِنانة. وهؤلاء أصحابُ العسل. والأعرابُ أعرَف بكل صَمْغَةٍ سائلة، وعَسلة ساقطة، فهل سمعتم بأحد أنكر هذا الباب أو طعنَ عليه من هذه الحجة؟!

١٥٤١ - [أحاديث وأقوال في العسل]

حُدِّثَ عن سفيان الثَّوريّ، قال حدَّثنا أبو طُعْمة عن بكر بن ماعز، عن ربيع بن خُثَيْم قال: «ليس للمريض عندي دواءٌ إلا العسل».

وعن هشام بن حسان، عن الحسن أنه كان يعجبه إذا استمشى[١] الرجُل أن يشربَ اللبنَ والعسل.

إبراهيمُ بنُ أبي يحيى، قال: بلغني عن ابن عباس: «أن النبيَّ صلى اللهّ عليه وسلم سُئِل: أيُّ الشراب أفضل؟ قال: الحُلْو البارد»[٢].

وسفيان الثوري عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص عن ابن مسعود قال: «عليكم بالشفاءين: القرآن والعسلِ»[٣].

شعبة عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، قال: مضى رجل إلى ابن مسعود فقال: إن أخي يشتكي بطنَه، وقد نُعِتَت له الخمر. فقال: سبحان اللّه! ما كان اللّه ليجعلَ شفاءهُ في رجس، وإنما جُعلَ الشفاءُ في اثنين: في القرآنِ والعسل.

سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادة، عن أبي المتوكّل الناجيّ، عن أبي سعيد الخدريّ: «أن رجلاً أتى النبيِ صلى اللّه عليه وسلم فقال إن أخي يشتكي بطنَه، فقال عليه السلام: اسقِه عسلاً. ثم أتاه فقال: قد فعلت. قال: اسقه عسلاً. ثم أتاه فقال: قد فعلتُ. فقال: اسقه عسلاً. ثم أتاه الرابعَة، فقال: صدق اللّه وكذبَ بطْنُ أخيك. اسقه عسلاً! فسقاه فبَرأ الرجُل»[٤].

قال: والذي يدلُّ على صحةِ تأويلنا لقول اللّه عز وجل: ﴿يَخْرُجُ منْ بُطُونِها

---

(١) استمشى: شرب المشى، وهو الدواء المسهل، وانظر عيون الأخبار ٣/٢٠٦.
(٢) انظر عيون الأخبار ٣/٢٠٥.
(٣) رواه ابن ماجة، والحاكم في المستدرك. انظر الجامع الصغير ٥٥٣٤.
(٤) أخرجه البخاري في الطب برقم ٥٣٦٠، ومسلم في السلام برقم ٢٢١٧.

شَرَابٌ مُخْتَلف أَلْوَانُهُ فيه شفاءٌ لِلنَّاسِ﴾[1]، أن تكون المعجوناتِ كلها إنما بالعسل، وكذلك الأنْبَجاتِ[2].

١٥٤٢ - [كيفية معرفة العسل الجيد]

وإذا ألقي في العسل اللحمُ الغريضُ[3] فاحتاجَ صاحبه إليه بعد شهر أخرَجه طريّاً لم يتغير.

وإذا قطرَت منه قَطْرَة على وجه الأرض، فإن استدار كما يستدير الزِّئبقُ، ولم يَتفَشَّ، ولم يختلط بالأرض والتراب فهو الصحيح. وأجودُه الذهبيّ[4].

١٥٤٣ - [لذة شراب العسل]

ويزعمُ أصحابُ الشراب أنهم لم يروا شراباً قطُّ ألذَّ ولا أحسنَ ولا أجمعَ لما يريدون، من شراب العسل الذي يُنْتَبَذُ بمصر. وليس في الأرضِ تجارُ شراب ولا غيرِ ذلك أيْسَرَ منهم.

وفيه أعجوبةٌ: وذلك أنهم لا يعملونه إلا بماء النّيل أكْدَرَ ما يكون. وكلما كان أكدرَ كان أصْفى. وإن عملوه بالصافي فسَد.

وقد يُلقَى العسلُ على الزّبيب، وعلى عصير الكرْم فيجوِّدهما.

١٥٤٤ - [التشبيه بالعسل]

وهو المثَلُ في الأمور المرتفعة، فيقولون: ماءٌ كأنه العسل. ويصفُون كلَّ شيءٍ حلْوٍ، فيقولون[5]: كأنه العسل. ويقال: هو معسول اللسان[6]. وقال الشاعر[7]: [من الطويل]

---

(١) ٦٩/ النحل: ١٦.

(٢) «الأنبج: حمل شجر بالهند يربَّب بالعسل على خلقة الخوخ محرف الرأس، يجلب إلى العراق في جوفه نواة كنواة الخوخ، فمن ذلك اشتقوا اسم الأنبجات التي تربب بالعسل من الأترج والإهليلج ونحوه، قال أبو حنيفة: شجر الأنبج كثير بأرض العرب، وهو لونان: أحدهما ثمرته في مثل هيئة اللوز لا يزال حلواً من أول نباته، وآخر في هيئة الإجاص يبدو حامضاً ثم يحلو إذا أينع». انظر اللسان (نبج).

(٣) الغريض: الطري. انظر عيون الأخبار ٣/٢٠٦.

(٤) انظر عيون الأخبار ٣/٢٠٥.

(٥) من الأمثال قولهم: «أحلى من العسل»، والمثل في مجمع الأمثال ١/٢٢٩، والمستقصى ١/٧٢.

(٦) من الأمثال قولهم: «كلام كالعسل وفعل كالأسل» والمثل في مجمع الأمثال ٢/١٣٣.

(٧) البيت بلا نسبة في البيان ١/١٩٥، واللسان والتاج (شحح).

لسانُكَ معسولٌ ونفسُك شَحَّةٌ ودون الثُّرَيَّا من صديقِك مالكا[1]

١٥٤٥ - [التنويه بالعسل في القرآن]

وقال اللّه عزَّ وجل في كتابه، وذكر أنهار الجنة، فقال: ﴿ مَثَلُ الجَنَّة الَّتي وُعد المُتَّقون فيها أَنْهارٌ منْ مَاء غيْر آسنٍ وَأَنْهارٌ منْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغيَّرْ طَعْمهُ وأَنهارٌ منْ خَمْرٍ لَذَّةٍ للشَّاربينَ. وأنْهَارٌ منْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾[2]. فاستفتح الكلام بذكر الماء، وختمه بذكر العسلِ. وذكر الماء واللبنَ فلم يذكرْهُما في نعتهما ووصفهما إلا بالسلامة من الأسَنِ والتغيُّرِ وذكَرَ الخمر والعسلَ فقال: ﴿منْ خَمْر لَذَّةٍ للشَّاربين﴾ و ﴿منْ عَسَل مُصفًّى﴾، فكان هذا ضرباً من التفضيل، وذكرها[3] في مواضع أُخَر[4] فنفى عنها عيوبَ خَمْر الدنيا. فقال عز وجل اسمه: ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزفُونَ﴾[5]. فكان هذا القول الأولُ أظهر دليل على التفضيل.

بــــاب

١٥٤٦ - [القول في القراد]

يقال: «أسمَعُ من قُراد»[6] و«ألزَقُ من قُرَاد»[7] و«ما هُو إلا قراد ثَفَر»[8]. وقال الشاعر[9]: [من الطويل]

---

(١) الشح: البخل.

(٢) ١٥/ محمد: ٤٧.

(٣) أي الخمر.

(٤) المواضع التي ذكرت فيها الخمر في القرآن هي الآية ٤٧ من الصافات، والآية ٢٣ من الطور، والآيتان ١٨-١٩ من الواقعة، والآيات ٥ - ١٧ من الإنسان.

(٥) ١٩/الواقعة: ٥٦.

(٦) يقال هذا المثل لأن القراد يسمع أصوات الإبل من مسيرة يوم، والمثل في مجمع الأمثال ١/٣٤٩، وجمهرة الأمثال ١/٥٣١، والمستقصى ١/١٧٣، وفصل المقال ٤٩٢، وأمثال ابن سلام ٣٦٠.

(٧) يقال هذا المثل لأن القراد يعرض لاست الجمل فيلزق بها كما يلزق النمل بالخصى، والمثل في مجمع الأمثال ٢/٢٤٩.

(٨) الثفر: مؤخر السرج، وهو يشد تحت ذنب الدابة.

(٩) البيت للحصين بن القعقاع في اللسان (سنت، قرد)، والتاج (سنت، ألس)، والمجمل ٣/٩٤، والتنبيه والإيضاح ١/١٦٥، ٢/٤٧، وللأعشى في الأساس (قرد)، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في اللسان (بختر، ألس)، والتاج (بختر)، والجمهرة ٦٣٦، ١٢١٤، والمقاييس ٣/١٠٤، والمخصص ٣/٨٤، ٨/١٢٢، وديوان الأدب ١/٣٣٢، والتهذيب ١٢/٣٨٥، ١٣/٧١.

هم السمنُ بالسنُّوتِ لا ألْسَ فيهم   وهم يمنعون جارهم أن يُقَرَّدا[١]

السنُّوت، عند أهل مكة: العسل. وعند آخرين: الكمُّون.

وقال الحطيئة[٢]: [من الوافر]

لَعَمْرُك ما قُرَادُ بني كُلَيْب   إذا نُزِعَ القُرَادُ بمستطاعِ

قال: وذلك أن الفحلَ يَمنَعُ أن يُخطَم[٣]. فإذا نزعوا من قُرَاداته شيئاً لذّ لذلك، وسكَنَ إليه، ولانَ لصاحبه، فعند ذلك يلقي الخطامَ في رأسه.

قال: وأخبرني فِراس بنُ خَنْدَق، وأبو برْزَةَ قال: كان جحدرٌ إذا نزلت رُفْقةٌ قريباً منه، أخذ شَنَّةً[٤] فجعل فيها قِردَاناً، ثم نثرها بقرب الإبل فإذا وجدَتِ الإبلُ مَسّها نهضتْ، وشدّ الشَّنَّةَ في ذنب بعضِ الإبل، فإذا سمعتْ صوتَ الشَّنّة، وعملتْ فيها القِردانُ نفرت. ثم كان يثبُ في ذِروة ما ندّ[٥] منها، ويقول: ارحم الغارَّة[٦] الضِّعاف! يعني القِرْدان.

قال أبو بَرْزة: ولم تكن هِمَّتُه تجاوزُ بعيراً.

١٥٤٧ - [القراد في الهجاء]

قال رُشَيد بن رُمَيض[٧]: [من الوافر]

لنا عِزٌّ ومأوَانا قريبٌ   ومَولى لايدِبُّ مع القُرَادِ

وهجاهم الأعشَى فقال[٨]: [من الطويل]

---

(١) الألس: الخيانة.

(٢) ديوان الحطيئة ١٣٨، واللسان (قرد، ذلل)، والتاج (ذلل)، والمعاني الكبير ٦٢٩، ١١١٢، ومجمع الأمثال ١/٢٧.

(٣) يخطم: يوضع على أنفه الخطام.

(٤) الشنة: القربة الخلق.

(٥) ندّ: شرد.

(٦) الغارة: الغافلة.

(٧) البيت بلا نسبة في اللسان والتاج (دبب)، والأمالي ٢/١٢٦، ومجمع الأمثال ٢/٣٩٦.

(٨) ديوان الأعشى ١٣٥، والأول في اللسان (طها)، والجمهرة ٩٢٩، والأساس ٣٦٣، وبلا نسبة في الجمهرة ١٠٧٩، والمقاييس ٣/٤٢٧، والمخصص ٧/٨٤، والتهذيب ٦/٣٧٦.

فلسنا لباغي المهمَلات بقِرْفَةٍ إذا ما طَمَا بالليلِ مُنْتشرَاتها[١]
أبا مِسْمَعٍ أقْصِرْ، فإن قصيدةً متى تأتِكمْ تُلْحَقْ بها أخَوَاتها[٢]

وهجاهم حُضَين بن المنذرِ فقال: [من الوافر]

تنازعني ضبيعة أمْرَ قَوْمي وما كانتْ ضُبيعةُ للأمورِ
وهل كانت ضُبيعةُ غير عبد ضَمَمناه إلى نسَبٍ شطيرِ[٣]
وأوصاني أبي، فحفظتُ عنهُ بفكٍّ الغُلِّ عن عُنُقِ الأسير
وأوصَى جَحْدَرٌ فَوَقَى بَنيهِ بإرسال القُرادِ على البَعيرِ

قال: وفي القردان يقول الآخر - قال: وبعضهم يجعلها في البراغيث؛ وهذا باطلٌ[٤]: [من الطويل]

ألا يا عبادَ اللّهِ مَنْ لِقَبيلةٍ إذا ظَهَرَتْ في الأرض شَدَّ مُغيرُها
فلا الدِّينُ ينهاها ولا هي تنتهي ولا ذُو سلاحٍ من مَعَدٍّ يَضيرُها

فمن أصناف القِرْدان: الحَمْنان، والحَلم، والقِرشام، والعَلُّ، والطِّلْح.

١٥٤٨ - [شعر ومثل في القرد]

وقال الطِّرمَّاح[٥]: [من الخفيف]

لمَّا وَرَدَت الطّويّ والحوضُ كالـ ـصِّيرة دَفْن الإزاء ملتَبِدُه[٦]
سافتْ قليلاً عَلَى نصائبه ثم استمرَّتْ في طامسٍ تخِدُه[٧]

(١) المهملات: الإبل المرسلة بغير رعاء. القرفة: التهمة. طما: ارتفع.
(٢) أبو سمع: جد المسامعة، وهو شيبان بن شهاب من بني قيس.
(٣) الشطير: البعيد والغريب.
(٤) تقدم البيتان في ص ٢٠٧.
(٥) ديوان الطرماح ٢٠٩ - ٢١٠ (١٤٥-١٤٦).
(٦) في ديوانه: «الطوي: البئر المطوية بالحجارة، وطيها: بناؤها. الصيرة: حظيرة من حجارة تتخذ للغنم والبقر. ودفن الإزاء: أي مندفن الإزاء، وهو مصب الماء في الحوض، والملتبد: المتلبد، أي تلبد فيه التراب بعضه على بعض».
(٧) في ديوانه: «سافت: شمّت. ونصائبه: ما نصب حول الحوض من الحجارة، وجعل كالحائط له. واستمرت: أي مرت في سيرها لم تشرب. والطامس: الطريق الذي انطمست آثاره. وتخده: أي تخذ فيه، من الوخد، وهو ضرب من السير سريع».

وقد لوَى أنْفَهُ بمشْفَرِها طِلحُ قراشيمَ شاحبٌ جَسَدُه[1]
عَلٌّ طويلُ الطَّوَى كبالِيةِ السُّفْـ ـعِ متى يلْقَ العُلوَّ يَصطعِدِه[2]

وفي لُزوق القُرادِ يقولُ الراعي[3]: [من الكامل]

نبتَتْ مرافقهُنَّ فَوْقَ مَزِلَّةٍ لا يستطيعُ بها القُرَاد مَقيلا

والعربُ تقولُ: «أَلْزَقُ من البرَام!»[4]، كما تقول: «أَلْزَقُ من القُراد!»[5]. وهما واحدٌ.

١٥٤٩ - [شعر لأمية في الأرض والسماء]

وذكر أميةُ بنُ أبي الصَّلْتِ، خلق السماء، وإنه ذكرَ من مَلاَسَتِها أن القُراد لا يَعْلَقُ بها، فقال[6]: [من الكامل]

والأرضُ مَعْقِلُنا وكانتْ أمَّنا فيها مَعاقلنا وفيها نولَدُ
فيها تلاميذَ عَلَى قُذُفاتها حُبسوا قياماً فالفرائصُ تُرْعَدُ[7]
فبني الإلهُ عليهمُ مخصوفة خَلْقَاءَ لا تَبْلَى ولا تتأوَّدُ[8]

---

(١) في ديوانه: «الطلح: القراد المهزول. والقراشيم: جمع قرشوم، وهو القراد العظيم، وقيل: هي شجرة تأوي إليها القردان».

(٢) في ديوانه: «العل: القراد الكبير المهزول. والطوى: الجوع. والسفع: السود، ويريد حب الحنظل هاهنا، وهو إذا بلي اسْودّ. يصطعد: أي يصعد في بدن البعير.

(٣) ديوان الراعي النميري ٢٤١، وشرح أبيات سيبويه ٢/٣٣٢، وشرح اختيارات المفضل ٢٥٠، ٩٨٣، والكتاب ٤/٨٩، واللسان حبس، زلل)، والتاج (زلل)، والمخصص ٩/٥٥، ١٦/١٢٢.

(٤) مجمع الأمثال ٢/٢٤٩، والدرة الفاخرة ٢/٣٦٩، ٣٧٠، وجمهرة الأمثال ٢/١٨٠، ٢١٧، والمستقصى ١/٣٢٣.

(٥) مجمع الأمثال ٢/٢٤٩.

(٦) ديوان أمية بن أبي الصلت ٣٥٦ - ٣٥٧، والأول في المخصص ١٣/١٨٠، وبلا نسبة في المذكر والمؤنث ١٨٧، والثاني في كتاب العين ٧/١١٢، وبلا نسبة في المخصص ٦/١٥١، والثالث في المعاني الكبير ٦٣٣.

(٧) في ديوانه: «التلاميذ: الخدم والأتباع، ولعله أراد بهم النساك لأنهم يأوون إلى الجبال. والقذفات: كل ما أشرف من رؤوس الجبال. الفرائص: مفردها فريصة، وهي اللحمة بين الجنب والكتف ترعد عند الفزع. وترعد: ترتجف».

(٨) في ديوانه: «المخصوفة: المؤلفة من عدة أطباق، وأراد: «سماء مخصوفة» فحذف الموصوف. والخلقاء: الملساء. وتتأود: تتثنى وتتجعد».

فَلَوَ أنَّه تَحْدُو البُرَامَ بمَتْنِها   زلّ البُرام عن التي لا تَقْرَدُ[1]

١٥٥٠ - [استطراد لغوي]

قال: القُرَادُ أولُ ما يكون - وهو الذي لا يكاد يُرَى من صِغَر - قَمْقَامَة، ثم يصير حَمْنَانة، ثم يصير قراداً، ثم يصير حَلَمة.

قال: ويقال للقُراد: العَلّ، والطِّلْح، والقَتِين، والبُرام، والقِرْشام.

قال: والقُمّل واحدتها قمَّلة، وهي من جنس القِردان، وهي أصغر منها.

١٥٥١ - [تخلق القراد والقمل]

قال: والقِرْدانُ يتخلَّق من عرَق البعير، ومن الوسخ والتلطُّخ بالثُّلُوط[2] والأبوال، كما يتخلَّق من جلد الكلب، وكما يتخلق القملُ من عرق الإنسان ووسَخه، إذا انطبق عليه ثوبٌ أو شعرٌ أو رِيش.

والحَلَم يعرض لأُذنَي الكلب أكثرَ ذلك.

١٥٥٢ - [أمثال وأشعار وأخبار في القراد]

قال: ويقال «أَقطَفُ مِنْ حَلَمَة»[3]، و«أَلزَقُ من بُرَام»[4]، و«أذلُّ من قُرَاد»[5]. وقال الشاعر[6]: [من الطويل]

يكاد خَليلي من تقارُبِ شَخصِه   يَعَضُّ القرادُ باسْتِه وهو قائمُ

وقال أبو حَنَش لقيس بن زهير: «واللّه لأنْتَ بها أذلُّ من قُراد!»[5]، فقدَّمَه وضَرَبَ عُنقَه.

---

(١) في ديوانه: «تحدو: تسوق. شبه البرام بالإبل، والبرام: القراد، وهو للبعير كالقمل للإنسان. ومتن الشيء: ما ظهر منه، والمعنى أنها ملساء الأديم، فلو مشى عليها القراد لزلَّ وسقط».

(٢) الثلوط: جمع ثلط، وهو الرقيق من الرجع والسلح.

(٣) القطف: تقارب الخطو وبطؤه، والمثل في مجمع الأمثال ٢/١٢٩، وجمهرة الأمثال ٢/١١٥، والمستقصى ١/٢٨٥، والدرة الفاخرة ٢/٣٥١.

(٤) مجمع الأمثال ٢/٢٤٩.

(٥) المستقصى ١/٣٤، ومجمع الأمثال ١/٢٨٣، وجمهرة الأمثال ١/٤٦٨، ٤٥٨، الدرة الفاخرة ١/٢٠٣.

(٦) البيت في الأغاني ٩/١١، و١٥/٣٣٣، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٦٢٢، ومحاضرات الأدباء ٢/١٢٩ (٣/٢٨٥).

وقال الراجز[1]: [من الرجز]

قِرْدانُه في العَطنِ الحَوْليّ بيضٌ كحَبِّ الحنْظلِ المقليّ[2]

من الخَلاءَ ومن الخُوِيّ[3]

ويقال لحلمة الثَّدْي: القراد. وقال عديُّ بن الرِّقاعِ[4]: [من الطويل]

كأنَّ قرَادَيْ صدرِه طَبعتْهُمَا بطينٍ من الجَوْلان كتّابُ أعْجَمِ

والقُرَادُ يعرضُ لاسْتِ الجَملِ، والنمل يعرضُ للخُصَى. وقال الشاعر[5]: [من المتقارب]

وأنتَ مكانُك من وائل مكان القُرَاد مِنْ اسْتِ الجَملْ

وقال الممزِّق[6]: [من الطويل]

تُناخُ طليحاً ما تُرَاعُ من الشَّذا ولو ظلَّ في أوصالها العَلُّ يرتَقي[7]

ويروَى: «فباتَتْ ثلاثاً لا تُرَاع». يصف شدةَ جزعها من القردان.

وقال بشار بنُ بُرد: [من الوافر]

أعادي الهمَّ منفرداً بشوق عَلَى كَبِدي كما لزق القُرَادُ

وكانوا إذا خافوا الجَدبَ والأزمة تقدموا في عمل العِلهِز. والعلْهِز: قِردَانٌ يُعالج

---

(١) الرجز بلا نسبة في اللسان والتاج (صيص).

(٢) العطن: مبرك الإبل. الحولي: الذي أتى عليه الحول.

(٢) الخوي: الخلاء.

(٤) البيت لعدي بن الرقاع في ديوانه ٩٨، والتنبيه والإيضاح ٢/٤٧، وله أو لملحة الجرمي في اللسان والتاج (قرد)، ولابن ميادة في ديوانه ٢٥٥، وأساس البلاغة (قرد)، والجمهرة ٥٦٦، ولهم جميعاً في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٧٤٩، ولملحة الجرمي في اللسان (بندك، عجم)، وبلا نسبة في المخصص ٢/٢٢، ١٤٨.

(٥) لم يرد البيت في ديوان الأخطل، وهو له في الخزانة ١/٤٦٠، والسمط ٨٥٤، والعقد الفريد ٣/٣٦٠، ولكعب بن جعيل في الخزانة ١/٤٦٠، ولعتبة بن الوعل في المؤتلف والمختلف ٨٤، وبلا نسبة في الاشتقاق ٣٣٦، والكتاب ١/٤١٧، وشرح أبيات سيبويه ١/٣٧٨، والمقتضب ٤/٣٥٠.

(٦) البيت للممزق العبدي في الأصمعيات ١٦٥، وبلا نسبة في الجمهرة ١٥٧.

(٧) الطليح: المعيية الحسرة. الشذا: ذباب أزرق عظيم يقع على الدواب. الأوصال: المفاصل والأعضاء. العل: القراد الضخم أو المهزول.

بدم الفصْد مع شيء من وَبر. فيدّخرون ذلك كما يدّخرُ مَن خاف الحصار الأكارعَ[1] والجاوَرْس[2].

والشُّعوبيّة تهجو العربَ بأكلِ العلْهز، والفثّ[3]، والدُّعاع[4]، والهبيد[5]، والمغافير[6]، وأشباهِ ذلك. وقال حسانُ بنُ ثابتٍ[7]: [من الخفيف]

لم يُعَلَّلْنَ بالمغافير والصَّمْـ غِ ولا شَرْيِ حنظلِ الخُطْبانِ

وقال الطِّرِمَّاح[8]: [من الخفيف]

لم تأكلِ الفثّ والدعاعَ ولم تنقف هَبيداً يَجْنيه مُهْتَبِدُهْ

وقال الأصمعيُّ: قال رجلٌ من أهل المدينة لرجل: أيسرُّك أن تعيشَ حتى تجيء حلَمةٌ [9]من إفريقية مشياً؟ قال: فأنت يسرُّك ذلك؟ قال: أخافُ أن يقول إنسانٌ: إنها بمخيض، فيُغْشَى عليَّ!

ومخيض على رأسِ بَريد من المدينة.

ويقولون: أمّ القرَاد، للواحدة الكبيرة منها. ويتسمَّوْنَ بقرَاد، ويكتنون بأبي قراد. وقد ذكر ذلك أبو النجم فقال[10]: [من الرجز]

للأرض من أمِّ القُرادِ الأطْحَلِ[11]

وفي العرب بنو قُراد.

---

(١) الأكارع: مفردها كراع، وهو مستدق الساق.

(٢) الجاورس: حب الدُّخن، وهو الذرة الدقيقة.

(٣) الفث: حب يشبه الجاورس، يطحن ويختبز منه.

(٤) الدعاع: خبز أسود يأكله الفقراء في الجدب.

(٥) الهبيد: حب الحنظل، كانوا ينقعونه لتذهب مرارته.

(٦) المغافير: صمغ العرفط والرمث، حلو يؤكل.

(٧) ديوان حسان بن ثابت ٤٧٥، والأزمنة والأمكنة ٢/٣٠٣.

(٨) ديوان الطرماح ٢٠٦ (١٤٣)، واللسان والتاج (فثث)، والتهذيب ١٥/٦٧، والأزمنة والأمكنة ٢/٣٠٣.

(٩) حلمة: جمع الحَلَم، وهي القرادة الصغيرة.

(١٠) ديوان أبي النجم ٢٠١، والمقاييس ١/٢٤، والطرائف الأدبية ٦٧.

(١١) الطحلة: لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد.

بـــاب
فـــي الحـــبارى

ونُقولُ في الحُبارى بِقول مُوجز، إن شاء اللّه تعالى .

قال ابنُ الأعرابي: قال أعرابيٌّ[1] «إنه ليقتلُ الحُبارَى هزلاً ظلمُ الناس بعضهم لبعض!». قال يقول: إذا كثرت الخطايا منَع اللّه عز وجل دَرَّ السَّحاب. وإنما تصيب الطيرُ من الحبِّ ومن الثمر عَلَى قدْر المَطر .

وقال الشاعر[2]: [من الخفيف]

يسقُط الطيرُ حيثُ ينْتَثِر الحَـ ... بُّ وتغشَى منازلُ الكُرَماءِ

وهذا مثل قوله[3]: [من الرجز]

أمَا رأيتَ الألسُنَ السِّلاطَا ... والأذرُعَ الواسعةَ السِّباطا[4]

إن الندَى حيثُ تَرَى الضِّغاطا[5]

١٥٥٣ - [شعر وأمثال في الحبارى]

وقالوا في المثل: «مات فلانٌ كَمَدَ الحُبارَى»[6] : وقال أبو الأسود الدؤلي[7]: [من الوافر]

وزَيْدٌ ميِّتٌ كَمَدَ الحُبارَى ... إذا ظعنت هُنيدةُ أو تُلمُّ

---

(١) الخبر في البيان ٣ / ١٦١ .

(٢) البيت لبشار في عيون الأخبار ١ /٩١، ٣ /٢٦، والأغاني ٣ / ١٩٤، وبلا نسبة في البيان ١ /١٧٨، ومجالس ثعلب ٤٨ .

(٣) الرجز للتميمي في البيان ١ /١٧٧، وبلا نسبة في الجمهرة ٩٠٢، والبيت الثالث لرؤبة في ديوانه ١٧٧، وعيون الأخبار ١ /٩١، والتاج (ضغط)، والبخلاء ٢٤١ وفي حاشيته أنه لرؤبة أو لأبي نخيلة في الكامل ١ /١١٨ .

(٤) السليط: الفصيح. السبط: الممتد السوي.

(٥) الندى: الكرم. الضغاط: الزحام.

(٦) مجمع الأمثال ٢ / ٢٧١ .

(٧) ديوان أبي الأسود الدؤلي ١٨٨، واللسان والتاج (حبر)، والتهذيب ٥ /٣٦، وثمار القلوب (٧٠٥)، وبلا نسبة في الجمهرة ١٦٨، وصدر البيت بلا نسبة في محاضرات الأدباء ٢ /١٠٥ (٤ /٦٦٢) .

ويروى: «ملمّ» وهو اسم امرأة.

وذلك أن الطير تتحسَّر[١] وتتحسّر معها الحُبارى. والحُبارى إذا نُتِفتْ أو تحسّرتْ أبطأ نبات ريشها، فإذا طار صُوَيحِباتها ماتت كمداً[٢].

وأما قوله: «أو تلمّ» يقول: أوْ تقارِب أن تَظْعَن[٣].

وقال عثمان بن عفان رضي اللّه عنه: «كلُّ شيء يحبُّ ولدَهُ حتى الحُبارى!»[٤]. يضرب بها المثل في المُوق[٥].

١٥٥٤ - [سِلاحُ الحبارى في سُلاحها]

قال[٦]: وللحبارَى خِزانة بين دُبُره وأمعائه، له فيها أبداً سَلْحٌ رقيق لزج، فمتى ألحّ عليها الصقرُ - وقد علمت أن سُلاحها[٧] منْ أجود سِلاحها، وأنها إذا ذرقتْهُ بقي كالمكتوف، أو المدبَّقُ[٨] المقيَّد فعند ذلك تجتمع الحَبارياتُ على الصقر فينتفن ريشَه كلَّه طاقةً طاقةً[٩] وفي ذلك هلاكُ الصقر.

١٥٥٥ - [سِلاح بعض الحيوان]

قال: وإنما الحُبارى في سُلاحِها كالظَّرابيِّ في فُسائها، وكالثعلب في سُلاحه[٧]، وكالعقرب في إبرتها، والزنبور في شعرته، والثور في قرنه، والدِّيك في صِيصِيَته[١٠]، والأفعى في نابها، والعُقاب في كفِّها، والتمساح في ذنبه.

وكلُّ شيء معه سلاحٌ فهو أعلم بمكانه. وإذا عدم السِّلاحَ كان أبصَرَ بوجوه

---

(١) تتحسر: تخرج من الريش العتيق إلى الحديث.

(٢) ورد هذا القول في ثمار القلوب (٧٠٥).

(٣) تظعن: ترحل.

(٤) ورد قول عثمان في النهاية ١/٣٢٨، وهو من الأمثال في مجمع الأمثال ٢/١٤٦، والمستقصى ٢/٢٢٧.

(٥) الموق: الحمق.

(٦) الخبر في نهاية الأرب ١٠/٢١٥، وانظر ربيع الأبرار ٥/٤٤٨، وما تقدم في ١/١٦٢.

(٧) السُّلاح: النجو.

(٨) المدبق: الذي الزق بالدبق، والدبق: حمل شجر في جوفه كالغراء يلزق بجناح الطائر فيصاد به.

(٩) الطاقة: شعبة من ريحان، أو قوة من الخيط.

(١٠) الصيصة: الشوكة التي في رجل الديك.

الهرب؛ كالأرنب في إيثارها للصَّعْداء، لقصر يديها، وكاستعمال الأرانب للتوبير[1] والوطء على الزَّمَعات[2]، واتخاذ اليرابيعِ. القاصعاءَ والنَّافقاء، والدَّامَّاء، والراهِطاء[3].

١٥٥٦ - [شعر في الحبارى]

وقال الشاعر[4]: [من الوافر]

وهم تركوك أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى ... رأَتْ صقراً وأَشْرَدَ من نَعَامِ

يريد: نعامة. وقال قيسُ بن زهير: [من الطويل]

متى تتحزَّمْ بالمناطق ظالماً ... لتجري إلى شَأوٍ بعيد وتسبحِ
تكُنْ كالحُبارَى إن أصيبتْ فمثْلُها ... أُصيبَ وإن تفلَتْ من الصَّقْر تسْلحِ

وقال ابن أبي فَنَنٍ، يصفُ ناساً من الكُتَّابِ، في قصيدة له ذكرَ فيها خيانَتَهم، فقال[5]: [من الوافر]

رَأَوْا مالَ الإمامِ لهمْ حَلالاً ... وقالوا الدِّينُ دين بنَي صَهارى
ولو كانوا يحاسبُهمْ أمينٌ ... لقد سَلَحُوا كما سَلَح الحُبارَى

١٥٥٧ - [الخرَبُ والنهَارُ]

والخرَب: ذكَر الحُبارى. والنهارُ: فرْخ الحُبارى. وفرخها حارض[6] ساقطٌ لا خير فيه. وقال متمِّمُ بن نويرة[7]: [من الطويل]

وضَيف إذا أرغى طُروقاً بَعيرَه ... وعانٍ ثوى في القِدِّ حتى تكنَّعا[8]

---

(١) التوبير: الوطء على مآخير كفها، وانظر ما تقدم في الفقرة ١٤١٦ ص ١٥٠.

(٢) الزمعة: الشعرة المدلاة في مؤخر رجل الأرنب.

(٣) انظر ما تقدم ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٤) البيت لأوس بن غلفاء في الأصمعيات ٢٣٣، والمفضليات ٣٨٨، واللسان (لفف، لقم)، والكامل ١/٢٨٦ (المعارف)، ولدجاجة بن عتر في الجمهرة ٨٨٦، وبلا نسبة في التاج (حبر).

(٥) ديوان أحمد بن أبي فنن ١٦٣ «ضمن: شعراء عباسيون».

(٦) الحارض: الضعيف البنية.

(٧) ديوان متمم بن نويرة ١٠٩-١١٠، وشرح اختيارات المفضل ١١٧٣-١١٧٤، والأول في اللسان والتاج (كنع)، والتهذيب ١/٣١٩، والكامل ١٠٥٨ (الدالي)، والثاني في اللسان والتاج (حثل)، والمقاييس ٢/١٣٧، وبلا نسبة في المخصص ١/٢٩.

(٨) طروقاً: ليلاً. العاني: الأسير. ثوى: أقام. القدم: السير من الجلد، وأراد به القيد. تكنع: تقبض.

وأرملةٍ تمشي بأشعثَ مُحثَلٍ كفَرْخِ الحُبارَى رأسُه قد تصَوَّعا[١]

وقال أعرابيّ[٢]: [من الرجز]

أحبُّ أنْ أصطادَ ضبّاً سَحْبَلا وخَرَباً يرعى ربيعاً، أرملا[٣]

فجعل الخَرَب أرمَل، لأن ريشه يكون أكثر. وقد ذكرنا ما في هذا الباب فيما قد سلف من كتابنا[٤].

١٥٥٨ - [خبر فيه ذكر الحبارى]

وقال أبو الحسن المدائنيّ: قال سعيد النّواءُ: قدمْت المدينةَ فلقيتُ عليَّ بن الحسين، فقلت: يا ابنَ رسولِ اللّه، متى يُبْعثُ أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب؟ قال: إذا بُعِثَ الناس.

قال: ثم تذاكرنا أيامَ الجمل فقال: ليته كان ممنوعاً قبل ذلك بعشرين سنة - أو كلمة غير هذه - قال: فأتيت حسن بن حسَنٍ. فذكرتُ له ما قال، فقال: لَوَدِدْتُ واللّه أنه كان يقاتلهم إلى اليوم!

قال: فخرجت من فَوري ذلك إلى عليٍّ بن الحسين، فأخبرته بما قال، فقال: إنه لقليلُ الإبقاء على أبيه.

قال: وبلغ الخبرُ المختارَ فقال: أيُضَرِّبُ[٥] بين ابنَي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؟ لأقتلنَّه! فتواريت ما شاء اللّه، ثم لم أشعر إلا وأنا بين يديه، فقال: الحمد للّه الذي أمكنَني منك! قال فقلت: أنت استمكنْتَ منِّي؟ أمَا واللّه لولارؤيا رأيتها لَمَا قَدرْتَ عليّ! قال: وما رأيت؟ فقلت: رأيتُ عثمان بن عفان. فقالت: أنت عثمانُ بنُ عفان؟ فقال: أنا حُبَارى، تركتُ أصحابي حَيَارى، لا يهود ولا نصارى!

فقال: يا أهل الكوفة انظروا إلى ما أرى اللّه عدوّكم! ثم خلَّى سبيلي. [وقد رُوي هذا الكلامُ عن شُتَيْر بن شَكَل، أنه رأَى معاوية في النوم فقال الكلامَ الذي رُوي عن عثمان.

---

(١) الأشعث: المتلبد الشعر، وأراد ولدها. المحثل: الذي أسيء غذاؤه. تصوع: تقبض وتشقق.

(٢) الرجز بلا نسبة في اللسان والتاج (رمل، سحبل)، والتهذيب ١٥ / ٢٠٥.

(٣) السحبل: الضخم. أرمل: من الرُّملة، وأصلها الخط الأسود في الثور، وعنى به هنا طرائق الريش.

(٤) لعل الموضع الذي يشير إليه الجاحظ قد سقط من الكتاب، إذ لم أهتد إليه.

(٥) يضرب: يحرض.

ووجْهُ كلامِ عليٍّ بن الحسين الذي رواه عنه سعيدٌ النواءُ، إن كان صادقاً فإنه للذي كان يسمعُ من الغالية(١)، من الإفراط والْغلوّ والفُحْش.

فكأنه إنما أرادَ كسرهم، وأن يحُطَّهم عن الغلوّ إلى القصْد(٢)؛ فإن دين اللّه عزّ وجلّ بَيْنَ التقصير والغلوّ، وإلا فعليٌّ بن الحسين أَفْقَهُ في الدين، وأعلمُ بمواضع الإمامة، من أن يخفَى عليه فضلُ(٣) ما بين عليٍّ وبين طلحة والزُّبير.

١٥٥٩ - [شعر ومعرفة في الحبارى]

وقال الكميت(٤): [من الطويل]

وعيدَ الحبارَى من بعيد تنفَّشَتْ ... لأزْرَقَ مَغْلولِ الأظافير بالخَضْبِ(٥)

والحبارى طائرٌ حسن. وقد يُتَّخَذُ في الدور.

وناسٌ كثيرٌ من العرب وقريش يستطيبون مَحْسِيَّ الحُبارَى جدّاً.

قال: والحُبارى من أَشد الطير طيراناً، وأَبعَدها مَسْقَطاً وأَطولها شوْطاً، وأقلّها عُرْجةً(٦). وذلك أَنها تُصْطاد بظهر البَصرة عندنا، فيشقَّق عن حواصلها. فيوجد فيه الحبّة الخضراءُ غَضّةً، لم تتغير ولم تفسُد.

وأَشجار البُطم(٧) وهي الحبّة الخضراء بعيدةُ المنابت مِنّا وهي عُلوية أو ثغْريّة(٨)، أو جَبَليَّة. فقال الشاعر(٩): [من المنسرح]

ترتعي الضَّرْوَ من بَراقش أَو هيلا ... نَ أو يانعاً من العُتُمِ

---

(١) الغالية: الذين يغالون ويبالغون في شان علي بن أبي طالب.

(٢) القصد: الاعتدال.

(٣) الفضل: الزيادة.

(٤) ديوان الكميت ١/١٢٧، والمقاييس ٢/١٢٨.

(٥) الأزرق: البازي أو العقاب. المغلول: غل شعره بالطيب أدخله فيه. الخضب: عنى به دماء ما يقتنص من الحيوان.

(٦) العرجة: أن تعرج على المنزل وتحتبس.

(٧) البطم: شجر في حجم الفستق والبلوط، سبط الأوراق والحطب، يكثر بالجبال، وحبه مفرطح في عناقيد كالفلفل، وعليه قشر أخضر داخله آخر خشبي يحوي اللب كالفستق.

(٨) علوية: نسبة إلى عالية نجد، والثغرية نسبة إلى أحد ثغور الشام.

(٩) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه ١٥١، واللسان والتاج (برقش، هيل، عتم، ضرا)، والمجمل ٤/٤٦١، والمقاييس ٤/٢٢٥، وكتاب الجيم ٢/٢٩٨، ومعجم البلدان (براقش، هيلان)، والأمالي ١/١٧٣، والسمط ٤٣١.

شجر الزيتون. والضّرو شجر البُطُم، وهي الحبَّة الخضراء بالجبال شجرتها.

وقال الكَودَن العِجْليّ، ويروى العُكْلي: «البطم لا يعرفه أهل الجَلْس»، وبلاد نجد هي الجلس، وهو ما ارتفع. والغور هو ما انخفض.

وبَراقِشُ: واد باليمن، كان لقوم عاد. وبراقشُ: كلبةٌ كانت تتشاءم بها العرب[1]. وقال حمزة بن بيض[2]: [من الخفيف]

بل جناها أَخٌ عَلَيَّ كريـمٌ وعَلَى أَهلِها بَرَاقِشُ تجْنِي

القول في الضأن والمعز

قال صاحب الضَّأن: قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿ثَمانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْن اثْنَين وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾[3]، فقدَّم ذِكرَ الضأن.

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[4]. وقد أَجمعوا على أَنه كبشٌ. ولا شيءَ أَعظمُ مما عظّم اللّه عزّ وجلّ، ومِنْ شيء فُدِيَ به نبيٌّ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[5] ولم يقل إِنَّ هذا أَخي له تسعٌ وتسعونَ عَنْزاً ولِي عنزٌ واحدة؛ لأن الناس يقولون: كيف النعجة؟ يريدون الزوجة.

وتسمي المها مِنْ بقَر الوحش نعاجاً ولم تسمّ بعُنُوز. وجَعلهُ[6] اللّه عزّ وجلّ السّنّةَ في الأضاحي. والكبشُ للعقيقة[7] وهدية العُرْس وجعل الجذَع[8] من

---

(١) إشارة إلى المثل «على أهلها تجني براقش»، والمثل في مجمع الأمثال ٢/١٤، وهو برواية «دلت» في جمهرة الأمثال ٢/٥٢، والمستقصى ٢/١٦٥، وفصل المقال ٤٥٩، وأمثال ابن سلام ٣٣٣.

(٢) البيت لحمزة بن البيض في مجمع الأمثال ٢/١٤، والمستقصى ٢/١٦٥، والرسالة الموضحة ٧٧، والبيان ١/٢٦٩، وثمار القلوب (٥٨٥)، ورسائل الجاحظ ١/٢٩٧، واللسان والتاج (برقش)، والتنبيه والإيضاح ٢/٣١٢.

(٣) ١٤٣/ الأنعام: ٦.

(٤) ١٠٧/ الصافات: ٣٧.

(٥) ٣٣/ ص: ٣٨.

(٦) أي الضأن.

(٧) العقيقة: ما يذبح يوم حلق الشعر الذي يولد به الطفل.

(٨) الجذَع: أصلها الصغير السن، والجذَع يختلف في أسنان الإبل والخيل والبقر والشاء، وقال ابن الأعرابي: في الجذع من الضأن: إن كان ابن شابين أجذع لستة أشهر إلى سبعة أشهر، وإن كان =

الضـأن كالثّنـيّ(١) مـن المعْـز فـي الأُضْحِيَـة.

وهذا ما فضَّل اللّه به الضأن في الكتاب والسُّنّة.

١٥٦٠ - [فضل الضأن على المعز]

تولَّد الضأنُ مرة في السَّنَة، وتُفرِد ولا تُتئِم. والماعزة قد تولَّد مرتين، وقد تضعُ الثلاثَ وأكثرَ وأقلَّ.

والبركة والنَّماء والعددُ في الضأن، والخنزيرةُ كثيرةُ الخنانيص. يقال إنها تلد عشرينَ خِنَّوصاً. ولا نماء فيها(٢).

قال: وفضل الضأن على المعز أن الصوف أغلى وأثمنُ وأكثرُ قدراً من الشعر. والمثلُ السائر: «إنما فلانٌ كبشٌ من الكِباش». وإذا هجَوه قالوا: «إنما هو تيسٌ من التيوس» إذا أرادوا النتن أيضاً. فإذا أرادوا الغاية في الغباوةِ قالوا(٣): «ما هو إلا تيسٌ في سفينة!».

والحُمْلاَنُ يلعبُ بها الصبيان، والجداءُ لا يُلعبُ بها. ولبنُ الضأن أطيبُ وأخثَرُ(٤) وأدسم، وزُبْده أكثر. ورؤوس الضأن المشوِيّةُ هي الطيبة المفضلة، ورؤوس المعْز ليس عندها طائل.

ويقال رؤوس الحُملان، ولا يقال رؤوس العِرْضان(٥).

ويقال لِلُّوطِيِّ الذي يلعب بالحُدَّر(٦) من أولاد الناس: «هو يأكل رؤوس

= ابن هرمين أجذع لثمانية أشهر إلى عشرة أشهر، وقيل الجذع من الضأن لثمانية أشهر أو تسعة «اللسان: جذع».

(١) الثني من المعز: ما كان في السنة الثالثة «اللسا: جذع».

(٢) وردت الفقرة في ربيع الأبرار ٥ / ٤١٠، والعقد الفريد ٤ / ٢٥٧، وعيون الأخبار ٢ / ٧٤.

(٣) هذا المثل استخدمه أبو الشمقمق في هجائه بشار بن برد وهو قوله:

«هللينـهْ هللينـهْ طعـنَ قثّـاةٍ سـفينهْ»
«إنّ بشـار بـن بـردٍ تيسٌ أعمى في سفينهْ»

انظر البيتين في الأغاني ٣ / ١٩٥، ٢٤٧، ونكت الهميان ١٢٦.

(٤) الخثورة: نقيض الرقة.

(٥) العرضان: جمع العريض، وهو الجدي الذي أتى عليه نحو سنة.

(٦) الحدّر: جمع حادر، وهو الغلام الجميل والسمين.

الحُملان»؛ لمكان ألية الحَمل، ولأنه أخْدل[1] وأرطب. ولم يقولوا في الكناية والتعريض: هو يأكل رؤوس العِرضان.

والشِّواءُ المنعوتُ شِواءُ الضأن، وشحمُه يصير كلُّه إهالةً[2] أوَّله وآخرُهُ. والمعْز يبقى شحمُه على حاله، وكذلك لحمه. ولذلك صار الخبَّازون الحُذَّاقُ قد تركوا الضأن؛ لأن المعْز يبقى شحمه ولحمه، فيصلح لأن يسخَّن مراتٍ، فيكون أربحَ لأصحاب العُرس.

والكباشُ للهدايا وللنطاح[3]. فتلك فضيلةٌ في النجدة وفي الثقافة، ومن الملوك من يُراهِنُ عليها، ويضع السَّبَق عليها، كما يراهن على الخيل.

والكبشُ الكراز[4] يحمل الراعيَ وأداةَ الراعي. وهو له كالحمار في الوقير[5]. ويعيش الكرَّازُ عشرين سنة.

وإذا شَبِقَ الراعي وَاغتَلم اختارَ النعجة على العنز. وإذا نعتوا شكلاً من أشكال مشي البراذِين[6] الفُرَّه[7] قالوا: هو يمشي مشْيَ النِّعاج.

وقال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ أَصوافِها وَأَوْبَارِها وَأَشْعَارِهَا﴾[8] فقدّم الصُّوف.

والبُخْت[9] هي ضأن الإبل، منها الجمّازات[10]. والجواميس هي ضأن البقر. يقال للجاموس الفارسية: «كاوْماش».

ولا يُذْكرُ الماعزُ بفضيلةٍ إلا ارتفاعَ ثمن جلده، وغَزارةَ لبَنه. فإذا صرْتَ إلى عدَدِ كثرة النِّعاج وجلودِ النعاجِ والضأن كلِّها أرْبَى ذلك على ما يفضُلُ به الماعزُ الضأن في ثمنِ الجلد، والغَزر في اللبن.

---

(١) أخدل: ممتلئ.

(٢) الإهالة: ما أذيب من الألية والشحم.

(٣) إشارة إلى التقامر بنطاحها.

(٤) الكرز: الخرج الكبير يضع فيه الراعي زاده، والكراز: الذي يضع عليه الراعي كرزه فيحمله.

(٥) الوقير: الغنم بكلبها وحمارها وراعيها.

(٦) البرذون: هو من الخيل ما كان من غير نتاج العراب.

(٧) الفرّه: جمع فاره، وهو النشيط القوي.

(٨) ٨٠/ النحل: ١٦.

(٩) البخت: الإبل الخراسانية التي تنتج من عربية وفالج، والفالج البعير ذو السنامين.

(١٠) الجمز: السرعة في العَدْو.

١٥٦١ - [قول ابنة الخس ودغفل في المعز]

وقيل لابنة الخُسّ: ما تقولين في مائة من الماعز؟ قالت: قِنًى! قيل: فمائة من الضأن؟ قالت: غِنًى. قيل: فمائة من الإبل؟ قالت: مُنًى![1]

وسئل دَغْفل بن حنظلة عن بني مخزوم، فقال: معِزَى مَطيرة، عليها قُشَعْرِيرة، إلا بني المغيرة؛ فإن فيهم تشادُقَ الكلام، ومصاهرة الكرام[2].

١٥٦٢ - [بعض الأمثال في ذمّ العنز]

وتقول العرب: «لهو أصْرَدُ من عَنزٍ جَرْباء!»[3] وتقول العرب: «العنز تُبْهِي ولا تُبْنِي»[4] لأن العنز تصعَد على ظهور الأَخْبِيةِ فتقطعها بأظلافها، والنعجةَ لا تفعل ذلك.

هذا. وبيوتُ الأعراب إنما تُعْمَلُ من الصوف والوبَر، فليس للماعز فيها معونة، وهي تخرِّقها. وقال الأول[5]: [من مجزوء البسيط]

لو نزلَ الغيثُ لأَبْنَيْنَ امرأً كانت له قبَّةٌ، سَحْقَ بجادْ[6]

أبناه: إذا جعل له بناء. وأبنية العرب: خيامهم؛ ولذلك يقولون: بنى فلانٌ على امرأته البارحة.

١٥٦٣ - [ضرر لحم الماعز]

وقال لي شمؤون الطبيب: يا أبا عثمان، إياك ولحم الماعز؛ فإنه يورثُ الهمَّ، ويحرِّك السّوداء، ويورثُ النِّسيان، ويُفسدُ الدمَ وهو واللّه يخبِّل الأولاد![7].

---

(١) الخبر في ربيع الأبرار ٥/٤٠٨، وعيون الأخبار ٢/٧٣، والمزهر ٢/٥٤٥، والعقد الفريد ٤/٢٥٧.

(٢) الخبر في البيان ١/١٢١.

(٣) مجمع الأمثال ١/٤١٣، وجمهرة الأمثال ١/٥٨٥، والمستقصى ١/٢٠٧، وأمثال ابن سلام ٣٦٧.

(٤) مجمع الأمثال ٢/٢٦٩، وجمهرة الأمثال ٢/٢٤٠، والمستقصى ١/٣٤٨، وفصل المقال ١٩٢، وأمثال ابن سلام ١٢٩، والمثل يضرب لمن يفسد ولا يصلح.

(٥) البيت لأبي مارد الشيباني في التاج (بني)، وبلا نسبة في اللسان (خضض، بني)، والمخصص ٥/١٢٢، والتهذيب ١٥/٤٩٣، والأساس (بني)، والخصائص ١/٣٦.

(٦) القبة: البيت من الأدم. السحق: الخلق. البجاد: كساء مخطط.

(٧) ورد هذا القول دون ذكر اسم الطبيب في عيون الأخبار ٢/٧٤.

وقال الكلابيُّ: «العُنُوق بعد النُّوق»[١]، ولم يقل: الحمَل بعد الجمَل.

وقال عمرُو بن العاص للشيخ الجُهنيِّ المعترض عليه في شأن الحكَمين: وما أنتَ والكلامَ يا تيس جُهينة؟! ولم يقلْ يا كبشَ جُهينة؛ لأن الكبشَ مدحٌ والتَّيس ذمٌّ.

وأما قوله: «إن الظّلف لا يُرَى مع الخُفِّ» فالبقرُ والجواميس والضأن والمعْز في ذلك سواء.

قال: وأُتيَ عبدُ الملكِ بن مرْوان في دخوله الكوفة على موائد بالجِداء، فقال: فأين أنتم عن العماريس[٢]؟ فقيل له: عماريس الشّام أطيب!.

وفي المثل: «لهو أَذَلُّ من النقَد»[٣]. النقَد هو المعز. وقال الكذّابَ الحِرْمازيُّ[٤]: [من الرجز]

لو كنتمُ قولاً لكنتمُ فَندَا ... أو كنتمُ ماءً لكنتـمُ زَبَـدا
أو كنتمُ شاءً لكنتم نَقَـدا ... أو كنتم عوداً لكنتم عُقَدا

١٥٦٤ - [اشتقاق الأسماء من الكبش]

قال: والمرأة تسمى كَبْشَةَ، وكُبَيشة. والرجل يكنى أبا كَبْشة، وقال أبو قُردودة[٥]: [من المتقارب]

كبيشة إذ حاولتْ أن تَبِـ ... ـينَ يستبقُ الدَّمعُ مني استباقا
وقامَتْ تُريكَ غَداةَ الفِرَاقِ ... كشْحاً لطيفاً وفَخْذاً وسَاقَا[٦]

---

(١) نسب هذا المثل إلى العلاء الكلابي في البيان ١/٢٨٥، وفيه أنه ولي عملاً خسيساً بعد أن كان على عمل جسيم، وانظر المثل في مجمع الأمثال ٢/١٢. العنوق: جمع عَناق؛ وهي الأنثى من ولد المعزى إذا أتت عليها سنة، والنوق: جمع ناقة.

(٢) العماريس: جمع عمروس؛ وهو الخروف أو الجدي إذا بلغا العَدْو. وفي النهاية ٣/٢٩٩: «في حديث عبد الملك بن مروان: أين أنت من عمروس راضع».

(٣) مجمع الأمثال ١/٢٨٤، والمستقصى ١/١٣١، والدرة الفاخرة ٢/٤٤٦، وجمهرة الأمثال ١/٤٥٨، ٤٦٩، والأمثال لمجهول ٩.

(٤) الرجز بلا نسبة في مظان المثل، وهو للعين المنقري في الأزمنة والأمكنة ٢/٢٧٧، وتقدم في ٣/٢٣٣.

(٥) الأبيات لأبي قردودة في قصائد جاهلية نادرة ١٦٩، والبيت الثالث بلا نسبة في اللسان والتاج (خلق).

(٦) الكشح: الخصر اللطيف.

ومُنسَدِلاً كمثاني الحِبا ... لِ تُوسِعه زَنْبَقاً أو خِلاقا[1]

وأول هذه القصيدة:

كبيشةُ عِرْسي تريدُ الطَّلاقا ... وتسألُني بعْدَ وَهْنٍ فِراقا

١٥٦٥ - [قول القصاص في تفضيل الكبش على التيس]

وقال بعض القُصّاص[٢]: ومما فضل اللّه عزّ وجلّ به الكبْش أن جعله مستورَ العورة من قُبُل ومن دبُر، وممَّا أهان اللّه تعالى به التيس أن جعله مهتوكَ الستر، مكشوف القبُل والدُّبرِ.

١٥٦٦ - [التيس في الهجاء]

وقال حسّان بن ثابتٍ الأنصاريُّ[٣]: [من الطويل]

سألت قريشاً كلها فشرارُها ... بنو عامر شاهتْ وجوهُ الأعابد[٤]

إذا جلسوا وسْطَ النَّديِّ تجاوبوا ... تجاوُبَ عِتْدَان الربيعِ السَّوافِدِ[٥]

وقال آخر[٦]: [من الوافر]

أعثمانُ بنُ حَيّانَ بنِ أدم ... عَتودٌ في مَفارِقه يبولُ

ولو أني أشاءُ قد ارفأنَّتْ ... نَعامَتُه ويعلمُ ما أقولُ[٧]

وقال الشاعر: [من الكامل]

سُمِّيتَ زَيداً كي تزيد فلم تَزِدْ ... فعادَ لك المسْمِي فسَمَّاك بالقَحْرِ[٨]

وما القحْرُ إلا التّيسُ يعتك بَولُه ... عليه ويمذي في الّلبان وفي النَّحْرِ[٩]

---

(١) المنسدل: المسترسل، أي الشعر. المثاني: جمع مثناة، وهو الحبل. الزنبق: دهن الياسمين. الخلاق: ضرب من الطيب.

(٢) ورد القول في عيون الأخبار ٢/٧٦، وربيع الأبرار ٥/٤٠٩، والعقد الفريد ٤/٢٥٨.

(٣) ديوان حسان بن ثابت ٢٠٨.

(٤) الأعابد: جمع عبد.

(٥) الندي: النادي، وهو مجلس القوم. عتدان: جمع عتود، وهو الجدي إذا بلغ السفاد.

(٦) البيتان للمرار بن سعيد الفقعسي في ديوانه ٤٧١، وأشعار اللصوص ٣٦٩، والثاني في اللسان والتاج (نعم).

(٧) ارفأنت نعامته: سكن بعد غضبه.

(٨) القحر: البعير المسن.

(٩) يعتك عليه: يغلبه.

١٥٦٧ - [شدة نتن التُّيوس]

فالتَّيس كالكلب؛ لأنه يقزَحُ[١] ببوله، فيريدُ به حاقَّ[٢] خَيشومه. وبول التَّيس من أخْثَر البَولِ وأنتنه، وريحُ أبدانِ التُّيوس إليها ينتهي المثَل. ولو كان هذا العرَضُ في الكبش لكان أعذرَ له؛ لأن الخَموم واللخَن، والعفَن والنَّتْن، لو عرض لجلد ذي الصُّوفِ المتراكم، الصَّفيق الدقيق، والملتفِّ المستكثِف؛ لأن الرِّيح لا تتخلَّله، والنسيمَ لا يتخرّقه - لكان ذلك أشبه.

فقد علِمْنا الآن أن للتيسِ مع تخلخل شعره، وبروز جلده[٣] وجفوف عرَقه، وتقطع بخارِ بَدنه - فضلاً ليس لشيء سواه. والكلبُ يُوصَفُ بالنَّتْن إذا بلّه المطَر. والحيَّات توصفُ بالنّتن. ولعل ذلك أن يجدَه من وَضع أنفه على جلودها.

وبولُ التّيس يخالط خَيشومَه. وليس لشيء من الحيوان ما يشْبِهُ هذا، إلا ما ذكرْنا من الكلب، على أن صاحب الكلب قد أنكرَ هذا.

وجلود التُّيوس، وجلود آباط الزِّنْج، مُنتنَة العرَق، وسائر ذلك سليم. والتيس إبطٌ كله[٤]، ونتْنه في الشتاء كنتْنه في الصيف. وإنا لندخلُ السكّةَ وفي أقصاها تَيَّاس[٥]، فنجدُ نتْنها من أدناها، حتى لا يكاد أحدُنا يقطعُ تلك السكة إلا وهو مخمِّرُ الأنف. إلاما كان مما طبَعَ اللّه عزّ وجلّ عليه البَلَوِيّ وعلياً الأسواري؛ فإن بعضَهما صادقَ بعضاً على استطابة ريح التيوس. وكان ربما جلسا على باب التَّيَّاس؛ ليستنشقا تلك الرائحة، فإذا مرَّ بهما من يعرفهما وأنكر مكانهما، ادّعيا أنهما ينتظران بعض من يخرجُ إليهما من بعض تلك الدُّور.

١٥٦٨ - [المكّيّ وجاريته سَنْدَرَة]

فأما المكي فإنه تعشَّقَ جاريةً يقال لها سَنْدَرة، ثم تزوجها نَهاريَّةً[٦] وقد

---

(١) قزح ببوله: أرسله دفعاً.

(٢) الحاق: وسط الشيء.

(٣) بروز جلده: أي ظهوره لخفة الشعر الذي عليه.

(٤) أي أنه منتن البدن كله.

(٥) التياس: صاحب التيوس.

(٦) الزواج النهاري: يُفهم منه أن كلاً من الزوجين لا يلقى صاحبه إلا في النهار، وأورد الجاحظ في البخلاء ١٢٤: «قالت له امرأة: ويحك يا أبا القماقم إني قد تزوجت زوجاً نهارياً، والساعة وقته، وليست عليّ هيئة، فاشتر لي بهذا الرغيف آساً، وبهذا الفلس دُهناً، فإنك تؤجر. فعسى الله أنه يلقي محبتي في قلبه. فيرزقني على يدك شيئاً أعيش به، فقد واللّه ساءت حالي، وبلغ المجهود مني».

دعاني إلى منزلها غيرَ مرّة، وخَبَّرني أنها كانت ذاتَ صُنان، وأنه كان معجَباً بذلك منها، وأنها كانت تعالجه بالمرتك[1]، وأنه نهاها مراراً حتى غضب عليها في ذلك. قال: فلما عرفَتْ شهوتي كانت إذا سألَتْني حاجة ولم أقضها قالت: واللّه لأتَمرْتَكَنَّ، ثم واللّه لأتَمرتكَنَّ، ثمَّ واللّه لأتَمرْتكنَّ! فلا أجِدُ بُدّاً من أن أقضي حاجتها كائناً ما كان.

١٥٦٩ - [اشتهاء ريح الكرياس]

وحدّثني مُويس بن عمران، وكان هو والكذب لا يأخذان في طريق، ولم يكن عليه في الصدق مؤونة، لإيثاره له حتى كان يستوي عنده ما يضرُّ وما لا يضر - قال: كان عندنا رجل يشتهي ريح الكِرْياس[2] لا يشفيه دونه شيء، فكان قد أعدَّ مِجْوَباً[3] أو سكة حديد في صورة المِبرد، فيأتي الكرابيس التي تكون في الأزقة القليلة المارة، فيخرِق الكِرياس ولا يبالي، أكان من خزَف أو من خشب، ثم يضعُ منخرَيه عليه، حتى يقضِيَ وطرَه.

قال: فلقي الناسُ من سَيَلان كرابيسهم شرّاً حتى عثَروا عليه فما منعَهُم من حبسه إلا الرحمة له من تلك البليّة، مع الذي رأوا من حسن هيئته، فقال لهم: يا هؤلاء، لو مررتم بي إلى السلطانِ كان يبلغُ من عقابي أكثر مما أبلغ من نفسي؟ قالوا: لا واللّه! وتركوه.

١٥٧٠ - [نتن العنز]

قالوا: وهذا شأنُ التَّيس، وهو أبو العنز. «ولا تلد الحيَّة إلا حيّة»[4]، ولا بد لذلك النَّتْن عن ميراث في ظاهر أو باطن. وأَنْشدوا لابن أحمر[5]: [من البسيط]

إني وجدْت بني أعْيَا وجاملهم ... كالعنز تَعطفُ رَوقَيها فترتضعُ[6]

وهذا عيب لا يكون في النِّعاج.

---

(١) المرتك: هو المردارسنج، ويكون من سائر المعادن المطبوخة إلا الحديد. انظر معجم استينجاس ١٢١٢.

(٢) الكرياس: هو الكنيف الذي يكون مشرفاً على سطح بقناة إلى الأرض، وقد نهى رسول اللّه ﷺ أن تستقبل القبلة بغائط أو بول يعني الكنف. انظر اللسان «كرس».

(٣) الجَوْب: القطع.

(٤) المستقصى ٢/٣٩٠، ومجمع الأمثال ٢/٢٥٩.

(٥) ديوان عمرو بن أحمر ١٢٠، واللسان والتاج (رضع)، والمعاني الكبير ٦٨٩، وعيون الأخبار ٢/٧٥، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٢/٤١٠، والأساس (رضع).

(٦) أعيا: أبو بطن من أسد. الجامل: قطيع من الإبل معها رعيانها وأربابها. الروق: القرن.

والعَنز هي التي ترتضع من خلفها وهي مُحَفَّلة[1]، حتى تأتيَ على أقصى لبنِها، وهي التي تنزع الوتد وتقلِبُ المعْلَف، وتنثر ما فيه.

وإذا ارتعتِ الضائنة[2] والماعزة في قصيل[3]، نبتَ ما تأكله الضائنة[2]، ولا ينبت ما تأكله الماعزة، لأن الضائنة تقرِض بأسنانها وتقطع، والماعزة تقبض عليه فتثيره وتجذبه، وهي في ذلك تأكله. ويضرب بها المثلُ بالموق[4] في جلْبها حَتْفَها على نفسها. وقال الفرزدق[5]: [من الطويل]

فكانتْ كَعَنْزِ السُّوءِ قامتْ بظِلْفِها ... إلى مُدْيَةٍ تحتَ التُّرابِ تُثيرُها

١٥٧١ - [تيس بني حمان]

وقال الشاعر[6]: [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما تَدْري فَوَارِسُ مِنْقَرٍ ... أَفي الرأْسِ أَمْ في الإستِ تُلْقَى الشَّكائمُ[7]

وألْهى بَني حِمَّانَ عَسْبُ عَتودِهم ... عن المجْد حتى أحرزَتْهُ الأكارِمُ

وذلك أن بني حمَّان تزعم أن تيسهم قرَعَ شاةً بعد أن ذُبح وأنه ألقحها[8].

١٥٧٢ - [أعجوبة في الضأن]

قالوا: في الضأن أعجوبةٌ؛ وذلك أن النعجة ربما عظمت أَلْيَتُها حتى تسقطَ على الأرض، ويمنعها ذلك من المشي، فعند الكبش رفقٌ في السِّفاد، وحذْقٌ لم يُسْمَعْ بأعجبَ منه، وذلك أنه يدنو منها ويقف منها موقفاً يعرِفُه، ثم يصكّ[9] أحدَ جانبي الألية بصدره، بمقدارٍ من الصكّ يعرفه، فيفرج عن حياها[10] المقدار الذي لا يعرفه غيرُه، ثم يسفَدُها في أسرَعَ من اللَّمح.

---

(١) المحفلة: التي ترك حلبها أياماً حتى يجتمع لبنها.
(٢) الضائنة: الشاة من الغنم.
(٣) القصيل: الذي تعلف به الدواب.
(٤) الموق: الحمق.
(٥) ديوان الفرزدق ٢٤٩، والبيان ٣/ ٢٥٩، وسيأتي البيت في ص٢٥٣.
(٦) البيتان للفرزدق في ربيع الأبرار ٥/ ٤٠٩، وتقدم البيت الثاني بلا نسبة في الصفحة ١٢١.
(٧) منقر: هو ابن عبيد بن الحارث بن عمرو التميمي. الشكيمة: الحديدة المعترضة في فم الفرس.
(٨) ثمار القلوب (٥٦٤)، وفيه أن تيس بني حمان قفط سبعين عنزاً بعدما قطعت أوداجه.
(٩) يصك: يضرب.
(١٠) الحيا: الفرج من ذوات الخف.

١٥٧٣ - [فضل الضأن على الماعز]

وقالوا: والضأنُ أحمَلُ للبرد والجَمد ولِلرِّيح والمطر.

قالوا: ومن مفاخر الضأن على المعز أن التمثيل الذي كان عند كسرى والتَّخيير[١]، إنما كان بين النعجة والنخلة، ولم يكن هناك للعنز ذِكر وعلى ذلك الناسُ إلى اليوم.

والموتُ إلى المعزَى أسْرَع، وأمراضها أكثر. وإنما معادن[٢] الغنَم الكثير الذي عليه يعتمدُ الناسُ - الجبالُ، والمعز لا تعيش هناك. وأصوافُ الكِباش أمنَعُ للكباشِ من غلَظ جُلودِ المعز. ولولا أن أجوافَ الماعز أبردُ وكذلك كُلاها، لَمَا احتَشَتْ من الشَّحم كما تحتشي.

١٥٧٤ - [جمال ذكورة الحيوان وقبح التيوس][٣]

وذكورة كلِّ جنس أتمُّ حُسناً من إناثها. وربما لم يكنْ للإناث شيءٌ من الحُسن، وتكون الذكورةُ في غاية الحسن؛ كالطواويس والتَّدارج[٤]. وإناثها لا تدانيها في الحُسن، ولها من الحسن مقدارٌ، وربما كُنَّ دونَ الذُّكورة، ولهنّ من الحسن مقدار، كإناث الدَّراريج والقَبَج[٥] والدجاج والْحمام، والوراشين، وأشباه ذلك.

وإذا قال الناس: تيّاس، عُرِف معناه واستُقْذِرَتْ صناعته. وإذا قالوا: كَبَّاش، فإنما يعنُون بيعَ الكِبَاش واتخاذها للنِّطاح.

والتُّيوسُ قبيحة جداً. وزاد في قبحها حُسْن الصَّفايا[٦].

١٥٧٥ - [التشبيه بالكباش والتفاؤل بها]

وإذا وصفوا أعذاق[٧] النخلِ العِظام قالوا: كأنَّها كِباش.

---

(١) التخيير: التفضيل.

(٢) المعادن: المواطن. عدن بالمكان: أقام.

(٣) وردت هذه الفقرة في عيون الأخبار ٢ / ٧٥.

(٤) التدارج: جمع تدرج، وهو طائر كالدراج يغرد في البساتين بأصوات طيبة، حياة الحيوان ١ / ٢٣٠.

(٥) الدراج: طائر أسود باطن الجناحين؛ وظاهرهما أغبر على خلقة القطا، إلا أنه ألطف. حياة الحيوان ١/٤٧٧.

(٦) الصفايا: جمع صفية، وهي أنثى المعز.

(٧) عذق النخل: العرجون بما فيه من الشماريخ.

وقال الشاعر: [من الطويل]

كأنَّ كِباشَ السَّاجِسِيَّةِ عُلِّقت	دُوينَ الخوافي أو غرايرَ تاجِرِ[1]

وصوّر عُبيدُ اللّه بن زياد، في زقاق قصره، أسداً، وكلباً، وكبشاً[2] فقرَنَه مع سَبُعين عظيمَي الشأن: وحشيٍّ، وأهليّ؛ تفاؤلاً به.

١٥٧٦ - [ذم العنز في الشعر]

ومما ذمُّوا فيه العنز دونَ النعجةِ قولُ أبي الأسودِ الدُّؤَلي[3]: [من الطويل]

ولستُ بمعراضٍ إذا ما لقيته	يعبِّس كالغَضْبان حين يقولُ
ولا بِسبس كالعنز أطولُ رِسْلها	ورِئمانها يومان ثم يزولُ[4]

وقال أبو الأسود أيضاً[5]: [من المتقارب]

ومن خيرِ ما يتعاطى الرجالُ	نصيحةُ ذي الرَّأي للمجتبيها
فلا تك مثلَ التي استخرَجَتْ	بأظلافها مُدْيةً أو بفيها
فقام إليها بها ذابح	ومن تدْعُ يوماً شَعُوبُ يَجيها[6]
فظلَّتْ بأوصالها قِدْرُها	تحشُّ الوليدة أو تشتَويها[7]

وقال مسكين الدارميّ[8]: [من الطويل]

إذا صَبَّحَتْني مِن أُناسٍ ثَعالبٌ	لترفع ما قالوا مَنَحْتُهُم حَقْرَا[9]
فكانوا كعنزِ السَّوءِ تثغُو لحَيْنها	وتحفِرُ بالأظلافِ عن حتفها حَفْرَا[10]

وقال الفرزدق[11]: [من الطويل]

---

(١) الساجسية: الضأن الحمر. الخوافي: السعفات اللواتي يلين القلبة. الغراير: الجوالق.
(٢) الخبر في عيون الأخبار ١/١٤٧.
(٣) ديوان أبي الأسود الدؤلي ١٣٧.
(٤) الرِّسل: اللبن. الرئمان: العطف.
(٥) ديوان أبي الأسود الدؤلي ١٤٣.
(٦) الشعوب: المنية. يجيها: يجئها.
(٧) الأوصال: الأعضاء. تحش: أي تحش النار.
(٨) ديوان مسكين الدارمي ٣٨، والبيت الثاني منسوب إلى الأعور الشني في حماسة البحتري ٢٨٦.
(٩) الحقر: الاحتقار.
(١٠) الثغاء: صوت المعز والشاء. الحَيْن: الهلاك.
(١١) ديوان الفرزدق ٢٤٩، والبيان ٣/٢٥٩، وتقدم البيت الثاني في ص٢٥٠، وسيأتي الأول في ص٣١٣.

وكان يُجيرُ الناسِ من سيف مالكٍ فأصبح يبغي نفسه من يُجيرُها
وكان كعنز السُّوء قامت بظلفها إلى مُدْية تحت التراب تثيرها

١٥٧٧ - [أمنية أبي شعيب القلال]

وقال رمضانُ لأبي شُعيبٍ القَلاَّل - وأبو الهُذَيل حاضر - : أيَّ شيء تشتهي؟ وذلك نصف النهار، وفي يومٍ من صَيف البصرة. قال أبو شعيب: أشتهي أن أجيءَ إلى باب صاحب سَقَط[١]، وله على باب حانوته أليةٌ معلقة، من تلك المبزَّرة المشرّجة[٢]، وقد اصفرّت، ووَدكُها يقطر من حاقِّ السِّمَن[٣]، فآخُذَ بحضْنها ثم أفتح لها فمي، فلا أزال كَدْماً كدماً، ونهشاً نهشاً، وودكها يسيلُ على شِدْقي، حتى أبلغَ عَجْب الذّنب[٤]! قال أبو الهذيل: ويلك قتلتَني قتلتني!! يعني من الشهوة.

بـــاب
فـــي المـاعـــز

قال صاحب الماعز: في أسماء الماعز وصفاتها، ومنافعها وأعمالها، دليلٌ على فضلها. فمن ذلك أن الصفية[٥] أحسن من النعجة. وفي اسمها دليل على تفضيلها. ولبنها أكثر أضعافاً، وأولادُها أكثرُ أضعافاً، وزُبْدُها أكثرُ وأطيب.

وزعم[٦] أبو عبد الله العتبيّ أن التيس المشْراطيّ قرع في يومٍ واحد نيِّفاً وثمانين قَرْعَة. وكان قاطعَ الشهادة. وقد بِيع من نسل المِشْراطيّ وغيره الجديُ بثمانين درهماً. والشاةُ بنحوٍ من ذلك.

وتحلب خمسة مَكاكيك وأكثر. وربما بيع الجلد جلد الماعز فيشتَريه الباضوركي[٧] بثمانين درهماً وأكثر.

---

(١) السقط: ما لا خير فيه، وربما أراد به أحشاء الذبيحة.

(٢) المبزرة: التي وضع فيها البزر. المشرجة: المشققة.

(٣) حاق السمن: تمامه.

(٤) عجب الذنب: أصله.

(٥) الصفية: أنثى المعز.

(٦) تقدم هذا الزعم ص١٢١.

(٧) الباضوركي: لغة في البازركان، وهي كلمة فارسية تعني المشتط في السوم والبيع.

والشاة إذا كانت كذلك فلها غَلَّةٌ نافعة تقوم بأهل البيت.

والنعال البقريّة من السِّبت(١) وغير السِّبت مقسومٌ نفعُها بين الماء والبقر، لأن للشُّرُك(٢) من جلودها خطَراً. وكذلك القِبال والشِّسْع(٣).

ووصفَ حُميد بن ثَوْر جلداً من جلودها، فقال(٤): [من الطويل]

تتابَعَ أعوامٌ علينا أطَبْنها ... وأقبَلَ عامٌ أصْلحَ الناسَ واحدُ

وجاءتْ بذي أونَين مازالَ شاتُه ... تُعمَّر حتى قيل هل ماتَ خالدُ

وقال راشد بن سِهابُ(٥): [من الطويل]

ترى رائداتِ الخيل حول بيوتنا ... كمِعْزَى الحجاز أعْوَزَتْها الزَّرائبُ

١٥٧٨ - [لحم الماعز والضأن]

ومن منافعها الانتفاعُ بشحم الثرْب والكلية، وهما فوق شحم الألْية. وإذا مدحوا اللحمَ قالوا: لحم الماعز الخَصيِّ الثَّنيّ! وقال الشاعر(٦): [من الوافر]

كأن القوم عُشُّوا لَحمَ ضأنٍ ... فَهُمْ نَعِجُون قد مالت طُلاَهمْ

والمَمرورون الذين يصرَعون، إذا أكلوا لحم الضأن اشتدَّ ما بهم، حتى يصرعَهم ذلك في غيرِ أوان الصرْع.

وأوان الصَّرْع الأهِلَّةُ وأنصاف الشهور. وهذان الوقتان هما وقتُ مدِّ البحر وزيادة الماء. ولزيادة القمر إلى أن يصيرَ بدراً أثرٌ بيِّنٌ في زيادة الدِّماء والأدمغة، وزيادة جميع الرطوبات(٧).

---

(١) السبت: الجلد المدبوغ.

(٢) الشرك: جمع شراك، وهو سير النعل.

(٣) قبال النعل: زمام بين الإصبع الوسطى والتي تليها. الشسع: السير الذي يدخل في الثقب الكائن في صدر النعل.

(٤) ديوان حميد بن ثور ٦٧، وفيه «هزلنها» مكان «أطبنها»، و«ينعش» مكان «أصلح».

(٥) وهم الجاحظ؛ فالبيت للأخنس بن شهاب في المفضليات ٢٠٦، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٧٢٤، وللحماسي في الأساس (زرب).

(٦) البيت لذي الرمة في ملحق ديوانه ١٠٩٧، وتقدم في ٤/٤٠٧، الفقرة (١١٦١).

(٧) الفقرة من قوله: «والممرورون الذين يصرعون» في عيون الأخبار ٢/٧٤.

١٥٧٩ - [بعض الأمثال في المعز والضأن]

ويقال: «فلانٌ ماعزٌ من الرِّجال»[١]، و«فلانٌ أمْعَزُ مِنْ فلان». والعِتاق مَعْزُ الخَيْل، والبراذين ضأنها.

وإذا وصفوا الرّجُل بالضعف والموق[٢] قالوا: «ماهو إلا نعجةٌ من النعاج». ويقولون في التقديم والتأخير: «ما له سَبَدٌ ولا لَبَد»[٣].

وقال الشاعر[٤]: [من الكامل]

نشَبي وما جمّعت من صَفَد ... وحوَيتُ من سَبَد ومن لَبَدِ
هِمَمٌ تقاذَفت الهمومُ بها ... فنزَعْنَ من بلدٍ إلى بلدِ
يا رَوْحَ مَنْ حسَمَت قناعَتُه ... سَبَبَ المطامع من غَدٍ وغدِ[٥]
من لم يكنْ للّه متّهماً ... لم يُمْسِ محتاجاً إلى أحدِ

وهذا شعر رويتُه على وجْه الدهر.

وزعم لي حُسَين بن الضّحّاك أنه له. وما كان لِيَدَّعيَ ما ليس له.

وقال لي سعدانُ المكفوف: لايكون: «فنَزَعْنَ من بلد إلى بلَد» بل كان ينبغي أن يقول: «فنازعن»[٦].

١٥٨٠ - [فضل الماعز]

وقال: والماعزة قد تُولّد في السنة مرتين، إلا ما ألقي منها في الدِّياس[٧]. ولها في الدِّياس نفعٌ موقعُه كبير. وربما باعوا عندنا بطنَ الماعز[٨] بثمنِ شاةٍ من الضأن.

---

(١) رجل ماعز: إذا كان حازماً مانعاً ما وراءه شهماً.

(٢) الموق: الحمق.

(٣) مجمع الأمثال ٢/ ٢٧٠، والمستقصى ٢/ ٣٣١، والفاخر ٢١، وجمهرة الأمثال ٢/ ٢٦٧، وأمثال ابن سلام ٣٨٨.

(٤) الأبيات لحسين بن الضحاك في ديوانه ٤٧-٤٨، والبيت الأخير لأبي نواس في ديوانه ١٦١ «طبعة محمود فريد».

(٥) الرَّوْح: الاستراحة والفرح والسرور. حسمت: قطعت.

(٦) نازعن: غالَبْن وجاذبن. نزعن: انتقلن.

(٧) الدِّياس: الدوس، وهو شدة وطء الشيء بالأقدام، وداس الناس الحب وأداسوه: درسوه.

(٨) أراد ما في بطنها من الحمل، وهو منهي عنه.

قال: والأقِط[1] للمعز. وقرونها هي المنتفع بها.

قال: والجدْيُ أطيبُ من الحمل وأكرم. وربما قدموا على المائدةِ الحملَ مقطوعَ الألية من أصل الذَّنَب؛ ليوهِمُوا أنه جَدْي.

وقال عمر بن الخطاب، رضي اللّه عنه - وعقولُ الخلفاء فوقَ عقولِ الرّعية، وهم أبْصَرُ بالعيش، استعملوا ذلك أو تركوه - فقال[2]: أتُرَوْنَ أني لا أعرِفُ الطيبات؟ لبابُ البُرّ بصغار المعزى!

وملوكنا يُحمَل معهم في أسفارهم البعيدة الصفايا الحواملُ، المعروفاتُ أزمانَ الحمل والوضع، ليكون لهم في كل منزلٍ جِداءٌ مُعَدَّة. وهم يقدرون على الحُملانِ السِّمان بلا مؤونة.

والعَناق الحمراء والجِداءُ، هي المثل في المعْز والطِّيب. ويقولون: جِداء البَصرة، وجِداء كَسْكر.

وسلْخ الماعز على القَصَّاب أهوَن. والنَّجّار يذكر في خصال السَّاج[3] سَلَسَهُ[4] تحت القَدُوم والمثقَب والميشار.

١٥٨١ - [أمارات حمل الشاة]

وقيل لأعرابي[5]: بأي شيءٍ تعرفُ حملَ شاتك؟ قال: إذا تورَّم حيَاها ودجَتْ[6] شَعْرتها واستفاضت خاصرتها.

وللداجي يقال: قد كان ذلك وقد دَجَا ثوبُ الإسلام[7]، وكان ذلك وثَوبُ الإسلام داجٍ.

---

(١) الأقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض.

(٢) الخبر في البيان ١/١٨.

(٣) الساج: شجر يعظم جدًّا، ويذهب طولاً وعرضاً، وله ورق أمثال التراس الديلمية، يتغطى الرجل بورقة منه، فتكنه «أي تستره» من المطر، وله رائحة طيبة تشبه رائحة ورق الجوز «اللسان: سوج».

(٤) السلس: اللين والسهولة.

(٥) ورد قول الأعرابي في عيون الأخبار ٢/٧٥، وتقدم في، ٣/١٢٢، الفقرة (٧١٢).

(٦) دجت شعرتها: طالت.

(٧) دجا الإسلام: شاع وكثر، وانظر النهاية ٢/١٠٢-١٠٣، وما تقدم في ٣/١٢٢، الفقرة (٧١٢).

١٥٨٢ - [المِرْعِزِيُّ وقرابة الماعزة من الناس]

قال: وللماعز المِرْعِزِيُّ[١]؛ وليس للضأن إلا الصوف.

والكِساءُ كلها صوفٌ ووبر وريشٌ وشعرٌ، وليس الصوف إلا للضأن.

وذوات الوبر كالإبل والثعالب، والخُزَز[٢] والأرنب، وكلاب الماء، والسَّمُّور[٣]، والفَنَك[٤]، والقاقُم[٥]، والسِّنجاب، والدِّباب[٦].

والتي لها شعر كالبقر والجواميس، والماعز، والظباء، والأُسْد، والنمور، والذئاب، والبُبور[٧]، والكلاب، والفهود، والضباع، والعِتاق، والبراذين، والبغالِ، والحمير، وما أشبه ذلك.

والإنسان الذي جعله اللّه تعالى فوقَ جميع الحيوان في الجمال والاعتدال، وفي العقل والكرم، ذو شعر.

فالماعزة بقرابتها من الناس بهذا المعنى أفخر وأكرم.

١٥٨٣ - [الماعز التي لا ترد]

وزعم الأصمعيُّ أن لبني عُقَيلٍ ماعزاً لا ترِد[٨]؛ فأحسَبُ واديَهم أخصبَ واد وأرطبه. أليس هذا من أعجب العجَب؟!.

١٥٨٤ - [جلود الماعز]

ومن جلودها تكون القِربُ، والزِّقاق[٩]، وآلة المشاعِل[١٠]، وكلُّ نِحْي[١١]

---

(١) المرعزي: شيء كالصوف يخلص من بين شعر العنز.

(٢) الخزز: ذكر الأرانب.

(٣) السمور: حيوان بري يشبه السنور، وزعم بعض الناس أنه النمس. حياة الحيوان ١ / ٥٧٤.

(٤) الفنك: دويبة يؤخذ منها الفرو. حياة الحيوان ٢ / ١٧٥.

(٥) القاقم: دويبة تشبه السنجاب، ويشبه جلده جلد الفنك. حياة الحيوان ٢ / ١٩٥.

(٦) الدباب: جمع دب.

(٧) الببر: ضرب من السباع شبيه بابن آوى. حياة الحيوان ١ / ١٥٩.

(٨) ترد: من ورود الماء.

(٩) الزقاق: جمع زق، وهو كل وعاء اتخذ للشراب ونحوه.

(١٠) المشاعل: جمع مِشْعل: وهو شيء من جلود له أربع قوائم ينبذ فيه.

(١١) النحْي: الزق، وقيل: ما كان للسمن خاصة.

وسعْن[1]، ووَطْب[2]، وشُكَيَّة[3] وسقاء، ومَزَادَة، مسطوحةً كانت أو مثلوثة[4]. ومنها مايكون الخون[5]، وعكْمُ السَّلَف[6]، والبطَائن والجُرُب. ومن الماعزة تكون أنطاع[7] البُسط، وجلال[8] الأثقال في الأسفار، وجلال قِباب الملوك، وبقباب الأدَم تتفاخر العرب. وللقباب الحمر قالوا: مضر الحمراء. وقال عَبيد بن الأبرص[9]: [من البسيط]

فاذهبْ إليكَ فإني من بني أسَدٍ　　　أهلِ القِباب وأهلِ الجُردِ والنادي[10]

١٥٨٥ - [الفخر بالماعز]

وقالوا: وفخرتم بكبشة وكبيشة وأبي كبشة[11]، فمِنَّا عنز اليمامة وعنز وائل، ومنا ماعز بن مالك، صاحب التوبة النَّصوح.

وقال صاحبُ الماعز: وطعنتم على الماعزة بحفْرها عن حتفها[12]، فقد قيل ذلك للضأن. من ذلك قولُ البكري للعنبريّة، وهي «قَيلة» وصار معها إلى النبيِّ فسأله الدّهناء[13]، فاعترضت عنه قيلة، فقال لها البكريّ: إني وإياك كما قال القائل[14]:

---

(١) السعن: قربة تشبه دلو السقائين.
(٢) الوطب: سِقاء اللبن، وهو جلد الجذع فما فوقه.
(٣) الشكية: وعاء كالدلو أو كالقربة الصغيرة.
(٤) المثلوثة: المزادة تكون من ثلاثة جلود.
(٥) الخون: جمع خوان، وهي المائدة يوضع عليها الطعام.
(٦) العكم: حبل يربط به. السلف: الجراب.
(٧) النطع: بساط من الأديم.
(٨) جلال كل شيء غطاؤه.
(٩) ديوان عبيد بن الأبرص ٤٩، والخزانة ١١ / ٢٥٧، وبلا نسبة في شرح المفصل ٤ / ٣٣.
(١٠) في ديوانه: «اذهب إليك: زجر، يريد: اذهب إلى قومك بدليل قوله: فإن من بني أسد أهل القباب، لأن السادة وحدهم الذين تضرب فوقهم القباب. الجرد: الخيل القليلة الشعر. أهل النادي: ذكره أيضاً لأن السادة هم الذين يجتمعون فيه».
(١١) انظر ما تقدم في ص٢٤٦.
(١٢) انظر ما تقدم في ٢٥٢-٢٥٣، فقرة ١٥٧٦ «ذم العنز في الشعر».
(١٣) الدهناء: واد في بلاد تميم ببادية البصرة.
(١٤) المثل برواية «حتفها تحمل ضأن بأظلافها»، وهو في مجمع الأمثال ١ / ١٩٢، وفصل المقال ٤٥٦، والمستقصى ٢ / ٥٩، وأمثال ابن سلام ٣٢٩، وهو برواية «كالباحثة عن حتفها بظلفها» في الأمثال لمجهول ٨٧.

«عن حتفها تبحثُ ضأنٌ بأظلافها!»، فقالت له العنبرية: مَهْلاً، فإنك ما علمتُ: جواداً بذي الرِّجْل[1]، هادياً في الليلة الظلماء، عفيفاً عن الرفيقة! فقال: لازِلت مُصَاحَباً بعد أن أثنيتِ عليّ بحضرةِ الرسول بهذا!.

١٥٨٦ - [ضرر الضأنِ ونفع الماعز]

وقالوا: والنعجة حرَب[2]، واتِّخاذها خُسران، إلا أن تكون في نعاجٍ سائمة، لأنها لاترفعُ رأسها من الأكل. والنعجةُ آكلُ من الكبْش، والحِجرُ آكَلُ من الفحْل، والرَّمَكة آكلُ من البرذَون. والنعجة لا يقوم نفعها بمَؤُونتها. والعنز تمنعُ الحيَّ الجلاء[3]، فإن العربَ تقول: إن العُنوقَ[4] تمنعُ الحيَّ الجَلاء.

والصفِيَّة من العِرَاب أغزر من بُختيةٍ[5] بعيداً.

ويقال[6]: «أحمَقُ من راعِي ضأن ثمانين!».

١٥٨٧ - [كرم الماعز]

وأصناف أجناسِ الأظلاف وكرامها بالمعز أشبَه، لأن الظِّباءَ والبقر من ذوات الأذناب والشعَر، وليست من ذوات الألايا[7] والصوف.

والشُّمُل[8]، والتعاويذ والقلائد، إنما تُتَّخذ للصفايا، وَلا تُتَّخذ للنعاج، ولا يخاف عَلَى ضروعها العين والنفْس.

والأشعار التي قيلت في الشاء إذا تأمَّلتَها وجدْت أكثرها في المعز: في صفاياها وفي حُوِّها[9]، وفي تيوسها وفي عُنوقها وجدائها.

---

(١) ذو الرجل: موضع في ديار كلب.
(٢) الحرب: أن يُسلب الرجل ما له.
(٣) الجلاء: النزوح.
(٤) العنوق: جمع عناق، وهي أنثى المعزى، إذا أتت عليها سنة.
(٥) البختية: الخراسانية تنتج بين عربية وفالج.
(٦) المثل في مجمع الأمثال ١ / ٢٢٤، وأمثال ابن سلام ٣٦٥، وجمهرة الأمثال ١ / ٣٩١، والمستقصى ١ / ٧٩، والبرصان ٢١٣.
(٧) الألايا: جمع ألية.
(٨) الشمل: جمع شمال، وهو شبه مخلاة يغشى بها ضرع العنز إذا ثقل.
(٩) الحو: جمع أحوى وحواء، والحوة: سواد إلى الخضرة.

وقال مُخارقُ بنُ شُهابٍ المازنيّ - وكان سيِّداً كريماً، وكان شاعراً - فقال يصفُ تَيسَ غنمِه[1]: [من الطويل]

وراحت أُصَيلاناً كأنَّ ضُروعَها ... دلاءٌ وفيها واتدُ القَرْن لبلَـبُ[2]
له رَعَثات كالشُّنوف وغُرَّةٌ ... شَديخٌ ولونٌ كالوذيلة مُذْهَبُ[3]
وعَينَا أحَمٌّ المقْلَتين وعُصْمَةٌ ... ثُنًى وصِلْها دانٍ من الظِّلف مُكْثبُ[4]
إذا دَوحةٌ من مُخلف الضَّال أربَلَتْ ... عطاها كما يعطُو ذُرى الضَّال قَرْهَبُ[5]
تلادٌ رقيق الخدِّ إن عُدَّ نَجرُه ... فصِرْدان نِعْمَ النَّجْرُ منه وأشعَبُ[6]
أبو الغُرِّ والحُوِّ اللواتي كأنها ... من الحُسن في الأعناق جَزْعٌ مثقَّبُ[7]
إذا طاف فيها الحالبان تقابلت ... عقائلُ في الأعناقِ منها تحلُّبُ[8]
ترى ضيفها فيها يَبيتُ بغِبطَةٍ ... وضيفُ ابنِ قيس جائعٌ يتحوّبُ[9]

قال[10]: فوفد ابن قيس هذا، على النُّعمان، فقال له: كيف المخارقُ فيكم؟ قال: سيِّدٌ شريف، منْ رجل يمدح تيسَهُ، ويهجو ابنَ عمِّه!

وقال الراجز[11]: [من الرجز]

أنعَتُ ضأناً أمْجَرَتْ غِثاثا[12]

---

(١) الأبيات في عيون الأخبار ٢/٧٧، عدا البيتين (٥، ٧)، والأبيات (١، ٢، ٣، ٦، ٨) في محاضرات الأدباء ٢/٢٩٣ (٤/٦٤٧)، والأخير في العمدة ٢/٣٩، والبيان ٤/٤٣.
(٢) الواتد: الثابت. اللبلب: ذو اللبلبة، أي الشفقة على المعزى.
(٣) الرعثة: زنمة تحت الأذن. الشنف: القرط. غرة شديخ: غشت الوجه من الناصية إلى الأنف. الوذيلة: المرآة، أو قطعة من الفضة مجلوة.
(٤) العصمة: بياض في ذراعي الظبي أو الوعل. ثنى: اثنان.
(٥) المخلف: من يخرج الخلفة، وهو الورق الذي يخرج بعد ورق. الضال: شجر. أربلت: كثر ربلها، والربل: ورق يتفطر في آخر القيظ ببرد الليل من غير مطر. القرهب: الثور الضخم.
(٦) التلاد: الذي ولد عندك. البخر: الأصل والحسب. صردان وأشعب: آباء هذا التيس.
(٧) الجزع: خرز فيه سواد وبياض.
(٨) الأعناق الجماعات. التحلب: السيلان. وأراد غزارة لبنها.
(٩) يتحوب: يتوجع.
(١٠) ورد هذا القول في عيون الأخبار ٢/٧٧، والعمدة ٢/٣٩-٤٠.
(١١) الرجز بلا نسبة في تهذيب اللغة ٢/٣٣٧، وانظر الجمهرة ٨٥، والتاج (رعل).
(١٢) الغث: الهزيل.

والمِجَر: أن تشربَ فلا تروَى. وذلك من مَثالبها.

وقال رجل لبعض ولدِ سليمان بن عبدِ الملك: ماتت أمُّك بَغَراً، وأبوك بَشَماً[١].

وقال أعرابي[٢]: [من الكامل]

مَوْلَى بن تَيمٍ، ألستَ مؤدِّياً ... مَنيحتَنا كما تؤَدَّى المنائحُ[٣]
فإنك لو أدَّيْتَ صعدَةَ لم تزلْ ... بعَلياء عندي، ما ابتغى الرِّبْحَ رابحُ[٤]
لها شعَرٌ داجٍ وجيدٌ مُقَلِّص ... وخَلْقٌ زُخاريٌّ وضرعٌ مُجالحُ[٥]
ولو أُشْليَتْ في ليلةٍ رجَبيَّةٍ ... لأَرْوَاقِهَا هَطْلٌ من الماء سافحُ[٦]
لجاءت أمامَ الحالبَين وضَرْعُهاَ ... أمامَ صفاقَيها مُبِدٌّ مُضارحُ[٧]
وويلُ أمِّها كانت نتيجةَ واحد ... ترامى بها بِيدُ الإكام القراوحُ[٨]

١٥٨٨ - [أصناف الظلف وأصناف الحافر]

ليس سبيلُ أصنافِ الظِّلفِ في التشابه سبيلَ أصنافِ الحافر، والخفّ. واسمُ النَّعَم يشتمل على الإبل والبقر والغنم. وبُعْدُ بعضِ الظلف من بعض، كبعده من الحافر والخف؛ لأن الظلف للضأن والمعز والبقر والجواميس والظِّباء والخنازير وبقرِ الوحش، وليس بين هذه الأجناس تسافد ولا تلاقح، لا الغنم في الغنم من الضأن والماعز، ولا الغنم في سائر الظلف ولا شيء من سائر تلك الأجناس تسافِدُ غيرها أو تُلاَقِحُها. فهي تختلف في الصوف والشعر، وفي الأُنس والوحْشة، وفي عدم التلاقح والتسافُد، وليس كذلك الحافرُ والخفُّ.

---

(١) البغر: المجر، وقد فسرها الجاحظ آنفاً. البشم: التخمة عن الدسم.
(٢) الأبيات لجبيهاء الأشجعي في المفضليات ١٦٧-١٦٨، والأغاني ١٨ /٩٧.
(٣) المنيحة: الناقة يمنحها الرجل صاحبه ليحتلبها ثم يردها. ثم كثر ذلك حتى قيل للهبة منيحة.
(٤) صعدة: اسم العنز التي منحه إياها.
(٥) مقلص: طويل. الزخاري: الكثير اللحم والشحم. الضرع المجالح: الذي يدر على الجوع والقر.
(٦) أشليت: دعيت، أي للحلب. رجبية: ليلة من ليالي الشتاء. لأرواقها: لسحابها.
(٧) الصفاقان: ما اكتنف الضرع من عن يمين وشمال إلى السرة. المبد: الذي يوسع ما بين رجليها لعظمه. مضارح: من الضرح، وهو التنحية والدفع.
(٨) ويل أمها: تعجب منها، والعرب كانت تمدح الرجل بذلك. البيد: جمع بيداء. القراوح: جمع قرواح، وهو المنبسط من الأرض لا يستتر منه شيء

١٥٨٩ - [رجَز في العنز]

وقال الراجز[١]: [من الرجز]

لَهَفي على عنْزين لا أنساهما ... كأنَّ ظِلَّ حَجَرٍ صُغْرَاهُما

وصالِغٌ مُعْطِرةٌ كُبراهما

قوله: صالغٌ، يريد انتهاء السنّ. والمعطرة: الحمراء؛ مأخوذة من العطر. وقوله: «كأن ظلّ حجَر صُغراهما» يريد أنها كانت سوداء، لأن ظِلَّ الحجَر يكونُ أسودَ، وكلما كان الساتر أشدَّ اكتنازاً كان الظلُّ أشدَّ سواداً.

١٥٩٠ - [أظل من حجر]

وتقول العرب: ليس شيءٌ أظلَّ من حجَر[٢]، ولا أدفأ من شجَر[٣]، وليس يكون ظلٌّ أبرَدَ ولا أشدَّ سواداً من ظلِّ جبل. وكلما كان أرفع سَمْكاً، وكان مَسْقِطَ الشمس أبعَد، وكان أكثر عرضاً وأشدَّ اكتنازاً، كان أشدَّ لسواد ظله.

ويزعم المنجِّمون أن الليلَ ظلُّ الأرض، وإنما اشتدَّ جدّاً لأنه ظلُّ كُرةِ الأرض. وبقدر ما زاد بدنها في العِظَم ازدادَ سوادُ ظِلِّها.

وقال حميد بن ثَور[٤]: [من الطويل]

إلى شَجَرٍ ألْمَى الظلالَ كأنها ... رواهبُ أحْرَمْنَ الشرابَ عُذُوبُ

والشفَّة الحمَّاء يقال لها لَمْياء. يصِفُون بذلك اللِّثة. فجعَل ظِلَّ الأشجار الملتفَّة ألمى.

---

(١) الرجز بلا نسبة في اللسان والتاج (عطر)، والتهذيب ٢/١٦٤. ومحاضرات الأدباء ٢/٢٩٣ (٤/٦٤٦).

(٢) في مجمع الأمثال ١/٤٤٧ «أظل من حجر»، وفي الدرة الفاخرة ٢/٤٣٨ «أكثف ظلاً من حجر»؛ وذلك لكثافة ظله، وانظر ثمار القلوب (٨٠٢)، وعيون الأخبار ٤/٤١، والأمالي ٢/١٢، والتنبيه للبكري ٩٠.

(٣) في الدرة الفاخرة ١/١٩٨، وجمهرة الأمثال ١/٤٤٣، ٤٥٦: «أدفأ من شجرة».

(٤) ديوان حميد بن ثور ٥٧، واللسان والتاج (حرم، لمى)، وديوان الأدب ٤/٩٧، وكتاب الجيم ٣/٢١٩، وبلا نسبة في الأساس (لمي).

١٥٩١ - [أقط الماعز]

وقال امرؤ القيس بن حُجْر(١): [من الوافر]

لنا غَنَمٌ نُسوِّقها غِزار   كأنَّ قرونَ جِلَّتِها العِصيُّ(٢)

فدلّ بصفة القرون عَلَى أنها كانت ماعزة. ثم قال:

فتملأُ بيتَنا أَقِطاً وسَمْناً   وحَسْبُكَ من غِنًى شِبعٌ وريٌّ(٣)

فدلَّ عَلَى أن الأقط منها يكون.

١٥٩٢ - [استطراد لغوي]

وقال: ويقال لذوات الأظلاف: قد وُلِّدت الشاة والبقرة، مضمومة الواو مكسورة اللام مشدودة. يقال هذه شاة تُحلَب قفيزاً، ولا يقال تحلُب، والصواب ضم التاء وفتح اللام.

ويقال أيضاً: وضعَتْ، في موضع وُلِّدت. وهي شاةٌ رُبَّى، من حينِ تضعُ إلى خمسةَ عشَرَ يوماً - وقال أبو زيد: إلى شهرين - منْ غنم رُباب، مضمومة الرَّاء عَلَى فُعال، كما قالوا: رَجُل ورُجال، وظئر وظؤار وهي رُبَّى بيّنة الرِّباب والرِّبَّة بكسر الرّاء، ويقال هي في رِبابها. وأنشد(٤): [من الرجز]

حَنينَ أمِّ البَوِّ في رِبابها(٥)

والرِّباب مصدر، وفي الرُّبى حديث عمر: «دَعِ الرُّبَّى والماخِض والأكولة»(٦). وقال أبو زيد: ومثل الرّبّى من الضأن الرّغوث، قال طَرَفة(٧): [من الوافر]

---

(١) ديوان امرئ القيس ١٣٦-١٣٧، وعيون الأخبار ٢/٧٦، والبخلاء ١٢٣، ومحاضرات الأدباء ٢/٢٩٣ (٤/٦٤٧)، والأول في اللسان والتاج (سوق)، والأساس (جلل)، والثاني في الأمالي ١/١٨، واللسان (وسع، سمن)، والتاج (وسع، شبع، سمن)، وديوان الأدب ١/١٣٢.

(٢) الجلة: جمع جليل، وهو المسن من الغنم وغيرها.

(٣) الأقط: شيء يصنع من اللبن المخيض على هيئة الجبن.

(٤) الرجز بلا نسبة في اللسان والتاج (ربب)، والتهذيب ١٥/١٨١، والمخصص ٧/١٧٨.

(٥) البو: ولد الناقة، أو جلده يحشى تبناً أو نحوه لتعطف عليه فتدر.

(٦) الحديث في النهاية ٢/١٨٠، ٤/٣٠٦.

(٧) ديوان طرفة بن العبد ٤٨، واللسان (رغث، خور)، والتاج (رغث)، والمقاييس ٢/٤١٦، والتهذيب ٨/٩٠، والمخصص ٧/٤٩، ١٧٨، والمجمل ٢/٣٩٩، والأساس (رغث).

فليتَ لنا مكانَ المَلْكِ عَمرٍو رَغُوثاً حَوْلَ قُبَّتِنا تخُور

وقالوا: إذا وضعت العنز ما في بطنها قيل سَليل ومَليط. وقال أبو زيد: هي ساعةَ تضعَه من الضأن والمعز جميعاً، ذكراً كان أو أنثى: سخلةٌ، وجمعُها سَخْل وسخَال. فلا يزال ذلك اسمَه ما رضعَ اللبَن، ثم هي البَهْمة للذكر والأنثى، وجمعُها بَهْم. وقال الشاعر[1]: [من البسيط]

وليس يَزْجُرُكُم ما تُوعَظُون به والبَهْمُ يزجرُها الراعي فتنزجرُ

ويروى: «يُزْجَر أحياناً». وإذا بلغَتْ أربعة أشهرٍ وفُصِلتْ عن أمهاتها، وأكلَتْ من البقل واجترّت، فما كان من أولاد المعز فهو جَفْر، والأنثى جَفْرة، والجمع جِفَار. ومنه حديث عمر رضي الله عنه، حين قضى في الأرنبِ يُصيبها المحرمُ بجَفْر[2].

فإذا رَعَى وقوِيَ وأتى عليه حولٌ فهو عريض، وجمعه عِرْضان. والعَتُود نحوٌ منه، وجمعه أعْتدة وعِتْدان. وقال يونس: جمعه أعْتدة وعتد. وهو في ذلك كلِّه جدْيٌ، والأنثى عَناق. وقال الأخطل[3]: [من البسيط]

واذْكرْ غُدَانةَ عِتْداناً مُزَنَّمَةً من الحبلَّق يُبْنَى حولها الصِّيَرُ[4]

ويقال له إذا تبع أمَّه وفطِم: تِلوٌ، والأنثى: تِلوة؛ لأنه يتلو أمَّه.

ويقال للجَدْي: إمَّر والأنثى أَمَّرَةٌ. وقالوا: هِلّع وهِلّعة. والبدرة: العَناق أيضاً. والعُطعُط: الجدي. فإذا أتى عليه الحولُ فالذكر تيس والأنثى عَنْز. ثم يكون جذَعاً في السَّنة الثانية، والأنثى جذَعة. ثم ثَنياً في الثالثة، والأنثى ثَنيَّة. ثم يكون رَباعياً في الرابعة، والأنثى رباعيَة. ثم يكون سَديساً، والأنثى سَديس أيضاً مثل الذكر بغير هاء. ثم يكون صالغاً والأنثى صالغة. والصالغُ بمنزلة البازل من الإبل، والقارحِ من الخيل. ويقال: قد صَلَغَ يَصْلغُ صُلوغاً، والجمع الصُّلَّغ. وقال رؤبة[5]: [من الرجز]

---

(١) البيت بلا نسبة في ربيع الأبرار ٥/٣١١.

(٢) في النهاية ١/٢٧٨: «في الأرنب يصيبها المحرم جفرة».

(٣) ديوان الأخطل ٢٠٩، واللسان (حبلق، غدن)، والتاج (صير، حبلق، غدن)، والمقاييس ٤/٢١٧، والتهذيب ٢/١٩٦، ٥/٣٠٣، ١٢/٢٣٠، وديوان الأدب ٢/٨٨، وبلا نسبة في اللسان (عتد، صير).

(٤) في ديوانه: «غدانة: ابن يربوع. الحبلق: أولاد المعز الصغار الأجسام القصار. الصير: الحظائر».

(٥) ديوان رؤبة ٩٨، واللسان (رزع، صلغ)، والتاج (كبش، رزغ، صلغ).

والحربُ شهباءُ الكباشِ الصُّلَّغ

وليس بعد الصالغ شيءٌ.

وقال الأصمعيّ: الحُلاّم والحُلاّن من أولاد المعز خاصة. وجاء في الحديث(١): «في الأرنب يصيبها المحرِمُ حُلاَّم». قال ابن أحمر(٢): [من البسيط]

تُهدِي إليه ذراعَ البكْر تَكرمَةً إمّا ذكيّاً وإمّا كان حُلاَّنا

ويروى: «ذراع الجدي» ويروى: «ذَبيحا»، والذبيح هو الذي أدْرَك أن يضحَّى به. وقال مهلهل بنُ ربيعة(٣): [من الرجز]

كلُّ قتيلٍ في كليبٍ حُلاَّمْ حتى ينال القتلُ آلُ هَمامْ(٤)

وقالوا في الضأن كما قالوا في المعز، إلا في مواضع. قال الكسائي: هو خروف، في موضع العريض، والأنثى خروفة. ويقال له حَمَل، والأنثى من الحِمْلان رِخل والجمع رُخال، كما يقال ظئر وظؤار وتَوْءَم وتؤام. والبَهْمة: الضأن والمعز جميعاً. فلا يزال كذلك حتى يَصيف. فإذا أكل واجترّ فهو فرير وفُرارة وفُرفور، وعمرُوس. وهذا كله حينَ يسمَنُ ويجتر. والجِلاَم، بكسر الجيم وتعجيم نقطة من تحت الجيم. قال الأعشى(٥): [من المتقارب]

سَوَاهِمُ جُذْعانها كَالجِلام وَأقرَحَ منها القيادُ النسورا

يعني الحوافر.

واليَعْر: الجدي، بإسكان العين، وقال البُريقُ الهذليّ(٦): [من الطويل]

---

(١) الحديث لعمر بن الخطاب في النهاية ١/٢٧٨، وانظر الحاشية الثانية، ص السابقة ٢٦٤.

(٢) ديوان عمرو بن أحمر ١٥٥، واللسان (حلن)، والتنبيه والإيضاح ١/٢٣٤، والتهذيب ٣/٤٣٩، والتاج (ذبح، حلل، حلن)، والمخصص ٧/١٨٧، ١٣/٢٨٤، وديوان الأدب ١/٣٣٧، والأمالي ٢/٩٠، والسمط ٧٢٥، والمعاني الكبير ٦٨٣، وبلا نسبة في الجمهرة ١٢٣٢، واللسان (حلن)، والعين ٣/٢٨، والمقاييس ١/٢١، والمجمل ٢/٢٢.

(٣) الرجز للمهلهل في الأغاني ٥/٤٧، والأمالي ٢/٩٠، واللسان والتاج (حلم)، وبلا نسبة في الجمهرة ٥٦٦، ١٢٣٢، والمجمل ٢/٩٧، والمخصص ٦/٩٦.

(٤) في الأمالي ٢/٩٠: «يقول: كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب بمنزلة الحُلاّم الذي ليس بوفاء أن يُذبح للنسك، حتى نال القتل آل همام فإنهم وفاء به».

(٥) ديوان الأعشى ١٤٩، واللسان (نسر، جلم)، والتاج (جلم)، والتهذيب ١١/١٠٢، والمقاييس ١/٤٦٧، والمجمل ١/٤٤٦، وبلا نسبة في المخصص ٦/١٤٥، ٧/١٨٧.

(٦) صدر البيت: (أسائلُ عنهم كلما جاء راكبٌ)، وهو للبريق الهذلي في شرح أشعار الهذليين =

مُقيماً بأملاح كما رُبط اليَعْرُ

والبذَجُ: من أولاد الضأن خاصة. وقال الراجز[1]: [من الرجز]

قد هَلَكَتْ جارتُنا من الهَمَجْ فإن تجُعْ تأكل عَتُوداً أو بَذَجْ[2]

والجمع بِذجَان.

١٥٩٣ - [أمنية أعرابي]

وقال أعرابيّ[3]: اللّهم مِيتَةً كميتَةِ أبي خارجة! قالوا: وما ميتة أبي خارجة؟ قال: أكل بذَجاً، وَشرب مِشعَلاً، ونامَ في الشمس، فأتَتْه المنيَّةُ شبْعان ريانَ [دفآن][4]!.

١٥٩٤ - [تيس بني حمان]

وفي المثل[5]: «أغلم من تيس بني حِمّان». وبنو حمّان تزعم أنه قَفَط سبعين عنزاً وقد فُريت أوداجه.

فهذا من الكذِب الذي يدخلُ في باب الخرافة.

١٥٩٥ - [زعم لصاحب المنطق]

وقد ذكر أرسطوطاليسُ في كتاب الحيوان، أنه قد ظهر ثورٌ وَثَب بعد أنْ خُصي، فنزا على بقرةٍ فأحبَلها.

ولم يَحْكِ هذا عن مُعاينةٍ. والصدورُ تضيق بالردِّ على أصحاب النظر وتضيق بتصديق هذا الشَّكْل.

= ٧٤٩، واللسان والتاج (يعر)، والتنبيه والإيضاح ٢/٢٣٢، وديوان الأدب ٣/٢٠٩، وبلا نسبة في الجمهرة ٧٧٨، والمقاييس ٦/١٥٦، والتهذيب ٣/١٨١، والمخصص ٧/١٨٧.

(١) الرجز لأبي محرز المحاربي في اللسان والتاج (بذج، همج)، والتنبيه والإيضاح ١/١٩٣، ٢٢٦، وبلا نسبة في التهذيب ٦/٧١، ١١/١٦٠، والمقاييس ١/٢١٧، ٦/٦٤، والمجمل ١/٢٥٠، ٤/٨٧، وديوان الأدب ١/٢٠٦.

(٢) العتود: الجدي بلغ السفاد.

(٣) الخبر في عيون الأخبار ٢/٢٧٦، وثمار القلوب (٢٤٨)، وقطب السرور ١/١٨٧.

(٤) الزيادة من المصادر السابقة.

(٥) انظر ما تقدم في ١٢١ فقرة ١٣٦٥، ٢٥٠.

١٥٩٦ - [أحاديث وآثار في الغنم]

قال: وحدَّثنا سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نُباتة قال: سمعت علياً يقول: «ما أَهْلُ بيتٍ لهمْ شاةٌ إلا يُقَدَّسُون(١) كُلَّ لَيْلَةٍ».

وقال: حدثنا عنبسة القطّان، قال حدَّثنا السكن بن عبد الله بن عبد الأعلى القرشيّ، عن رجل من الأنصار، أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: «امْسَحُوا رُعامَ الشَّاءِ، ونَقُّوا مرابِضَها منَ الشَّوْكِ والحِجَارَة، فإنَّها في الجَنَّةِ».

وقال: «ما مِنْ مُسْلمٍ له شاةٌ إلا قدِّس كُلَّ يومٍ مَرَّةً. فإنْ كانَتْ لَهُ شَاتانِ قُدِّسَ في كلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ».

قال: وحدثنا عنبسة القطان، بهذا الإسناد، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «أُوصِيْكُمْ بالشَّاءِ خَيْراً، فَنَقُّوا مَرابِضَها مِنَ الحِجَارةِ والشَّوْكِ فَإِنَّها فِي الجَنَّةِ».

وعن محمد بن عجلان، عن وهب بن كَيسان، عن محمد بن عمرو بن عطاء العامريّ من بني عامر بن لؤَيّ، أن رجلاً مرَّ على أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وهو بالعقيق، فقال: أين تريد؟ قال: أريد غُنَيمة لي. قال: امسح رُعامها، وأطِبْ مُراحها، وصلِّ في جانبِ مُراحها؛ فإنها من دوابِّ الجنة(٢).

وعن فرجِ بن فضالة، عن معاوية بنُ صالح، عن رجل من أصحاب أبي الدرداء، أنه عَملَ طعاماً اجتهد فيه، ثم دعاه فأكل، فلما أكل قال(٣): الحمد لله الذي أطعَمَنَا الخميرَ، وألبسَنا الحَبيرَ، بعد الأسودَين: الماء والتمر. قال: وعند صاحبه ضائنة له، فقال: هذه لك؟ قال: نعم. قال: أطِبْ مُراحها واغسِلْ رُعامها، فإنها من دوابِّ الجنة، وهي صفوة الله من البهائم.

قال: وحدَّثنا إبراهيم بن يحيى، عن رجل، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة، عن النبي صلّى الله عليه وسلم، أنه قال: «إن الله عزّ وجلّ خَلَقَ الجنة بيضاءَ، وخيرُ الزِّيِّ البياض». قال: وبعث إلى الرُّعيان: «من كانت له غنمٌ سُودٌ فليَخْلِطْها بعُفْر، فإنَّ دمَ عفراءَ أزكى من دمِ سَوداوين».

وحدثنا أبو المقدام قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن حبيب، عن عطاء،عن ابن

---

(١) التقديس: التطهير والتبريك.

(٢) ورد حديث أبي هريرة في النهاية ٢ / ٢٣٥.

(٣) انظر الخبر في ربيع الأبرار ٥ / ٤٠٩.

عباس، أن رسولَ اللّه صلّى اللّهُ عليه وسلم دعا بالرُّعاة فجُمعوا له، فقال: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرْعَى غَنَماً سُوداً فَلْيَخْلِطْ فِيها بِيضاً».

قال(١): وجاءته امرأةٌ فقالت: يا رسول اللّه، إني اتخذت غنماً رجوت نسلها ورِسلها وإني لا أُراها تنمو. قال: «فما ألوانها؟» قالت: سود. قال: «عفِّري». أي اخلطي فيها بِيضاً.

قال: وحدثنا طلحة بنُ عمرو الحضْرَميّ، عن عطاء، أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم قال: «الغَنَمُ بَرَكَةٌ مَوْضُوعَةٌ، والإِبلُ جمالٌ لأَهْلِها، والخيرُ مَعْقُودٌ في نَواصِي الخَيْلِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ»(٢).

حنظلةُ بن أبي سفيان المكّي قال: سمعت طاووساً يقول: من ها هنا أطلعَ الشيطان قرنَيه، من مطلع الشمس. والجفاءُ والكِبْرُ في أهل الخيل والإبل، في الفدَّادينَ أهل الوبر(٣). والسكينةُ في أهل الغنم(٤).

قال وحدثنا بكر بن خُنيس، عن يحيى بن عُبَيد اللّه بن عبد اللّه بن مَوْهب، عن أبيه، عن أبي هريرة قال(٥): قال رسول اللّه ﷺ: «رأسُ الكفر قِبَلَ المشرق، والفخرُ والخُيلاءُ في أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر. والسكينة في أهل الغنم، والإيمانُ يمانٍ والحكمة يمانية».

وعن عوف بن أبي جَميلة، عن الحسن، أن رسول اللّه ﷺ قال(٦): «الفخرُ في أهل الخيل، والجفاءُ في أهل الإبل، والسكينة في أهل الغنم».

وعن عثمان بن مقْسَم، عن نافع، أن ابنَ عمرَ حدثه أنه سمع النبي ﷺ يقول(٦): «السكينة في أهل الغنَم».

والفدَّاد: الجافي الصوتِ والكلامِ. وأنشدنا أبو الرُّدينيّ العكليّ: [من الرجز]

جاءت سُليمٌ ولها فَديدُ

---

(١) انظر الحديث في عيون الأخبار ٢ / ٧٦.

(٢) «الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة» أخرجه البخاري في المناقب، حديث رقم ٣٤٤٣.

(٣) الفدادون: المكثرون من الإبل، وقيل: هم الجمّالون والبقّارون والحمّارون والرعيان.

(٤) انظر الحاشية التالية.

(٥) أخرجه البخاري في بدء الخلق، حديث رقم ٣١٢٥، ٣١٢٦، ومسلم في الإيمان، حديث ٥١، ٥٢.

(٦) انظر الحاشية السابقة.

١٥٩٧ - [أخبار ونصوص في الغنم]

وكان من الأنبياء عليهم السلام مَنْ رعى الغنم[١]. ولم يَرع أحدٌ منهم الإبل. وكان منهم شعيب، وداود، وموسى، ومحمد؛ عليهم السلام. قال الله جلّ وعزّ: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾[٢].

وكان النبي صلّى الله عليه وسلم يرعى غُنَيمات خديجة.

والمعْزبون[٣] بنزولهم البُعدَ من الناسِ، في طباع الوحش.

وجاء في الحديث: «من بَدَا جَفا»[٤].

ورِعاءُ الغنم وأربابها أرقُّ قلوباً، وأبعد من الفظاظة والغلظة.

وراعي الغنم إنما يرعاها بقرب الناس، ولا يُعْزِبُ، ولا يبدو[٥]، ولا ينتجع[٦].

قالوا: والغنم في النوم غُنْمٌ.

وقالوا في الغنم: إذا أقبلتْ أقبلتْ، وإذا أدبرت أقبلت[٧].

١٥٩٨ - [ما حرمته العرب على أنفسها]

وكان لأصحاب الإبل مما يحرمونه على أنفسه: الحامي[٨] والسائبة[٩]،

---

(١) أخرج البخاري في الإجارة، حديث رقم ٢١٤٣ «عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم».

(٢) ١٧-١٨/ طه: ٢٠.

(٣) المعزبون: الذين بعدوا بماشيتهم عن الناس في المرعى.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢/٣٧١، ٤٤٠، ٤/٢٩٧.

(٥) يبدو: يخرج إلى البادية.

(٦) ينتجع: يطلب الكلأ في موضعه.

(٧) ورد هذا القول في عيون الأخبار ٢/٧٦ على أنه حديث، وتتمته فيه: «والإبل إذا أدبرت أدبرت، وإذا أقبلت أدبرت، ولا يأتي نفعها إلا من جانبها الأشأم»، وانظر تتمة الحديث في النهاية ٢/٤٣٧ (شأم).

(٨) في اللسان: «الحامي: الفحل من الإبل يضرب الضِّراب المعدود قيل عشرة أبطن، فإذا بلغ ذلك قالوا: هذا حامٍ، أي حمى ظهره فيترك؛ فلا ينتفع منه بشيء؛ ولا يمنع من ماء ولا مرعى». اللسان: حما.

(٩) في اللسان: «كان الرجل في الجاهلية إذا قدم من سفر بعيد، أو برئ من علة، أو نجّته دابة من مشقة أو حربٍ قال: ناقتي سائبة؛ أي تُسيب فلا ينتفع بظهرها، ولا تحلأ عن ماء، ولا تمنع من كلإ، ولا تركب» اللسان: (سيب).

ولأصحاب الشاءِ الوصيلة(١).

والعتيرة أيضاً من الشّاء. وكان أحدهم إذا نذر أن يذبحَ من العتائر والرجبية كذا وكذا شاة، فبلغ الذي كان يتمنَّى في نذره، وشحّ على الشاء قال: والظِّباء أيضاً شاء، وهي تُجْزِي إذا كانت شاء: فيجعل عتائره من صيدِ الظباء. وقال الحارث بن حِلِّزة(٢): [من الخفيف]

عنَتاً باطلاً وظُلماً كما تُعْـ ـتَرُ عن حجْرَةِ الرَّبيضِ الظّباءُ

وقال الطِّرِمَّاح(٣): [من الطويل]

كَلَوْنِ الغَرِيِّ الفَرْدِ أجْسَدَ رأسَه عَتائرُ مظلومِ الهَديِّ المذبَّحِ(٤)

ومنها الغَدويُّ(٥) والغَذَوِيّ جميعاً. وقال الفرزدق(٦): [من الكامل]

ومهورُ نِسْوَتِهِمْ إذا ما أنكَحُوا غَـذَوِيُّ كـلِّ هبَنْـقَعٍ تِنْبَالِ(٧)

١٥٩٩ - [ميل الحيوان على شقه الأيسر]

وقال أبو عتَّاب: ليس في الأرض شاة ولا بعيرٌ ولا أسَدٌ ولا كلْبٌ يريدُ الرُّبوض إلا مال على شِقِّه الأيسر، إبقاءً على ناحية كبده.

---

(١) في اللسان «الوصيلة التي كانت في الجاهلية هي الشاة تلد سبعة أبطن عناقيْن عناقين، فإن ولدت في الثامنة جَدْياً وعناقاً قالوا وصلت أخاها، فلا يذبحون أخاها من أجلها، ولا يشرب لبنها النساء؛ وكان للرجال، وجرت مجرى السائبة، وثمة خلاف بين المفسرين في تحديد معاني الحامي والسائبة والوصيلة. انظر كتب التفسير للآية ١٠٣ من سورة المائدة: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾.

(٢) البيت من معلقته في شرح القصائد السبع ٤٨٤، وشرح القصائد العشر ٣٩٩، واللسان (حجر، عتر، عنن)، والتاج (عتر، عنن)، والجمهرة ١٥٨، ٣٩٢، وديوان الأدب ٢/١٥٦، والتهذيب ١/١٠٩، ٢/٢٦٣، ٤/١٣٤، ١٢/٢٦، والخصائص ٣/٣٠٧، والمعاني الكبير ٦٨٣، وبلا نسبة في اللسان (ربض)، والمخصص ١٣/٩٨.

(٣) ديوان الطرماح ١١٤ (١٠١).

(٤) في ديوانه: «الغري: الصنم، كانوا يذبحون عنده، ويلطخونه بالدماء في الجاهلية. شُبِّه الذئب به في لونه. وأجسد رأسه: أي يبس الدم على رأسه وصبغه باللون الأحمر. والمظلوم من الذبائح: كل ما ذبح منها لغير علة. والهدي: ما كان يهدى للصنم من الذبائح».

(٥) الغدوي: كل ما في بطون الحوامل.

(٦) ديوان الفرزدق ٧٢٩، واللسان (هبقع، غدا، غذا) والتاج (هبقع، نبل، غدا، غذا)، والتهذيب ٣/٤٦٥، ٨/١٧١، ١٧٥، ونسب وهما إلى جرير في ديوان الأدب ٢/٨٥، وكتاب الجيم ٣/١٤.

(٧) نسوتهم: يعني نسوة بني كليب. الهبنقع: القصير الملزز الخلق. التنبال: القصير.

قال: ومتى تفقدتم الصفايا التي في البيوت، والنعاجَ، والجِداء، والحُمْلاَن وجدتموها كذلك.

١٦٠٠ - [معالجة العقاب الفريسة]

قال[١]: والعقاب تستعمل كفها اليمنى إذا أصْعَدَتْ بالأرانب والثعالب في الهواء، وإذا ضربتْ بمخالبها في بطون الظِّباء والذئاب. فإذا اشتكت كبدها أحسّت بذلك، فلا تزال إذا اصطادت شيئاً تأكلُ من كبده، حتى تبرأ. وإن لم تُعاين فريسة فربما جلَّت[٢] على الحمار الوحشيِّ فتنقضُّ عليه انقضاضَ الصخرة، فَتقدُّ بدابرتها[٣] ما بين عجْب[٤] ذنبه إلى منسِجه[٥]. وقد ذكرنا من شأنها في باب القول فيها ما فيه كفاية.

١٦٠١ - [أخذ الهارب على يساره حين الهرب]

قال[٦]: وليس في الأرضِ هاربٌ من حَرْبٍ أو غيرها استعملَ الحُضْر[٧] إلا أخَذَ على يساره، إذا ترك عَزْمَه وسَوْم[٨] طبيعته. وأنشد: [من الطويل]

تخامَصَ عن وحْشِيِّه وهو ذاهلٌ ... وفي الجوف نارٌ ليس يخبو ضِرامُها[٩]

وأنشد الأصمعي للأعشى[١٠]: [من الطويل]

ويسَّر سَهْماً ذا غِرار يسوقُهُ ... أمين القُوَى في ضالة المترنِّم[١١]
فمرّ نَضِيُّ السَّهْمِ تحت لبانِه ... وحالَ على وحْشِيِّهِ لم يعَتِّمِ[١٢]

---

(١) وردت هذه الفقرة باختصار في ربيع الأبرار ٥/٤٥٣.
(٢) جلّى ببصره: أغمض عينيه ثم فتحهما ليكون أبصر له.
(٣) الدابرة: الإصبع التي من وراء رجله، وبها يضرب الصيد.
(٤) العجب: الذَّنَب.
(٥) المنسج: ما شخص من فروع الكتفين إلى أصل العنق.
(٦) الخبر في عيون الأخبار ٢/٦٨.
(٧) الحضر: ارتفاع الفرس في عدوه.
(٨) السوم: التكليف.
(٩) تخامص: تجافى. وحشي كل شيء: شقه الأيسر، وإنسيه: شقه الأيمن، وقد قيل بخلاف ذلك.
(١٠) ديوان الأعشى ١٧١، والبيت الثاني في اللسان (نضا)، والأساس (نضو)، وبلا نسبة في اللسان والتاج (عتم).
(١١) يَسَّر: هيّأ. الغِرار: حد السيف والرمح والسهم. أمين القوى: الوتر. المترنم: القوس.
(١٢) النضي: نصل السهم. اللبان: الصدر. لم يعتم: لم يبطئ.

قال: ووضع: «على» موضع: «عن».

١٦٠٢ - [ميل شقشقة الجمل ولسان الثور]

وفي بابٍ آخرَ يقول أوسُ بن حَجَر[١]: [من البسيط]

أوْ سرَّكم في جُمادَى أن نصالحكم إذِ الشقاشق معدولٌ بها الحَنَكُ[٢]

وذلك أنه ليس في الأرض جملٌ هاج وأخرج شِقْشِقَتَه إلا عدَلَ بها إلى أحد شِقَّي حنَكه، والثورُ إذا عدا عدل بلسانه عن شِقٍّ شماله إلى يمينه. وقال عَبْدَةَ بن الطبيب[٣]: [من البسيط]

مُستَقبِلَ الريحِ يهفو وهو مُبْتَرِكٌ لِسانه عن شِمَالِ الشِّدقِ معدولُ[٤]

١٦٠٣ - [حال الثور عند الكر والفر]

قال: وإذا كرَّ الكلبُ أو الثور فهو يصْنَعُ خلاف صَنيعِه عند الفرّ. وقال الأعشى[٥]: [من الطويل]

فلما أضاء الصُّبْحُ قامَ مُبادراً وحان انطلاقُ الشاةِ من حيثُ يَمما
فَصَبَّحَهُ عندَ الشروق غُدَيَّةً كلابُ الفَتى البكريِّ عَوف بن أرْقما
فأطْلَقَ عن مجنوبِها فاتَّبعْنَهُ كما هيَّج السامي المعسِّلُ خَشْرَمَا[٦]
فأنحى عَلَى شؤْمَى يديهِ فذادها بأَظْمأَ مِنْ فَرْعِ الذُّؤابَةِ أَسْحَما[٧]

---

(١) ديوان أوس بن حجر ٨٠، والمعاني الكبير ٨٦٨، ١١٤٥.

(٢) في المعاني الكبير: «قال: كان هذا في جمادى، يقول: أَسَرَّكم أنا سلم لكم في هذا الوقت. ذلك أن بني عامر لما قتلوا بني تميم يوم جبلة قالوا: لم يبق منهم إلا يسير فنغزوهم فنستأصلهم. فغزوهم يوم ذي نجب فقتلتهم تميم. وقوله: إذ الشقاشق معدول بها الحنك، يريد: إذ تهدرون، والشقشقة أبداً تكون من جانب».

(٣) هو البيت (٤١) من قصيدته في المفضليات ١٤٠.

(٤) مستقبل الريح: يستروح بها من حرارة التعب وجهد العَدْو. المبترك: المعتمد في سيره لا يترك جهداً. معدول: مُمال.

(٥) ديوان الأعشى ٣٤٥، والبيت الأول في اللسان (خيم، شوه)، والتاج (خيم)، والمذكر والمؤنث ١١٥، وبلا نسبة في المخصص ٨/٣٩، ٤٣، ١٦/١١١. والبيت الرابع للقطامي في ديوانه ١٨١، واللسان والتاج (شأم)، والمخصص ٢/٣، ١٥/١٩١.

(٦) المعسل: الذي يجمع العسل من الخلية. الخشرم: جماعة النحل.

(٧) أنحى: اعتمد. الشؤمى: نقيض اليمنى. الأظمأ: القرن الصلب.

ثم قال:

وأدبَر كالشِّعْرَى وُضُوحاً ونُقْبَةً   يُواعِسُ من حُرِّ الصَّرِيمةِ مُعظَما[1]

١٦٠٤ - [علة غزو العرب أعداءهم من شق اليمين]

قال: ولعلمِ العرب بأن طبع الإنسان داعيةٌ إلى الهرب من شِقِّ الشمال، يحبُّون أن يأتوا أعداءهم من شِقِّ اليمين. قال: ولذلك قال شُتيم بن خُويلدٍ: [من الطويل]

فجئناهمُ من أيمنِ الشّق غُدْوَةً   ويأتي الشّقيَّ الحَين من حيث لا يدري

وأما روايةُ أصحابنا فهي: «فجئناهم من أيمنِ الشق عندهم».

١٦٠٥ - [الأعسر من الناس واليَسَر]

وإذا كان أكثُر عمل الرجُل بيساره كان أعسَر، فإذا استوى عملاً بهما قيل«أعسرُ يسَرَ»[2]، فإذا كان أعسر مُصْمَتاً فليس بمستوى الخلق، وهو عندهم إذا كان كذلك فليس بميمون الخلْق. ويشتقُّون من اليد العُسْرى العُسْر والعُسرة. فلما سمَّوها الشّمال أجْرَوْها في الشؤْم وفي المشؤُوم على ذلك المعنى. وسموها اليد اليَسارَ واليدَ اليسرى على نَفْيِ العُسر والنكَد، كما قالوا: سليم، ومفازة. ثم أفصحوا بها في موضعٍ فقالوا اليد الشؤْمَى.

١٦٠٦ - [مما قيل من الشعر في الشمال]

ومما قالوا في الشمال قولُ أبي ذُؤيب[3]: [من الطويل]

أبِالصَّرمِ من أسماء جدَّ بكَ الذي   جَرَى بيننا يومَ استَقَلَّت رِكَابُها

زجَرْتَ لها طَيرَ الشّمالِ فإن يكن   هَوَاك الذي تهوى يُصِبْكَ اجْتنَابُها

وقال شُتيم بن خويلد[4]: [من المتقارب]

وقلتُ لسَيِّدنا يا حليم   إنّك لم تَأْسُ أَسْواً رفيقَا

---

(١) الشعرى: نجم. النقبة: اللون. المواعسة: ضرب من السير. الحُرُّ: وسط الشيء. صريمة الثور: رملته التي هو فيها.

(٢) في النهاية ٥/٢٩٧: «كان عمر أعسر يسراً»، وهو الذي يعمل بيديه جميعاً ويسمى الأضبط.

(٣) شرح أشعار الهذليين ٤٢، وديوان الهذليين ١/٧٠، والبيت الثاني في اللسان (طير، شمل، هوا)، وللهذلي في الجمهرة ٢٧٢، وبلا نسبة في المقاييس ٤/٢٣.

(٤) الأبيات في معجم الشعراء ٣١١ في ترجمة معاوية بن حذيفة، والبرصان ٣٥١، والبيان ١/١٨١-١٨٢، واللسان (خفق)، والخزانة ٥/١٧٠، وتقدمت الأبيات في ٣/٣٩، الفقرة (٥٨١).

زجرتَ بها ليلةً كلها | فجئت بها مُؤْيِداً خَنفقيقا
أعنتَ عَديّاً على شأْوِهَا | تُعادي فريقاً وتبقي فريقا
أَطَعْتَ عُرَيْبَ إِبْطَ الشمَال | تُنَحِّي لحدِ المَواسي الحُلوقا

وقال آخر(١): [من الطويل]

وهوَّنَ وجدْي أنني لم أكنْ لهم | غرابَ شِمَال ينفضُ الرِّيشَ حاتما(٢)

وإذا مال شِقُّهُ قالوا: احْولَّ شِقُّه. وقال الأشتر بن عُمارة(٣): [من المتقارب].

عَشيَّةَ يدعو معْتَرٌ يالَ جعْفَرٍ | أخوكم أخوكم أحْوَلُ الشِّقِّ مائلُه

وقال آخر(٤): [من المنسرح]

أيُّ أخ كانَ لي وكنتُ له | أشفَق من والدٍ على ولدِ
حتى إذا قاربَ الحوادثُ من | خَطْوي وحلَّ الزمانُ من عُقَدي
احولّ عنّي وكان ينظُر من | عيني ويرمي بِساعدِي ويَدِي

١٦٠٧ - [الوقت الجيد في الحمل على الشاء]

قال الأصمعيّ: الوقت الجيِّد في الحمل على الشاء أن تخلّى سبعةَ أشهُرٍ بعد ولادها. ويكون حملها خمسة أشهر، فتولَّد في كل سنَة مرة. فإن حُمِل عليها في كل سنة مرتين فذلك الإمغال، يقال: أمغَل بنو فُلانٍ فهم مُمْغلون، والشاةُ ممغل.

وإذا وُلِّدت الشاةُ ومضَى لها أربعةُ أشهر فهي لجبة، والجميع اللِّجاب واللَّجبات. وذلك حين يأخذ لبنها في النقصان.

١٦٠٨ - [استطراد لغوي]

قال: والأير من البعير: المِقْلَم، ومن الحافر الجُرْدَان، ومن الظلف كله: القضيب. ومن الفرَس العتيق: النَّضِيّ. زعم ذلك أبو عبيدة.

---

(١) البيت للحارث بن حرجة الفزاري في أساس البلاغة (شمل). وللحارث بن عمرو الفزاري في الوحشيات ٦٢.

(٢) الحاتم: الغراب الأسود.

(٣) البيت في البرصان ٢٧٢، والنقائض ٩٣٠، والبيت قاله في يوم هراميت.

(٤) الأبيات لمحمد بن حزم الباهلي في ديوانه ٤٧، والعقد الفريد ٢/٣٤٧، ولأبي الشيص في البرصان ٢٧٢، وبهجة المجالس ١/٧١١، وبلا نسبة في عيون الأخبار ٣/٨١.

وما أراد من الحافر الفحلَ فهو الوِداق، وهو من الإبل الضَّبَعة، ومن الضأن الحُنوّ. ويقال: حنَت تحنو حُنُوّاً، وهي نعجةٌ حانٍ كما ترى. وما كان من المعْز فهو الحِرْمَة. ويقال: عنز حَرْمَى. وأنكر بعضهم قولهم: «شاةٌ صارف» وزعم أنه مولد.

قال: وهو من السباع الإجعال، يقال: كلبةٌ مُجْعِل. فإذا عظُم بطنها قيل أجَحَّتْ فهي مُجِحّ.

وما كان من الخف فهو مِشْفَر، وما كان من الغنم فهو مِرَمّة، وما كان من الحافر فهو جَحْفَلةٌ.

١٦٠٩ - [استطراد لغوي آخر]

وإذا قلتَ لكلٍّ ذات حمْلٍ وضعتْ، جاز. فإذا ميزْتَ قلت للخف: نُتِجَتْ، وللظِّلف: ولَدت. والبقرةُ تجري هذا المجرى. وقلتَ للحافر: نتجَتْ.

ويقال للحافر من بين هذا كله إذا كان في بطنها ولد: نَتوج. وإذا عظم بطنُ الحافر قيل قد أعقّتْ فهي عَقوق، والجماعُ عُقُقٌ، وبعضهم يقول: عقائق.

ويقال للبقرة الوحشية نعجة. والبقرة تجري مجرى الضائنة في حالها.

وما كان من الخف فصوته بُغام. فإذا ضجَّتْ فهو الرُّغاء. فإذا طرِّبت في إثر ولَدها قيل حنَّتْ. فإذا مدت الحنين قيل سَجَرت.

قال: والإلماعُ في السباع وفي الخيل، دون البهائم، وهو أن تشرق ضروعها.

قال: والخروف في الخيل والضأن، دون البهائم كلها.

قال: ويقال للطير: قد قمطها يقمطها. ويقال للتيس والكلب: قد سَفِدَ يُسْفَد سِفاداً. ويقال في الخيل: كامها يكُومُها كَوْماً، وكذلك في الحافر كلِّه. وفي الحمار وحده: باكها يبُوكها بَوْكاً.

١٦١٠ - [ما له سَبَد ولا لَبَد]

وتقول العرب[١]: «ما له عندي سَبَدٌ ولا لَبَد». فقدّموا السَّبَد، ففي هذا المعنى أنهم قدموا الشَّعر على الصوف.

فإن قال قائل: فقد قدَّموا في مواضع كثيرةٍ ذكرَ ما هو أخَسُّ فقالوا: «ما له

(١) انظر ما تقدم ص ٢٥٥.

عندي قليلٌ ولا كثير»، و«العِير والنَّفير»[١] حتى قالوا: الخلّ والزيت، وقالوا: ربيعة ومُضَر، وسُلَيم وعامر، والأوس والخزرج. وقال اللّه: ﴿لاَ يُغادِرُ صَغِيرةً ولاَ كَبِيرةً إلاَّ أَحْصَاهَا﴾[٢].

والذي يدلُّ على أن ذلك الذي قلنا كما قلنا قولُ الراعي[٣]: [من البسيط]

حتى إذا هبَطَ الغيطانَ وانقطعت ... عنه سلاسل رَمْلٍ بينها عُقَدُ

لاقى أطيْلِسَ مَشّاءً بأكْلُبِهِ ... إثْرَ الأوابد ما يَنْمِي له سَبَدُ[٤]

فَقَدَّمَ السَّبدَ. ثم قال:

يُشْلِي سَلُوقيَّة زُلاًّ جواعِرُها ... مِثلَ اليعاسيب في أصلابها أوَدُ[٥]

وقال الراعي:

أما الفقيرُ الذي كانت حَلُوبَتُه ... وَفْقَ العِيالِ فلم يُتْرَكْ له سَبَدُ[٦]

وهو لو قال: لم يُترك له لَبَد، ولو قال: ما ينمي له لَبَدَ ـ لقام الوزْنُ، ولكان له معنى. فدلَّ ذلك على أنه إنما أراد تقديم المقدَّم.

١٦١١ - [مفاخرة بين صاحب الضأن وصاحب الماعز]

قال صاحب الضأن: فَخَرتم على الضأن بأن الإنسان ذو شعر، وأنه بالماعز أشبه، فالإنسان ذو أليةٍ، وليس بذي ذنب، فهو من هذا الوجه بالضأن أشبه.

قال صاحبُ الماعز: كما فخرتم[٧] بقوله: ﴿ثمَانية أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأنِ اثْنَيْنِ﴾[٨] وقلتم: فقد قدَّمها، فقال اللّه: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ﴾[٩].

---

(١) العير: ما كان من قريش مع أبي سفيان، والنفير: ما كان منهم مع عتبة بن ربيعة، يوم بدر.

(٢) ٤٩ / الكهف: ١٧.

(٣) ديوان الراعي النميري ٦٩.

(٤) أطيلس: تصغير أطلس، وهو من الرجال الدنس الثياب الوسخ، وأراد به هنا الصائد. الأوابد: الوحش.

(٥) الزل: جمع زلاء، وهي الخفيفة الوركين. الجاعرة: رأس أعلى الفخذ. الأود: العوج.

(٦) وفق العيال: أي لها لبن يكفيهم.

(٧) انظر ما تقدم ص٢٤٢.

(٨) ١٤٣ / الأنعام: ٦.

(٩) ١٣٠ / الأنعام: ٦.

فإن وجب لضائنك التقديمُ على الماعز بتقديم هذه الآية ـ وجَبَ للجنِّ التقديمُ بتلك الآية.

١٦١٢ - [ذكر أجناس من الحيوان والهمج في القرآن]

علّمك اللّه علماً نافعاً، وجعلَ لك من نفسك سامعاً، وأعاذك من العُجْبِ، وعرّفك لباسَ التقوى، وجعَلك من الفائزين.

اعلمْ، رحمك اللّه تعالى، ان اللّه جل وعز قد أضاف ست سُوَر من كتابه إلى أشكال من أجناس الحيوان الثلاثة، منها مما يسمونها باسم البهيمة وهي سورة البقرة، وسورة الأنعام، وسورة الفيل، وثلاثة منها مما يعدون اثنتين منها من الهمج[١]. وواحدةً من الحشرات[٢].

فلو كان موقع ذِكر هذه البهائم، وهذه الحشرات والهمج، من الحكمة والتدبير، موقِعَها من قلوب الذين لا يعتبرون ولا يفكرون، ولا يميزون، ولا يحصلون الأمور، ولا يفهمون الأقدار ـ لما أضاف هذه السور العظامَ الخطيرة، و الشريفة الجليلة، إلى هذه الأمور المحقّرة المسْخِفَة[٣]، والمغمورة المقهورة.

ولأمر ما وضعها في هذا المكان، ونوَّه بأسمائها هذا التنويه. فافهم، فإن الأديبَ الفَهِم[٤]، لا يعوِّد قلبَه الاسترسال. وخُذْ نفسَك بالفكرة، وقلبَك بالعبْرة.

١٦١٣ - [القول في الضفادع]

وأنا ذاكرٌ من شأن الضفدع من القول ما يحضر مثلي. وهو قليلٌ في جنب ما عند علمائنا. والذي عند علمائنا لا يحَسُّ في جنب ما عند غيرهم من العلماء. والذي عند العلماء قليل في جنب ما عند الأنبياء، والذي عند الأنبياء قليل في جنب ما عند اللّه تبارك وتعالى.

من ذلك الضِّفدِع[٥]، لا يصيحُ ولا يمكنه الصياح حتى يدخل حنكَه الأسفل

---

(١) إشارة إلى سورتي النحل والعنكبوت.

(٢) إشارة إلى سورة النمل.

(٣) ارض مُسْخِفَة: اي قليلة الكلأ.

(٤) الفهِم: السريع الفهْم.

في الماء. فإذا صار في فمه بعض الماء صاح. ولذلك لا تسمعُ للضفادعِ نقيقاً إذا كُنَّ خارجاتٍ من الماء.

والضفادعُ من الحيوان الذي يعيشُ في الماء، ويبيضُ في الشطّ، مثل الرّق[1] والسُّلحفاة، وأشباه ذلك.

والضفادعُ تنقّ، فإذا أبصرت النار أمسكت[2].

١٦١٤ - [زعم في تخلُّق الضفادع][3]

والضفادع من الحيوان الذي يُخلق في أرحام الحيوان، وفي أرحام الأَرَضِين، إذا ألقحتها المياه، لأن اليَخَّ[4] بخراسان يُكبس في الآزاج[5]، ويحالُ بينه وبين الرِّيح والهواء والشمس، بأحكمِ ما يقدرون عليه وأوثقه. ومتى انْخرق في تلك الخزانة خَرْقٌ في مقدار مَنْخِرِ الثور حتى تدخلَه الريح، استحال ذلك اليخُّ كله ضفادع.

ولم نعرف حقَّ هذا وصدقَه من طريق حديث الرجل والرجلين، بل نجدُ الخبرُ عنه كالإطباق، وكالخبر المستفيض الذي لا معارضَ له.

١٦١٥ - [أعجوبة في الضفادع]

وفيها أعجوبة أخرى[6]: وذلك أنا نجد، من كِبارها وصغارها، الذي لا يحصى في غِبِّ المطر[7]، إذا كان المطر ديمة، ثم نجدُها في المواضع التي ليس بقربها بحرٌ ولا نهرٌ، ولا حوضٌ، ولا غديرٌ، ولا وادٍ، ولا بيرٌ. ونجدها في الصَّحاصح الأماليس[8]، وفوق ظهورِ مساجد الجماعة. حتى زعم كثيرٌ من المتكلفين، ومن أهل الخسارة[9] وممن لا يحتفل بسوء الحال عند العلماء، ولا يكترث للشكّ - أنها كانت في السحاب.

---

(٥) انظر هذه الفقرة في ربيع الأبرار ٥ / ٤٤٠.

(١) الرق: السلحفاة المائية.

(٢) انظر ما تقدم ٤ / ٥٠١، الفقرة (١٢٥٩).

(٣) وردت هذه الفقرة باختصار في ربيع الأبرار ٥ / ٤٤٠. وتقدمت في ٣ / ١٧٦.

(٤) اليخ: الجليد؛ والثلج. انظر السامي في الأسامي ٣٤٣، ومعجم استينجاس ١٥٢٨.

(٥) الآزاج: جمع أزج، وهو بيت يبنى طولاً.

(٦) وردت الأعجوبة في ربيع الأبرار ٥ / ٤٤٠.

(٧) غب المطر: بعده.

(٨) الصحصح: الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار. الإمليس: الأرض التي ليس بها شجر ولا يبيس ولا كلأ ولا نبات ولا يكون فيها وحش.

ولذلك طمع بعضُ الكذّابين ممن نَكْرَهُ اسمه، فذكر أن أهل أيذَج مُطِروا مرةً أكبر شبابيطَ في الأرض، وأسمنَها وأعذَبها وأعظمها، وأنهم اشتوَوا، وملّحوا، وقرّسوا[1]، وتزوّدَ منه مسافرهم. وإنما تلك الضفادع شيءٌ يخلق في تلك الحال بمزاوجَة الزمان، وتلك المطرة، وتلك الأرض، وذلك الهواء.

١٦١٦ - [معارف في الضفدع]

والضفادعُ من الخلْق الذي لا عظامَ له[2].

ويزعم أصحاب الغرائب أن العَلاجيمَ[3] منها الذكورة السود.

ويقال: «أرْسَح مِن ضِفدِعٍ»[4].

وتزعمُ الأعرابُ أن الضفدِع كان ذا ذنب، وأن الضَّبَّ سلبه إياه[5] وذلك في خُرافة من خرافات الأعراب. ويقول آخرون: إن الضفدع إذا كان صغيراً كان ذا ذنب، فإذا خرجتْ له يدانِ أو رجلان سقَطَ.

١٦١٧ - [طائفة من الأمثال]

وتقول العرب: «لا يكون ذلك حتى يُجمع بين الأرْوَى والنعام»[6] و«حتى يُجمع بين الماء والنار»، و«حتى يشيبَ الغراب»[7]، و«حتى يَبْيَضَّ القار»[8]، و«حتى تقع السماءُ على الأرض».

ومن حديث الأمثال: «حتى يجيءَ نشيطٌ من مَرْو»[9]. وهو لأهل البصرة.

---

(٩) الخسارة: الضلال والهلاك.

(١) القريس من الطعام: مشتق من القرس الجامد، وسمي القريس قريساً لأنه يجمد فيصير ليس بالجامس ولا بالذائب.

(٢) سترد هذه العبارة مرة أخرى في الصفحة الثانية ٢٨٠، سطر ١٠.

(٣) العلجوم: الضفدع، وقيل هو الذكر منها الشديد السواد.

(٤) الرسح: خفة لحم العجز والفخذين، والمثل في مجمع الأمثال ١/٣١٥، والمستقصى ١/١٣٩، وجمهرة الأمثال ١/٥٠١، والدرة الفاخرة ١/٢١١.

(٥) انظر هذه الخرافة في مظان المثل.

(٦) المثل برواية: «ما يجمع بين الأروى والنعام» في مجمع الأمثال ٢/٢٧١، والمستقصى ٢/٣٣٥، وأمثال ابن سلام ٢٧٩، وجمهرة الأمثال ٢/١٦٩.

(٧) فصل المقال ٤٧٤، ٤٨٢، والمستقصى ٢/٥٩، وجمهرة الأمثال ١/٣٦٣، وثمار القلوب (٦٧٥).

(٨) ثمار القلوب (٦٧٥).

(٩) مجمع الأمثال ١/٢١٦، وجمهرة الأمثال ١/٣٦١، وثمار القلوب (١٠٠).

و«حتى يجيء مصْقلة من طَبرِسْتانَ»[1]، وهو لأهل الكوفة.

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيْاطِ﴾[2].

وتقول العرب: «لا يكون ذلك حتى يُجمع بين الضب والنون»[3]، و: «حتى يُجمع بين الضفدع والضَّبّ!». وقال الكميت[4]: [من الوافر]

يؤلِّفُ بين ضِفْدِعةٍ وضَبٍّ ... ويَعجبُ أن نَبَرَّ بني أبينا

وقال في النون والضبّ[5]: [من الطويل]

ولو أنهم جاؤوا بشيء مُقارب ... لشيءٍ وبالشكْل الموافق للشّكْلِ
ولكنهم جاؤوا بحيتانِ لُجّةٍ ... قوامِسَ، والمكنيِّ فينا أبا الحِسْلِ[6]

١٦١٨ - [معارف في الضفدع][7]

وهو من الخلق الذي لا يصاب له عَظْم[8]. والضفدعُ أجْحظ الخلق عيناً. والأسد تنتابُها في الشرائع، وفي مَناقِع المياه، والآجام والغياضِ، فتأكلها أكلاً شديداً.

وهي من الخلق المائيّ الذي يصبرُ عن الماء أياماً صالحة. والضفادع تعظُم ولا تسمَن، كالدُّرّاج والأرنب، فإنَّ سِمَنهما أن يحتملا اللحم.

وفي سواحل فارس ناسٌ يأكلونها.

١٦١٩ - [زعم مسيلمة في الضفدع]

ولا أدري ما هيّجَ مسيلمةَ على ذكْرِها، ولِمَ ساء رأيُه فيها، حيثُ جعلَ بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه: يا ضِفْدَع كَمْ تَنقِّين! نصفُكِ في الماء ونصفُكِ في الطين! لا الماء تُكَدِّرِين، ولا الشارب تمنعين[9].

---

(١) جمهرة الأمثال ١/٣٦٢، والمعارف ٤٠٣، ومعجم البلدان ٤/١٥، وثمار القلوب (١٠٠).

(٢) ٤٠/ الأعراف:٧.

(٣) المثل برواية: «حتى يؤلف بين الضب والنون» في مجمع الأمثال ١/٢١٣، والمستقصى ٢/٥٨.

(٤) ديوان الكميت ٢/١١٣، والمعاني الكبير ٦٤٠.

(٥) ديوان الكميت ٢/٥٢.

(٦) القوامس: جمع قامس، والقمس: الغوص. أبو الحسل: كنية الضب.

(٧) انظر هذه الفقرة في ربيع الأبرار ٥/٤٤٠-٤٤١.

(٨) تقدمت هذه العبارة في الصفحة السابقة ٢٧٩، سطر ١١.

(٩) انظر قول مسيلمة في اللسان والتاج (نقق)، وثمار القلوب (٢٦١)، وربيع الأبرار ٥/٥٤١.

١٦٢٠ - [معيشة الضفادع مع السمك]

والضفادعُ من الخلْق الذي يعيشُ مع السمك في الماء. وليس كل شيء يعيشُ في الماء فهو سَمَك. وقد قال الصَّلتانُ العبْدِيّ، في القضاء الذي قضى بين جرير والفرزدق. و الفصْلِ الذي بينهما(١): [من الطويل]

فإن يكُ بحرُ الحنظليِّين زاخراً فما تستوي حِيتانُه والضفادعُ(٢)

١٦٢١ - [طلب الحيَّات والضفادع وإعراضها عن بعض الحيوان]

والحيات تأتي مناقعَ الماء، تطلب الضفادع. والفأر تكون بقرب المياه كثيرةً، فلذلك تأتي الحياتُ تلك المواضعَ. ولأن صيدها من أسهل الصيد عليها، وهي تعرف صيْدها. ألا تراها تحيدُ عن ابن عُرْسٍ، وإن رأتْ جُرَذاً أكبر منه لم تنهْنهْه دون أن تبتلعه؟! وترى الوَرَلَ فتفرُّ منه. وترى الوَحَرة(٣) فتشدُّ عليها، وترى القُنفُذ - وإن صغُر - فلا تجترئُ أنْ تمرّ به خاطفة، وترى الوَبْرة(٤)، وهي مثلُ ذلك القنفذِ مرتين فتأكلها.

ولطلبها الضفادعَ بالليل في الشرائع يقول الأخطل(٥): [من الطويل]

ضفادعُ في ظلْماء ليلٍ تجاوبَتْ فدلَّ عليها صوتها حَيَّةَ البحرِ

وقد سرَق معناه بعضُ الشُّعراء، فقال - وهو يذكر الضفدع، وأنه لا ينقّ حتى يدخل حنَكه الماء(٦): [من الرجز]

يُدْخِل في الأشداق ماءً ينصفُهُ كيما ينِقَّ والنَّقيقُ يُتلفُه

(١) البيت للصلتان العبدي في النقائض ١٠٥٠، والأمالي ٢/١٤١، والشعر والشعراء ٣١٥ (ليدن)، والمؤتلف ١٤٥، والخزانة ١/٣٠٦ (بولاق).

(٢) أراد بالحنظليين جريراً والفرزدق، لأن نسب كلٍّ منهما ينتهي إلى حنظلة.

(٣) الوحرة: دويبة حمراء تلزق بالأرض كالعظاء لا تطأ طعاماً أو شراباً إلا سمّته، وهي على شكل سام أبرص. حياة الحيوان ٢/٤١١.

(٤) الوبرة: دويبة أصغر من السنور، طحلاء اللون: تقيم في البيوت. حياة الحيوان ٢/٤٠٩-٤١٠.

(٥) تقدم البيت في ٣/١٣٠، ٤/٣٧٧.

(٦) تقدم البيت في ٣/١٢٩-١٣٠، الفقرة (٧٢٨)، وهو بلا نسبة في عيون الأخبار ٥/٥٣٢، وحياة الحيوان ١/٦٤٦.

١٦٢٢ - [شعر في الضفادع]

وقال زهير(١): [من البسيط]

وقابلٌ يتغنّى كلما قَدَرَت ... عَلى العَرَاقي يداه قائماً دَفقَا(٢)

يُحيلُ في جدولٍ تحبُو ضفادعُه ... حَبْو الجواري ترى في مائه نُطُقَا(٣)

يخرُجْن من شَرَبَاتٍ ماؤها طحِلٌ ... على الجُذوع يخَفْنَ الغَمّ والغَرَقا(٤)

وقال أوسُ بن حجَر(٥): [من الطويل]

فباكَرْنَ جَوْناً للعلاجيم فوقَهُ ... مَجالِسُ غَرْقَى لا يُحلاَ ناهلُه(٦)

جون قال: يريد غديراً كثيرَ الماء. قال: وإذا كثر الماءُ وكثر عُمْقُه اسودَّ في العين. والعلاجيم: الضفادع السود؛ وجعلها غرقى، يقول: هي فيما شاءت من الماء، كقولك: فلان في خير غامر من قِبَل فلان. وجعل لها مجالس حول الماء وفوقه، لأن هذه الأجناس – التي تعيش مع السمك في الماء وليست بسمك – أكثرُ حالاتهن إذْ لم تكن سمكاً خالصاً أن تظهر علَى شُطوط المياه، وفي المواضع التي تبيض فيها من الدَّغَل(٧). وذلك كالسّرطان والسُّلحفاة، والرَّق(٨)، والضفدع، وكلبِ الماء، وأشباه ذلك.

---

(١) ديوان زهير ٤٣-٤٤، والأول في اللسان والتاج (قبل)، والجمهرة ٣٧٢، وبلا نسبة في المقاييس ٥/٣٥، والثاني في اللسان والتاج (نطق)، وبلا نسبة في اللسان (حول)، والثالث في اللسان والتاج (شرب، طحل)، والتهذيب ٣٨٦/٤، والجمهرة ١٣٢٩، وديوان الأدب ٢٣٤/١، والأساس (طحل).

(٢) في ديوانه: «القابل: الذي يقبل الدلو. والعراقي: الخشبتان كالصليب على الدلو. ودفق الماء: صبه في الحوض. ويقال: قَبِلَ الدلو يقبلها قبالة، إذا تلقاها».

(٣) في ديوانه: «يحيل: يصب. وتحبو ضفادعه كما تحبو الصبيان. وإنما أراد أن الماء في جدول لا ييبس، فهو دائم الماء. ولولا ذلك لم تكن فيه ضفادع. والنطُق: الطرائق، واحدها نطاق. وقال أبو عمرو: وهو أن يجتمع الغُثاء على الماء فيصير كأنه نطاق حوله إذا يبس».

(٤) في ديوانه: «الشربات: واحدتها شَرَبة، وهي حياض تحفر في أصول النخل من شق واحد؛ فتملأ ماء. طحل: كدر.

(٥) البيت في ملحق ديوان أوس بن حجر ١٤٠، والمعاني الكبير ٦٣٩، والعمدة ٢٥١/٢، وهو لطفيل الغنوي في ديوانه ٨٤، وبلا نسبة في كتاب الجيم ٣٤٥/٢.

(٦) يحلأ: يمنع من ورود الماء.

(٧) الدغل: الشجر الكثيف الملتف.

(٨) الرق: السلحفاة المائية.

١٦٢٣ - [استطراد لغوي]

ويُقال: نقّ الضفْدِع ينقُّ نقيقاً، وأنقض ينقِضُ إنقاضاً.

وقال رُؤبةُ[١]: [من الرجز]

إذا دنا منهن إنقاض النُّقُقْ ... في الماء والساحلُ خضخاضُ البَثَقْ[٢]

١٦٢٤ - [سمع الضفدع]

وقد زعم ناسٌ أن أبا الأخْزَر الحمّاني حيث قال: [من الرجز]

تسمَّع القِنْقِنِ صوتَ القنقنِ[٣]

إنما أراد الضفدع. قالوا: وكذلك الطِّرماحُ حيث يقول[٤]: [من الطويل]

يخافتْنَ بعض المضغِ من خشيةِ الرّدَى ... ويُنْصِتْنَ للصوتِ انتصاتَ القناقِنِ

قالوا: لأن الضفدع جيِّد السمع إذا تركَ النقيق وكان خارجاً من الماء. وهو في ذلك الوقت أَحذر من الغراب[٥] والعصفور والعَقْعَق[٦]، وأسمعُ من فرَس[٧]، وأسمع من قُراد[٧]، وأسمع من عُقاب[٨]. وبكل هذا جاء الشعر.

ذكر ما جاء في الضفادع في الآثار

إبراهيم بن أبي يحيى، عن سعيد بن أَبي خالد بن فارض، عن سعيد بن المسيب، عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي «أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الضفدع»[٩].

---

(١) ديوان رؤبة ١٠٣، واللسان (مصع، نقق)، والتاج (بثق).

(٢) الخضخاض: الكثير الماء والشجر. البثق: أراد به الزرع نفسه.

(٣) القنقن: الذي يسمع فيعرف مقدار الماء في البئر قريباً أو بعيداً.

(٤) ديوان الطرماح ٤٨٥ (٢٦٨)، واللسان والتاج (نصت، قنن)، والأساس (قنن)، والتهذيب ٨/٢٩٤، ١٢/١٥٥، وبلا نسبة في الجمهرة ١٢٠٩، والعين ٥/٢٧.

(٥) أحذر من غراب: من الأمثال في مجمع الأمثال ١/٢٢٦، والمستقصى ١/٦٢، وجمهرة الأمثال ١/٣٩٦.

(٦) أحذر من عقعق: من الأمثال في مجمع الأمثال ١/٢٢٧، والمستقصى ١/٦١، وجمهرة الأمثال ١/٣٩٦.

(٧) مجمع الأمثال ٢/٣٤٩، وأمثال ابن سلام ٣٦٠، والمستقصى ١/١٧٣، وفصل المقال ٤٩٢.

(٨) المستقصى ١/١٧٣، ومجمع الأمثال ١/٣٥٥.

(٩) ربيع الأبرار ٥/٤٤١.

قال: وحدَّثنا سعيد عن قتادة قال: سمعتُ زُرارةَ يحدِّث أنه سمع عبد اللّه بن عَمْرو يقول: «لا تسبُّوا الضفادع فإنَّ أصواتها تسبيح»[1].

قال: وحدثنا هشامٌ صاحبُ الدّستوائي، عن قتادة عن زُرارةَ بنِ أوفى، عن عبد اللّه بن عمرو أنه قال: « لا تقتلوا الضفادعَ، فإن نقيقهُنَّ تسبيحٍ، ولا تقتلوا الخفاش، فإنه إذا خرب بيت المقدس قال: يا ربِّ سلِّطني على البحر حتى أغرقهم».

وعن حماد بن سَلمةَ، عن قتادة، عن زُرارة، قال: قال عبد الله بن عمرو:« لا تقتلوا الخفاش، فإنه استأذن البحر أن يأخذ من مائه فيطفئَ بيتَ المقدس حيث حرِّق. ولا تقتلوا الضفادع، فإن نقيقها تسبيح».

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، وفي إسناد له: : أن طبيباً ذكر الضِّفدعِ عند النبي صلى اللّه عليه وسلم، ليُجْعل في دواء، فنهى النبي صلى اللّه عليه وسلم عن قتل الضفدع».

١٦٢٥ - [ما يوصف بجودة الحراسة وشدة الحذر]

والعربُ تصف هذه الأصناف التي ذكرناها بجودة الحراسة، وبشدة الحذَر، وأعطَوا الثعلبَ والذِّئب أموراً لا يبلغها كثيرٌ من الناس.

١٦٢٦ - [قول عجيب لصاحب المنطق في الغرانيق]

وقال صاحبُ المنطق في الغرانيق[2] قولاً عجيباً. فزعم أن الغرانيق من الطيور القواطع[3]، وليست من الأوابد. وأنها إذا أَحسّتْ بتغيُّرِ الزمان اعتزمت على الرجوع إلى بلادها وأوكارها. وذكر أنها بعيدةٌ سحيقة. قال: فعند ذلك تتخذ قائداً وحارساً، ثم تنهض معاً، فإذا طارت ترفعت في الجواء جدّاً، كي لا يعرض لها شيء من سباع الطير، أو يبلغَها سهمٌ أَو بُنْدُق. وإن عاينَتْ غيماً أو مطراً، أو خافَتْ مطراً، أو سقطتْ لطلبِ ما لا بدَّ لها منه من طعم، أو هجم عليها الليل ـ أمسكَتْ عن الصياح، وضمَّتْ إليها أجنحتها. فإذا أرادت النوم أدخل كل واحد منها رأسَه تحتَ جناحه، لأنه يرى أن الجناح أحْمَلُ لما يَردُ عليه من رأسه، أَو بعض ما في رأسه: من العينِ وغير ذلك،

---

(١) ربيع الأبرار ٥ / ٤٤١.

(٢) الغرانيق: نوع من الكراكي، وهو طائر أبيض طويل العنق، من طير الماء. حياة الحيوان ٢ / ١١٣.

(٣) القواطع: التي تقطع إلى الناس، أي ترحل إليهم.

ويعلم أنه ليس بعد ذهاب الرأس حياة. ثم ينام كل واحد منها وهو قائم على رجليه، لأنه يظن أنه إن مكّنهما نام إن كان لا يحب النوم. أوْ نام نوماً ثقيلاً إن كان يحب أن يكون نومُه غراراً[1]. فأما قائدها وسائقها وحارسُها، فإنه لا ينامُ إلا وهو مكشوفُ الرأس. وإن نام فإن نومُه يكونُ أقلُّ من الغِشاش[2]. وينظُرُ في جميع النواحي، فإن أحسَّ شيئاً صاحَ بأعلى صوته.

١٦٢٧ - [صيد طير الماء]

وسألتُ بعضَ من اصطادَ في يومٍ واحد مائة طائر من طير الماء، فقلت له: كيف تصنعون؟ قال: إن هذا الذي تراه ليس من صيْدِ يوم واحد، وإن كلّه صيدَ في ساعة واحدة. قلت له: وكيف ذاك؟ قال: وذلك أنا نأتي مناقعَ الماء ومواضعِ الطير، فنأخذ قَرعةً يابسة صحيحة. فنرمي بها في ذلك الماء، فإذا أبصرها الطير تدنو منه بدفع الرِّيحِ لها في جهته، مرة أو مرتين فزِع. فإذا كثر ذلك عليه أنس. وإنما ذلك الطير طير الماء والسّمك[3]، فهي أبداً على وجه الماء. فلا تزالُ الرِّيح تقرِّبها وتباعدها، وتزداد هي بها أُنْساً، حتى ربما سَقَط الطائرُ عليها، والقرعة في ذلك إما واقفةٌ في مكان، وإما ذاهبةٌ وجائية. فإذا لم نرها تنفرُ منها أخذنا قَرعة أُخرى، أو أخذناها بعينها، وقطعنا موضعَ الإبريق[4] منها، وخرَقْنا فيها موضعَ عينين، ثم أخَذَها أحَدُنا فأدخَلَ رأسَه فيها، ثم دخل الماء ومشى فيه إليها مشياً رُوَيْداً، فكلما دنا من طائر قبض على رجليه ثم غمسه في الماء، ودقّ جَناحَه وخَلاّهُ، فبقي طافياً فوق الماء يسبحُ برجليه، ولا يطيقُ الطيران، وسائرُ الطير لا ينكر انغماسه. ولا يزال كذلك حتى يَأتيَ على آخر الطير. فإذا لم يبق منها شيء رَمى بالقرعة عن رأسه، ثمّ نلقطها ونجمعها ونحملها.

١٦٢٨ - [نفع الضفدع]

قال: ومن جيِّدِ ما يُعالجَ به الملسوعُ، أن يُشَقَّ بطنُ الضفدع، ثم يرفَد[5] به موضع اللسعة. ولسنا نعني لدغة الحية، وإنما نعني لسعة العقرب.

---

(١) غراراً: قليلاً خفيفاً.

(٢) الغشاش: القليل.

(٣) أي الطائر الذي يغتذي بالسمك.

(٤) أراد طرفها الدقيق.

(٥) الرفد: وضع الرفادة على الجرح، وهي الخرقة.

١٦٢٩ - [حيرة الضفدع والأسد عند رؤية النار]

والضفدع إذا رأى النار أمسك عن النقيق[١]، وإذا رأى الفجر.والأُسدُ إذا رأت النار أحجمت عن الإقدام. وإذا اشتد الأصوات.

١٦٣٠ - [استطراد لغويّ]

قال: ويقال للضفدع: نقّ ينقّ، وهدر يهدِر. وقال الراعي: [من المتقارب]

فأوردهُنَّ قبيلَ الصباح عيـناً ضَفادعُـها تَهْدِرُ

١٦٣١ - [قول صاحب المنطق في الضفادع والسمك]

وأما قولُ صاحبُ المنطق في أن الضفادع لا تنقّ حتى تُدخِلَ فكها الأسفل في الماء، لأن الصوت لا يجيئُها حتى يكون في فكها ماء، فقد قال ذلك، وقد وافقه عليه ناسٌ من العلماء، وادعوا في ذلك العِيان[٢].

فأما زعمه أن السمكة لا تبتلع شيئاً من الطعم إلا ببعض الماء، فأيُّ عيان دلَّ على هذا ؟! وهذا عَسِرٌ.

القول في الجراد

أَحضِرْني على اسم اللّه ذهنك، وفرِّغْ لما أُلقيه إليك قَلْبَكَ، فربَّ حرْف من حروف الحكَم الشريفة، والأمثال الكريمة - قد عَفا أثرُه، ودثر ذكرُه، ونبا الطَّرفُ عنه، ولم يُشغَل الذهنُ بالوقوف عليه. وربَّ بيتٍ هذا سبيله، وخطبةٍ هذه حالها.

ومدارُ الأمر على فهم المعاني لا الألفاظ، والحقائق لا العبارات. فكم من دارس كتاباً خرَج غُفْلاً كما دخل، وكم من متفهِّم لم يفهم؟! ولن يستطيع الفهم إلا من فرَّغ قلبه للتفهم، كما لا يستطيعُ الإفهام إلا من صحت نيتُه في التعليم.

١٦٣٢ - [فضل الإنسان على سائر الحيوان]

فأقول: إن الفرق الذي بين الإنسان والبهيمة، والإنسان والسَّبُع والحشرة، والذي صَيَّرَ الإنسان إلى استحاق قول اللّه عز وجلَّ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ ما في السَّموَاتِ

---

(١) انظر ما تقدم ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٢) انظر ما تقدم ص ٢٧٧ - ٢٧٨، وربيع الأبرار ٥ / ٤٤٠.

وما في الأرْضِ جَميعاً مِنْهُ﴾[١] ليس هو الصورة، وأنه خُلِقَ من نطفة وأن أباه خلق من تراب، ولا أنه يمشي على رجليه، ويتناول حوائجه بيديه، لأن هذه الخصالَ كلها مجموعة في البُلْه والمجانين، والأطفال والمنقوصين.

والفرق الذي هو الفَرق إنما هو الاستطاعة والتمكين. وفي وجُودِ الاستطاعة وجودُ العقل والمعرفة. وليس يوجِبُ وجودُهما وُجودَ الاستطاعة.

وقد شرَّف اللّه تعالى الجانَّ وفَضّله على السّبُع والبهيمة، بالذي أَعطاه من الاستطاعة الدالة عَلَى وجود العقل والمعرفة.

وقد شَرَّف اللّه الملائكة وفضلهم عَلَى الجانّ، وقدمهم علَى الإنسان وألزمهم من التكليف عَلَى حسب ما خوَّلهم من النعمة. وليست لهم صورة الإنسان ولم يخْلَقُوا من النُّطَف، ولا خُلق أبوهم من التراب. وإنما الشأنُ في العقل، والمعرفة، والاستطاعة.

أفتظنُّ أَن اللّه عز وجل يخصُّ بهذه الخصال بعضَ خلقه دون بعض، ثم لا يطالبهم إلا كما يطالب بعضَ من أعدمه ذلك ، وأعْراه منه؟! فلِمَ أعطاه العقل،إلا للاعتبار والتفكير؟! ولِمَ أعطاه المعرفة، إلا ليؤْثر الحقَّ على هواه؟! ولِمَ أعطاهُ الاستطاعة، إلا لإلزام الحجة؟!

فهل فكَّرتَ قطُّ في فصل[٢] ما بينك وبين الخلق المسخَّر لك، وبين الخلق الذي جُعل لك والخلق المسلط عليك؟! وهل فكَّرت قط في فصل ما بين ما جعله عليك عادياً؟! وبين ما جعله لك غاذياً؟! وهل فكرتَ قطُّ في فصل ما بين الخلق الذي جُعل لك عذاباً، والخلق الذي جعُل لك قاتلاً، وبين ما آنسه بك وبين ما أوْحَشَهُ منك، وبين ما صغَّره في عينك وعظّمه في نَفسك، وبين ما عظَّمه في عينك وصغَّره في نفسك؟!.

بل هل فكرت في النحلة والعنكبوت والنملة، أنت ترى اللّه تقدَّس وعزّ كيف نوّه بذكرها ورفع من قدرها، وأضاف إليها السُّوَر العظامَ، والآيات الجسامَ، وكيفَ جعل الإخبارَ عنها قرآناً وفرقاناً، حيث يقول: ﴿وَأَوْحَى ربُّكَ إلى النَّحْلِ﴾[٣]. فقفْ

---

(١) ١٣/ الجاثية: ٤٥.

(٢) الفصل: الفرق.

(٣) ١/ النحل: ١٦.

عَلَى صغر النحلة وضعْفَ أيْدها[1]، ثم ارْم بعقلك إلى قول اللّه: ﴿ثمَّ كلي مِنْ كلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّك ذُلُلاً﴾[2] فإنك تجدُها أكبر من الطَّود، وأوسعَ من الفضاءِ. ثم انظر إلى قوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وادي النَّمْلِ﴾[3]. فما ترى في مقدار النملة في عقل الغبيِّ، وغير الذّكيِّ؟! فانظر كيف أضاف الوادي إليها، وخبر عن حذرها ونصحها لأصحابها، وخوفها ممن قد مُكّنَ، فإنك تجدُها عظيمةَ القدر، رفيعةَ الذكر، قد عظمها في عقلك، بعد أن صغرها في عينك.

١٦٣٣ - [عَجزُ الإنسان وصِغَرُ قَدْرِه]

وخبِّرني عن اللّه تعالى، أمَا كان قادراً أن يعذِّب الكنعانيينَ، والجبابرة، والفراعنة، وأبناءَ العمالقة: من نَسْلِ عاد وثمود، وأهل العتوِّ والعُنُود - بالشياطين ثم بالمردةَ، ثم بالعفاريت، ثم بالملائكة الذين وكّلهم اللّه تعالى بسَوْق السحاب، وبالمدِّ والجزْر، وبقبضِ أرواح الخلق. وبقلب الأرَضين، وبالماء والريح، وبالكواكب والنيران، وبالأسْد والنمور والبُبُور[4] وبالفيَلة والإبل والجواميس، وبالأفاعي والثعابين وبالعقارب والجرارات، وبالعقبان والنسور، وبالتماسيح، وباللُّخم[5] والدُّلفين.

فلمَ عذَّبهم بالجراد والقُمَّل والضفادع؟! وهل يتلقَّى عقلك قبل التفكير إلا أنه أراد أن يعرِّفهم عجْزهم، ويذكِّرهم صغَر أقدارهم، ويدلُّهم على ذلك بأذلِّ خلقه، ويعرفهم أن له في كل شيء جُنْداً، وأنَ القَويَّ من قَوَّاهُ وأعانه، والضعيف من ضَعَّفه، والمنصورَ من نصرَه، والمخذول من خَلاّه وخذله، وأنه متى شاء أن يقتل بالعسل الماذي والماء الزُّلال كما يقتلُ بالسمّ الساري، والسيف الماضي قتل؟

ولِمَ كان النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم إذا رأى على جسده البَثْرةَ ابتهلَ في الدعاء وقال: «إن اللّه تعالى إذا أراد أن يعظمَ صغيراً عظمه»؟!

ولم قال لنا: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالجرَادَ والقُمَّلَ والضَّفادِعِ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاَتٍ﴾[6]؟! فافهمْ عنه تعالى ذكره، وتقدست أسماؤه قوله: «آيات» ثم قال:

---

(١) الأيْد: القوة.

(٢) ٦٩/ النحل: ١٦.

(٣) ٨٨/ النمل: ٢٧.

(٤) البَبْر: ضرب من السباع، قيل إنه متولد من الزبرقان واللبوة.

(٥) اللخم: سمك بحري يقال له الكوسج. حياة الحيوان ٢/ ٣٠٥.

(٦) ١٣٣/ الأعراف: ٧.

«مُفَصَّلات». فهل وقفت قطُّ عَلَى هذه الآيات؟! وهل توهّمْت تأويلَ قوله: هذا آية وغيرْ آية؟! وهل وقفت علَى فصل ما بين الآيةَ وغير الآية، وإذا كانت مفصَّلات كان ماذا، وإذا لم تكن مفصلات كان ماذا.

فافهم قوله: ﴿فَأَرْسلْنَا عَلَيْهِمْ﴾. وما في الأرض أنقصُ معرفة وعلماً، ولا أضعفُ قوة وبطشاً، ولا أوْهَنُ رُكناً وعَظماً من ضفدع. فقد قال - كما ترى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ والْجَرَاد والقمَّلِ والضَّفَادِعَ والدَّمَ﴾. فقد جعله - كما ترى - أُفضل آياته والعذابَ الذي أرسله عَلَى أعدائه.

وقد قال جل وعز: ﴿فإذَا جاءَ أَمْرُنَا وفارَ التَّنُورُ﴾[1] فأظهر الماء جلّ ثناؤه من أبعد مواضع الماء من ظنونهم، وخَبَّرَنا بذلك كي لا نخلِيَ أنفسنا من الحذر والإشفاق، ولنكون علماء بالعلم الذي أعطانا، ولنكون راجين خائفين، ليصحّ الاختيار، ويحسُنَ الاختبار: ﴿فَتَبَارَكَ اللّه أَحسَنُ الخَالِقينَ﴾[2]. ما أحسنَ ما قدَّر، وأتقَنَ ما برأ!.

١٦٣٤ - [سيل العرم]

وكان السبب الذي سلطه اللّه تعالى عَلَى العَرِم، وهو مُسَنَّاةُ جَنّتَيْ بلادِ سبإٍ، جُرَذاً، فهو الذي خَرقه، وبدَّل نعمتَهم بؤساً، ومُلكهُمْ يَبَاباً وعزَّهمْ ذلاً، إلى أن عادوا فقراء[3]. فقال اللّه: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكلٍ خَمط وأَثلٍ وشَيءٍ من سدْر قَليل﴾[4]. هذا بعد أن قال: ﴿لَقَدْ كانَ لسَبإٍ في مسَاكنهمْ آيَةٌ جَنَّتان عَنْ يَمينٍ وَشمَال كُلُوا من رِزْق رَبِّكُمْ وَاشْكرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ. فَأَعْرَضوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾[5].

١٦٣٥ - [شعر في سد مأرب]

وقال الأعشى[6]: [من المتقارب]

---

(١) ٢٧/ المؤمنون: ٢٣.

(٢) ١٤/ المؤمنون: ٣٢.

(٣) انظر معجم البلدان (مارب).

(٤) ١٦/ سبأ: ٣٤.

(٥) ١٥-١٦/ سبأ: ٣٤.

(٦) ديوان الأعشى ٩٣، ومعجم البلدان ٥/ ٣٧ (مارب)، ومروج الذهب ٢/ ٣٢٢. والأول بلا نسبة في اللسان (قفا)، والتهذيب ٩/ ٣٢٧.

ففي ذاكَ للمُؤْتَسِي أُسْوَةٌ ومأربُ قفَّى عليه العَرِمْ[1]
رُخامٌ بنَتْه لهم حميرٌ إذا جاء ماؤُهُمُ لم يَرِمْ

وأنشد أبو عمرو بنُ العلاء[2]: [من المنسرح]

من سَبَإِ الحاضرِينَ مَأرِبَ إذ يبْنُونَ منْ دونِ سَيلِهِ العَرِمَا

١٦٣٦ - [باب القول في الجراد]

ثم انظر إلى الجراد وهذا باب القول فيه.

قال: فأولُ ما يبدو الجرادُ إذا باض سَرْءٌ، وسَرؤُه: بيضُه.

يقال: سَرأَتْ تَسرأ سَرْءاً.

فانظر الآن، فكم ترى فيه من أعجوبة، ومن آية بليغة. فأوَّل ذلك التماسُها لبيضها الموضعَ الصَّلد، والصخور الصُّمَّ المُلْسَ، ثقةً بأنها إذا ضربَتْ بأذنابها فيها انفرجت لها.

١٦٣٧ - [ذنب الجرادة وإبرة العقرب]

ومعلومٌ أن ذنَب الجرادةَ ليس في خلقة المسمارِ، ولا طرف ذنبها كحدِّ السِّنان، ولا لها من قوة الأسْر، ولذنبها من الصّلابة[3] ما إذا اعتمدَتْ به على الكُدْية[4] والكَذّانة[5] جرح فيهما. فكيف وهي تتعدى إلى ما هو أصلبُ من ذلك، وليس في طرف ذنبها كإبرة العقرب؟!.

وعَلَى أن العقرب ليس تخرق القمقم من جهة الأيْد[6] وقوة البدن[7]، بل إنما

---

(١) قفى: عفى ودرس.

(٢) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه ١٣٤، والجمهرة ٧٧٣، ١٠٢٢ والسمط ١٨، وشرح أبيات سيبويه ٢ / ٢٤١، واللسان (عرم)، وله أو لأمية بن أبي الصلت في الخزانة ٩ / ١٣٩، ولأمية بن أبي الصلت في ديوانه ٤٩٠، وللأعشى في معجم ما استعجم ١١٧٠، وبلا نسبة في مروج الذهب ٢ / ٣٢١، والاشتقاق ٤٨٩، والإنصاف ٢ / ٥٠٢، والجمهرة ١١٠٧، والكتاب ٣ / ٢٥٣، واللسان (سبأ).

(٣) انظر ٤ / ٤١، الفقرة (١١٦٦).

(٤) الكدية: الصفاة العظيمة الشديدة.

(٥) الكذانة: حجارة كأنها المدر فيها رخاوة.

(٦) الأيد: القوّة.

(٧) انظر ما تقدم في ٤١٤-٤١٥.

ينفرجُ بطبعٍ مجعول هناك. وكذلك انفراجُ الصخورِ لأذناب الجراد.

ولو أن عُقاباً أرادتْ أن تخرق في جلد الجاموس لما انخرق لها إلا بالتكلُّفِ الشديد، والعُقابُ هي التي تَنْكدرُ[1] على الذئب الأطلس فتقدّ بدابرتها[2] ما بين صَلاهُ[3] إلى موضع الكاهل.

فإذا غرزَت الجرادة وألقت بيضها، وانضمَّت عليها تلك الأخاديد التي أحدثتْها، وصارت كالأفاحيص لها، وصارت حافظةً لها ومربِّية. وصائنة وواقية، حتى إذا جاء وقتُ دبيبِ الرُّوح فيها أحدث اللّهُ في أمرها عجباً آخر. فسبحان من استخزنها حكمتَه، وحشاها بالأدلة عليه،وأنطقَها بأنها مدبرة، ومُذلَّلةٌ ميسرة، ليفكر مفكر، ويعتبر معتبر! ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّ العَالمِينَ، وتبارك اللّه ربُّ العالمين!

١٦٣٨ - [استطراد لغوي]

وقال الأصمعي[4]: يقال: قد سرأت الجرادة تسرأ سَرْءًا. فإذا خرج من بيضه فهو دَباً والواحدة دَباة. ويخرج أصهَبَ إلى البياض، فإذا اصفرَّ وتلوَّنت فيه خطوطٌ واسودَّ فهو بُرقان. يقال رأيت دباً بُرقاناً، والواحدة بُرقانة، فإذا بدت فيه خطوطٌ سُودٌ وبيضٌ وصُفر فهو المسَيَّح. فإذا بدا حجْمُ جناحه فذلك الكُتْفان، لأنه حينئذٍ يكتف المشي، واحدة كتفانة. قال ابن كناسة: [من الخفيف]

يكتِفُ المشْيَ كالذي يتخطَّى طنُباً أو يشكُّ كالمتمادي[5]

يصف فرساً. فإذا ظهرت أجنحتُه وصار أحمرَ إلى الغبْرة فهو الغَوْغاء والواحدة غوغاءه، وذلك حين يستقلُّ ويموجُ بعضه في بعضِه ولا يتوجَّهُ جهةً. ولذلك قيل لرعاع الناس غوغاء.

فإذا بدتْ في لونه الحمرة والصفرة، وبقي بعضُ الحمرة، واختلف في ألوانه، فهو الخيفان، والواحدة خَيفانة. ومن ثمَّةَ قيل للفَرَس خَيفانة.

---

(١) تنكدر: تنقضّ.

(٢) تقد: تقطع. الدابرة: الإصبع التي من وراء رجلها.

(٣) الصلا: وسط الظهر.

(٤) انظر قول الأصمعي في نهاية الأرب ١٠/٢٩٣، وورد بعضٌ من هذا القول في اللسان ٢/٤٩٣ (سيح)، وانظر نظام الغريب ٢١٩ (الباب ٨٢: في أسماء الجراد).

(٥) الطنب: حبل الخباء. المتمادي: اللجوج.

فإذا اصفرّت الذكورةُ واسودّت الإناثُ ذهبت عنه أسماء غير الجراد. فإذا باض قيل غَرَزَ الجرادُ، وقد رزَّ.

فإذا كثر الجرادُ في السماء وكثُف فذلك السُّدُّ. ويقال: رأيتُ سُدًّا مِنْ جَراد، ورأيتُ رِجْلاً من جَرادٍ، للكثير منه. وقال العجاج[1]: [من الرجز]

سَيْرَ الجراد السُّدٌّ يرتاد الخَضِرْ

١٦٣٩ - [مثل في الجراد]

و مما تقول العرب: «أصْرَد منْ جرادة»[2]. وإنما يُصْطاد الجراد بالسّحَر. إذا وقع عليه الندى طلبَ مكاناً أرفع من موضعه، فإن كان مع النَّدى بَرَدٌ لبَدَ في موضعه. ولذلك قال الشاعر[3]: [من الكامل]

وكتيبةٍ لبَّسْتُها بكتيبةٍ ... كالثائر الحيران أشرفَ للنَّدَى

الثائر: الجراد. أشرف: أتى على شَرَف. للندى: أي من أجْل الندى.

١٦٤٠ - [استطراد لغوي]

ويقال: سخَتِ الجرادة تسخُ سَخّاً، ورزَّت وأرزّت، وجرادةٌ رزَّاءُ ورازّ ومُرِزّ: إذا غمزَت ذنبها في الأرض، وإذا ألْقَت بيضها قيل: سَرأت تَسْرأ سَرْءاً.

ويقال: قد بَشرَ الجرادُ الأرضَ فهو يبشرها بشراً: إذا حَلقَها فأكل ما عليها. ويقال: جَردَ الجرادُ: إذا وقع على شيء فجردَه. وأنشدني ابن الأعرابي[4]: [من الطويل]

كما جَرَد الجارودُ بكرَ بْنَ وائل

ولهذا البيت سُمِّي الجارود.

---

(١) ديوان العجاج ١/٨١، والأساس (سدد)، ونظام الغريب ٢١٩، وبلا نسبة في اللسان (سدد)، والجمهرة ١١١، والتنبيه والإيضاح ٢/٢٧.

(٢) مجمع الأمثال ١/٤١٣، وجمهرة الأمثال ١/٥٨٥، والمستقصى ١/٢٠٧، والدرة الفاخرة ١/٢٦٧.

(٣) البيت لأبي بكر في كتاب الجيم ٢/٢٤٣، وبلا نسبة في مجالس ثعلب ٢٤.

(٤) صدر البيت: «ودُسْناهُمْ بالخيلِ مِنْ كلِّ جانبٍ»، وهو في العين ٦/٧٦، واللسان (جرد)، والتهذيب ١٠/٦٣٩، والجمهرة ٤٤٦، وكتاب الجيم ٣/٧١، والاشتقاق ٣٢٧، والمعارف ٣٣٨.

وأنشدني آخر: [من الطويل]

يقول أميرٌ: ها جَرادٌ وضبّةٌ ... فقد جَردَت بيتي وبيتَ عِياليا

وهذا من الاشتقاق.

ومنه قيلُ ثوب جَرْدٌ، بإسكان الراء، إذا كان قد انجرد وأخْلَق. قالت سُعدَى بنت الشَّمَرْدل[١]: [من الكامل]

سَبَّاءُ عادية وهادي سُرْبة ... ومُقاتلٌ بطلٌ وليثٌ مِسْلعُ[٢]

أجَعلتَ أسعدَ للرِّماح دريئة ... هبلتْكَ أُمُّكَ أيَّ جَرْدٍ ترقعُ[٣]

١٦٤١ - [تطيُّر النابغة]

ويدخلُ في هذا الباب ما حدّثنا به الأصمعيّ، قال[٤]: تجهز النابغةُ الذبيانيُّ مع زَبَّان بن سَيَّار الفزاريّ، للغزو. فلما أراد الرحيلَ نظرَ إلى جرادة قد سقطتْ عليه، فقال: «جرادَةٌ تجرُد، وذات لونين. غيري منْ خرج في هذا الوجه» ولم يلتفتْ زبّانُ إلى طِيرته وزجْره، ونفذ لوجهه، فلما رجع إلى موضعه الذي كان النابغةُ فارقه فيه، وذكر ما نال من السلامة والغنيمة، أنشأ يذكر شأن النابغة فقال[٥]: [من الوافر]

تخبّر طيرَهُ فيها زيادٌ ... لتُخبره وما فيها خَبيرُ

أقامَ كأنَّ لُقمانَ بنَ عادٍ ... أشارَ له بحكمته مُشيرُ

تعَلَّمْ أنهُ لا طيْرَ إلاّ ... على متَطيِّر وهو الثُّبورُ

بلى، شيءٌ يوافقُ بعضَ شيء ... أحايينـاً، وباطلـه كـثيرُ

---

(١) البيتان في الأصمعيات ١٠٣، والحماسة الشجرية ١/٣٠٦، ونوادر أبي زيد ٧، ولسلمى الجهنية في اللسان والتاج (حضر)، والبيت الأول لسعدى بنت الشمردل أو لسلمى الجهنية أو لتأبط شرًّا أو لبعض الهذليين في شرح شواهد الإيضاح ٣٩٠، ولتأبط شرًّا في السمط ٣٦، وبلا نسبة في اللسان والتاج والأساس (جرد)، والثاني لسلمى الجهنية في اللسان والتاج (سلع)، وللخنساء في العين ١/٣٣٥، والتهذيب ٢/٩٩، وبلا نسبة في المخصص ١٢/٣٦.

(٢) سباء: من السبي؛ وهو الأسر. العادية: الخيل تعدو. السرية: السير بالليل. المسلع: الذي يشق الفلاة.

(٣) الدريئة: الحلقة التي يتعلم الرامي الطعن والرمي عليها. الجرد: الثوب: الخلق.

(٤) تقدم الخبر في ٣/٢١٣، الفقرة (٨٦٤).

(٥) الأبيات في البيان ٣/٣٠٤، والعمدة ٢/٢٦٢، وعيون الأخبار ١/١٤٦، وقد تقدمت الأبيات مع الخبر السابق في ٣/٢١٣، الفقرة (٨٦٤).

واسم النابغة زياد بن عمرو، وكنيته أبو ثُمامة. وأنشدني أبو عبيدة[1]: [من الطويل]

وقائلةٍ: مَنْ أَمّها واهتَدَى لها؟ زيادُ بنُ عمرو أمَّها واهتدى لها

١٦٤٢ - [استطراد لغوي]

قال: ويقال أبشرت الأرض إبشاراً: إذا بُذِرَتْ فخرج منها بذرها. فعند ذلك يقال: ما أحَسَنَ بَشرةَ الأرض.

وقال الكميت - وكنية الجراد عندهم: أمُّ عوف. وجناحاها: بُرْدَاها - ولذا قال[2]: [من الطويل]

تُنَفِّضُ بُرديْ أُمِّ عوفٍ ولم تَطِرْ لنا بارِقٌ، بخْ للوَعيدِ وللرّهْبِ[3]

وأنشدنا أبو زيد[4]: [من البسيط]

كأن رِجْليهِ رجْلا مُقْطفٍ عَجِلٍ إذا تجاوَبَ مِنْ بُرْدَيْهِ ترنيمُ

يقول: كأنَّ رجلَي الجندب، حين يضربُ بهما الأرض من شدة الحرِّ والرَّمضاء، رِجلا رجل مُقْطِف. والمقطف: الذي تحته دابَّةٌ قَطوف[5]، فهو يهمزُها[6] برجليه.

١٦٤٣ - [شعر في الجندب والجراد]

وقال أبو زبيدٍ الطائيّ[7]، يصفَ الحرَّ وشدته، وعملَ الجندب بكُراعيه: [من الخفيف]

---

(١) البيت للنابغة للذبياني في ديوانه ٢٠٥، واللسان والتاج (قصد)، والتهذيب ٨/٣٥٣.

(٢) ديوان الكميت ١/١٢٨، واللسان (برد، عوف)، والمخصص ٨/١٧٤، والتهذيب ٣/٢٣٠، ١٤/١٠٨.

(٣) بردا الجراد: جناحاه. بارق: قبيلة من الأزد. الرهب: الخوف.

(٤) البيت لذي الرمة في ديوانه ٤١٩، واللسان والتاج (جدب، جوب، برد، قطف، رنم)، والتهذيب ١١/٢٥٣، ١٤/١٠٨، والمقاييس ٤/٢٣٧، والمجمل ١/٢٦١، والعين ٨/٣٠، وديوان الأدب ٢/٣١٦، وبلا نسبة في المخصص ١٠/١٤٥.

(٥) القطوف: المتقارب الخطو البطيء.

(٦) يهمزها: يضربها ويدفعها.

(٧) ديوان أبي زبيد الطائي ٥٧٩، والحماسة البصرية ٢/٣٥٨، والخزانة ٧/٣٢٢، وتقدمت الأبيات مع شرحها ص١٢٨.

أيُّ ساعٍ سَعَى ليقْطع شَرْبي حينَ لاحَتْ للصابح الجوزاءُ
واستَكَنّ العُصفُورُ كَرْهاً مع الضَّبِّ وأوفَى في عوده الحرباءُ
ونفَى الجندَبُ الحصَى بكُراعَيه وأذْكَتْ نيرانَها المعزاءُ

وأنشد أبو زيد، لعوف بن ذِرْوَة[1]، في صفة الجراد: [من الرجز]

١- قد خفت أن يحدَرَنا للمصْرَينْ ويترك الدِّينَ علينا والدَّينْ[2]
٣- زَحْفٌ من الخَيْفان بعد الزّحْفَيْنْ مِنْ كلِّ سَفْعاء القَفا والخدَّينْ[3]
٥- مَلعونةٍ تسلَخُ لَوناً عن لونْ كأنها مُلتفَّةٌ في بُرْدينْ
٧- تُنْحِي علَى الشِّمراخِ مثل الفأسَيْنْ أو مثل مِئشار غليظِ الحَرْفينْ[4]
٩- أنصبَه مُنصِبُه في قِحْفَين[5]

وعلى معنى قوله:

تُنحي عَلَى الشمراخ مثلَ الفأسينْ أو مثلَ مِئشار غليظِ الحرفينْ

قال حمادٌ لأبي عطاء[6]: [من مجزوء الوافر]

فما صفراءُ تُكنَى أمَّ عوفٍ كأنَّ رُجَيْلتَيْها مِنْجَلانِ

١٦٤٤ - [تشبيه الفرس بالجرادة]

ويُوصَفُ الفرسُ فيشبه بالجرادة، ولذا قال الشاعر: [من الكامل]

فإذا أتيتَ أباكَ فاشترِ مثلها إنَّ الرِّداف عن الأحبَّة يَشْغَلُ
فإذا رفعْتَ عِنانَها فجرادةٌ وإذا وضعْتَ عنانَها لا تفشل

(١) الرجز لعوف بن ذروة في محاضرات الأدباء ٢/٣٠٤ (٤/٦٦٩)، ونوادر أبي زيد ٤٨، والأول والثالث بلا نسبة في اللسان (زحف)، والخامس والسادس في المعاني الكبير ٦١٣، وبلا نسبة في الجمهرة ١٢٧٩، وتقدم الخامس في ٤/٣٦٩ بلا نسبة.

(٢) المصران: البصرة والكوفة.

(٣) الخيفان: جمع خيفانة، وانظر ص٢٩١. السفعاء: السوداء.

(٤) الشمراخ: العثكال الذي عليه البسر، وربما عنى به السنابل. المئشار: المنشار.

(٥) أنصبه: جعله في نصاب، والنصاب: المقبض. القِحف: الفلقة من القصعة إذا انثلمت.

(٦) البيت لحماد الراوية في الأغاني ١٧/٣٣١؛ والشعر والشعراء ٤٨٣ (ليدن)، والخزانة ٤/١٧٠ (بولاق)، وله أو لأبي عطاء السندي في اللسان (عوف)، ولحماد عجرد في التاج (عوف)، وبلا نسبة في اللسان والتاج (صفر)، ومحاضرات الأدباء ٢/٣٠٤ (٤/٦٦٩).

ولم يرض بشرُ بن أبي خازِمٍ بأن يشَبهه بالجرادة حتى جعله ذكراً، حيث يقول(١): [من الوافر]

بكلِّ قِيادِ مُسْنِفَةٍ عَنُودٍ أضَرَّ بها المسالِح والعِوارُ(٢)

مُهارِشَةِ العِنَانِ كأنَّ فيها جَرَادَةَ هَبْوةٍ فيها اصفرارُ(٣)

فوصفها بالصُّفرة، لأنَّ الصفرة هي الذكورة، وهي أخفُّ أبداناً، وتكونُ لخفة الأبدان أشدُّ طيراناً.

١٦٤٥ - [تشبيه قتير الدرع بحدق الجراد]

ويوصف قَتيرُ(٤) الدِّرع ومساميرُها [فيشَبَّه](٥) بحدَق الجراد(٦). وقال قيس بن الخطيم(٧): [من الطويل]

ولما رأيتُ الحرب حرباً تجرَّدَتْ لبست مع البردَيْنِ ثوبَ المحاربِ

مضاعفةً يغشَى الأناملَ فضلُها كأنَّ قتيريْهَا عيونُ الجنادبِ

وقال المقنَّع الكِنْديّ(٨): [من الطويل]

ولي نَثرةٌ ما أبْصَرَتْ عينُ ناظرٍ كصُنْعٍ لها صُنعاً ولا سَرْدِها سَرْدَا(٩)

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم ٧٣-٧٤ (١١٠-١١١)، والمفضليات ٣٤٣، والأول في اللسان والتاج (سلح)، والثاني في اللسان والتاج (عرر، هرش)، والأساس (هرش)، والمخصص ١٦/ ١١٥.

(٢) في ديوانه: «المسنفة: الفرس المتقدمة. العنود: الفرس التي لا تستقيم على حالة ولكنها تعارض في الطريق لمرحها. المسالح: موضع القتال حيث يستعمل السلاح، الواحد مسلحة، أو هي بمعنى الثغر والمرقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو» المعاورة: المداولة. وفي ديوانه «الغوار» وهو الغارة، مصدر غاور.

(٣) في ديوانه: «المهارشة: «التهارش: تقاتل الكلاب وتواثبها. الهبوة: الغبار. ووصف الجرادة بالصفرة لأن الذكور فيها صفر، وهي أخف أبداناً، والجرادة إنما تصفر حين تتم وينبت جناحاها وتبلغ مداها».

(٤) القتير: رؤوس مسامير الدرع.

(٥) إضافة يقتضيها السياق، انظر س ١٥ من الصفحة السابقة.

(٦) حدقة العين: سوادها الأعظم.

(٧) ديوان قيس بن الخطيم ٨٢، والأول في المعاني الكبير ٩٦٩، وشروح سقط الزند ٣٠٦، والمنتخب من كنايات الأدباء ١٠٩، والثاني في اللسان والتاج (ربع)، والعين ٢/ ٢٤٣، وبلا نسبة في الأساس (ربع)، والمخصص ٦/ ٧٢.

(٨) ديوان المقنع الكندي ٢٠٦.

(٩) النثرة: الدرع الواسعة. السرد: نسج الدروع.

تلاحَـمَ منهـا سَـرْدُهـا فكـأنـمـا عيونُ الدَّبا في الأرضِ تجردُها جَرْدا[1]

وقال عمرو بن معد يكرِبَ[2]: [من الوافر]

تمناني ليلقاني أُبَيٌّ وددْتُ وأين ما منِّي ودادي
تمناني وسابغتي دلاصٌ خَروس الحسّ مُحكمَةُ السِّراد[3]
مَضاعَفةٌ تخيَّرها سُلَيمٌ كأنَّ سِكاكَها حَدقُ الجرادِ[4]

١٦٤٦ - [تشبيه وسط الفرس بوسط الجرادة]

ويوصفُ وسط الفرَس بوَسط الجرادة. قال رجلٌ من عبد القيس[5] يصف فرَساً: [من الكامل]

أمَّا إذا ما استُدْبِرَتْ فَنَعامةٌ تَنْفِي سَنابِكُها رَضيضَ الجَنْدَلِ

١٦٤٧ - [تشبيه الحباب بحدق الجراد]

ويوصفُ حَباب الشراب بحدق الجراد. قال المتلمِّس[6]: [من الوافر]

كأني شاربٌ يومَ استَبدُّوا وحثّ بهم وراءَ البيدِ حادي
عُقاراً عُتِّقَتْ في الدّنِّ حتى كأنَّ حَبابَـها حَدَقُ الجراد

١٦٤٨ - [لعاب الجندب]

وإذا صفا الشَّرابُ وراقَ شبَّهوه بلُعاب الجندب. ولذا قال الشاعر[7]: [من الكامل]

صفراء من حَلَبِ الكرومِ كأنّها ماءُ المفاصِلِ أو لُعابُ الجُنْدُبِ[8]

---

(١) تجردها: تأكل نبتها.
(٢) ديوان عمرو بن معدي كرب ١٠٦-١٠٧، ١١٠.
(٣) السابغة: الدرع الفضفاضة.
(٤) سليم: أراد به سليمان بن داود، وأخطأ في نسبة الدرع إلى سليمان، لأن الدروع تنسب إلى داود. انظر العمدة ٢/٢٦٨، باب الإحالة والتغيير.
(٥) البيت لابن سنان العبدي، كما تقدم في ١/١٨٢، نهاية الفقرة (٢٠٧).
(٦) ديوان المتلمس ١٦٥-١٦٦، والخزانة ٣/٧١ (بولاق).
(٧) البيت بلا نسبة في ثمار القلوب ٤٤٦ (٨٠٧)، والمستقصى ١/٢١٠.
(٨) ماء المفاصل: ماء بين السهل والجبل، وهو أصفى ما يكون وأرقه. انظر المثل «أصفى من ماء المفاصل». في مجمع الأمثال ١/٤١٢، ٢/٤٩، وجمهرة الأمثال ١/٥٨٤، والمستقصى ١/٢١٠.

ولُعاب الجندب سمٌّ عَلَى الأشجار، لا يقع على شيء إلا أحرقه.

١٦٤٩ - [زعم في الدَّبا]

ولا يزالُ بعضُ من يدَّعي العِلمَ يزعمُ أن الدَّبا يُريد الخُضرة، ودونها النهر الجاري، فيصيرُ بعضه جسراً لبعضٍ، وحتى يعبُر إلى الخضرة، وأن تلك حيلة منها.

وليس ذلك كما قال: ولكنّ الزَّحفَ الأول من الدبا يريد الخضرة، فلا يستطيعها إلا بالعبور إليها، فإذا صارت تلك القطعة فوق الماء طافيةً صارت تلك لعمري أرضاً للزحف الثاني الذي يريد الخضرة. فإن سمَّوا ذلك جسراً استقام. فأما أن يكون الزحفُ الأولُ مهَّد للثاني وَمكّن له، وآثرَه بالكفاية ـ فهذا ما لا يُعرُف.

ولو أن الزحْفين جميعاً أشرفا على النهر، وأمسَكَ أحدُهما عن تكلُّف العبور إلى أن يمهِّد له الآخر – كان ذلك قولاً.

١٦٥٠ - [استطراد لغوي]

ويقال في الجراد: خِرقة من جراد، والجميع خِرَق. وقال الشاعر(١): [من مجزوء الكامل]

وكأنها خِرَقُ الجرَادِ ... يـثورُ يـومَ غُـبارِ

ويقال للقطعة الكثيرة منها رجْل جراد، ورجلةٌ من جراد. والثَّوْل: القطعة من النحل.

وتوصف كثرة النّبْلِ، ومرورها، وسرعة ذلك بالجراد. وقال أبو النجم(٢): [من الرجز]

كأنـما المَعْزاءُ من نِضالها ... رجلُ جرادٍ طار عن حِدَالها(٣)

وإذا جاء منه ما يسدُّ الأفق قالوا: رأينا سُدّاً من جراد. وقال المفضل النُّكريّ(٤): [من الوافر]

كأنَّ النَّبلَ بينهمُ جرادٌ ... تُهيِّجه شآمِيَةٌ خَرِيقُ(٥)

---

(١) البيت بلا نسبة في نظام الغريب ٢١٩.

(٢) ديوان أبي النجم ١٦٣، واللسان والتاج (رجل).

(٣) المعزاء: الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة. الحدال: مصدر: حادلت الأتن العير أي راوغته.

(٤) البيت للمفضل النكري في الأصمعيات ٢٠١.

(٥) شآمية: ريح تهب من الشام. الخريق: الريح الباردة الشديدة الهبوب.

والمرتجل: الذي قد أصابَ رجْل جرادٍ، فهو يشويه.

وقال بعضُ الرُّجَّاز، وهو يصف خيلاً قد أقبلت إلى الحيّ: [من الرجز]

حتى رأينا كدُخانِ المرتجِلْ ... أو شَبَهَ الحفَّانِ، في سفحِ الجَبَلْ

ولأن الحفانَ أتمُّها أبداناً، قال ابنُ الزِّبَعرَى[١]: [من الرمل]

ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جزَعَ الخزرجِ من وَقْعِ الأسَلْ

حينَ ألقَتْ بقُبَاءٍ برْكَها ... واستَحَرَّ القتْلُ في عبدِ الأشَلْ[٢]

ساعةً ثم استخفوا رَقَصاً ... رَقَصَ الحفَّانِ في سَفْحِ الجبَلْ[٣]

وقتلنا الضِّعف مِنْ ساداتِهمْ ... وعدلْنا مَيل بَدْرٍ فاعتَدَلْ[٤]

١٦٥١ - [طيب الجراد الأعرابي]

والجرادُ الأعرابيُّ لا يتقدمه في الطِّيب شيء. وما أُحصِي كم سمِعتُ من الأعرابُ مَنْ يقول: ما شبِعتُ منه قطُّ! وما أدعُهُ إلا خوفاً من عاقبته؛ أو لأني أعيا فأتركه!

١٦٥٢ - [أكل الجراد]

والجرادُ يطيب حارّاً وبارداً، ومشويّاً ومطبوخاً، ومنظوماً في خيط، ومجعولاً في الملَّة[٥].

والبيض الذي يتقدَّمُ في الطيب ثلاثةُ أجناس: بيض الأسْبور[٦] وبيض الدَّجاج، وبيضُ الجراد فوقَ بيض الأسبور في الطيب. وبيضُ الأسبور فوق بيض الدَّجاج.

وجاء في الأثر، أن الجراد ذكرَ عندَ عمر فقال[٧]: «ليت لنا منه قَفْعَةً[٨] أو قفعتين».

---

(١) ديوان عبد الله بن الزبعرى ٤٢، والحماسة البصرية ١ / ١٠٠.

(٢) قباء: قرية على ميلين أو ثلاثة أميال من المدينة على يسار القاصد إلى مكة. البرك: الإبل الكثيرة.

(٣) الرقص: المشي السريع؛ وضرب من الخبب. الحفان: صغار النعام.

(٤) الميل: الزيادة.

(٥) الملة: الجمر، والرماد الحار.

(٦) الأسبور: سمك بحري.

(٧) الحديث في النهاية ٤ / ٩١، وأساس البلاغة واللسان (قفع).

(٨) في النهاية: «القفعة: شيء كالقفة تتخذ واسعة الأسفل ضيقة الأعلى».

وهو يؤكل يابساً وغير يابس، ويجعل أُدْماً[١] ونَقْلاً[٢].

والجرادُ المأكولُ ضروبٌ، فمنه الأهوازيّ، ومنه المذنّب، وأطيبُه الأعرابيّ، وأهل خُراسان لا يأكلونه.

١٦٥٣ - [الولوع بأكل الجراد]

وحدَّثني رَتْبيل بن عمرو بن رَتْبيل قال: واللّه إني لجالس على باب داري في بني صبير، إذ أقبلت امرأةٌ لم أر قط أتم حسناً ومِلْحاً[٣] وجسماً منها، ورأيت في مشيها تأوُّداً، ورأيتها تَتَلَفَّتُ. فلم ألبَثْ أن طلعتْ أخرى لا أدري أيتهما أقدم، إذ قالت التي رأيتها بديًّا للأُخرى: ما لك لا تلحقيني؟ قالت: أنا منذ أيام كثيرة أُكثرُ أكلَ هذا الجراد، فقد أضعفني! فقالت: وإنك لتحبِّينَه حُبًّا تحتملين له مثلَ ما أرى بكِ من الضَّعف؟ قالت: واللّه إنه لأحبُّ إليَّ من الحبل!.

١٦٥٤ - [طرفة في الجراد]

وقال الأصمعي: قال رجلٌ من أهل المدينة لامرأته: لاجزاكِ اللّه خيراً، فإنك غيرُ مُرْعيَةٍ ولا مبقية! قالت: لأنا واللّه أرْعَى وأبقى من التي كانت قبلي! قال: فأنت طالقٌ إن لم أكنْ كنتُ آتيها بجرادةٍ فتطبخ منها أربعة ألوان، وتَشْوي جنبَيها! فرفعتهُ إلى القاضي فجعل القاضي يفكر ويطلبُ له المخرج. فقال للقاضي: أصلحك اللّه أأشكلتْ عليك المسألة؟ هي طالقٌ عشرين!

١٦٥٥ - [تشبيه الجيش بالدبا]

ووصف الراجزُ حرباً، فوصفَ دنوَّ الرّجَّالة من الرّجَّالة، فقال: [من الرجز]

أو كالدَّبا دبّ ضُحًى إلى الدَّبا

١٦٥٦ - [قول أبي إسحاق في آية الضفادع]

وقرأ بعضُ أصحابنا بحضرة أبي إسحاق: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا به منْ آيَةٍ لتَسْحَرَنَا بِهَا فَما نَحْنُ لكَ بمُؤْمنينَ. فأرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَالْجرادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾[٤] فقال رجلٌ لأبي إسحاق: انظر كيف قرَنَ الضفادعَ مع ضعفها

---

(١) الأُدم: ما يؤكل بالخبز.

(٢) النقل: ما يعبث به الشارب على شرابه، أو الذي يُتَنَقَّل به على الشراب. انظر اللسان «نقل».

(٣) الملح: الملاحة والطيب.

(٤) ١٣٢-١٣٣/ الأعراف: ٧.

إلى الطوفان، مع قوة الطوفان وغلبته. قال أبو إسحاق: الضفادعُ أعجبُ في هذا الموضع من الطوفان، وإذا أراد اللّه تعالى أن يصيِّر الضفادعَ أضرَّ من الطوفان فعل.

١٦٥٧ - [شعرٍ في تشبيه بالجراد]

وقال أبو الهنْدِي[١]: [من الكامل]

لمَّا سمعتُ الدِّيك صاحَ بسُحْرة ... وتوسّط النَّسْرانِ بَطْنَ العقربِ
وتتابعَتْ عُصَب النُّجوم كأنها ... عُفْرُ الظِّباء على فروعِ المرْقَبِ
وبَدا سُهَيلٌ في السماء كأنه ... ثَوْرٌ وعارضَه هجَانُ الرّبْرَب[٢]
نَبَّهْتُ نَدْمَاني فقلتُ له: اصطَبِحْ ... يا ابن الكرامِ من الشَّراب الأصهَبِ
صفراءُ تنْزُو في الإناء كأنها ... عَيْنُ الجرادة أو لعابُ الجُنْدُبِ
نَزْوَ الدَّبا مِنْ حَرِّ كلِّ ظهيرة ... وقَّادَةٍ، حِرْباؤُها يتقلَّبُ

وقال أبو الهنديّ[٣] أيضاً: [من السريع]

فإنَّ هذا الوطْبَ لي ضائرٌ ... في ظاهر الأمر وفي الغامض[٤]
إنْ كُنْتَ تَسْقيني فَمنْ قَهْوَةٍ ... صفراءَ مثلِ المُهْرَة الناهضِ
تنْزُو الفقاقيعُ إذا شُعْشِعَتْ ... نَزْوَ جَرَادِ البلدِ الرَّامِض[٥]

وقال الأفْوهُ[٦]: [من الكامل]

بمناقبٍ بيضٍ، كأنَّ وجُوهَهُم ... زَهرٌ قُبَيلَ ترَجُّل الشَّمسِ
دَبُّوا كمنتشر الجرادِ هَوَتْ ... بالبطن، في دِرعٍ وفي تُرْسِ[٧]
وكأنها آجالُ عادِيَة ... حَطَّتْ إلى إجْل من الخُنْسِ[٨]

---

(١) الأبيات في ديوان أبي الهندي ١٥-١٦، والحماسة البصرية ٢/٣٨٦، والأغاني ٢٠/٣٢٨.
(٢) الهجان: البيض. الربرب: قطيع من بقر الوحش.
(٣) ديوان أبي الهندي ٤٢.
(٤) الوطب: سقاء اللبن.
(٥) تنزو: تثب وتقفز. شعشعت: مزجت بالماء. الرامض: الشديد الحر.
(٦) ديوان الأفواه الأودي ١٦.
(٧) بالبطن: أي بطن الوادي.
(٨) الإجل: القطيع من بقر الوحش. العادية: التي تعدو. الخنس: جمع أخنس وخنساء وهو الذي قصرت قصبته وارتدت أرنبته إلى قصبته.

١٦٥٨ - [أقوال فيما يضر من الأشياء]

وروى الأصمعي، وأبو الحسن، عن بعض المشايخ. قال: ثلاثة أشياءَ ربما صرعتْ أهلَ البيت عن آخرهم: أكلُ الجراد، ولحوم الإبل، والفُطْر من الكمْأة.

وقال غيرُهما: شربُ الماء في الليل يورث الخبل، والنظر إلى المختصر يُورث ضعف القلب، والاطلاع في الآبار العاديَّة[١] ينقُض التركيب. ويُسوِّل مصارعَ السَّوء.

فأما الفُطْر الذي يُخْلق في ظلِّ شجر الزيتون فإنما هو حتفٌ قاض، وسمٌّ ناقع. وكل شيء يخلق تحت ظلال الشجر يكون رديئاً، وأردؤه شجر الزيتون، وربما قتل، وإن كان مما اجتنبوه من أوساط الصحارى.

قالوا: ومما يقتُلُ: الحمَّامُ على الْمِلأة، والجماع على البِطْنة، والإكثارُ من القديد[٢] اليابس.

وقال الآخر[٣]: شربُ الماء البارد على الظمإ الشديد ـ إذا عجّل الكرْعَ، وعظّم الجرع، ولم يقطع النفس ـ يقتُل.

قالوا[٤]: وثلاثٌ تورثُ الهُزال: شرب الماء عَلَى الرّيق، والنوم على غير وِطاء، وكثرة الكلام برفع الصوت.

والجماعُ على الامتلاء من الطعام ودخوله. وربما خِيف عليه أن يكون قاتل نفسه[٥].

وقالوا[٦]: وأربعةُ أشياء تسرعُ إلى العقل بالإفساد: الإكثار مِنَ البَصل، والباقلّى والجماع، والخُمَار.

وأما ما يذكرون في الباب من الهمِّ والوحدة والفِكرة، فجميع الناس يعرفون

(١) العادية: القديمة.

(٢) القديد: ما قطع من اللحم وبسط في الشمس.

(٣) انظر عيون الأخبار ٣ / ٢٧١، السطر قبل الأخير.

(٤) عيون الأخبار ٣ / ٢٧١.

(٥) في عيون الأخبار ٣ / ٢٧١: «ويقال: أربع خصال يَهْدِمْن العمر وربما قتلْنَ: دخول الحمام على بِطْنة، والمجامعة على الامتلاء، وأكل القديد الجاف، وشرب الماء البارد على الريق، وقيل: مجامعة العجوز».

(٦) عيون الأخبار ٣ / ٢٧٢.

ذلك. وأما الذي لا يعرفه إلا الخاصة فالكفاية التامة، والتعظيم الدائم، وإهمال الفكر، والأنَفُ من التعلمُّ. هذا قول أبي إسحاق.

وقال أبو إسحاق[1]: ثلاثة أشياء تخلِق العقلَ، وتُفسِد الذهن: طول النظر في المرآة، والاستغراق في الضحك، ودوام النظر إلى البحر.

وقال مُعمّر: قُطعت في ثلاثة مجالس، ولم أجدْ لذلك علةً؛ إلا أني أكثرتُ في أحد تلك الأيام من أكل الباذنجان، وفي اليوم الآخر من أكْل الزيتون، وفي اليوم الثالث مِنْ الباقلّى.

وزعم أنه كلم رجلاً من الملْحدين في بعض العَشايا، وأنه علاه عُلُوًّا ظاهراً قاهراً، وأنه بَكَرَ على بقيةِ ما في مسألته من التخريج، فأجْبَلَ وأصْفَى[2]، فقال له خصمه: ما أحدثتَ بعدي؟ قال: قلتُ: ما أتَّهِمُ إلا إكثاري البارحةَ من الباذنجان! فقال لي - وما خالف إلى التُّهمة: ما أشكُّ أنك لم تُؤْتَ إلا منه!

وقال لي مَن أثقُ به: ما أخذت قط شيئاً من البلاذُر فنازعت أحداً إلا ظَهرتُ عليه.

وقال أبو ناضرة: ما أعرف وجهَ انتفاع الناس بالبلاذُر إلا أن يؤخذ للعصب. قلت: فأي شيءٍ بقي بعد صلاحِ العصب، وأنتم بأجمعكم تزعمون أن الحسّ للعصب خاصة؟

١٦٥٩ - [القول في القطا]

تقول العرب: «أصْدَق من قطاة[3]» و«أهْدَى من قطاة»[4].

وفي القطا أُعجوبةٌ، وذلك أنها لا تضعُ بيضها أبداً إلا أفراداً، ولا يكونُ بيضها أزواجاً أبداً. وقال أبو وَجزَة[5]: [من البسيط]

وَهُنَّ يَنْسُبْنَ وَهْناً كُلَّ صادقةٍ باتَتْ تُبَاشِرُ عُرْماً غير أزواج

---

(١) عيون الأخبار ٣/ ٢٧٢.

(٢) اجبل: صعب عليه القول. اصفى الرجل من المال: خلا.

(٣) مجمع الأمثال ١/ ٤١٢، والدرة الفاخرة ١/ ٢٦٣، ٢٦٥، وجمهرة الأمثال ١/ ٥٨٤، والمستقصى ١/ ٢٠٦، وأمثال ابن سلام ٣٦٣.

(٤) مجمع الأمثال ٢/ ٤٠٩، وجمهرة الأمثال ٢/ ٣٥٣.

(٥) البيت لأبي وجزة في اللسان (زوج، هدج، عرم، قطا)، والأساس (نسب)، والتاج (عرم، قطا)، والتهذيب ٢/ ٣٩٢، ٩/ ٢٤١، وربيع الأبرار ٥/ ٤٤٩، وبلا نسبة في المخصص ٤/ ٤٦.

والعُرم التي عَنَى: بيض القطا، لأنها منقَّطة. وقال الأخطل[1]: [من الطويل]

شَفَى النَّفْسَ قَتْلَى مِنْ سُليمٍ وعامرٍ ولم يَشْفِها قتلَى غَنيٍّ ولا جَسْرِ
ولا جُشَمٍ شرٌّ القبائل إنهم كبَيْضِ القطا ليسوا بسودٍ ولا حُمْرِ

وقال مَعْقل بن خويلد[2]: [من الطويل]

أبا مَعْقِلٍ لا توطِئَنْكم بَغَاضتي رؤوسَ الأفاعي في مَرَاصِدِها العُرْمِ

يريد: الأفاعي العُرْمِ في مراصدها. وهي منقَّطة الظهور. وما أكثرَ ما تبيض العُقاب ثلاث بيضات، إلاّ أنها لا تلحم ثلاثة[3]، بل تخرج منهنَّ واحدة. وربما باضت الحمامةُ ثلاثَ بيضات، إلا أن واحدة تفسد لا محالة. وقال الآخر[4] في صفة البيض: [من الطويل]

وبيضاء لا تَنْحَاشُ منَّا وأُمُّها إذا ما رأتْنا زالَ منها زَوِيلُها
نتوجٍ ولم تُقرِفْ لِمَا يُمتنى له إذا أُنْتِجَتْ ماتَتْ وحيٌّ سَليلُها

يعني البيضة. نَتوج، حامل: ولم تُقْرِف :لم تُدَانِ. لما يُمتنَى: أي للضِّراب. والامتناء: انتظارك الناقة إذا ضُربت ألاقحٌ هي أمْ لا.

وقال ابنُ أحمر[5]: [من الطويل]

بتيْهاءَ قَفْرٍ والمطيُّ كأنها قطا الحزْن قد كانت فِراخاً بُيوضُها[6]

---

(١) ديوان الأخطل ١٨١.

(٢) تقدم البيت مع تخريجه في الفقرة (١١١٣) ٤/٣٦٣.

(٣) ألحمه: أطعمه اللحم. والمقصود بالثلاثة: فراخها.

(٤) البيت لذي الرمة في ديوانه ٩٢٣، والبيت الأول في اللسان (حوش، زول، زيل، مني)، والتاج (رجا، حوش، زول، وصل)، والعين ٧/٣٨٥، والتهذيب ٥/١٤٢، ١٣/٢٥٣، وبلا نسبة في الجمهرة ٨٢٧، والمقاييس ٢/١١٩، ٣/٣٨، والمجمل ٢/١١٩، ١١/١٨٣، ١٥/٥٣٢، والتاج (رجا، مني)، وبلا نسبة في المجمل ٢/٤٧١.

(٥) ديوان عمرو بن أحمر ١١٩، والخزانة ٩/١٠٢، واللسان والتاج (عرض، كون)، وله أو لابن كنزة في شرح شواهد الإيضاح ٥٢٥، وبلا نسبة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٨، وشرح المفصل ٧/١٠٢، والمعاني الكبير ١/٣١٣، وأسرار العربية ١٣٧.

(٦) التيهاء: الأرض التي لا يهتدى فيها. الحزن: الأرض الغليظة وفي المعاني الكبير: «أراد أنها شربت من الغدر في الربيع، فإذا فرخت ودخلت في الصيف احتاجت إلى طلب الماء على بعد، فيكون أسرع لطيرانها. وإنما تفرخ بيضها إذا جاء الحر».

وذلك أنها قد كانت قبل ذلك الوقت تشرَب من الغُدُر، فلما أفرخت صافت، فاحتاجت إلى طلب الماء من مكان بعيد، فذلك أسرعُ لها.

١٦٦٠ - [تشبيه مشي المرأة السمينة بمشي القطاة]

ويشبَّه مشيُ المرأة إذا كانت سمينة غير خرّاجة طوّافة بمشي القطاة في القرمطة والدلِّ. وقال ابنُ ميّادة(١): [من البسيط]

إذا الطّوال سَدَوْنَ المشيَ في خطَلٍ ... قامت تريك قَوَاماً غير ذي أوَدِ(٢)
تمشي ككدْريَّة في الجوِّ فاردة ... تَهْدِي سُروب قطاً يشربْنَ بالثَّمدِ(٣)

وقال جران العَود(٤): [من الطويل]

فَلَمَّا رأَيْنَ الصُّبْحَ بادَرْنَ ضَوْءَهُ ... رَسِيم قَطا البَطْحَاءِ، أو هُنَّ أقْطَفُ

وقال الكميت(٥): [من الكامل]

يمشينَ مشيَ قطَا البِطاحِ تأوُّداً ... قُبّ البُطُون رَواجحَ الأكفالِ

١٦٦١ - [شعر في التشبيه بالقطاة]

وقال الآخرُ(٦) في غير هذا المعنى: [من الوافر]

كأنَّ القَلْبَ لَيْلةَ قيلَ يُغدَى ... بلَيْلَى العامريَّة أو يُراحُ
قَطاةٌ غَرَّها شَرَكٌ فباتَتْ ... تُجاذِبُه وَقَدْ عَلِقَ الجَناحُ

وقال آخر(٧): [من الطويل]

وكُنَّا كزَوْجٍ مِنْ قَطاً بمفازةٍ ... لَدَى خَفْضِ عَيْشٍ ونقٍ مُورقٍ رَغْدِ
فَخَانَهُمَا ريبُ الزَّمانِ فأفردا ... ولَمْ تَرَ عَيْني قَطُّ أقْبحَ مِنْ فَردِ

---

(١) ديوان ابن ميادة ١١٩، والأشباه والنظائر للخالديين ١/٢٠٨.

(٢) السدو: اتساع الخطو. الخطل: السرعة في المشي. الأود: العوج.

(٣) الكدري: ضرب من القطا قصار الأذناب. الثمد: القليل.

(٤) ديوان جران العود ٢٢، واللسان والتاج (حنف).

(٥) ديوان الكميت ٢/٥٣، وتقدم البيت ص ١٢٠.

(٦) الأبيات لمجنون ليلى في ديوانه ٩٠، وتزيين الأسواق ١٠٤، والأمالي ٢/٦١، وله أو لتوبة بن الحمير في الكامل ٢/٤٤ (المعارف)، ولنصيب في ديوانه ٧٤، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٣١٣، وله أو لقيس بن معاذ في الحماسة البصرية ٢/١١٥، ولقيس بن الذريح في ديوانه ٧٣-٧٤، وانظر المزيد من المصادر في الدواوين الثلاثة المتقدمة.

(٧) البيتان لأبي دلامة في الأغاني ١٠/٢٥٥، ومعاهد التنصيص ٢/٢٢١، وبلا نسبة في الأمالي ٢/٢١، ومحاضرات الأدباء ١/٢٦٣ (٢/٥٤٦).

١٦٦٢ - [شعر في صدق القطاة]

وفي صدق القطاة يقولُ الشاعر[١]: [من الطويل]

وصادقة ما خبَّرت قد بعثتُها ... طُروقاً وباقي الليل في الأرض مُسْدف

ولو تركتْ نامتْ، ولكن أعشَّها ... أذى من قِلاص كالحَنيِّ المُعَطَّف[٢]

وتقول العرب: «لو تُرِك القطا لنام»[٣]. ويقال: أَعْشَشْتُ القوم إعشاشاً: إذا نزلْتَ بهم وهم كارهون لك فتحوّلوا عن منزلهم.

وقال الكميت[٤]: [من البسيط]

لا تكذبُ القوْلَ إن قالت قَطًا صدَقَتْ ... إذ كلُّ ذي نِسْبَة لا بد ينتحلُ

وقال مُزاحمٌ العُقيليّ[٥]، في تجاوب القطاةِ وفرْخِها: [من الطويل]

فنادتْ وناداها، وما اعْوَجَّ صَدْرُها ... بِمِثْلِ الذي قالتْ له لم يُبدِّلِ

والقطاة لم تُرد اسم نفسها، ولكن الناس سموها بالحروف التي تخرج من فيها، وزادَ في ذلك أنها على أبنيةِ كلام العرب، فجعلوها صادقَةً ومُخبرة، ومُريدة وقاصدة.

١٦٦٣ - [استطراد لغوي]

ويقال سِرْبُ نساءٍ، وسِربُ قطاً، وسِرْبُ ظباء. كل ذلك بكسر السين وإسكان الراء. فإذا كان من الطريق والمذهب قالوا: خَلِّ سَرْبَهُ. و: فلانٌ خَلِيُّ السَّرْب؛ بفتح السين وإسكان الراء. وهذا عن يونس بن حبيب. وقال الشاعر: [من البسيط]

أما القطاةُ فإنِّي سَوْفَ أَنْعتُها ... نعتاً يوافقُ نَعْتي بعضَ ما فيها

---

(١) البيتان للفرزدق في اللسان والتاج (عشش)، والثاني في التهذيب ١/ ٧١، والعين ١/ ٧٠، ولم أقع عليهما في ديوانه، والثاني بلا نسبة في المقاييس ٤/ ٤٧، وديوان الأدب ٣/ ١٥٩، وتقدم البيت الأول ص ١٥٥.

(٢) القلاص: الإبل الفتية. الحي: جمع حنية، وهي القوس.

(٣) الفاخر ١٤٥، ومجمع الأمثال ٢/ ١٧٤، والمستقصى ٢/ ١٩٦، وفصل المقال ٣٨٤، وأمثال ابن سلام ٢٧١.

(٤) البيت في حياة الحيوان ٢/ ١٢٤، ولم يرد في ديوان الكميت.

(٥) ديوان مزاحم العقيلي ١٤، وفي الأغاني ٨/ ٢٥٨: «الشعر مختلف في قائله، ينسب إلى أوس بن غلفاء الهُجَيْمي وإلى مزاحم العقيلي وإلى العباس بن يزيد بن الأسود الكندي وإلى العجير السلولي وإلى عمرو بن عقيل بن الحجاج الهجيمي وهو أصح الأقوال»، والبيتان بلا نسبة في اللسان (طرق)، والعين ٢/ ٧٢-٧٣، والثاني في ديوان الأدب ٢/ ٢٤٥.

سَكّاءُ مخطوفَةَ في ريشها طَرَقٌ   سُودٌ قوادمها صُهْبٌ خوافيها

ويقال في ريشها فَتَخ، وهو اللِّين. ويقال في جناحه طرَق: إذا غطى الرِّيشُ الأَعلى الأسفلَ. وقال ذو الرُّمَّة[1]: [من الطويل]

طراقُ الخَوافي واقعٌ فوقَ رِيعةٍ   ندى ليْله في ريشِه يترقْرَقُ[2]

ويقال: اطَّرَقَت الأرض: إذا ركب الترابُ بعضُه بعضاً، ولزمَ بعضُه بعضاً، فصار كطِراق[2] النِّعال طَبَقاً. وقال العجاج[3]: [من الرجز]

فاطَّرَقَتْ إلا ثلاثاً دُخَّسا[5]

والطَّرْق، بإسكان الراء: الضرْب بالحصى، وهو من فِعال الحُزَاة والعائفين[6]: وقال[7] لبيدٌ، أو البَعيث: [من الطويل]

لعمرك ما تدري الطوارقُ بالحصَى   ولا زاجراتُ الطيرِ ما اللّهُ صانعُ

قال: ويقال طرَّقت القطاةُ ببيضها: إذا حان خروجه وتعضلّت به شيئاً. قال أبو عبيد ولا يقال ذلك في غير القطاة. وغَرَّهُ قولُ العَبْديِّ[8]: [من الطويل]

وقد تخذتْ رِجلي لدى جَنْبِ غرزِها   نسيفاً كأُفْحوصِ القَطاة المطرِّقِ[9]

وهذا الشاعرُ لم يقلْ إن التطريق لا يكونُ إلا للقطاة، بل يكونُ لكل بَيَّاضةٍ، ولكلِّ ذاتَ ولد. وكيف يقول ذلك وهم يروُون عن قابلة البادية أنها قالت لجارية

---

(١) ديوان ذي الرمة ٤٨٨، واللسان (ريع، طرق)، والتاج (ربع، رقق)، والجمهرة ٧٥٦، ٧٧٧، ١٠٧٣.

(٢) الريعة: المكان المرتفع.

(٣) الطراق: النعل يطبق على النعل.

(٤) ديوان العجاج ١ /١٨٧، وبلا نسبة في العين ٤ /١٩٣.

(٥) في ديوانه: «اطرقت: صار بعض ترابها على بعض. والدُّخَّس: الدواخل، يريد أن هذه الأثافي قد دخلت في الأرض».

(٦) الحزاة: جمع حاز، وهو الكاهن. العائف: الذي يزجر الطير.

(٧) البيت للبيد في ديوانه ١٧٢، واللسان (طرق)، والجمهرة ٧٥٦، والعين ٥ /١٠٠، والتهذيب ١٦ /٢٢٤، وبلا نسبة في المقاييس ١ /٤٥٠، والمخصص ١٣ /٢٦.

(٨) البيت للممزق العبدي في الأصمعيات ١٦٥، والأشباه والنظائر ١ /٢٦٠، وشرح شواهد الإيضاح ٤٠٢، وشرح شواهد المغني ٢ /٦٨٠، واللسان (فحص، نسف، طرق)، والمقاصد النحوية ٤ /٥٩٠، وللمثقب العبدي في اللسان (حدب)، وبلا نسبة في الخصائص ٢ /٢٨٧، والجمهرة ٣٨٨، ٥٤١، ٧٥٧، ٨٤٨، ١١٩٢.

(٩) الغرز: هو للجمل مثل الركاب للبغل. النسيف: أثر ركض الرجل «بجنبي البعير إذا انحص عنه الوبر».

تسمى «سَحَابة»، وقد ضربها المخاضُ وهي تُطْلَق عَلَى يدها[١]: [من الرجز]

أيا سَحَابُ طَرِّقي بِخَيْرِ   وطَرِّقي بِخُصْيَةٍ وأَيْرِ
ولا تُرينا طَرَفَ البُظَيْرِ

١٦٦٤ - [ولادة البكر]

وقال أوسُ بنُ حجر[٢]: [من المتقارب]

بكلِّ مكان ترى شطْبَةً   مولِّية، ربها مسبَطِرْ[٣]
وأحمر جعداً عليه النسو   رُ وفي ضِبْنه ثعلبٌ منكسرْ[٤]
وفي صدره مثلُ جيب الفتا   ةِ تشهق حيناً وحيناً تَهِرْ[٥]
فإنا وإخوتَنا عامراً   على مثل ما بيننا نأتمرْ[٦]
لنا صرخةٌ ثم إسكاتةٌ   كما طرَّقتْ بنفاسٍ بِكرْ

فهذا كما ترى يردُّ عليه.

وإنما ذكر أوسُ بن حجرٍ البِكرَ دون غيرها، لأن الوِلاد على البِكر أشدّ، وخروج الولد أعسر، والمخرج أكزّ وأضيق، ولولا أن البكر أكثر ما تلدُ أصغرُ جثةً وألطفُ جسماً، إلى أن تتسع الرحم بتمطِّي الأولاد فيها لكَانَ أعسر وأشقّ.

١٦٦٥ - [أجود قصيدة في القطا]

وقال المرَّار، أو العِكَبُّ التغلبي، وهي أجود قصيدةٍ قيلت في القطا: [من الطويل]

بلادٌ مَرَوْراةٌ يَحارُ بِها القَطا   تَرى الفَرْخَ في حَافَاتِها يَتَحَرَّقُ[٧]

---

(١) البيت الأول بلا نسبة في اللسان والتاج (سحب).
(٢) ديوان أوس بن حجر ٣٠.
(٣) في ديوانه: «الشطبة: الفرس الطويلة الحسنة الخلقة. مسبطر: مضطجع».
(٤) في ديوانه: «أحمر: أي رجل أبيض. الجعد: المجتمع الخلق الشديد. عليه النسور: أي سقطت عليه لتنال منه. الضبن: الجنب أو الإبط وما يليه. الثعلب: ما دخل من القناة في جبة السنان».
(٥) في ديوانه: «الجيب: فتحة القميص أو الدرع عند الصدر».
(٦) في ديوانه: «قوله: على مثل ما بيننا نأتمر، أي نمتثل ما تأمرنا به أنفسنا من الإيقاع بهم والفتك فيهم على ما بيننا وبينهم من قرابة».
(٧) المروراة: الأرض التي لا يهتدي فيها إلا الخريت. يتحرق: أي يتضرم جوعاً.

يَظَلُّ بِهَا فَرْخُ القَطَاة كأنَّه ... يَتيمٌ جفَا عنهُ مَواليه مُطرقُ
بديمومة قد ماتَ فيها وعينه ... على موته تغْضي مراراً وترمُقُ[1]
شبيهٌ بلا شيء هنالك شَخْصُه ... يواريه قَيْضٌ حولَه متفلِّقُ[2]
له مَحْجرٌ نابٍ وعَيْن مَريضـ ... ـةٌ وشدقٌ بمثلِ الزّعْفران مخلَّقُ
تُعاجيه كَحْلاءُ المدامعِ حُرّةٌ ... لها ذَنَبٌ وَحْفٌ وَجيدٌ مطوَّقُ[3]
سماكيةٌ كُدْريَةٌ عُرْعُرِيَّة ... سَكاكيَّة غبراء سمراءُ عَسْلقُ[4]
إذَا غَادَرَتْه تَبْتَغي ما يُعيشه ... كفاها رَذاياها النّجاءُ الهبنَّقُ[5]
غَدَتْ تَسْتَقي مِنْ مَنْهَلٍ لَيْسَ دُونَه، ... مَسيرةَ شَهْر للقَطا، متعلَّقُ
لأزْغبَ مَطْروحٍ، بجَوْزِ تَنُوفة ... تلظّى سَمُوماً قيظه، فهو أورَقُ[6]
تراه إذا أَمْسَى وَقَدْ كَادَ جِلْدُ ... هُ من الحرِّ عن أوصاله يتمزَّقُ[7]
غدت فاستقلَّت ثم ولَّت مُغيرةً ... بها حينَ يزْهاها الجناحان أوْلَقُ[8]
تيمَّمُ ضحضاحاً من الماء قد بدَتْ ... دعاميصه فالماءُ أطحَلُ أورقُ[9]
فلما أتتهُ مقذَحِرّاً تغوَّثَتْ ... تغوُّثَ مخنوقٍ فيطفو ويغرقُ[10]
تُحيرُ وتُلْقي في سقاء كَأَنَّه ... مُن الحنظَلِ العَاميِّ جَروٌ مُفلَّقُ[11]
فلما ارتَوتْ مِنْ مائه لمَ يَكُنْ لها ... أناةٌ وقد كَادَتْ من الرِّيّ تبصُقُ
طمَتْ طَمْوة صُعْداً ومدَّتْ جِرانَها ... وطارت كما طار السَّحابُ المحَلِّقُ[12]

---

(١) الديمومة: الفلاة البعيدة الأرجاء. الإغضاء: إدناء الجفون.
(٢) القيض: قشرة البيضة العليا.
(٣) المعاجاة: هي ألا يكون للأم لبن يروي صبيها فتعاجيه بشيء تعلله به ساعة. الوحف من الشعر: الغزير والأسود.
(٤) سماكية: نسبة إلى أحد السماكين: الأعزل والرامح، أراد أنها عُلْوية. العُرعُرة: أعلى الجبل، وأعلى كل شيء. السكاك: الجو والهواء بين الهواء والأرض. العسلق: الخفيف.
(٥) البيت لذي الرمة في ملحق ديوانه ١٨٩٤، واللسان والتاج (هبنق)، والتهذيب ٦ / ٥٠٤، والرذايا: أراد فراخها الضعاف. النجاء: السرعة. الهبنق: الأحمق.
(٦) جوز: وسط. التنوفة: الفلاة. السَّموم: الريح الحارة. الأورق: ما لونه بين السواد والغبرة.
(٧) الأوصال: المفاصل والأعضاء.
(٨) استقلت: ارتفعت في الهواء. الأولق: شبه الجنون.
(٩) تيمم: تقصد. الدعاميص: دويبات صغيرة تكون في مستنقع الماء. الأطحل: الرمادي اللون. والأورق: الرمادي اللون.
(١٠) المقذحر: المتهيئ للشر، وشبه به الماء الثائر. تغوثت: صاحت.
(١١) تحير: ترد وترجع. السقاء: عنى بها حوصلتها تملؤها ماءً لإرواء صغارها. العامي: اليابس أتى عليه عام. الجرو: الصغير من كل شيء. والبيت للنمر بن تولب في ديوانه ٣٦١.
(١٢) طمت: ارتفعت. الجران: باطن العنق. المحلق: المرتفع.

١٦٦٦ - [شعر البعيث في القطا]

وقال البعيث: [من الطويل]

نجتْ بطُوالات كأنَّ نجاءَها ... هُويُّ القطا تَعْرُو المناهلَ جُونُها[١]
طَوَيْن سقاءَ الخمْسِ ثُمَّتْ قلَّصت ... لورْد المياه واستتبَّتْ قُرُونُها[٢]
إذا ما وَرَدْنَ الماءَ في غَلسِ الضُّحى ... بلَلْنَ أداوَى ليس خَرْزٌ يَشينُها[٣]
أداوَى خَفيفات المحاملِ أشْنقَتْ ... إلى ثُغَرِ اللَّبَّات منها حَصينُها[٤]
جَعَلْنَ حَبابَ الماء حين حَمَلْنَهُ ... إلى غُصَصٍ قد ضاقَ عنها وتينُها[٥]
إذا شئْن أن يسمعنَ والليلُ واضعٌ ... هذاليلَهُ والريح تجري فنُونُها[٦]
تناوَمَ سِرْبٌ في أفاحيصهِ السَّفا ... ومَيّتَةُ الخرْشاء حَيٌّ جنينُها[٧]
يروِّين زُغْباً بالفلاة كأنَّها ... بقايا أفاني الصَّيفِ، حُمراً بطونُها[٨]

«يروِّين» من قولك: روَّيت: أي حملت في راوية.

إذا مَلأتْ مِنْهَا قطاةٌ سِقاءَهَا ... فلا تُعكمُ الأخرى ولا تستعينُها[٩]

ذكر نوادر وأحاديث وأشعار وكلام يتمُّ بها هذا الجزء

قالوا[١٠]: خرِف النَّمرُ بن تولب، فكان هِجّيراه[١١]: اصبَحوا الركْب، اغبِقُوا الركْب.

---

(١) نجت: أسرعت. الطوالات: جمع طوالة، أي الطويلة. الهُوِيُّ: العَدْو الشديد.
(٢) قلصت: ارتفعت. القرون: النفس.
(٣) الغلس: أول الصبح. الأداوي: جمع إداوة، وهو إناء صغير من الجلد يتخذ للماء، وعنى بالأداوي: حواصلهن.
(٤) أشنقت: علقت. الثغر، جمع ثُغْرة: وهي نقرة النحر. اللبات: جمع لبة، وهي وسط الصدر والمنحر.
(٥) الوتين: عرقٌ في القلب إذا انقطع مات صاحبه، أو هو عرق لاصق بالصُّلب من باطنه أجمع، يسقي العروق كلَّها الدم ويسقي اللحم؛ وهو نهر الجسد.
(٦) الهذاليل: جمع هذلول، وهو التل الصغير، وعنى بها التلال الصغيرة.
(٧) الأفحوص: الموضع الذي تبيض فيه القطاة. السفا: شوك البهمى. الخرشاء: قشرة البيضة العليا اليابسة.
(٨) الأفاني: جمع أفانية، وهو عنب الثعلب.
(٩) تعكم: تنتظر.
(١٠) ورد هذا الخبر والذي يليه في الأغاني ٢٢ / ٢٨٠، ومحاضرات الأدباء ٢ / ٣٢٢ (٤ / ٧٠٥).
(١١) هجيراه: دأبه وكلامه.

وخرِفت امرأةٌ من العرب فكان هجِّيراها: زوِّجوني، زوِّجوني! فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لَمَا لهِج به أخو عُكل خيرٌ مما لهجتْ به صاحبتُكم!

وحدثني عبد الله بن إبراهيم بن قُدامة الجمحي قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى رجلاً يَضْرِبُ في كلامه قال: أشهدُ أن الذي خلَقَكَ وخلقَ عمرو بنَ العاص واحد!

وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه لصعصعة بن صُوحان في المنذر بن الجارود: ما وجدْنا عند صاحبك شيئاً! قال[1]: إن قلتَ ذاك إنه لنظَّارٌ في عِطفَيه، تَفَّالٌ في شِرَاكيه، تُعجبه حُمرةُ بردَيه!

قال: وحدّثنا جريرُ بنُ حازم القَطَعيّ قال: قال الحسن: لو كان الرجُل كلما قال أصاب، وكلما عمل أحسنَ، لأوشك أن يُجَنَّ من العُجْب.

عن أبان بن عثمان قال: سمعتُ أبا بلال في جنازةٍ وهو يقول[2]: كلُّ ميتةٍ ظَنونٌ إلا ميتة الشَّجَّاء قالوا: وما ميتة الشّجَّاء؟ قال: أخذها زيادٌ فقطع يديها ورجليها، فقيل لها: كيف تَرَيْنَ يا شَجَّاء؟ فقالت: قد شغلني هَول المُطَّلَع عن بَرْد حَديدِكم هذا[3].

قال: وقيل لرابعة القيسيَّة: لو أذنْت لنا كلَّمْنا قومَك فجَمعوا لك ثمن خادمٍ، وكان لك في ذلك مَرْفقٌ وكفتْكِ الخدمةَ وتَفرَّغت للعبادة. فقالت واللهِ إني لأستحيي أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا، فكيف أسأل الدنيا من لا يملكها؟!

والناسكات المتزهدات من النساء المذكورات في الزُّهد والرياسة، من نساء الجماعة وأصحاب الأهواء. فمن نساء الجماعة[4]: أمُّ الدرداء، ومُعاذةُ العدَوية، ورابعة القيسيَّة.

ومن نساء الخوارج[5]: الشّجاء، وحمادة الصُّفرية وغزالة الشَّيْبانية قُتِلْنَ

---

(١) ورد الخبر في البيان ١/٩٩.

(٢) في اللسان: «وقول أبي بلال بن مرداس وقد حضر جنازة، فلما دفنت جلس على مكان مرتفع ثم تنفس الصعداء وقال: كل مَنِيَّةٍ ظنون إلا القتلَ في سبيل الله» اللسان ١٣/٢٧٥ (ظنن).

(٣) البرد: الموت، وفي اللسان (طلع)، والنهاية ٣/١٣٢: «ومنه حديث عمر: لو أن لي ما في الأرض جميعاً لافتديت به من هول المطلع».

(٤) البيان ١/٣٦٥، ٣/١٦٣.

(٥) البيان ١/٣٦٥.

جميعاً، وصُلبت الشجاء وحمادة، قتل خالدُ بن عتّاب غَزَالة. وكانت امرأَةَ صالح بن مُسرِّح.

ومن نساء الغالية[1]: الميلاء، وحُمَيدة، وليلى الناعظية.

محمد بن سلام عن ابن جُعْدُبة قال: ما أبرم عُمر بنُ الخطاب أمراً قط إلا تمثل ببيت شعر.

وعن أبان بن عثمان، قال عبد الملك: لقد كنت أمشي في الزَّرْع فأتَّقي الجُندبَ أن أقتله، وإن الحجاجَ ليكتب إليَّ في قتل فئامٍ[2] من الناس؛ فما أحفِلُ بذلك.

وقيل له ـ وقد أمر بضرب أعناق الأسَراء ـ : أقْسَتك الخلافةُ يا أمير المؤمنين، وقد كنت رؤوفاً! قال: كلا، ما أقْسَتْني، ولكن أقساني احتمال الضغن على الضغن

قالوا[3]: ومات يونسُ النحويُّ سنة اثنتين وثمانين ومائة هو ابن ثمان وثمانين سنة. وقال يونس: ما أكلت شيئا قطُّ في الشتاء إلا وقد بَرُد، ولا في الصيف إلا وقد سخن.

وحدثني محمد بن يَسير قال[3]: قال أبو عمرو المَدَايني: لو كانت البَلايا بالحِصص ما نالني كل ما نالني: اختلفت جاريتي بالشاة إلى التّياس وبي إلى حملها حاجة، فرجعت جاريتي حاملاً، والشاة حائلاً.

محمد بن القاسم قال[4]: قال جرير: أنا لا أبتدي، ولكني أعْتَدِي.

وقال القَيني[5]: أنا مثل العقرب. أضرُّ ولا أنفع.

وقال القيني[6]: أنا أصدق في صغار ما يضرُّني، لأكذبَ في كبارِ ما ينفعني.

قال أبو إسحاق: استراح فلانٌ من حيث تعبَ الكرامُ.

وقال الحجاج: أنا حديدٌ حقود حسود[7].

---

(١) في البيان ١/٣٦٥: «ومن نساء الغالية: ليلى الناعظية، والصدوف، وهند».

(٢) فئام: جماعات كثيرة.

(٣) تقدم الخبر في ٣/٢٢٤.

(٤) تقدم الخبر في ٣/٥٠، وهو في البيان ٣/١٦٥.

(٥) تقدم الخبر في ص ١٨٩، وفي ٤/٣٦٦.

(٦) انظر الخبر في عيون الأخبار ٢/٢٨، والكامل ١/٣٦٣ (المعارف).

(٧) تقدم الخبر في ٣/٢٢٥، وهو برواية مختلفة في البيان ٣/٢٥٥.

وحدثني نُفَيع قال[1]: قال لي القَيْنيِ : أنا لا أصدُق مادام كذبي يخفى.

قال: وذُكر شبيب بن شيبة عند خالد بن صفوان فقال خالد: ليس له صديق في السر، ولا عدوٌ في العلانية!

وقال أبو نخيلة[2] في شبيب بن شيبة: [من الرجز]

إذا غدَتْ سعدٌ على شَبيبِها ... على فتاها وعلى خطيبها

مِنْ مطلع الشمس إلى مغيبها ... عجِبْتَ مِن كثرتها وطِيبها

وقال يحيى بن أبي علي الكرْخيّ: أنا إنسان لا أبالي ما استقبلت به الأحرار[3].

وقال عَمرو بن القاسم: إنما قويت على خصمي بأني لم أتستَّرْ قطُّ عن شيء من القبيح[4]! فقال أبو إسحاق: نلتَ اللذّة، وهتكتَ المروءة، وغلبتك النفس الدَّنية، فأرَتْك مكروهَ عملك محبوباً وسيِّئ قولك حسناً. ومن كان عَلَى هذا السبيل لم يتلفتْ إلى خير يكون منه، ولم يكترثْ بشرٍّ يفعله.

وقال الفرزدق[5]: [من الطويل]

وكان يُجيرُ الناس من سيفِ مالك ... فأصبح يبغي نفسَه من يُجيرُها

ومن هذا الباب قول التُّوتّ اليمانيّ[6]: [من الطويل]

عَلَى أيِّ بابٍ أطلُبُ الإذنَ بعد ما ... حُجِبْتُ عن الباب الذي أنا حاجبُه

ومن هذا الشكل قولُ عديٍّ بن زيد[7]: [من الرمل]

لو بغير الماء حَلْقِي شرِقٌ ... كنتُ كَالغَصَّانِ بالماء اعتصاري

وقال زُهير[8]: [من الطويل]

فلما وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جمامُه ... وضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المتَخَيِّمِ

---

(١) ورد الخبر في البيان ١/٤٧، ٣٤٠، ورسائل الجاحظ ١/٣٥٧.

(٢) الرجز في الأغاني ٢٠/٣٩١، ٤٠٥، وثمار القلوب (٨٣) وبلا نسبة في البيان ١/١١٣.

(٣) ورد الخبر في عيون الأخبار ٢/٢٨، منسوباً إلى القيني.

(٤) ورد القول في عيون الأخبار ٢/٢٨ بلا نسبة.

(٥) ديوان الفرزدق ٢٤٩، والبيان ٣/٢٥٩، وتقدم في ص٢٥٣.

(٦) البيت في البيان ٢/٣٦٠، ٣/٢٥٩، والوحشيات ٧٧.

(٧) تقدم تخريج البيت ص ٧٦.

(٨) تقدم تخريج البيت ص ١٧٨.

وكتب سُوَيد بن منجوف[1] إلى مُصعب بن الزبير: [من الوافر]

فأبْلغْ مُصْعَباً عني رسولاً ... وهل يُلفَى النصيحُ بكل وادِ
تعلَّمْ أنّ أكثرَ مَن تواخى ... وإن ضحِكوا إليك هم الأعادي

وحدثني إبراهيم بن عبد الوهاب، قال[2]: كتب شيخٌ من أهل الريّ عَلَى باب داره: «جزى اللّه من لا يعرفنا ولا نعرفه خيراً. فأمّا أصدقاؤنا الخاصة فلا جزاهمُ الله خيراً، فإنا لم نُؤْتَ قطُّ إلا منهم!»

وأنشدني النهشليُّ لأعرابي يصف نخْلاً: [من البسيط]

ترى مخارفَها ثِنيَيْ جوانبها ... كأنَّ جاني بَيْضِ النَّحْلِ جَانِيها[3]

ووصف آخر نخلاً فقال: [من الرجز]

إذا عَلا قِمَّتَها الرَّاقي أهَلّْ[4]

وقال الشاعر[5]: [من الوافر]

ومن تَقْلِلْ حلوبَتُهُ وَينْكُلْ ... عن الأعداء يَغْبَقُهُ القَراحُ
رأيتُ مَعَاشراً يُثْنى عليهمِ ... إذا شَبعوا وأَوجُهُهُمْ قِبَاحُ
يظلُّ المُصْرِمُونَ لهمُ سُجُوداً ... وإن لم يُسْقَ عندهُم ضَياحُ[6]

وقال الشاعر: [من البسيط]

البائتين قريباً من بيوتهمُ ... ولو يشاؤون آبوا الحيّ أوْ طرَقوا

يقول: لرَغبته في القِرَى، وفي طعام الناس، يبيت بهمْ، ويدعُ أهلَه. ولو شاء أنْ يبيت عندهم لَفعل.

وقال آخر، يمدحُ ضدَّ هؤلاء: [من البسيط]

تَقرِي قدورُهم سُرَّاءَ ليلهِمُ ... ولا يبيتون دون الحيِّ أَضيافا[7]

---

(١) البيتان في الوحشيات ٩٨، وربيع الأبرار ٣/٥٧٣، وأمالي اليزيدي ٨١، والتعازي والمراثي ١٩٠.
(٢) الخبر في البيان ٣/٢٨٠.
(٣) المخارف: جمع مخرف، وهو الرُّطَب.
(٤) الراقي: الذي يعتليها. أهل: رفع صوته.
(٥) الأبيات لمالك بن الحارث في شرح أشعار الهذليين ٢٣٨، والأول في اللسان والتاج (غبق) مع نسبته إلى أبي سهم الهذلي، والثالث في اللسان والتاج (ضيح) مع نسبته إلى خالد بن مالك الهذلي، والثاني والثالث للهذلي في عيون الأخبار ١/٢٤٠-٢٤١.
(٦) المصرم: القليل الماء السيئ الحال. الضياح: اللبن الرقيق الكثير الماء.
(٧) السراء: جمع سار، وهو الذي يسير ليلاً.

وقال جرير[1]: [من الطويل]

وإني لأسْتَحيي أخِي أن أرى له ... عَليَّ من الحق الذي لا يَرى لِيَا

قال: أستحيي أن يكون له عندي يدٌ ولا يرى لي عندَه مثلها.

وقال امرؤ القيس[2]: [من الطويل]

وهلْ ينعمْنَ إلا خلِيٌّ منعَّمٌ ... قليلُ الهموم ما يبيتُ بأوْجالِ

قال: وهو كقوله[2]: «استراحَ من لا عقْلَ لهَ». وأنشد مع هذا البيت قول عمر ابن أبي ربيعة. ويحكى أن المنصور كان يعجبُه النصف الأخير من البيت الثاني جداً، ويتمثل به كثيراً، حتى انتقده بعض من قضى به عليه أن المعنى قدَّمَهُ دهراً، وكان استحسانه عن فضل معرفته بإحقاقه فيه، وصواب قوله[3]: [من الطويل]

وأعجَبَها من عيشها ظِلُّ غُرْفَة ... ورَيَّانُ مُلْتَفُّ الحدائق أخضرُ

ووالٍ كَفَاها كلَّ شيء يَهُمُّها ... فليَستْ لشيءِ آخر الدهرِ تَسْهَرُ

وأنشد[4]: [من الطويل]

إذا ابْتَدَرَ الناسُ المعالي رأيتهمْ ... وقُوفاً، بأيديهم مسُوكُ الأرانب[5]

هجاهم بأنهم إنما يعيشون من الصيد. وأنشد: [من الطويل]

إذا ابتدرَ الناسُ المكارمَ والعُلاَ ... أقاموا رُتوباً في النُّهُوجِ اللهاجمِ[6]

يخْبر أنهم يسألون الناس. والنهج واللهْجم: الطريق الواسع.

وقال الآخر[7]: [من الطويل]

لنا إبلٌ يَروين يوماً عِيالَنا ... ثلاثٌ وإن يكثرْنَ يوماً فأربعُ

نُمِدُّهم بالماء لا مِنْ هَوانِهِمْ ... ولكِنْ إذا مَا قلَّ شيءٌ يوسَّعُ

---

(١) تقدم البيت في ٣/ ٢٣٧، الفقرة (٩٠٠).

(٢) ديوان امرئ القيس ٢٧، وتقدم في ٣/ ٢٣٧، الفقرة (٩٠٠).

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ٩٥، والبيان ٣/ ٣١٨، وتقدم البيتان في ٣/ ٢٣٧، الفقرة (٩٠٠).

(٤) البيت بلا نسبة في ربيع الأبرار ٥/ ٤٢٧.

(٥) المسوك: جمع مسك، وهو الجلد.

(٦) الرتوب: الثبات والإقامة.

(٧) البيتان لأبي الحسحاس الأسدي في السمط ٨٩٢، وبلا نسبة في البخلاء ٢٢٠، والثاني بلا نسبة في الفاضل ٤٠، واللسان (مدد).

وقال الآخر[1]: [من الطويل]

من المُهْدَيات الماءَ بالماء بعدما ... رمى بالمقادي كلُّ قادٍ ومُعْتَمِ[2]

وقال الآخر: [من الطويل]

وداعٍ دعا والليلُ مُرخٍ سُدولَه ... رجـاءَ القِرَى يا مُسلمَ بنَ حِمارِ

دَعا جُعَلاً لا يهتدي لِمَبيته ... من اللوم حتى يهتدي ابنُ وبارِ

وقال الحسن بن هانئ[3]: [من الطويل]

أَضْمرتُ للنِّيل هِجْراناً ومَقْـليةً ... إذ قيل لي إنما التِّمساحُ في النيل[4]

فمن رأى النِّيل رأيَ العَينِ من كَثَبٍ ... فما أرى النِّيلَ إلا في البواقيل[5]

وقال ابن ميَّادة[6]: [من الطويل]

أتيتُ ابنَ قشْراء العجان فلم أَجدْ ... لدى بابه إذناً يسيراً ولا نُزْلا

فإن الذي ولاَّكَ أمْرَ جماعةٍ ... لأنقَصُ مَن يمشي على قَدم عقْلا

ومن هذا الباب قوله[7]: [من البسيط]

إني رأيت أبا العوراء مُرتفقاً ... بشَطِّ دجْلَة يَشْري التَّمر والسَّمكا

كَشِرَّة الخيل تبقَى عند مذْودها ... والموتُ أعلم إذْ قَفَّى بمن تركا

هَذي مساعيكَ في آثارِ سادَتِنا ... ومن تكنْ أنت ساعيه فقد هَلَكا

ومن هذا الباب قوله[8]: [من الوافر]

ورِثنا المجدَ عن آباء صِدقٍ ... أسأنا في ديارهم الصَّنيعَا

إذا المجدُ الرفيعُ تعاورتْه ... وُلاة السُّوء أوشك أن يضيعا

وقال جِران العَوْدِ[9]: [من الطويل]

---

(١) البيت للعجير السلولي في البخلاء ٢٢٠.

(٢) القادي: القادم من السفر. المعتمي: القاصد.

(٣) ديوان أبي نواس ٥٦١.

(٤) مقلية: بغضاً.

(٥) البواقيل: جمع بوقال، وهو كوز بلا عروة.

(٦) ديوان ابن ميادة ١٩٧، وتقدم البيتان في ٣/٣٩-٤٠.

(٧) تقدمت الأبيات في ٣/٣٩.

(٨) تقدمت الأبيات في ٣/٤٠.

(٩) البيت لجران العود في ديوانه ٥٣، وتقدم في ٣/٢٣.

أُراقبُ لمحاً من سُهيل كأنه إذا ما بَدَا في دُجْية الليل يطرفُ

وقال: [من الطويل]

ولَمْ أَجدِ الموقوذَ تُرجى حياتُه إذا لم يرعْه الماءُ ساعةَ يُنضَحُ[١]

وكان أبو عبادٍ النُّميريُّ أتى باب بعض العمال، يسأله شيئاً من عمل السلطان، فبعثه إلى أُسْتقَانَا فسَرقوا كل شيء في البَيْدر وهو لا يشعر، فعاتبه في ذلك، فكتب إليه أبو عبّاد[٢]: [من مجزوء الرمل]

كنتُ بازاً أَضربُ الكُرْ كيّ والطيرَ العظاما
فتقنَّصْتَ بيَ الصَّـ ـعْو فأوهنْتَ القُدَامى[٣]
وإذا ما أُرسل البا زي عَلَى الصعْو تَعَامَى

أراد قول أبي النجم[٤] في الراعي: [من الرجز]

يمرُّ بين الغانيات الجهَّلِ كالصقر يجفو عن طِرادِ الدُّخّلِ

وبات أبو عبّادٍ مع أبي بكر الغفاريّ، في ليالي شهر رمضان، في المسجد الأعظم، فدبّ إليه، وأنشأ يقول: [من السريع]

يا ليلةً لي بتُّ أَلْهُو بها مع الغِفاريِّ أبي بكرِ
قمتُ إليه بعد ما قد مضى ثُلْثٌ من الليل على قدْرِ
في ليلة القدْر، فيا مَنْ رأى أَدَبَّ منّي ليلةَ القَدْرِ
ما قام حَمْدانٌ أبو بكرِ إلا وقد أفزَعَهُ نَخْري[٥]

وقال في قلْبانَ صديقته: [من مجزوء الخفيف]

إنَّ قلبانَ قد بَغَتْ لشقائي وقد طَغَتْ
وإذا لم تُنَك بأيْـ ـرٍ عظيم القِوى بكتْ

وقال مسكينٌ الدَّارمي[٦]: [من الطويل]

---

(١) الموقوذ: المضروب ضرباً شديداً.

(٢) الخبر السابق مع الأبيات في البرصان ٢١٦، ومحاضرات الأدباء ١/٨٧ (١/١٧٩).

(٣) التقنص: الصيد. الصعو: طائر أصغر من العصفور.

(٤) ديوان أبي النجم العجلي ٢٠٦، والبرصان ٢١٦، والطرائف الأدبية ٧٠، والثاني في المقاييس ١/٤٦٥، وبلا نسبة في الجمهرة ٥٨٠، والتاج (دخل)، ومبادئ اللغة ١٦٦.

(٥) النخر: صوت الأنف.

(٦) ديوان مسكين الدارمي ٣٢، والحماسة البصرية ١/١٧٩.

إليك أميرَ المؤمنين رحلْتُها | تثيرُ القطا ليلاً وهنَّ هُجودُ
لدَى كلِّ قرموص كأنَّ فراخَهُ | كُلَى غير أن كانت لهنَّ جُلودُ

وقال أبو الأسود الدؤلي، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان[1]: [من الطويل]

أمنْتَ على السرِّ امْرأً غيرَ كاتمٍ | ولكنه في النصح غيرُ مُريب
أذَاعَ به في الناس حتَّى كأنَّهُ | بعَلياء نارٌ أُوقدَتْ بثَقُوب[2]
وكنتَ متى لم تَرْعَ سرَّك تنتشرْ | قوارعُه منْ مخطئ ومُصيب[3]
وما كل ذي لُبٍّ بمؤْتيكَ نُصْحَهُ | وما كلُّ مؤت نصحَهُ بلَبيب
ولكن إذا ما استَجْمعا عند واحدٍ | فحقّ له منْ طَاعةٍ بنَصيب[4]

وقال أيضاً[5]: [من الطويل]

إذا كنتَ مظلوماً فلا تُلفَ راضياً | عَنِ القَوْمِ حتَّى تأخُذَ النصفَ واغْضَب
وَإن كنتَ أنتَ الظَّالمُ القومَ فاطَّرِحْ | مقالتهم وَأشْغب بهم كل مَشغَب
وقاربْ بذي جهلٍ، وباعدْ بعالمٍ | جَلوبٍ عليكَ الحقَّ منْ كلِّ مَجلب
فإن حَدبوا فاقعَسْ وإن هم تقاعَسُوا | ليستمسكوا مما وراءك فاحدَب[6]
ولا تُذْعنَنْ للحقِّ واصبر على التي | بها كنتُ أَقضي للبعيد على أبي
فإني امرؤٌ أخشَى إلهي وأتَّقي | مَعادي وقد جرَّبتُ ما لم تجربِ

وقال مَسْلمة بن عبد الملك: [من الرجز]

إني إذا الأصواتُ في القوم عَلَتْ | في مَوْطِنٍ يَخشى به القومُ العَنَتْ
مُوَطِّنٌ نفسي على ما خَيَّلَتْ | بالصَّبر حتَّى تنجلي عَمَّا انجلَتْ

وقال الكميت[7]: [من المتقارب]

وبيضٍ رِقاقٍ خفاف المُتُونِ | تسمعُ للبَيْضِ منها صريرا[8]

---

(١) ديوان أبي الأسود الدؤلي ٢٠٧.
(٢) الثقوب: ما أثقبت به النار وأشعلتها.
(٣) القوارع: الدواهي.
(٤) استجمعا: أي اللب والنصح.
(٥) ديوان أبي الأسود الدؤلي ٢٠٩.
(٦) القعس: خروج الصدر ودخول الظهر وهو نقيض الحدب.
(٧) ديوان الكميت ١/ ١٩١، والثاني في اللسان والتاج (قرح)، والتهذيب ٤/ ٣٨، والبيان ١/ ٢٥٥.
(٨) البَيض: السلاح، والبِيض: السيوف.

تُشبَّهُ في الهامِ آثارُها مَشافِرَ قَرْحَى أكلْن البَريرا

وأنشدني أبو عبيدة: [من الرجز]

نُصْبِحُها قيساً بلا استبقائها صفائحاً فيها فضولُ مائها

من كلِّ غَضْبٍ علٍّ من دمائها إذا علا البيضة في استوائها

رونقُه أوقَدَ في حِرْبائها ناراً وقد أمخض من ورائها

وأنشدني لرجُل من طيئ: [من الرجز]

لم أرَ فتيانَ صباحٍ أصبَرا منهم إذا كان الرماحُ كِسَرا

سفْعَ الحدودِ دُرَّعاً وحُسَّرا لا يشتهون الأجَل المؤخَّرا[١]

وقال ابن مفرِّغ[٢]: [من الرجز]

قبٌّ البطون والهوادي قودُ إن حادت الأبطالُ لا تحيدُ[٣]

إذا رجعناهُنَّ قالت عودُوا كأنما يَعلمن ما نُريدُ

ومن المجهولات: [من الطويل]

عليكَ سلامَ اللّه من مَنزلٍ قَفْرِ فقد هِجْتَ لي شوقاً قديماً وما تدرِي

عهدتك من شهر جديداً ولم أخَلْ صُروفَ النّوَى تُبلي مغانيك في شهرِ

الخرَيميُّ أبو يعقوب[٤]: [من الطويل]

لعمرك ما أخلقتُ وجهاً بذلتُه إليك ولا عَرَّضْتُه للمعايرِ

أي لا أعيِّرُ لقصدك.

فتًى وفَرتْ أيدي المحامدِ عِرضَه عليه وخلَّتْ ماله غيرَ وافرِ

وقال مطيعُ بنُ إياسٍ[٥]: [من المنسرح]

قد كلفتني طويلةُ العُنُقِ وحُبُّ طُولِ الأَعْناقِ مِنْ خُلُقي

---

(١) الدُّرَّع: جمع دارع، وهو لابس الدرع. الحسَّر: جمع حاسر، وهو الذي لا درع عليه.

(٢) ديوان يزيد بن مفرغ ٩٣.

(٣) في ديوانه: «قبٌّ: جمع قباء، وهي الضامرة البطن مع دقة في الخصر. الهوادي: الأعناق. قود: جمع أقود وهو الطويل، والأقود من الخيل: الطويل العنق العظيمة».

(٤) ديوان الخريمي ٣٨.

(٥) لم يرد البيتان في ديوانه، والأول في البرصان ٣١٨.

أَقْلَقُ مِنْ بُعْدِها فإنْ قَرِبَتْ ... فالقُرْبُ أيضاً يزيدُ في قَلَقي

وقال سهلُ بنُ هارون[1]: [من البسيط]

إذا امرؤٌ ضاقَ عنِّي لم يَضِقْ خُلُقي ... مِنْ أَنْ يراني غَنيّاً عنه بالياسِ

ولا يراني إذا لم يَرْعَ آصرَتي ... مُسْتَمْرِياً دِرَراً منه بإبساسِ[2]

لا أَطْلُبُ المالَ كي أُغْنَى بفضلته ... ما كان مَطْلَبُهُ فقراً إلى الناسِ

وقال[3] ليحيى بن خالد: [من الطويل]

عدوّ تلادِ المال فيما ينوبه ... منوعٌ إذا ما منْعُه كان أحْزَما

فسيَّان حالاه، له فضْلُ منْعه ... كما يستحقُّ الفضلَ إن هو أنْعَمَا

مَذلِّلُ نفس قد أبتْ غير أن ترى ... مَكارِهَ ما تأتي من الحقِّ مَغْنما

وقال أبو الأسود لزياد: [من الطويل]

لعَمْرُكَ ما حَشاكَ اللّهُ رُوحاً ... به جَشَعٌ ولا نَفْساً شَرِيرهْ

ولكنَّ أنتَ لا شَرِسٌ غليظٌ ... ولا هَشٌّ تنازعُه خؤُورَهْ

كأنا إذْ أتيناهُ نزلْنا ... بجانبِ رَوْضة رَيَّا مَطيرهْ

تم الجزء الخامس من كتاب الحيوان ويليه الجزء السادس

أوله باب.. من كتاب الحيوان.

---

(١) الأبيات في البخلاء ١٨٢، والأول والثالث في زهر الآداب ٦١٧.

(٢) الآصرة: ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف، والآصرة: الرحم، لأنها تعطفك. مستمرياً: مستخرجاً. الإبساس: صوت الراعي تسكن به الناقة عند الحلب، وهو قوله: بس بس.

(٣) البيتان الأول والثالث لسهل بن هارون في البيان ٣/٣٥٢، وزهر الآداب ٦١٦، والأول في البخلاء ١٤، وقد تقدم في ٣/٢٢٢، والأبيات لكثير عزة في العقد الفريد ٦/١٩٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

بـــاب

بسم اللّه، والحمدُ للّه، ولا حولَ ولا قوّة إلا باللّه، وصلى اللّه على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللّهم جنِّبْنا فضول القول، والثقة بما عندنا، ولا تجعلْنا من المتكلِّفين.

١٦٦٧ - [مسرد الأجزاء السابقة]

قد قلْنا في الخطوط[١] ومرافقها، وفي عموم منافعها، وكيف كانت الحاجة إلى استخراجها، وكيف اختلفَتْ صُوَرُها على قدر اختلاف طبائع أهلها، وكيف كانت ضرورتُهم إلى وضْعها، وكيف كانت تكون الخلّة عند فَقْدها.

وقلنا في العَقْد ولِمَ تَكلَّفوه، وفي الإشارة ولِمَ اجتلبوها[٢]، ولِمَ شبَّهوا جميع ذلك ببيان اللِّسان حتى سموه بالبيان، ولم قالوا: القلم أحدُ اللسانين، والعَين أنَمُّ من اللِّسان.

وقلنا في الحاجة إلى المنطق وعُموم نفعه، وشدة الحاجة إليه، وكيف صار أعمَّ نفعاً، ولجميع هذه الأشكال أصلاً، وصار هو المشتقَّ منه، والمحمول عليه، وكيف جعلْنا دلالة الأجسام الصامتة نطْقاً والبرهان الذي في الأجرام الجامدة بياناً.

وذكرنا جملة القول في الكلب والدِّيك في الجزأين الأوَّلين، وذكرْنا جملة القول في الحمام، وفي الذِّبّان، و في الغربان، وفي الخنافس، وفي الجعلان، إلاّ ما بقي من فضْل القول فيهما، فإنّا قد أخَّرنا ذلك، لدخوله في باب الحشرات، وصواب موقعهما في باب القول في الهمج - في الجزء الثالث.

وإذا سمعت ما أودعها اللّه تعالى من عظيم الصَّنعة، وما فطرها اللّه تعالى عليه من غريب المعرفة، وما أجْرى بأسبابها من المنافع الكثيرة، والمحن العظيمة، وما جعل فيها من الدّاء والدَّواء - أجلَلْتها أنْ تسميها همجاً، وأكبرتَ الصنف الآخر أنْ تسمِّيه حشرة، وعلمت أنَّ أقدارَ الحيوان ليست على قدر الاستحسان، ولا على أقْدار الأثمان.

---

(١) تقدم الكلام على الخطوط في ١/٤٥-٥٠، الفقرات (٣٥-٣٩).

(٢) تقدم الكلام على العقد والإشارة في ١/٢٩، الفقرة (١٥).

وذكرنا جملة القول في الذّرّة والنّملة، وفي القرد والخنزير، وفي الحيّات والنّعام، وبعض القول في النّار في الجزء الرابع.

والنار - حفظك الله - وإنْ لم تكن من الحيوان، فقد كان جرى من السَّبب المتّصل بذكرها، ومن القول المضمر بما فيها، ما أوجبَ ذِكْرها والإخبار عن جملة القول فيها.

وقد ذكرنا بقيَّة القول في النّار، ثمَّ جملة القول في العصافير، ثمَّ جملة القول في الجرذان والسَّنانير والعقارب. ولِجَمْعِ هذه الأجناس في باب واحد سببٌ سيعرفه من قرأه، ويتبيّنه من رآه!

ثمَّ القولَ في القمل والبراغيث والبعوض، ثمَّ القول في العنكبوت والنَّحل، ثمَّ القولَ في الحُبارى، ثمَّ القول في الضَّأن والمعز، ثم القول في الضفادع والجراد، ثمَّ القول في القطا.

١٦٦٨- [الإطناب والإيجاز]

وقد بقيتْ - أبقاك الله تعالى - أبوابٌ توجب الإطالة، وتُحوج إلى الإطناب. وليس بإطالةٍ ما لم يُجاوزْ مِقْدارَ الحاجة، ووقف عند منتهى البغية.

وإنما الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرُها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفُها لشريفها، وسخيفها لسخيفها. والمعاني المفردةُ، البائنة بصُورها وجهاتها، تحتاج من الألفاظ إلى أقلَّ مما تحتاج إليه المعاني المشتركة، والجهاتُ الملْتبسة.

ولو جَهِد جميعُ أهل البلاغة أن يُخبروا من دونهم عن هذه المعاني، بكلام وجيز يُغْني عن التفسير باللّسان، والإشارة باليد والرأس - لما قَدَرُوا عليه.

وقد قال الأوّل[1]: «إذا لم يكنْ ما تُريدُ فارِدْ ما يكون!».

وليس ينبغي للعاقل أن يسُوم[2] اللُّغاتِ ما ليس في طاقتها. ويسومَ النُّفوس ما ليس في جِبلَّتها[3]. ولذلك صار يحتاجُ صاحبُ كتاب المنطق إلى أنْ يفسِّره لِمَنْ

---

(١) هذا القول لأيوب بن أبي تميمة السختياني في صفة الصفوة ٣/٢١٤، وورد بلا نسبة في البيان ١/٢١٠، وهو من الأمثال في المستقصى ١/١٢٧، وأمثال ابن سلام ٢٣٧، وجمهرة الأمثال ١/٣٠٥.

(٢) سامه الأمر: كَلَّفَه إيّاه.

(٣) الجبلة: الخلقة والطبيعة.

طُلب مِنْ قبَله علم المنطق، وإن كان المتكلمُ رفيق اللِّسان، حسن البيان، إلاّ أنِّي لا أشُكُّ على حالٍ أنَّ النفوسَ إذْ كانتْ إلى الطَّرائف أحنَّ، وبالنَّوادر أشغف، وإلى قصار الأحاديث أمْيل، وبها أصبَّ – أنَّها خليقةٌ لاستثقال الكثير، وإن استحقَّت تلك المعاني الكثيرة، وإنْ كان ذلك الطَّويلُ أنفعَ، وذلك الكثيرُ أردّ[1].

١٦٦٩ – [سرد سائر أبواب الكتاب]

وسنبدأ بعون اللّه تعالى وتأييده، بالقول في الحشرات والهمج، وصغار السباع، والمجهولات الخاملة الذِّكْر من البهائم، ونجعل ذلك كله باباً واحداً، ونتَّكل، بعد صُنْع اللّه تعالى، على أنّ ذلك الباب إذْ كان أبواباً كثيرة، وأسماء مختلفة – أنّ القارئ لها لا يملُّ باباً حتَّى يخرجه الثَّاني إلى خلافه، وكذلك يكون مقامُ الثَّالث من الرَّابع، والرابع من الخامس، والخامس من السَّادِس.

١٦٧٠ – [مقياس قدر الحيوان]

وليس الذي يُعتمد عليه من شأن الحيوان عِظم الجثة، ولا كثرة العدد، ولا ثقل الوزن!

والغايةُ التي يُجرى إليها، والغرض الذي نرمي إليه غير ذلك، لأن خلْق البعوضة وما فيها من عجيب التركيب، ومن غريب العمل، كخلْق الذَّرَّة وما فيها من عجيب التركيب، ومن الأحساس الصَّادقة، والتدابير الحسنة، ومن الرويَّة والنظر في العاقبة، والاختيارِ لكلٍّ ما فيه صلاحُ المعيشة، ومع ما فيها من البُرهانات النيرة، والحججِ الظَّاهرة[2].

وكذلك خَلْق السُّرْفة[3] وعجيب تركيبها، وصنْعة كفِّها، ونظرها في عواقب أمرها.

وكذا خلق النَّحْلة مع ما فيها من غريب الحكم، وعجيب التَّدبير، ومن التقدُّم فيما يُعيشها، والادخارِ ليوم العجْز عن كسبها، وشمِّها ما لا يُشَمُّ، ورؤيتها لما لا يُرى، وحُسن هدايتها، والتّدبير في التأمير عليها، وطاعة ساداتها، وتقسيط أجناس الأعمال بينها، على أقدار معارفها وقُوّة أبدانها[4].

---

(١) أردّ: أنفع.
(٢) وردت الفقرة السابقة في ثمار القلوب (٦٤٢).
(٣) السرفة: دودة القز.
(٤) وردت الفقرة السابقة في ثمار القلوب (٧٣٢).

فهذه النَّحلة، وإن كانت ذبابة، فانظر قبل كل شيء في ضروب انتفاع ضُروب الناس فيها، فإنَّك تجدُها أكبر من الجبل الشامخ، والفضاء الواسع.

وكلُّ شيء وإن كان فيه من العجب العاجب، ومن البُرهان النّاصع، ما يوسِّع فِكر العاقل، ويملأ صدْر المفكّر، فإنّ بعض الأمور أكثرُ أعجوبة، وأظهر علامة. وكما تختلف بُرهاناتها في الغموض والظُّهور، فكذلك تختلف في طبقات الكثْرةِ، وإن شملتها الكثرةُ، ووقع عليها اسم البرهان.

١٦٧١ - [رجْع إلى سرد سائر أبواب الكتاب]

ولعلَّ هذا الجزء الذي نبتدئُ فيه بذكر ما في الحشرات والهمج، أنْ يفضل من ورقه شيءٌ، فنرفعه ونتمِّه بجملة القول في الظِّباء والذئاب، فإنَّهما بابان يقصُران عن الطوال، ويزيدان على القصار.

وقد بقي من الأبواب المتوسِّطة والمقتصدة المعتدلة، التي قد أخذت من القصر لمنَ طلب القصر بحظٍّ، ومن الطُّول لمن طلب الطُّول بحظّ وهو القولُ في البقَر، والقولُ في الحمير، والقولُ في كِبار السِّباع وأشرافها، ورؤسائها، وذوي النَّباهة منها، كالأسد والنَّمر، والببْر وأشباه ذلك، مما يجمعُ قوَّة أصل النَّاب، والذَّرب[1]، وشَحْو[2] الفم، والسَّبُعيّة وحدّة البرثن، وتمكُّنه في العصب، وشدّة القلب وصرامته عند الحاجة، ووثاقة خَلْق البدن، وقوّته على الوثْب.

وسنذكر تسالُمَ المتسالمةِ منها، وتعادي المتعادية منها، وما الذي أصلح بينها على السَّبُعيَّة الصِّرف، واستواء حالها في اقتيات اللُّحمان، حتَّى ربَّما استوت فريستُها في الجنس.

وقد شاهدْنا غير هذه الأجناس يكون تعاديها من قِبل هذه الأمور التي ذكرناها. وليس فيما بين هذه السِّباع بأعيانها تفاوتٌ في الشِّدَّة، فتكون كالأسد الذي يطلب الفهد ليأكله، والفهدُ لا يطمع فيه ولا يأكله. فوجدنا التَّكافؤ في القُوَّة والآلة من أسباب التَّفاسُد. وإنَّ ذلك ليعملُ في طباع عقلاء الإنس حتَّى يخرُجوا إلى تهارُشِ السِّباع، فما بالها لم تعمل هذا العمل في أنفُس السِّباع؟!

---

(١) الذرب: الحدَّة.

(٢) الشحو: الاتساع.

وسنذكر علّة التسالم وعِلّة التعادي، ولِم طُبعت رؤساء السِّباع على الغفلة وبعض ما يدخلُ في باب الكرَم، دون صغار السِّباع وسفْلتها، وحاشيتها وحَشْوها[1]، وكذلك أوساطها، والمعتدلة الآلة والأسر[2] منها.

١٦٧٢ - [شواهد هذا الكتاب وملازمتها للغرائب والطرائف]

ولم نذكر، بحمد اللّه تعالى، شيئاً من هذه الغرائب، وطريفة من هذه الطرائف إلا ومعها شاهد من كتاب مُنْزلٍ، أو حديثٍ مأثور، أو خبرٍ مستفيض، أو شعرٍ معروف، أو مثل مضروب، أو يكون ذلك ممّا يشهد عليه الطبيب، ومن قد أكثر قراءة الكتب، أو بعض من قد مارَس الأسفار، وركب البحار، وسكنَ الصَّحارِي واستَذْرى[3] بالهضاب، ودخل في الغياض[4]، ومشى في بطون الأودية.

وقد رأيْنا أقواماً يدَّعُون في كتبهم الغرائب الكثيرة، والأمور البديعة، ويخاطرون من أجل ذلك بمروءاتهم، ويُعرِّضون أقدارهم، ويسلِّطون السُّفهاء على أعراضهم، ويجترُّون سُوء الظَّنّ إلى أخبارهم، ويحكِّمون حُسّاد النِّعم في كتبهم، ويمكِّنون لهم من مقالتِهم. وبعضهم يتّكل على حُسْن الظَّنِّ بهم، أو على التسليم لهم، والتقليد لدعواهم. وأحسنهم حالاً من يُحِبُّ أن يُتفضَّلَ عليه ببسط العُذْر له، ويُتكلّف الاحتجاجُ عنه، ولا يبالي أن يُمَنّ بذلك على عقبه، أو من دان بدينه، أو اقتبس ذلك العلم من قِبل كُتُبه.

ونحن حفظك اللّه تعالى، إذا استنطقْنا الشَّاهد، وأحَلْنا على المثل، فالخصومة حينئذٍ إنَّما هي بينهم وبينها، إذْ كنّا نحنُ لم نستشهد إلاّ بما ذكرنا. وفيما ذكرنا مقنعٌ عند علمائنا، إلاّ أن يكون شيءٌ يثبتُ بالقياس، أو يبطلُ بالقياس، فواضعُ الكتاب ضامنٌ لتخليصه وتلخيصه، ولتثبيتِه وإظهار حجّته.

فأمَّا الأبوابُ الكبارُ فمثلُ القَوْل في الإبل، والقولِ في فضيلة الإنسان على جميع الحيوان، كفضل الحيوان على جميع النامي، وفضل النَّامي على جميع الجماد.

---

(١) الحشو والحاشية: الصغار.

(٢) الأسر: القوة.

(٣) استذرى بالشجرة والحائط: اكْتَنَّ وصار في كنف منها.

(٤) الغياض: جمع غيضة، وهي مفيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر.

وليس يدخلُ في هذا الباب القولُ فيما قسم اللّه، عزّ وجلّ، لبعض البقاع من التّعظيم دون بعض، ولا فيما قسم من السّاعات والليالي، والأيّام والشّهور وأشباه ذلك، لأنّه معنًى يرجع إلى المختبرين بذلك، من الملائكة والجنّ والآدميّين.

فمن أبواب الكبار القول في فصْل ما بين الذُّكورةِ والإناث، وفي فصْل ما بين الرّجل والمرأة خاصّة.

وقد يدخل في القول في الإنسان ذكر اختلاف النّاس في الأعمار، وفي طول الأجسام، وفي مقادير العقول، وفي تفاضل الصّناعات، وكيف قال من قال في تقديم الأوّل، وكيف قال من قال في تقديم الآخر.

فأما الأبوابُ الأُخر، كفضْل الملكِ على الإنسان، وفضلِ الإنسان على الجانّ، وهي جملة القول في اختلاف جواهرهم، وفي أيّ موضع يتشاكلون، وفي أيّ موضع يختلفون؛ فإن هذه من الأبوابَ المعتدلة في القصَر والطّول.

١٦٧٣- [علة تداخل أبواب الكتاب]

وليس من الأبواب بابٌ إلاّ وقد يدخلُه نُتفٌ من أبوابٍ أُخرَ على قدْرِ ما يتعلّق بها من الأسباب، ويعرض فيه من التضمين. ولعلك أن تكون بها أشدّ انتفاعاً.

وعلى أني ربما وشّحْت هذا الكتاب وفصّلته فيه بين الجزء والجزء بنوادر كلام، وطرف أخبار، وغُرر أشعار، مع طرف مضاحيك. ولولا الذي نُحاول من استعطاف على استتمام انتفاعكم لقد كنّا تسخَّفْنا(١) وسخَّفْنا شأن كتابنا هذا.

وإذا علم اللّه تعالى موقع النّيّة، وجهة القصْد، أعان على السّلامة من كلّ مخوف

١٦٧٤- [العلة في عدم إفراد باب للحيوانات المائية]

ولم نجعل لما يسكن المِلحَ والعذوبة، والأنهارَ والأدوية، والمناقع والمياه الجارية، من السَّمَك وممّا يخالف السّمك، ممّا يعيش مع السمك - باباً مجرّداً، لأنّي لم أجدْ في أكثره شِعراً يجمع الشّاهد ويُوثق منه بحسْنِ الوصف، وينشّط بما فيه من غير ذلك للقراءة. ولم يكن الشّاهد عليه إلاّ أخبار البحْريّين، وهم قومٌ لا

(١) انظر ما تقدم في ٣/١٧، السطر ١٨، ٢٤، ٢٧. وأراد بالتسخف: الذهاب مذهب السخف.

يعدُّون القول في باب الفِعْل، وكلّما كان الخبرُ أغرب كانوا به أشدّ عُجْبًا، مع عبارة غثَّة، ومخارج سَمِجة.

وفيه عيبٌ آخر: وهو أنّ معه من الطّول والكثْرة ما لا تحتملونه، ولو غنّاكم بجميعه مُخارِق، وضرب عليه زلْزل، وزمر به بَرْصُوما، فلذلك لم أتعرَّضْ له.

وقد أكثر في هذا الباب أرسطاطاليس، ولم أجد في كتابه على ذلك من الشّاهد إلاّ دعْواه.

ولقد قلت لرجل من البحريِّين: زعم أرسطاطاليس أنّ السّمكة لا تبتلعُ الطُّعم أبداً إلاّ ومعه شيءٌ من ماء، مع سعة المدخل، وشرّ النفس. فكان من جوابه أن قال لي: ما يعلم هذا إلاّ مَنْ كان سمكة مرَّةً، أو أخبرته به سمكة، أو حدَّثه بذلك الحواريُّون أصحاب عيسى، فإنهم كانوا صيّادين، وكانوا تلامذة المسيح.

وهذا البحريُّ صاحبُ كلام، وهو يتكلَّف معرفة العِلل. وهذا كان جوابه. ولكني لن أدع ذكْرَ بعض ما وجدته في الأشعار والأخبار، أوْ كان مشهوراً عند من ينزل الأسيافَ[1] وشطوط الأودية والأنهار، ويعرفه السَّمَّاكون، ويُقِرُّ بهِ الأطبَّاء - بقدر ما أمكن من القول.

١٦٧٥- [زعم إياس بن معاوية في الشبُّوط]

وقد روى لنا غيرُ واحد من أصحاب الأخبار، أنّ إياسَ بن مُعاوية زعم أنّ الشَّبُّوطة كالبغْل، وأنّ أُمّها بُنيّة، وأباها زَجْرٌ[2]، وأنّ من الدّليل على ذلك أنّ الناس لم يجدوا في بطن شَبُّوطة قطُّ بيضاً.

وأنا أخبرك أنّي قد وجدته فيها مراراً، ولكنّي وجدتُهُ أصغر جُثّةً، وأبعد من الطِّيب، ولم أجده عامًّا كما أجده في بطون جميع السمك.

فهذا قول أبي واثلة إياس بن معاوية المزني الفقيه القاضي، وصاحب الإزكان[3]، وأقْوف[4] من كرْز بن علقمة، داهية مُضر في زمانه، ومفخرٌ من مفاخر العرب.

---

(١) الأسياف جمع سِيف، وهو ساحل البحر.

(٢) البنية والزجر: ضربان من السمك، انظر ما تقدم في ٥ / ١٩٨.

(٣) الإزكان: الفطنة والحدس الصادق، وانظر ما تقدم في ٥ / ١٢٤، السطر ٧.

(٤) أقوف: أشد قيافة. والقيافة: هي عمل القائف: وهو الذي يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه.

١٦٧٦- [الشك في أخبار البحريين والسّماكين والمترجمين]

فكيف أسكُنُ بعد هذا إلى أخبار البحْريِّين، وأحاديث السمَّاكين، وإلى ما في كتابِ رَجُل لعلَّه أنْ لو وجد هذا المترجم أن يُقيمَهُ على المِصْطبة، ويبرأ إلى النَّاس من كذبه عليه، ومن إفساد معانيه بسوء ترجمته.

١٦٧٧- [الأجناس التي ترجع إلى صورة الضب]

والذي حضرني من أسماء الحشرات، ممَّا يرجع عمود صُورها إلى قالبٍ واحد، وإن اختلفتْ بعد ذلك في أمور. فأوَّل ما نذكر من ذلك الضبّ.

والأجناسُ التي ترجع إلى صورة الضّبّ: الورلُ، والحرباء، والوحرة[1]، والحُلْكة[2]، وشحمة الأرض، وكذلك العظاء، والوزغ، والحرذون. وقال أبو زيد: وذكر العظاية هو العضْرَفُوط. ويقال في أمِّ حُبين حُبيْنة وأشباهُها مما يسكن الماء: الرّقُّ، والسُّلحفا، والغيلم، والتِّمساح، وما أشبه ذلك.

١٦٧٨- [الحشرات]

وممّا نحن قائلون في شأنه من الحشرات: الظربان، والعُثّ[3] والحُفَّات[4] والعربدُ[5]، والعضْرفوط[6]، والوبْر[7]، وأم حبين، والجعل، والقرَنْبى[8] والدَّسَّاس[9]، والخنفساء، والحيّة، والعقرب، والشّبث[10] والرُّتيلاء[11]، والطَّبُّوع،

---

(١) الوحرة: دويبة حمراء تلزق بالأرض شبيهة بسام أبرص. حياة الحيوان ٢ / ٤١١.

(٢) الحلكة: دويبة شبيهة بالعظاية تغوص في الرمل. حياة الحيوان ١ /٣٣٧.

(٣) العثُّ: دويبة تأكل الصوف والجلود.

(٤) الحفّات: ضرب من الحيات تأكل الفأر وأشباه الفأر، انظر ما تقدم في ٤ / ٣٣١، س ١٠-١٣.

(٥) العربد: حية أحمر أرقش، لا يظلم إلا إذا أوذي.

(٦) العضرفوط: العظاءة الذكر. حياة الحيوان ٢ / ٣١.

(٧) الوبر: دويبة أصغر من السنور تقيم في البيوت. حياة الحيوان ٢ /٤٠٩.

(٨) القرنبى: دويبة طويلة الرجلين مثل الخنفساء؛ أو أعظم منها بيسير. حياة الحيوان ٢ /٢٠٩.

(٩) الدساس: ضرب من الحيات، أصم؛ يندس تحت التراب. حياة الحيوان ١ /٤٧٩.

(١٠) الشبث: العنكبوت، أو هي دويبة لها ست قوائم طوال صفراء الظهر؛ وظهور القوائم، سوداء الرأس؛ زرقاء العينين، وقيل: دويبة كثيرة الأرجل عظيمة الرأس واسعة الفم مرتفعة المؤخر، وهي التي تسمى شحمة الأرض. حياة الحيوان ١ /٥٩٥.

(١١) الرتيلاء: نوع من العناكب تسمى عقرب الحيات، لأنها تقتل الحيات والأفاعي. حياة الحيوان ١ /٥٢٣.

والحرقُوص(١)، والدَّلم(٢)، وقمْلة النَّسْر(٣)، والمثل، والنِّبْر، وهي دويْبَّة إذا دبَّتْ على جلد البعير تورَّم(٤)، ولذلك يقول الشاعر(٥)، وهو يصف إبله بالسِّمن: [من الرجز]

كـأنّهـا من بُـدُنٍ واستيقـارْ   دَبَّتْ عليهـا ذربـات الأنبـارْ(٦)

وقال الآخر(٧): [من الكامل]

حـمر تحقّنت النَّجيلَ كأنما   بجـلودهــن مـدارِجُ الأنبـارِ

والضَّمْج(٨)، والقنفذ، والنَّمْل، والذّرِّ، والدّساس(٩)، [ومنها ما](١٠) تتشاكل في وجوه، وتختلف من وجوه: كالفأر والجرذان والزباب(١١)، والخلد واليربوع، وابن عِرس، وابن مقرض(١٢) ومنها العنكبوت الذي يقال له منونة، وهي شرٌّ من الجرَّارة والضّمْج(٨).

١٦٧٩- [الوحشي والأهلي من الحيوان]

وسنقول في الأجناس التي يكون في الجنس منها الوحشيُّ والأهليّ، كالفيلة، والخنازير، والبقر، والحمير، والسَّنانير.

---

(١) الحرقوص: دويبة أكبر من البرغوث؛ وعضها أشد عضة، وهي مولعة بفروج النساء تولع النمل بالمذاكير. حياة الحيوان ١/٣٣١، وربيع الأبرار ٥/٤٧٨، وانظر ما سيأتي في ص ٥٦٢ - ٥٦٣.

(٢) الدلم: نوع من القراد. حياة الحيوان ١/٤٨٣.

(٣) انظر ما تقدم في ٥/٢١٠، س ١٢، و ٢١٣، س٣.

(٤) انظر ما تقدم في ٣/١٤٨، الفقرة (٧٥٨).

(٥) الرجز لشبيب بن البرصاء في اللسان (ذرب، نبر، عرم، بدن)، والتاج (وقر،بدن)، والتنبيه والإيضاح ٢/٢٠٩، وبلا نسبة في اللسان (وفر، وقر)، والتاج (ذرب، نبر)، ومعجم البلدان ١/٢٥٧ (الأنبار)، والجمهرة ٣٣٠، والمقاييس ٥/٣٨٠، والمجمل ٤/٣٧٠، والتهذيب ١٥/٢١٤.

(٦) البدن: البدانة. الاستيقار: مصدر استوقرت الإبل، أي سمنت وحملت الشحوم.

(٧) البيت بلا نسبة في اللسان والتاج (حقن)، والتهذيب ٤/٦٥، وتقدم مع شرحه في ٣/١٤٨، الفقرة (٧٥٨).

(٨) الضمج: حشرة تعرف باسم البق، والبعوض، والفسافس. انظر معجم الألفاظ الزراعية ٥٤٤.

(٩) الدساس: ضرب من الحيات أصم، يندس تحت التراب. حياة الحيوان ١/٤٧٩.

(١٠) زيادة يقتضيها سياق الكلام.

(١١) الزباب: الفارة البرية، وقيل: هي فارة عمياء صماء. حياة الحيوان ١/٥٣٢، وسبق أن تحدث الجاحظ عنها في ٤/٤٦١.

(١٢) ابن مقرض: دويبة كحلاء اللون طويلة الظهر ذات قوائم أربع أصغر من الفأر، تقتل الحمام وتقرض الثياب. حياة الحيوان ٢/٣٢٠.

والظِّباء قد تَدْجُن وتُولّد على صُعوبةٍ فيها. وليس في أجناس الإبل جنس وحشيٌّ، إلاّ في قول الأعراب.

وممّا يكون أهليًّا ولا يكون وحشيًّا وهو سبعٌ - الكلاب وليس يتوحّش منها إلاّ الكلب الكَلِب. فأمّا الضّباع والذّئاب، والأسد، والنمور، والبُبور، والثعالب، وبنات آوى، فوحشيَّةٌ كلها، وقد يقلّم الأسد وتُنزع أنْيابه، ويطول ثواؤُه مع الناس حتى يهرم مع ذلك، ويحسّ بعجزه عن الصَّيد، ثمّ هو في ذلك لا يُؤتمن عُرامه[1] ولا شروده، إذا انفرد عن سوّاسه[2]، وأبصر غيضة قُدّامها صَحراء.

١٦٨٠ - [قصة الأعرابي والذئب]

وقد كان بعض الأعراب ربّى جرو ذئب صغيراً، حتَّى شبَّ، وظنَّ أنه يكونُ أغنى غناءً من الكلب، وأقوى على الذّبِّ عن الماشية، فلمَّا قوي شيئاً وثب على شاةٍ فذبحها - وكذلك يصنعُ الذِّئب - ثمَّ أكل منها فلمَّا أبصر الرّجل أمرهُ قال[3]: [من الوافر]

أكَلْتَ شوَيهتي وَربيت فينا ... فمن أنباك أنّ أباك ذيبُ

وقد أنكر ناسٌ من أصحابنا هذا الحديث، وقالوا: لم يكنْ ليألفه ويقيم معه بعد أن اشتدّ عظْمُه! ولِمَ لَمْ يذهَبْ مع الذّئاب والضّباع، ولم تكن الباديةُ أحبَّ إليه من الحاضرة، والقفارُ أحبَّ إليه من المواضع المأنوسة.

١٦٨١ - [كيف يصير الوحشيُّ من الحيوان أهلياً]

وليس يصير السبعُ من هذه الأجناس أو الوحشيُّ من البهائم أهليًّا بالمقام فيهم، وهو لا يقدر على الصَّحاري. وإنما يصير أهليًّا إذا ترك منازل الوحش وهي له مُعْرضة.

١٦٨٢ - [ما يعتري الوحشي إذا صار إلى الناس]

وقد تتسافد وتتوالد في الدُّور وهي بعد وحشيَّة، وليس ذلك فيها بعامّ. ومن الوحْش ما إذا صار إلى النّاس وفي دُورهم ترك السِّفاد، ومنها ما لا يطعم ولا يشربُ

---

(١) العرام: الشدة والحدة.

(٢) السواس: جمع سائس، وهو من يسوس الدابة ويروضها.

(٣) تقدم البيت مع الخبر السابق في ٤ / ٢٨٣ - ٢٨٤، الفقرة (٩٧٩).

البتَّة بوجْهٍ من الوجوه، ومنها ما يُكره على الطُّعْم ويدخل في حلقة كالحيّة، ومنها ما لا يسفد ولا يدْجُن، ولا يطعم ولا يشرب، ولا يصيحُ حتى يموت وهذا المعنى في وحشيِّ الطَّير أكثر.

١٦٨٣ - [حذق السُّوداني بتدريب الجوارح][1]

والذي يحكى عن السوداني القَنَّاص الجبليّ ليس بناقضٍ لما قُلنا، لأنّ الشَّيء الغريبَ، والنادر الخارجيّ، لا يقاس عليه. وقد زعموا أنّه بلغ من حذْقه بتدريب الجوارح وتضْرِيتها أنّه ضرَّى ذئباً حتّى اصطاد به الظِّباء وما دونها، صيداً ذريعاً، وأنه ألفه حتى رجع إليه من ثلاثين فرسخاً، وقد كان بعضُ العُمَّال سرقه منه. وقد ذكروا أنّ هذا الذِّئب قد صار إلى العسكر، وأن هذا السُّوداني ضرّى أسداً حتى اصطاد له الحمير فما دونها صيداً ذريعاً، وأنه ضرَّى الزَّنابيرَ فاصطاد بها الذِّبّان. وكلُّ هذا عجب، وهو غريبٌ نادرٌ، بديعٌ خارجيّ وذكروا أنّه من قيس عيلان، وأن حليمة ظئر النبي ﷺ قد ولدته.

١٦٨٤ - [الحيوانات العجيبة]

وليس عندي في الحمار الهنديِّ[2] شيء. وقد ذكره صاحب المنطق. فأما الدِّباب، وفأرة المسك[3]، والفنك[4]، والقاقُم[5]، والسِّنجاب، والسَّمُّور[6]، وهذه الدوابّ ذوات الفِراء[7] والوبر الكثيف النّاعم، والمرغوب فيه، والمنتفع به، فهي عجيبة.

وإنّما نذكر ما يعرفه أصحابنا وعلماؤنا، وأهلُ باديتنا. ألا ترى أنّي لم أذكر لك

---

(١) وردت هذه الفقرة مختصرة في ربيع الأبرار ٥/ ٤٦٠.

(٢) الحمار الهندي: يسمى الكركدن والحريش، وهو عدو الفيل، يقال إنه متولد من بين الفرس والفيل، وله قرن واحد عظيم في رأسه. حياة الحيوان ٢/ ٢٤٣، وانظر ما تقدم في ٣/ ١١٢، الفقرة (٦٩٨).

(٣) تحدث الجاحظ عن فأرة المسك في ٥/ ١٦٢.

(٤) الفنك: دويبة يؤخذ منها الفرو. حياة الحيوان ١/ ٥٧٤.

(٥) القاقم: دويبة تشبه السنجاب، ويشبه جلده جلد الفنك. حياة الحيوان ٢/ ١٩٥.

(٦) السمور: حيوان بري يشبه السنور، وزعم ناس أنه النمس. حياة الحيوان ١/ ٥٧٤.

(٧) انظر ما تقدم في ٥/ ٢٥٧.

الحريش[1]، والدُّخس[2]، ولا هذه السِّباع المشتركة الخلق، المتولّدة فيما بين السِّباع المختلفة الأعضاء، المتشابهة الأرحام، التي إذا صار بعضُها في أيدي القرّادين والمتكسِّبين و الطوّافين، وضعوا لها أسماء، فقالوا: مقلاس، وكيلاس، وشلقطير، وخلقطير وأشباه ذلك، حين لمْ تَكُنْ من السِّباع الأصلية والمشهورة النسب، والمعروفة بالنّفع والضّرر.

وقد ذكرنا منها ما كان مثل الضبع، والسِّمع[3]، والعِسبار[4]، إذ كانت معروفةً عند الأعراب، مشهورة في الأخبار، منوّهاً بها في الأشعار.

١٦٨٥ - [الاعتماد على معارف الأعراب في الوحش]

وإنَّما أعتمد في مثل هذا على ما عند الأعراب، وإن كانوا لم يَعْرِفوا شكل ما احتِيجَ إليه منها من جهة العناية والفلاية، ولا من جهة التذاكر والتكسُّب. ولكن هذه الأجناس الكثيرة، ما كان منها سبعاً أو بهيمةً أو مشترك الخلْق، فإنّما هي مبثوثة في بلاد الوحْش: من صحراء، أو وادٍ، أو غائط، أو غيضة، أو رملةٍ، أو رأس جبل، وهي في منازلهم ومناشئهم[5]، فقد نزلوا كما ترى بينها، وأقاموا معها. وهم أيضاً من بين النّاس وحشٌ، أو أشباه الوحش.

١٦٨٦ - [توارث المعرفة بالداء والدواء]

وربَّما؛ بلْ كثيراً ما يُبتلون بالناب والمخلب، وباللدغ واللَّسع، والعضّ والأكل، فخرجتْ بهم الحاجة إلى تعرُّف حالِ الجاني والجارح والقاتل، وحال المجنيِّ عليه والمجروحِ والمقتول، وكيف الطَّلبُ والهرب، وكيف الداء والدواء، لطول الحاجة، ولطول وُقوع البصر، مع ما يتوارثون من المعرفة بالدَّاء والدواء.

---

(١) في حياة الحيوان ١/٣٣٢: «الحريش نوع من الحيات أرقط، كذا قال الجوهري. وقال بعد هذا: الحريش: دابة لها مخالب كمخالب الأسد ولها قرن واحد في هامتها، ويسميها الناس الكركدن».

(٢) في حياة الحيوان ١/٤٧٦: «قال الجوهري الدُّخَس: مثال الصُّرَد؛ دويبة في البحر تنجي الغريق، تمكنه من ظهرها ليستعين على السباحة، وتسمى الدلفين».

(٣) السمع: ولد الذئب من الضبع.

(٤) العسبار: ولد الضبع من الذئب.

(٥) مناشئهم: مكان نشوئهم.

١٦٨٧ - [معرفة العرب للآثار والأنواء والنجوم]

ومن هذه الجهة عرفوا الآثار في الأرض والرَّمل، وعرفوا الأنواءَ ونجوم الاهتداء، لأنَّ كلَّ من كان بالصَّحاصح الأماليس[١] - حيث لا أمارة ولا هادي، مع حاجته إلى بعد الشُّقّة - مضطرٌّ إلى التماس ما ينجيه ويُؤْديه[٢].

ولحاجته إلى الغيث، وفِراره من الجدْب، وضنِّه بالحياة، اضطرته الحاجة إلى تعرُّف شأنِ الغيث.

ولأنه في كلِّ حالٍ يرى السَّماء، وما يجري فيها من كوكب، ويرى التَّعاقب بينها، والنّجوم الثوابت فيها، وما يسير منها مجتمعاً وما يسير منها فارداً[٣]، وما يكون منها راجعاً ومستقيماً.

وسئلت أعرابيَّة فقيل لها: أتعرفين النجوم؟ قالت: سبحانَ اللّه! أما أعرف أشباحًا وُقوفاً عليَّ كلَّ ليلة!

وقال اليقطريّ: وصف أعرابيٌّ لبعض أهل الحاضرة نجوم الأنواء، ونجوم الاهتداء، ونجوم ساعات اللّيل والسُّعودِ والنُّحوس، فقال قائلٌ لشيخ عباديٍّ كان حاضراً: أما ترى هذا الأعرابيَّ يعرف من النُّجوم ما لا نعرف! قال: ويل أمِّك، منْ لا يعرف أجذاع[٤] بيته؟

قال: وقلت لشيخٍ من الأعراب قد خرِفَ، وكان من دُهاتهم: إني لا أراكَ عارفاً بالنُّجوم! قال: أما إنّها لو كانت أكثر لكنتُ بشأنها أبصر، ولو كانت أقلَّ لكنت لها أذْكر.

وأكثرُ سببِ ذلك كلِّه - بعد فَرْط الحاجة، وطول المدارسة - دقّةُ الأذهان، وجودة الحفظ. ولذلك قال مجنونٌ من الأعراب - لَمّا قال له أبو الأصْبَغ بن رِبْعيّ: أما تعرِف النجوم؟ قال: وما لي أعرفُ من لا يعرفني؟!

فلو كان لهذا الأعرابيِّ المجنون مثلُ عُقول أصحابه، لعرف مثل ما عرفوا.

---

(١) الصحاصح: جمع صحصح، وهي الأرض المستوية الواسعة. الأماليس: جمع إمليس، وهي الأرض الملساء لا شجر بها ولا ماء.

(٢) آداه: قوّاه، أو أوصله.

(٣) فارداً: منفرداً.

(٤) الجذع: ساق النخلة، والمراد بها هنا ما جعل منها سقفاً للبيت.

١٦٨٨- [ما يجب في التعليم]

ولو كان عندي في أبْدان السَّمُّور، والفنَك، والقَاقُم(١)، ما عندي في أبدان الأرانب والثَّعالب، دون فرائها، لذكرتها بما قَلَّ أو كثُر، لكنّه لا ينبغي لمن قلَّ علمُه أن يدعَ تعليم من هو أقلُّ منه علماً.

١٦٨٩- [الدساس وعلة اختصاصه بالذّكر]

ولو كانت الدَّسَّاس(٢) من أصناف الحيّات لم نخصَّها من بينها بالذّكر، ولكنها وإن كانت على قالب الحيَّات وخَرْطها، وأفرغت كإفراغها وعلى عَمُود صُورها، [فخصائصها](٣) دون خصائصها، كما يناسبها في ذلك الحُفَّاث(٤) والعِرْبِد(٥). وليسا من الحيّات، كما أن هذا ليس من الحيّات، لأنّ الدّسَّاس ممسوحة الأذن، وهي مع ذلك ممَّا يلد ولا يبيض. والمعروف في ذلك أنّ الولادة هي في الأشرف(٦)، والبيض في الممسوح(٧).

وقد زعم ناسٌ أنّ الولادة لا تُخرج الدَّسَّاسَ من اسم الحيّة، كما أن الولادة لا تخرج الخفَّاش من اسم الطير.

وكلّ ولد يخرج من بيضه فهو فرْخ، إلا ولد بيض الدَّجاج فإنّه فَرُّوج.

والأصناف التي ذكرناها مع ذكر الضَّبّ تبيض كلُّها، ويسمى ولدُها بالاسم الأعم فرْخاً.

وزعم لي ابنُ أبي العجوز، أنّ الدّسّاس تلد. وكذلك خبّرني به محمد بنُ أيوبَ ابن جعفر عن أبيه، وخبَّرني به الفضل بنُ إسحاق بن سليمان فإن كان خبرهما عن إسحاق فقد كان إسحاق من معادن(٨) العلم.

---

(١) انظر ما تقدم ص٣٣١.

(٢) الدساس: ضرب من الحيات أصم، يندس تحت التراب. حياة الحيوان ١ /٤٧٩.

(٣) زيادة يقتضيها سياق الكلام.

(٤) انظر ما تقدم في الحاشية ٤ ص ٣٢٨.

(٥) العربد: حية أحمر أرقش، لا يظلم إلا إذا أوذي.

(٦) الأشرف: الظاهر الأذنين.

(٧) الممسوح: ليس بظاهر الأذنين.

(٨) معدن الشيء: موضعه ومكانه، عدن بالمكان: أقام وثبت.

وقد زعموا بهذا الإسناد أنّ الأرْويَّة(١) تضعُ مع كلِّ ولد وضعَتْه أفعى في مشيمةٍ واحدة.

وقال الآخرون: الأرويّة(١) لا تعرف بهذا المعنى، ولكنه ليس في الأرض نمرة إلا وهي تضعُ ولدها وفي عنقه أفعى في مكان الطّوق. وذكروا أنَّها تنهش وتعضّ، ولا تقتل.

ولم أكتب هذا لتقرَّ بهِ، ولكنها رواية أحببت أن تسمعها. ولا يعجبني الإقرار بهذا الخبر، وكذلك لا يعجبني الإنكار له. ولكن ليكنْ قلبك إلى إنكاره أميلَ.

١٦٩٠- [مواضع الشك واليقين]

وبعد هذا فاعرف مواضع الشّكّ، وحالاتها الموجبة له، لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له، وتعلم الشَّكّ في المشكوك فيه تعلُّماً. فلو لم يكن في ذلك إلاّ تعرُّف التوقُّف ثمَّ التثبُّت، لقد كان ذلك ممَّا يحتاج إليه.

ثمّ اعلم أنّ الشكّ في طبقاتٍ عند جميعهم. ولم يُجْمعوا على أن اليقين طبقاتٌ في القوَّة والضعف.

١٦٩١- [أقوال لبعض المتكلمين في الشك]

ولمّا قال ابن الجهم للمَكّيّ: أنا لا أكاد أشكّ! قال المكّيّ: وأنا لا أكاد أوقن! ففخر عليه المكيّ بالشكّ في مواضع الشّك، كما فخر عليه ابنُ الجهم باليقين في مواضع اليقين.

وقال إبو إسحاق: نازعت من الملحدين الشاك والجاحد فوجدتُ الشُّكّاك أبصر بجوهر الكلام من أصحاب الجحود.

وقال أبو إسحاق: الشاك أقربُ إليك من الجاحِد، ولم يكنْ يقينٌ قط حتى كان قبله شكّ، ولم ينتقل أحدٌ عن اعتقادٍ إلى اعتقاد غيره حتّى يكون بينهما حالُ شكّ.

وقال ابنُ الجهم: ما أطمعني في أوْبة المتحيّر لأنّ كل من اقتطعته عن اليقين الحيرة فضالته التبيُّن، ومنْ وجد ضالته فرِح بها.

وقال عمرو بن عُبيد: تقرير لسانِ الجاحد أشدُّ من تعريفِ قلب الجاهل.

---

(١) الأروية: الأنثى من الوعول. حياة الحيوان ١/ ٣٥.

وقال أبو إسحاق: إذا أردت أن تعرِف مقدار الرجل العالم، وفي أيٍّ طبقةٍ هو، وأردت أن تدخِله الكورَ[١] وتنفخ عليه، ليظهر لك فيه الصّحَّةَ من الفساد، أو مقدارُه من الصّحَّة والفَساد، فكن عالماً في صورة متعلِّم، ثم اسأله سؤال من يطمع في بلوغ حاجتهِ منه.

١٦٩٢- [علة قلة الشكوك عند العوام]

والعوامُّ أقلُّ شكوكاً من الخواص، لأنَّهم لا يتوقَّفون في التصديق والتكذيب ولا يرتابون بأنفسهم، فليس عندهم إلاّ الإقدامُ على التَّصديق المجرّد، أو على التكذيب المجرد، وألغوا الحال الثالثة من حال الشَّكّ التي تشتمل على طبقات الشك، وذلك على قدر سُوء الظنّ وحُسن الظّن بأسباب ذلك. وعلى مقادير الأغلب.

١٦٩٣- [حرمة المتكلمين]

وسمع رجلٌ، ممَّن قد نظر بعض النظر، تصويب العلماء لبعض الشكّ، فأجرى ذلك في جميع الأمور، حتّى زعم أنّ الأمور كلها يُعرف حقها وباطُلها بالأغلب.

وقد مات ولم يخلّف عَقِباً، ولا واحداً يدينُ بدينه. فلو ذكرت اسمه مع هذه الحال لم أكنْ أسأت، ولكنّي على حالٍ أكرهُ التّنويه بذكر من قد تحرّم بحُرمة الكلام، وشارك المتكلِّمين في اسم الصِّناعة، ولا سيَّما إنْ كان ممّن ينتحل تقْديم الاستطاعة.

١٦٩٤- [الأوعال والثياتل والأيايل]

فأمّا القولُ في الأوعال، والثّياتِل[٢]، والأيايل[٣] وأشباه ذلك، فلم يحضرْنا فيها ما إن نجعل لذكرها باباً مبوباً. ولكننا سنذكرها في مواضِع ذكرها من تضاعيف هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

---

(١) الكور: كور الحداد الذي فيه الجمر وتوقد فيه النار، وهو مبني من الطين، ويقال: هو الزق أيضاً.
(٢) الثيتل: الذكر المسن من الأوعال. حياة الحيوان ١/ ٢٥٩.
(٣) الأيل: ذكر الأوعال.

١٦٩٥ [ذم هذا الكتاب ومدحه]

وأنا مبتدئٌ على اسم اللّه تعالى في القول في الضَّبّ. على أنّي أذمُّ هذا الكتابَ في الجملة، لأنَّ الشواهد على كلِّ شيء بعينه وقعتْ متفرِّقة غير مجتمعة. ولو قدرتُ على جمعها لكان ذلك أبلغ في تزكية الشّاهد، وأنورَ للبُرهان، وأملأَ للنفس، وأمْتع لها، بحسن الرّصف[1]. وأحمده، لأنّ جُملة الكتاب على حالٍ مشتملةٍ على جميع تلك الحجج، ومحيطة بجميع تلك البرهانات، وإن وقع بعضُه في مكانِ بعضٍ، تأخَّر متقدِّم، وتقدّم متأخر.

١٦٩٦- [ما قيل من الشعر في جحر الضب]

وقالوا[2]: و من كيْس[3] الضّبّ أنّه لا يتخذ جُحره إلاّ في كُدْية وهو الموضع الصُّلب - أو في ارتفاعٍ عن المسيل والبسيط، ولذلك توجدُ براثِنُه ناقصةً كليلة، لأنّه يحفر في الصَّلابة، ويعمِّق الحفْر، ولذلك قال خالد بن الطَّيْفان[4]: [من الطويل]

ومَـولى كمولى الـزِّبرقـان دَمَلْته ... كما دُملَتْ ساقٌ تهاضُ، بها كَسْرُ[5]
إذا ما أحالتْ والجبائرُ فَوْقـهـا ... مضى الحوْل لا بُـرْءٌ مُبينٌ ولا جَبْرُ
تـــراه كـــأنّ اللّـه يَجْدَعُ أنفــه ... وأذْنَيْه إنْ مولاهُ ثابَ لـه وفـرُ
ترى الشَّرّ قد أفْنى دوائر وَجْهـِهِ ... كضبٍّ الكُدى أفنى براثِنَه الحفْرُ

---

(١) الرصف: ضم الشيء بعضه إلى بعض.

(٢) انظر هذا القول في ربيع الأبرار ٥ /٤٦٧.

(٣) الكَيْس: العقل.

(٤) الأبيات لخالد بن علقمة في ديوان علقمة ١٠٩-١١٠، والمؤتلف ٢٢١، وللزبرقان بن بدر في المقاصد النحوية ٤ /١٧١-١٧٢، والأول لابن الطيفان الدارمي في اللسان (دمل)، والثالث للزبرقان بن بدر في ديوانه ٤٠، والدرر ٦ /٨١، وبلا نسبة في مجالس ثعلب ٣٩٦، والخصائص ٢ /٤٣١، وهمع الهوامع ٢ /١٣٠، واللسان (جدع)، والرابع للحصين بن القعقاع في ثمار القلوب (٦١٣).

(٥) في ديوان علقمة: «قوله: كمولى الزبرقان، كان الزبرقان بن بدر وصف مولى له في شعره فذمه، فشبّه هذا مولاه به؛ والمولى هنا ابن العم. والدمل: إصلاح ما فسد، وهو هاهنا الرفق والتلطف. والهيض: كسر بعد جبر».

وقال كثيّر[1]: [من المتقارب]

فإن شئت قلت له صادقاً وجدْتك بالقُفّ ضَبًّا جَحُولا
من اللاءِ يحفِرْن تحت الكُدى ولا يَبْتَغين الدِّماث السُّهولا

وقال دُريد بن الصِّمَّة[2]: [من الطويل]

وجدْنا أبا الجبَّار ضَبًّا مورَّشاً لهُ في الصَّفاة بُرثنٌ ومعاولُ
له كدْيَةٌ أعيت على كلّ قانصٍ ولو كان منهمْ حارشان وحابلُ
ظَلِلْتُ أراعي الشمس لولا ملالتي تزلّع جلدي عِنْدَهُ وهو قائلُ[3]

وأنشد لدريد بن الصمة[4]: [من الطويل]

وعوْراء مِنْ قيلِ امْرىءٍ قد رددْتُها بسالمةِ العَيْنينِ طالبةً عُذْرا[5]
ولو أنني إذ قالها قلْتُ مثْلَها وأكثر منها، أورثتْ بيْنَنا غِمْرا
فأعْرَضْتُ عنها وانتظرت به غداً لعلَّ غداً يُبدي لمُنْتظرٍ أمرا
لأُخرج ضبًّا كان تحت ضلوعِهِ وأقْلِمَ أظفاراً أطال بها الحفرا

وقال أوسُ بنُ حَجَر، في أكل الصَّخرِ للأظفار[6]: [من الطويل]

فأشرط فيها نفسهُ وهو مُعْصِمٌ وألْقى بأسباب لَهُ وتوكّلا
وقد أكلت أظْفارَهُ الصَّخر، كُلَّما تَعايا عليه طولُ مَرْقًى تَوَصَّلا

فقد وصفوا الضَّبّ كما ترى، بأنه لا يحفرُ إلاّ في كدية، ويطيلُ الحفْرَ حتّى تفنى براثنه، ويتوخّى به الارتفاع عن مجاري السَّيل و المياه، وعن مدق الحوافر، لكيلا يَنْهارَ عليه بيته.

---

(١) ديوان كثير ٣٩٢، والمعاني الكبير ٦٤٣، وثمار القلوب (٦١٣).

(٢) ديوان دريد بن الصمة ١٠٤، والأول في المعاني الكبير ٦٤٨.

(٣) القائل: النائم نومة نصف النهار.

(٤) لم ترد الأبيات في ديوان دريد بن الصمة، وهي لمسكين الدارمي في ديوانه ٤٨، وربيع الأبرار ٢/٢٩٠، ولحاتم الطائي في ديوانه ٢٨٣-٢٨٤، وذيل الأمالي ٦٢-٦٣، وللأعور الشني في حماسة البحتري ١٧١، والأول والثالث له في الوساطة ٣٩٢، والأبيات لأنس بن أبي أناس الكناني في المؤتلف ٧٠، والأول والثاني بلا نسبة في لباب الآداب ٣٢٢-٣٢٣، والمخصص ١٦/٥٧، والأول في اللسان والتاج (عور)، والأساس (سلم)، والتهذيب ٣/١٧١.

(٥) الغمر: الحقد.

(٦) ديوان أوس بن حجر، وتقدم البيتان مع تخريج وافٍ في ٥/١٢.

١٦٩٧- [هداية الضب إلى جحره]

ولمّا علم أنَّهُ نَسَّاءٌ سيِّئ الهداية، لم يحفر وجاره إلاّ عند أكمة، أو صخْرةٍ، أو شجرة، ليكون متى تباعد من جُحره لطلب الطُّعم، أو لبعض الخوف فالتفت ورآه؛ أحسن الهداية إلى جحره. ولأنّه إذا لم يُقِمْ عَلَماً[١] فلعلّه أن يلِجَ على ظرِبانٍ أو ورَل، فلا يكون دون أكله له شيءٌ.

١٦٩٨- [بعض الأمثال في خداع الضب]

فقالت العرب: «خبٌّ ضبّ»[٢]؛ و: «أخبُّ من ضبّ»[٣]؛ و «أخْدع من ضبّ»[٤]؛ و: «كلُّ ضبٌّ عِنْد مِرْداته»[٥].

وإذا خَدع في زوايا حفيرته فقد توثّق لنفسه عند نفسه.

١٦٩٩- [حذر بعض الحيوان]

ولهذه العلّة اتخذ اليربوع القاصعاء، والنافقاء، والدّامّاء، والرّاهطاء، وهي أبوابٌ قد اتخذها لحفيرته، فمتى أحسَّ بشرٌّ خالف تلك الجهة إلى الباب.

ولهذا وشبهه من الحذر كان التوبير[٦] من الأرانب وأشباهها. والتوبير: أنْ تطأ على زمعاتها[٦] فلا يعرف الكلبُ والقائفُ من أصحاب القنص آثار قوائمها.

ولما أشبه هذا التَّدبير صار الظبي لا يدخل كناسَه إلاّ وهو مستدبر، يستقبل بعينه ما يخافه على نفسه وخشفه[٧].

---

(١) أي إذا لم ينصب لنفسه علماً يهتدي به.

(٢) الإتباع والمزاوجة ٤٦، وفيه «فالضب: البخيل الممسك، والخبُّ: من الخِبٌّ»، ورجل خَب «بالفتح والكسر»: خدّاع خبيث، وخب ضب: منكر مراوغ حَرِب. وانظر الدرة الفاخرة ١/١٩٢، وجمهرة الأمثال ١/٤١٥.

(٣) مجمع الأمثال ١/٢٦٠، وجمهرة الأمثال ١/٤٣٩، والدرة الفاخرة ١/١٩٢، والمستقصى ١/٩٢.

(٤) مجمع الأمثال ١/٢٦٠، وجمهرة الأمثال ١/٤٤٠، والدرة الفاخرة ١/١٩٣، ٣٣٠، والمستقصى ١/٩٥، وأمثال ابن سلام ٣٦٤.

(٥) المرداة: الصخرة يرمى بها، ويضرب المثل للشيء العتيد ليس دونه شيء، والمثل في مجمع الأمثال ٢/١٣٢، وجمهرة الأمثال ٢/١٥٧، والمستقصى ٢/٢٢٧، وفصل المقال ١٦٣، وأمثال ابن سلام ٣٣٥.

(٦) انظر ما تقدم في ٥/١٥٠، ٢٣٩.

(٧) الخشف: ولد الظبي أول ما يولد.

١٧٠٠- [شعر في حزم الضب واليربوع]

وقد جمع يحيى بن منصورٍ الذُّهليّ أبواباً من حزم الضب، وخبثه وتدبيره. إلاّ أنّه لم يرد تفضيل الضب في ذلك. ولكنه بعد أنْ قدَّمه على حمْقى الرِّجال. قال: فكيف لو فكّرتم في حزْم اليربوع والضبّ.

وأنشدني فقال(١): [من الوافر]

وبعضُ النّـاسِ أنقـصُ رأيِ حَـزْمٍ … مـن اليربُوع والضبِّ المكـونِ(٢)
يَرى مـرْداتهُ مِـن رأسِ مِيـلٍ … ويـأمَنُ سَيْـلَ بـارقةٍ هَتُـونَ(٣)
ويَحْفِرُ في الكُدى خَوْفَ انهيارٍ … ويـجعلُ مَكْوَهُ رأسَ الوجينِ(٤)
ويخْـدَعُ إنْ أردْتَ لـه احتيـالاً … رواغَ الفهْـدِ من أسـدٍ كمينِ
ويـدخِلُ عَقْرَباً تحت الذّنـابى … ويعمِلُ كيـدَ ذي خدعٍ طَبينِ(٥)
فـهــذا الضبُّ ليس بـــذي … حـريمٍ مع اليربوعِ والذِّئب اللَّعين

وقد ذكر يحيى جميع ما ذكرنا، إلاّ احتياله بإعداد العقرب لكفِّ المحترش، فإنه لم يذكر هذه الحيلة من عمله. وسنذكر ذلك في موضعه. والشِّعر الذي يُثبتُ له ذلك كثير.

فهذا شأنُ الضّبُ في الحفر، وإحكام شأن منزِله.

١٧٠١- [امتناع الورل عن اتخاذ بيت له]

ومن كلامِ العرب أنّ الورل إنَّما يمنعه من اتِّخاذ البُيوت أنَّ اتخادها لا يكونُ إلاّ بالحفر، والورل يُبقي على براثنه، ويعلم أنّها سلاحه الذي به يقوى على ما هو أشدُّ بدناً منه. وله ذنبٌ يؤكل ويُستطاب، كثيرُ الشَّحم.

١٧٠٢- [قول الأعراب في مطايا الجن من الحيوان]

والأعراب لا يصيدون يربوعاً، ولا قُنفذاً، ولا ورلاً من أول الليل، وكذلك كل شيءٍ يكونُ عندهم من مطايا الجنّ، كالنَّعام والظّباء.

---

(١) الأبيات في ربيع الابرار ٥/ ٤٦٧.

(٢) المكون: التي جمعت البيض في بطنها، وبيضها يسمى المكون.

(٣) المرداة: الصخرة يرمى بها. البارقة: السحابة ذات البرق. الهتون: السحابة التي مطرها فوق الهطل.

(٤) المكو: الجحر. الوجين: الأرض الصلبة.

(٥) الطبين: وصف من الطبانة، وهي شدة الفطنة.

ولا تكون الأرنبُ والضَّبع من مراكب الجن، لأن الأرنب تحيض ولا تغتسل من الحيض، والضبّاع تركبُ أيورَ القتلى والموتى إذا جيَّفتْ[1] أبدانهم وانتفخوا وأنعظوا ثم لا تغتسل عندهم من الجنابة. ولا حنابة إلا ما كان للإنسان فيه شِرْك. ولا تمتطي القرود، لأن القرد زان، ولا يغتسل من جنابة.

فإنْ قتلَ أعرابيٌّ قُنفذاً أو ورلاً، من أول الليل، أو بعض هذه المراكب، لم يأمنْ على فحل إبله، ومتى اعتراه شيءٌ حكم بأنه عقوبةٌ من قبلهم.

قالوا: ويسمعون الهاتف عند ذلك بالنَّعي، وبضروب الوعيد.

١٧٠٣- [قول الأعراب في قتل الجان من الحيات]

وكذلك يقولون في الجانّ من الحيّات. وقتلُ الجان عندهم عظيم. ولذلك رأى رجلٌ منهم جانًّا في قعر بئر، لا يستطيع الخروج منها، فنزل على خطر شديد حتَّى أخرجها، ثم أرسلها من يده فانسابت، وغمَّض عَيْنيه لكيلا يرى مدخلها كأنّه يريد الإخلاص في التقرُّب إلى الجن.

قال المازني: فأقبل عليه رجلٌ فقال له: كيف يقدر على أذاك مَنْ لم ينقذه من الأذى غيرك؟!

١٧٠٤ - [ما لا يتم له التدبير إذا دخل الأنفاق]

وقال: ثلاثة أشياء لا يتمُّ لها التَّدبير إذا دخلت الأسراب، والأنفاق، والمكامِن والتّوالج[2] حتَّى يغص بها الخرْق.

- فمن ذلك: أن الظربان إذا أراد أن يأكل حسلة الضب أو الضبّ نفسه؛ اقتحم جُحر الضّب مستدبراً، ثم التمس أضيق موضع فيه، فإذا وجده قد غَصَّ به، وأيقنَ أنّه قد حال بينه وبين النسيم، فسا عليه، فليس يجاوز ثلاث فسوات حتى يُغشى على الضب فيأكله كيف شاء.

- والآخر: أن الرجل إذا دخل وِجَارَ الضبع ومعه حَبْل، فإن لم يسُدّ ببدنه وبثوبه جميع المخارق و المنافذ ثم وصل إلى الضبع من الضياء بمقدار سمّ الإبرة، وثبتْ عليه. فقطّعته، ولو كان أشدّ من الأسد.

---

(١) جَيَّفت: أنتنت.

(٢) التوالج: جمع تولج، وهو كناس الظبي.

- والثالث: أنّ الضب إذا أراد أن يأكل حُسوله وقف لها من جحرها في أضيق موضعٍ من منفذه إلى خارجٍ، فإذا أحكم ذلك بدأ فأكل منها، فإذا امتلأ جوفه انحطَّ عن ذلك المكان شيئاً قليلاً، فلا يُفْلِتُ منه شيءٌ من ولده إلا بعد أنْ يشبع ويزولَ عن موضعه، فيجد منفذاً.

وقال بعض الأعراب: [من الرجز]

يَنْشب في المسلكِ عِنْدَ سَلَّتِهْ ... تزاحمَ الضبِّ عصى في كُدْيتِهْ

١٧٠٥- [شعر في أكل الضبّ ولدَه]

وقال: الدَّليل على أنّ الضَّبّ يأكلُ ولدَه قول عَمَلَّس بن عقيل بن عُلَّفة لأبيه[١]: [من الوافر]

أكَلْتَ بَنيك أكْلَ الضّبِّ حتى ... وجدت مَرارَةَ الكلأ الوبيلِ

فلو أنّ الأُولى كانوا شهوداً ... مَنَعْتَ فِناءَ بيتكَ من بجيلِ

وأنشد لغيره[٢]: [من الوافر]

أكَلْتَ بَنيك أكْل الضَّبِّ حتّى ... تَركْتَ بَنيك ليْس لَهُمْ عَديدُ

وقال عمرو بن مسافر: عتبت على أبي يوماً في بعض الأمر، فقُلت: [من البسيط]

كيف ألومُ أبي طيْشًا ليرْحَمَني ... وَجَدُّه الضَّبُّ لم يَتْرك لَهُ وَلَدَا

وقال خداش بنُ زُهير[٣]: [من البسيط]

فإن سمعتم بجيشٍ سالكًا سَرِفًا ... أو بطْن قَوٍّ فأخْفُوا الجرْس واكتَتِمُوا

ثمَّ ارجِعُوا فأكِبُّوا في بُيُوتِكُمُ ... كما أكبَّ على ذي بَطْنه الهَرِمُ

جعله هَرِماً لطول عمره. وذي بطنه: ولده.

---

(١) البيتان للعملس بن عقيل أو لأرطاة بن سهية في نوادر المخطوطات ٢/٣٥٩ (العققة والبررة)، ولأرطاة بن سهية في الأغاني ١٢/٢٦٩، والأول للعملس بن عقيل في المعاني الكبير ٦٤٢، وبلا نسبة في مغني اللبيب ٢/٣٦٦، وشرح شواهد المغني ٢/٣٦٦. وتقدم البيتان في ١/١٢٩، الفقرة (١٥٥).

(٢) البيت بلا نسبة في حياة الحيوان ١/٦٣٧ (الضب)، وانظر العقد الفريد ٦/٤٩، وتقدم البيت في ١/١٢٩؛ الفقرة (١٥٥).

(٣) البيتان لخداش بن زهير في أشعار العامريين ٤٥، والمعاني الكبير ٦٤٢، ١٠٩٢، والأول في الأغاني ٢٢/٦١، والتاج (سرف).

وقال أبو بكر بن أبي قُحافة لعائشة، رضي الله عنهما: إنّي كنتُ نحلتكِ سبعين وَسْقاً[1] من مالي بالعالية، وإنّك لمْ تحُوزيه، وإنما هو مالُ الوارث، وإنما هو أخواك وأختاك. قالت: ما أعرِفُ لي أختاً غير أسماء. قال: إنَّه قد أُلقي في رُوعي أن ذا بطن بنت خارجة جارية.

قال آخرون: لم يعْنِ بذي بطنه ولده، ولكنَّ الضَّبَّ يرمي ما أكل، أي يقيء؛ ثم يرجعُ فيأكله. فذلك هو ذو بَطْنه. فشبَّهُوه في ذلك بالكلب والسِّنّور.

وقال عمرو بن مسافر: ما عنى إلا أولاده، فكأنَّ خداشاً قال: ارجعوا عن الحرب التي لا تستطيعونها، إلى أكل الذُّرِّيَّة والعيال.

١٧٠٦- [نفي الغنويّ أكل الضبَّة أولادها]

قال: وقال أبو سليمان الغنويّ: أبرأ إلى اللّه تعالى من أن تكون الضَّبَّة تأكل أولادها! ولكنها تدفنهنَّ وتطمُّ عليهنَّ التُّراب، وتتعهدهنَّ في كلِّ يوم حتَّى يُخرَّجن[2]، وذلك في ثلاثة أسابيع. غير أنّ الثَّعالب والظِّربان والطَّير، تحفر عنهنَّ فتأكلهنَّ. ولو أفلت منهنَّ كلُّ فراخ الضِّباب لَملأْنَ الأرض جميعاً.

ولو أنَّ إنساناً نحل أمَّ الدَّرداء، أو مُعاذة العدويَّة، أو رابعة القيسيَّة، أنهنَّ يأكلن أولادهنَّ، لما كان عند أحدٍ من النّاس من إنكار ذلك، ومن التكذيب عنهنَّ، ومن استعظام هذا القول، أكثر مما قاله أبو سليمان في التَّكذيب على الضِّباب أن تكون تأكل أولادها.

قال أبو سليمان: ولكن الضبّ يأكلُ بعْره، وهو طيِّبٌ عنده. وأنشد[3]: [من البسيط]

يَعود في تَيْعِه حِدْثانَ مَوْلِده ... فإنْ أسنَّ تغدَّى نَجْوَهُ كَلِفا

قال: وقال أفَّار بن لقيط: التَّيْع: القيء. ولكنّا رويناهُ هكذا. إنما قال: «يعودُ في رَجْعِه» . وكذلك الضَّبُّ، يأكُلُ رجْعَه[4].

---

(١) الوسق: الحِمْل، وكل شيء وسقته فقد حملته، والوسق أيضاً: ضم الشيء إلى الشيء.

(٢) التخريج: التعليم والتأديب.

(٣) البيت بلا نسبة في اللسان (ثعع)، والرواية فيه:

(يعود في ثَعِّه حِدْثانَ مَوْلِدِه ... وإنْ أَسَنَّ تعدَّى غيرَه كَلِفا)

(٤) الرجع، الروث والعذرة.

وزعم أصحابنا أنَّ أبا المنْجُوف السَّدوسيَّ روى عن أبي الوجيه العُكْليّ قوله(١): [من الطويل]

وأفطنَ مِنْ ضَبٌ إذا خافَ حَارِشاً أعـدَّ لـهُ عِنْـدَ التلمُّس عَقْرَبـا

جملة القول في نصيب الضباب
من الأعاجيب والغرائب

أوَّل ذلك طولُ الذَّماء، وهو بقيَّة النَّفْس وشدَّة انعقاد الحياة والرُّوحِ بعد الذبحِ وهَشْمِ الرّأس، والطَّعنِ الجائف النافذ، حتَّى يكون في ذلك أعجب من الخنزير، ومن الكلب، ومن الخنفساء، وهذه الأشياء التي قد تفرَّدت بطول الذَّماء.

ثمَّ شارك الضَّبُّ الوزغة والحيَّة، فإن الحية تُقطعُ من ثلث جسمها، فتعيش إن سلمت من الذَّرّ. فجمع الضَّبُّ الخصلتين جميعاً. إلا ما رأيت في دَخّال الأذن من هذه الخصلة الواحدة، فإنِّي كنتُ أقطعُه بنصفين، فيمضي أحدُ نصفيه يمنةً والآخر يَسرة. إلا أنِّي لا أعرفُ مقدار بقائهما بعد أن فاتا بَصَرِي.

ومن أعاجيبه طولُ العمر. وذلك مشهورٌ في الأشعار والأخبار، ومضروبٌ به المثلُ. فشارك الحيَّات في هذه الفضيلة، وشارك الأفعى الرّمْليَّة والصَّخرية في أنَّها لا تموتُ حتْفَ أنفِها، وليس إلا أن تُقْتل أو تصطاد، فتبقى في جُون الحوّائين، تذيلها(٢) الأيدي، وتُكره على الطّعم في غير أرضِها وهوائها، حتى تموت، أو تحتملها السُّيولُ في الشّتاء وزمان الزَّمْهرير، فما أسرع موتها حينئذ، لأنَّها صردة.

وتقول العرب: «أصرد من حيّة»؛ كما تقول: «أعرى من حية»(٣). وقال القشيريّ: «والله لهي أصْردُ من عنزٍ جرْباء»(٤).

---

(١) البيت بلا نسبة في التاج (خدع)، والكامل ١/١٥٨ (المعارف)، ومجمع الأمثال ١/٢٦٠.
(٢) تذيلها: تهينها.
(٣) مجمع الأمثال ٢/٥٤، وجمهرة الأمثال ٢/٣٤، والمستقصى ١/٢٤١، والدرة الفاخرة ١/٢٩٨.
(٤) مجمع الأمثال ١/٢١٣، وجمهرة الأمثال ١/٥٨٥، والمستقصى ١/٢٠٧، والدرة الفاخرة ١/٢٦٧، وأمثال ابن سلام ٣٦٧.

١٧٠٧- [حُتوف الحيّات]

وحُتوفها التي تُسرع إليها ثلاثة أشياء:

أحدها مُرور أقاطيع الإبل والشَّاء، وهي منبسطةٌ على وجه الأرض، إما للتشرُّق نهاراً في أوائل البرد، وإما للتبرُّد ليلاً في ليالي الصَّيف، وإمّا لخروجها في طلب الطُّعم.

والخصلة الثانية ما يسلَّط عليها من القنافذ والأوعال والورل، فإنها تطالبها مطالبة شديدة، وتقوى عليها قوّةً ظاهرة، والخنازير تأكلها

وقد ذكرنا ذلك في باب القول في الحيّات(١).

والخصلة الثالثة: تكسُّب الحوَّائين بصيدها. وهي تموت عِندهم سريعاً.

١٧٠٨- [اكتفاء الحيات والضباب بالنسيم]

والضَّبُّ يشاركها في طول العمر، ثمَّ الاكتفاء بالنسيم والتَّعيشِ ببرد الهواء. وذلك عند الهرم وفناء الرُّطوبات، ونَقْص الحرارات(٢). وهذه كلها عجب.

١٧٠٩- [رجع إلى أعاجيب الضب]

ثم اتخاذه الجحر في الصَّلابة، وفي بعض الارتفاع. خوفاً من الانهدام، ومسيل المياه. ثم لا يكون ذلك إلا عند عَلَم يرجع إليه إنْ هو أضلَّ جُحره. ولو رأى بالقُرْب تراباً متراكِباً بقدر تلك المِرداة(٣) والصَّخرة، لم يحفِلْ بذلك. فهذا كله كيْسٌ وحزم. وقال الشَّاعر(٤): [من الطويل]

سقَى اللّه أرضاً يَعْلَم الضب أنّها عَـذيّة بَطْنِ القـاع طيّبـةُ البَقْـلِ
يــرود بها بيتـاً على رأس كُدْيــةٍ وكل امرئٍ في حِرْفة العيْشِ ذو عقْلِ

وقال البُطين: [من البسيط]

وكلُّ شيءٍ مصيبٌ في تعيُّشِه الضبُّ كالنُّون، والإنسانُ كالسَّبُع

---

(١) انظر ما تقدم في ٤ /٣٣٢، الفقرة (١٠٥٨)، و٤ /٣٣٩، الفقرة (١٠٧٩).

(٢) انظر ما تقدم في ٤ /٣٢٢، الفقرة (١٠٣٤).

(٣) المرداة: الصخرة يرمى بها.

(٤) البيتان في ربيع الأبرار ٥ /٤٦٩، وتقدما في ٣ /٤٠، الفقرة (٥٨٢).

ومن أعاجيبه(١) أنّ له أيرَين، وللضبة حِرَين. وهذا شيءٌ لا يُعْرف إلأ لهما. فهذا قولُ الأعراب.

وأمَّا قولُ كثير من العلماء، ومن نقّب في البلاد، وقرأ الكتب، فإنّهم يزعُمون أنَّ للسُّقَنْقور أيرين، وهو الذي يتداوى به العاجزُ عن النكاح، ليورثه ذلك القوة.

قالو: و إن للحِرْذون أيضاً أيرين، وإنّهم عاينوا ذلك معاينة. وآخر من زعم لي ذلك موسى بن إبراهيم.

والحِرذون دويبة تشبه الحِرباء، تكون بناحية مِصْرَ وما والاها، وهي دويّبَة مَليحة موشّاة بألوانٍ ونقط.

وقال جالينوس: الضبُّ الذي له لسانان يصلُح لحمه لكذا وكذا. فهذه أيضاً أعجوبة أخرى في الضبِّ: أن يكونَ بعضه ذا لسانين وذا أيرين.

ومن أعاجيب الضَّبَّة أنها تأكل أولادها. وتجاوز في ذلك خلُق الهِرَّة، حتّى قالت الأعراب: «أعقُّ من ضَبٍّ»(٢).

١٧١٠- [احتيال الضب بالعقرب]

وزعمت العرب أنّه يُعدّ العقربَ في جُحره، فإذا سمع صوت الحرْش استثفرها(٣)، فألصقها بأصْل عَجْب الذَّنَب من تحتُ، وضمّ عليها، فإذا أدخل الحارشُ يده ليقبض على أصْل ذنبه لسعَتْه العقرب.

وقال علماؤهم: بل يهيِّئ العقارب في جحره، لتلسع المحترِشَ إذا أدخل يده.

وقال أبو المنجد بن رويشد: رأيت الضب أخور(٤) دابّة في الأرض على الحر، تراه أبداً في شهر ناجر(٥) بباب جُحره، متدخّلاً يخاف أن يقبض قابضٌ بذنبه، فربّما أتاه الجاهلُ ليستخرجه، وقد أتى بعقرب فوضَعَها تحت ذنبه بينه وبين الأرض، يحبسها بعَجْب الذنب، فإذا قبض الجاهلُ على أصلِ ذنبه لسعَتْه، فَشغِل بنفسه.

---

(١) تقدم ذكر هذه الأعجوبة في ٤ /٣٣٨، الفقرة (١٠٧٥).

(٢) مجمع الأمثال ٢ /٤٧، وجمهرة الأمثال ٢ /٦٩، والمستقصى ١ / ٢٥٠، وأمثال ابن سلام ٣٦٩.

(٣) أصل الاستثفار في الكلب، وهو أن يدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه.

(٤) أخور: أضعف.

(٥) شهر ناجر: رجب أو صفر. انظر الأزمنة والأمكنة ١ / ٢٨٠، والأيام والليالي للفراء ١٧.

فأما ذو المعرفة فإنّ معه عُوَيْداً يحرّكه هُناك، فإذا زالت العقرب قبض عليه.

وقال أبو الوجيه: كذب واللّه من زعم أنّ الضّبّة تستثفر[1] عقرباً، ولكنّ العقارب مسالمة للضّباب، لأنها لا تعرض لبيضها وفراخها. والضبُّ يأكل الجراد ولا يأكلُ العقارب. وأنشد قول التميميّ الذي كان ينزل به الأزديُّ: إنه ليس إلى الطعام يقصد، وليس به إلا أنه قد صار به إلفاً وأنيساً، فقال: [من الوافر]

أتأنسُ بي ونَجْرُك غير نَجْري كما بين العقارب والضّبابِ[2]

وأنشد: [من الطويل]

تجَمَّعْـن عند الضّبّ حتى كـأنه على كلِّ حال أسودُ الجِلدِ خنْفَسُ

لأن العقارب تألف الخنافِس. وأنشدوا للحَكم بن عمرو البَهْراني[3]: [من السريع]

والـوزَغُ الرُّقـطُ على ذُلِّهـا تُطاعِمُ الحيّاتِ في الجحـرِ
والخُنفَسُ الأسود من نَجْره مـودّةُ العقـربِ فـي السِّـرِّ

لأنك لا تراهُما أبداً إلاّ ظاهرتين، يطّاعمان أو يتسايران، ومتى رأيت مكنة[4] أو اطّلعْتَ على جُحر فرأيت إحداهما رأيت الأخرى.

قال: ومما يؤكّد القول الأوّل قولُه: [من الطويل]

ومُسْتثْفـرٍ دون السَّوِيّـةِ عقربـاً لقد جئت بجَرْيًّا من الدَّهْرِ أعوجا

يقول: حين لم تَرْضَ من الدّهاء والنكر[5] إلاّ بما تخالف عنده النّاس وتجوزهم.

١٧١١- [شعر في إعجاب الضب والعقرب بالتمر]

وأنشدني ابن داحة لحذيفة بن دأب عمّ عيسى بن يزيد، الذي يقال له ابن

---

(١) انظر الحاشية ٣، في الصفحة السابقة.

(٢) النجر: الطبع.

(٣) سيكرر الجاحظ هذين البيتين ص ٤٦٧، والثاني بلا نسبة في اللسان (خنفس).

(٤) المكنة: بيضة الضبة.

(٥) النكر: الدهاء.

دأب في حديث طويل من أحاديث العشّاق : [من الطويل]

لئن خُـدِعتْ حُبّى بِسبٍّ مُزعفـرٍ ... فقدْ يُخْدع الضَّبُّ المخادع بالتّمرِ (١)

لأن الضب شديد العُجْب بالتّمر، فضرب الضب مثلاً في الخُبْث والخديعة.

والذي يدلُّ على أن الضب والعقرب يُعجبان بالتّمر عجباً شديداً، ما جاء من الأشعار في ذلك.

وأنشدني ابن الأعـرابيِّ، لابن دَغْماء العِجْلي : [من الطويل]

سوى أنـكـم دُرِّبْـتُـم فجريْتـم ... على دُرْبةٍ، والضّبُّ يُحْبَلُ بالتّمْرِ

فجعل صيده بالتّمر كصيده بالحِبالة. وأنشدني القُشيريُّ : [من الطويل]

وما كنت ضبًّا يُخرج التّمر ضِغْنه ... ولا أنــا ممــنْ يزدهيـهِ وَعيـدُ

وقال بشر بن المعتمر، في قصيدته التي ذكر فيها آيات اللّه عز ذكره، في صُنوف خلْقه، مع ذكر الإباضيّة، والرافضة والحشوية والنابتة فقال فيها (٢): [من السريع]

وهِقْلـةٌ تَرتـاعُ من ظِلِّهـا ... لـهـا عِـرارٌ ولَها زَمْـرُ
تلتهمُ المرْو على شهوةٍ ... وَحَبُّ شيءٍ عندها الجمرُ
وضبّة تأكلُ أولادها ... وعُتْرُفانٌ بطنُه صفْرُ
يؤثِر بالطُّعْمِ، وتأذينهُ ... مُنَجِّمُ ليس له فِكَرُ
وظَبيةٌ تخضَمُ في حَنْظلٍ ... وعقربٌ يُعجبها التَمرُ

وقال أيضاً بشرٌ، في قصيدةٍ له أخرى (٣): [من السريع]

أما ترى الهِقْلَ وأمعاءَهُ ... يجمعُ بين الصَّخْر والجمْر
وفـأرة البيـشِ على بيشِهـا ... أحْرص مِنْ ضبٍّ على تمرِ

وقال أبو دارة – وقد رأيتهُ أنا، وكان صاحب قَنْص – : [من الطويل]

ومــا التـمْـر إلاّ آفــةٌ وبـليّــةٌ ... على جُلِّ هذا الخَلْقِ من ساكن البَحْرِ

---

(١) حُبَّى: اسم امرأة. السِّبُّ: العمامة.

(٢) الأبيات (١، ٢، ٥) في اللسان (ألق)، وستأتي القصيدة كاملة في ص ٤٦٤ – ٤٦٧ .

(٣) البيتان هما (٤١ – ٤٢) من قصيدة سيوردها الجاحظ ص ٤٦٧ – ٤٧٠ .

وفي البَرِّ من ذئب وسمع وعقربٍ وثُرمُلةٍ تسْعى وخُنفسة تسْري[1]

وقد قيل في الأمثالِ إن كنت واعياً عذيرك، إنَّ الضَّبَّ يُحْبَلُ بالتمرِ

وسنفسِّر معاني هذه الأبيات إذا كتبْنا القصيدتين على وجوههما[2] بما يشتملان عليه من ذكر الغرائب والحكم، والتّدبير والأعاجيب التي أودع اللّه تعالى أصناف هذا الخلْق، ليعتبر مُعتبر، ويفكر مفكر، فيصير بذلك عاقلاً عالماً، وموحِّداً مخْلصاً.

١٧١٢ - [طول ذماء الضب]

والدّليل على ما ذكرْنا من تفسير قولهم: الضّبّ أطولُ شيءٍ ذماء[3]، قولهم: «إنَّه لأحيا مِن ضَبّ»[4]، لأنّ حارشه ربّما ذبحه فاستقْصى فرْي الأوداج، ثم يدعُه، فربما تحرك بعد ثلاثة أيام.

وقال أبو ذؤيبٍ الهذلي[5]: [من الكامل]

ذكر الورُود بها وشاقى أمْرَهُ شؤماً وأقْبلَ حينه يتتبّعُ

فأبَدَّهُنَّ حُتُوفَهُنَّ فهاربٌ بذمائه أو ساقطٌ متَجَعْجِعُ

وكان النّاس يروون: «فهاربٌ بدمائه» يريدون من الدم. وكانوا يكسِرون الدال، حتى قال الأصمعيّ: «بذمائه» معجمة الذال مفتوحة وقال كثير[6]: [من الكامل]

ولقد شهدْت الخيل يحْمِل شكّتي متلمِّظٌ خذم العنان بَهيمُ[7]

باقي الذماءِ إذا مَلَكْتَ مُناقِلٌ وإذا جَمَعْتُ به أجَشٌّ هَزيمُ[8]

---

(١) الثرملة: الأنثى من الثعالب.

(٢) انظر ما سيأتي ص ٤٦٤ - ٤٧٠.

(٣) تقدم هذا القول في ٣/٢٤٧، الفقرة (٩١٤)، وورد هذا القول في رسائل الجاحظ ١/٢٧٧.

(٤) مجمع الأمثال ١/٢١٨، ٢٢٦، وجمهرة الأمثال ١/٣٤٣، وأمثال ابن سلام ٣٦٩.

(٥) البيتان لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٢٤، والمفضليات ٤٢٣، ٤٢٥، والثاني في اللسان والتاج (بدد، جعع، ذمي)، والمقاييس ١/١٧٦، ٤١٦، والعين ١/٦٨، والأساس (ذمي)، والتهذيب ١/٦٩، ١٤/٧٨، ١٥/٢٦، وبلا نسبة في العين ٨/٢٠٣، والمخصص ٣/٢٣، ٨٠.

(٦) ديوان كثير ٢٠٦، والمعاني الكبير ٤٩.

(٧) الشكة: السلاح. خذم العنان: سريع.

(٨) المناقل: السريع نقل القوائم. الأجش: الغليظ الصهيل. الهزيم: الشديد الصوت.

١٧١٣ - [خبث الضب ومكره]

والضَّبّ إذا خدَع في جُحره وُصِف عند ذلك بالخبث والمكر، ولذلك قال الشاعر: [من البسيط]

إنَّا مُنينا بِضَبٍّ من بني جُمحٍ   يرى الخيانة مِثْلَ الماء بالعسَلِ

وأنشد أبو عصام[(١)]: [من الطويل]

إنّ لنا شيخَين لا ينفعاننا   غنيَّين لا يجْدي عَلَيْنا غناهُما
كأنَّهما ضَبَّانِ ضَبَّا مغارةٍ   كبيران غيْداقان صُفْرٌ كُشاهُما[(٢)]
فإن يُحْبَلا لا يوجدا في حبالةٍ   وإنْ يُرصدا يوماً يخبْ راصِداهُما

ولذلك شبَّهُوا الحِقد الكامنَ في القلْب، الذي يسري ضررُه، وتدبُّ عقاربُه بالضَّبّ، فسمَّوا ذلك الحقد ضبًّا. قال مَعنُ بنُ أوس: [من الطويل]

ألا مَنْ لمولًى لا يزالُ كأنَّهُ   صفاً فيه صَدْعٌ لا يُدانيه شاعِبُ[(٣)]
تدِبُّ ضِبابُ الغشّ تحت ضُلوعِهِ   لأهلِ النّدى من قومِهِ بالعقارب

وقال أبو دَهْبل الجمحي[(٤)]: [من البسيط]

فاعلمْ بأنّي لِمَنْ عاديتَ مضطغنٌ   ضبًّا وإني عليك اليوم مَحْسودُ

وأنشد ابن الأعرابي[(٥)]: [من الرجز]

يا رُبَّ مولًى حاسدٍ مُباغضِ   عليَّ ذي ضغنٍ وضبٍّ فارضِ[(٦)]
له قُرُوءٌ كقُروءِ الحائضِ

---

(١) الأبيات لأبي أسيدة الدبيري في تهذيب الألفاظ ١٣٥، والأول في اللسان والتاج (يسر) مع بيت لم يذكره الجاحظ، والثاني في اللسان (علد)، وبلا نسبة في التهذيب ٢/٢١٦، وكتاب الجيم ٢/٣١١، ٣/١٥٧.

(٢) الغيداق: الضب المسن العظيم. الكشى: جمع كشية، وهي شحمة صفراء تمتد من أصل ذنبه حتى تبلغ إلى أقصى حلقه.

(٣) الصفا: جمع صفاة، وهي الصخرة الملساء. الشاعب: المصلح.

(٤) ديوان أبي دهبل ١٠٤، والأغاني ٧/١٢٩.

(٥) الرجز بلا نسبة في اللسان والتاج (بغض، فرض)، والأساس (فرض)، والتهذيب ١٢/١٥، وديوان الأدب ١/٣٥٣، ومجالس ثعلب ٣٠١، والأضداد ٢٨، وعمدة الحفاظ (فرض).

(٦) الفارض: المسن.

كأنّه ذهب إلى أنّ حِقده يخبو تارةً ثمَّ يستعر، ثم يخبو ثم يستعر.

وقال ابن ميّادة[1]، وضرب المثل بنفخ الضب وتوثُّبه: [من الطويل]

فإن لقيسٍ من بغيضٍ أقاصياً   إذا أسدٌ كَشّتْ لفخرٍ ضِبابُها

وقال الآخر: [من الطويل]

فلا يَقْطعِ اللّه اليمين التي كَسَتْ   حجاجَيْ مَنيعٍ بالقنا من دم سَجْلا[2]

ولو ضبٌّ أعلى ذي دميثٍ حَبلتما   إذًا ظلَّ يمطو من حبالكم حَبْلا[3]

والضب يُوصف بشدّة الكبر، ولا سيّما إذا أخصب وأمِنَ وصارَ[4]، كما قال عبْدة بن الطَّبيب، فإنهَ ضرب الضبّ مثلاً حيثُ يقول[5] ليحيى بن هزّال: [من البسيط]

لأعرِفنّك يومَ الورْدِ ذا لغَطٍ   ضخْم الجُزارةِ بالسَّلْمَينِ وكّارُ

تكفي الوليدة والرُّعيانَ مؤتزراً   فاحلُبْ فإنّك حلاّبٌ وصرّارُ

ما كُنْتَ أول ضب صاب تلْعَتَهُ   غيثٌ فأمْرعَ واسترخت به الدارُ

وقال ابن مَيّادة[6]: [من الطويل]

ترى الضَّبّ أنْ لم يرهبِ الضَّبُّ غيْرهُ   يكـشُّ لــهُ مُسْتكْبِراً ويُطـاوِلُـهْ

وقال دَعْلَجٌ عبدُ المنْجاب: [من الطويل]

إذا كان بيتُ الضب وسْط مَضبّةٍ   تطاول للشخص الذي هو حابله

المضبَّة: مكان ذو ضباب كثيرة، ولا تكثر إلاّ وبقربها حَيّة أو وَرل، أو ظرِبان، ولا يكون ذلك إلاّ في موضع بعيد من النّاس، فإذا أمِن وخلا لَهُ جوُّه، وأخصب، نفخ وكشَّ نحو كل شيء يُريده.

١٧١٤ - [ما يوصف بالكِبْر من الحيوان]

ومما يوصف بالكِبْر الثَّوْرُ في حال تشرُّقه، وفي حالِ مشيته الخُيلاء في الرِّياض،

---

(١) ديوان ابن ميادة ٧٩، والمعاني الكبير ٦٤٩.

(٢) الحجاجان: العظمان اللذان ينبت عليهما الحاجب. القنا: الرماح. السجل: الدلو العظيمة.

(٣) حبله: اصطاده بالحبالة.

(٤) صار القوم يصيرون: حضروا الماء.

(٥) الأبيات لعبدة بن الطبيب في ديوانه ٣٨، ونوادر أبي زيد ٤٧. وتقدمت في ٥/١٤٣.

(٦) ديوان ابن ميادة ١٩٣، والمعاني الكبير ٦٤٩.

عند غِبٍّ ديمة. ولذلك قال الكُميت[1]: [من الخفيف]

كشبوبٍ ذي كِبرياء من الوَحْـ ـدة لا يبْتَغي عليها ظهيرا[2]

وهذا كثيرٌ، وسيقع في موضعه من القول في البقر.

ومّما يُوصف بالكِبْر الجملُ الفَحْل، إذا طافت[3] به نوق الهجمة[4]، ومرَّ نحو ماءٍ أو كلأ فتبعنه. وقال الرّاجز: [من الرجز]

فإنْ تشرَّدْن حواليْه وَقَـفْ قالبَ حمْلاقيه في مثلِ الجرُفْ[5]
لو رُضَّ لحـدُ عَيْنه لمَا طرفْ كِبراً وإعجاباً وعِزّاً وتَـرَفْ

والنَّاقة يشتدُّ كِبْرها إذا لَقِحت، وتزُمُّ بأنفها[6] وتنفرد عن صحاباتها، وأنشد الأصمعيّ: [من الرجز]

وهو إذا أراد منها عِرْسا دَهْماءَ مِرْباعِ الّلقاحِ جَلْسا[7]
عاينها بعد السِّنان أنسا حتّى تلقَّتْهُ مخاضاً قُعْسا[8]
حتَّى احتشت في كلِّ نفسٍ نفْسا على الدّوامِ ضامِزاتٍ خُرُسا[9]
خُوصاً مُسِرَّاتٍ لقاحاً مُلْسا[10]

وأمَّا قول الشَّمَّاخ[11]: [من الطويل]

جُماليَّة لو يُجعلُ السَّيفُ غَرضها على حَدِّه لاستكبرتْ أنْ تضوّرا[12]

---

(١) ديوان الكميت ١/١٩٤.

(٢) الشَّبوب: الشاب من الثيران.

(٣) طاف بالقوم وعليهم: استدار وجاء من نواحيه.

(٤) الهجمة: القطعة الضخمة من الإبل، وقيل: هي ما بين الثلاثين والمائة، وقيل: الهجمة أولها الأربعون إلى ما زادت. وقيل: هي ما بين السبعين إلى دُوَين المائة، وقيل: هي ما بين السبعين إلى المائة. وانظر أقوالاً أخرى في اللسان (هجم).

(٥) الحملاق: بياض العين. الجرف: ما تجرفته السيول.

(٦) تزم بأنفها: تشمخ به.

(٧) الدهماء: السوداء. المرباع: التي عادتها أن تنتج في الربيع. الجلس: الناقة الجسيمة.

(٨) سان البعير الناقة يسانها: طردها حتى ينوخها ليسفدها. القُعس: جمع قعساء؛ وهي التي مال رأسها وعنقها نحو ظهرها.

(٩) الضامزات: الساكتات لا تسمع لها رغاء.

(١٠) الخوص: جمع خوصاء، وهي الغائرة العينين.

(١١) ديوان الشماخ ١٣٤، وأساس البلاغة (كبر).

(١٢) في ديوانه: «ناقة جمالية: وثيقة، تشبه الجمل في خلقتها وشدتها وعظمها. والغرض: حزام الرحل. وقوله: أن تضورا، أصله: أن تتضورا، فحذف إحدى التاءين، والتضور: التلوي، والصياح، يصفها بالقوة والتحمل والرياضة».

فليس من الأوَّل في شيء.

١٧١٥ - [المذكورون من الناس بالكبر]

والمذكورون من النَّاس بالكِبْر، ثَمَّ من قريشٍ: بنو مخزوم، وبنو أميَّة. ومن العرب: بنو جعفر بن كلاب، وبنو زرارة بن عُدس خاصّة.

فأمَّا الأكاسرة من الفرْس فكانوا لا يعُدُّون النَّاس إلاّ عبيداً، وأنفسهم إلاّ أرباباً.

ولسنا نُخْبر إلا عن دهماء النّاس وجُمهورهم كيف كانوا، من ملوك وسوقة.

١٧١٦ - [الكبر في الأجناس الذليلة]

والكِبر في الأجناس الذَّليلة من النّاس أرسَخ وأعمُّ. ولكنّ الذلة والقلّة مانعتان من ظهور كبرهم، فصار لا يعرف ذلك إلاّ أهلُ المعرفة. كعبيدنا من السِّنْدِ، وذِمَّتنا من اليهود.

والجملةُ أنّ كلّ من قدر من السِّفلة والوُضعاء والمحقرين أدنى قدرة، ظهر من كِبره على منْ تحت قدرته، على مراتب القدرة، ما لا خفاء به. فإنْ كان ذمِّيًّا وحَسُنَ بما لَهُ في صدور النّاس، تزيَّد في ذلك، واستظهرت طبيعته بما يظنُّ أنّ فيه رَقْع ذلك الخرْق، وحِياص[1] ذلك الفتق، وسد تلك الثُّلمة. فتفقدْ ما أقول لك، فإنك ستجده فاشياً.

وعلى هذا الحسابِ من هذه الجهة، صار المملوك أسوأ ملكةً من الحُرّ.

وشيءٌ قد قتلته عِلماً، وهو أنِّي لم أرَ ذا كِبْر قطُّ على منَ دونه إلا وهو يذلُّ لمن فوقه بمقدارِ ذلك ووزْنه.

١٧١٧ - [كبر قبائل من العرب]

فأمّا بنو مخزوم. وبنو أمَيَّة، وبنو جعفر بن كلاب، وبنو زرارة بن عُدُس، فأبْطرهم ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة. ولو كان في قُوى عقولهم وديانتهم فضلٌ على قوى دواعي الحميّة فيهم، لكانوا كبني هاشمٍ في تواضُعِهم، وفي إنصافهم لمنْ دونهم.

---

(١) حاص الثوب يحوصه: خاطه.

وقد قال في شبيهٍ بهذا المعنى عَبْدةُ بن الطبيب، حيث يقول[1]: [من الطويل]

إن الذين تُرَوْنَهُمْ خلاَّنكُمْ يَشْفي صُداع رؤوسهم أن تُصْرعوا
فضلت عداوتهم على أحلامِهم وأبتْ ضِبابُ صُدورهم لا تنزعُ

١٧١٨ - [من عجائب الضب]

فأمَّا ما ذكروا[2] أنَّ للضبّ أيرين، وللضَّبَّة حِرَين، فهذا من العجب العجيب. ولم نجدْهم يشكُّون. وقد يختلفون ثمَّ يرجعون إلى هذا العمود. وقال الفزاريّ[3]: [من الطويل]

جبى المالَ عُمَّالُ الخراجِ وجِبْوتي مُحذَّفة الأذناب صُفْرُ الشّواكلِ[4]
رَعين الدَّبا والبَقْلَ حتى كأنما كساهُنَّ سُلطانٌ ثيابَ المراجلِ[5]
سِبحْلٍ له نزكانِ كانا فضيلةً على كُلِّ حافٍ في البلاد وناعلِ[6]
ترى كلَّ ذيَّال إذا الشمسُ عارضتْ سما بين عِرْسَيْهِ سُمُوَّ المخايلِ

واسم أيره النَّزْك، معجمة الزّاي والنون من فوق بواحدة، وساكنة الزاي. فهذا قول الفزاريّ. وأنشد الكِسائي[7]: [من الطويل]

تفرَّقتمُ لا زِلْتم قِرْنَ واحدٍ تفرُّق أيْرِ الضّبِّ والأصل واحدُ

فهذا يؤكد ما رواه أبو خالد النميري، عن أبي حيّة النُّميري. قال أبو خالد[8]: سئل أبو حيّة عن ذلك، فزعم أنّ أير الضبّ كلسان الحيّة: الأصل واحدٌ، والفرعُ اثنان.

---

(١) البيتان في المفضليات ١٤٧.

(٢) انظر ما تقدم ص ٣٤٦.

(٣) الأبيات لحمران ذي الغصة أو لأبي الحجاج في اللسان والتاج (نزك)، والأول بلا نسبة في كتاب الجيم ٢/١٩٤، وتقدم تخريج البيت الثالث في ٤/٣٣٨، الفقرة (١٠٧٥).

(٤) الشواكل، جمع شاكلة، وهي الخاصرة.

(٥) الدبا: الجراد. المراجل: ضرب من برود اليمن.

(٦) السبحل: العظيم المسن من الضباب.

(٧) البيت بلا نسبة في اللسان والتاج (نزك)، والتهذيب ١٠/١٠٢.

(٨) تقدم هذا القول في ٤/٣٣٨، الفقرة (١٠٧٥) مع نسبته إلى أبي خلف النمري.

١٧١٩ - [زعم بعض المفسِّرين في عقاب الحية]

وبعضُ أهل التّفسير يزعم أنّ اللّه عزّ وجلّ عاقب الحيَّة - حين أدخلتْ إبليس في جوفها حتَّى كلّم آدم على لسانها - بعشر خصال، منها شقُّ اللسان[١].

قالوا[١]: فلذلك ترى الحيّة أبداً إذا ضُربت لتُقْتل كيف تُخرجُ لسانها، تلويه كما يصنعُ المسترحمُ من النَّاس بإصبعه إذا ترحّم أو دعا، لترِيَ الظالمَ عقوبة اللّه تعالى لها.

١٧٢٠ - [تناسل الضب]

قال أبو خالد: قال أبو حيّة: الأصل واحد، والفرع اثنان، وللأنثى مَدخلان. وأنشد لحبَّى المدنيَّة[٢]: [من الوافر]

وَدِدتُ بأنّه ضبٌّ وأني … كضبَّة كُدْيةٍ وجَدَتْ خلاءَ

قال: قالت هذا البيت لابنها، حين عذلها، لأنَّها تزوّجتْ ابن أمِّ كلاب، وهو فتى حدثٌ، وكانت هي قد زادت على النَّصَف، فتمنَّتْ أن يكون لها حِرانِ ولزوجها أيران.

وقال ابن الأعرابيّ: للأنثى سبيلان، ولرحمها قُرْنتان، وهما زاويتا الرَّحم. فإذا امتلأت الزَّاويتان أتأمتْ، وإذا لم تمتلئْ أفردت.

وقال غيرُه من العلماء: هذا لا يكون لذوات البيض والفراخ، وإنما هذا من صفة أرحام اللواتي يحْبلن بالأولاد، ويضعْن خلقاً كخلقهنَّ ويُرْضعن. وكيف تُفرِد الضبّة وهي لم تتئم قط. وهي تبيض سبعين بيضةً في كلِّ بيضةٍ حِسْل.

قال: ولهذه الحشرات أيورٌ معروفة، إلاّ أنّ بعضها أحقر من بعض. فأما الخصى فشيءٌ ظاهرٌ لمن شقّ عنها.

١٧٢١ - [تناسل الذباب]

وجسر أبو خالد، فزعم أنه قد أبصر أير ذباب وهو يكُوم ذبابة وزعم أن اسم أيره المُتْك. وأنشد لعبد اللّه بن همام السَّلوليّ[٣]: [من الكامل]

---

(١) انظر ما تقدم في ٤/٣٣٩، ٣٥٧.

(٢) البيت في اللسان والتاج (نزك) لامرأة لامها ابنها في زوجها.

(٣) ديوان عبد الله بن همام السلولي ٣٧-٣٨، وثمار القلوب ٣٩٨ (٧٢٨)، وتقدم البيتان بلا نسبة في ٣/١٥٢، الفقرة (٧٦٨).

لما رأيْتُ القصرَ غُلِّقَ بابه وتعلَّقَتْ همْدانُ بالأسبابِ
أيقنْتُ أنّ إمارة ابن مُضاربٍ لم يبْقَ منها قِيسُ أيرِ ذُبابِ

وهذا شعرٌ لا يدلُّ على ما قال.

وقال أصحابنا: إنّما المتك البظْر. ولذلك يقال للعِلْج: يابن المتْكاء كما يقال له: يابن البظراء.

القولُ فيمن استطاب لحم الضب ومن عافه

روى أنَّه أُتي به على خوان النبي ﷺ فلم يأكله، وقال[1]: «ليس من طعام قومي».

وأكله خالد بن الوليد فلم يُنكر عليه[1].

ورووا أن النبي ﷺ قال[2]: «لا أحلُّه ولا أحرِّمه». وأنكر ذلك ابنُ عباس وقال: ما بعثه اللّه تعالى إلاّ ليُحلّ ويحرِّم.

وحرّمه قومٌ، ورووا أنَّ أُمّتين مُسختا، أخذت إحداهما في البَرِّ، فهي الضِّباب، وأخذت الأخرى في طريق البحر، فهي الجِرِّيّ[3].

ورووْا عن بعض الفقهاء أنه رأى رجلاً أكل لحم ضبٍّ، فقال: اعلمْ أنَّك قد أكلت شيخاً من مشيخة بني إسرائيل[4].

وقال بعضُ من يعافه: الذي يدلُّ على أنه مِسْخ شبه كفِّه بكفِّ الإنسان.

وقال العُدار الأبرص، نديم أيّوب بن جعفر، وكان أيوبُ لا يغبّ[5] أكل الضباب، في زمانها. ولها في المِرْبد سوقٌ تقوم في ظلّ دار جعفر. ولذلك قال أبو فرعون، في كلمة له طويلة: [من الرجز]

---

(١) أخرجه البخاري في الأطعمة، حديث رقم ٥٠٧٦، وأعاده في الذبائح والصيد، حديث رقم ٥٢١٧، ومسلم في الصيد والذبائح، باب إباحة الضب، حديث رقم ١٩٤٥-١٩٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد، حديث رقم ٥٢١٦، ومسلم في الصيد والذبائح برقم ١٩٤٣.

(٣) الجري: ضرب من السمك. انظر ما تقدم في ١/١٥٤، ١٩٦، ٢٠٣.

(٤) ورد الخبر في ربيع الأبرار ٥/٤٦٨.

(٥) الغب: هو أن يرد يوماً ويدع يوماً.

سُوقُ الضبابِ خيرُ سوقٍ في العربْ

وكان أبو إسحاق إبراهيم النظام والعُدار، إذا كان عند أيوب قاما عن خوانه[1]، إذا وضع له عليه ضبّ. ومما قال فيه العُدار قوله: [من الطويل]

لـه كَـفُّ إنسـانٍ وخَـلْـقُ عَـظـايـةٍ ... وكالقِرد والخنزير في المسْخِ والغضبْ

١٧٢٢ - [القول في المسخ]

والعوامّ تقول ذلك. وناسٌ يزعمون أن الحيّة مسخ، والضبّ مِسْخ، والكلبَ مِسْخ، والإربيان[2] مِسخ، والفأر مسخ.

ولم أر أهل الكتاب يُقِرُّون بأنَّ اللّه تعالى مسخ إنساناً قط خنزيراً ولا قرداً. إلاّ أنهم قد أجمعوا أنّ اللّه تباركَ وتعالى قد مسخ امرأة لُوطٍ حَجَراً[3]، حين التفتتْ[4].

وتزعم الأعراب: أنَّ اللّه عزّ ذكره قد مسخ كلَّ صاحب مَكْس وجابي خراج وإتاوة، إذا كان ظالماً. وأنه مسخ ماكسين، أحدهما ذئباً والآخر ضبعاً.

١٧٢٣ - [شعر الحكم بن عمرو في غرائب الخلق]

وأنشد محمَّد بن السَّكن المعلِّم النحويّ، للحكم بن عمرو البهراني، في ذلك وفي غيره شعراً عجيباً، وقد ذكر فيه ضروباً كلُّها طريف غريب، وكلها باطل، والأعراب تؤمن بها أجمع.

وكان الحكَم هذا أتى بني العنبر بالبادية، على أنَّ العنبر من بَهْراء، فنفوه من البادية إلى الحاضرة، وكان يتفقَّه ويفتي فُتيا الأعراب[5]، وكان مكفوفاً ودهريًّا

---

(١) الخوان: المائدة يوضع عليها الطعام.

(٢) الإربيان: ضرب من السمك، وهو القريدس في الشام، والجمبري في مصر. معجم الألفاظ الزراعية ١٩٧.

(٣) تقدم هذا القول في ٣/٣١٣، الفقرة (١٠٢٠)، وانظر أيضاً ٣/٣٠٩، الفقرة (١٠١٠)، و٣/٣١٢، الفقرة (١٠١٧).

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في الآية ٨١ من سورة هود: ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك﴾.

(٥) فتيا الأعراب: ضرب من الألغاز يقوم على المقدرة اللغوية. ويتضح هذا الفن في المقامة (٣٢) من مقامات الحريري، مثل قوله «أيستباح ماء الضرير؟ قال: نعم. ويجتنب ماء البصير». الضرير هنا: حرف الوادي، والبصير: الكلب. وانظر المزهر ١/٦٢٢ - ٦٣٧ حيث أورد مقامة الحريري.

عُدْمُليًّا[1]، وهو الذي يقول[2]: [من الخفيف]

١ - إنّ ربِّي لما يشاءُ قديرٌ ... ما لشيءٍ أرادهُ مِنْ مَفَرِّ

٢ - مسخ الماكسينِ ضبْعاً وذئباً ... فلهذا تناجلا أمَّ عَمرو

٣ - بَعَثَ النّمْلَ والجرادَ وقفّى ... بَنَجيعِ الرُّعافِ في حيٍّ بكْرِ

٤ - خَرَقَتْ فارةٌ بأنفٍ ضئيل ... عرِماً مُحْكَمَ الأساسِ بصخرِ[3]

٥ - فجّرته وكان جيلان عنهُ ... عاجزاً لو يَرُومه بعد دهْرِ[4]

٦ - مسخ الضَّبّ في الجدالة قِدْماً ... وسُهَيْل السَّماء عمداً بصُغْرِ[5]

٧ - والذي كان يكتني برغال ... جعل اللّهُ قَبْرَهُ شَرَّ قَبْرِ[6]

٨ - وكذا كلُّ ذي سفين وخرْجٍ ... ومُكوسٍ وكلُّ صاحبِ عُشْرِ[6]

٩ - منكبٌ كافرٌ وأشراطُ سَوْءٍ ... وعريفٌ جزاؤُه حَرُّ جَمْرِ[7]

١٠ - وتزوَّجْتُ في الشّبيبةِ غُولاً ... بغزالٍ وصدْقتي زِقُّ خَمْرِ[8]

١١ - ثيِّبٌ إن هويتُ ذلك منها ... ومتى شئت لم أجِدْ غيْرَ بِكرِ[9]

١٢ - بنت عمرو وخالها مِسحلُ الخيـ ... ـر وخالي هميمُ صاحبُ عمرو[9]

١٣ - ولهـا خُطَّةٌ بأرضٍ وبارٍ ... مَسحوها فكان لي نصف شطرِ[10]

١٤ - أرض حوشٍ وجاملٍ عكنانٍ ... وعُروج من المؤبّل دَثْرِ[11]

١٥ - سادة الجنّ ليس فيها من الجـ ... ـنِّ سوى تاجر وآخرَ مُكْرِ

١٦ - ونَفَوْا عن حريمها كلَّ عِفْرٍ ... يسرقُ السَّمْعَ كل ليلة بدرِ[11]

---

(١) العدملي: الهرم المسن.

(٢) ورد البيتان (٤-٥) في ثمار القلوب (٦٠٩-٦١٠)، والسابع في ثمار القلوب (٢٤٥).

(٣) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٣٩٣.

(٤) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٥) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٣٩٥.

(٦) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٧) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٣٩٧.

(٨) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٣٩٧ - ٣٩٨، ٤٣٣.

(٩) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٤٣٣.

(١٠) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٤٣٥.

(١١) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٤٣٦.

١٧ - في فُتُوٌّ من الشّنقناقِ غُرٌّ ونساءٍ من الزوابع زُهْرِ[١]
١٨ - تأكل الفولُ ذا البساطة مُسياً بَعْدَ روْث الحمار في كلٌ فجرِ
١٩ - جعل اللّه ذلك الرّوثَ بيضاً من أنوقٍ ومنْ طَرُوقة نَسْرِ
٢٠ - ضُربت فَرْدَةً فصارتْ هباءً في محاق القُمير آخر شهرِ[٢]
٢١ - تركتْ عبدلاً ثمال اليتامى وأخوه مزاحم كان بكرِي[٣]
٢٢ - وضعت تِسعةً وكانت نزوراً من نساء في أهلها غير نزرِ[٣]
٢٣ - غلبتْني على النَّجابَةِ عِرْسي بعد ما طار في النَّجابة ذِكْري[٤]
٢٤ - وأرى فيهم شمائل إِنْسٍ غَيْرَ أنَّ النِّجار صُورَةُ عفرِ[٥]
٢٥ - وبها كنتُ راكباً حشراتٍ مُلْجماً قُنفُذاً ومُسْرِجَ وبْرِ[٦]
٢٦ - كُنتُ لا أركبُ الأرانب للحيـ ـض ولا الضّبْع أنّها ذات نكْرِ
٢٧ - تَركبُ المقْعَصَ المجيّف ذا النَّعْـ ـظ وتدعُو الضّباع من كلٌ جُحْرِ[٧]
٢٨ - جائباً للبحار أُهْدي لعِرْسي فلفلاً مجتنًى وهضمة عِطْرِ[٨]
٢٩ - وأحلّي هُريرَ من صدفِ البحْـ ـر وأسْقي العِيالَ من نيل مِصْرِ[٩]
٣٠ - ويسنّي المعقود نفثي وحلّي ثمَّ يخْفى على السّواحر سحري
٣١ - وأجوب البلاد تحتي ظَبْيٌ ضاحِكٌ سِنُّهُ كثيرُ التَّمَرّي[١٠]
٣٢ - مُولجٌ دُبْرَهُ خوايَة مَكْوٍ وَهو باللّيلِ في العفاريت يَسْري[١٠]
٣٣ - يَحْسَبُ النَّاظِرُون أنّي ابنُ ماءٍ ذاكِرٌ عُشَّهُ بضَفَّة نهرِ
٣٤ - ربَّ يوم أكلْتُ من كَبدِ اللَّيـ ـثِ وأعقبتُ بَيْنَ ذِئْبٍ ونمرِ

---

(١) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .
(٢) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٤٣٨ .
(٣) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٤٣٥ .
(٤) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٤٣٩ .
(٥) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٤٣٩ .
(٦) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٤٤٠ .
(٧) المقعص: الذي ضرب فقتل مكانه. النعظ: الانتشار.
(٨) الهضمة: الطيب أو البخور.
(٩) هرير: ترخيم هريرة، وهو اسم علم للمؤنث.
(١٠) انظر شرح الجاحظ لهذا البيت فيما سيأتي ص ٤٤٠ . الخواية: متسع داخل الكناس. المكو: الجحر.

٣٥ - ليس ذاكُمْ كمن يبيتُ بَطِيناً   من شِواءٍ ومن قليَّة جُزْرِ
٣٦ - ثم لاحَظْت خلتي في غُدوٌ   بَيْنَ عَيْني وعَيْنِها السَّمُّ يجْري
٣٧ - ثم أصبحتُ بعد خَفْضٍ ولَهْوٍ   مُدْنَفًا مُفْرَدًا محالفَ عُسْرِ
٣٨ - أتراني مَقَتُّ من ذَبحَ الدِّيـ   ـكَ وعادَيْتُ من أهَابَ بصَقْرِ
٣٩ - وسمعْتُ النقيقَ في ظُلمِ اللّيـ   ـلِ فجاوبْتُه بسِرٍّ وجَهْرِ
٤٠ - ثمَّ يُرمَى بي الجَحيمُ جهاراً   في خمير وفي دراهم قمرِ
٤١ - فلَعل الإله يَرْحَمُ ضَعْفي   ويَرى كَبْرَتي ويَقْبَلُ عُذْري

١٧٢٤- [القول في استحلال الضب واستطابته]

وسنقول في الذين استحلوه واستطابوه وقدّموه.

قالوا: الشيء لا يحرم إلاّ من جهة كتاب، أو إجماعٍ، أو حجةِ عقل، أو من جهة القياس على أصل في كتاب اللّه عزّ وجلّ، أو إجماع. ولم نجدْ في تحريمه شيئًا من هذه الخصال، وإن كان إنّما يُترك من قِبلِ التقزز؛ فقد أكل الناسُ الدَّجاجَ، والشبابيط؛ ولحوم الجَلاَّلة، وأكلوا السراطين، والعقصير[١]، وفراخ الزّنابير، والصحناء[٢] والرَّبيثا[٣] فكان التقزُّز مما يغتذي العذرةَ رطْبةً ويابسة، أولى وأحقَّ من كلِّ شيء يأكل الضروب التي قد ذكرناها وذكرها الرَّاجز حيث يقول: [من الرجز]

يَا رُبَّ ضَبٌّ بين أكناف اللّوَى   رعى المُرار والكَبَاث والدَّبا[٤]
حتَّى إذا ما ناصل البُهْمَى ارتمى   وأجفئَتْ في الأرض أعْرافُ السّفَا
ظَلَّ يباري هُبَّصًا وَسْط المَـلا   وهو بَعيْنَي قانصٍ بالمرْتَبَا[٥]
كان إذا أخْفَقَ مِـن غـير الرعا   رازَمَ بالأكباد منها والكُشَى[٦]

فإن عفتموه لأكل الدَّبا فلا تأكلوا الجراد، ولا تستطيبوا بَيضه.

---

(١) العقصير: دابة يُتقزز من أكلها.
(٢) الصحناة: إدام يتخذ من السمك الصغار والملح، وتقدم هذا الشرح في الحاشية الخامسة للصفحة ١٤١، الفقرة (٧٥٠).
(٣) الربيثا: إدام يتخذ من السمك الصغار والملح.
(٤) الكباث: ثمر الأراك. الدبا: الجراد قبل أن يطير.
(٥) هبص: جمع هابص، وهو الحريص على الصيد. الملا: المتسع من الأرض. المرتبأ: المرقب والموضع الذي يشرف عليه.
(٦) الكشى: جمع كشية، وهي شحمة في ظهر الضب.

وقد قال أبو حجين المنقريُّ: [من الطويل]

ألا لَيت شعرِي هل أبيتنَّ ليلة … بأسفل وادٍ ليس فيه أذانُ
وهل آكُلَنْ ضَبًّا بأسفَل تَلْعَة … وعرْفجُ أكماعِ المَديد خُواني[1]
أقومُ إلى وقْتِ الصَّلاةِ وريحهُ … بكَفِّيَّ لم اغسِلْهُما بشُنَانِ[2]
وهل أشرَبَنْ مِنْ ماءِ لينةَ شرْبَةً … على عطَشٍ من سور أمّ أبانِ[3]

وقال آخر[4]: [من الطويل]

لَعَمْرِي لَضَبٌّ بالعُنيزَة صائف … تضحَّى عَرَادًا فهو يَنْفخ كالقَرمْ[5]
أحبُّ إلينا أنْ يجاورَ أرْضَنَا … من السَّمكِ البُنِّيّ والسَّلْجَم الوَخِمْ[6]

وقال آخرُ في تفضيل أكل الضّبّ[7]: [من الطويل]

أقولُ له يومًا وقد راح صُحْبتي … وباللّه أبغي صَيْدَهُ وأخاتلُهْ
فلمَّا التقَتْ كَفِّي على فضْل ذَيله … وشالت شمالي زايَلَ الضَّبّ باطلُهْ[8]
فأصبح محنوذًا نضيجًا وأصبَحَتْ … تَمشَّى على القيزان حُولاً حلائلُهْ[9]
شديد اصفرار الكُشْيَتَيْن كأنّما … تطلَّى بورْس بَطْنُه وشواكلُهْ[10]
فذلك أشْهى عنْدَنا من بيَاحِكمْ … لَحَى اللّه شارِبَه وقُبِّح آكِلُهْ[11]

---

(١) العرفج: ضرب من النبات سهلي، وقيل: هو من شجر الصيف؛ وهو لين أغبر له ثمرة خشناء كالحسك. الأكماع: أماكن من الأرض ترتفع حروفها وتطمئن أوساطها. المديد: موقع قرب مكة. الخوان: المائدة يوضع عليها الطعام.
(٢) الشنان: الماء البارد.
(٣) لينة: موضع في بلاد نجد.
(٤) البيتان بلا نسبة في ربيع الأبرار ٥/٤٦٧، ومعجم البلدان ٤/١٦٣ (عنيزة).
(٥) عنيزة: موضع بين البصرة ومكة، وعنيزة: من أودية اليمامة قرب سواج، وقرى عنيزة بالبحرين. تضحى: أكل في وقت الضحى. العراد: ضرب من النبات تألفه الضباب. القرم: الفحل المتروك للفحلة.
(٦) السلجم: ضرب من البقول، وهو اللفت. الوخم: الثقيل الذي لا يستمرأ.
(٧) الأبيات لبعض الأعراب في عيون الأخبار ٣/٢١٢، والبيتان الأخيران في ربيع الأبرار ٥/٤٦٨، والرابع في محاضرات الأدباء ١/٢٩٢ (٢/٦١١).
(٨) شالت: ارتفعت. زايل: فارق.
(٩) المحنوذ: المشوي. القيزان: الرمال العالية. الحول: جمع حائل، وهي التي لم تحمل. الحلائل: جمع حليلة، وهي الزوجة.
(١٠) الكشية: شحمة في ظهر الضب. الشواكل: جمع شاكلة، وهي الخاصرة.
(١١) البياح: ضرب من السمك صغار.

وقال أبو الهنْديّ، من ولد شَبَثِ بنِ رِبْعيٍّ[1]: [من المتقارب]

أكَلْتُ الضِّبابَ فما عِفْتها ... وإنّي لأهْوَى قديدَ الغَنَمْ[2]
ورَكَّبتُ زُبداً على تَمرةٍ ... فنِعْمَ الطَّعام ونِعْمَ الأُدُمْ[3]
وسَمْنَ السِّلاءِ وكمءَ القصيصِ ... وزينُ السَّديف كبودُ النَّعَمْ[4]
ولحمَ الخروف حَنيذاً وقدْ ... أُتيتُ به فائراً في الشَّبِمْ[5]
فأمَّا البَهطُ وحيتانُكمُ ... فما زلْتُ منها كثيرَ السَّقَمْ[6]
وقد نِلْتُ ذاكَ كما نِلْتمُ ... فلم أرَ فيها كضَبٍّ هَرِمْ
وما في البُيُوضِ كبَيْضِ الدَّجاج ... وبَيْضُ الجراد شِفاءُ القَرِمْ
ومَكنُ الضِّبابِ طَعامُ العُرَيبِ ... ولا تَشْتَهيهِ نُفُوسُ العَجَمْ[7]

وإلى هذا المعنى ذهب جران العود، حين أطعمَ ضيفَه ضَبًّا، فهجاه ابن عمٍّ له كان يُغمزُ في نسبِه، فلما قال في كلمةٍ له[8]: [من الوافر]

وتُطْعِمُ ضَيْفَكَ الجَوْعَانَ ضبًّا ... وتأكلُ دُونَهُ تمرًا بزبْدِ

وقال في كلمةٍ له أخْرَى[8]: [من الوافر]

وتُطْعِمُ ضَيْفَكَ الجَوْعانَ ضبّاً ... كأنَّ الضَّبَّ عندهم عَرِيبُ

قال جران العود[8]: [من الوافر]

فلولا أنَّ أصْلَكَ فارسيٌّ ... لَمَا عِبْتَ الضِّبَابَ ومنْ قَرَاها
قريتُ الضيفَ من حُبِّي كُشَاها ... وأيُّ لَوِيَّةٍ إلاّ كُشاها[9]

---

(١) ديوان أبي الهندي ٥٠، والمعاني الكبير ٦٥٠، وعيون الأخبار ٣/ ٢١٠، وربيع الأبرار ٥/ ٤٦٦، وفيه صُحِّف اسم أبي الهندي إلى أبي الهندام، واللسان ١/ ٥٨٦ (عرب).
(٢) القديد: ما قطع من اللحم وشرر، واللحم المملوح المجفف في الشمس.
(٣) الأدم: الإدام، وهو ما يؤكل به الخبز.
(٤) سلأ الزبد: طبخه وعالجه ليخلص منه السمن. القصيص: جمع قصيصة، وهي شجرة تنبت في أصلها الكمأة. السديف: شحم السنام. الكبود: جمع كبد.
(٥) الحنيذ: المشوي. الفائر: أراد به الحار. الشبم: البارد.
(٦) البهط: الأرز يطبخ باللبن والسمن.
(٧) المكن: جمع مكنة، وهو بيض الضب. العريب: تصغير العرب.
(٨) البيت مع الخبر في ربيع الأبرار ٥/ ٤٦٦.
(٩) الكشية: شحمة في ظهر الضب.

واللَّوِيَّة: الطُّعيِّم الطّيب، واللَّطف[1] يرفع للشَّيخِ والصبي. وقد قال الأخطل[2]: [من الطويل]

فقلتُ لهُمْ هاتوا لَوِيةَ مالكٍ   وإنْ كان قد لاقى لَبوسًا ومَطْعما

١٧٢٥- [بزماورد الزَّنابير]

وقال مُويس بن عمران: كان بشر بن المعتَمر خاصًّا بالفضل بنِ يحيى، فقدِم عليه رجلٌ من مواليه، وهو أحد بني هلال بن عامر، فمضى به يومًا إلى الفضْل؛ ليكرمَه بذلك، وحضرت المائدة، فذكروا الضب ومن يأكلُه، فأفرط الفضْلُ في ذمِّه، وتابَعَهُ القوم بذلك ونظر الهلاليُّ فلم ير على المائدة عربيًّا غيره، وغاظه كلامُهم، فلم يلبث الفضل أن أُتيَ بصَحْفة ملآنةٍ من فراخ الزَّنابير، ليتّخذ لَه منها بزماورد[3] - والدّبر والنَّحل عند العرب أجناسٌ من الذّبان - فلم يشكّ الهلاليُّ أنَّ الذي رأى من ذبّان البيوت والحشُوش[4]. وكان الفضْلُ حين وليَ خُراسان استظرف بها بزماورد الزَّنابير، فلمَّا قدم العراق كان يتشَّهاها فتطلبُ له من كلِّ مكان. فشمِت الهلاليُّ به وبأصحابه،وخرجَ وهو يقول[5]: [من الطويل]

وعِلْج يعافُ الضَّبّ لُؤْمًا وبطْنةً   وبعضُ إدام العلْج هَامُ ذُباب[6]
ولو أن مَلْكًا في الْمَلا ناك أمّه   لقالُوا لقَدْ أُوتيتَ فَصلَ خطَابِ[7]

١٧٢٦- [شعر أبي الطروق في مَهر امرأة]

لما قال أبو الطروق الضبي[8]: [من الطويل]

يقولُون أصْدِقْها جَرَادًا وضَبَّةً   فقد جَردَتْ بَيْتي وبَيْتَ عِياليا[9]

---

(١) اللطف: التحفة والهدية.

(٢) ديوان الأخطل ٦٠٠.

(٣) البزماورد: طعام من البيض واللحم، انظر اللسان «ورد».

(٤) الحشوش: جمع حش، وهو موضع قضاء الحاجة.

(٥) البيتان مع الخبر السابق باختصار في ربيع الأبرار ٥/٤٦٦-٤٦٧.

(٦) العلج: الرجل الشديد الغليظ.

(٧) الملأ: الجماعة، أو وجوه القوم.

(٨) البيتان (١-٢) في الحماسة البصرية ٢/٣١٤، ورواية عجز البيت الثاني:
(وغابت فلا آبت سمير اللياليا)

(٩) الصداق: المهر.

وأبْقتْ ضِبابًا في الصُّدور جَواثمًا فيا لك من دَعْوى تُصِمُّ المُناديا
وعاديتُ أعمامي وهمْ شرُّ جيرةٍ يُدبُّونَ شَطْرَ اللَّيْلِ نحـوي الأفاعيا
وقَدْ كانَ في قعبٍ وقوس وإنْ أشَـأْ من الأقط ما بلَّغن في المَهْرِ حاجيا[1]

فقال أبوها: [من الطويل]

فلو كان قَعبًا رضّ قَعْبكَ جندلٌ ولَوْ كان قوسًا كانَ للنَّبْلِ أذْكرا

فقال عمُّها: دعوني والعبد.

١٧٢٧- [شعر في الضبّ]

وأنشد للدُّبيري: [من الطويل]

أعامِرَ عبدِ اللّه إنّي وجدتكمْ كعَرْفَجَةِ الضّبّ الذي يتذلَّلُ

قال: هي ليّنة، وعودُها ليّن، فهو يعلوها إذا حضروا بالقيظ. ويتشوّف[2] عليها. ولستَ تَرَى الضّب إلا وهي ساميةٌ برأسها، تنظر وترقب. وأنشد: [من الطويل]

بلاد يكون الخَيْمَ أطلال أهْلِها إذا حَضَروا بالقَيْظِ والضَّبُّ نونُها

وقال عمرو بن خويلد: [من الطويل]

ركاب حُسَيْلٍ أشْهُرَ الصَّيْف بُدَّنٌ وناقةُ عَمرٍو ما يُحَلُّ لها رَحلُ[3]
إذا ما ابتَنيْنَا بيتَنا لمعيشةٍ يعُودُ لما نبْني فيهدمُه حسْلُ
ويزعم حسْلٌ أنّه فَرْعُ قومِـه وما أنت فرعٌ يا حُسيلُ ولا أَصْلُ
وُلِدْت بحادي النَّجم تسعى بسعيه كَما ولَـدَتْ بالنَّحْسِ دَيَّانهَـا عُكْـلُ

١٧٢٨- [استطراد لغوي]

وهم يسمُّون بحسل وحسيل: وضبٌ وضبّة. فمنهم ضبّة بن أدّ، وضبة بن محض، وزيد بن ضبّ. ويقال: حفرة ضب. وفي قريش بنو حسل. ومن ذلك ضبَّة الباب. ويسمّى حلْب الناقة بخمس أصابع ضبًّا، يقال ضبَّها يضبُّها ضبًّا: إذا حلبها كذلك. وضبَّ الجُرح وبَضّ: إذا سال دمًا، مثل ما تقول: جذب وجبذ. و:«إنّه لَخبٌّ

---

(١) القعب: القدح الضخم. الأقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض.
(٢) يتشوف: يتطلع.
(٣) الركاب: الإبل التي يُسار عليها.

ضَبّ»[1]، و:«إنّه لأخْدع من ضبّ»[2]. والضبُّ: الحقد إذا تمكَّن وسَرَت عقاربُه. وأخفى مكانه. والضّبُّ: ورمٌ في خفّ البعير. وقال الرَّاجز[3]: [من الرجز]

ليس بذي عرك ولا ذي ضبٍّ[4]

ويقال ضَبٌّ خَدِعٌ، أي مراوغ. ولذلك سموا الخزانةِ المخْدع. وقال راشد بن شهاب[5]: [من الطويل]

أرقتُ فلم تَخْدَعْ بعينَيَّ نعسةٌ ... وواللّه ما دَهْري بعشق ولا سَقَمْ

وقال ذو الرُّمَّة[6]: [من الطويل]

مناسِمها خُثمٌ صِلابٌ كأنّها ... رؤوس الضِّباب استخرجَتها الظهائرُ[7]

١٧٢٩ - [شعر فيه ذكر الضبّ]

ويدلُّ على كثْرةِ تصريفهم لهذا الاسم ما أنشدَناهُ أبو الرُّدَينيّ: [من الرجز]

لا يعقر التقبيل إلا زُبّي ... ولا يُداوي مِنْ صَميم الحُبِّ

والضّبُّ في صوَّانِه مُجَبّ[8]

وأنشدنا أبو الرُّدينيّ العُكْليّ، لطارق وكنيته أبو السَّمّال: [من الرجز]

يا أم سَمَّال ألمَّا تـدْري ... أنّي على مَياسري وعَسْري

يَكفيك رِفْدي رجلاً ذَا وَفْرِ ... ضَخْم المثاليثِ صغير الأيرِ

إذا تغدَّى قالَ تَمْري تمْـري ... كأنَّه بين الذَّرى والكِسْرِ[9]

ضَبٌّ تَضحَّى بمكانٍ قَفْرِ[10]

---

(١) انظر الحاشية رقم (٢) ص ٣٣٩.

(٢) انظر الحاشية رقم (٤) ص ٣٣٩.

(٣) الرجز بلا نسبة في اللسان (ضبب، عرك، أمم)، والتاج (عرك، أمم).

(٤) العرك: أن يحز مرفق البعير جنبه حتى يخلص إلى اللحم ويقطع الجلد بحز الكركرة.

(٥) البيت في شرح اختيارات المفضل ١٣١٨، والمفضليات ٣٠٨، والأساس (خدع)، وبلا نسبة في الدرر ٤/٢١٥، وهمع الهوامع ٢/٣٣.

(٦) ديوان ذي الرمة ١٠٣٦.

(٧) في ديوانه: «خثم: عِراض. وقوله: كأنها رؤوس الضباب استخرجتها الظهائر، يقول: إذا اشتد الحر أخرجت الضباب رؤوسها من الحر، والظهيرة: عند زوال الشمس».

(٨) الصُّوّان: الحجارة الصلبة. المجب: من التجبية، وهي الانكباب على الوجه.

(٩) الذُّرى: ما سترك من الريح الباردة؛ من حائط أو شجر. كسر البيت: جانبه.

(١٠) تضحى: أكل في وقت الضحى.

وقال أعرابيّ: [من الطويل]

قد اصطدتُ يا يقظان ضَبًّا ولم يَكُنْ ... ليُصْطاد ضبٌّ مثْلُه بالحبائلِ
يَظَلُّ رِعاءُ الشَّاءِ يَرْتَمِضُونَهُ ... حَنيذًا ويُجْنى بَعضُه للحَلائلِ[1]
عظيمُ الكشى مثلُ الصَّبي إذا عدا ... يفوتُ الضِّبابَ حِسلُه في السَّحابِلِ[2]

وقال العماني[3]: [من الرجز]

إنّي لأرْجُو من عَطَايا رَبّي ... ومِنْ وَليٍّ العَهد بعد الغِبِّ
رُومِيّةً أولِجُ فيها ضَبِّي ... لها حِرٌ مُستهدِفٌ كالقَبِّ[4]
مُستَحصِفٌ نِعْم قرابُ الزُّبِّ[5]

وقال الآخر: [من الوافر]

إذا اصْطَلَحوا على أمْرٍ تَوَلَّوْا ... وفي أجوافهم منه ضِبابُ[6]

وقال الزِّبرقان بنُ بدر[7]: [من الكامل]

ومن الموالي ضَبُّ جَنْدَلَةٍ ... زَمِرُ المروءَة ناقص الشِّبرِ[8]

فالأول جعل أيره ضَبًّا، والثاني جعل الحقد ضبًّا.

وقال الخليل بن أحمد، في ظهر البصرة مما يلي قَصْر أنَس[9]: [من البسيط]

زُرْ واديَ الْقَصْرِ نِعْمَ القَصْرُ والوادي ... لا بُدّ مِنْ زَوْرةٍ عَنْ غير مِيعادِ
تَرَى به السُّفْنَ كالظِّلْمانِ واقفةً ... والضبَّ والنُّون والملاح والحادي

---

(١) الحنيذ: المشوي. الحلائل: جمع حليلة، وهي الزوجة.

(٢) الكشية: شحمة في ظهر الضب. السحابل: جمع سحبل، وهو العريض البطن.

(٣) الرجز للعماني في التشبيهات لابن أبي عون ٢٣٤، وبلا نسبة في المختار من شعر بشار.

(٤) المستهدِف: العريض المرتفع. القعب: القدح الضخم.

(٥) المستحصف: الضيق. القراب: غمد السيف.

(٦) الضباب: جمع ضب، وهي هنا بمعنى الحقد.

(٧) ديوان الزبرقان ٤٢، والأضداد للأنباري ٤٨.

(٨) زمر المروءة: قليلها. الشِّبْر: العطاء.

(٩) البيتان للخليل بن أحمد في ديوانه ٣٦٥، وثمار القلوب (٧٦٠)، ورسائل الجاحظ ٤/١٣٨، وعيون الأخبار ١/٢١٧، والأزمنة والأمكنة ٢/٣٠٣، وهما لابن أبي عيينة في ديوان المعاني ٢/١٣٨، والأنوار ومحاسن الأشعار ٢/٨١، والأغاني ٢٠/٩١، ومعجم الشعراء ١١٠، وانظر المزيد من المصادر في ديوان الخليل بن أحمد؛ وثمار القلوب.

وقال في مثل ذلك ابنُ أبي عُيَينة[١]: [من المنسرح]

يا جنَّةً فاتَت الجنانَ فَما ... يَبْلُغُها قيمةٌ ولا ثَمنُ
ألفتُها فاتَّخَذْتُها وَطَنًا ... إنَّ فؤادي لأهْلِها وطَنُ
زُوِّجَ حيتانُها الضِّبابَ بها ... فهذه كَنَّةٌ وذا خَتَنُ[٢]
فانظُرْ وفَكِّرْ فيما تُطيف به ... إنَّ الأريب المفكِّرُ الفَطِنُ[٣]
من سُفنٍ كالنّعامِ مقبلةٍ ... ومن نَعامٍ كأنَّها سُفنُ

وقال عقبة بن مُكَدَّم في صفة الفَرَس[٤]: [من الخفيف]

ولَها مَنْخِرٌ إذا رَفعَتْه ... في المُجاراةِ مثلُ وَجْرِ الضِّبابِ[٥]

وأنشد[٦]: [من الرجز]

وأنْتَ لو ذُقْتَ الكُشى بالأكبادْ ... لما تَرَكْتَ الضّبَّ يسْعى بالوَادْ[٧]

وقال أبو حَيّة النُّميري[٨]: [من البسيط]

وَقرَّبوا كلَّ قِنعاس قُراسيةٍ ... أبَدٌّ ليس به ضبٌّ ولا سرَرُ[٩]

وقال كثير[١٠]: [من الطويل]

---

(١) الأبيات لابن أبي عيينة في ديوان المعاني ٢/١٣٧، وعيون الأخبار ١/٢١٧-٢١٨، والأغاني ٢٠/١٠٣، والأزمنة والأمكنة ٢/٣٠٣، والأنوار ومحاسن الأشعار ٢/٣٨، ومعجم البلدان ١/٤٣٧ - ٤٣٨ (البصرة)، وتنسب إلى الخليل بن أحمد في ديوانه ٣٦٧ - ٣٦٨، وثمار القلوب (٧٦١).

(٢) الكنة: امرأة الابن أو الأخ. الختن: أبو امرأة الرجل؛ وأخو امرأته.

(٣) تطيف به: تقاربه.

(٤) البيت لعقبة بن مكدم في كتاب الخيل لأبي عبيدة ص ١٥٥.

(٥) الوجر: الجحر.

(٦) الرجز في ربيع الأبرار ٥/٤٦٦، وعيون الأخبار ٣/٢١١، والمخصص ١٥/١٧٨، ١٦/١١٢، واللسان (كشى)، والأساس (كشي)، والجمهرة ٨٧٩، والمقاييس ٥/١٨٣، والمجمل ٤/٢٣١.

(٧) الكشى: جمع كشية، وهي شحمة صفراء في ظهر الضب.

(٨) ديوان أبي حية النميري ١٤٩.

(٩) في ديوانه: «القنعاس: الجمل الضخم. القراسية: الضخم الشديد من الإبل. الأبَدُّ: الذي في يديه فتل. الضب: ورم يكون في خف البعير أو صدره. السرر: قرح في مؤخرة كركرة البعير يكاد ينقب إلى جوفه».

(١٠) ديوان كثير عزة ٢٣٩، واللسان (خلا)، والأساس (خلو)، والتاج (حرش، خلا)، وشرح شواهد الإيضاح ٣٢١، وبلا نسبة في اللسان (خدع)، والمخصص ٣/٨٠، ٨/٩٧.

ومحترش ضبَّ العَداوة منهُم بِحُلْو الرُّقى حرش الضِّباب الخْوادِعِ

وقال كثيِّر[1] أيضاً: [من الوافر]

وما زالتْ رُقاكَ تَسُلُّ ضِغْني وتُخْرِجُ مِنْ مضائبها ضِبابي

١٧٣٠- [شعر في ذم الضب]

فأما الذين ذمُّوا الضب وأكْلَه، وضربوا المثل به وبأعضائه وأخلاقه وأعماله، فكما قال التميمي[2]: [من الوافر]

لَكِسْرى كان أعْقَلَ مِنْ تميم لَيَاليَ فَرَّ مِنْ أرضِ الضِّبابِ
فأنزَلَ أهْلَهُ ببلادِ ريفٍ وأشجارٍ وأنهارٍ عِذابِ
وصار بَنُو بَنيه بها ملوكاً وصِرْنا نحنُ أمثالَ الكِلابِ
فلا رَحِمَ الإلهُ صَدَى تميم فقد أزْرى بنا في كلِّ بابِ

وقال أبو نواس[3]: [من الطويل]

إذا ما تميميٌّ آتاكَ مُفاخراً فقلْ عَدِّ عَنْ ذَا كيف أكْلُك للضَّبِّ
تُفاخِرُ أبناء المُلُوكِ سَفاهةً وبَوْلُكَ يَجْري فُوق ساقِكَ والكعْبِ

وقال الآخر: [من البسيط]

فحبَّذَا هم ورَوَّى الله أرضَهُمُ مِنْ كلِّ مُنْهمِرِ الأحشاء ذي بَرَدِ
ولا سقى الله أياماً غنيتُ بها ببَطْنِ فَلْجٍ على اليَنسُوع فالعُقَدِ[4]
مواطنٌ مِنْ تميم غير معجبة أهْلِ الجفاءِ وعَيْشِ البُؤس والصَّرَدِ[5]
همٌّ الكرامِ كريمُ الأمْرِ تفْعلُهُ وهَمٌّ سَعْد بما تُلقي إلى المَعِدِ[6]
أصحاب ضبٍّ ويربوع وحَنْظلةٍ وعَيشةٍ سَكَنُوا منها على ضَمَدِ[7]

---

(١) ديوان كثير ٢٨٠، والسمط ٦٢.
(٢) الأبيات للفرزدق في رسائل الجاحظ ٢/٤١١؛ وليست في ديوانه، وتقدمت الأبيات في ١/١٦٧ منسوبة إلى أبي ذباب السعدي.
(٣) ديوان أبي نواس ٥١٠.
(٤) ورد هذا البيت في معجم البلدان ٥/٤٥١ (الينسوع). بطن فلج: طريق من البصرة إلى اليمامة. الينسوع: موضع في طريق البصرة. العقد: موضع بين البصرة وضرية.
(٥) الصرد: البرد.
(٦) المعد: جمع معدة.
(٧) حنظلة: إشارة إلى أنهم كانوا يأكلون الحنظل. الضمد: شدة الغيظ.

إنْ يأكلوا الضّبَّ باتوا مُخصبين به | وزَادُها الجُوعُ إن باتَتْ ولم تصدِ
لو أنَّ سعداً لها ريفٌ لقد دُفعَتْ | عنه كما دُفعتْ عن صالح البلدِ
من ذا يقارع سعْداً عَنْ مفازتها | ومَنْ يُنافِسُها في عَيْشها النّكدِ

وقال في مثل ذلك عَمرُو بنُ الأهتم[1]: [من الخفيف]

وتَركْنَا عُمَيْرَهُمْ رَهْنَ ضَبْعٍ | مُسْلَحِبًّا ورَهْنَ طُلْسِ الذِّئابِ[2]
نَزلُوا منزلَ الضِّيافة منا | فقَرى القَومَ غلمةَ الأعرابِ[3]
ورَدَدْنَاهُمُ إلى حَرَّتَيْهِم | حَيْث لا يأكُلون غيرَ الضّبابِ[4]

وقالت المرّيّة[5]: [من الكامل]

جاؤُوا بحارشةِ الضِّباب كأنّما | جاؤوا ببنْتِ الحارثِ بن عُبادِ

وقائلة هذا الشعر امرأةٌ من بني مُرَّة بن عباد.

وقال الحارث الكندي[6]: [من الوافر]

لعمرك ما إلى حَسَنٍ أنخْنَا | ولا جئنا حُسيناً يابن أنسِ
ولكنَّ ضبَّ جَنْدلةٍ أتينا | مُضبًّا في مضابئها يُفسِّي[7]
فلمَّا أنْ أتينَاهُ وقلْنا | بحاجتنا تَلَوَّنَ لَوْنَ وَرْسِ[8]
وآضَ بكفِّه يحتكُّ ضِرْساً | يُرينا أنّه وَجِعٌ بضِرْسِ
فقلتُ لصاحبي أبه كُزازٌ | وقلت أُسِرُّه أتراه يُمسي[9]
وقمْنَا هاربيْن معاً جميعاً | نحاذر أنْ نزَنّ بقتْلِ نَفْسِ[10]

وقالت عائشة ابنة عثمان، في أبان بن سعيد بن العاص، حين خطبها، وكان

---

(١) ديوان عمرو بن الأهتم ٨١.
(٢) مسلحب: منبطح؛ أو ممتد. الطلس من الذئاب: ما لونها الطلسة؛ وهي غبرة إلى سواد.
(٣) الغلمة: جمع غلام.
(٤) حرّتيهم: مثنى حرة، وهي أرض ذات حجارة سوداء نخرات كأنها أحرقت بالنار.
(٥) البيت في ثمار القلوب ٢٤٠ (٤٦٥)، وتقدم في ٤ / ٤٣٦.
(٦) الأبيات عدا الأول والثاني في عيون الأخبار ٣ / ١٥٤.
(٧) الجندلة: الحجر. المضابئ: المخابئ.
(٨) الورس: نبات أصفر ينبت باليمن.
(٩) الكزاز: داء يأخذ من شدة البرد.
(١٠) نُزَنّ: نُتّهم.

نزل أيْلَة وترك المدينة[1]: [من الطويل]

نَزَلْتَ ببَيتِ الضَّبِّ لا أنت ضائرٌ عَدُوًّا ولا مستنفعًا أنت نافعُ

وقال جرير[2]: [من الوافر]

وجَدْنا بيتَ ضَبَّةَ في تميمٍ كبَيْتِ الضَّبِّ ليس له سَواري

وقال آخر – وهذا الشعر يقع أيضًا في الضِّباع كما يقع في الضِّباب –: [من الرجز]

يا ضبُعَ الأكهاف ذات الشّعب والـوثْب للعَنْز وغيـر الوثب
عيثي ولا تخشَيْنَ إلاَّ سَبِّي فلستُ بالطّبِّ ولا ابن الطَّبِّ[3]
إنْ لم أدع بيْتَك بيتَ الضّـبِّ يضيق عند ذي القَرَد المكبِّ[4]

وقال الفرزدق[5]: [من الطويل]

لحى اللّه ماءً حنبلٌ خيرُ أهله قفَا ضبَّة عند الصّفَاة مَكُون[6]
فلو عَلِمَ الحجَّاجُ عِلمَك لم تَبِعْ يمينُك ماءً مُسلماً بيَمينِ[7]

وأنشد: [من الطويل]

زعمْتَ بأنَّ الضبَّ أعمى ولم يفت بأعمى ولكن فاتَ وهْو بصيرُ
بل الضبُّ أعمى يوم يخنِسُ باسته إليك بصحراء البياضِ غريرُ[8]

وقالت امرأةٌ في ولدها وتهجو أباه: [من الرجز]

وُهِبْتُه من ذي تُفالٍ خَبِّ يقْلبُ يَمينًا مثلَ عين الضَّبِّ[9]
ليس بمعشوق ولا مُحَبِّ

---

(١) البيت مع الخبر في البيان ٣/ ٣٠٠-٣٠١.
(٢) ديوان جرير ١٩٢ (طبعة الصاوي).
(٣) عاثت الضبع: أفسدت.
(٤) القَرَد: ما تمعَّط من الوبر والصوف.
(٥) ديوان الفرزدق ٨٨١.
(٦) المكون: التي جمعت مكنها في بطنها، والمكن: بيضها.
(٧) اليمين: القدرة والقوة.
(٨) خنس: تأخر. البياض: موضع قرب يبرين، وأرض بنجد.
(٩) التفال: البصاق. الخِبُّ: الخبيث الخدّاع.

وقال رجلٌ من فزارة: [من الطويل]

وجدناكم رَأْبًا بين أمٍّ قِرفةٍ كأسنانِ حِسْلٍ لا وَفاءٌ ولا غَدرُ[1]

وأنشد[2]: [من الطويل]

ثلاثون رأباً أو تزيد ثلاثةً يقاتلنا بالقَرْنِ ألفٌ مقنَّعُ[3]

والرأب: السواء، والمعنى الأولُ يشبه قوله[4]: [من الطويل]

سَواسٍ كأسنان الحمار فلا تَرَى لِذي شَيْبةٍ منهمْ على ناشئٍ فَضلا

وأنشد ابنُ الأعرابي[5]: [من الرجز]

قُبِّحْتِ من سالفَةٍ ومن صُدُغْ كأنَّها كُشْية ضبٌّ في صُقُغْ[6]

أراد صُقْع بالعين فقلب. وقال الآخر: [من الرجز]

أعقّ من ضبٍّ وأفْسَى من ظَرِبْ

وأنشَد[7]: [من الطويل]

فجاءت تهاب الذَّمَّ ليست بضَبّة ولاسلفعٍ يلْقَى مِراسًا زمِيلُها[8]

يقول: لا تخدع كما يخدع الضّبُّ في جُحْره.

وأنشد ابنُ الأعرابي لحيّان بن عبيد الربعي جد أبي محضة: [من الرجز]

---

(١) الرأب: السبعون من الإبل. الحسل: ولد الضب. وأسنان الحسل لا يسقط منها شيء حتى يموت، وسيعيد الجاحظ هذا البيت ص ٣٧٦.

(٢) البيت بلا نسبة في أساس البلاغة (رأب).

(٣) في أساس البلاغة: «في بني فلان ثلاثون رأباً؛ أي سادات يرأبون أمورهم». القرن: الجبل الصغير. المقنع: المتغطي بالسلاح.

(٤) البيت لكثير عزة في ديوانه ٣٨٤، واللسان (سوا)، ومجمع الأمثال ١/٣٢٩، والمستقصى ٢/١٢٣، ولعمرو بن أحمر في ديوانه ١٣٢، وثمار القلوب (٥٥٦)، وبلا نسبة في البيان ٢/١٩، وعيون الأخبار ٢/٢، وفصل المقال ١٩٦، والبرصان ٢٣٦.

(٥) الرجز لجواس بن هريم في الموشح ١٩، وبلا نسبة في العمدة ١/١٦٦، ورصف المباني ٣٧٦، وأدب الكاتب ٥٢٣، والجمهرة ٨٧٩، وسر صناعة الإعراب ١/٢٤٥، واللسان (صقع، سقغ، صدغ، صقغ)، والتاج (سقغ، صدع، صقغ).

(٦) الكشية: شحمة صفراء في ظهر الضب. الصقغ: الصقع، وهو الناحية من الأرض.

(٧) البيت بلا نسبة في أساس البلاغة (ضبب).

(٨) السلفع: السليطة اللسان الجريئة. المراس: شدة المعالجة.

يا سهلُ لو رأيْتَهُ يَوْمَ الجُفَرْ إِذْ هو يَسْعى يَسْتَجيرُ للسُّوَرْ[1]
يَرمي عن الصَّفو ويَرضى بالكَدَرْ لازْدَدتَ منه قذراً على قَذرْ
يضحكُ عن ثغرٍ ذميم المُكْتَشَرْ ولِثَةٍ كأنَّها سَيرُ حَوَرْ[2]
وعارِضٍ كعارض الضَّبِّ الذكرْ

وأنشد السِّدري[3]: [من البسيط]

هو القَرَنْبى ومَشْيُ الضب تعرفهُ وخُصْيَتَا صَرصَراني من الإبلِ[4]
والخالُ ذو قُحَم في الجرْي صادقةٍ وعاتِقٌ يتعقَّى مابِضَ الرجُلِ[5]

واعلم، حفظك الله تعالى، أنّه قد أكتفي بالشّاهد، وتبقى في الشعر فَضلةٌ، ممّا يصلح لمذاكرة، ولبعض ما بك إلى معرفته حاجة، فأصلُه به، ولا أقطعهُ عنه.

وأنشد لابن لجأ[6]: [من الرجز]

وغَنَوي يَرتمي بأسْهُمِ يلصق بالصّخْر لصوقَ الأرْقَمِ[7]
لو سئمَ الضبٌّ بها لم يسْأم

وقال أعرابيٌّ من بني تميم[8]: [من الرجز]

تسخرُ منّي أنْ رأتْني أحترِش ولو حَرَشْتِ لكَشَفْتِ عن حِرِشْ[9]

---

(١) يوم الجفر: لعله يقصد يوم الجفار؛ وهذا اليوم كان للأحاليف في ضبة وإخوتها: الرباب وأسد وطيء على بني تميم. العمدة ٢/٢١٩. السور: جمع سورة؛ وهي العرق من أعراق الحائط.
(٢) الحور: الجلد المصبوغ بحمرة.
(٣) البيت الأول بلا نسبة في البرصان ١٥٢.
(٤) القرنبى: دويبة فوق الخنفساء؛ ودون الجعل. الصرصراني: هو من الإبل بين البخاتي والعراب.
(٥) الخال: المنخوب الضعيف. قحم: جمع قحمة، وهي الانقحام في السير، أراد أنه فرّار يجبن عند اللقاء. العاتق: البكر. يتعقى: يكره. المابض: كل ما يثبت عليه فخذك. الرجل: جمع أرجل، وهو من الخيل الذي في إحدى رجليه بياض.
(٦) ديوان عمر بن لجأ ١٦٢.
(٧) الأرقم: ضرب من الحيات فيه سواد وبياض.
(٨) الرجز بلا نسبة في اللسان (حرش، كشش)، والعين ١/٩١، ٥/٢٦٩، والجمهرة ٤٢-٤٣، والخزانة ١١/٤٦١، والتهذيب ٤/١٨٢، ٩/٤٢٥، والتاج (أبش، كشش)، وكتاب الجيم ١/١٨٨، والاشتقاق ٢٥٧، وشرح شافية ابن الحاجب ٣/١٩٩، وشرح شواهد الشافية ٤١٩.
(٩) الاحتراش: صيد الضباب. حرش: أراد: حِرِك، وقلب الكاف شيناً على الكشكشة، وهي لغة بني تميم، والحِرُ: فرج المرأة.

يريد عن حرِك.

قال: وقال أبو سعنَة: [من الرجز]

قَلَهْزَمانِ جـعدةٌ لِحَاهـما عاداهما اللّهُ وقد عادَاهما[1]

ضَبًّا كُدًى قدْ غُمِّرَت كشَاهما[2]

وأنشد الأصمعي[3]: [من البسيط]

إنِّي وجدتُك ياجُرثومُ من نفرٍ جرثومة اللُّؤم لا جُرْثومةِ الكرمِ[4]

إنّا وجَدْنا بني جلّان كلّهـمُ كسَاعدِ الضَّبِّ لا طولٌ ولا عِظمِ

وقال ابن ميّادة[5]: [من الطويل]

فإنَّ لقيسٍ مِنْ بَغيضٍ لَناصراً إذا أسدٌ كَشّتْ لفخرٍ ضِبابُها[6]

وفي هذه القصيدة يقول: [من الطويل]

ولو أنّ قَيساً قيسَ عَيْلان أقسَمَتْ على الشَّمْسِ لم يَطْلُع عليك حجابُها

وهذا من شكل قول بشّار[7]: [من الطويل]

إذا ما غضِبنا غَضْبَةً مُضَرِيّةً هَتَكْنَا حِجابَ الشَّمْسِ أو مَطَرتْ دمَا

وأنشد لأبي الطَّمَحانِ: [من الكامل]

مهْلاً نَميرُ فإنَّكُمْ أمسيتُمُ مِنَّا بثَغْرِ ثَنيَّةٍ لم تسْتَرِ[8]

---

(١) القلهزم: القصير الغليظ. الجعد: الشعر القصير القطط.

(٢) الكدى: جمع كدية، وهي الأرض الغليظة المرتفعة. غمّرت: طُلِيَتْ بالغمرة، وهي الزعفران أو الورس. الكشى: جمع كشية، وهي شحمة صفراء في ظهر الضب.

(٣) ورد البيت الثاني بقافية (ولا قصر)، بلا نسبة في اللسان (جلل)، والخزانة ٥/١٨٣.

(٤) جرثومة كل شيء: أصله.

(٥) ديوان ابن ميادة ٧٨-٧٩.

(٦) كشّت: صوّتت.

(٧) البيت لبشار بن برد في ديوانه ٤/١٦٣، والمختار من شعر بشار ١٦٣، والموشح ٢٤٨، والأزمنة والأمكنة ٢/٣٥، والعمدة ٢/١٤٤، وللغنوي في اللسان (حجب)، والتهذيب ٤/١٦٣، وأنشده الغنوي للقحيف بن عمير العقيلي في التاج (حجب)، وهو للقحيف بن عمير في اللسان (غشم)؛ وفيه أن بشار بن برد سرق هذا البيت، وهو في المؤتلف ٩٣ للقحيف بن خمير؛ وفيه أيضاً أن بشار بن برد أخذ هذا البيت فادخله في قصيدته.

(٨) نمير: هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة. الثغر: موضع المخافة. الثنية: كل عقبة مسلوكة.

سُودًا كأنّكمُ ذئابُ خطيطةٍ ... مُطرَ البلادُ وحرِمُها لم يُمْطَرِ[1]
يحْبُون بينَ أجًا وبُرْقَة عالجٍ ... حبْوَ الضِّباب إلى أصول السَّخْبَرِ[2]
وتَركْتُمُ قصب الشُّرَيفِ طواميا ... تهوي ثَنيّتُهُ كعينِ الأعورِ[3]

١٧٣١- [مفاخرة العُثِّ للضبِّ]

وقال العُثّ، واسمه زيد بن معروف، للضب غلام رُتْبيل بن غَلاق: وقد رأيت من سمّى عَنزًا وثورًا، وكلبًا، ويربوعًا،فلم نر منهم أحَدًا أشبَه العنز ولا الثَّور، ولا الكلب، ولا اليربوع. وأنتَ قد تقيَّلتَ[4] الضَّبَّ حتى لم تغادرْ منه شيئًا. فاحتمَلَ ذلك عنه، فلمَّا قال: [من البسيط]

من كان يدعى باسمٍ لا يناسِبهُ ... فأنتَ والاسْمُ شَنٌّ فَوقه طبقُ[5]

فقال ضبٌّ لعثّ: [من البسيط]

إن كنتُ ضَبًّا فإنَّ الضّبَّ مُحتَبَلٌ ... والضبُّ ذو ثَمن في السُّوق مَعْلُومِ[6]
وليس للعُثِّ حَبَّالٌ يُرَاوِغُه ... ولسْتَ شَيئًا سِوَى قرضٍ وتقليمِ[7]

١٧٣٢- [مايخرج الضب من جحره]

وما أكثر ما يجيء الأعرابي بقربةٍ من ماء، حتى يفرغها في جحره، ليخرج فيصطاده. ولذلك قال الكميت في صفة المطر الشديد الذي يستخرج الضِّباب من جِحَرتها، وإن كانتْ لاتتّخذها إلا في الارتفاع – فقال[8]: [من الخفيف]

وعلته بتركها تحفش الأُكْـ ... ـمَ ويكفي المضبِّبَ التفجيرُ[9]

والمضبّب هو الذي يصيد الضباب.

---

(١) الخطيطة: الأرض التي لم تمطر بين أرض ممطورتين. الحرم: الحرام، وعنى به هنا حريمها.
(٢) أجأ: جبل لطيئ. السخبر: شجر يشبه الثمام له عيدان كالكراث في الكثرة.
(٣) الشريف: ماء لبني نمير. القصب: مجاري ماء البئر من العيون. طواميا: طما ماؤها وارتفع.
(٤) تقيَّل فلان أباه: إذا نزع إليه في الشبه.
(٥) إشارة إلى المثل: «وافق شنٌّ طبقة». انظر مجمع الأمثال ٢/٣٥٨، وجمهرة الأمثال ٢/٣٣٦، والمستقصى ٢/٣٧١، وفصل المقال ٢٦٢، ٢٦٣، وأمثال ابن سلام ١٧٧.
(٦) احتبله: صاده بالحبالة، وهي المصيدة.
(٧) الحبّال: الذي يصطاد بالحبالة.
(٨) ديوان الكميت ١/٢٥٠.
(٩) تحفش: تملأ.

القول في سن الضب وعُمره

أنشد الأصمعيُّ وغيره[1]: [من الرجز]

تعلّقت واتّصلت بعكّلِ　　خطْبي وهزّتْ رأسها تستبْلي[2]
تسألني من السِّنينَ كمْ لي　　فَقُلْتُ لو عمِّرتُ عمْر الحسْلِ
أو عُمرَ نوحٍ زمَنَ الفطَحْلِ　　والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كطِينِ الوَحْلِ[3]
صِرْتُ رَهينَ هَرَمٍ أو قَتْلِ

وهذا الشِّعر يدلُّ على طول عمر الحِسْل؛ لأنه لم يكن ليقول:

أو عُمرَ نوحٍ زمنَ الفِطَحْلِ　　والصّخرُ مبتلٌّ كطين الوَحْلِ

إلاّ وعمر الحِسل عنده من أطول الأعمار.

وروى ابن الأعرابي عن بعض الأعراب أنّ سنَّ الضبّ واحدة أبداً، وعلى حال أبداً. قال فكأنه قال: لا أفعله ما دامَ سِنها كذلك، لا ينقص ولا يزيد.

وقال زيد بن كَثْوة: سنّ الحِسْل ثلاثة أعوام. وزعم أن قوله ثَمّةَ: «لا أفعله سِنَّ الحسل» غلَط. ولكن الضبَّ طويلُ العمر إذا لم يَعرِضْ له أمر.

وسنُّ الحِسل مِثلُ سنّ القَلوص[4]، ثلاث سنين، حتى يلقح؛ ولو كانت سنُّ الحِسل على حال واحدة أبداً لم تعرف الأعرابُ الفتيَّ من المُذكِّي[5].

وقد يكون الضّبُّ أعظَمَ من الضّبّ وليس بأكبَر منه سِنًّا.

قال: ولقد نظرتُ يوماً إلى شيخٍ لنا يفُرُّ[6] ضَبّاً جَحْلاً سِبَحْلاً[7] قد اصطاده. فقلت له: لم تفعلُ ذلك؟ فقال: أرجو أن يكون هرماً.

---

(١) الرجز لرؤبة في ديوانه ١٢٨، والمخصص ١٠ / ١٧١، واللسان (معر، فطحل)، والتاج (فطحل)، والتهذيب ٤ / ١٠١، وله أو للعجاج في اللسان والتاج (حكل)، وبلا نسبة في أمالي القالي ١ / ٢٣٤، والأزمنة والأمكنة ١ / ٢٢٩.

(٢) الاتصال: أن يعتزي الرجل إلى قبيلته. الخطب: المرأة المخطوبة. تستبلي: تنظر ما عندي.

(٣) زمن الفطحل: زمن نوح، وسئل رؤبة عن قوله «زمن الفطحل» فقال: أيام كانت الحجارة فيها رطابا.

(٤) القلوص: الفتية من الإبل.

(٥) المذكي: المسن من كل شيء.

(٦) يفرّ: يكشف عن أسنانه ليعرف عمره.

(٧) الجحل: الضخم. السبحل: العظيم المسن.

١٧٣٣- [بيض الضب]

قال(١): وزعم عمرو بن مسافر أن الضبّة تبيض ستّين بيضة، فإذا كان ذلك سدَّت عليهن باب الجُحر، ثم تدعهن أربعين يومًا فيتفقَّص البيض، ويظهر ما فيه، فتحفر عنهنَّ عند ذلك، فإذا كشفَتْ عنهن أحْضَرْن وأحضرَتْ في أثرهن تأكلهن، فيحفر المنفلت منها لنفسه جُحرًا وَيرْعى من البقْل.

قال: وبيض الضبّ شبيهٌ ببيض الحمام. قال: وفرخه حين يخرج يخرُج كيّسًا كاسيًا، خبيثًا، مُطيقًا للكَسْب، وكذلك ولد العقرب، وفراخ البطّ، وفراريج الدَّجاج، وولد العناكب.

١٧٣٤- [سنّ الضب]

وقال زيد بن كَثْوة، مَرَّةً بعد ذلك: إنّ الضب ينبت سنُّه معه وتكبر مع كِبر بدنه، فلايزال أبداً كذلك إلى أن ينتهي بدنُه منُتهاه قال: فلا يُدعى حِسلاً إلا ثلاثَ ليال فقط.

وهذا القول يخالف القول الأوَّل(٢). وأنشَدَ: [من الرجز]

مَهَرْتُها بعد المِطَالِ ضَبَّيْنْ ... مِنَ الضباب سَحْبَلَيْنِ سَبْطَين

نِعْمَ لعمرُ الله مهْر العِرْسَين(٣)

أنشدني ابن فَضَّال: «أمْهَرتها» وزعم أنّه كذلك سمعها من أعرابيّ

وقد يمكن أن يكون الحسل لا يُثْني ولا يُربِع، فتكون أسنانُه أبدًا على أمر واحد، ويكون قول رؤبة بن العجّاج في طول عمره حَقًّا.

ويدلُّ على أنّ أسنانَه على ما ذكروا قولُ الفزاريّ: [من الطويل]

وجدناكمُ رأبًا بني أمّ قِرفةٍ ... كأسنان حِسْلٍ لا وَفَاءٌ ولا غدْرُ(٤)

يقول: لا زيادة ولا نقصان.

---

(١) انظر ربيع الأبرار ٥ /٤٦٨، وما سيأتي في الصفحة التالية.

(٢) انظر ما تقدم في الصفحة السابقة والصفحة ٣٧٢.

(٣) انظر أرجوزته التي تقدمت في الصفحة السابقة.

(٤) تقدم هذا البيت ص ٣٧١.

١٧٣٥- [قصة في عمر الضب]

وقال زيد بن كَثْوَة المزني: قال العنبريّ، وهو أبو يحيى: مكثْتُ في عنفوان شَبيبتي، ورَيعان من ذلك، أُريغُ ضَبًّا، وكان ببعض بلادنا في وِشاز[١] من الأرض، وكان عظيمًا منهًا مُنْكرًا. ما رأيتُ مثله، فمكثْت دهرًا أُريغه ما أقدر عليه. ثم إنّي هبطت إلى البصرة، فأقمت بها ثلاثينَ سنةً، ثمَّ إنّي واللّه كرَرْتُ راجعًا إلى بلادي، فمررتُ في طريقي بموضع الضّبّ، معتمداً[٢] لذلك، فقلت: واللّه لأعلمنَّ اليوم علمَه، وما دَهري[٣] إلا أن أجعل من جلده عُكّةً[٤]؛ للّذي كان عليه من إفراط العظَم، فوجَّهت الرَّواحل نحوه، فإذا أنا به واللّه مُحْرَنْبئًا[٥] على تَلعة؛ فلمّا سمع حسّ الرّواحل، ورأى سواداً مقبلاً نحوه، مرَّ مسرعًا نحو جحره، وفاتني واللّه الذي لا إلهَ إلا هو.

١٧٣٦- [مكن الضَّبة]

وقال ابن الأعرابيّ[٦]: أخبرني ابن فارس بن ضِبْعان الكلبيّ، أنَّ الضّبّةَ يكون بيضُها في بطنها، وهو مكْنها، ويكون بيضُها متَّسقًا، فإذا أرادَتْ أن تبيضَه حفَرَتْ في الأرض أُدْحيًّا مثلَ أُدْحيٍّ النعامة، ثم ترمي بمكَنها[٧] في ذلك الأدحيّ ثمانين مَكنة، وتدفنه بالتُّراب، وتدعُه أربعين يومًا، ثم تجيءُ بعد الأربعين فتبحثُ عن مَكْنها، فإذا حسَلَةٌ[٨] يتعادين منها، فتأكلُ ما قدَرت عليه، ولو قدرَتْ على جميعهن لأكلتهنّ. قال: ومَكنها جلدٌ ليّن، فإذا يبست فهي جلد. فإذا شويْتَها أو طبخْتها وجَدْت لها مُحًّا كمحٍّ بيض الدّجاج.

١٧٣٧- [عداوة الضَّبة للحية]

قال[٩]: والضّبّة تقاتل الحيّة وتضربُها بذَنبها، وهو أخشن من السَّفَن وهو

---

(١) الوشاز: جمع وشز، وهو النشز المرتفع من الأرض.

(٢) معتمداً: قاصداً.

(٣) ما دهري: أي ما غايتي وهمي.

(٤) العكّة: الزقيق، تصغير زق، وهو قربة تتخذ لحفظ السمن.

(٥) احرنبى الرجل: تهيأ للغضب.

(٦) انظر ما تقدم في الصفحة السابقة، وهو ما زعمه عمرو بن مسافر.

(٧) المكن: بيض الضبة.

(٨) الحسلة: جمع حسل، وهو ولد الضب.

(٩) الخبر في ربيع الأبرار ٥/ ٤٦٨.

سلاحها، وقد أُعطيت فيه من القُوَّةِ مثل ما أعطيت العُقاب في أصابعها، فربما قطعتها بضربة، أو قتلتها، أو قَدّتها[1]. وذلك إذا كان الضَّبّ ذَيّالاً[2] مذنِّبًا وإذا كان مرائسًا[3] قتلته الحية.

والتذنيب: أنّ الضبّ إذا أرادت الحيّةُ الدُّخول عليه في جُحره أخرَج الضبُّ ذنبه إلى فم جُحره. ثم يضرب به كالمخراق[4] يمينًا وشمالاً، فإذا أصاب الحية قطعها، والحية عند ذلك تهرُبُ منه.

والمراءسة: أن يُخرِج الرَّأس ويدَعَ الذَّنَب ويكون غُمرًا[5] فتعضّه الحيَّة فتقتله.

١٧٣٨- [استطراد لغوي]

قال: وتقول: أمكنت الضبّة والجرادة فهي تمكن إمكانًا: إذا جمعت البَيضَ في جوفها. واسم البَيض المَكن. والضّبة مكُون، فإذا باضت الضّبة والجرادةُ قيل قد سرأت. والمكن والسَّرء: البيض، كان في بطنها أو بعد أن تبيضه. وضَبّة سرُوء. وكذلك الجرادة تسرأ سرءًا، حين تُلقي بيضها. وهي حينئذ سِلْقة[6].

وتقول: رزّت الجرادة ذنبها في الأرض فهي ترزُّ رزًّا، وضربت بذنبها الأرض ضربًا، وذلك إذا أرادت أن تلقي بيضها.

١٧٣٩- [المضافات من الحيوان]

ويقولون[7]: ذئب الخمَر[8]، وشيطان الحماطة[9]، وأرنب الخُلّة[10]، وتيس الرَّبْل[11]، وضبّ السَّحا. والسَّحا: بقلة تحسُن حاله عنها.

---

(١) قدَّتها: قطعتها.

(٢) الذيال: الطويل الذنب.

(٣) المرائس: الذي يخرج من جحره برأسه.

(٤) المخراق: منديل يلوى فيضرب به، أو يلف ليفزع به.

(٥) الغمر: الجاهل الغر الذي لا تجربة له.

(٦) السلقة: الجرادة إذا ألقت بيضها.

(٧) انظر ثمار القلوب (٥٧٧، ٦١٤)، وما سيأتي ص ٤١٤.

(٨) الخَمَر: ما واراك من شجر وغيره.

(٩) الشيطان هنا: الحية. الحماطة: شجر التين الجبلي.

(١٠) الخلة: ما فيه حلاوة من المرعى.

(١١) الربل: ضرب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر.

ويقال: هو قنفذ بُرْقة[1]، إذا أراد أن يصفَه بالخُبث.

١٧٤٠- [ذكر الشعراء للضب في وصف الصيف]

وما أكثَر ما يذكرون الضَّبَّ إذا ذكَرُوا الصيف مثل قول الشاعر: [من البسيط]

سار أبــو مسلمٍ عنها بصِرْمَتِهِ والضبُّ في الجُحْر والعُصفورُ مُجتمعُ

وكما قال أبو زبيد[2]: [من الخفيف]

أيُّ ساعٍ سَعَى ليقطَع شرْبي حين لاحت للصَّابح الجوزاءُ
واستكنَّ العُصفور كَرْهًا مع الضـ ـبِّ وأوْفى في عُودِهِ الحِرباءُ

وأنشد الأصمعيّ[3]: [من الطويل]

تجاوَزْتُ والعصفور في الجُحر لاجئٌ مع الضَّبِّ والشِّقْذَانُ تَسمُو صدورُها

قال: والشِّقذان: الحرَابيّ. قوله: «تسمو»: أي تَرتَفِع في رؤوس العيدان. الواحد من الشّقذان، بكسر الشين وإسكان القاف. شَقَذ بتحريك القاف.

١٧٤١- [أسطورة الضب والضفدع]

وتقول الأعراب: خاصم الضبُّ الضفدعَ في الظّمأ أيُّهما أصبر، وكان للضفدع ذنَب، وكان الضبُّ ممسوحَ الذنب[4]، فلمّا غلبها الضبُّ أخذ ذنَبها فخرجا في الكلإ، فصَبرت الضفدع يومًا ويومًا، فنادت: يا ضبّ، وردًا وردًا! فقال الضبُّ[5]: [من مجزوء الرجز]

أصبَـحَ قلْـبي صَـرِدا لا يشْتَهي أن يَـــردا
إلاّ عَـــرَادا عَـــرِدا وصِلِّـيانًا بَـــرِدًا[6]

---

(١) برقة: غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلفة.

(٢) ديوان أبي زبيد الطائي ٥٧٩، وتقدم البيتان في ٥/ ٢٩٥.

(٣) البيت لذي الرمة في ديوانه ٢٣٨، واللسان (شقذ)، وتقدم في ٥/١٢٨ بلا نسبة، وسيعيده الجاحظ ص٥٠٩.

(٤) المسح: نقص وقصر في ذنب العقاب.

(٥) الرجز في اللسان (جزأ، ضبب، عنكث، برد، صرد، عرد، لبد)، والتاج (ضبب، عكث، زرد، صرد، عرد)، والتهذيب ٢/١٩٩، ٣/٣٠٨، ١١/١٤٨، ١٢/١٣٩، والتنبيه والإيضاح ١/١٨٦، والجمهرة ٤٢٦، ٦٣٣، ١١٣٢، وديوان الأدب ٢/٢٣، والعين ٦/١٩٣، ٧/٩٧، والمخصص ٩/١٣٨، ١٣/٢٥٨، وأساس البلاغة (صرد).

(٦) العراد: حشيش طيب الريح. العرد: الذي خرج واشتد. الصليان: شجر من الطريقة ينبت صعدا. البَرِد: البارد.

فلما كان في اليوم الثالث نادت: يا ضَبُّ، وِرداً وِرداً! قال: فلمّا لم يُجبها بادَرَتْ إلى الماء، وأتْبعها الضبُّ، فأخذ ذنَبها. فقال: في تصْداقِ ذلك ابن هَرْمة[1]: [من الهزج]

ألم تأرَقْ لضوءِ البَرْ ... قِ في أسْحَمَ لمَّاحِ
كأعناق نساء الهِنْـ ... ـدِ قد شيبَتْ بأوْضاحِ[2]
تُؤَامِ الوَدْق كالزّاحـ ... ـفِ يُزْجَى خَلْف أطلاحِ[3]
كأنّ العازف الجِنّـ ... ـيَّ أو أصوات أنْواحِ[4]
على أرجائها الغُرُّ ... تَهَدِّيها بمصْباحِ[5]
فقال الضبُّ للضفد ... عِ في بَيداءَ قرواحِ[6]
تأمّل كيف تنجو اليو ... مَ من كرب وتَطْواحِ[7]
فإنّي سَابحٌ ناجٍ ... وما أنتَ بسَبَّاحِ
فلمّا دق أنف المُزْ ... نِ أبْدَى خيرَ إرْواحِ[8]
وسَحَّ الماء من مُستحْـ ... ـلَبٍ بالماء سَحَّاحِ[9]
رأى الضبُّ من الضفد ... عِ عَوماً غير منْجاحِ
وحطَّ العُصْمَ يُهويها ... ثجُوجٌ غير نَشَّاحِ[10]
ثَقَالُ المشْي كالسَّكرا ... نِ يمشي خلفه الصَّاحي

ثم قال في شأن الضفدع والضب، الكميتُ بن ثعلبة[11]: [من المتقارب]

---

(١) ديوان ابن هرمة ٩٤-٩٧.

(٢) الأوضاح: جمع وضح، وهو البرص.

(٣) الودق: المطر. الزاحف: البعير أعيا فجرّ فرسنه. يُزجى: يساق. الأطلاح: جمع طلح، وهو البعير الذي لحقه الإعياء.

(٤) عزيف الجن: أصواتها. الأنواح: جمع نَوح، والنوح: النساء يجتمعن في مناحة.

(٥) الغر: البيض. التهدي: الاهتداء.

(٦) القرواح: الفضاء من الأرض.

(٧) التطواح: الهلاك.

(٨) أنف المزن: أوله. المزن: جمع مزنة، وهي السحابة البيضاء.

(٩) المستحلب: المستدر.

(١٠) العصم: جمع أعصم، وهو الذي بإحدى يديه بياض، وأراد هنا الوعول. يُهويها: يسقطها. الثجوج: الماء الغزير. النشاح: الماء القليل.

(١١) البيت في مجمع الأمثال ١/٣١٦، والمستقصى ١/١٤٠، والدرة الفاخرة ١/٢١٢، وشروح سقط الزند ١٥٠٦.

على أخْذِها يَوْمَ غِبٌ الوُرُود وعند الحكومة أذْنَابَها[1]

وقال عبيد بن أيوب[2]: [من الطويل]

ظَللت وناقتي نِضْوِيْ فَلاةٍ كفَرْخِ الضبّ لا يبغي وروُدا[3]

وقال أبوزياد: قال الضبّ لصاحبه[4]: [من الرجز]

أهَدَموا بَيْتَكَ لا أبالَكا وزعموا أنك لا أخالكا

وأنا أمشي الحَيكى حوالكا[5]

١٧٤٢ - [أورى من الضب]

وتقول العرب: «أرْوَى من ضبّ»[6]؛لأن الضب عندهم لا يحتاجُ إلى شُرب الماء، وإذا هرِم اكتفى بَبْرد النَّسيم، وعند ذلك تفنى رطوبته فلا يبقى فيه شيءٌ من الدَّم، ولا مما يُشبه الدّم. وكذلك الحيَّة. فإذا صارت كذلك لم تقْتُلْ بلعاب، ولا بمجَاج، ولا بمخالطةِ ريق؛ وليس إلاّ مخالطة عظم السِّنَّ لدماء الحيوان. وأنشدوا[7]: [من الرجز]

لُمَيْمَةً من حنَش أعْمَى أصمّْ قد عاشَ حتَّى هو لا يمْشِي بدمْ

فكلّما أقْصدَ منه الجوعُ شمّْ

وأما صاحبُ المنطق فإنه قال: باضطرار إنه لا يعيش حيوانٌ إلاّ وفيه دمٌ أو شيء يشاكل الدم.

---

(١) الغب: أن يرد يوماً بعد يوم. الحكومة: الحكم.

(٢) البيت في أشعار اللصوص ٢١٦.

(٣) النضو: الهزيل العليل.

(٤) الرجز في الدرر ١/١١٩، ٢/٢١٦، واللسان (بيت، حول، دأل)، والتاج (دأل)، والجمهرة ١٣٠٩، والكتاب ١/٣٥١، والمعاني الكبير ٦٥٠، وهمع الهوامع ١/٤١، ١٤٥، والمخصص ٣/٢٢٦، ٢٣٣.

(٥) الحيكى: مشية فيها تبختر.

(٦) مجمع الأمثال ١/٣١٠، والدرة الفاخرة ١/٢٠٩، والمستقصى ١/١٤٦، وجمهرة الأمثال ١/٤٧٣، ٤٩٨.

(٧) الرجز لخلف الأحمر في مجمع الذاكرة ١/١٦٢، وتقدم في ٤/ ٣١٨، ٣٩٩، وسيعيده الجاحظ ص ٥٢٩.

١٧٤٣- [ما يخرج الضب من جحره]

والضبُّ تذْلقه[١] من جُحره أمور، منها السَّيل. وربَّما صبُّوا في جحره قربةً من ماءٍ فأذْلقوه به. وأنشد أبو عبيدة: [من الخفيف]

يُذلقُ الضبَّ وَيخفيه كما ... يُذلقُ السَّيلُ يَرابيعَ النُّفَقْ

يَخفيه مفتوحة الياء. وتذلقه وقْع حوافِر الخيل. ولذلك قال امرؤ القيس بن حُجْر[٢]: [من الطويل]

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفاقهن كأنَّما ... خَفَاهُنَّ وَدْقٌ من سَحاب مُركّبِ

تقول: خَفَيْته أخفِيه خَفْياً: إذا أظهرته. وأخفيته إخفاءً: إذَا سَترته. وقال ابن أحمر[٣]: [من المتقارب]

فإن تَدْفِنُوا الدّاء لا نَخفِه ... وإنْ تبعثُوا الحربَ لا نقعُدِ

ولابدَّ من أن يكونَ وقعُ الحوافرِ هدَم عليها. أو يكونَ أفزعَها فخرجَتْ. وأهلُ الحجاز يسمُّون النّبّاش المُخْتفي؛ لأنّه يستخرج الكفَنَ من القَبْر ويُظهره.

وحكَوا عن بعض الأعراب أنّه قال[٤]: «إنَّ بني عامر قد جعلوني على حِنديرة أعينها، تريد أن تختفي دمي» أي تظهره وتستخرجه. كأنّها إذا سفحَتْه وأراقته فقد أظهرتْه.

١٧٤٤- [تفضيل أبي عبيدة قصيدة لامرئ القيس]

وأنشد أبو عبيدة[٥]: [من الرمل]

دِيمةٌ هَطْلاءُ فيها وَطَفٌ ... طبقُ الأرض تَـحَرَّى وتَدُرْ[٦]

---

(١) أذلق الضب واستذلقه: صبَّ على جحره الماء حتى يخرج.

(٢) ديوان امرئ القيس ٥١، والقافية فيه (مجلب).

(٣) البيت لعمرو بن أحمر في ملحق ديوانه ١٨٠، ولامرئ القيس في ديوانه ١٨٦.

(٤) تقدم هذا القول في ٥/ ١٦٥.

(٥) ديوان امرئ القيس ١٤٤-١٤٥، والشرح التالي منه.

(٦) «الديمة: المطر الدائم. الهطلاء: الكثيرة الهطل. الوطف: الدنو من الأرض. طبق الأرض: أي هذه السحابة تطبّق وتعمها كلها لسعتها وكثرة مطرها. تحرّى: تتعمد المكان وتثبت فيه. تدر: يكثر ماؤها.

تُخرِجِ الضبَّ إذا ما أشجَذتْ ... وتُـواريـه إذا مـا تَـعْتكِـرْ[1]
وتَرَى الضّبَّ ذفيفًا ماهرًا ... ثانـيًا بُـرثُـنَه ما يَنْـعَفِرْ[2]

وكان أبو عبيدة يقدِّم هذه القصيدة في الغيث، على قصيدة عَبيد بن الأبرص، أوْ أوس بن حجر، التي يقول فيها أحدهما[3]: [من البسيط]

دانٍ مُسِفٌّ فويْقَ الأرْض هَيْدَبه ... يَكادُ يَدْفعُه مَنْ قامَ بالرَّاحِ[4]
فمن بنَجْوَتهِ كَمَنْ بعَقْوَتِهِ ... والمُستَكنُّ كَمَنْ يمشي بقِرْواحِ[5]

وأنا أتعجّب مِنْ هذا الحكم

١٧٤٥- [قولهم: هذا أجلُّ من الحرش]

ومما يضيفون إلى هذه الضِّباب من الكلام، ما رواه الأصمعيّ في تفسير المثل، وهو قولهم[6]: «هذا أجَلُّ من الحَرْش» - أنّ الضَّبَّ قال لابنه: إذا سمعْتَ صَوْتَ الحَرْشِ فلا تخرُجَنَّ! قال: والحَرْش: تحريكُ اليدِ عند جُحر الضب؛ ليخرج ويَرى أنّه حيّة. قال: فسمع الحسْل صَوْتَ الحفْر، فقال للضّبِّ: يا أبت! هذا الحرش؟ قال: يا بُنَيّ، هذا أجَلّ من الحُرْش! فأرسَلَها مثلاً.

١٧٤٦- [الضب والضفدع والسمكة]

وقال الكميت[7]: [من الوافر]

يُؤَلِّفُ بَيْنَ ضِفدِعَة وضَبٍّ ... ويَعْجَب أنْ نَبَرّ بني أبِينا

---

(١) «تخرج الود: يريد: الوتد. أشجذت: أقلعت وسكنت». وقافية البيت في ديوانه «تشتكر» أي تحتفل ويكثر مطرها.

(٢) «الذفيف: الخفيف»، ورواية الديوان «خفيفاً» مكان «ذفيفاً».

(٣) البيتان لأوس بن حجر في ديوانه ١٥-١٦، ولعبيد بن الأبرص في ديوانه ٣٤، ٣٦.

(٤) في ديوان عبيد: «الداني: القريب. المسف: الدنو من الأرض. الهيدب: ما تدلى من السحاب على الأرض. الراح: الكف.

(٥) في ديوان عبيد: (بمحفله) مكان (بعقوته)، وفيه: «النجوة ما ارتفع من الأرض. المحفل: مستقر الماء. المستكن: الذي في بيته. القرواح: الأرض المستوية الظاهرة». العقوة: الساحة.

(٦) الدرة الفاخرة ١/١١٨، وجمهرة الأمثال ١/٣٣٢، ومجمع الأمثال ١/١٨٦، وأمثال ابن سلام ٣٤٢، والمستقصى ١/٥٠، ٣٨٤، وفصل المقال ٤٧١، والفاخر ٢٤٢.

(٧) ديوان الكميت ٢/١١٣، والمعاني الكبير ٦٤٠، وتقدم في ٥/٢٨٠.

وقال في الضَّبِّ والنُّون[1]: [من الطويل]

وَلوْ أنَّهُمْ جاؤوا بشيءٍ مُقَارِبٍ لشَيءٍ وبالشِّكْلِ المقارِبِ للشِّكْلِ
ولَكِنَّهُمْ جاؤوا بحِيتَانِ لُجَّةٍ قَوامسَ والمكنيِّ فينا أبا حِسْلِ

وقال الكميت[2]: [من الوافر]

وما خلْتُ الضّبابَ مُعطَّفاتٍ على الحيتان مِنْ شَبَهِ الحسولِ

وقال آخر: [والعَربُ تقولُ في الشَّيءِ المُمْتَنع: لا يكونَ ذلك حتى يَرِدَ الضبُّ، وفي تبعيدِ ما بينَ الجِنْسَيْن[3]:] حتّى يؤلَّف بين الضَّبِّ والنُّون

١٧٤٧- [استطراد لغوي]

قال: ويقال أضبَّت أرض بني فلان: إذا كَثرتْ ضبابها. وهذه أرضٌ مَضبَّة، وأرضُ بني فلان مَضبَّة، مثل فَئِرة من الفأر، وجَرِذة من الجُرذان، ومَحواة ومَحْياة من الحيّات. وجَرِدة من الجراد، وسرِفة من السُّرفة، ومأسَدَة من الأسود، ومَثْعلة من الثّعالب؛ لأن الثَّعلب يسمَّى ثعالة، والذِّئب ذُؤالة.

ويقال أرضٌ مَذبَّة من الذُّباب. مَذْأبَة من الذِّئاب.

ويقال في الضَّبِّ: وقَعْنا في مَضابَّ منكَرَة، وهي قطعٌ من الأرض تكثر ضِبابُها.

قال: ويقال أرضٌ مربْعة، كما يقال مضَبَّة. إذا كانت ذات يرابيع وضِباب. واسمُ بيضها المَكْن، والواحدة مكنِة.

١٧٤٨- [ترتيب أسماء فرخ الضب]

ويقال لفرْخه إذا خرج حِسْل، والجميعُ حَسَلة، وأحسال، وحُسول. وهو حِسْل، ثم مُطَبِّخ ثم غيداق، ثمَّ جَحْل. والسَّحْبَلُ: ما عظم منها. وهو في ذلك كلِّه ضبٌّ.

وبعضُهم يقول: يكون غَيداقًا، ثم يكون مطبِّخًا، ثمَّ يكون جَحْلاً، وهو

---

(١) ديوان الكميت ٢/٥٢، وتقدم البيتان في ٥/٢٨٠.

(٢) ديوان الكميت ٢/٥٢.

(٣) الزيادة من ثمار القلوب ٣٣١ (٦١٥-٦١٦)، وانظر مجمع الأمثال ١/٢١٣، والمستقصى ٢/٥٨، وفي مجمع الأمثال ١/٣٥٦: «سبحان الجامع بين الثلج والنار؛ وبين الضب والنون».

العظيم. ثمَّ هو خُضَرِمٌ، ثمَّ يكون ضَبًّا. وهذا خطأ، وهو ضَبٌّ قبل ذلك. وقال الرَّاجز: [من الرجز]

قلَّص عنه بيضُهُ في نيق[1] ... ينفي الغياديقَ عن الطَّريقِ

١٧٤٨- [قولهم: أضل من ضب]

ويقال: «أضَلُّ من ضبٍّ»[2].

والضلال وسوء الهِداية يكونُ في الضبِّ، والورَل، والدِّيك.

١٧٤٩- [الضب وشدة الحر]

وإذا غيّر الحَرُّ لون جلْدِ الضبِّ فذلك أشدُّ ما يكون من الحر. وقال الشَّاعر: [من الطويل]

وهَاجرةٍ تُنْجي عنِ الضَّبِّ جِلْدَه ... قَطَعْتُ حَشَاهَا بالغُرَيريَّة الصُّهبِ[3]

١٧٥٠- [أمثال في الضب]

وفي المثل: «خلِّ دَرَج الضبّ»[4]، وفي المثل: «تعْلمني بضبٍّ أنا حرَشْتُه!»[5]؛ و: «هذا أجَلُّ من الحَرْش»[6]، و:«أضلُّ من ضبٍّ»[2] و: «أخبُّ من ضبّ»[7]، و: «أروى من ضبٍّ»[8]، و: «أعَقُّ من ضبّ»[9]، و: «أحيَا من ضبٍّ»[10]،

---

(١) قلّص: ارتفع. النيق: أعلى موضع في الجبل.

(٢) الدرة الفاخرة ١/٢٨٢، ومجمع الأمثال ١/٤٢٦، وفصل المقال ١٦٣، والمستقصى ١/٢١٧.

(٣) تنجي عنه جلده: تسلخه. الغريرية: إبل منسوبة إلى الغرير، وهو فحل معروف. الصهب: جمع أصهب، وهو الذي يخالط بياضه حمرة.

(٤) درج الضب: طريقه. ويضرب المثل لمن شوهد منه أمارات الصرم. وهو في مجمع الأمثال ١/٢٤٢، والمستقصى ٢/٧٦، وجمهرة الأمثال ١/٤١٥، وفصل المقال ١٦٣، وأمثال ابن سلام ١١١.

(٥) يقال هذا المثل في مخاطبة العالم بالشيء من يريد تعليمه، وهو في مجمع الأمثال ١/١٢٥، وأمثال ابن سلام ٢٠٢، والفاخر ٢٤٦، والدرة الفاخرة ١/٢٩٨.

(٦) تقدم تخريج المثل في الحاشية ٦ ص ٣٨٣.

(٧) مجمع الأمثال ١/٢٦٠، والدرة الفاخرة ١/١٧٠، ١٩٢، وجمهرة الأمثال ١/٤١٢، ٤٣٩.

(٨) مجمع الأمثال ١/٣١٠، والمستقصى ١/١٤٦، وجمهرة الأمثال ١/٤٧٣، ٤٩٨.

(٩) مجمع الأمثال ٢/٤٧، والمستقصى ١/٢٥٠، وأمثال ابن سلام ٣٦٩، وجمهرة الأمثال ٢/٦٩.

(١٠) مجمع الأمثال ١/٢١٨، ٢٢٦، وجمهرة الأمثال ١/٣٤٣، والمستقصى ١/٩٠، وأمثال ابن سلام ٣٦٩.

و: «أطولُ ذَماءً من ضبّ»[1]، و: «كلُّ ضَبٌّ عندَ مِرْداته»[2]. ويقال: «أقصرُ من إبهام الضّبّ»[3] كما يقال: «أقصر من إبهام القَطاة»[3]. وقال ابن الطَّثْريّة[4]: [من الطويل]

ويومٍ كإبهام القطاة....

ومن أمثالهم: «لا آتِيكَ سِنَّ الحِسْل»[5]. وقال العجاج: [من الرجز]

ثُمَّت لا آتيه سِنَّ الحِسْلِ

كأنّه قال، حتّى يكون مَا لا يكون؛ لأنَّ الحسل لايستبدل بأسنانه أسنانًا.

١٧٥١- [أسنان الذئب]

وزعم [بَعضُهم][6] أنّ أسنان الذّئب ممطولة[7] في فكيه. وأنشد: [من الرجز]

أنيابه ممطولةٌ في فَكّيْنْ

وليس في هذا الشعر دَليلٌ على ما قال؛ لأنَّ الشاعر يُشْبع الصفةَ إذا مَدَح أو هَجا، وقد يجوز أن يكونَ ما قال حقًّا.

١٧٥٢- [من لم يثغر]

فأما عبد الصَّمد بن علي فإنه لم يُثغر، ودخل القبر بأسنان الصِّبا[8].

١٧٥٣- [استطراد لغوي]

وقد يقال للضَّبِّ والحيّة والورَل، وما أشبَهَ ذلك: فحَّ يفحُّ فحيحًا. والفحيح:

---

(١) مجمع الأمثال ١/٤٣٧، وجمهرة الأمثال ٢/٢٠، والمستقصى ١/٢٢٧، والدرة الفاخرة ٢/٤٣٨.

(٢) تقدم تخريج المثل في الحاشية ٥ ص ٣٣٩.

(٣) مجمع الأمثال ٢/١٢٨، والمستقصى ١/٢٨٣، وجمهرة الأمثال ٢/١١٥.

(٤) تمام البيت:

(ويوماً كإبهام القطاة مزيناً لعيني ضحاه غالباً لي باطله)

وهو ليزيد بن الطثرية في ديوانه ٩٤، والأغاني ٨/١٦٢، وهو لجرير برواية مختلفة قليلاً في عجز البيت، وهو في ديوان جرير ٤٧٨، وثمار القلوب ٣٨٢ (٧٠٣)، وبلا نسبة في العين ٢/٢٩٧.

(٥) في جمهرة الأمثال ١/٤١٥: «لا آتيك ورد الحسل». وبراوية: «لا أفعله سن الحسل» في مجمع الأمثال ٢/٢٢٦، وجمهرة الأمثال ٢/٣٧٦، ٤٠٩، وبرواية: «لا أرعاها سن الحسل» في فصل المقال ٤١٢، وجمهرة الأمثال ١/٣٦٠.

(٦) هذا الاستدراك مما تقدم في ٤/٥٣.

(٧) المطل: السكُّ والطبع.

(٨) تقدم الخبر في ٤/٥٢، وهو في اللسان ٤/١٠٤ (ثغر)، وعيون الأخبار ٢/٦٣.

صوت الحية من جَوْفها، والكشيش والقشيش: صَوت جِلْدها إذا حكَّت بَعضها ببعض.

وليس كما قال، ليس يُسمع صوت احتكاك الجلد بالجلد إلاَّ للأفعى فقط.

وقال رؤبة[1]: [من الرجز]

فحِّي فلا أفْرَقُ أن تَفِحِّي ... وأن تُرَحِّي كرَحَى المرحِّي

وقال ابنُ ميادة[2]: [من الطويل]

ترى الضبَّ إن لم يرهب الضبُّ غيره ... يكِشُّ له مستكبراً ويطاولُه

١٧٥٤- [حديث أبي عمرة الأنصاري]

ويُكتَب في باب حبِّ الضَّب للتّمر حديث أبي عمرة الأنصاري رووه من كلِّ وجه. أنّ عمر بن الخطاب، رضي اللّه عنه، قالَ لرجل من أهل الطائف: الحُبْلة[3] أفْضل أم النخلة؟ قال: بل الحُبلة، أتزببها وأشَمِّسها[4]، وأستظل في ظلّها، وأصلح بُرْمَتي[5] منها. قال عمر: تأبى ذاك عليك الأنصار[6].

ودخل أبو عمرة عبد الرحمن بن محْصن النجّاري فقال له عمر: الحبلة أفضل أم النَّخلة؟ قال: الزبيب إنْ آكلْه أضْرَس، وإن أتْرُكْه أغرث! ليس كالصّقر[7] في رُؤوس الرَّقل[8]، الراسخات في الوحل، المطعمات في المَحْل[9]، خُرْفَة[10] الصائم وتُحْفة الكبير، وصُمْتة[11] الصغير وخُرسة مريم[12]، ويُحْتَرَشُ به الضِّباب من الصَّلعاء يعني الصحراء[13].

---

(١) ديوان رؤبة ٣٦ - ٣٧، واللسان (رحا)، والتهذيب ٥/٢١٥، وبلا نسبة في اللسان (فحح)، والجمهرة ١٠٠.

(٢) ديوان ابن ميادة ١٩٣، وتقدم ص ٣٥١.

(٣) الحبلة: شجر العنب.

(٤) اتزببها: اتخذ منها زبيباً. اشمسها: أجففها في الشمس.

(٥) البرمة: قدر من حجارة.

(٦) انظر هذا الخبر في التنبيه للبكري ٩٥.

(٧) الصقر: ما تحلّب من العنب والزبيب والتمر من غير أن يعصر.

(٨) الرقل: إذا فاتت النخلة يد المتناول فهي جبارة، فإذا ارتفعت عن ذلك فهي الرقلة.

(٩) المحل: الجدب والقحط.

(١٠) الخرفة: ما يجتنى من الفواكه.

(١١) الصمتة: ما يصمت به الصبي من شيء طريف.

(١٢) الخرسة: ما تطعمه المرأة عند ولادها.

(١٣) انظر الخبر في الأمالي ٢/٥٨، والتنبيه للبكري ٩٥.

١٧٥٥- [دية الضب واليربوع]

قال: ويقالُ في الضّب حُلاَّم[١]، وفي اليَربوع جفْرة[٢]. والجفرة: التي قد انتفخ جَنْبَاها وشَدنت[٣]. والحُلاَّم فوق الجدي وقد صَلُح أن يُذبَح للنُّسك. والحُلاَّن، بالنون: الجدي الصغير الذي لا يصلح للنُّسك.

وقال ابن أحمر[٤]: [من البسيط]

تهدِي إليه ذراع الجَدْي تَكْرِمَةً   إمَّا ذَبيحًا وإمَّا كان حُلاّنا

والحُلاَّن والحُلوان جميعًا: رشوة الكاهن. وقد نُهي عن زَبْدِ المشركين[٥]، وحُلوان الكاهن[٦]. وقال مهلهِل[٧]: [من الرجز]

كُلُّ قَتيل في كُليبٍ حُلاّمْ   حَتَّى ينالَ القَتْلُ آلَ هَمّامْ

١٧٥٦- [أقوال لبعض الأعراب]

وقال الأصمعي[٨]: قال أعرابيٌّ يَهزَأ بصاحبه: اشتر لي شاةً قفْعاء[٩]، كأنَّها تضْحَك: مندلقةً[١٠] خاصرتاها، كأنّها في مَحْمِل، لها ضرْعٌ أرقط. كأنّه ضبّ. قال: فكيف العَفْلُ[١١]؟ قال: أو لهذه عَفْل؟!

---

(١) انظر ما تقدم في ٥/٤٩٩س ٥.

(٢) انظر ما تقدم في ٥/ ٤٩٧ س ٩.

(٣) شدنت: قويت وصلح جسمها.

(٤) ديوان عمرو بن أحمر ١٥٥، وتقدم البيت في ٥/٢٦٥.

(٥) الحديث «إني نُهيت عن زبد المشركين» في سنن أبي داود، كتاب الإمارة ٣/١٧٣، وأخرجه الترمذي في كتاب السير ٤/١٤٠، وأحمد في المسند ٤/١٦٢.

(٦) أخرجه البخاري في البيوع، باب ثمن الكلب، حديث رقم ٢١٢٢، وفي الإجارة، باب كسب البغي والإماء، حديث رقم ٢١٦٢، وفي كتاب الطلاق، باب مهر البغي والنكاح الفاسد، حديث رقم ٥٠٣١، وأخرجه مسلم في المساقاة، باب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن، رقم ١٥٦٧، وأحمد في المسند ١/٢٣٥.

(٧) الرجز للمهلهل في الأغاني ٥/٤٧، والأمالي ٢/٩٠، واللسان والتاج (حلم)، وبلا نسبة في الجمهرة ٥٦٦، ١٢٣٢، والمجمل ٢/٩٧، والمخصص ٦/٩٦، وتقدم في ٥/٢٦٥.

(٨) الخبر في عيون الأخبار ٢/٧٨.

(٩) القفعاء: القصيرة الذنب.

(١٠) الاندلاق: البروز.

(١١) العفل: مجس الشاة بين رجليها لينظر سمنها من هزالها، وبدل هذه الكلمة في عيون الأخبار ٢/٧٨ (العطل)، وهو العنق.

قال[1]: وسأل مَدنيٌّ أعرابيًّا قال: أتأكلون الضَّبَّ؟ قال: نعم. قال: فاليربوع؟ قال: نعم. قال: فالورَل؟ قال: نعم. قال: أفتأكلون أمّ حُبَين؟ قال: لا. قال: فلْيَهْنِ أمَّ حُبينٍ العافية!.

١٧٥٧- [شعر في الضب]

وقال فِراس بن عبد الله الكلابي: [من الرجز]

لَمّا خَشِيت الجُوعِ والإرمَالا ... ولم أجد بشَوْلها بلالا[2]
أبصرت ضَبًّا دَحنًا مُخْتالا ... أوفَدَ فَوْقَ جُحْرِه وذالا[3]
فدَبّ لي يخْتلني اختيالا ... حتّى رأيتُ دوني القَذالا[4]
ومَيْلةً ما ملْتُ حينَ مالا ... فَدهشَتْ كَفَّاي فاستطالا
منِي فلا نزْعَ ولا إرسالا ... فحاجزا وبرَّأ الأوصالا[5]
منِّي ولم أرفعْ بذاكَ بالا ... لمَّا رأتْ عيني كُشًى خدَالا[6]
منه وثنّيتُ له الأكبالا ... ورُحت منهُ دحنًا دأّلا[7]

---

(١) تقدم مثل هذا الخبر في ٣/٢٥٦، الفقرة (٩٣٢).

(٢) الإرمال: نفاذ الزاد. الشول: الإبل التي ارتفعت ألبانها. البِلال: كل ما يُبلُّ به الحلق من ماء أو لبن.

(٣) الدَّحِن: السمين المندلق البطن. المختال: المتكبر. أوفد: ارتفع وأشرف. ذال: شال بذنبه وتبختر.

(٤) القذال: جماع مؤخر الرأس.

(٥) الأوصال: المفاصل.

(٦) الكشى: جمع كشية، وهي شحمة صفراء في ظهر الذنب. الخدال: جمع خدلة، وهي العظيمة.

(٧) الأكبال: جمع كبل، وهو القيد. الدَّحِن: العظيم البطن. الدآل: وصف من الدالان، وهو مشي فيه مقاربة للخطو كأن صاحبه مثقل من حمل.

أسماء لعب الأعراب

البُقَّير، وعُظَيمُ وضّاح، والخَطْرة. والدَّارة، والشّحمة والحلق، ولُعبة الضّبّ.

فالبُقيْرَ: أن يجمع يديه على التراب في الأرض إلى أسفله، ثم يقول لصاحبه: اشتَهِ في نفسك. فيصيبُ ويخطئ.

وعُظيمُ وَضّاح: أن يأخذ بالليل عظمًا أبيضَ، ثم يرمي به واحدٌ من الفَريقين، فإنْ وجدَهُ واحدٌ من الفريقَين ركِب أصحابه الفريقَ الآخر من الموضع الذي يجدونه فيه إلى الموضع الذي رموا به منه.

والخطرة: أن يعملوا مِخْراقًا، ثم يرمي به واحدٌ منهم من خلفه إلى الفريق الآخر، فإن عجزوا عن أخذه رموا به إليهم، فإن أخذوه ركبوهم.

والدّارة، هي التي يقال لها الخَراج[1].

والشّحمة: أن يمضيَ واحدٌ من أحد الفريقَين بغلامٍ فيتنحَّون ناحية ثم يقبلون، ويستقبلهم الآخرون؛ فإن منَعوا الغلام حتَّى يصيروا إلى الموضع الآخر فقد غلبوهم عليه، ويُدفَع الغلام إليهم، وإن هم لم يمنعوه ركبوهم. وهذا كله يكون في ليالي الصَّيف، عن غِبٌ ربيعٍ مُخصِب.

ولُعبة الضّبّ: أن يصوِّروا الضّبّ في الأرض، ثم يحوِّل واحدٌ من الفريقين وجهَه، ثم يضع بَعضهم يده على شيءٍ من الضّبٌ، فيقول الذي يحوِّل وجهه: أنف الضّبٌ، أو عين الضبٌ، أو ذَنب الضّب، أو كذا وكذا من الضّبٌ، على الوِلاء[2]، حتّى يفرغ؛ فإن أخطأ ما وضَع عليه يدَهُ رُكِب ورُكِب أصحابه، وإن أصابَ حَوَّل وجهه الذي كان وضع يده على الضّبٌ، ثم يصيرُ هو السائل.

١٧٥٨ - [التداوي بالحيوان]

ويقول: الأطبَّاء[3]: إنَّ خُرء الضّب صالح للبياض الذي يصير في العين.

والأعرابُ ربَّما تداوَوْا به من وجَع الظهر.

---

(١) خراج: هو أن يمسك أحدهم شيئاً بيده ويقول لسائرهم: أخرجوا ما في يدي.

(٢) الوِلاء: مصدر والى بين الأمرين ولاءً وموالاة؛ أي تابع.

(٣) ورد القول في ربيع الأبرار ٥/٤٦٨.

وناسٌ يزعمون أنّ أكل لحمان الحيوان المذكور بطولِ العمر، يزيد في العمر. فصدَّق بذلك ابن الخاركي وقال: هذا كما يزعمون أن أكل الكُلية جيِّد للكُلية. وكذلك الكبدُ، والطِّحال، والرِّئة، واللّحم ينبت اللّحم، والشّحم ينبت الشّحم. فغَبَرَ[1] سنةً وليس يأكلُ إلاّ قديد لحوم الحمر الوحشية، وإلا الورشان والضِّباب، وكلَّ شيء قدَر عليه مما يقضي له بطول العُمر، فانتقض بدنه، وكاد يموت، فعاد بعدُ إلى غذائه الأوّل.

تفسير قصيدة البهراني[2]

نقول في تفسير قصيدة البَهْراني، فإذا فرغنا منها ذكرنا ما في الحشرات من المنافع والأعاجيب والروايات، ثم ذكرنا قصيدتي أبي سهل بشر بن المعتمر في ذلك، وفسرناهما وما فيهما من أعاجيب ما أودع اللّه تعالى هذا الخلْق وركّبهُ فيهم. إن شاء اللّه تعالى. وباللّه تبارك وتعالى أستعين.

١٧٥٩ - [شعر في المكس والأتاوة]

أما قوله: [من الخفيف]

٢ - «مَسَخَ الماكِسَينِ ضَبْعاً وذئبا فلهذا تناجلا أمَّ عَمْرِو»

فإن ملوك العرب كانتْ تأخُذُ من التُّجَّار في البرِّ والبحر، وفي أسواقهم، المكْس، وهو ضريبةٌ كانت تؤخذ منهم، وكانوا يظلمونهم في ذلك. ولذلك قال التَّغلبي، وهو يشكو ذاك في الجاهلية ويتوعد وهو قوله[3]: [من الطويل]

الا تَسْتحِي منّا مُلوكٌ وتَتّقِي مَحارِمنا لا يَبْوُؤا الدَّمُ بالدَّمِ
وفي كُلِّ أسْواقِ العراقِ إتاوةٌ وفي كلِّ ما باعَ امرؤٌ مَكْسُ دِرْهمِ

والإتاوة والأُرباب والخرْج كله شيءُ واحد. وقال الآخر[4]: [من الطويل]

ألا ابنَ المُعَلّى خِلْتَنا أمْ حسِبْتنا صراري نعطي الماكسينَ مُكُوسا

وقال الأصمعيُّ، في ذكر المكسِ والسُّفن التي كان تُعْشر، في قصيدته التي

---

(١) غبر: مكث.
(٢) تقدمت القصيدة ص ٣٥٨ - ٣٦٠.
(٣) البيتان في المفضليات ٢١١، وتقدما في الفقرة (٢٤١).
(٤) البيت ليزيد بن الخذاق في المفضليات ٢٩٨، وتقدم في الفقرة (٢٤١).

ذكر فيها من أهلك الله عز ذكره، من الملوك، وقصم من الجبابرة، وأباد من الأمم الخالية – فقال: [من الخفيف]

أعْلَقَتْ تُبَّعاً حِبالُ المنونِ ... وانتحت بعده على ذي جُدُونِ[1]

وأصابتْ مِنْ بعدِهم آل هرْماَ ... سَ وعادتْ من بعدُ للسّاطِرُونَ[2]

ملكَ الحضر والفُراتِ إلى دِجْـ ... ـلة شرقاً فالطور من عَبْدِينِ[3]

كل حِمْلٍ يمرُّ فوقَ بعيرٍ ... فله مكسُهُ ومكسُ السُّفِينِ

والأعراب يزعمون أن اللّه تعالى عزّ وجلّ لم يدعَ ماكساً ظالماً إلا أنزل به بليةً، وأنّه مسخَ منهم ضبُعاً وذئباً. فلهذه القرابة تسافدا وتناجلا، وإن اختلفا في سوى ذلك. فمن ولدهما السِّمع والعسبار. وإنما اختلفا لأنّ الأمَّ ربما كانت ضبعاً والأبُ ذئباً، وربما كانت الأمُّ ذئبةً والأبُ ذيخاً. والذِّيخ: ذكر الضِّباع.

١٧٦٠ – [ذكر الأمم التي أهلكها اللّه]

وأمّا قوله: [من الخفيف]

٣ – «بَعَثَ الذَّرَّ والجراد وقفَّى ... بنجيع الرُّعافِ في حَيِّ بَكْرِ»

فإنّ الإعراب تزعم أن اللّه تعالى قد أهلك بالذرّ أمما. وقد قال أميّةُ بن أبي الصّلت[4]: [من الخفيف]

أرسل الذَّرَّ والجراد عليهمْ ... وسنيناً فأهلَكَتْهم ومُورا

ذكرَ الذَّرَّ إنَّه يفعلُ الشّـ ... ـرّ وإنّ الجرادَ كان ثُبورا

وأما قوله: «وقفّي بنجيع الرُّعاف في حيٍّ بكر» فإنّه يريد بكر بن عبد مناة، لأنّ كنانةَ بنزولها مَكّة كانوا لا يزالون يصيبهم من الرُّعاف ما يصير شبيهاً بالموتان، ويجارِفَ الطاعون. وكان آخِر من مات بالرُّعاف من سادة قُريش هِشام بن المغيرة.

وكان الرُّعاف مِنْ منايا جرهُم أيام جرهم، ولذلك قال شاعرٌ في الجاهلية، من إياد[5]: [من المتقارب]

---

(١) الإعلاق: وقوع الصيد في الحبل. ذو جدون: أراد ذو جدن، وهو من أذواء اليمن.

(٢) الهرماس: نهر نصيبين. الساطرون: ملك من ملوك العجم قتله سابور ذو الأكتاف.

(٣) ورد هذا البيت بلا نسبة في معجم البلدان ٤ /٤٨ (طور عبدين)، الحضر: مدينة بإزاء تكريت في البرية؛ بينها وبين الموصل والفرات، كان يمر بها نهر الثرثار. طور عبدين: بليدة من أعمال نصيبين في بطن الجبل المشرف عليها؛ المتصل بجبل الجودي، وهي قصبة كورة فـ ء.

(٤) ديوان أمية بن أبي الصلت ٤٠٤–٤٠٥، وتقدم البيتان في الفقرة (٩٤٩) ٤ /١٤.

(٥) البيتان لبشير بن الحجير الإيادي في مجمع الأمثال، وبلا نسبة في البيان ٢ /١١٠.

ونحـنُ إيادٌ عبـادُ الإلـه ورهط مُناجيه في سُلّم
ونحنُ ولاةُ حجاب العتيق زمان الرُّعاف على جُرهم

ولهذا المناجي[1] الذي كان يناجي الله، عز وجل، في الجاهلية على سُلّم - حديث[1].

١٧٦١ - [سيل العرم]

فأما قوله: [من الخفيف]

٤ - «خَرقتْ فارةٌ بأنفٍ ضئيلٍ عَرِماً مُحكَمَ الأساسِ بصَخْرِ»

فقد قال الله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾[2] والعَرِم[3]: المسنّاة التي كانوا أحكموا عملها لتكون حجازاً بين ضياعهم وبين السيل، ففجرته فارة، فكان ذلك أعجبَ وأظهر في الأعجوبة كما أفار الله تعالى عز وجل ماءَ الطوفان من جَوف تَنُّور، ليكون ذلك أثبتَ في العِبرة، وأعجَبَ في الآية.

ولذلك قال[4] خالدُ بنُ صفوان لليمانيّ[5] الذي فخر عليه عند المهديّ وهو ساكت، فقال المهدي: وما لكَ لا تقول؟! قال: وما أقول لقوم ليس فيهم إلا دابغُ جلد، وناسجُ بُرْدٍ، وسائسُ قرد، وراكب عَرْد، غرَّقتهم فارة، وملَكَتْهم امرأة، ودلَّ عليهم هدهد[6].

وأما قوله: [من الخفيف]

٥ - «فَجَّرتْه وكان جَيلان عنه عاجزاً لو يَرُومُه بَعْدَ دَهْرِ»

---

(١) المناجي: هو وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد، كان قد ولي أمر البيت بعد جرهم، فبنى صرحاً وجعل فيه سلماً، وكان يرقاه ويزعم أنه يناجي الله. انظر الخبر في مصادر الحاشية السابقة.

(٢) ١٦/ سبأ: ٣٤.

(٣) معجم البلدان ٥/ ٣٧ (مأرب)، وثمار القلوب (٦٠٩)، ومروج الذهب ٢/ ٣٢١.

(٤) الخبر في عيون الأخبار ١/ ٢١٧، ومروج الذهب ٤/ ٣٢١، وديوان المعاني ١/ ١٥١، والبيان ١/ ٣٣٩، ومعجم البلدان ٥/ ٣٧ (مأرب)، ٤٤٨ (يمن)، ورسائل الجاحظ ٢/ ٢٧٣، وثمار القلوب (٦٠٩).

(٥) اليماني: هو إبراهيم بن مخرمة، كما في معجم البلدان.

(٦) بعد هذا في ديوان المعاني ١/ ١٥١: «قال: وحدثني ابن المزرع قال: سمعت عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول: والله لو نفكر في جمع معايبهم واختصار اللفظ في مثالبهم بعد ذلك المدح المهذب سنة لكان قليلاً، فكيف على بديهٍ لم يرض فكراً».

فإنّ جيلان فَعَلة الملوك، وكانوا من أهل الجَبَل. وأنشد الأصمعي(١): [من المنسرح]

أرسَلَ جِيلان يَنحَتون لـه ساتيدما بالحديد فانصدعا

وأنشد: [من الطويل]

وتَبْني له جِيلانُ مِنْ نَحْتِها الصَّفا قُصوراً تُعالى بالصَّفيح وتُكْلَسُ(٢)

وأنشد لامرئ القيس(٣): [من الطويل]

أُتيحَ له جِيلانُ عند جِذاذِه ورُدِّدَ فيه الطَّرْفُ حتّى تحيَّرا(٤)

يقول: فجَّرته فارةٌ، ولو أنّ جيلان أرادت ذلك لامتَنعَ عليها، لأنَّ الفارةَ إنما خرقته لما سخّر الله عز ذكره لها من ذلك العَرِم وأنشدوا(٥): [من المنسرح]

مِنْ سَبأ الحاضرِينَ مأرِب إذْ يَبْنُون مِنْ دُونِ سَيلِهِ العَرِما

ومأرب: اسمٌ لقصر ذلك الملك، ثم صار اسماً لذلك البلد. ويدلُّ على ذلك قول أبي الطَّمحان القيني(٦): [من البسيط]

الا ترى مَأرباً ما كان أحصَنَهُ وما حَوالَيْه مِنْ سُورٍ وبُنْيان
ظلَّ العِباديُّ يُسقى فوق قُلّته ولم يَهَبْ رَيْبَ دهرٍ حقّ خَوّانَ
حتّى تناوله من بعد ما هَجَعوا يَرْقى إليه على أسْبابِ كَتّان(٧)

وقال الأعشى(٨): [من المتقارب]

ففي ذاكَ للمُؤْتَسي أُسْوةٌ ومَأرِبُ قَفّى عليه العَرِمْ

---

(١) البيت بلا نسبة في اللسان (جيل)، والتهذيب ١١/١٩١.

(٢) الصفيح: جمع صفيحة، وهي كل عريض من حجارة أو لوح. تكلس: تطلى بالكلس.

(٣) ديوان امرئ القيس ٥٨، والجمهرة ١٠٤٤، والمقاييس ١/٤٩٩، والمجمل ١/٤٥٧، وبلا نسبة في اللسان والتاج (جيل)، والمخصص ١٦/٣٠، والتهذيب ١١/١٩١.

(٤) الجذاذ: صرام النخل، وهو قطع تمره، ورواية صدر البيت في ديوانه:
«أطافت به جيلان عند قطاعه».

(٥) تقدم البيت في ٥/٢٩٠.

(٦) الأبيات بلا نسبة في معجم البلدان ٥/٣٨ (مارب)، والأول في مروج الذهب ٢/٣٢٢.

(٧) الأسباب: المراقي والحبال، جمع سبب.

(٨) ديوان الأعشى ٩٣، ومروج الذهب ٢/٣٢٢، وتقدم البيتان (١-٢) في ٥/٢٩٠.

رخامٌ بَنتْـه لـهُ حِمْيَــرٌ   إذا جـاء مـاؤُهُـم لـم يَـرِمْ
فـأروَى الحُـرُوثَ وأعنابَــهـا   على سـاعـةٍ ماؤُهُـم إذ قُسـمْ
فطـار الـفُيـولُ وفَـيَّالـهـا   بيَهْماءَ فيها سَرابٌ يَطِـمّ[1]
فكانُوا بذلـكُـمُ حِـقْبَـةً   فمال بِهِـمْ جـارفٌ مُنْـهـدِمْ
فطارُوا سِـراعاً ومـا يَقْـدِرُو   نَ مِنْهُ لِشُـرْب صَبـيٍّ فُطِـمْ

١٧٦٢ - [مسخ الضبّ وسهيل]

وأما قوله: [من الخفيف]

«مَسَخَ الضَّبَّ في الجِدَالة قِدْماً   وسُهَيلَ السَّماءِ عَمْداً بصُغْرِ[2]»

فإنهم يزعمون أنّ الضَّبَّ وسُهيلاً كانا ماكِسَين عَشّارين، فمسخ اللّه عز وجل أحدهما في الأرض، والآخَرَ في السماء. والجدالة: الأرض، ولذلك يقال: ضربه فجدَّله أي ألْزَقه بالأرض، أي بالجَدالة. وكذلك قول عنترة[3]: [من الكامل]

وحليل غانيةٍ تركْتُ مجدّلاً   تَمْكو فريصتُه كشِدْقِ الأعْلَمِ

وأنشد أبو زيدٍ سعيدُ بن أوسٍ الأنصاري[4]: [من الرجز]

قد أركب الحالة بعد الحالهْ   وأتْـرُكُ العاجِـز بالجَـدالـهْ

١٧٦٣ - [قبر أبي رغال][5]

وأما قوله: [من الخفيف]

٧ - «والذي كان يَكْتَني برغال   جَعَل اللّه قَبْرَهُ شَـرَّ قَـبْرِ
٨ - وكذا كلُّ ذي سُفين وخَرْجٍ   ومُكُـوسٍ وكـلُّ صـاحب عُشْـر»

فإنما ذكر أبا رِغال، وهو الذي يرجم الناس قبره إذا أتوا مَكة. وكان وجّهه

---

(١) اليهماء: المفازة لا ماء فيها. يطم: يغمر.

(٢) الصغر: الذل.

(٣) ديوان عنترة ٢٤، وتقدم في ٣/١٤٨، الفقرة (٧٥٩). و٤/٤٥٥.

(٤) الرجز لأبي قردودة في التاج (أول، جدل)، وبلا نسبة في اللسان (أول، جدل)، والتهذيب ١٠/٦٥٠، والأساس (جدل)، والجمهرة ٤٤٩، والمقاييس ١/٤٣٤، والمجمل ١/٤١٢، وديوان الأدب ١/٣٨٥، والمخصص ١٠/٦٨، والأمالي ٢/٢٥٤، ٢٦٩، وسفر السعادة ٨٩٧ - ٨٩٨.

(٥) انظر مروج الذهب ٢/٢٠١، وثمار القلوب (٢٤٤).

صالحٌ النبي ﷺ، فيما يزعمون، على صدقات الأموال، فخالف أمره، وأساءَ السِّيرة، فوثَب عليه ثقيف، وهو قَسِيُّ بن مُنَبِّه، فقتله قتْلاً شنيعاً. وإنما ذلك لسوء سيرته في أهل الحرم فقال غيلان بن سلمة، وذكر قَسوة أبيه على أبي رغال[1]: [من الرجز]

نحنُ قسِيٌّ وقَسا أبونا

وقال أُميّة بنُ أبي الصَّلت[2]: [من الوافر]

نفوْا عن أرْضِهمْ عدْنانَ طُرًّا ... وكانوا للقبائل قاهرينا
وهم قتلوا الرئيس أبا رغال ... بنخلة إذ يسوق بها الظَّعينا

وقال عمرو بن دَرَّاكِ العبدي، وذكر فُجور أبي رغال وخُبْثَهُ، فقال[3]: [من الوافر]

وإني إن قطعت حبال قيسٍ ... وحَالَفْتُ المزُونَ على تميمِ
لأعْظَمُ فَجْرَةً منَ أبي رِغالٍ ... وأجْوَرُ في الحكومةِ من سَدُومِ[4]

وقال مسكينٌ الدارميّ[5]: [من الوافر]

وأرجُمُ قَبْرَهُ في كلِّ عامٍ ... كرَجْمِ النّاس قَبْرَ أبي رغالِ

وقال عُمرُ بن الخطاب، رضي الله تعالى عنه، لَغَيلان بن سلَمة، حين أعتق عبده، وجعل ماله في رِتاج الكَعْبة: لئن لم تَرْجِعْ في مالك ثمَّ مُتَّ لأرجُمَنّ قبرك، كما رُجِم قبرُ أبي رِغال، وكلاماً غير هذا قد كلّمه به[6].

١٧٦٤ - [المنكب والعريف]

وأما قوله: [من الخفيف]

٩ - «مَنْكِبٌ كافرٌ وأشْرَاطُ سَوْءٍ ... وعَريفٌ جزاؤه حَرُّ جَمْرِ»

---

(١) الرجز مع الخبر في المصدرين السابقين، واللسان والتاج (قسا)، والمعارف ٩١.
(٢) ديوان أمية بن أبي الصلت ٥٠٨ -٥٠٩، ومروج الذهب ٢ / ٢٠١.
(٣) البيتان في مروج الذهب ٢ / ٢٠١، ومعجم الشعراء ٢٩، واللسان والتاج (سدم).
(٤) من الأمثال: «أجور من قاضي سدوم»، وكان من جوره أنه حكم على أنه إذا ارتكبوا الفاحشة من أحدٍ أخذ منه أربعة دراهم. معجم البلدان ٣ / ٢٠٠ (سدوم)، وانظر المثل في مجمع الأمثال ١ / ١٩٠، والمستقصى ١ / ٥٦، وثمار القلوب (١٦٦).
(٥) ديوان مسكين الدارمي ٥٧، ومروج الذهب ٢ / ٢٠٢، وثمار القلوب (٢٤٥).
(٦) ورد الخبر في ثمار القلوب (٢٤٥)، والإصابة ٥ / ١٩٤ (رقم ٦٩١٨).

فإنما ذهب إلى أحكام الإسلام. كأنه قد كان لقى من المَنْكِب والعَرِيف جهْداً. وهم ثلاثة: مَنْكِب[1]، ونقيب، وعَريف. وقال جُبَيْهاءُ الأشجعيُّ: [من الوافر]

رعاع عاونَتْ بَكْرًا علَيْه ... كما جُعِل العريفُ على النَّقِيبِ

١٧٦٥ - [الغول والسعلاة]

وأما قوله: [الخفيف]

١٠ - «وتزوّجْتُ في الشَّبيبةِ غُولاً ... بغزال وصَدْقَتي زقُّ خَمْرِ»

فالغُول اسمُ لكلِّ شيءٍ من الجن يعرضُ للسُّفّار، ويتلوّنُ في ضُروب الصُّور والثِّياب، ذكراً كان أو أنثى. إلاَّ أنّ أكثر كلامهم على أنّه أنثى[2].

وقد قال أبو المطْراب عُبيدُ بن أيُّوبَ العنبريّ[3]: [من الوافر]

وحالَفْتَ الوحوشَ وحالَفْتني ... بقرب عُهودهنّ وبالبعاد
وأمْسَى الذِّئبُ يرصُدُني مخشًّا ... لخفّة ضربتي ولضعف آدي[4]
وغُولاً قفرةٍ ذكرٌ وأنثى ... كأنّ عَلَيْهِمَا قِطعَ البجادِ[5]

فجعل في الغِيلان الذَّكرَ والأنثى. وقد قال الشَّاعر في تلوُّنها[6]: [من البسيط]

فما تدوم على حالٍ تكون بها ... كما تَلَوَّنُ في أثوابِها الغُولُ

فالغول ما كان كذلك، والسِّعلاة اسم الواحدة من نساء الجن إذا لم تتغوَّل لتفتِنَ السُّفّار.

قالو: وإنما هذا منها على العَبث، أو لعلّها أن تفزّع إنساناً جميلاً فتغيِّرَ عقله، فتداخِلَه عند ذلك، لأنّهم لم يُسلَّطوا على الصَّحيح العقل، ولو كان ذلك إليهم

---

(١) المنكب: عون العريف.
(٢) انظر هذا القول في مروج الذهب ٢ / ٢٩١.
(٣) الأبيات في أشعار اللصوص ٢١٧، والثالث في مروج الذهب ٢ / ٢٩١.
(٤) المخش: الماضي الجريء على هول الليل. الآد: القوة.
(٥) البجاد: كساء مخطط.
(٦) البيت لكعب بن زهير في ديوانه ٨، والمخصص ١٧ / ٥، والمذكر والمؤنث للأنباري ٤١١، وبلا نسبة في الجمهرة ٩٦١، ٩٨٨، ومروج الذهب ٢ / ٢٩١.

لبدؤوا بعليّ بن أبي طالب، وحمزَة بن عبد المطلب وبأبي بكر وعُمر في زَمانهم وبغيلان والحسن في دهرهما وبواصل وعمرو في أيامهما.

وقد فرَق بين الغُول والسّعلاة عُبيدُ بن أيُّوبَ، حيث يقول[1]: [من الطويل]

وساخرة منِّي ولو أنّ عَينَـها ... رأتْ ما أُلاقيه من الهوْل جُنّت

أزلُّ وسِعلاةٌ وغـولٌ بقَــفْــرةٍ ... إذا اللّيل وارَى الجنَّ فيه أرنّت[2]

وهم إذا رأوا المرأة حديدة الطّرف والذّهن، سريعة الحركة، ممشوقة مُمَحَّصة[3] قالوا: سعلاة وقال الأعشى[4]: [من الخفيف]

ورجال قَتْـلى بجنْـبَيْ أريكٍ ... ونســاءٍ كأنـهــنَّ السَّــعالي[5]

١٧٦٦ - [تزاوج الجن والإنس]

ويقولون: تزّوج عمرو بن يربوعٍ السّعلاة. وقال الرَّاجز[6]: [من الرجز]

يا قاتـلَ اللّـهُ بني السّعــلاةِ ... عمرو بن يَربوعٍ شِرارَ النَّاتِ

وفي تلوُّن الغُول يقول عبَّاسُ بنُ مرداسٍ السُّلَميُّ[7]: [من البسيط]

أصابَت العام رِعلاً غولُ قومهم ... وَسْطَ البُيوتِ ولوْنُ الغُولِ ألوانُ

وهم يتأوَّلون قوله عز ذكره: ﴿وَشَارِكْهُمْ في الأمْوالِ وَالأوْلادِ﴾[8].

وقوله عز وجل: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ ولا جَانٌّ﴾[9]. قالوا: فلو كان الجانّ لم يُصِب منهنّ قَطّ، ولم يأتهنّ، ولا كان ذلك مما يجوز بين الجن وبين النساء الآدميات - لم يقل ذلك.

---

(١) البيتان في أشعار اللصوص ٢١٤، ومروج الذهب ٢/ ٢٩١.

(٢) الأزل: الأرسح، أي الصغير العجز.

(٣) الممحصة: الشديدة الخلق، البريئة من الترهل.

(٤) ديوان الأعشى ٦٣، واللسان (حرب، سعل)، والتاج (حرب)، والتهذيب ٢/ ١٠٠، ٥/ ٢٣، وبلا نسبة في المخصص ١٣/ ١٢١، والعين ٣/ ٢١٤.

(٥) رواية صدر البيت في الديوان: «وشيوخٍ حَرْبى بشطَّيْ أريكٍ». الأريك: اسم واد.

(٦) تقدم الرجز مع تخريج وافٍ في ١/ ١٢٠، وزد: أمالي القالي ٢/ ٦٨. وسفر السعادة ٧٤ - ٧٥.

(٧) ديوان العباس بن مرداس ١٥٤.

(٨) ٦٤/ الإسراء: ١٧.

(٩) ٥٦، ٧٤/ الرحمن: ٥٥.

وتأوَّلوا قوله عزّ وجل: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجنِّ﴾[1] فجعل منهنَّ النِّساء، إذ قد جعل منهم الرِّجال، وقوله تبارك وتعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي﴾[2].

وزعم ابنُ الأعرابيّ قال: دعا أعرابيٌّ ربهُ فقال: اللّهم إني أعوذُ بك منْ عفاريت الجن! اللهمَّ لا تُشْرِكهمْ في ولدي، ولا جسدي، ولا دمي، ولا مالي، ولا تُدخلهم في بيتي، ولا تجعَلْهمْ لي شركاء في شيءٍ من أمر الدنيا والآخرة.

وقالوا: ودعا زُهير بن هُنيدة فقال: اللهمَّ لا تُسلطهم على نطفتي ولا جَسَدي.

قال أبو عبيدة: فقيل له: لمَ تدعو بهذا الدُّعاء قال: وكيف لا أدعو به وأنا أسمعُ أيُّوب النبي واللّه تعالى يخبر عنه ويقول: ﴿واذكُرْ عَبْدَنا أيُّوب إِذْ نادى رَبّهُ أَنّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وعَذابٍ﴾[3] حتى قيل له: ﴿اركُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ باردٌ وَشرابٌ﴾[4]. وكيف لا أستعيذ باللّه منه وأنا أسمع اللّه يقول: ﴿الّذين يأْكُلونَ الرِّبا لا يَقومُونَ إلاّ كما يقُومُ الّذي يَتخبَّطُهُ الشَّيْطانُ من المَسِّ﴾[5]، وأسمعه يقول: ﴿وإِذْ زَيَّن لَهُمُ الشَّيْطانُ أعمالَهُمْ وقالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وإِنِّي جارٌ لَكُمْ﴾[6]، فلما رأى الملائكة نكص على عقبيه، كما قال اللّه عزّ ذكره: ﴿فَلَمَّا تَراءَت الْفِئَتَانِ نَكصَ على عَقِبَيْهِ وقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ منكمْ إِنّي أرى مَا لا تَرَوْنَ﴾[7]، وقد جاءهم في صورة الشَّيخ النّجدي[8]. وكيف لا أستعيذ بالله منه، وأنا أسمع الله عز ذكره يقول: ﴿ولقَدْ جعَلْنا في السَّماء بُرُوجاً وَزَيّنّاهَا للنَّاظرينَ. وَحَفِظْناهَا مِنْ كُلِّ شيْطانٍ رَجيمٍ. إلاّ منِ اسْتَرقَ السَّمْعَ فأَتْبَعَهُ شهابٌ مُبينٌ﴾[9]. وكيف لا أستعيذ باللّه منه وأنا أسمع اللّه تعالى يقول: ﴿ولِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وأسلْنا

---

(١) ٦/ الجن: ٧٢.

(٢) ٥٠/ الكهف: ١٨.

(٣) ٤١/ ص: ٣٨.

(٤) ٤٢/ ص: ٣٨.

(٥) ٢٧٥/ البقرة: ٢.

(٦) ٤٨/ الأنفال: ٨.

(٧) ٤٨/ الأنفال: ٨.

(٨) انظر ما تقدم في ١/١٩٧، الفقرة (٢٢٧)، وفي ربيع الأبرار ١/٣٨٨، «قالوا: الشيخ النجدي الذي ظهر إبليس على صورته، فاشار على قريش بأن يكونوا سيفاً واحداً على النبي ﷺ كانت كنيته أبا مرة؛ فكني به إبليس. وانظر ثمار القلوب (١٣٨).

(٩) ١٧-١٨/ الحجر: ١٥.

لَهُ عيْنَ الْقطْرِ وَمِنَ الجنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْه بِإِذْن ربِّه ﴾[1] ثم قال: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحاريبَ وتماثيلَ وجفانٍ كالجواب وقُدُورٍ راسيات ﴾[2]. وكيف لا أدعو بذلك وأنا أسمع اللّه تعالى يقول: ﴿ قال عفْريتٌ مِنَ الجنِّ أنا آتيكَ به قَبْلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامكَ، وإنّي عَلَيْه لقويٌّ أمينٌ ﴾[3]. وكيف لا أقول ذلك وأنا أسمع اللّه عزّ وجلّ يقول: ﴿ ربِّ اغْفرْ لي وَهَبْ لي مُلْكاً لا يَنْبغي لأحدٍ منْ بَعْدي إنَّكَ أنْتَ الْوهّابُ. فسخَّرْنا لهُ الرِّيحَ تَجْري بأمْره رُخاءً حَيْثُ أصابَ. والشَّياطينَ كُلَّ بَنّاءٍ وغَوَّاصٍ. وآخرينَ مُقرَّنينَ في الأصفادِ ﴾[4].

والأعراب يتزيّدون في هذا الباب. وأشباهُ الأعراب يغلطون فيه. وبعضُ أصحابِ التأويل يجوّز في هذا الباب ما لا يجوز فيه. وقد قلنا في ذلك في كتاب النُّبُوّات بما هو كاف إن شاء اللّه تعالى.

١٧٦٧ - [شعر العرب في الجن]

وسيقع هذا الباب و الجواب فيه تامًّا إذا صرنا إلى القول في الملائكة، وفي فرق ما بين الجن والإنس. وأما هذا الموضع فإنما مَغْزانا فيه الإخبارُ عن مذاهب الأعراب، وشعراءِ العرب. ولولا العلم بالكلام، وبما يجوز مما لا يجوز، لكان في دون إطباقهم على هذه الأحاديث ما يغلط فيه العاقل.

قال عُبيدُ بن أيُّوب، وقد كان جَوَّالاً في مجهول الأرض، لمَّا اشتد خوفه وطال تردُّدُه، وأبعد في الهرب[5]: [من الطويل]

لقد خفْتُ حتَّى لو تمرُّ حَمامَةٌ ... لقُلْتُ عَدُوٌّ أو طليعَة مَعْشَرِ
فإن قيلَ أمْنٌ قلتُ هذي خديعةٌ ... وإن قيل خوفٌ قلتُ حَقًّا فشَمِّرِ
وخفت خليلي ذا الصَّفاء وَرَابَني ... وقيل فلان أو فلانة فاحذرِ
فللّه درُّ الغُول أيُّ رفيقةٍ ... لصاحبِ قفْر خائفٍ متقتّر[6]

---

(١) ١٢/ سبأ: ٣٤.
(٢) ١٣/سبأ: ٣٤.
(٣) ٣٩/ النمل: ٢٧.
(٤) ٣٥-٣٨/ ص: ٣٨.
(٥) أشعار اللصوص ٢١٨، ٢٢١، والأبيات (١-٢-٣-٦) في الحماسة البصرية ١/١١١، وتقدمت الأبيات (١-٢-٣) في ٥/١٣٢. والبيتان (٤-٥) في ٤/٥٠٠.
(٦) المتقتر: المتنحي عن الناس.

أرنَّتْ بلحْن بعد لحن وأوقـدَتْ ... حواليَّ نيراناً تلوح وتـزهـر
وأصبحت كالوحْشيِّ يتبعُ ما خلا ... ويترك مَأبُوسَ البلادِ المـدَعْثَرِ(١)

وقال في هذا الباب في كلمة له، وهذا أولها(٢): [من الطويل]

أذقني طَعْمَ الأمن أو سَلْ حقيقةً ... عليَّ فإن قامتْ فـفـصِّل بنانيا
خَلعتَ فؤادي فاستُطير فأصبَحَتْ ... ترامى بي البيدُ القِفـارُ تراميـا
كأني وآجال الظِّباء بقـفـرةٍ ... لنا نسبٌ نرعاه أصبح دانيـا(٣)
رأين ضئيلَ الشَّخْص يظهَرُ مَـرَّةً ... ويخْفَى مراراً ضامِرَ الجسم عاريـا
فأجْفَلنَ نفْرًا ثمَّ قُلنَ ابنُ بلـدةٍ ... قليلُ الأذى أمْسى لكُنَّ مُصافيـا
ألا يا ظباءَ الوَحْشِ لا تُشْهِرُنَّني ... وأخفِينني إذ كنتُ فيكـن خافيًا
أكلت عُرُوق الشَّرْي مَعْكُنَّ والْتَوى ... بحَلقي نَوْرُ القَفْرِ حتَّى وَرانيا(٤)
وقـد لقيتْ مني السِّباعُ بليّةً ... وقد لاقت الغيلانُ منِّي الـدّواهيا
ومنهنّ قـد لاقيت ذاك فلم أكُـنْ ... دجباناً إذا هَـوْلُ الجبـان اعترانيا
أذقت المنايا بَعْضَهُنَّ بأسـهمي ... وقدّدْن لحمي وامتَشَقْنَ ردائيا(٥)
أبيتُ ضجيع الأسْوَد الجون في الهُوَى ... كثيراً وأثناءُ الحشاش وساديـا(٦)
إذا هجْن بي في جُحْرِهنَّ اكتنفنني ... فليت سُلَيمانَ بـن وَبْـرٍ يرانيا(٧)
فما زِلت مُذ كْنتُ ابن عشرين حِجة ... أخـا الحـرب مَجْنيًّا عـليَّ وجـانيـا

ومما ذكر فيه الغيلان قولُه(٨): [من الطويل]

نقول وقد ألممتُ بالإنس لَـمَّـةً ... مُخضَّبةُ الأطرافِ خُرْسُ الخلاخِلِ(٩)

---

(١) المأبوس: المذلل الممهد. المدعثر: الموطوء.
(٢) الأبيات في أشعار اللصوص ٢٣٤-٢٣٥، والعقد الفريد ٢ / ١٦٢. والشعر والشعراء ٧٥٨-٧٦١.
(٣) الآجال: جمع إجل، وهو القطيع من بقر الوحش.
(٤) الشري: شجر الحنظل. النور: الزهر. وراه: من الوري، وهو شرق يقع في قصبة الرئتين فيقتله.
(٥) التقديد: التقطيع. الامتشاق: الاقتطاع والاختلاس.
(٦) الأسود: العظيم من الحيات. الهوى: جمع هوَّة كقوة، وهي الوهدة الغامضة من الأرض. الحِشاش: ما يوضع فيه الحشيش.
(٧) اكتنف: أحاط.
(٨) الأبيات في أشعار اللصوص ٢٢٨-٢٢٩، والحماسة البصرية ١ / ١١٠، والشعر والشعراء ٧٦٠، ٧٦١.
(٩) خرس الخلاخل: كناية عن امتلاء الساق.

أهذا خليلُ الغُول والذِّئب والـذي يهيمُ بِربّات الحجـال الكـواهـلِ[1]
رأتْ خَلَقَ الأدراس أشْعَثَ شاحباً على الجدْب بَسَّاماً كريـمَ الشَّمـائلِ[2]
تعوَّدَ مـن آبائه فَتـكاتِـهـم وإطعامَهُمْ في كلِّ غبْراء شامـلِ[3]
إذا صاد صيداً لفَّـه بضـرامـه وشيكاً ولم ينْظر لنَصْب المراجـلِ[4]
ونهْساً كنَهْس الصقر ثم مِراسهُ بكفّيـه رأسَ الشَّيخة المتمـايلِ[5]
فلم يسحب المنِديلَ بين جمـاعـةٍ ولا فـارداً مذ صـاحَ بيْن القـوابـلِ

ومما قال في هذا المعنى[6]: [من الطويل]

علام تُرَى ليلى تعذّب بالمُنى أخا قفراتٍ كان بـالذئب يأنسُ
وصار خليل الغُول بَعْد عداوةٍ صَفيًّا وربّتهُ القفـارُ البسـابسُ

وقال في هذا المعنى[7]: [من الطويل]

فلولا رجالٌ يـا مَنيعُ رأيتَـهـم لهـم خُـلـقٌ عند الجوار حَـمِـيدُ
لنالكُمْ مِني نـكـالٌ وغــارةٌ لها ذنـبٌ لـم تدركُـوه بعيـدُ
أقلُّ بنو الإنسان حـتَّى أغرتـمُ على مـن يثير الجنّ وهي هجـودُ

١٧٦٨ - [أخبار تتعلق بالجن]

وقال ابن الأعرابي: وَعدت أعرابيَّةٌ أعرابيًّا أن يأتيها، فكمن في عُشَرة[8] كانت بقربهم، فنظر الزّوجُ فرأى شَبَحًا في العُشرَة، فقال لامرأته: يا هَنَتاهُ[9] إنّ إنساناً لَيُطالعنا من العُشَرة! قالت: مَهْ يا شيخُ، ذاكَ جانُّ العُشَرة! إليك عنّي وعن ولَدِي!!

(١) الحجال: جمع حجلة؛ وهي بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار. الكواهل: جمع كاهلة.
(٢) الأدراس: جمع درس، وهو الثوب البالي.
(٣) الغبراء: السنة المجدبة.
(٤) لم ينظر: لم ينتظر. الضرام: ما اشتعل من الحطب.
(٥) المراس: المسح والدلك. الشيخة: نبتة، سميت بذلك لبياضها.
(٦) البيتان لعبيد بن أيوب في أشعار اللصوص ٢٢٢، وحماسة البحتري ٤١١.
(٧) الأبيات لعبيد بن أيوب في أشعار اللصوص ٢١٥، والسمط ٣٨٣-٣٨٤.
(٨) العشرة: واحدة العشر، وهو من كبار الشجر له صمغ حلو، وورقه عريض، وله سكر يخرج من شعبه.
(٩) يا هنتاه: كناية عن المنادى المؤنث الذي لا تريد إعلان اسمه، ويقال للمنادى المذكر «يا هناه». انظر همع الهوامع ١/١٧٨.

قال الشيخ: وعنّي يرحَمُك اللّه ! قالت: وعن أبيهم إن هو غطّى رأسه ورقد. قال: ونام الشَّيخ، وجاء الأعرابي فسَفَعَ[1] برجليها ثمّ أعطاها حتى رضيت.

وروى عن محمّد بن الحسن، عن مُجالد أو عن غيره وقال[2]: كنّا عند الشّعبي جُلوساً، فمرَّ حمّالٌ على ظهره دَنّ خَلٍّ، فلما رأى الشّعبيَّ وضع الدّنّ وقال للشعبي: ما كان اسمُ امرأة إبليس؟ قال: ذاك نكاحٌ ما شهدناه!

وأبو الحسن عن أبي إسحاق المالكي قال[3]: قال الحجاج ليحيى بن سعيد بن العاص: أخبرني عبدُ اللّه بن هلال صديق إبليس، أنّك تشبه إبليس! قال: وما ينكر أنْ يكون سيد الإنس يُشبه سيد الجنّ!

وروى الهيثم عن داود بن أبي هند، قال[4]: سئل الشّعبي عن لحم الفيل، فتلا قولَه عزّ ذكره: ﴿قُلْ لا أَجِدُ فيما أُوحِي إليّ مُحَرَّمًا على طاعمٍ يطْعَمُهُ إلاَّ أنْ يكُونَ مَيْتَةً أوْ دماً مَسْفُوحًا أوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ﴾[5] إلى آخر الآية. وسُئل عن لحم الشَّيطان فقال: نحن نرضى منه بالكَفَاف. فقال له قائل[6]: ما تقولُ في الذّبّان؟ قال: إن اشتهيته فكُلْهُ.

وأنشدوا قول أعرابي لامرأته: [من البسيط]

ألا تمُوتين إنا نبتغي بــدلا إن اللواتي يموِّتن المــيامين
أم أنت لازلتِ في الدنيا معَمَّرَةً كما يُعَمَّر إبليسُ الشَّياطِيــن

وقال أبو الحسن وغيرُه: كان سعيدُ بن خالد بن عبد اللّه بن أسيد تصيبهُ مُوتة[7] نصف سنة، ونصفَ سنةٍ يصح، فيحبو ويُعطي، ويكسُو ويَحمل. فأراد أهلُه أنْ يعالجُوه. فتكلّمت امرأةٌ على لسانه فقالت. أنا رُقيَّة بنت ملْحان سيِّد الجنّ، واللّه أنْ لو علِمتُ مكانَ رجل أشرَف منه لعلِقْتُه! واللّه لئن عالجتموه لأقتُلنّه! فتركوا علاجه.

---

(١) سفع: جذب وقبض.
(٢) الخبر في عيون الأخبار ١/٣١٦، ونثر الدر ٢/١٤٥.
(٣) الخبر في نثر الدر ٢/١٦١، وثمار القلوب (١٥٠)، وربيع الأبرار ١/٣٨٤-٣٨٥.
(٤) انظر نثر الدر ٢/١٤٥.
(٥) ١٤٥/ الأنعام: ٦.
(٦) الخبر في عيون الأخبار ١/٣١٦، ونثر الدر ٢/١٤٦.
(٧) الموته: ضرب من الجنون والصرع يصيب الإنسان.

وتقول العرب: شيطان الحمَاطة، وغول القَفْرَة، وجانُّ العُشرَة. وأنشد: [من الرجز]

فانصَلتَتْ لي مِثْلَ سعلاةِ العُشَرْ تروح بالوَيْل وتَغْدُو بالغِيَرْ

وأنشد[1]: [من الرجز]

يا أيُّها الضاغب بالغُمْلولْ إنّك غُولٌ ولَدَتْكَ غولْ

الغُملول: الخمرَ من الأرض اختبأ فيه هذا الرجل، وضغب ضغبة[2] الأرنب، ليفزعه ويوهمه أنّه عامر لذلك الخمر.

(١) الرجز بلا نسبة في اللسان والتاج (ضغب، أمل)، والتهذيب ٨/١٨.

(٢) ضغيب الأرنب صوتها.

بـــاب

من ادعى من الأعراب والشعراء
أنهم يرون الغيلان ويسمعون عزيف الجان

وما يشبهون بالجن والشياطين، وبأعضائهم وبأخلاقهم وأعمالهم.

وأنشد: [من الرجز]

كأنّه لَمَّا تدانـــى مَقْـربُــه وانقطعت أوْذامُـه وكُرَبُـهْ[١]
وجاءت الخيلُ جميعـاً تَـذنـبُـهْ شيطان جنّ في هواء يرقُبـهْ[٢]
أذنب فانقـضَّ عليه كـوكبُـهْ

وأنشد: [من البسيط]

إنّ العُقَيليَّ لا تـلقـى لـه شَبهًـا ولو صَبرْتَ لتلقاه على الـعِيـسِ
بَيْنا تَـراهُ علـيه الخزُّ مـتَّـكئـاً إذ مَرَّ يهدج في خَيش الكرابـيس[٣]
وقد تكنَّفَهُ غُـرَّامُه زَمَـنـــاً أشباهُ جنٍّ عكوف حَـوْل إبـليسِ[٤]
إذا المفاليسُ يوماً حاربُـوا مَـلِـكـاً ترى العُقَيليّ مـنهمْ في كرادِيــسِ[٥]

وهو الذي يقول[٦]: [من الكامل]

أصبحتَ مَا لَكَ غيرُ جِلْدِكَ تَلبَسُ قَطرَ السَّماء وأنْتَ عارٍ مُفْلِسُ

وقال الخطفى[٧]: [من الرجز]

---

(١) المقرب: سير الليل. الأوذام: جمع وَذَم، وهو السير من الجلد يُقدُّ طولاً، الكرب: الحبل يشد على عراقي الدلو؛ عنى به حبل الفرس.

(٢) تذنبه: تتبعه، والبيت للكلابي في اللسان (ذنب).

(٣) الهدج: مشي رويد في ضعف. الكرابيس: جمع كرباس، وهو ثوب من القطن الأبيض.

(٤) الغرّام: جمع غريم، وهو صاحب الدَّيْن.

(٥) الكراديس: جمع كردوس، وهي الكتيبة من الخيل.

(٦) كذا، ولم يعين اسم شاعر فيما تقدم.

(٧) الرجز للخطفى (واسمه حذيفة، وهو جد جرير) في اللسان (خطف، سدف، جنن)، والتهذيب ٥/١٩٠، والتاج (حيد، خطف، سدف، جنن)، والجمهرة ٦٠٩، ١١٧٣، والمخصص ١٥/١٩٦، وبلا نسبة في العين ٤/٢٢١، والمخصص ٧/١٠٩، ٩/٤١، والمقاييس ٢/١٩٦.

يَرْفَعْنَ بالليل إذا ما أَسْدَفَا　　أَعْنَاقَ جِنَّانٍ وهاماً رُجَّفا
وَعَنَقاً بعد الرسيم خَيْطفا[١]

وأنشد ابنُ الأعرابي: [من الطويل]

غناءً كليبياً تَرَى الجنَّ تبتغي　　صَدَاهُ إذا ما آب للجشن آيبُ

وقال الحارث بن حلزة[٢]: [من الخفيف]

ربُّنا وابننا وأفضل من يَمْـ　　ـشي ومَنْ دونَ ما لَديْه الثَّناءُ[٣]
إِرَميٌّ بمثْلِه جالَتِ الجِـ　　ـنُّ فآبتْ لخصْمها الأجْلاءُ[٤]

وقال الأعشى[٥]: [من الطويل]

فإنّي وما كَلَّفتُموني وربِّكم　　ليعلم من أمْسى أعَقَّ وأحْوَبا
لكالثَّور والجْنيُّ يضربُ ظَهْرَهُ　　وما ذنْبُه أنْ عافَتِ الماء مَشْربا

وقال الزَّفيان العُوافيُّ واسمه عطاء بن أسِيد أحد بني عُوافةَ بن سعد[٦]: [من الرجز]

بَيْنَ اللّها منه إذا ما مدّاً　　مثلُ عزيفِ الجن هَدّتْ هَدّاً[٧]

وقال ذو الرُّمَّة[٨]: [من البسيط]

قد أعسِفُ النَّازحَ المجهُولَ مَعْسفُه　　في ظلِّ أغْضَف يَدْعو هامَهُ البُومُ[٩]
للجِنِّ باللّيل في حافاتها زَجَلٌ　　كما تناوَحَ يوم الريح عيشومُ[١٠]

---

(١) العنق: ضرب من السير المنبسط. الرسيم: ضرب من السير سريع. الخيطف: سرعة انجذاب السير كأنه يختطف في مشيه عنقه.
(٢) البيتان من معلقته في شرح القصائد العشر ٣٩٠، وشرح القصائد السبع ٤٧٣.
(٣) الرب: الملك.
(٤) إرمي: نسبة إلى إرم عاد. الأجلاء: جمع جلا، وهو الأمر المنكشف.
(٥) ديوان الأعشى ١٦٥، والأول في اللسان والتاج (عقق)، والثاني في اللسان والتاج (ثور)، والتهذيب ١٥/١١١.
(٦) الرجز للزفيان في ديوانه ٩٣، واللسان والتاج (صمعد).
(٧) اللها: جمع لهاة؛ وهي اللحمة المشرفة على الحلق. الهد: الصوت الغليظ.
(٨) ديوان ذي الرمة ٤٠١، ٤٠٨، ٤١٠، والشرح التالي منه.
(٩) «أعسف: آخذ في غير هدى. النازح: الخَرْق البعيد. المجهول: الذي لا يهتدى لطريقه. في ظل أغضف: أي تحت الليل دائماً».
(١٠) «زجل: صوت مختلط. تناوح: تجاوب بصوت الرياح. عيشوم: شجرة تنبسط على وجه الأرض؛ فإذا يبست فللريح بها زفير».

داويّةٍ ودُجَى ليل كأنّهما ... يَمٌّ تراطَنُ في حافاته الرُّومُ

وقال(١): [من الطويل]

وكمْ عَرَّستْ بعد السُّرى من مُعَرَّس ... به من كلام الجن أصواتُ سامرِ(٢)

وقال(٣): [من البسيط]

كمْ جُبْتُ دُونَكَ من يَهْماء مُظْلمةٍ ... تِيهٍ إذا ما مُغَنِّي جِنَّةٍ سَمَرا(٤)

وقال(٥): [من الطويل]

ورَمل عزيف الجنِّ في عَقِداتِه ... هزيزٌ كتضْرابِ المغنِّين بالطَّبْلِ(٦)

وقال(٧): [من الطويل]

وتِيهٍ خَبَطْنا غَوْلَها وارتمى بنا ... أبو البعد من أرجائها المتطاوحُ

فلاةٌ لِصوت الجنِّ في مُنْكَراتها ... هزيزٌ، وللأبوام فيها نوائحُ

وطولُ اغتماسي في الدُّجى كلما دعت ... من اللَّيل أصداءُ المِتَانِ الصوائحُ(٨)

وقال ذو الرّمة(٩): [من الطويل]

بلاداً يبيتُ البومُ يدعُو بناتِه ... بها ومن الأصداءِ والجنِّ سامرُ

وقال ذو الرمة(١٠): [من الطويل]

وللوحشِ والجِنّانِ كُلَّ عشيةٍ ... بها خِلْفَةٌ من عازفٍ وبُغامِ(١١)

---

(١) ديوان ذي الرمة ١٦٨٥.

(٢) التعريس: النزول للنوم في آخر الليل. سامر: قوم يسمرون، أي يتحدثون.

(٣) ديوان ذي الرمة ١١٦٢.

(٤) جبت: قطعت. اليهماء: الفلاة. سَمَرَ: لم ينم.

(٥) ديوان ذي الرمة ١٤٨.

(٦) «العقدات: جمع عقدة؛ وهي الرملة الكثيرة الأنقاء والأحقاف، يتعقد بعضه ببعض. هزيز الشيء: صوته الذي تسمعه من بعيد، مثل صوت الرحى والرعد».

(٧) ديوان ذي الرمة ٨٧٨ - ٨٧٩، ٨٨٥.

(٨) الأصداء: جمع صدى، وهو طائر. المتان: جمع متن، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع. وقافية هذا البيت في ديوانه «الضوابح» مكان «الصوائح».

(٩) ديوان ذي الرمة ١٠٣٩.

(١٠) ديوان ذي الرمة ١٠٥٤.

(١١) خلفة: اختلاف؛ أي: تجيء هذه وتذهب هذه. البغام: صوت الإبل.

وقال الراعي[١]: [من الطويل]

وداويةٍ غبراءَ أكثرُ أهْلِها عزيفٌ وبُومٌ آخرَ الليل صائحُ
أقرّ بها جأشي تأوُّلَ آيةٍ وماضي الحسام غمدُه متصايحُ

١٧٦٩ - [لطيم الشيطان]

ويقال لمن به لقوة أو شتَر، إذا سُبَّ: يا لطيم الشيطان[٢].

وكذلك قال عبيد اللّه بن زياد، لعمرو بن سعيد، حين أهوى بسيفه ليطعنَ في خاصرة عبد اللّه بن معاوية، وكان مستضعفاً، وكان مع الضّحّاك فأسرَ، فلمّا أهوى له السيفَ وقد استردفه عبيدُ اللّه، واستغاث بعبيد اللّه، قال عبيد اللّه لعمرو: يدك يا لطيمَ الشيطان[٣]!

١٧٧٠ - [قولهم: ظل النعامة، وظل الشيطان]

ويقال للرَّجُل المفرط الطّول: يا ظلَّ النّعامة! وللمتكبِّر الضخم: يا ظلَّ الشيطان[٤]! كما قال الحجّاج لمحمد بن سَعْد بن أبي وقاص: بينا أنت، يا ظلَّ الشّيطان، أشدُّ النّاس كِبْراً إذْ صِرتَ مؤذِّناً لفلان[٥]!

وقال جريرٌ في هجائه شَبّةَ بن عِقال، وكان مُفْرط الطّول[٦]: [من الكامل]

فَضَح المنابرُ يَوْمَ يَسْلَحُ قائماً ظِلُّ النّعامةِ شَبّةُ بنُ عِقالِ

١٧٧١ - [قولهم: ظل الرمح]

فأما قولهم[٧]: «مُنينا بيوم كظلِّ الرمح» فإنّهم ليس يريدون به الطول فقط، ولكنّهم يريدون أنّه مع الطول ضيق غيرُ واسع.

---

(١) ديوان الراعي النميري ٤٩.

(٢) القول في ثمار القلوب (١٥٤)، والبرصان ٢٧٥، والبيان ١/٣١٥، وربيع الأبرار ١/٣٨٦. اللقوة: داء في الوجه يعوج منه الشدق. الشتر: انقلاب جفن العين وتشنجه.

(٣) الخبر في البيان ١/٣١٥، والبرصان ٢٧٥.

(٤) التمثيل والمحاضرة ٣٢٦، وثمار القلوب (١٥٣)، والمنتخب ٣٢٦.

(٥) ثمار القلوب (١٥٤)، ولطائف المعارف ٤٠، وتاريخ الطبري ٦/٣٧٦.

(٦) ديوان جرير ٩٦٢ (طبعة نعمان طه)، ٤٧١ (طبعة الصاوي)، وثمار القلوب (٦٤٩)، والبرصان ٩١، وأساس البلاغة (نعم)؛ ونسبه في المنتخب ٧٣، إلى جذيمة؟.

(٧) ورد القول في ثمار القلوب (٨٩٢).

وقال ابن الطّثرية[1]: [من الطويل]

وَيَوْمٍ كظِلِّ الرُّمحِ قَصَّرَ طُولَه ... دَمُ الزِّقِّ عنّا واصطِفاقُ المَزَاهِرِ[2]

قال: وليس يوجد لظلٍّ الشخص نهاية مع طلوع الشّمس.

١٧٧٢ - [التشبيه بالجن]

قال: وكان عمر بن عبد العزيز أوّلَ من نهى النّاسَ عن حمل الصِّبيان على ظهور الخيل يوم الحَلبة[3]، وقال: «تحمِلون الصِّبيان على الجِنّان؟».

وأنشد في تشبيه الإنس بالجن لأبي الجُوَيرِية العَبْدي: [من البسيط]

إنسٌ إذا أمنوا جِنٌّ إذا فزعوا ... مُرزَّؤُونَ بهاليلٌ إذا حَشَدوا[4]

وأنشدوا: [من الرجز]

وقلتُ واللّه لنَرحَلنّا ... قلائصاً تحسِبهنَّ جنا[5]

وقال ابن ذي الزوائد: [من المنسرح]

وَحَوْلي الشَّوْلُ رُزَّحاً شُسُباً ... بَكية الدَّرِّ حينَ تُمْتَصَرُ[6]
ولاذَ بي الكلبُ لا نُباحَ له ... يهرُّ مُحْرَنْجماً وينجَحِرُ[7]
بُحُورُ خَفْضٍ لمنْ ألمَّ بهِمْ ... جِنٌّ بأرماحِهِمْ إذا خطَروا[8]

---

(١) البيت ليزيد بن الطثرية في وثمار القلوب (٨٩٢)، وأساس البلاغة (رمح)، وله أو لشبرمة بن الطفيل في اللسان (صفق)، ولشبرمة بن الطفيل في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٢٦٩، وشرحها للتبريزي ٣/١٣٣، وبلا نسبة في ديوان المعاني ١/٣١١، والمستقصى ١/٢٢٩، والمعاني الكبير ٤٦٩.

(٢) دم الزق: أراد به الخمر. المزاهر: جمع مِزْهر؛ وهو العود الذي يضرب به.

(٣) الحلبة: الدفعة من الخيل في الرهان.

(٤) فزعوا: أغاثوا غيرهم. مرزؤون: يرزؤهم الناس أي يصيبون من مالهم. البهاليل: جمع بهلول، وهو العزيز الجامع لكل خير.

(٥) القلائص: جمع قلوص؛ وهي الفتية من الإبل. رحلها: شد عليها الرحال.

(٦) الشول: الإبل ارتفعت ألبانها. رزحاً: جمع رازح، وهو الذي سقط من الإعياء. الشسب: جمع شاسب؛ وهو النحيف اليابس. بكية: بكيئة، وهي التي قلّ لبنها. تمتصر: يحتلب ما بقي في ضرعها من لبن.

(٧) الهرير: نباح الكلب. احرنجم: انقبض. انجحر: دخل جحره.

(٨) الخفض: لين العيش وسعته.

وأنشدوا: [من الرجز]

إنّي امرؤٌ تابعَني شيطانِيَه ... آخيتهُ عُمْري وقد آخانيه
يشْرَبُ في قَعْبي وقد سقانِيَه ... فالحمدُ للّه الذي أعطانِيَه[1]
قرْماً وخُرْقاً في خُدودٍ واضيه ... تربَّعَتْ في عُقَد فالماويه[2]
بَقلاً نَضيداً في تِلاعٍ حاليه ... حتّى إذا ما الشّمْسُ مرَّتْ ماضيه[3]
قام إليها فتيةٌ ثمانيه ... فثوَّروا كلَّ مَرِيٍّ ساجيَه[4]
أخلافها لِذي الأكف مالِيَه[5]

١٧٧٣ - [موضع الجن]

وقال ابنُ الأعرابي: قال لي أعرابي مَرّة من غنيٍّ وقد نزلت به، قال: وهو أخفُّ ما نزلتُ به و أطيَبُه، فقلت: ما أطيب ماءكم هذا، وأعْذى[6] منزلكم! قال: نعم وهو بعيدٌ من الخَير كله، بعيد من العراق واليمامة والحجاز، كثير الحيات، كثير الجنان! فقلت: أتَروْنَ الجن؟ قال: نعم! مكانُهم في هذا الجبل - وأشار بيدهِ إلى جبل يقال له سُواج[7] قال: ثمَّ حدَّثني بأشياء.

١٧٧٤ - [ذكر الجن في الشعر]

وقال عبيد بن أوس الطائي[8] في أخت عَدي بن أوس: [من الكامل]

هلْ جاءَ أوساً ليلتي ونعيمها ... ومقامُ أوْسٍ في الخِباء الُمشْرَجِ[9]

---

(١) القعب: القدح.

(٢) القرم: الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة. الخُرق: جمع خرقاء، وهي التي يقع منسمها بالأرض قبل خفها لنجابتها. الواضية: من الوضاءة، وهي الحسن والبهجة. عقد: موضع بين البصرة وضرية. الماوية: ماء على طريق البصرة من النباح.

(٣) التلاع: جمع تَلعة، وهي ما انهبط من الأرض أو ما ارتفع. حالية: حليت بالنبت.

(٤) ثوّروها: بعثوها بعد بروكها. المري: الناقة التي تدر على من يمسح ضرعها. الساجية: الساكنة.

(٥) الأخلاف: جمع خلف، وهو الضرع. لذي الأكف: أي لهذه الأكف.

(٦) العذْي: الأرض الطَيبة التربة البعيدة من المياه.

(٧) سواج: جبل من جبال غني.

(٨) الأبيات لعبيد بن أوس الطائي في الحماسة البصرية ٢/١١٣-١١٤، ولجميل بن معمر في ديوانه ٤١-٤٢، ولعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٤٨٨، ولعروة بن أذينة في الكامل ١/١٧١ (المعارف)، وبلا نسبة في عيون الأخبار ٤/٩٣-٩٤.

(٩) المشرج: الذي ادخل بعض عراه في بعض.

ما زِلتُ أطوي الجنّ أسمع حسَّهُمْ ... حتّى دَفَعْتُ إلى ربيبة هودجِ
فوضعت كفّي عند مقطع خَصْرِها ... فتَنَفَّستْ بُهْراً ولمَّا تنهجِ[1]
فتناولتْ رأسي لتعرفَ مَسَّهُ ... بمخضّبِ الأطرافِ غيرِ مُشنّجِ[2]
قالتْ بعَيْشِ أخي وحُرمة والدي ... لأُنَبِّهَنَّ الحيّ إنْ لم تخرجِ
فخرجتُ خيفةَ قومها فتبسَّمَتْ ... فعلمْتُ أنّ يمينها لم تلججِ[3]
فلثمْت فاهَا قَابضاً بقُرونِها ... شُرْبَ النَّزيفِ ببردِ ماء الحشْرَجِ[4]

وأنشدني آخر[5]: [من الطويل]

ذَهَبْتُمْ فعُذْتُمْ بالأميرِ وقُلْتُمُ ... تركْنا أحاديثاً ولحماً مُوضَّعا[6]
فما زَادَني إلاّ سناءً ورفعةً ... ولا زادكُمْ في القوم إلاّ تخشُّعا
فما نفرتْ جِنّي ولا فُلَّ مِبردي ... وما أصبحت طيري من الخوفِ وُقَّعَا[7]

وقال حسّانُ بنُ ثابت، في معنى قولِه[8]: «ولله لأضربنّه حتّى أنزع من رأسه شيطانه»، فقال[9]: [من المتقارب]

وداويةٍ سَبْسَبٍ سَمْلَقٍ ... منَ البيد تَعْزفُ جنّانُها[10]
قطَعْتُ بِعَيْرانةٍ كالفَنيـ ... ـقِ يَمْرَحُ في الآلِ شَيْطانُها[11]

فجمع في هذا البيت تثبيت عزيف الجن، وأنَّ المراح والنشاط والخُيلاء والغرب[12] هو شيطانُها.

---

(١) البُهر: انقطاع النفس من الإعياء، تنهج: تواتر نفسها من شدة الحركة.
(٢) المشنج: المتقبض.
(٣) اللجج: التمادي والإصرار.
(٤) القرون: الضفائر من الشعر. النزيف: الذي عطش حتى جف لسانه ويبست عروقه. الحشرج: الماء الجاري على الحجارة.
(٥) الأبيات لموسى بن جابر الحنفي في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١ / ١٤٠، والثالث في اللسان (جنن)، والتاج (وقع).
(٦) الموَضّع: المنضد بعضه على بعض، اي هم كاللحم المنضد يطمع فيه الناس.
(٧) أراد بالجن: القلب، وبالمبرد: اللسان.
(٨) هذا القول لعمر بن الخطاب كما سيأتي ص ٤١٦ .
(٩) ديوان حسان بن ثابت ١ / ٢٣٩ (دار صادر)، ولم يرد البيتان في ديوان حسان (طبعة الصاوي).
(١٠) الداوية: الفلاة الواسعة. السبسب: القفر البعيدة. السملق: المستوية الجرداء. عزيف الجن: أصواتها.
(١١) العيرانة: النشيطة من الإبل. الفنيق: الفحل المكرم من الإبل. الآل: السراب.
(١٢) الغرب: الحدة والنشاط.

وأبينُ منْ ذلك قولُ منظور بن رواحة[1]: [من الطويل]

أتاني وأهْلي بالدِّماخ فغمرةٍ مَسبُّ عويفِ اللؤم حيِّ بني بدرِ
فلمّا أتاني ما يقولُ ترقّصت شياطينُ رأسي وانْتشَيْنَ من الخَمْرِ

١٧٧٥ - [من المثل والتشبيه بالجن]

ومن المثَل والتّشبيه قولُ أبي النّجم[2]: [من الرجز]

وقام جِنّيُّ السَّنام الأميَلِ وامْتَهَدَ الغاربَ فِعْلَ الدُّمَّلِ[3]

وقال ابن أحمر[4]: [من الوافر]

بهَجْلٍ من قساً ذفر الخُزامَى تداعى الجربياءُ به الحنينا
تكسَّرَ فوقه القَلَعُ السَّواري وجُنَّ الخازِبازِ به جُنونا

وقال الأعشى[5]: [من الخفيف]

وإذا الغيثُ صَوْبُه وضع القدْ حَ وجُنَّ التِّلاعُ والآفاقُ
لم يزدهم سفاهَةً شُرُبُ الْخمْـ ـرِ ولا اللهوُ بينهُم والسِّباق

وقال النابغة[6]: [من البسيط]

وخَيِّس الجِنَّ إنِّي قد أذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدمُرَ بالصُّفَّاح والعَمَدِ[7]

١٧٧٦ - [إضافة البناء العجيب إلى الجن]

وأهلُ تدمُر يزعمون أنّ ذلك البناء [بُنيَ][8] قبل زمن سليمان، عليه السلام،

---

(١) البيتان في ثمار القلوب (١٤٩)، ومعجم الشعراء ٢٨٢، وتقدما في ١/١٩٩، الفقرة (٢٢٨).

(٢) الرجز لأبي النجم العجلي في ديوانه ١٨٠، والطرائف الأدبية ٥٩. والأول في اللسان (جنن)، والتاج (طير، دمل، جنن)، والأساس (جنن، طير)، والثاني في اللسان (مهد)، والتاج (مهد، دمل)، والجمهرة ٢٨٥، والمقاييس ٢/٣٠٣، ٣/١٥٩، ٥/٢٨٠، وبلا نسبة في اللسان (دمل)، والتهذيب ١٤/١٣٦، والجمهرة ١١٦٦، والعين ٤/٣٢، ٨/٤٨، وديوان الأدب ٢/٣٩٩.

(٣) امتهد: انبسط وارتفع. الغارب: أعلى مقدم السنام. الدمل: واحد الدماميل وهي القروح.

(٤) ديوان عمرو بن أحمر ١٥٩، وتقدم البيتان مع تخريج وافٍ في ٣/٥٥، الفقرة (٦٠٤).

(٥) ديوان الأعشى، وتقدم البيتان في ٣/٥٦، الفقرة (٦٠٤).

(٦) ديوان النابغة الذبياني ٢١، واللسان والتاج (عمد، دمر)، والعين ٤/٢٨٨، ٨/٤٠، والجمهرة ٥٤١، والتهذيب ٢/٢٥٢، وثمار القلوب (١٢٦).

(٧) في ديوانه: «قوله: وخيّس الجن؛ أي ذللهم. ومنه سمي السجن مخيّسا. الصفاح: حجارة كالصفائح عراض. تدمر: مدينة بالشام، فيها بناء لسليمان بن داود عليهما السلام. العمد: أساطين الرخام؛ وهي السواري».

(٨) إضافة من ثمار القلوب (١٢٦) حيث ورد هذا الزعم.

بأكثرَ مما بيننا اليوم وبين سليمان بن داود عليهما السلام قالوا: ولكنّكم إذا رأيتمْ بنياناً عجيباً، وجهلتم موضع الحِيلة فيه، أضفْتُموه إلى الجنِّ، ولم تعانوه بالفكر.

وقال العَرْجيُّ[1]: [من البسيط]

سدّتْ مسامعـها بفرْجٍ مراجِـل مِنْ نَسْج جِنٍّ مثله لا يُنسَجُ[2]

وقال الأصمعيُّ[3]: السيوف المأثورة هي التي يقال إنها من عمل الجن والشياطين لسليمان بن داود عليهما السلام. فأمّا القوارير والحمامات، فذلك ما لا شك فيه. وقال البعيث[4]: [من البسيط]

بَنَى زِيادٌ لذكْرِ اللـه مَصْنَعَةً من الْحجارة لم تُعملْ من الطِّين[5]
كأنَّها، غير أنّ الإنـسَ ترفَعُها مما بنتْ لسليمانَ الشياطين

وقال المقنَّع الكِنْديُّ[6]: [من البسيط]

وفي الظّعائنِ والأحْداجِ أمْلَحُ منْ حَلَّ العراقَ وَحَلَّ الشامَ واليَمنَا[7]
جنِّيَّةٌ منْ نَسَاءِ الإنسِ أحسَنُ منْ شَمْسِ النّهار وبَدْرِ اللّيلِ لو قُرِنَا
مَكتومةُ الذكرِ عندي ما حييتُ لَها قَدْ لَعَمْري مَلِلتُ الصَّرمَ والحَزَنَا

وقال أبو النَّجم[8]: [من الرجز]

أدرك عـقـلاً والرهـان عملـه كأنّ تُرْبَ القاع حينَ تَسحَلُه[9]
صيقُ شياطيـنَ زَفَتْهُ شَمْألـهْ[10]

وقال الأعشى[11] في المعنى الأوّل، من بناء الشياطين لسليمان بن داود عليهما السلام: [من الطويل]

---

(١) البيت في ثمار القلوب (١٢٦)، وديوان العرجي ٦١.
(٢) الفُرْج: الثوب شُقّ من خلفه. المراجل: ثياب عليها صور الرجال.
(٣) ورد هذا القول في اللسان ٤/٩ (ثفر)، دون ذكر الأصمعي، وتقدم في ١/١٠١، الفقرة (١٢٠).
(٤) البيتان في ثمار القلوب (١٢٦-١٢٧)، والأول في اللسان والتاج (صنع). والبيت الثاني فيه إقواء.
(٥) المصنعة: ما تصنعه الناس من الآبار والأبنية والقصور.
(٦) ديوان المقنع الكندي ٢١٥، والشعر والشعراء ٧٣٩ - ٧٤٠.
(٧) الظعينة: الهودج تكون فيه المرأة. الأحداج: جمع حدج، وهو مركب نحو الهودج.
(٨) ديوان أبي النجم ١٦٦، ١٧١، وديوان المعاني ٢/١٠٩.
(٩) تسحله: تقشره وتنحته.
(١٠) الصيق: الغبار. زفته: طردته واستخفته. الشمال: ريح الشمال.
(١١) ديوان الأعشى ٢٦٧، ومعجم البلدان ١/٧٦ (الأبلق)، وثمار القلوب (٧٥١)، ٢/٦٧ (تيماء)، والأول في اللسان والتاج (بلق)، والمخصص ٥/١٢٢، ١٦/٧٤، والثاني في اللسان والتاج (أزج).

أرى عَاديا الم يمنع الموْتَ ربَّه ... ووَرْدٌ بتيماءِ اليهوديِّ أبلقُ
بناهُ سُلَيمانُ بنُ داودَ حِقْبةً ... له جَنْدَلٌ صُمٌّ وطيٌّ موثَّقُ

١٧٧٧ - [مواضع الجن]

وكما يقولون[١]: قنفذ بُرْقة، وضبٌّ سحًا، وأرنب الخلَّة، وذئب خَمر فيفرقون بينها وبينَ ما ليست كذلك إمَّا في السِّمن، وإمّا في الخُبث، وإمَّا في القوة – فكذلك أيضاً يفرقون بين مواضع الجن. فإذا نَسبُوا الشّكل منها إلى موضعٍ معروف، فقد خَصُّوه من الخُبث و القُوة والعَرامة بما ليس لجملتهم وجمهورهم. قال لبيد[٢]: [من الكامل]

غُلْب تَشذّرُ بالذُّحولِ كأنّها ... جنُّ البَدِيِّ رواسِيًا أقدامُها[٣]

وقال النّابغة[٤]: [من الكامل]

سهكينَ مِنْ صَدإِ الحديدِ كأنَّهُمْ ... تحتَ السَّنَوَّرِ جِنَّةُ البقّارِ[٥]

وقال زهير[٦]: [من الطويل]

عَلَيْهِنَّ فِتيانٌ كَجِنّةِ عَبقَرٍ ... جديرون يوماً أن يُنيفوا فيَسْتعلوا

وقال حاتم[٧]: [من الطويل]

عليهنّ فِتْيانٌ كَجِنّة عبقر ... يهزُّون بالأيدي الوشِيجَ المقوّما[٨]

---

(١) انظر ما تقدم ص ٣٧٨ .

(٢) ديوان لبيد ٣١٧، والخزانة ٩/٥١٥، ٥١٦، ٩١٩، واللسان (شذر)، والعين ٦/٢٤٩، والمعاني الكبير ٨١٦، وسر صناعة الإعراب ١٣، والأزهية ٢٨٧، وثمار القلوب (٣٧٧).

(٣) في ديوانه: «غلب: غلاظ الأعناق. تشذر: تهدد وتتوعد. الذحول: الأحقاد. البدي: موضع؛ وهو واد لبني عامر».

(٤) ديوان النابغة الذبياني ٥٦، وثمار القلوب (٣٧٧)، واللسان والتاج (سهك)، والتهذيب ٦/٨، ١٢/٣٩٦، والجمهرة ١١٨٩، ١٣٢٢، والمقاييس ١/٢٨٠، ٣/١١٠، والعين ٣/٣٧٣، والمجمل ١/٢٨٣، والأساس (سنر)، وبلا نسبة في اللسان والتاج (سنر)، والمخصص ١١/٢٠٧.

(٥) في ديوانه: «سهكين: أي عليهم سهكة الحديد، وهي الرائحة المتغيرة. السَّنَوَّر: ما كان من حَلَقٍ؛ وقيل: هو السلاح التام. البقّار: هو اسم رمل كثير الجن، وهو من أدنى بلاد طيئ إلى بني فزارة. وإنما شبههم بالجن لنفوذهم في الحرب».

(٦) ديوان زهير ٨٧، وثمار القلوب (٣٧٧)، واللسان (جدر، عبقر)، والتاج والأساس (جدر)، والتهذيب ٢/٢٩٣، ١٠/٦٣٥.

(٧) البيت لحاتم الطائي في ثمار القلوب (٣٧٧)، وربيع الأبرار ١/٣٨٣، ولم يرد في متن ديوانه، وأورده محقق الديوان في حاشية الصفحة ٢٢٥، نقلاً عن مختارات ابن الشجري.

(٨) الوشيج: الرماح.

ولذلك قيل لكلِّ شيء فائق، أو شديدٍ: عبقري.

وفي الحديث، في صفة عمر رضي الله عنه « فلم أر عبقريًّا يفري فَرِيّه »[١].

قال أعرابي: ظلمني والله ظُلماً عبقريًّا[٢].

١٧٧٨ - [مراتب الجن]

ثمَّ ينزلون الجن في مراتب. فإذا ذكروا الْجِنّيَّ سالماً قالوا: جني. فإذا أرادوا أنّه ممن سكن مع النَّاس قالوا: عامر، والجميع عُمّار. وإنْ كان ممن يعرض للصبيان فهُمْ أرواح. فإن خبُث أحدُهم وتعرَّم فهو شيطان، فإذا زاد على ذلك فهو مارد. قال الله عز ذكره: ﴿ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ ﴾[٣] فإن زاد على ذلك في القوَّة فهو عفريت، والجميع عفاريت. قال الله تعالى: ﴿قال عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أنَا آتيكَ بِهِ قبْلَ أنْ تَقُومَ منْ مقامِك ﴾[٤].

وهم في الجملة جنٌّ وخوافي. قال الشاعر[٥]: [من البسيط]

ولا يُحَسُّ سِوى الخافي بها أثَرُ

فإن طهَرَ الجني ونَظُف ونَقِيَ وصار خيراً كلُّه فهو مَلَك، في قول من تأول قوله عز ذكره: ﴿ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسقَ عَنْ أمْرِ رَبِّهِ ﴾[٦] على أنّ الجنَّ في هذا الموضع الملائكة.

وقال آخرون: كان منهم على الإضافة إلى الدّار والدّيانة، لا على أنّه كان من جنْسهم. وإنّما ذلك على قولهم سليمان بن يزيد العدوي، وسليمان بن طرْخان التّيمي، وأبو علي الحرمازي، وعَمْرو بن فائد الأسواري، أضافوهم إلى المحالّ، وتركوا أنسابهم في الحقيقة.

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة برقم ٣٤٣٤، وأحمد في المسند ٢/٢٨، ومسلم في فضائل الصحابة ٢٣٩٣، وانظر عمدة الحفاظ ٣/٢٥ (عبقر)، ٣/٢٢٥ (فري).

(٢) ربيع الأبرار ١/٣٨٣.

(٣) ٧/ الصافات: ٣٧.

(٤) ٣٩/ النمل: ٢٧.

(٥) صدر البيت: (يمشي ببيداء لا يمشي بها أحدٌ)، والبيت لأعشى باهلة في اللسان (خفا)، والتاج (خفي)، وبلا نسبة في التهذيب ٧/٥٩٧، والجمهرة ١٠٥٥.

(٦) ٥٠/ الكهف: ١٨.

١٧٧٩ - [استطراد لغوي]

وقال آخرون: كلُّ مُستْجِنٍ فهو جنّيٌّ، وجانّ، وجنين. وكذلك الولدُ قيل له جنينٌ لكونه في البطْن واستجنانه. وقالوا للمّيت الذي في القبر جنين. وقال عمْرو بن كلثوم[١]: [من الوافر]

ولا شمْطاءُ لم تَدعِ المنايا لها منْ تِسْعَةٍ إلاّ جنينا

يُخبر أنّها قد دَفَنَتْهُم كلُّهم.

١٧٨٠ - [طبقات الملائكة]

قالوا: وكذلك الملائكة، من الحَفَظة، والحمَلة، والكَرُوبيّينَ[٢]. فلا بدّ من طبقات. وربُّما فُرِّق بينهم بالأعمال، واشتُقَّ لهم الاسمُ من السّبب كما قالُوا لواحدٍ من الأنبياء: خليل اللّه، وقالوا لآخر: كليم اللّه، وقالوا لآخر: روح اللّه.

١٧٨١ - [مراتب الشجعان]

والعرب تُنزل الشُّجعاء في المراتب. والاسم العامُّ شجاع، ثمَّ بطلَ، ثم بُهْمة، ثم ألْيَس. هذا قول أبي عبيدة.

فأمّا قولهم: شيطان الحماطة، فإنّهم يعنون الحيّة. وأنشد الأصمعي[٣]: [من الطويل]

تُلاعِبُ مَثْنى حَضْرَميٌّ كأنّهُ تَعمُّجُ شيطان بذي خِرْوَعٍ قَفْرِ

وقد يُسَمُّون الكِبر والطغيان، والخُنْزُوانة، والغضبَ الشّديدَ شيطاناً، على التّشبيه. قال عمر بن الخطاب، رضي اللّه تعالى عنه[٤]: «واللّه لأنزِعَنّ نُعْرتَه، ولأضربنَّه حتى أنزع شيطانه من نخرته».

---

(١) ديوان عمرو بن كلثوم ٨١، وشرح القصائد العشر ٣٣٠، وشرح القصائد السبع ٣٨٤، والمخصص ١٦/١٦، ونسب إلى الأعشى في اللسان (جنن)، وهو بلا نسبة في التاج (جنن).

(٢) الكروبية: سادة الملائكة، منهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل، وهو من الكرْب بمعنى القرب، لأنهم أقرب الملائكة إلى حملة العرش. وفي ديوان أمية بن أبي الصلت ٣٧٠:
(ملائكة لا يفترون عبادةً كَروبيةٌ منهم ركوعٌ وسُجَّدُ)

(٣) تقدم البيت في ٤/٣٢٤ منسوباً إلى طرفة، وليس في ديوانه. وتقدم بلا نسبة في ١/١٩٨، الفقرة (١٢٠) مع تخريج وافٍ.

(٤) تقدم حديث عمر بن الخطاب في ١/١٠١، الفقرة (١٢٠)، و١/١٩٧، الفقرة (٢٢٨)، و٣/١٦٧، الفقرة (٨٠٠)، وفي هذا الجزء ص ٤١١، الفقرة (١٧٧٤).

١٧٨٢ - [مراتب الجن]

والأعراب تجعل الخوافِي والمستجنّات، من قبل أن ترتِّب المراتب، جنسين، يقولون جِنّ وحنّ، بالجيم والحاء. وأنشدوا[١]: [من الرجز]

أبيتُ أهْوي في شياطينَ تُرِنّ مختلفٍ نجواهمُ حِنٌّ وجنّ[٢]

ويجعلون الجنّ فوق الحنّ. وقال أعشى سليم: [من الطويل]

فما أنا منْ جِنٍّ إذا كنتُ خافياً ولستُ من النَّسْناسِ في عنصرِ البَشَرْ

ذهب إلى قول من قال: البشر ناسُ ونسناس، والخوافي حنّ وجنّ. يقول: أنا من أكرم الجِنسين حيثما كنت.

١٧٨٣ - [شيطان ضعفة النُّسّاك]

وضَعَفة النسّاك وأغبياءُ العُبّاد، يزعمون أنّ لهم خاصّة شيطاناً قد وُكِّل بهم، ويقال له «المذهب» يُسْرِج لهم النِّيران، ويُضيء لهم الظُّلْمة ليفتنهم وليريهم العجب إذا ظنُّوا أنّ ذلك من قِبَل الله تعالى.

١٧٨٤ - [شيطان حفظة القرآن]

وفي الحديث أنّ الشّيطانَ الذي قد تفرّد بحفظة القرآن يُنْسِيهم القرآن، يسمى خَنْزَب[٣]، وهو صاحب عثمان بن أبي العاص.

١٧٨٥ - [شيطان الخبل]

قال: وأما الخابل والخَبَل، فإنما ذلك اسمٌ للجنّ الذين يخبلون النّاسَ بأعيانهم، دون غيرهم. وقال الشّاعر[٤]: [من الطويل]

تناوح جِنّان بهنّ وخُبَّلُ

كأنّه أخْرج الذين يخبلون ويتعرَّضون، ممّن ليس عنده إلاّ العزيف والنّوح. وفصل أيضاً لبيدٌ بينهم فقال[٥]: [من الطويل]

---

(١) الرجز لمهاصر بن المحل في اللسان (حنن)، وبلا نسبة في التاج (حنن)، والجمهرة ١٠٢.

(٢) الإرنان: التصويت.

(٣) في النهاية ٢/٨٣: (في حديث الصلاة «ذاك شيطان يقال له خنزب» قال أبو عمرو: وهو لقب له. والخنزب قطعة لحم منتنة، ويروى بالكسر والضم).

(٤) صدر البيت: (تبدَّلَ حالاً بَعْدَ حالٍ عَهِدْتُهُ)، وهو لأوس بن حجر في ديوانه ٩٤، والتاج (خبل).

(٥) البيت للبيد في البرصان ١٤، وانظر ملحق ديوانه ٣٦٤-٣٦٥، وهو لعامر بن الطفيل في العقد الفريد ٥/٢٣٥، والنقائض ١/٤٦٩، وقد قال البيت يوم فيف الريح.

أعاذلُ لو كان النِّداد لقُوتلوا ... ولكنْ أتانا كُلُّ جنّ وخابلِ

وقد زعم ناسٌ أنَّ الخبلَ والخابل ناس. قالوا: فإذا كان ذلك كذلك، فكيف يقول أوس بن حجر[1]: [من الطويل]

تناوح جِنّان بهن وخُبّلُ

١٧٨٦ - [استطراد لغوي]

قالوا: وإذا تعرَّضَت الجنّيّة وتلوَّنتْ وعَبِثت فهي شيطانة، ثم غُول. والغُول في كلام العرب الدَّاهية. ويقال: لقد غالَتْهُ غول. وقال الشاعر: [من البسيط]

تقول بيتي في عزٍّ وفي سعَةٍ ... فقدْ صدقْتَ ولكنْ أنت مدخولُ
لا بأسَ بالبَيْتِ إلاّ ما صنعت به ... تَبْني وتَهْدِمُه هدًّا له غولُ

وقال الرَّاجز: [من الرجز]

والحربُ غولٌ أو كشبه الغُولِ ... تُزَفُّ بالرّايات والطُّبول
تَقْلِبُ للأوتارِ والذُّحُولِ ... حِملاقَ عَيْنٍ ليس بالمكْحُولِ[2]

١٧٨٧ - [زواج الجن بالأعراب]

ومن قول الأعراب أنهم يظهرون لهم، ويكلِّمونهم، ويناكحونهم. ولذلك قال شمر بن الحارث الضّبي[3]: [من الوافر]

ونارٍ قد حضأتُ بُعَيْدَ هَدْءٍ ... بدارٍ لا أُريدُ بها مُقامَا
سوى تَحْليلِ راحلةٍ وعينٍ ... أُكالئُها مخافَة أنْ تناما
أتَوْا نَاري فقلتُ منونَ قالوا ... سراةُ الجنِّ قلتُ عموا ظلاما
فقُلْتُ إلى الطَّعامِ فقالَ منْهُمْ ... زعيمٌ نحسد الإنسَ الطَّعاما

وذكر أبو زيدٍ عنهم أن رجلاً منهم تزوج السِّعلاة، وأنها كانت عنده زماناً، وولدت منْه، حتَّى رأت ذات ليلة بَرْقاً على بلاد السَّعالي، فطارَتْ إليهنّ، فقال[4]: [من الوافر]

---

(١) انظر الحاشية الرابعة في الصفحة السابقة.

(٢) الأوتار: جمع وِتر، وهو الثأر. الذحول: جمع ذحل، وهو الثأر. الحملاق: باطن جفن العين.

(٣) تقدمت الأبيات في ٤ / ٥٠٠، مع نسبتها إلى سهم بن الحارث.

(٤) تقدّم قول أبي زيد مع البيت في ١ / ١٢١، الفقرة (١٤٦)، وأضف إلى مصادر البيت: شرح شواهد الإيضاح ٢٢٥، والخصائص ٢ / ١٩، ورصف المباني ١٤٦، واللسان (أهل).

رأى بَرْقاً فأَوْضعَ فوقَ بَكْرٍ فلا بكِ ما أسال وما أغامَا

فمن هذا النِّتاج المشترك، وهذا الخلْقِ المركَّب عندهم، بنو السِّعلاة، من بين عمرو بن يربوع، وبلقيسُ ملكة سبأ. وتأوَّلوا قول الشاعر[1]: [من الرجز]

لاهُمّ إنَّ جُرْهُماً عبادُكا النّاس طِرْفٌ وهُمُ تِلادُكا

فزَعموا أن أبا جُرهمٍ من الملائكة الذين كانوا إذا عصوا في السَّماء أُنزلوا إلى الأرض[2]، كما قيل في هاروت وماروت. فجعلوا سُهيلاً عشّاراً مُسِخ نجماً، وجعلوا الزُّهرة امرأة بغيًّا مُسِخت نجماً، وكان اسمها «أناهيد».

وتقول الهند في الكوكب الذي يسمّى «عُطارِدَ» شبيهاً بهذا.

١٧٨٨ - [المخدومون]

ويقول الناس: «فلانٌ مخدوم» يذهبون إلى أنّه إذا عَزَم على الشَّياطين والأرواح والعُمَّار أجابوه وأطاعوه. منهم عبد اللّه بن هلال الحميريّ، الذي كان يقال له صديق إبليس[3]. ومنهم كرباش الهنديّ، وصالح المديبري.

١٧٨٩ - [شروط إجابة العامر للعزيمة]

وقد كان عبيد مُجّ يقول: إن العامر حريصٌ على إجابة العزيمة، ولكنّ البدنَ إذا لم يصلُحْ أن يكون له هيكلاً لم يستطعْ دخوله. والحيلةُ في ذلك أن يتبخَّرَ باللبان الذّكر، ويراعي سَيْرَ المشتري، ويغتسلَ بالماء القراح، ويدعَ الجماعَ وأكلَ الزُّهُومات[4]، ويتوحّش في الفيافي، ويُكثر دخول الخرابات، حتى يرقَّ ويلطف ويصفو ويصير فيه مشابهُ من الجنّ، فإن عزم عند ذلك فلم يُجب فلا يعودنّ لمثلها فإنه ممَّن لا يصلح أن يكون بدنه هيكلاً لها، ومتى عاد خُبط فربما جُنّ، وربما مات.

قال: فلو كنت ممَّن يصلح أن يكون لهم هيكلاً لكنت فوق عبد اللّه بن هلال.

---

(١) تقدم الرجز في ١/١٢٣، الفقرة (١٤٧)، وهو لعمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي في شرح القصائد السبع للأنباري ٢٥٥.

(٢) تقدم هذا الزعم في ١/١٢٢-١٢٣، الفقرة (١٤٧).

(٣) انظر ما تقدم في ص ٤٠٣.

(٤) الزهومة: ريح اللحم السمين المنتن.

١٧٩٠ - [رؤية الجن وسماع همهمتهم]

قال الأعراب: وربما نزلنا بجمعٍ كثير، ورأينا خياماً وقباباً،وناساً، ثم فقدناهم من ساعتنا.

والعوامّ ترى أنّ ابن مسعود، رضي اللّه عنه، رأى رجالاً من الزُّطّ فقال: «هؤلاء أشبه من رأيت بالجنّ ليلة الجنّ».

قال: وقد رُوي عنه خلاف ذلك.

وتأوّلوا قوله تعالى: ﴿وأنَّه كانَ رِجالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرجالٍ مِنَ الْجِنِّ فزادُوهُمْ رَهَقاً﴾[١]. ولم يُهلك الناس كالتأويل.

ومما يدلُّ على ما قُلنا قولُ أبي النّجم، حيث يقول[٢]: [من الرجز]

بحيثُ تُستنُّ مع الجنّ الغُولُ

فأخرج الغول من الجنّ، للذي بانَتْ به من الجنّ.

وهكذا عادتهم: أن يُخرجوا الشيء من الجملة بعد أنْ دخَلَ ذلك الشيء في الجملة، فيظهر لأمر خاصّ.

وفي بعض الرِّواية أنهم كانوا يسمعون في الجاهلية من أجواف الأوثان همهمة، وأن خالد بن الوليد حين هدم العُزَّى رمته بالشّرَر حتى احترق عامّةُ فخذه، حتى عادهُ النبيّ ﷺ.

وهذه فتنةٌ لم يكن اللّه تعالى ليمتحنَ بها الأعراب وأشباه الأعراب من العوامّ. وما أشك أنه قد كانتْ للسَّدنة حِيَلٌ وألطاف لمكان التكسُّب.

ولو سمعت أو رأيت بعض ما قد أعدّ الهِنْدُ من هذه المخاريق[٣] في بيوت عباداتهم، لعلمت أنّ اللّه تعالى قد مَنَّ على جملة الناس بالمتكلِّمين، الذين قد نشؤوا فيهم.

١٧٩١ - [افتتان بعض النصارى بمصابيح كنيسة قمامة]

وقد تَعْرِف ما في عجايز النصارى وأغمارهم[٤]، من الافتنان بمصابيح كنيسة

---

(١) ٦/ الجن: ٧٢، وسيكرر الجاحظ الآية ص ٤٢٨ مع عرض رأي أصحاب التفسير.

(٢) ديوان أبي النجم العجلي ٢٠٩.

(٣) المراد بالمخاريق: ألاعيب المشعوذين.

(٤) الأغمار: جمع غمر، وهو الذي لم يجرب الأمور.

قمامة. فأما علماؤُهم وعقلاؤُهم فليسوا بمتحاشِين من الكذب الصِّرف، والجراءة على البُهتان البَحْت. وقد تعوَّدُوا المكابرة حتى دربوا بها الدَّرب الذي لا يفطن له إلاّ ذو الفِراسة الثّابتة، والمعرفة الثّاقبة.

١٧٩٢ - [إيمان الأعراب وأشباههم بالهواتف]

والأعرابُ وأشباهُ الأعراب لا يتحاشَون من الإيمان بالهاتف، بل يتعجَّبون ممن ردَّ ذلك[١]. فمن ذلك حديث الأعشى بن نبّاش بن زرارة الأسدي، أنه سمع هاتفاً يقول[٢]: [من الطويل]

لقد هَلَكَ الفيَّاضُ غيثُ بني فِهْرِ ... وذُو الباعِ والمجْدِ الرَّفيعِ وذو الفخرِ

قال: فقلتُ مجيباً له: [من الطويل]

ألا أيُّها الناعي أخا الجود والنّدَى ... مَن المرْءُ تَنْعاهُ لنا من بين فِهْرِ

فقال: [من الطويل]

نَعيْت ابن جدْعان بن عمروٍ أخا النَّدى

وذا الحسب القُدْمُوس والحسب القهرِ[٣]

وهذا الباب كثير.

قالوا: ولنَقل الجنّ الأخبارَ علمَ الناس بوفاة الملوك، والأمور المهمة، كما تسامعُوا بموت المنصور بالبصرة في اليوم الذي تُوفي فيه بقرب مكة. وهذا الباب أيضاً كثير.

١٧٩٣ - [من له رئيٌّ من الجن]

وكانوا يقولون: إذا ألف الجنّي إنساناً وتعطَّف عليه، وخبّره ببعض الأخبار، وجد حِسّه ورأى خياله، فإذا كان عندهم كذلك قالوا: مع فلان رَئيٌّ من الجن. وممن يقولون ذلك فيه عمرو بن لُحيّ بن قَمَعة، والمأمور الحارثي، وعتيبة بن الحارث بن شهاب، في ناسٍ معروفين من ذوي الأقدار، من بين فارس رئيس، وسيِّد مُطاع.

---

(١) انظر مروج الذهب ٢ / ٣٩٥، الباب الخمسون.

(٢) الأبيات في آكام المرجان ١٤٠، والاشتقاق ١٤٢-١٤٣.

(٣) القدموس: القديم.

فأما الكهّان[1]: فمثل حارثة جهينة[2]، وكاهنة باهلة، وعُزّى سلمة، ومثل شِقّ، وسَطيح، وأشباههم.

وأما العرّاف، وهو دون الكاهن، فمثل الأبلق الأسدي، والأجلح الزهري، وعروة ابن زيد الأسدي، وعرّاف اليمامة رباح بن كَحْلة[3]، وهو صاحب بنت المستنير البلتعي، وقد قال الشاعر[4]: [من الطويل]

فقلت لعراف اليمامة داوِني ... فإنَّك إنْ أبرَأتني لَطبيبُ

وقال جُبَيهاء الأشجعيّ: [من الوافر]

أقامَ هَوى صفيَّة في فؤادي ... وقد سيَّرتُ كلَّ هوى حبيبَ
لكَ الخيراتُ كَيْفَ مُنحتَ وُدّي ... وما أنا منْ هَواك بذي نَصيبَ
أقولُ وعروةُ الأسَديُّ يرقي ... أتاك برُقْيةِ المَلِق الكذوبَ
لَعَمْرُك ما التّناؤبُ يا ابن زيدٍ ... بشافٍ من رُقاكَ ولا مُجيبَ
لَسَيْرُ النّاعجات أظنُّ أشفى ... لما بي منْ طبيب بني الذّهوبِ[5]

وليس البابُ الذي يدّعيه هؤلاء من جنس العيافة والزّجر، والخطوط، والنّظر في أسرار الكفّ، وفي مواضع قرض الفار، وفي الخيلان في الجسد، وفي النظر في الأكتاف، والقضاء بالنجوم، والعلاج بالفكر.

وقد كان مُسيلمة يدّعي أن معه رئيًّا في أوّل زمانه، ولذلك قال الشّاعر، حين وَصَفَ مخاريقه وخُدَعه: [من الطويل]

بِبَيْضةِ قارورٍ ورايةِ شادنٍ ... وخُلةِ جِنّيّ وتوصيلِ طائرِ[6]

---

(١) ثمار القلوب (٢٠٢)، ومروج الذهب ٢/٣١١، والبيان ١/٢٨٩-٢٩٠، وربيع الأبرار ٤/٣٤١-٣٤٢.

(٢) في ثمار القلوب ومروج الذهب (حازية جهينة)، وفي البيان (حازي جهينة).

(٣) في ثمار القلوب (رياح بن كحيلة)، وفي مروج الذهب (رباح بن عجلة).

(٤) البيت لعروة بن حزام في ديوانه ٩٤، والخزانة ٣/٢١٤، واللسان والتاج (عرف)، ومصارع العشاق ١/٣١٨، والأغاني ٢٤/١٥٥، وبلا نسبة في المخصص ٥/٨٦، وثمار القلوب (٢٠٠)، ومروج الذهب ٢/٣١١.

(٥) الناعجات: الإبل البيض، أو السريعة.

(٦) تقدم مثل هذا البيت في ٤/٣٦٩، ٣٧٤، وأوضح الجاحظ أمر البيضة في ٤/٣٧٠. وتحدث عن توصيل ريش الطائر في ٤/٣٧١-٣٧٣.

ألا تراه ذكر خُلّة الجني.

١٧٩٤ - [تعرض الشّقّ للمسافرين وإهلاكه لهم]

ويقولون[١]: ومن الجنّ جنسٌ صورةُ الواحد منهم على نصف صورة الإنسان، واسمه شِقّ، وإنّه كثيراً ما يعرض للرّجُل المسافر إذا كان وحْدَه، فربَّما أهلَكه فزعاً، وربما أهلَكه ضرباً وقتلاً.

قالوا[٢]: فمن ذلك حديثُ علقمة بن صفْوان بن أميَّة بن محرِّث الكناني، جدّ مروان بن الحكم، خرج في الجاهلية، وهو يريد مالاً له بمكة، وهو على حمار، وعليه إزارٌ ورداء، ومعه مقْرعة، في ليلةٍ إضْحيانة، حتى انتهى إلى موضعٍ يقال له حائط حزمان، فإذا هو بشقّ له يدٌ ورجل، وعينٌ، ومعه سيف، وهو يقول: [من الرجز]

عَلْقَمُ إنِّي مقتولْ وإن لحمي مأكولْ
أضْرِبُهُمْ بالهذْلولْ ضربَ غلامٍ شُملولْ[٣]
رحبِ الذّراع بُهلولْ

فقال علقمة:

يا شِقَّها مالي ولك اغمدَ عنّي مُنْصُلك[٤]
تَقْتُل مَنْ لا يقتلك

فقال شِقّ:

عَبيت لك عَبيتُ لك كيما أُتيحَ مَقْتلك
فاصبر لما قَدْ حُمَّ لَكْ

قال: فضرب كلٌّ واحد منهما صاحبه، فخرَّا ميِّتين، فممَّن قتلت الجنّ علقمةُ ابن صفوان هذا، وحَرْب بن أميّة.

قالوا: وقالت الجنّ[٥]: [من الرجز]

وقَبْرُ حَرْبٍ بمكانٍ قفر وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ[٦]

---

(١) الخبر في مروج الذهب ٢/٢٩٦، وربيع الأبرار ١/٣٧٩.
(٢) الخبر مع الرجز التالي في مروج الذهب ٢/٢٩٦، والخبر وحده في ربيع الأبرار ١/٣٧٩-٣٨٠.
(٣) الهذلول: عنى به سيفه. الشملول: أراد به الخفيف السريع.
(٤) اغمد: أراد اغمدن. المنصل: السيف.
(٥) الرجز في مروج الذهب ٢/٢٩٧، وربيع الأبرار ١/٣٨٠، والعمدة ١/٢٦١، والدر المصون ٧/٦٧٥، ومعاهد التنصيص ١/١٢، والبيان ١/٦٥.
(٦) يجوز في «قفر» الرفع على القطع، والجر على الصفة.

قالوا(١): ومن الدَّليل على ذلك، وعلى أنَّ هذين البيتين من أشعار الجن أن أحداً لا يستطيع أن ينشدَهما ثلاث مرات متصلة، لا يَتتَعْتع فيها، وهو يستطيع أن يُنشد أثْقل شعر في الأرض وأشقَّه عشْر مرّات ولا يَتعْتعُ.

١٧٩٥ - [ذكر من قتلته الجنّ أو استهوته]

قال(٢): وقتلت مِرْداسَ بن أبي عامر، أبا عبّاس بن مرداسٍ(٣)، وقتلت الغريضَ خنْقاً بعد أن غنَّى بالغناء الذي كانوا نهَوه عنه، وقتلت الجنُّ سعد بن عُبادة بن دُلَيم، وسمعوا الهاتف يقول(٤): [من الهزج]

نحن قتَلْنا سيِّد الخزْر ... ج سَعْد بن عُباده
رَمَيْناه بِسَهمين ... فَلَمْ نُخْطِ فُؤادَهُ

واستهوَوا سِنانَ بن أبي حارثة ليستفحلوه، فمات فيهم. واستهووا طالب بن أبي طالب، فلم يوجد له أثرٌ إلى يومنا هذا(٥).

واستهووا عَمرو بن عَديٍّ اللَّخميّ الملك، الذي يقال فيه(٦): «شَبّ عَمْرٌو عن الطّوق»، ثمَّ ردُّوه على خاله جَذيمة الأبرش، بعد سنين وسنين.

واستهوَوا عمارة بن الوليد بن المغيرة، ونفخوا في إحليله فصار مع الوحش(٧).

ويروون عن عبد اللّه بن فائد بإسنادٍ له يرفعه، أنّ النبي ﷺ قال: «خرافة رَجُل من عُذْرةَ استهوتْه الشّياطين»، وأنّه تحدَّث يوماً بحديثٍ فقالت امرأةٌ من نسائه: هذا من حديث خُرافة! قال: «لا، وخُرافةُ حقٌّ»(٨).

---

(١) انظر المصادر في الحاشية السابقة.

(٢) مروج الذهب ٢/ ٢٩٧.

(٣) تقدم في ٣/ ٢٣٧، الفقرة (٩٠٠): «ويزعمون أن ثلاثة نفرٍ هاموا على وجوههم فلم يوجدوا: طالب بن أبي طالب، وسنان بن أبي حارثة، ومرداس بن أبي عامر».

(٤) البيتان في ربيع الأبرار ١/ ٣٨٠. والمعارف ٢٥٩، والعمدة ١/ ١٤٢، واللسان (خزم)، والتاج (قتل، خزم).

(٥) تقدم الخبر في ٣/ ٢٣٧، الفقرة (٩٠٠)، ورسائل الجاحظ ٢/ ٣٧٣.

(٦) المثل في مجمع الأمثال ٢/ ١٣٧، والفاخر ٧٣، والمستقصى ٢/ ٢١٤، وأمثال ابن سلام ٢٩٧، وجمهرة الأمثال ١/ ٥٤٧، وانظر مروج الذهب ٢/ ٢١٥-٢١٧، ورسائل الجاحظ ٢/ ٣٧٢-٣٧٣.

(٧) رسائل الجاحظ ٢/ ٣٧٣.

(٨) تقدم الحديث في ١/ ١٩٩، الفقرة (٢٢٩)، وانظر كشف الخفا للعجلوني ١/ ٣٧٧، وربيع الأبرار ١/ ٣٨٢.

١٧٩٦ - [طعام الجن]

ورووا عن عُمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، أنّه سأل المفقود الذي استهوته الجن: ما كان طعامهم؟ قال: الفول. قال: فما كان شرابهم؟ قال: الجدف[١].

ورووا أن طعامهم الرِّمة وما لم يذكر اسمُ اللّه عليه.

ورووا عن النبي ﷺ - والحديث صحيح - أنه قال[٢]: «خَمِّروا آنيتكم، وأوكئوا أسقيتكم وأجيفُوا الأبواب، وأطفئوا المصابيح، واكفُفُوا صِبيانكم، فإن للشّياطين انتشاراً وخَطْفة».

١٧٩٧ - [ضرب المثل بقبح الشيطان]

وقد قال الناس في قوله تعالى: ﴿إنّها شَجَرةٌ تَخرُجُ في أصْلِ الجحيم. طلْعُها كأنَّهُ رُؤُوس الشَّياطِين﴾[٣]، فزعم ناس أنّ رؤوس الشياطين ثمر شجرةٍ تكون ببلاد اليمن، لها منظر كريه.

والمتكلّمون لا يعرفون هذا التَّفسير، وقالوا: ما عنى إلاّ رؤُوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم، من فَسَقة الجن ومَرَدتهم. فقال أهل الطَّعن والخلاف: كيف يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نرَه فنتوهَّمه، ولا وُصِفت لنا صورته في كتابٍ ناطق، أو خبر صادق. ومخرج الكلام يدلُّ على التخويف بتلك الصُّورة، والتفزيع منها. وعلى أنّه لو كان شيءٌ أبلغَ في الزَّجر من ذلك لذكَرَه. فكيف يكون الشَّأن كذلك، والناس لا يفزعون إلاّ من شيء هائل شنيعٍ، قد عاينوه، أو صوّره لهم واصفٌ صدوقُ اللسان، بليغٌ في الوصف. ونحن لم نعاينها، ولا صوَّرها لنا صادق. وعلى أنَّ أكثر الناس من هذه الأمم التي لم تعايشْ أهل الكتابين وحَمَلَة القرآن من المسلمين، ولم تسمع الاختلاف لا يتوهَّمون ذلك، ولا يقفون عليه، ولا يفزعون منه. فكيف يكون ذلك وعيداً عاماً؟!

قلنا[٤]: وإن كنّا نحن لم نر شيطاناً قطّ ولا صوّر رؤوسها لنا صادقٌ بيده، ففي

---

(١) الحديث في النهاية ١/٢٤٧، وتقدم في ١/١٩٩، الفقرة (٢/٢٢٩). وفي النهاية: «الجدف: نبات يكون باليمن لا يحتاج آكله معه إلى شرب ماء».

(٢) تقدم الحديث في ٤/٢٩١، ٥/١٢١.

(٣) ٦٥/ الصافات: ٣٧.

(٤) ورد قول الجاحظ في ثمار القلوب ٥٧ (١٥١).

إجماعهم على ضرْب المثل بقُبح الشيطان، حتَّى صاروا يضعُون ذلك في مكانين: أحدهما أن يقولوا: «لهو أقبح من الشيطان»، والوجه الآخر أن يسمَّى الجميلُ شيطاناً، على جهة التطيُّر له، كما تُسمَّى الفرسُ الكريمةُ شَوهاء، والمرأة الجميلة صَمّاء، وقرناء، وخَنْساء، وجرباء وأشباه ذلك، على جهة التطيُّر له. ففي إجماع المسلمين والعرب وكلٍّ من لقيناهُ على ضرْب المثل بقُبْح الشيطان، دليلُ على أنه في الحقيقة أقبحُ من كل قبيح.

والكتابُ إنَّما نزل على هؤلاء الذين قد ثبّت في طبائعهم بغاية التثبيت.

وكما يقولون: «لهو أقبحُ من السحر»، فكذلك يقولون، كما قال عمر بن عبد العزيز لبعض من أحسنَ الكلام في طلب حاجته - «هذا والله السِّحر الحلال».

وكذلك أيضاً ربّما قالوا: «ما فلانٌ إلا شيطان» على معنى الشّهامة والنَّفاذ وأشباه ذلك[1].

١٧٩٨ - [صفة الغول والشيطان]

والعامّة تزعم أنَّ الغول تتصوَّر في أحسن صورة إلا أنه لا بدَّ أن تكون رِجْلُها رجلَ حمارٍ[2].

وخبَّروا عن الخليل بن أحمد، أنّ أعرابيًّا أنشده[3]: [من البسيط]

وحافر العَير في ساقٍ خَدَلَّجةٍ   وجفنِ عينٍ خلاف الإنسِ في الطولِ[4]

وذكروا أنّ العامَّة تزعم أنّ شقَّ عين الشيطان بالطول. وما أظنُّهم أخذوا هذين المعنيين إلاّ عن الأعراب.

١٧٩٩ - [ردّ على أهل الطعن في الكتاب]

وأما إخبارهم عن هذه الأمم، و عن جهلها بهذا الإجماع والاتِّفاق والإطباق، فما القول في ذلك إلاّ كالقول في الزَّبانِية وخزنةِ جهنَّم، وصُورِ الملائكة الذين

---

(١) بعد هذا في ثمار القلوب (١٥١): «لذلك قالوا لأبي حنيفة: شيطان خرج من البحر». وانظر التمثيل والمحاضرة ٣٢٦.

(٢) في مروج الذهب ١/٢٨٩ «ويزعمون أن رجليها رجلا عير».

(٣) البيت بلا نسبة في مروج الذهب ٢/٢٩١.

(٤) الخدلجة: الضخمة الممتلئة.

يتصوّرون في أقبح الصُّور إذا حضروا لقبْض أرواحِ الكفار، وكذلك في صور مُنكر ونكير، تكون للمؤمن على مثال، وللكافر على مثال.

ونحن نعلم أنّ الكفار يزعمون أنهم لا يتوهّمون الكلامَ والمحاجَّةَ من إنسان ألقي في جاحِم أتُّون فكيف بأن يُلَقى في نار جهنّم؟! فالحجّة على جميع هؤلاء، في جميع هذه الأبواب، من جهةٍ واحدة. وهذا الجوابُ قريبٌ. والحمد للّه.

وشقُّ فم العنكبوت بالطول. وله ثماني أرجل.

١٨٠٠ - [سكنى الجن أرض وبارٍ]

وتزعم الأعرابُ أن اللّه عزّ ذكره حين أهلك الأُمة التي كانت تسمَّى وبار، كما أهلك طسْماً، وجَديساً، وأميماً، وجاسماً، وعملاقاً، وثموداً وعاداً - أنَّ الجنّ سكنت في منازلها وحمتها من كلِّ مَنْ أرادها، وأنّها أخصبُ بلاد اللّه، وأكثرها شجراً، وأطيبُها ثمراً، وأكثرها حبًّا وعنباً، وأكثرها نخلاً وموزاً. فإن دنا اليومَ إنسانٌ من تلك البلاد، متعمّداً، أو غالطاً، حَثوا في وجهه التراب، فإن أبى الرُّجوعَ خبلوه، وربّما قَتلوه.

والموضع نفسه باطل. فإذا قيل لهم: دُلُّونا على جهته، ووقّفونا على حدِّه وخلاكُم ذمٌّ - زعموا أنّ من أراد ألقي على قلبه الصَّرْفة، حتَّى كأنهم أصحابُ موسى في التِّيه. وقال الشاعر[1]: [من الطويل]

وداعٍ دعا واللَّيلُ مرخٍ سُدوله ... رجاءَ القِرى يا مُسْلِمَ بن حمارِ
دعا جُعَلاً لا يهتدِي لمقيله ... من اللؤم حتّى يهْتدي لوَبَارِ

فهذا الشاعرُ الأعرابيُّ جعل أرض وبارٍ مثلاً في الضلال. والأعراب يتحدّثون عنها كما يتحدّثون عمّا يجدونه بالدَّوّ والصَّمّان، والدهناء، ورمل يبرين. وما أكثر ما يذكرون أرض وبارٍ في الشِّعر، على معنى هذا الشاعر[2].

قالوا: فليس اليومَ في تلك البلاد إلاّ الجنُّ، والإبلُ الحُوشيَّة.

---

(١) تقدم البيتان في ٥/٢١٦.

(٢) من ذلك قول أبي النجم: (حذارِ من أرماحنا حذارِ ... أو تجعلوا دونكم وبارِ)
وقول الأعشى: (وكرّ دهر على وبارِ ... فهمدت جمهرةً وبارُ)
انظر ما بنته العرب على فعال ٥٠-٥١.

١٨٠١ - [الحوشية من الإبل]

والحوشُ من الإبل عندهم هي التي ضربتْ فيها فحولُ إبل الجن. فالحوشِيَّة من نَسْل إبل الجن. والعيديَّة، والمَهْرية، والعَسْجديّة، والعُمانية، قد ضربت فيها الحوش. وقال رُؤبة[١]: [من الرجز]

جَرَّت رَحانا من بلاد الحوشِ

وقال ابن هريم: [من الطويل]

كأنّي على حُوشيَّةٍ أو نَعامةٍ لها نَسبٌ في الطَّيرِ وهو ظليمُ

وإنما سمَّوا صاحبة يزيد بن الطَّثرية «حُوشيّة» على هذا المعنى.

١٨٠٢ - [التحصُّن من الجنّ]

وقال بعضُ أصحاب التفسير في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ من الإنسِ يَعُوذونَ بِرِجالٍ من الْجِنّ فزادُوهُمْ رَهقاً﴾[٢]: إنَّ جماعة من العرب كانوا إذا صاروا في تيه من الأرض، وتوسَّطوا بلاد الحُوش، خافوا عبث الجنَّان والسَّعالي والغيلان والشياطين، فيقوم أحدهم فيرفع صوته: إنا عائذرن بسيِّد هذا الوادي! فلا يؤذيهم أحدٌ، وتصير لهم بذلك خفارة[٣].

١٨٠٣ - [الصرع والاستهواء][٤]

وهم يزعمون أن المجنون إذا صرعَتْه الجنّيّةُ، وأنّ المجنونةَ إذا صرعها الجنيّ - أنّ ذلك إنما هو على طريق العشْق والهوى، وشهوة النِّكاح، وأن الشيطان يعشق المرأة منّا، وأنَّ نظْرته إليها من طريق العُجب بها أشدُّ عليها من حُمّى أيام، وأنّ عين الجانّ أشدُّ من عين الإنسان.

قال: وسمع عمرو بن عُبيد، رضي اللّه عنه، ناساً من المتكلّمين يُنْكِرون صَرْع الإنسان للإنسان، واستهواء الجنّ للإنس، فقال وما ينكرون من ذلك وقد سمعوا قول

---

(١) ديوان رؤبة ٧٨، واللسان والتاج والأساس (حوش)، والتهذيب ٥/١٤٢، والمجمل ٢/١٢٢، والمقاييس ٢/١١٩، وتقدم في ١/١٠٣، نهاية الفقرة (١٢٢).

(٢) ٦/ الجن: ٧٢.

(٣) خفارة: ذمة.

(٤) انظر هذه الفقرة في رسائل الجاحظ ٢/٣٧٢.

اللّه عزّ ذكره في أكَلة الرِّبا، وما يصيبهم يوم القيامة، حيث قال: ﴿الَّذينَ يأْكُلُونَ الرِّبا لا يقومُون إلاّ كما يَقُومُ الَّذي يَتخبَّطهُ الشَّيْطانُ منَ المَسِّ﴾[١]. ولو كان الشَّيطانُ لم يَخْبِطْ أحداً لما ذكر اللّه تعالى به أكلة الرّبا.

فقيل له: ولعلّ ذلك كان مرّةً فذهب. قال: ولعله قد كثر فازداد أضعافاً. قال: وما يُنكرون من الاستهواء بعد قوله تعالى: ﴿كالَّذي استهْوَتْهُ الشّياطينُ في الأرض حَيْرانَ﴾[٢].

١٨٠٤ - [زعم العرب أن الطاعون طعن من الشيطان]

قال[٣]: والعرب تزعم أن الطاعون طعنٌ من الشيطان، ويسمُّون الطَّاعون رماح الجنّ. قال الأسديُّ للحارث الملك الغسّاني[٤]: [من الوافر]

لَعَمْرِكَ ما خَشيتُ على أُبيٍّ رِماحَ بني مُقيِّدة الحمارِ
ولكني خَشيت على أُبيٍّ رِماحِ الجنِّ أو إياكَ حارِ

يقول: لم أكن أخاف على أُبيّ مع منعته وصرامته، أن يقتله الأنذال، ومن يرتبط العير دونَ الفَرس، ولكني إنما كنت أخافك عليه، فتكونُ أنت الذي تطعَنه أو يطعَنه طاعونُ الشّام.

وقال العُمانيّ يذكر دولة بني العبّاس[٥]: [من الرجز]

قد دَفع اللّه رِماح الجن وأذهب العذابَ والتَّجنِّي[٦]

وقال زيد بن جُندب الإياديّ[٧]: [من الطويل]

ولولا رِماحُ الجنِّ ما كان هزهم رِماح الأعادي من فصيح وأعجم

---

(١) ٢٧٥/ البقرة: ٢.
(٢) ٧١/ الأنعام: ٦.
(٣) ورد القول في ربيع الأبرار ٣/ ٣٨٢، وثمار القلوب (١٤١)، وتقدم في ١/ ٢٣٤.
(٤) البيتان للأسدي في ربيع الأبرار ١/ ٣٨٢-٣٨٣، ولفاختة بنت عدي في الأغاني ١١/ ٢٠٠، والحماسة البصرية ١/ ٢٧٠، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١٩٨، وبلا نسبة في مجالس ثعلب ٥٧٤، والكتاب ٢/ ٣٥٧، والأساس (رمح)، واللسان (رمح، قيد، حمر)، والتاج (رمح، قيد)، وثمار القلوب ٥٣ (١٤٣)، وتقدم البيتان في ١/ ٢٣٤، الفقرة (٢٥٢).
(٥) الرجز في ثمار القلوب ٥٣ (١٤٢).
(٦) بعد الرجز في ثمار القلوب: «يريد أن ما كان بنو مروان يفعلونه من مطالبة الناس بالأموال، وتعذيب عمّال الخراج بالتعليق والتجريد والمسالّ قد ذهب».
(٧) البيت لزيد بن جندب الأيادي في أساس البلاغة (رمح).

ذهب إلى قول أبي دؤاد[1]: [من الخفيف]

سُلِّط الموتُ والمنونُ عليهم   فلهم في صَدى المَقابر هــامُ

يعني الطاعون الذي كان أصاب إياداً.

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنّه ذكر الطّاعون فقال[2]: «هو وَخْزٌ من عَدُوِّكم»: وأنَّ عَمْرو بن العاص قام في النّاس في طاعون عَمَواس فقال[3]: «إنّ هذا الطاعون قد ظهر، وإنما هو وخْزٌ من الشَّيطان، ففِرّوا منه في هذه الشِّعاب».

وبلغ مُعاذ بن جبَلٍ، فأنكر ذلك القول عليه.

١٨٠٥ - [تصور الجنّ والغيلان والملائكة والناس]

وتزعم العامَّة أنّ اللّه تعالى قد مَلّك الجن والشياطين والعُمَّار والغيلانَ أنْ يتحوّلوا في أيِّ صورة شاؤوا، إلاّ الغول، فإنّها تتحوَّل في جميع صُورة المرأة ولباسها، إلاّ رجليها، فلا بُدَّ من أن تكون رجليْ حمار[4].

وإنما قاسُوا تصوُّر الجنِ على تصوُّر جبريل عليه السلام في صورة دَحْية بن خليفة الكلبي[5]، وعلى تصوُّر الملائكة الذين أتوا مريم[6]، وإبراهيم، ولوطاً، وداود عليهم السلام في صورة الآدميِّين، وعلى ما جاء في الأثر من تصوُّر إبليس في صورة سُراقة بن مالك بن جعْشم[7]، وعلى تصوّره في صورة الشيخ النجدي[8]. وقاسوه على تصوُّر مَلَكَ الموت إذا حضر لقبض أرواح بني آدم، فإنه عند ذلك يتصوّر على قدر الأعمال الصالحة والطالحة.

قالوا[9]: وقد جاء في الخبر أنّ من الملائكة من هو في صورة الرِّجال، ومنهم

---

(١) ديوان أبي دؤاد ٣٣٩، والأصمعيات ١٨٧، واللسان (منن، صدى)، والتاج (منن)، والتهذيب ٣٠٢/٣، وبلا نسبة في التاج (هيم)، واللسان (هوم).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٩٥/٤، ٤١٣، من رواية أبي موسى الأشعري، وتقدم في ٢٣٤/١.

(٣) ورد حديث عمرو بن العاص في ثمار القلوب ٤٣ (١٤١)، والنهاية ١٦٣/٥.

(٤) تقدم القول ص ٤٢٦، وانظر مروج الذهب ٢٨٩/٢.

(٥) جاء جبريل على صورته في غزوة بني قريظة. انظر ثمار القلوب (١٣٨).

(٦) إشارة إلى الآية ١٧ من سورة مريم ﴿فأرسَلْنا إليها رُوحَنا فَتَمثَّلَ لها بشراً سَوِيّاً﴾.

(٧) ثمار القلوب (١٣٨)، وطبقات ابن سعد ٣٦٦/٤، ٩٠/٥، والإصابة ٦٩/٣ (رقم ٣١٠٩).

(٨) انظر ما تقدم ص ٣٩٩.

(٩) ورد هذا القول في ربيع الأبرار ٣٧٢/١.

من هو في صورة الثِّيران، ومنهم من هو في صورة النسور. ويدلُّ على ذلك تصديقُ النبي ﷺ لأميّة بن أبي الصّلت، حين أُنشِد(١): [من الكامل]

رَجُلٌ وثَوْرٌ تحت رِجْلِ يمينه   والنَّسْر للأُخرى ولَيْثٌ مُرْصدُ

قالوا: فإذ قد استقام أن تختلف صُورهم وأخلاط أبدانهم، وتتفق عقولهم وبيانهم واستطاعتهم، جاز أيضاً أن يكون إبليس والشّيطان والغول أن يتبدلوا في الصُّور من غير أنْ يتبدلوا في العقل والبيان والاستطاعة.

قالو: وقد حوَّل اللّه تعالى جعفر بن أبي طالب طائراً، حتى سماه المسلمون الطّيّار(٢)، ولم يخرجْه ذلك من أن نراه غداً في الجنة، وله مثلُ عقل أخيه علي رضي اللّه عنهما، ومثل عقل عمه حمزة رضي اللّه تعالى عنه، مع المساواة بالبيان والخلق.

١٨٠٦ - [أحاديث في إثبات الشيطان]

قالوا: وقد جاء في الأثر النهي عن الصّلاة في أعطان الإبل، لأنّها خلقت من أعنان الشياطين(٣).

وجاء أنّ النبيَّ ﷺ نَهى عن الصَّلاة عند طلوع الشَّمس حتى طلوعها، فإنّها بين قرني شيطان(٤).

وجاء أنَّ الشياطين تُغلّ في رمضان.

فكيف تنكر ذلك مع قوله تعالى في القرآن. ﴿والشَّياطينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغوَّاص. وآخَرينَ مُقَرَّنينَ في الأصفادِ﴾(٥).

ولشهرة ذلك في العرب، في بقايا ما ثبتوا عليه من دين إبراهيم عليه السّلام، قال النابغة الذبياني(٦): [من البسيط]

---

(١) ديوان أمية بن أبي الصلت ٣٦٥.

(٢) انظر ما تقدم ١/٢٦، س١٤-١٥، ٣/١١٢، الفقرة (٦٩٩).

(٣) في النهاية ٣/٣١٣: «لا تصلوا في أعطان الإبل؛ لأنها خلقت من أعنان الشياطين». أي كأنها من نواحي الشياطين في أخلاقها وطبائعها. وفي حديث آخر في النهاية ٣/٢٥٨: «صلّوا في مرابض الغنم ولا تصلوا في أعطان الإبل». وتقدم الحديث في ١/١٠١، الفقرة (١١٩).

(٤) النهاية ٢/٤٧٥، وتقدم في ١/١٠١، الفقرة (١٢٠).

(٥) ٣٧-٣٨/ ص: ٣٨.

(٦) ديوان النابغة الذبياني ٢٠-٢١، والأول في اللسان والتاج (حدد)، والعين ٨/٤٩، والمقاييس=

إلا سُلَيمانَ إذْ قال الإلهُ لَـهُ ... قُم في البَرِيَّة فاحْدُدْها عن الفَنَد[1]
وخيِّس الجنَّ إنِّي قدْ أذنتُ لَهُمْ ... يَبْنُون تَدْمُـر بالصُّفَّاح والعمـد[2]
فمنْ عصـاك فعاقِبْـهُ مُعاقبـةً ... تنهى الظّلوم ولا تقْعد علـى ضمدِ[3]

وجاء في قتل الأسود البهيم من الكلاب، وفي ذي النُّكْتتين، وفي الحية ذات الطُّفْيتين[4]، وفي الجانّ[5].

وجاء: «لا تشربوا من ثُلمة الإناء، فإنَّه كِفْل الشَّيطان»[6]. وفي العاقد شَعره في الصلاة: «إنَّه كِفْل الشيطان». وأن النبي ﷺ قال: «تراصُّوا بينكم في الصلاة، لا تتخللكم الشّياطين كأنّها بنات حذف»[7]. وأنَّه نهى عن ذبائح الجن[8].

وروَوا: «أن امرأة أتتْ إلى النبي ﷺ فقالت: إنّ ابني هذا، به جنونٌ يصيبه عند الغداء والعَشَاء قال: فمسح النبيّ ﷺ صدْرَه، فثعَّ ثعة فخرج من جوفه جروٌ أسود يسعى».

= ٢/٣، والمجمل ٢/٦، والتهذيب ٣/٤٢٠، وتقدم تخريج البيت الثاني ص٤١٢. والثالث في اللسان والتاج والأساس (ضمد)، والتنبيه والإيضاح ٢/٣٣، والمقاييس ٣/٣٧٠، وكتاب الجيم ٢/٢٠٣، والمجمل ٣/٢٨٩، والجمهرة ٦٥٩، والمخصص ١٣/٢٢، والتهذيب ١٢/٦، والعين ١/١٨٠، ٧/٢٤.

(١) في ديوانه: «احددها: امنعها. والفند: الخطأ في القول والفعل وغير ذلك مما يفند عليه صاحبه ويلام. ومعنى قوله: قم في البرية؛ أي انظر في مصالحها واجتهد في إرشادها».

(٢) تقدم شرح البيت ص ٤١٢.

(٣) في ديوانه: «الضمد: الذل والغيظ والحقد، وقيل: هو الظلم، وقيل: هو شدة الغضب والحقد، أي لا تنطوي على حقدٍ وغضب إلا لمن هو مثلك في الناس، أو قريب منك».

(٤) تقدم في ٢/٤٠٥، الفقرة (٤٦٩): «اقتلوا من الحيات ذا الطفيتين، والكلب الأسود البهيم ذا الغرتين».

(٥) في النهاية ١/٣٠٨ «نهى عن قتل الجنّان»، وهي الحيات تكون في البيوت، واحدها جان، وهو الدقيق الخفيف. والجانّ: الشيطان أيضاً.

(٦) في النهاية ١/٢٢٠، ٤/١٩٢: (وحديث النخعي «أنه كره الشرب من ثلمة القدح، وقال: إنها كفل الشيطان» أراد أن الثلمة مركب الشيطان، لما يكون عليها من الأوساخ).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٤٠٥، ٤٠٨، وهو في النهاية ١/٣٥٦. الحذف: هي الغنم الصغار الحجازية، واحدتها حَذَفة بالتحريك، وقيل: هي صغار جُرْدٌ ليس لها آذان ولا أذناب، يجاء بها من جُرَش اليمن.

(٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٢٨٩، وهو في النهاية ٢/١٥٣.

قالوا: وقد قضى ابن عُلاثة القاضي بين الجنّ، في دم كان بينهم بحكمٍ أقنعهم.

١٨٠٧ - [رجع إلى تفسير قصيدة البهراني]

ثم رجع بنا القولُ إلى تفسير قصيدة البهّراني(١):

أما قوله:

١٠ - «وتزوّجْتُ في الشبيبة غولاً بغزال وصَدْقتي زِقُّ خمرِ»

فزعم أنه جعل صداقها غزالا وزِقَّ خمر، فالخمر لطيب الرائحة، والغزالُ لتجعله مَرْكباً، فإنّ الظِّباء من مراكب الجنّ.

وأما قوله:

١١ - «ثيِّبٌ إن هَوِيتُ ذلك منها ومتى شئتُ لم أجِدْ غير بِكرِ»

كأنه قال: هي تتصوَّر في أيِّ صورةٍ شاءتْ.

١٨٠٨ - [شياطين الشعراء]

وأما قوله:

١٢ - «بنت عَمْرٍو وخالها مِسحل الخيـ ـر وخالي هُميمُ صاحب عَمْرِو»

فإنهم يزعمون(٢) أنّ مع كلِّ فحل من الشعراء شيطاناً يقول ذلك الفحلُ على لسانه الشعر، فزعم البهراني أنّ هذه الجنّية بنت عمرو صاحب المخبَّل، وأن خالها مِسْحل شيطان الأعشى. وذكر أن خاله هُمَيم، وهو همّام. وهمّام هو الفرزدق. وكان غالبُ بن صعصعة إذا دعا الفرزدق قال: يا هميم.

وأما قوله: «صاحب عمرو» فكذلك أيضاً يقال إن اسم شيطان الفرزدق عمرو. وقد ذكر الأعشى مِسْحلاً حين هجاه جُهُنّام فقال(٣): [من الطويل]

دَعَوْتُ خليلي مِسْحلاً ودعَوا له جُهُنّامَ جَدْعًا للهجين المذَمَّمِ

---

(١) تقدمت القصيدة ص ٣٥٨-٣٦٠.

(٢) من هنا حتى نهاية ص ٤٣٧ نقله الثعالبي بتصرف في ثمار القلوب (١٤٥-١٥٠).

(٣) ديوان الأعشى ١٧٥، واللسان والتاج (سحل، جهنم)، والتهذيب ٤/٣٠٨، وديوان الأدب ١/٣٠٠، وثمار القلوب (١٤٦).

وذكره الأعشى فقال[1]: [من الطويل]

حباني أخي الجنّيُّ نفسي فداؤُه ... بأفْيَحَ جَيَّاشِ العَشيّات مِرْجمِ[2]

وقال أعشى سُليم[3]: [من الطويل]

وما كان جِنّيُّ الفرزدقِ قدوةً ... وما كان فيهم مِثْلُ فَحْلِ المخبَّلِ

وما في الخوافي مثل عَمْرو وشيخِهِ ... ولا بعدَ عمرو شاعرٌ مثلُ مِسْحلِ

وقال الفرزدق[4]، في مديح أسد بن عبد اللّه: [من البسيط]

ليُبلغَنّ أبا الأشبال مدْحتنا ... مَنْ كان بالغُورِ أو مَرْوَيْ خُراسانا[5]

كأنّها الذّهب العقْيانُ حَبّرها ... لسانُ أشْعر خَلْقِ اللّه شيطانا[6]

وقال: [من الطويل]

فلو كنْتَ عنْدي يوم قوٌّ عذرْتني ... بيوم دهتْني جِنُّهُ وأخابلُه

فمن أجل هذا البيت، ومن أجل قول الآخر: [من الوافر]

إذا ما راعَ جارَتَهُ فلاقى ... خبالَ اللّه مِنْ إنس وجِنٍّ

زعموا أنّ الخابل النّاس.

ولما قال بشّار الأعمى[7]: [من الطويل]

دعاني شِنِقْناقٌ إلى خَلْفِ بكرةٍ ... فقلتُ: اتركنّي فالتفرُّدُ أحمدُ[8]

يقول: أحمدُ في الشعر أن لا يكون لي عليه معين – فقال أعشى سُليم[9] يردُّ عليه: [من الطويل]

---

(١) ديوان الأعشى ١٧٥، وثمار القلوب (١٤٦).

(٢) الأفيح: الواسع. وأراد سعة خطوه. المرجم: الذي يرجم الأرض بشدة وقع حوافرة.

(٣) البيتان في ثمار القلوب (١٤٨).

(٤) ديوان الفرزدق ٨٧٥، وثمار القلوب (١٤٨).

(٥) مروا خراسان هما: مرو الشاهجان؛ وهي قصبة خراسان، ومرو الروذ؛ وهي قريبة من مرو الشاهجان، وهي صغيرة بالنسبة إلى الأولى (معجم البلدان ٥/١١٢). الغور: جبال وولاية بين هراة وغزنة، وهي بلاد باردة واسعة موحشة (معجم البلدان ٤/٢١٨).

(٦) العقيان: الخالص.

(٧) ديوان بشار ٤/٥٣، وثمار القلوب (١٤٧).

(٨) في ثمار القلوب: «شيصبان وشنقناق: رئيسان عظيمان من الجن؛ بزعمهم».

(٩) البيت في ثمار القلوب (١٤٧).

إذا أَلِفَ الجنّيُّ قِرداً مُشَنَّفًا فقل لخنازير الجزيرةِ أَبْشري

فجزِع بشّارٌ من ذلك جزعاً شديداً، لأنّه كان يعلم مع تغزُّله أنَّ وجهه وجْهُ قردٍ. وكان أوّل ما عُرِف من جزعه من ذكر القِرد، الذي رأوا منه حين أنشدوه بيت حمّاد[1]: [من الهزج]

ويا أقبحَ مِن قِرْدٍ إذا ما عَمِيَ القِرْدُ

وأما قوله:

١٣ - «ولها خِطَّـةٌ بأرض وبـار مسَحُوها فكان لي نصْفُ شطرِ»[2]

فإنما ادّعى الرُّبع من ميراثها، لأنه قال:

٢١- «تركتْ عَبْدلاً ثمالَ اليتامـى وأخـوه مزاحـم كـان بكـري»

٢٢- «وَضَعَتْ تِسْعةً وكانتْ نَزوراً من نِساءٍ في أهْلِها غير نُزْرِ»[3]

وفي أنَّ مع كلِّ شاعر شيطانًا يقول معه، قول أبي النجم[4]: [من الرجز]

إني وكلّ شاعر من البَشرْ شيطانه أنْثى وشَيطاني ذكر

وقال آخر[5]:[من الرجز]

إني وإن كنتُ صغير السِّنّ وكان في العين نُبُوٌّ عنّي

فإنّ شيطاني كبير الجـنّ

١٨٠٩ - [كلاب الجن]

وأما قول عمرو بن كلثوم[6]: [من الوافر]

---

(١) البيت في طبقات ابن المعتز ٢٥، ٦٧، والأغاني ١٤/٣٣٣، ٣٢٩، والبيان ١/٣٠، والمؤتلف ٢٣٥، والشعر والشعراء ٧٥٨، وتقدم في ٤/٢٩٤

(٢) انظر ما تقدم من القول عن أرض وبار ص ٤٢٧.

(٣) النزور: القليلة الولد.

(٤) ديوان أبي النجم العجلي ١٠٤- ١٠٥، والأغاني ١٠/١٥٣، والحماسة البصرية ١/٨٠، وثمار القلوب (١٤٨)، والشعر والشعراء ٦٠٣، وديوان المعاني ١/١١٣، وتقدم الرجز في ١/١٩٨، الفقرة (٢٢٨).

(٥) الرجز لأمية بن كعب في الوحشيات ١١٩، وبلا نسبة في الخصائص ١/٢١٧، وثمار القلوب ٥٦ (١٤٨)، وتقدم في ١/١٩٨.

(٦) البيت من معلقته في شرح القصائد السبع ٣٩٠، والتاج (هقق)، وثمار القلوب (١٤٤)، وربيع الأبرار ١/٣٨٣، وتقدم في ١/٢٣٤.

وقد هَرَّتْ كلابُ الجنِّ منـا   وشَذَّبْنَا قتـادةَ من يلينـا

فإنهم يزعمون أنّ كلاب الجنِّ هم الشعراء.

١٨١٠ - [أرض الجن]

وأما قوله:

١٤- «أرض حُوشٍ وجاملٍ عَكَنَانٍ   وعُروجٍ من المؤبّلِ دَثْرِ»

فأرض الحوش هي أرضُ وَبارِ، وقد فسَّرنا تأويل الحوش[(١)]، والعَكَنَان: الكثير الذي لايكون فوقه عدد. قوله: «عروج» جمع عَرْج. والعَرْج: ألف من الإبل نقص شَيئًا أوْ زاد شيئًا. و«المؤبّل» من الإبل، يقال إبل مؤبَّلة، ودراهم مُدَرهمة، وبدَر مبدَّرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَالْقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ﴾[(٢)] وأما قوله: «دثر» فإنهم يقولون: مال دَثر، ومالٌ دَبْر، ومال حَوْم: إذا كان كثيراً.

١٨١١ - [استراق السمع]

وأما قوله:

١٦- «ونَفَوْا عَنْ حريمها كلَّ عِفْر   يسرقُ السَّمعَ كلَّ ليلةِ بَدْرِ»

فالعِفْر هو العفريت، وجعله لا يسرق السمع إلا جهاراً في أضوإ ما يكون البدر، من شدَّة معاندته، وفرط قوته.

١٨١٢ - [الشنقناق والشيصبان]

وأما قوله:

١٧ - في فُتُوٍّ من الشَّنقناق غُرٍّ   ونِساء من الزَّوابعِ زُهْرِ»

الزوابع: بنو زَوْبعة الجنّيّ، وهم أصحاب الرَّهج والقَتَام والتَّثوير وَقال راجزهم: [من الرجز]

إنّ الشياطين أَتوْني أربعهْ   في غَبَش الليل وفيهم زَوبعه

فأما شِنِقناق وشَيْصَبان، فقد ذكرهما أبو النجم[(٣)]: [من الرجز]

لابن شنقْناق وشَيْصَبَانِ

---

(١) انظر ما تقدم ص٤٢٧.

(٢) ١٤/ آل عمران: ٣.

(٣) ديوان أبي النجم ٢٢١.

فهذان رئيسان ومن آباء القبائل. وقد قال شاعرهم[1]: [من المتقارب]

إذا ما ترَعْرَعَ فينا الغلامُ ... فليس يقال له من هُوَهْ
إذا لم يَسُدْ قبل شدِّ الإزار ... فذلك فينا الذي لا هُوَهْ
ولي صاحبٌ من بني الشَّيصبا ... ن فطوراً أقولُ وطوراً هُوَهْ

وهذا البيت أيضًا يصلح أن يلحق في الدَّليل على أنهم يقولون: إن مع كلِّ شاعر شيطاناً. ومن ذلك قولُ بشَّار الأعمى[2]: [من الطويل]

دَعاني شِنِقْناقٌ إلى خَلْف بَكرَةٍ ... فقلت: اترُكَنِّي فالتَّفرُّدُ أحمدُ

١٨١٣ - [شياطين الشام والهند]

قال: وأصحاب الرُّقى والأُخذ والعزائم، والسِّحر، والشَّعبذة، يزعمون أنّ العدد والقوّة في الجنِّ والشياطين لنازلة الشام والهند، وأنَّ عظيم شياطين الهند يقال له: تنكوير[3]، وعظيم شياطين الشام يقال له: دركاذاب[3].

وقد ذكرهما أبو إسحاق في هجائه محمد بن يَسِير، حين ادّعى هذه الصناعة فقال: [من الخفيف]

قدْ لَعَمْري جمعتُ مِلْ آصَفيّا ... ت ومنْ سِفْر آدم والجراب[4]
وتفرَّدْتَ بالطوالق والهيـ ... كل والرُّهنَبَاتِ من كلِّ باب
وعَلمتَ الأسماء كَيْما تُلاقي ... زُحَلاً والمرِّيخَ فوق السّحاب
واستثَرْتَ الأرْوَاح بالبَحْر يأتيـ ... نَ لصرع الصَّحيح بَعْدَ المُصَاب
جامعًا من لطائف الدَّنْهَشيَّا ... ت كبوسًا نَمّقتَها في كِتاب[5]
ثم أحكمت متقن الكرويّا ... ت وفعل الناريس والنجاب
ثمَّ لم تُعْيك الشعابيذُ والخد ... مةُ والإحتفاءُ بالطلاب[6]
بالخواتيم والمناديل والسَّعْـ ... ـي بتنكوير ودركاذابِ

---

(١) الأبيات لحسان بن ثابت في ديوانه ٤٨٣-٤٨٤، وثمار القلوب ٥٥ (١٤٦)، واللسان (شصب)، ورسائل الجاحظ ١/٢٩٩، والجمهرة ٢٣٥، والمزهر ٢/٤٩٢.

(٢) تقدم البيت ص ٤٣٤.

(٣) ذكرهما الجاحظ في ١/٢٠٣، الفقرة (٢٣٣)، وانظر آخر الشعر التالي.

(٤) الآصفيات: نسبة إلى آصف كاتب سليمان عليه السلام.

(٥) الدنهشيات: نسبة إلى دنهش، أحد آباء الجن. انظر الفهرست ٣٤١.

(٦) لم تعْيك: لم تعجزك.

١٨١٤ - [قتل الغول بضربة واحدة]

وأما قوله:

٢٠ - «ضربَتْ فَردةً فصارت هَباءً ... في مُحاقِ القُمير آخر شَهْرِ»

فإنّ الأعرابَ والعامّة تزعُم أن الغول إذا ضربت ضَربةً ماتت، إلاّ أن يُعيد عليها الضّارب قبل أن تقْضي ضربة أخرى، فإنّه إن فعل ذلك لم تمُتْ. وقال شاعرهم: [من الكامل]

فَثنّيتُ والمِقدارُ يحرُسُ أهلَهُ ... فَلَيْتَ يميني قبل ذلك شلّتِ

وأنشد لأبي البلاد الطُّهَويّ[١]: [من الوافر]

لهَان عَلَى جهينةَ ما أُلاقي ... من الرَّوعاتِ يومَ رَحَى بطان[٢]

لَقيتُ الغُول تَسْري في ظلامٍ ... بسهبٍ كالعَباية صَحْصحَانَ[٣]

فقلتُ لها كلانا نقض أرْضٍ ... أخو سَفَرٍ فصُدِّي عن مَكاني[٤]

فَصدَّتْ وانتحَيْتُ لها بعَضْبٍ ... حُسامٍ غَيْرِ مُؤْتشَبٍ يمَاني[٥]

فقدَّ سَراتَها والبرك منها ... فخَرَّتْ لليدَين وللجران[٦]

فقالت زدْ فقلتُ رُوَيْدَ إنّي ... على أمثالها ثَبْتُ الجنَانَ[٧]

شدَدْتُ عِقالَها وحططتُ عنها ... لأنظُرَ غدوةً ماذا دهاني

إذا عينان في وَجْهٍ قبيحٍ ... كوَجه الهِرِّ مشقوق اللسان

ورِجْلا مُخْدَجٍ ولسان كَلبٍ ... وجلدٌ من فِراءٍ أو شِنانِ[٨]

وأبو البلاد هذا الطهوي كان من شياطين الأعراب، وهو كما ترى يكذِب وهو يَعلَم، ويُطيل الكذِب ويُحَبِّرُه. وقد قال كما ترى: [من الوافر]

---

(١) الأبيات لأبي البلاد الطهوي في الحماسة البصرية ٢ / ٣٩٧، وينسب بعضها إلى تابط شراً في نهاية الأرب ١ / ٤٠٥، وانظر الأغاني ٢١ / ١٣٤، ومعجم البلدان (رحى بطان).

(٢) رحى بطان: موضع في بلاد هذيل.

(٣) السهب: ما بعد من الأرض واستوى. العباية: العباءة. الصحصحان: ما استوى من الأرض.

(٤) النقض: المهزول.

(٥) المؤتشب: المخلوط، وأراد أنه خالص النسب.

(٦) السراة: الظهر. البرك: الصدر. الجران: باطن العنق.

(٧) الثبت: الثابت. الجنان: القلب.

(٨) المخدج: الناقص الخلق. الفراء: جمع فرو. الشنان: جمع شن، وهو القربة الخلق.

فقالت زِدْ فقلتُ رُوَيْد إنّي على أمثالها ثَبْتُ الجَنـانِ

لأنّهم هكذا يقولون، يزعمون أنّ الغول تستزيد بعد الضَّرْبة الأولى لأنّها تموت من ضربةٍ، وتعيشُ من ألْف ضرْبة[1].

١٨١٥ - [مناكحة الجنّ ومحالفتهم]

وأمّا قوله:

٢٣ - «غلبتني على النَّجابة عرسي بعد أنْ طالَ في النجابة ذكري

٢٤ - وأرى فِيهِمُ شمائِل إنسٍ غيرَ أنّ النّجارَ صُورةُ عِفرِ»

فإنَّه يقول: لما تركّب الولدُ منّي ومنها كان شبهُها فيه أكثر.

وقال عبيد بن أيُّوب[2]: [من الطويل]

أخو قَفراتٍ حَالَفَ الجِنَّ وانتفى مِنَ الإِنْس حتَّى قد تَقَضَّتْ وسائِلُهْ

له نَسَبُ الإنسيّ يُعرَفُ نَجْلُه وللجِنّ منه خَلْقه وشمائلُه

وقال[3]: [من الطويل]

وصارَ خليلَ الغُول بَعدَ عداوةٍ صَفيًّا وربَّتْه القِفَـارُ البسابِـسُ

فَليس بجِنّيٍّ فيُعْرَفَ نَجْله ولاَ أَنَسيٍّ تحتويه المجالِسُ

يظلُّ ولاَ يبدُو لشيءٍ نهارَه ولكنّه يَنْباعُ واللّيْلُ دامِسُ[4]

قال: وقال القَعقاع بنُ مَعْبَد بن زُرارة، في ابنه عوف بن القعقاع: واللّه لما أرى من شمائل الجنّ في عوف أكثر ممّا أرَى فيه من شمائل الإِنس!.

وقال مَسلمة بن محارب: حدّثني رجلٌ من أصحابنا قال: خرجنا في سَفرٍ ومعنا رجُلٌ، فانتهينا إلى واد، فدعَوْنا بالغَدَاء، فمدّ رجلٌ يدَه إلى الطعام، فلم يقدر عليه - وهو قبْلَ ذلك يأكلُ معَنا في كلِّ منزل - فاشتدّ اغتمامنا لذلك، فخرجنا نسأل عن حاله، فتلقَّانَا أعرابيٌّ فقال: ما لكم؟ فأخبرناه خبَر الرَّجُل، فقال: ما اسم

---

(١) ورد هذا القول في الحماسة البصرية ٢ / ٣٩٨.

(٢) البيتان في أشعار اللصوص ٢٢٥-٢٢٦، والحماسة البصرية ١ / ٣٦، والكامل ١ / ٢٠٠ (المعارف)، والوحشيات ٣٠، وديوان المعاني ١ / ١١٣.

(٣) الأبيات في أشعار اللصوص ٢٢٢، وحماسة البحتري ٤١١.

(٤) ينباع: ينطلق.

صاحبكم؟ قلنا: أسد قال: هذا وادٍ قد أخِذَتْ سباعه فارحلوا، فلو قد جاوزتم الواديَ استمرَى الرَّجُل وأكَل.

١٨١٦ - [مراكب الجن]

وأمَّا قوله[١]:

٢٥ - «وبها كنتُ راكبًا حشراتٍ ... مُلجمًا قُنفُذًا ومُسْرجَ وَبْـر
٣١ - وأجوبُ البلادَ تحتيَ ظبـيٌ ... ضاحكٌ سنُّه كثيرُ التمـرِّي
٣٢ - مُولجٌ دُبْرَهُ خَوَايَـة مَكْـوٍ ... وهو باللّيل في العفاريت يَسري»

فقد أخبرْنا في صدر هذا الكتاب[٢] بقول الأعراب في مطايا الجن من الحشرات والوحش.

وأنشد ابنُ الأعرابي لبعض الأعراب[٣]: [من الطويل]

كلَّ المطايا قد ركبنا فلم نجد ... ألَذَّ وأشهى مِنْ مذاكي الثَّعالب[٤]
وَمِنْ عنظوان صعبةٍ شمّرية ... تَخُبُّ برجْليها أمام الرَّكائب
ومنْ جُرَذٍ سُرْح اليدين مفرَّج ... يعوم برَحْلي بين أيدي المراكب[٥]
ومنْ فارةٍ تزداد عتْقًا وحدّةً ... تبرِّح بالخوصِ العتاق النَّجَائب[٦]
ومنْ كلِّ فتْلاء الذِّراعَين حُرَّة ... مدَرَّبة من عافيَات الأرانب[٧]
ومنْ وَرَل يغتالُ فضْلَ زمامـه ... أضَرَّ به طول السُّرى في السَّباسِب

قال ابنُ الأعرابي: فقلت له: أترى الجن كانت تركبُها، فقال: أحلفُ باللّه لقد كنتُ أجد بالظِّباء التَّوقيعَ في ظهورها؟ والسِّمة في الآذان. وأنشد[٨]: [مَن الطويل]

كلّ المطايا قد ركبنا فلم نجدْ ... ألذَّ وأشْهَى من رُكوب الجَنادِبِ

---

(١) يقصد قصيدة البهراني التي تقدمت ص ٣٥٩.
(٢) انظر ص ٣٤٠-٣٤١.
(٣) البيتان (١-٢) في التاج (عضرفط)، والعين ٢/٣٤٦، والأول في اللسان والتاج (سرب).
(٤) المذاكي: جمع مذكّي؛ وهو المسن.
(٥) السرح: المنسرح السهل. يعوم: يسرع في سيره.
(٦) العتق: السبق. الحدة: النشاط والسرعة. تبرح بها: تجهدها. الخوص: الإبل قد غارت عيونها.
(٧) الفتلاء: التي بان ذراعها عن جنبها. العافيات: الطويلات الشعر.
(٨) البيتان (١-٢) في الحماسة البصرية ٢/٣٩٩، والتاج (عضرفط، سرب)، واللسان (سرب)، والعين ٢/٣٤٦.

ومنْ عَضْرفوط حطَّ بي فاقمتهُ يبادِرُ وِرداً مِـن عظاءِ قـوارب(١)
وشرُّ مطايا الجنّ أرْنبُ خُلّةٍ وذئبُ الغضا أوقٌ على كلِّ صاحب(٢)
ولم أر فيها مِثْلَ قُنفُذ بُرْقةٍ يَقُودَ قطاراً مِـنْ عظـام العناكبِ

وقد فسَّرنا قولهم في الأرانب، لم لا تركـب، وفـي أرنـب الخَلّـة، وقنفذ البُرْقة.

وحدثني أبو نُواس قال: بكرتُ إلى المربَد، ومعي الواحي أطلبُ أعرابيًّا فصيحًا، فإذا في ظلِّ دار جعفر أعرابيٌّ لم أسمع بشيطان أقبَحَ منه وجهًا، ولا بإنسان أحسنَ منه عقلاً. وذلك في يومٍ لم أر كبرده برداً، فقلتُ له: هلاَّ قعدت في الشمس! فقال: الخَلْوة أحبُّ إليّ! فقلت له مازحًا: أرأيت القنفذَ إذا امتطاه الْجنيُّ وعلا به في الهواء، هل القنفذ يحمل الجنِّيّ أم الجنّيّ يحمل القنفذ؟ قال: هذا من أكاذيب الأعراب، وقد قلت في ذلك شعراً. قلت فأنشدْنيه. فأنشدَني بعد أن كان قال لي: قلت هذا الشعر وقد رأيت ليلة قنفذاً ويربوعًا يلَتمسان بعض الرِّزق: [من الطويل]

فما يُعجبُ الجنّانَ منك عَدمتَهم وفي الأُسْد أفراسٌ لهم ونجائبُ
أتُسرِج يربوعً وتُلجِم قُنفذاً لقَدْ أعوزَتهُمْ ما علمْتَ المراكبُ
فإن كانت الجنّانُ جُنّت فبالحَرى ولا ذَنْبَ للأقدار واللّه غالبُ
وما الناس إلا خادعٌ ومخدَّعٌ وصاحبُ إسْهَابٍ وآخر كاذب

قال: فقلت له: قد كان ينبغي أن يكون البيت الثالث والرابع بيت آخر. قال: كانت واللّه أربعين بيتًا، ولكنَّ الحطمة(٣) واللّه حَطمتها. قال: فقلت: فَهلْ قلت في هذا الباب غير هذا؟ قال: نعم، شيءٌ قلتُهُ لزوجتي، وهو واللّه عندها أصدقُ شيءٍ قلتُه لها: [من الطويل]

لقد ضاع سِرُّ اللّه يا أمَّ مَعْبدِ أراه سَميعًـا للسِّـرارِ كقنفـذِ(٤)

قال: فلم أصبر أن ضحِكْتُ. فغضب وذهب.

---

(١) العضرفوط: ضرب من العظاء، والعظاء جمع عظاية؛ وهي دويبة على خلق سام أبرص. الوِرْد: ما ورد من جماعة الطير والإبل. القوارب: جمع قارب، وهو طالب الماء ليلاً.
(٢) الخلة: ما فيه حلاوة من المرعى. الأوق: الثقل والشؤم.
(٣) الحطمة: السنة الجدب.
(٤) السرار: المسارة بالحديث.

١٨١٧ - [شعر فيه ذكر الغول]

ويكتب مع شعر أبي البلاد الطُّهوي: [من الطويل]

فمن لامَني فيها فَواجَه مثلَها ... على غـرَّة ألقَت عطافًا ومئـزرا[١]

لها ساعدًا غُولٍ، ورجلا نعامة ... ورأسٌ كمِسْحاة اليهُـودي أزعَرَا[٢]

وبَطْنٌ كأثناء المزادة رَفّعتْ ... جوانبُه أعكانَه وتَكَسَّرا[٣]

وثدْيان كالخُرْجين نيطت عُراهُما ... إلى جُؤجُؤٍ جاني الترائب أزْوَرَا[٤]

قال: كان أبو شيطان، واسمه إسحاق بن رَزِين، أحد بني السِّمط سِمْط جعدة ابن كعب، فأتاهم أميرٌ فجعل ينْكُب[٥] عليهم جَوراً، وجعل آخر من أهل بلده ينقب[٦] عليهم: أي يكون عليهم نقيباً، فجعل يقول: [من الرجز]

يا ذا الذي نَكَبَنَا ونَقَبا ... زَوّجَهُ الرَّحمن غُولاً عقْرَبا

جمّع فيها ماله ولبْلَبا ... لبالب التّيس إذا تَهَبْهبا[٧]

حتّى إذا ما استطربَتْ واستطربَا ... عاينَ أشنا خَلقِ ربّي زرْنبَا[٨]

ذات نواتين وسَلعٍ أُسْقِبَا[٩]

يعني فرجها ونواتها. يقول. لم تُخْتَن.

١٨١٨ - [جنون الجن وصرعهم]

وأما قوله[١٠]:

فإنْ كانت الجِنّان جُنّتْ فبالَحرى

---

(١) العطاف: الرداء.

(٢) المِسحاة: المجرفة من الحديد.

(٣) أثناء المزادة: ما تعوج منها. الأعكان: جمع عكنة، وهي طي البطن.

(٤) الجؤجؤ: الصدر. الجاني: من الجنأ، ورجل أجنأ: أقعس، وهو الذي خرج صدره ودخل ظهره. الترائب: أطراف أضلاع الصدر. الزَّوَر: ميل في وسط الصدر.

(٥) نكب عليهم: صار منكباً. والمنكب: العريف.

(٦) نقب عليهم: صار نقيباً. والنقيب: كالعريف على القوم الذي ينقب عن أحوالهم؛ أي يفتش.

(٧) لبالب الغنم: صوتها وجلبتها.

(٨) أشنأ: أقبح منظراً. الزرنب: فرج المرأة، أو لحم ظاهره.

(٩) السلع: الشق يكون في الجلد، وأراد به الفرج. أسقبا: قُرِّب.

(١٠) انظر ما تقدم في الصفحة السابقة.

فإنهم قد يقولون في مثل هذا، وقد قال دَعْلجُ بن الحكم[1]: [من الطويل]

وكيف يفيق الدهرَ كعبُ بنُ ناشبٍ وشيطانه عِندَ الأهلَّة يُصْرَعُ

١٨١٩ - [شعر فيه ذكر الجنون]

وأنشدني عبد الرحمن بن منصور الأُسَيْديٌّ قبل أن يُجَنَّ: [من الطويل]

جُنونكَ مجنـونٌ ولستَ بواجـدٍ طَبيباً يُداوِي منْ جُنونِ جُنونِ[2]

وأنشدني يومئذ[3]: [من الطويل]

أتَوني بمجْنون يَسيلُ لُعابُهُ وما صاحبي إلا الصَّحيحُ المسَلَّمُ

وفيما يشبه الأولَ يقولُ ابن ميَّادة[4]: [من الطويل]

فلما أتاني ما تقُولُ محاربٌ تَغنَّتْ شياطيني وجُـنَّ جُنونُها
وحاكتْ لها ممّا أقول قصائدًا ترامَتْ بها صُهْبُ المَهارِي وجُونُها

وقال في التَّمثيل[5]: [من الخفيف]

إنّ شَرخَ الشّبابِ والشّعرَ الأَسـ ـودَ ما لم يُعاصَ كان جُنونا

وقال الآخر[6]: [من البسيط]

قالت عَهِدْتُك مجنونًا فقلتُ لها إنّ الشّبابَ جُنُونٌ بُـرؤُه الكِبَرُ

وما أحسنَ ما قال الشّاعر حيث يقول[7]: [من الطويل]

فدقّت وجلّت واسبكرّت وأكملت فلو جُنَّ إنسانٌ من الحُسْنِ جُنَّتِ

وما أحسن ما قال الآخر[8]: [من الكامل]

---

(١) البيت في الشعر والشعراء ٤٣٨ (ليدن)، والخزانة ٣/٤٤٦ (بولاق). وانظر للصرع عند الأهلة ٥/٤٧٩.

(٢) تقدم البيت في ٣/٥٦، الفقرة (٦٠٥).

(٣) تقدم البيت في ٣/٥٦، الفقرة (٦٠٤)، مسبوقاً بقوله: «مما أنشدنيه أبو الأصبغ بن ربعي».

(٤) ديوان ابن ميادة ٢٣١، وتقدم البيت الأول في ١/١٩٨.

(٥) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ٤٧٣، وتقدم مع تخريج وافٍ في ٣/٥٥، الفقرة (٦٠٤).

(٦) البيت لابن أبي فنن في ديوانه ١٦١، وعيون الأخبار ٢/٣٢٠، والعقد الفريد ٣/٥٧، وللعتبي في الحماسة الشجرية ١٨٤، ٢٤٥، وبلا نسبة في البيان ١/٣٢٤، وعيون الأخبار ٢/٣٢٠.

(٧) البيت للشنفرى كما تقدم في ٣/٥٥، الفقرة (٦٠٤).

(٨) الأبيات لجميل بثينة في ديوانه ١٩٨، والبرصان ٣٤٩، ولابن الطثرية في ديوانه ١٠٦، ولعبيد بن أيوب في أشعار اللصوص ٢٣٢-٢٣٣، والثالث له في الرسالة الموضحة ٣٨، وأخبار أبي تمام ٣٣، والأبيات بلا نسبة في الوحشيات ٢٦٨، وتقدمت بلا نسبة في ٣/٥٥، الفقرة (٦٠٤).

حمراء تامِكةُ السَّنام كأنّها جَملٌ بهودج أهله مظعـونُ
جادَتْ بها عند الغداة يمينُه كلتا يَدَي عَمْرِو الغَـداة يمـينُ
ما إن يجودُ بمثلها في مثلها إلاّ كريمُ الخِيـمِ أو مَجنونُ

وقال الجميح(١): [من البسيط]

لو أنّني لم أنَلْ منكم مُعاقبةً إلاّ السِّنانَ لذاقَ الموتَ مظعـونُ
أوْ لاختطبتُ فإني قد هَمَمْتُ به بالسَّيفِ إنّ خطيبَ السَّيف مجنونُ

وأنشد(٢): [من الوافر]

هُمُ أحْمَوا حِمى الوَقْبى بضربٍ يؤلّفُ بَيْنَ أشتاتِ المنُون
فنَكَّبَ عنهم دَرءَ الأعادي وداوَوْا بالجُنون من الجُنونِ

وأنشدني جعفر بن سعيد: [من البسيط]

إنَّ الجنونَ سِهامٌ بين أربعةٍ الرِّيحُ والبحْرُ والإنسانِ والجَملُ

وأنشدني أيضًا: [من البسيط]

احْذَر مغايظَ أقوامٍ ذوي حَسَبٍ إنّ المغيظ جَهُولُ السَّيفِ مجنونُ

وأنشدني أبو تمام الطائي(٣): [من البسيط]

منْ كلِّ أصلَعَ قد مالَت عمامتُه كأنّه من حِذار الضَّيمِ مجنونُ

وقال القطاميّ(٤): [من البسيط]

يَتْبَعْنَ سَامِيةَ العَينين تَحْسَبُها مجنُونةً أو تُرَى ما لا تُرَى الإبلُ

وقال في المعنى الأوّل الزَّفَيانُ العُوافيّ(٥): [من الرجز]

أنا العُوافيُّ فمنْ عاداني أذقتُه بوادرَ الهوان
حتّى تَراهُ مُطرِقَ الشّيطانِ

---

(١) تقدمت الأبيات في ٣/٥٤، الفقرة (٦٠٤)، مع نسبتها إلى ابن الطثرية.

(٢) البيتان لأبي الغول الطهوي في الأمالي ١/٢٦٠، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٠، والسمط ٥٨٠، والخزانة ٦/٤٣٣، ٨/٣١٤، والشعر والشعراء ٢٥٧ (ليدن)، والأول في معجم البلدان ٥/٣٨٠ (الوقبى)، وتقدما في ٣/٥٤، الفقرة (٦٠٤).

(٣) البيت للأشهب بن رميلة في ديوانه ٢٤٤، وتقدم في ٣/٥٤، الفقرة (٦٠٤).

(٤) ديوان القطامي ٢٧، وتقدم في ٣/٥٥، الفقرة (٦٠٤).

(٥) الرجز في ثمار القلوب ٥٦ (١٤٩).

وقال مروانُ بن محمد : [من الكامل]

وإذا تجنّنَ شاعرٌ أو مُفْحَمٌ　　　أسعطْتُه بمرارة الشيطانِ

وقال ابن مُقبِل[1] : [من الطويل]

وعِنْدي الدُّهَيم لو أحُلُّ عِقالهَا　　　فتُصْعِدُ لم تَعْدَم من الْجِنِّ حاديا

وقد صغَّر «الدُّهَيم» ليس على التحقير، ولكن هذا مثل قولهم: «دبَّت إليهم دويهيَة الدهر».

١٨٢٠ - [أحاديث الفلاة]

وَقال أبو إسحاق : وأما قول ذي الرُّمَّة[2] : [من الطويل]

إذا حَثَّهُنَّ الرَّكبُ في مُدْلهِمَّة　　　أحاديثُها مثلُ اصطخاب الضّرائر

قال أبو إسحاق: يكون في النَّهار ساعاتٌ ترى الشّخص الصَّغيرَ في تلك المهامهِ عظيماً، ويُوجَد الصَّوت الخافضُ رفيعاً، ويُسمع الصَّوتُ الذي ليس بالرَّفيع مع انبساط الشّمس غدوة من المكان البعيد؛ ويُوجَد لأوساط الفَيافي والقِفار والرِّمال والحرار، في أنصاف النّهار، مثلُ الدَّويّ من طبع ذلك الوقت وذلك المكان. عند ما يعرض له. ولذلك قال ذو الرُّمَّة[3] : [من الطويل]

إذا قال حادينا لتَشْبيهِ نَبأةٍ　　　صَهٍ لم يكنْ إلا دويٌّ المسامع[4]

قالوا: وبالدَّويّ سمِّيت دوِّيّة وداوية، وبه سمِّي الدوّ دَوًّا

١٨٢١ - [عزيف الجنان وتغوّل الغيلان]

وكان أبو إسحاق يقول في الذي تذكر الأعرابُ من عزيف الجنان، وتغوُّل الغيلان: أصلُ هذا الأمر وابتداؤه، أنّ القوم لما نزلوا بلاد الوحش، عملتْ فيهم

---

(١) ديوان ابن مقبل ٤١٢ (٢٨٨)، والعمدة ٢ /١٦٨، ومجمع الأمثال ١ /١٥٦، ٣٧٩، وبلا نسبة في الرسالة الموضحة ٦٠.

(٢) ديوان ذي الرمة ١٦٩٦.

(٣) ديوان ذي الرمة ٧٩١، والتهذيب ٥/٣٤٩، والجمهرة ١٤٥، وبلا نسبة في اللسان والتاج (صهصه).

(٤) في ديوانه: «أي إذا سمع نباة فشُبهت عليه. والنباة: الصوت الخفي. قوله: لم تكن إلا دوي المسامع؛ أي لم يكن إلا أن يَسمع في المسامع دوياً».

الوَحْشة[١]. ومن انفردَ وطال مُقامُه في البلاد[٢] والخلاء، والبعد من الإنس - استوحَش. ولا سيَّمامع قلة الأشغال والمذاكرين.

والوَحدةُ لاتقطع أيامهم إلا بالمُنى أو بالتفكير. والفكرُ ربما كان من أسباب الوَسوَسة. وقد ابتلى بذلك غيرُ حاسب، كأبي يس ومُثَنَّى ولد القُنافر[٣].

وخبَّرني الأعمش أنه فكّر في مسألة، فانكر أهله عقله، حتّى حَمَوه وداووه.

وقد عرض ذلك لكثير من الهند.

وإذا استوحشَ الإنسانُ تمثّل له الشّيء الصغيرُ في صورة الكبير، وارتاب، وتفرَّق ذهُنه، وانتقضت أخلاطُه، فرأى ما لايُرى، وسمع ما لا يُسمع، وتوهم على الشيء اليسير الحقير، أنه عظيمٌ جليل.

ثمَّ جعلوا ما تصوَّر لهم من ذلك شعرا تناشدوه، وأحاديث توارثوها فازدادوا بذلك إيمانًا. ونشأ عليه الناشئ، وربّي به الطِّفل، فصار أحدهم حين يتوسَّط الفيافيَ، وتشتملُ عليه الغيظان في اللَّيالي الحنادس - فعند أوَّل وحْشةٍ وفزْعة، وعند صياح بُوم ومجاوبة صدًى، وقد رأى كلَّ باطل، وتوهَّم كلَّ زُور، وربما كان في أصل الخلْق والطبيعة كذّابًا نفّاجًا[٤]، وصاحبَ تشنيعٍ وتهويل، فيقولُ في ذلك من الشِّعر على حسب هذه الصِّفة، فعند ذلك يقول: رأيتُ الغيلان! وكلّمت السِّعلاة! ثمَّ يتجاوزُ ذلك إلى أن يقول قتلتها، ثم يتجاوزُ ذلك إلى أن يقول: رافَقتها ثمَّ يتجاوز ذلك إلى أن يقول: تزوَّجتها!!

قال عُبيد بن أيُّوب[٥]: [من الطويل]

فللّه دَرُّ الغُولِ أيُّ رَفيقةٍ ... لصاحبِ قفْرٍ خائفٍ متقتّرِ

وقال[٦]: [من الطويل]

أهذا خَليلُ الغولِ والذئبِ والذي ... يهيمُ بَربَّاتِ الحِجالِ الهَرَاكِلِ

(١) الوحشة: الخوف من الخلوة والهم.
(٢) البلد من الأرض: ما كان مأوى الحيوان وإن لم يكن فيه بناء.
(٣) القنافر: القصير.
(٤) النفّاج: الذي يفخر بما ليس عنده.
(٥) البيت في أشعار اللصوص ٢١٨، وتقدم ص٤٠٠.
(٦) البيت في أشعار اللصوص ٢٢٨، وتقدم ص ٤٠٢.

وقال[1]: [من الطويل]

أَخُو قَفَرَاتٍ حالَفَ الجنّ وانتفَى ... من الإِنْسِ حتَّى قد تقضّت وسائله
له نسَبُ الإنْسيّ يُعْرَفُ نجله ... وللجـنِّ منـهُ خَلْقُه وشمائله

وممّا زادهم في هذا الباب، وأغراهم به، ومدَّ لهم فيه، أنهم ليس يلقون بهذه الأشعار وبهذه الأخبار إلا أعرابياً مثلهم، وإلا عَامِّيًا لم يأخُذْ نفسه قط بتمييز ما يستوجب التّكذيب والتّصديق، أو الشّكّ، ولم يسلُك سبيلَ التوقف والتثبُّت في هذه الأجناس قطّ. وإمَّا أن يَلقَوْا رَاوِيَة شعر، أو صاحب خبَر، فالرَّاوية كلّما كان الأعرابيُّ أكذبَ في شعره كان أطْرَفَ عِنْده، وصارت روايتُه أغلبَ، ومضاحيكُ حديثه أكثر فلذلك صار بعضهم يدّعي رؤية الغُول، أو قتلها، أو مرافقتها، أو تزويجها؛ وآخر يزعم أنّه رافقَ في مفازةٍ نمراً. فكان يطاعمه ويؤاكله، فمن هؤلاء خاصّة القتّال الكلابي؛ فإنّه الذي يقول[2]: [من الطويل]

أيرسِلُ مَرْوانُ الأميرُ رسـالة ... لآتيـه إنّـي إذاً لَمَضـلَّـلُ[3]
وما بي عِصْيانٌ ولا بُعدُ منزل ... ولكنّني من خوف مَرْوانَ أوجلُ
وفي باحة العَنْقاء أو في عَماية ... أو الأُدَمى من رَهْبة الموت مَوْئلُ[4]
ولي صاحبٌ في الغار هَدَّكَ صاحباً ... هو الجَون إلاّ أنه لا يعلّل
إذا ما التقَينا كان جُلّ حديثنا ... صُماتٌ وطرْفٌ كالمعَابلِ أطْحَلُ[5]
تَضَمَّنَت الأرْوَى لنا بطعامنا ... كلانا له منها نَصيبٌ ومأكلُ[6]
فأغلبُه في صَنْعة الزّادِ إنّني ... أُميطُ الأذى عنه ولا يتأمَّلُ
وكانتْ لنا قَلْتٌ بأرض مَضَلَّة ... شريعتُنا لأيّنا جاءَ أوّلُ[7]
كلانا عدُوٌّ لو يرى في عدُوِّهِ ... مَحزاً وكلٌّ في العداوة مُجْمِلُ[8]

---

(١) البيتان في أشعار اللصوص ٢٢٥-٢٢٦، وتقدما ص٤٣٩.

(٢) ديوان القتال الكلابي ٧٧، وأشعار اللصوص ٥٢٥ - ٥٢٦.

(٣) مروان هو الخليفة مروان بن الحكم.

(٤) الباحة: الساحة. العنقاء وعماية والأدمى: مواضع. موئل: منجى.

(٥) الصمات: الصمت. المعابل: جمع معبلة؛ وهي النصل الطويل العريض. الأطحل: ما لونه الطحلة، وهو لون بين الغبرة والبياض.

(٦) الأروى: الأنثى من الوعول.

(٧) القلْت: النقرة في الجبل تمسك الماء.

(٨) المجمل: المتئد المعتدل لا يفرط.

وأنشد الأصمعيّ[1]: [من الطويل]

ظللْنَا معًا جارَينْ نحترسُ الثَّأى   يُسائرُني من نُطفةٍ وأسائرُهْ

ذكر سبعًا ورجُلاً، قد ترافقا، فصار كلٌّ واحدٍ منهما يدَعُ فضْلاً من سُؤره ليشرَبَ صاحبه. الثَّأى: الفساد. وخبّر أنّ كلّ واحد منهما يحترس من صاحبه.

وقد يستقيمُ أن يكونَ شعر النابغة في الحية، وفي القتيلِ صاحب القَبْر، وفي أخيه المصالح للحيةِ أن يكون إنما جعل ذلك مثلاً، وقد أثبتناهُ في باب الحيات[2]، فلذلك كرهنا إعادَته في هذا الموضع.

فأما جميع ما ذكرناه عنهم فإنما يخبرون عنه من جهة المعاينَة والتّحقيق، وإنما المثل في هذا مثل قوله: [من الرجز]

قد كان شيطانك منْ خطّابها   وكان شيطاني منْ طُلاَّبِها

حينًا فلمّا اعتَركا ألْوى بها

١٨٢٢ - [توهم سماع الأصوات]

والإنسان يجوع فيسمع في أذنه مثل الدويّ. وقال الشاعر: [من الطويل]

دويٌّ الفَيَافي رَابه فكأنّه   أَميمٌ وسارِي اللَّيلِ للضُرِّ مُعْوِرُ[3]

مُعْوِر: أي مُصْحِر[4].

وربما قال الغلام لمولاه: أدعوتني؟ فيقول له: لا. وإنما اعترى مسامعه ذلك لعرضٍ، لا أنَّه سمعَ صوتًا.

ومن هذا الباب قول تأبَّط شرًّا، أو قول قائل فيه في كلمة له[5]: [من الطويل]

يَظَلُّ بمَوْماةٍ ويُمسي بقَفرَةٍ   جَحِيشاً ويَعرَوْرِي ظهورَ المهالِكِ[6]

---

(١) البيت للغنوي في الأمالي ١/٢٣٦.

(٢) انظر ما تقدم في ٤/٢٠٣-٢٠٥.

(٣) الأميم: الذي أصيب في أم رأسه.

(٤) مصحر: منكشف، من قولهم: أصحر الرجل؛ إذا خرج إلى الصحراء.

(٥) الأبيات لتأبط شراً في الأمالي ٢/١٣٨، وزهر الآداب ٣٥٨، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٩٢، والخزانة ١/٢٠٠.

(٦) الجحيش: المتنحي عن الناس. يعروري: يركب.

وَيَسْبِقُ وَقدَ الرِّيح من حَيث ينْتحي ... بمنخَرِقٍ مِن شَدِّه المتدارَكِ[1]
إذا خاطَ عَينَيه كَرى النَّوم لم يَزَلْ ... له كالئٌ من قَلب شَيْحانَ فاتكِ[2]
ويجعَلُ عينَيه رَبيئَةَ قلبه ... إلى سلَّةٍ من حَدِّ أخْضَر باتكِ[3]
إذا هزَّه في عَظم قِرْنٍ تهلَّلتْ ... نواجذُ أفواه المنايا الضَّواحكِ[4]
يَرى الإنس وحْشيَّ الفَلاة ويهتدي ... بحيث اهتدتْ أمُّ النجومِ الشّوابكِ[5]

١٨٢٣ - [نزول العرب بلاد الوحش والحشرات والسباع]

ويدلُّ على ما قال أبو إسحاق، من نزولهم في بلاد الوحْش وبينَ الحشَرات والسِّباع، ما رواه لنا أبو مُسْهرٍ، عن أعرابيٍّ من بني تميم نزل ناحية الشَّام، فكان لا يَعْدِمُهُ في كلِّ ليلة أن يعضَّه أو يَعضَّ ولدَه أو بعضَ حاشيته سبعٌ من السباع، أو دابّة من دوابِّ الأرض فقال: [من الطويل]

تعاوَرَني دَينٌ وذُلٌّ وغُربةٌ ... ومَزّقَ جلدي نابُ سبْع ومِخْلبُ
وفي الأرض أحناشٌ وسَبْع وحاربٌ ... ونحن أُسارَى وَسْطَها نتقلبُ[6]
رُتَيْلا وطَبُّوعٌ وشِبْثَان ظُلْمة ... وأرقطُ حُرْقوصٌ وضَمْجٌ وعَقْربُ[7]
ونمل كأشخاصِ الخنافس قُطَّبٌ ... وأرْسالُ جعلانٍ وهَزْلى تَسَرَّبُ
وعُثٌّ وحُفّاثٌ وضُبٌّ وعربِدٌ ... وذرٌّ ودَحّاس وفَارٌ وَعقربُ[7]
وهرٌّ وظَرْبانٌ وسِمْعٌ ودَوْبَلٌ ... وتُرْمُلةٌ تجري وسِيدٌ وثعلبُ
ونمر وفَهْدٌ ثم ضبعٌ وجَيالٌ ... وليثٌ يجُوس الألف لا يتهيّبُ
ولم أرَ آوى حيث أسمعُ ذِكرَه ... ولا الدُّبَّ إنّ الدُّبَّ لا يتنسَّبُ

فأما الرُّتَيلا والطَّبُّوع، والشِّبْث، والحُرقوص، والضّمجُ والعنكبوت، والخنفُساء، والجُعَل، والعُثّ، والحُفَّاث، والدّحّاس والظّربان، والذِّئب، والثَّعلب، والنمر، والفَهْد، والضّبع، والأسد - فسنقول في ذلك إذا صرنا إلى ذكر هذه الأبواب،

---

(١) وفد الريح: أولها. ينتحي: يعتمد. المنخرق: السريع الواسع. المتدارك: المتلاحق.
(٢) الكالئ: الحافظ. الشيحان: الحازم.
(٣) الربيئة: الرقيب. السلة: المرة من سلّ السيف.
(٤) القرن: الكفؤ والنظير.
(٥) أم النجوم: المجرة، لأنها مجتمع النجوم.
(٦) الحارب: الذي يقطع الطريق ويعري الناس ثيابهم.
(٧) انظر ما تقدم ص ٣٢٨-٣٢٩.

وقبلِ ذلك عند ذِكر الحشرات. فأما الضّبُّ والورَل، والعقرب، والجُعل، والخنفساء، والسِّمْع فقد ذكرنا ذلك في أوّل الكتاب. وأما قوله: «وهَزْلى تسرب فالهزْلى هي الحيات، كما قال جَرير(١): [من الطويل]

مَزاحف هزْلَى بينها متباعدُ

وكما قال الآخر(٢): [من الوافر]

كأنَّ مَزَاحِفَ الهَزْلى عليهـا خدودُ رصائعٍ جُدلَتْ تُؤَامَا

وأماقوله: [من الطويل]

ولم أر آوَى حيثُ أسمع ذِكرَه

فإنّ ابنَ آوى لا ينزِلُ القفار، وإنّما يكونُ حيث يكونُ الريف.

وينبغي أن يكونَ حيث قال هذا الشّعر توهَّم أنّه ببياض نجد.

وأمَّا قوله: [من الطويل]

ولا الدبَّ إنَّ الدبَّ لا يتنسَّبُ

فإنّ الدبَّ عندهم عجميٌّ، والعجميُّ لا يقيم نسبَه.

١٨٢٤ - [مُلَح ونوادر]

ورووْا في المُلَح أنّ فتًى قال لجارية له، أو لصديقةٍ له: ليس في الأرض أحسنُ منِّي: ولا أملحُ منِّي. فصار عندها كذلك. فبينا هو عِندها على هذه الصِّفة إذ قرع عليها الباب إنسانٌ يريدهُ، فاطَّلعت عليه من خرق الباب، فرأت فتًى أحسنَ النّاس وأملحَهم، وأنَبلهم وأتمّهم، فلمَّا عاد صاحبُها إلى المنزل قالت له: أَوَ ما أخبرَتني أنَّك أملحُ الخلْقِ وأحسنُهم؟ قال: بلى! وكذلك أنا! فقالت: فقد أرادك اليومَ فلانٌ، ورأَيتُه من خَرق الباب، فرأيتُه أحسنَ منك وأملَح! قال: لَعْمري إنَّه لَحَسَنٌ مَليح، ولكنَّ له جنِّيّة تصرعه في كلِّ شهرٍ مرَّتين - وهو يريدُ بذلك أن يسقطه من عينها - قالت: أوَ ما تصرعه في الشّهر إلاّ مرتين؟ أمَا واللّه لو أنّي جنّيَّة لصرعْته في اليوم ألفين!

---

(١) تقدم البيت في ٤/٣٤٤، وهو للّعين المنقري في الوحشيات ٢٦٧، وبلا نسبة في اللسان (صوى).

(٢) البيت لثمامة الكلبي كما تقدم في ٣٤٤.

وهذا يدلُّ على أنّ صرْع الشّيطان للإنسان ليس هو عند العوامّ إلاّ على جهة ما يعرفون من الجِماع.

ومن هذا الضَّرب من الحديث ما حدَّثنا به المازنيُّ، قال: ابتاع فتًى صَلَفٌ بَذَّاخ[1] جاريةً حسناءَ بديعةً ظريفة، فلمّا وقع عليها قال لها مراراً ويلَكِ. ما أوسَعَ حِرَكِ! فلمّا أكثرَ عليها قالت: أنت الفداءُ لمن كان يملَؤُه.

فقد سمع هذا كما ترى من المكروه مثلَ ما سِمع الأوّل.

وزعموا أنّ رجلاً نظر إلى امرأةٍ حسْناء ظريفةٍ، فالحّ عليها، فقالت: ما تنظر؟ قُرَّة عينك، وشيءُ غيرك!

وزعم أبو الحسن المدائني أن رجلاً تبع جاريةً لقوم. فراوغَتْه فلم ينقطع عنها، فحثّتْ في المشي فلم ينقطع عنها، فلمّا جازَتْ بمجلس قومٍ قالت: يا هؤلاء، لي طريقٌ ولهذا طريق، ومولاي ينيكني؛ فسَلوا هذا ما يريدُ مني؟

وزَعَمَ أيضًا أن سياراً البرقيّ قال: مرّت بنا جاريةٌ، فرأينا فيها الكِبْرَ والتجبُّر، فقال بعضنا: ينبغي أن يكون مولى هذه الجارية ينيكها! قالت: كما يكون!

فلم أسمع بكلمة عامّية أشنَعَ ولا أدلّ على ما أرادت، ولا أقصَر من كلمتها هذه.

وقد قال جحشويهِ في شعر شبيهًا بهذا القول، حيث يقول: [من الوافر]

تواعدُني لتنكِحني ثلاثًا ... ولكن يا مَشُوم بأيِّ أيْرِ

فلو خُطِبَتْ في صفة أيرِ خُطبةٌ أطولُ من خطبة قيس بن خارجة بن سنان في شأن الحمالة – لما بلغ مبلغَ قولِ جحشويه: «ولكن يا مَشُوم بأيِّ أير»، وقول الخادم: «كما يكون».

وزعموا[2] أن فتًى جلس إلى أعرابيّة، وعلمت أنّه إنما جلس لينظر إلى محاسن ابنتها، فضربت بيدها على جنبها، ثم قالت: [من الوافر]

عَلَنْداة يئطُّ الأيرُ فيها ... أطِيطَ الغرْزِ في الرَّحْلِ الجديدِ[3]

ثم أقبلت على الفتى فقالت: [من الطويل]

وما لَكَ من غيرَ أنَّكَ ناكحٌ ... بعينَيكَ عَينيها فهل ذاكَ نافعُ

---

(١) الصَّلَف: الغلو في الظرف والتكبر. البذاخ: المتكبر الفخور.

(٢) الخبر مع الشعر في عيون الأخبار ٤ / ١٠١، وأخبار النساء ١٦٢، وربيع الأبرار ٣ / ١٦٢.

(٣) علنداة: عظيمة طويلة. يئط: يصوت. الغرز: هو للناقة مثل الحزام للفرس.

ودخل قاسم منزل الخُوارزمي النخَّاس، فرأى عنده جارية كأنها جانّ، وكأنها خُوط بانٍ، وكأنّها جَدْل عنان، وكأنه الياسمين؛ نعْمةً وبياضًا؛ فقال لها: أشتريك يا جارية؟ فقالت: «افتحْ كيسَك تسرَّ نفسَك» ودخلت الجارية منزل النخّاس، فاشتراها وهي لا تعلم ومضى إلى المنزل ودفعها الخوارزميُّ إلى غلامه، فلم تشعر الجارية إلا وهي معه في جَوف بيت، فلما نظرتْ إليه وعرفتْ ما وقعَتْ فيه قالت له: ويلكَ! إنك واللّه لن تَصل إليّ إلا بعد أن أموت! فإن كنت تجسرُ على نَيك من قد أدرجوه في الأكفان فدونَك! واللّهِ إن زلتُ منذ رأيتك، ودخلتُ إلى الجواري، أصف لهنَّ قبحك وبليّةَ امرأتك بك! فأقبل عليها يكلِّمها بكلام المتكلمين، فلم تقبل منه، فقال: فلم قلت لي: «افتحْ كيسَك تسرَّ نفسك»؟ وقد فتحت كيسي فدَعيني أَسُرُّ نفْسي! وهو يكلِّمها وعينُ الجارية إلى الباب، ونفْسُها في توهُّم الطّريق إلى منزل النخّاس. فلم يشعر قاسمٌ حتّى وثبَتْ وثبةً إلى الباب كأنّها غزال، ولم يشعر الخوارزمي إلاّ والجارية بين يدَيه مغشيٌّ عليها. فكرَّ قاسمٌ إليه راجعًا وقال: ادفعْها إليّ أشفي نفسي منها. فطلبوا إليه فصفَح عنها، واشتراها في ذلك المجلس غلامٌ أملحُ منها، فقامت إليه فقبَّلت فاه، وقاسمٌ ينظرُ، والقومُ يتعجَّبون ممّا تهيأ له وتهيَّأ لها.

وأما عيسى بن مروان كاتب أبي مروان عبد الملك بن أبي حمزة فإنّه كان شديد التغزُّل والتّصندل[1]، حتَّى شرب لذلك النبيذَ وتَظَرَّف[2] بتقطيع ثيابه[3] وتغنَّى أصواتًا، وحفظ أحاديثَ من أحاديث العشّاق ومن الأحاديث التي تشتهيها النساء وتفهمُ معانيها. وكان أقبحَ خلْق اللّه تعالى أنفًا، حتَّى كان أقبحَ من الأخنَس، ومن الأفطس، والأجدع، فإمّا أن يكون صادقَ ظريفةً، وإما أنْ يكونَ تزوَّجها فلما خَلاَ معها في بيتٍ وأرادها على ما يريد الرَّجلُ من المرأة، امتنعت، فوهب لها، ومنَّاها، وأظهر تعشقها، وأراَغها بكلِّ حيلة. فلما لم تُجب قال لها: خبِّريني، ما الذي يمنعُك؟ قالت: قبح أنفك وهو يَستقبلُ عيني وقتَ الحاجة، فلو كان أنفُك في قفَاك لكان أهونَ عليَّ! قال لها: جعلْت فداك؟ الذي بأنفي ليسَ هو خلقةً وإنّما هو ضربةٌ ضُربتُها في سبيل اللّه تعالى. فقالت واستغربَتْ ضحكًا: أنا ما أبالي. في سبيل اللّه كانَتْ أو في سبيل الشّيطان. إنّما بيَ قبحُه. فخذْ ثوابَك على هذه الضَّربة من اللّه أمَّا أنَا فلا.

---

(١) تَصَنْدَل: تغزل مع النساء.

(٢) تظرف: تكلف الظرف.

(٣) تقطيع الثياب: تقصيرها.

بـــــاب

الجِـدُّ مـن أمْـر الجِـنّ

ليس هذا، حفظك اللّه تعالى، من الباب الذي كُنَّا فيه، ولكنّه كان مُستراحًا وجمامًا. وسنقول في باب من ذكر الجنّ، لتنتفع في دِينك أشد الانتفاع. وهو جِدٌّ كلُّه.

والكلام الأوّل وما يتلوه من ذكر الحشرات، ليس فيه جِدٌّ إلاّ وفيه خَلْطٌ من هزْل، وليس فيه كلامٌ صحيح إلا وإلى جنبه خرافة، لأن هذا الباب هكذا يقع.

وقد طعن قومٌ في استراق الشَّياطينِ السمعَ بوجوهٍ من الطَّعن. فإذْ قد جرى لها من الذّكر في باب الهزْل ما قد جرى، فالواجبُ علينا أن نقول في باب الجدّ، وفيما يرد على أهل الدِّين بجملة، وإن كان هذا الكتابُ لم يُقصد به إلى هذا الباب حيثُ ابتدئ. وإن نحنُ استقصيناه كنَّا قد خرجْنا من حدِّ القول في الحيوان. ولكنا نقول بجملةٍ كافية. واللّه تعالى المعين على ذلك.

١٨٢٥- [رد على المحتجّين لإنكار استراق السمع بالقرآن]

قال قوم: قد علمنا أن الشياطينَ ألطف لطافةً، وأقلُّ آفَةً، وأحدُّ أذهانًا، وأقلُّ فضُولاً، وأخفُّ أبدانًا، وأكثرُ معرفةً وأدقُّ فطنةً منّا. والدّليلُ على ذلك إجماعهم على أنّه ليس في الأرض بدعةٌ بديعةٌ، دقيقةٌ ولَا جليلة، ولا في الأرض مَعصيةٌ من طريق الهوى والشّهوة، خفيّةً كانت أو ظاهرة، إلاّ والشّيطانُ هو الدَّاعي لها، والمزيِّنُ لها، والذي يفتحُ بابَ كلِّ بلاء، ويَنصب كلَّ حبالةٍ وخدعة. ولم تَكن لتَعرِف أصناف جميع الشرور والمعاصي حتى تَعرف جميعَ أصنافِ الخير والطّاعات.

ونحن قد نجدُ الرّجلَ إذا كان معه عقْل، ثمّ علم أنّه إذا نقب حائطًا قُطعت يدهُ، أو أسمع إنسانًا كلامًا قطع لسانه، أويكونُ متى رَام ذلك حيلَ دونَه ودونَ ما رام منْهُ - أنّه لايتكلّف ذلك ولا يرُومه، ولا يحاولُ أمرًا قد أيقَنَ أنّه لَا يبلغهُ.

وأنتم تزعمون أنّ الشّياطين الذين هم على هذه الصِّفة كلّما صعد منهم شيطانٌ ليسترقَ السّمعَ قُذِف بشهاب نار، وليس له خواطئ، فإمَّا أن يكونَ يصيبه،

وإمّا أنْ يكون نذيراً صادقًا أو وعيداً إنْ يقدمْ عليه رمى به. وهذه الرُّجوم لا تكون إلا لهذه الأمور. ومتى كانت فقد ظهر للشَّيطان إحراق المستمع والمسترِق، والموانع دون الوصول ثمَّ لا نرى الأوَّلَ ينهي الثّاني، ولا الثّاني ينهي الثّالث، ولا الثّالث ينهي الرّابع عَجَب. وإن كان الذي يعود غيرَه فكيف خفي عليه شأنهم، وهو ظاهر مكشوف؟!

وعلى أنّهم لم يكونوا أعلَمَ منّا حتّى ميّزوا جميع المعاصي من جميع الطاعات. ولولا ذلك لدعوا إلى الطّاعة بحساب المعصية، وزينّوا لها الصَّلاح وهم يريدون الفساد. فإذا كانوا ليسوا كذلك فأدنى حالاتهم أن يكونوا قد عرفوا أخبار القرآن وصدقوها، وأنّ اللّه تعالى محقّق ما أوعَدَ كما يُنجز ما وعد. وقد قال اللّه عزّ وجل: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّماء الدُّنيا بمَصابيح وجَعَلْنَاها رُجُومًا للشَّياطين﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا في السَّماءِ بُرُوجًا وَزَيَّنّاها للنَّاظرينَ. وَحَفظْنَاهَا مِنْ كلِّ شَيْطان رَجيمٍ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿إنّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بزينة الْكَوَاكب وحفْظًا منْ كلِّ شَيْطانٍ مارد﴾[٣] وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئكمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشّياطينُ تنزَّلُ على كلِّ أفَّاكٍ أثيمٍ. يُلْقون السَّمعَ وأكثَرُهم كاذبُون﴾[٤] مع قولِ الجنّ: ﴿أنّا لا نَدْري أشَرٌّ أُريدَ بمَنْ في الأرْضِ أمْ أرَاد بهمْ رَبُّهم رَشَداً﴾[٥] وقولهم: ﴿أنّا لَمسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلئَتْ حَرساً شديداً وَشُهُبًا. وأنّا كنّا نقعُدُ منْهَا مقاعِد للسَّمع فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآن يَجدْ لَهُ شهَابًا رصَداً﴾[٦].

فكيف يسترق السَّمع الذين شاهدوا الحالَتين جميعًا، وأظهروا اليقين بصحَّة الخبر بأنَّ للمستمع بعد ذلك القذْفَ بالشُّهب، والإحراقَ بالنار، وقوله تعالى: ﴿إنَّهُمْ عَنِ السَّمعِ لَمعْزولُونَ﴾[٧] وقوله تعالى: ﴿وَحفْظًا مِنْ كلِّ شيْطَانٍ مَاردٍ. لا يَسَّمَّعُون إلى الْملإِ الأعْلى وَيُقْذَفُون مِن كُلِّ جانبٍ دُحوراً وَلَهُمْ عذَابٌ وَاصِبٌ﴾[٨] في آيٍ غيرِ

---

(١) ٥/ الملك: ٦٧.
(٢) ١٦-١٧/ الحجر: ١٥.
(٣) ٦-٨/ الصافات: ٣٧.
(٤) ٢٢١-٢٢٣/ الشعراء: ٢٦.
(٥) ١٠/ الجن: ٧٢.
(٦) ٨-٩/ الجن: ٧٢.
(٧) ٢١٢/ الشعراء: ٢٦.
(٨) ٧-٩/ الصافات: ٣٧.

هذا كثير. فكيف يعُودُون إلى استراق السَّمع، مع تيقنهم بأنَّه قد حُصِّن بالشهب. ولو لم يكونوا مُوقنين من جهة حقائق الكتاب، ولا من جهة أنّهم بَعْدَ قعودهم مقاعدَ السَّمْع لمَسُوا السَّماء فوَجَدوا الأمرَ قد تغيَّر - لكانَ في طول التَّجْربة والعِيان الظّاهِر، وفي إخبار بعضِهم لبعض، ما يكونُ حائلاً دُونَ الطّمع وقاطعًا دون التماس الصُّعود.

وبعد فأيُّ عاقل يُسرُّ بأنْ يسمع خبراً وتُقطعَ يدهُ فضْلاً عن أن تحرقه النَّار؟! وبعد فأيُّ خبر في ذلك اليوم؟! وهل يصلون إلى النَّاس حتَّى يجعلوا ذلك الخبَر سبباً إلى صرْف الدّعوَى؟ قيل لهم: فإنّا نقول بالصّرْفة في عامَّة هذه الأصول. وفي هذه الأبواب، كنحو ما أُلقي على قلوب بني إسرائيل وهم يجُولون في التِّيه، وهم في العدد وفي كثرة الأدلاَّء والتجّار وأصحاب الأسفار، والحمّارين والمُكارينَ، من الكثْرَة على ما قد سمعتم به وعرَفْتموه؛ وهم مع هذا يمشُون حتّى يُصبحوا، مع شدّة الاجتهاد في الدَّهر الطويل، ومع قُرْب ما بينَ طرفي التِّيه. وقد كان طريقًا مسلوكًا. وإنّما سمَّوه التِّيه حين تاهوا فيه، لأنَّ اللّه تعالى حين أرادَ أن يمتحِنَهم ويبتلِيهم صرَفَ أوهامَهم.

ومثل ذلك صنيعُه في أوهام الأمة التي كان سُليمان مَلكَها ونبيّها، مع تسخير الريح والأعاجيبِ التي أُعطِيَها. وليس بينهم وبين ملكهم ومملكتهم وبين مُلك سَبأ ومملكة بِلقيس مِلكتهم بحَارٌ لا تُركب، وجبالٌ لا تُرام. ولم يتسامَعْ أهل المملكتين ولاكان في ذكرهم مكانُ هذه الملكة.

وقد قلنا في باب القول في الهُدهُد ما قلنا(١)، حين ذكرنا الصَّرفة، وذكرنا حالَ يعقوب ويوسف وحالَ سليمان وهو معتمدٌ على عصاه، وهو مَيِّتٌ والجنُّ مُطيفة به وهم لا يشعُرون بموته، وذكرنا من صَرْف أوهام العرَب عن محاولة معارضة القرآن، ولم يأتوا به مضطربًا ولا مُلَفَّقاً ولا مُستكرَهاً؛ إذا كان في ذلك لأهل الشَّغبِ متعلّق، مع غير ذلك، ممّا يُخالَف فيه طريقُ الدُّهريّة، لأنّ الدّهريّ لا يُقر إلاّ بالمحسوسات والعادات على خلاف هذا المذهب.

ولعمري ما يستطيعُ الدّهريّ أن يقولَ بهذا القول ويحتجَّ بهذه الحجّة، ما دام لا يقول بالتّوحيد، وما دام لا يعرف إلا الفَلك وعمَلَه، ومادام يرى أن إرسال الرسُل يستحيل، وأن الأمر والنَّهي، والثوابَ والعقاب على غير ما نقول، وأنّ اللّه تعالى لا يجوز أن يأمر من جهة الاختبار إلا من جهة الحزْم.

---

(١) انظر ما تقدم في ٣ / ٢٤٩ (باب القول في الهدهد)، ٤ / ٧٧.

وكذلك نقول ونزعم أن أوهَام هذه العفاريت تُصرف عن الذكر لتقع المحنة، وكذلك نقول في النبي صلى الله عليه وسلم أنْ لو كانَ في جميع تلك الهزاهز[1] مَنْ يذكر قوله تعالى: ﴿والله يَعصِمُك من النّاسِ﴾[2] لسَقَطَ عنه من المحنة أغلظها. وإذا سقطَت المحنة لم تكن الطاعة والمعصية. وكذلك عظيم الطاعة مقرونٌ بعظيم الثّواب.

وما يصنع الدهري وغير الدّهري بهذه المسألة وبهذا التسطير[3]؟!

ونحن نقول: لو كان إبليس يذكر في كلِّ حال قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ﴾[4] وعلم في كلِّ حالٍ أنّه لا يُسْلِمُ لوَجَبَ أن المحنة كانت تسقط عنه، لأن من علِم يقيناً أنّه لا يمضي غداً إلى السوق ولايقبض دراهمَه من فلان، لم يطمع فيه. ومن لم يطمعْ في الشيء انقطعت عنه أسباب الدواعي إليه. ومن كان كذلك فمُحالٌ أن يأتيَ السّوق.

فنقول في إبليس: إنه يَنْسى ليكون مُختَبرًا ممتَحناً فليعلموا أن قولنا في مسترقي السمع كقولنا في إبليس، وفي جميع هذه الأمور التي أوْجَبَ علينا الدِّين أن نقولَ فيها بهذا القول.

وليس له أن يدفَع هذا القولَ على أصل ديننا، فإن أحبَّ أن يسأل عن الدين الذي أوجب هذا القول علينا فيلفعَلْ، والله تعالى المعين والموفّق.

وأما قولهم: «منْ يُخاطر بذَهاب نفْسه لخبرٍ يستفيده» فقد علِمْنا أن أصحاب الرِّياسات وإن كان متبيِّناً كيف كان اعتراضَهم على أنّ أيسر ما يحتملون في جَنْب تلك الرِّياَسات القتل.

ولعلّ بعض الشّياطين أن يكون معه من النَّفْخ[5] وحب الرِّياسة ما يهوِّن عليه أن يبلغ دُوَين المواضع التي إن دنا منها أصابه الرَّجْم، والرَّجمُ إنما ضمن أنه مانع من الوصول، ويعلم أنه إذا كان شهاباً أنه يُحرقه ولم يضمن أنه يتلف عنه، فما أكثر من تخترقه الرِّماح في الحرب ثم يعاودُ ذلك المكان ورزقُه ثمانون دِيناراً ولا يأخذ إلا

---

(١) الهزاهز: الفتن يهتز فيها الناس.
(٢) ٦٧/ المائدة: ٥.
(٣) التسطير: أن يأتي بأساطير وأحاديث تشبه الباطل.
(٤) ٣٥/ الحجر: ١٥.
(٥) النفخ: الكبر.

نصفه، ولا يأخذه إلا قمحاً. فلولا أن مع قَدَم هذا الجنديِّ ضروباً مما يهزُّه وينجِّده[1] ويدعو إليه ويُغْريه - ما كان يعود إلى موضعٍ قد قطعت فيه إحدى يديه، أو فقئت إحدى عينَيه.

ولِمَ وقع عليه إذًا اسمُ شيطان، ومارد، وعفريت، وأشباه ذلك؟! ولِمَ صار الإنسانُ يُسمَّى بهذه الأسماء، ويوصَف بهذه الصفات إذًا كان فيه الجزء الواحد من كلِّ ما همْ عليه؟!.

وقالوا في باب آخر من الطّعن غير هذا، قالوا في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً﴾[2] فقالوا: قد دلَّ هذا الكلام على أن الأخبار هناك كانت مُضَيَّعةً حتَّى حُصِّنت بعد. فقد وصفْتُم اللّه تعالى بالتَّضييع والاستدْراك!.

قلنا: ليس في هذا الكلام دليلٌ على أنهم سمعوا سِرًّا قط أوْ هجموا على خبر إن أشاعوه فسد به شيءٌ من الدّين. وللملائكة في السَّماء تسبيحٌ وتهليلٌ، وتكبيرٌ وتلاوة، فكان لا يبلغُ الموضعَ الذي يُسمَعُ ذلكَ منه إلا عفاريتُهم.

وقد يستقيم أن يكون العفريتُ يكذب ويقولُ: سمعت ما لم يَسْمع ومتى لم يكن على قوله برهانٌ يدلُّ على صدقه فإنما هو في كذبه من جنس كلِّ متنبئٍ وكاهن. فإن صدقه مصدقٌ بلا حُجَّة فليس ذلك بحجَّةٍ على اللّه وعلى رسوله صلى اللّه عليه وسلم.

١٨٢٦- [المحتجون بالشعر لرجم الشياطين قبل الإسلام]

وذهب بعضهم في الطّعن إلي غير هذه الحُجّة، قالوا: زعمتم أن اللّه تعالى جعلِ هذه الرُّجومَ للخوافي حُجّة للنبيِ صلى اللّه عليه وسلم، فكيف يكون ذلك رَجْمًا، وقد كان قبل الإسلام ظاهراً مرْئيّاً، وذلك موجودٌ في الأشعار. وقد قال بشر بن أبي خازم في ذلك[3]: [من الطويل]

فجاءاها من أول الـرِّيِّ غُـدوة ... وَلَمَّا يسَكّنْهُ من الأرضِ مَرْتَـعُ[4]
بأكْلبـةٍ زُرْقٍ ضـوارٍ كأنّهـا ... خطاطيفُ من طول الطريدة تلمعُ[5]

---

(١) ينجده: يجعله ذا نجدة، والنجدة: الشجاعة.
(٢) ٩/ الجن: ٧٢.
(٣) ديوان بشر بن أبي خازم ١٢١ (١٤٦).
(٤) جاءاها: دعاها إلى الشرب. المرتع: المرعى الخصيب.
(١) زرق: زرق العيون، الضواري: الكلاب التي اعتادت الصيد. الخطاطيف: جمع خطاف - بضم الخاء - وهي الحديدة الحجناء، شبه بها الكلاب لدقتها وضمورها.

فجـال على نَـفْر تعرُّضَ كوكـبٍ   وقد حالَ دُون النّقعِ والنّقْعُ يسْطَعُ[1]

فوصف شَوْط الثّور هاربًا من الكلابِ بانقضاض الكَوكـب في سُرعته، وحُسْنه، وبريق جلده. ولذلك قال الطّرِمّاح[2]: [من الكامل]

يَبْدُو وتُضْمِرُه البـلاد كأنّـهُ   سيفٌ علَى شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

وأنشد أيضًا قولَ بِشْر بن أبي خازم[3]: [من الكامل]

وتشُــجُّ بالعـير الفـلاة كأنّـهَـا   فتْخاءُ كاسِرةٌ هَـوَتْ من مرْقبِ[4]

والعير يُرْهِقُهـا الخبَـار وجَحشُهـا   ينقضُّ خلْفهُما انْقِضاض الكوكبِ[5]

قالوا: وقال الضّبّي: [من السريع]

يَنَالهـا مهتـك أشْـجارها   بذي غُروب فيه تحريبُ[6]

كأنّه حينَ نَحَا كوكـبٌ   أو قبَسٌ بالكفّ مشبوبُ[7]

وقال أوس بن حَجَر[8]: [من الكامل]

فانقضَّ كالـدّريءِ يَتْبَعُـهُ   نَقْع يثُورُ تخالُه طُنُبَا[9]

يَخفى وأحيانًا يلوح كما   رفـع المشيرُ بكفِّـهِ لهبَا

---

(١) جال: جرى، يعني الثور. النفر: الشرود. النقع: الغبار الذي تثيره أظلاف الثور. يسطع: ينتشر ويتفرق.

(٢) ديوان الطرماح ١٤٦ (١١٧)، وأساس البلاغة (ضمر)، وديوان المعاني ٢/١٣١، والأغاني ٦/٩٥، والعمدة ١/٢٦٠، وتقدم في ٣/٢٢٢، الفقرة (٨٨١).

(٣) ديوان بشر بن أبي خازم ٣٦ – ٣٧ (٨١).

(٤) في ديوانه: «تشج الفلاة: تشقها وتسير بها سيراً شديداً. والعير: حمار الوحش. فتخاء: أي عقاب فتخاء، وهي اللينة الجناح، لأنها إذا انحطت كسرت جناحيها، وهذا لا يكون إلا من اللين. والمرقب: الموضع المشرف من علم أو رابية يرتفع عليه الرقيب للمراقبة».

(٥) في ديوانه: «الخبار: أرض لينة رخوة تسوخ فيها القوائم. شبه الجحش بالكوكب المنقض في سرعته وبياضه.

(٦) الأشجار: جمع شَجر، وهو ما انفتح من مطبق الفم. غروب الأسنان: مناقع ريقها. التحريب: التحديد.

(٧) نحا: قصد.

(٨) ديوان أوس بن حجر ٣ – ٤، والأول في اللسان والتاج (درأ)، والتهذيب ١٤/١٥٨.

(٩) الدريء: الكوكب المنقض يدرأ على الشيطان. النقع: الغبار الساطع. تخاله طنباً: يريد: تخاله فسطاطاً مضروباً.

ورووا قوله(١): [من الكامل]

فانقضَّ كالدرّي من مُتَحدِّرٍ لَمْعَ العقيقةِ جُنْحَ لَيل مُظْلِمِ(٢)

وقال عَوْف بن الخرِعِ: [من الطويل]

يردُّ علينا العَيْرَ من دون أَنْفه أو الثَّوْر كالدُّرّي يتْبَعُهُ الدَّمُ

وقال الأفوه الأودي(٣): [من الرمل]

كشِهاب القَذفِ يَرميكُمْ به فارسٌ في كفِّه للحَرْبِ نارُ

وقال أُميَّةُ بن أبي الصَّلْت(٤): [من الكامل]

وترى شياطيناً تَرُوغُ مُضافةً ورَواغُها شتّى إذا ما تُطْرَدُ(٥)

يُلْقَى عليها في السَّماء مذلَّة وكواكبٌ تُرمى بها فتعرِّدُ(٦)

قلنا لهؤلاء القوم: إن قَدَرتم على شعرٍ جاهليٍّ لم يُدرِكْ مَبعث النبي ﷺ ولا مَولِده فهو بعضُ ما يتعلّق به مثلُكم، وإن كان الجوابُ في ذلك سيأتيكم إن شاء اللّه تعالى. فأما أشعار المخضْرمين والإسلاميّين فليس لكم في ذلك حُجَّة. والجاهليُّ ما لم يكن أدرك المولد، فإنَّ ذلك ممَّا ليس ينبغي لكم أن تتعلَّقوا به. وبِشرُ بنُ أبي خازم فقد أدرك الفِجار، والنبي ﷺ شهِد الفِجار، وقال: «شهدتُ الفجار فكنْتُ أنبل على عمومتي وأنا غلام»(٧).

والأعلام ضروب، فمنها ما يكون كالبشارات في الكتب، لكون الصِّفة إذا واقفت الصِّفة التي لا يقع مثلها اتفاقاً وعرضاً لزمتْ فيه الحجة، وضروبٌ أُخَرُ كالإرهاص للأمر، والتأسيس له، وكالتعبيد والترشيح(٨)، فإنَّه قلَّ نبيٌّ إلاَّ وقد حدثت عند مولده، أو قُبيلَ مولِده، أو بعد مولده أشياءُ لم يكنْ يحدُث مثلُها. وعند ذلك

---

(١) سيذكر الجاحظ هذا البيت ص ٤٦٠ .

(٢) العقيقة: البرق إذا رأيته وسط السحاب كأنه سيف مسلول.

(٣) ديوان الأفوه الأودي ١٢، والحماسة البصرية ١ /٤٩ .

(٤) ديوان أمية بن أبي الصلت ٣٦١.

(٥) تروغ: تميل. المضاف: الخائف.

(٦) التعريد: الإحجام والفرار. التقديد: التقطيع.

(٧) النهاية ٣/٤١٤، ٥ /١٠، وعمدة الحفاظ ٢ /٢٠٤ (فجر). وانظر لحرب الفجار: الأغاني ٢٢ /٥٤ - ٧٤، وأيام العرب في الجاهلية ٣٢٢ - ٣٤١.

(٨) التعبيد: التمهيد والتذليل. الترشيح: التهيئة للشيء.

يقول الناس: إنّ هذا لأمرٍ، وإنّ هذا ليراد به أمرٌ وقع، أو سيكون لهذا نبأ. كما تراهم يقولون عند الذوائب التي تحدث لبعض الكواكب في بعض الزمان. فمن التّرشيح والتّأسيس والتّفخيم شأنُ عبد المطلب عند القُرعة، وحين خروج الماء من تحت رُكْبة جملة، وما كان من شأن الفيل والطيرِ الأبابيل وغير ذلك، مما إذا تقدم للرّجل زاد في نُبله وفي فَخامة أمره. والمتوقّع أبداً معظّم

فإن كانت هذه الشهب في هذه الأيام أبداً مرئيّة فإنما كانت من التأسيس والإرهاص، إلا أن يُنْشِدونا مثل شعر الشعراء الذين لم يدركوا المولد ولا بعد ذلك، فإنّ عددهم كثير، وشعرهم معروف.

وقد قيل الشّعر قبل الإسلام في مقدار من االدهر أطولَ ممّا بيننا اليوم وبين أوّل الإسلام، وأولئكم عندكم أشعرُ ممن كان بعدهم.

وكان أحدهم لا يدع عظماً منبوذاً بالياً، ولا حجراً مطروحاً، ولا خنفساء، ولا جُعلاً، ولا دودة، ولا حية، إلا قال فيها، فكيف لم يتهيأ من واحدٍ منهم أن يذكر الكواكب المنقضّة مع حُسْنها وسُرعتها والأعجوبة فيها. وكيف أمسكُوا بأجمعهم عن ذكرها إلى الزّمان الذي يحْتَجُّ فيه خصومُكم.

وقد علمْنا أنّ النبي ﷺ حين ذُكر له يوم ذي قار قال: «هذا أوّلُ يومٍ انتصفَتْ فيه العربُ من العجم، وبي نُصروا».

ولم يكن قال لهم قبْل ذلك إنّ وقْعةً ستكون، من صِفَتها كذا، ومن شأنها كذا، وتُنصرون على العجَم، وبي تنصرون

فإن كان بشرُ بن أبي خازمٍ وهؤلاء الذين ذكرتُم قد عايَنُوا انقضاض الكواكب فليس بمستنكرٍ أنْ تكون كانت إرهاصاً لمن لم يُخبر عنها ويحتجُّ بها لنفسه. فكيف وبشر بن أبي خازم حيّ في أيّام الفِجار، التي شهدها النبيُّ ﷺ بنفسه، وأنّ كنانة وقُريشاً به نُصروا.

وسنقول في هذه الأشعار التي أنشدتموها، ونُخبِر عن مقاديرها وطبقاتها. فأما قوله(١): [من الكامل]

فانقضَّ كالدُّرّي من متحدّرٍ   لمْعَ العقيقةِ جُنْحَ ليل مُظلمِ

(١) تقدم البيت ص ٤٥٩ .

فخبّرني أبو إسحاق أن هذا البيت في أبياتٍ أخر كان أسامة صاحب رَوْح بن أبي هَمَّام، هو الذي كان ولّدها. فإن اتَّهمت خبر أبي إسحاق فسمِّ الشّاعرَ، وهات القصيدة، فإنَّه لا يُقبل في مثل هذا إلاّ بيتٌ صحيح صحيح الجوهَرِ، من قصيدة، صحيحة لشاعر معروف. وإلاّ فإن كلَّ من يقول الشِّعر يستطيعُ أن يقول خمسين بيتاً كل بيتٍ منها أجودُ من هذا البيت.

وأسامة هذا هو الذي قال له رَوْحٌ: [من مجزوء الخفيف]

اسقني يا أُسامَهْ　　　مِنْ رحيق مُدامَهْ
اسْقنيها فإنّي　　　كافرٌ بالقيامَهْ

وهذا الشعر هو الذي قتله. وأمَّا ما أنشدتم من قول أوس بن حجر[1]: [من الكامل]

فانقضَّ كالدريء يتبعه　　　نَقْعٌ يثُور تخالُه طُنبا

وهذا الشّعر ليس يرويه لأوسٍ إلاّ من لا يفصِل بين شعر أوس بن حجر، وشُريح ابن أوس. وقد طعنت الرُّواة في هذا الشِّعر الذي أضفْتموه إلى بشر بن أبي خازم، من قوله[2]: [من الكامل]

والعير يرهقها الخبارُ وجَحْشها　　　ينقضُّ خلفهما انقضاض الكوكبِ

فزعموا أنه ليس من عادتهم أن يصِفوا عَدْو الحمار بانقضاض الكوكب، ولا بَدَن الحمار ببدن الكوكب. وقالوا: في شعر بشر مصنوعٌ كثير، مما قد احتملتْه كثيرٌ من الرُّواة على أنَّه من صحيح شعره. فمن ذلك قصيدته التي يقول فيها[3]: [من الوافر]

فرجِّي الخيرَ وانتظِري إيابي　　　إذا ما القارِظُ العَنَزِيُّ آبا[4]

---

(١) ديوان أوس بن حجر٣، وتقدم ص ٤٥٨ .

(٢) تقدم البيت ص ٤٥٨ .

(٣) ديوان بشر بن أبي خازم ٢٦ (٧٤).

(٤) في ديوانه: «القارظ: الذي يجني القرظ؛ وهو شجر يدبغ بورقه وثمره. والقارظ العنزي: رجل من عنزة خرج يطلب القرظ فمات ولم يرجع إلى أهله. فضربته العرب مثلاً للمفقود الذي يفوت فلا يرجع، وهما قارظان، ولهما حديث، انظره في مجمع الأمثال ١/٧٥، والسمط ٩٩ – ١٠٠، واللسان (قرظ).

وأما ما ذكرتم من شعر هذا الضَّبِّي، فإنَّ الضّبيَّ مخضرم.

وزعمتم أنَّكم وجدتُم ذِكْر الشُّهب في كتب القُدماء من الفلاسفة، وأنّه في الآثار العُلْوية لأرسطاليس، حين ذكر القول في الشُّهب، مع القول في الكواكب ذوات الذوائب، ومع القول في القَوس، والطَّوق الذي يكون حول القَمَر بالليل. فإن كنتم بمثل هذا تَستعينونَ، وإليه تفزعون، فإنّا نوجدكم من كذب التَّراجمة وزيادتهم، ومن فساد الكِتاب، من جهة تأويل الكلام، ومن جهة جهْلِ المترجِمِ بنقل لغة إلى لغة، ومن جهة فَسَاد النَّسخ، ومن أنه قد تقادمَ فاعترضَتْ دونه الدُّهورُ والأحقاب، فصار لا يؤمن عليه ضروبُ التّبديل والفساد. وهذا الكلام معروفٌ صحيح.

وأما ما رويتم من شعر الأفوه الأوديّ فلعمري إنّه لجاهليّ، وما وجدْنا أحداً من الرُّواة يشكُّ في أن القصيدة مصنوعةٌ. وبعد فمنْ أين علم الأفْوهُ أنّ الشهب التي يراها إنما هي قذْفٌ ورجْم، وهو جاهليٌّ، ولم يدَّعِ هَذا أحدٌ قطُّ إلا المسلمون؟ فهذا دليلٌ آخر على أن القصيدة مصنوعة

١٨٢٧ - [رجع القول إلى تفسير قصيدة البهراني]

ثم رجع بنا القولُ إلى تفسير قصيدة البهرانيّ(١):

وأما قوله: [من الخفيف]

٢٨ - «جائباً للبحار أُهدي لعِرْسي ... فُلفلاً مجتنًى وهَضْمة عِطْر

٢٩ - وأحلّي هُرَيْرَ مِنْ صدفَ البحْـ ... ـر وأسْقي العِيال من نيل مِصرِ»

فإن الناس يقولون: إن السَّاحر لا يكون ماهراً حتَّى يأتي بالفلْفُل الرّطب من سرنديب. وهُريرة: اسم امرأته الجنِّيّة.

وذكر الظّبي الذي جعله مَرْكبه إلى بلاد الهند، فقال:

٣٠ - «وأجوبُ البلاد تحتيَ ظبيٌ ... ضاحكٌ سِنُّه كثيرُ التَّمرِّي

٣٢ - مُولج دَبْرَهُ خَوَايَة مَكْوٍ ... وهو باللّيل في العفاريت يَسْري»

يقول: هذا الظّبي الذي من جُبْنه وحذره، من بين جميع الوَحْش، لا يدخل حَراه(٢) إلا مستدبراً، لتكون عيناه تلقاء ما يخاف أن يغشاه هو الذي يسري مع العفاريت باللّيل ضاحِكاً بي هازئاً إذا كان تحتي.

---

(١) تقدمت القصيدة ص ٣٥٨ - ٣٦٠ .

(٢) الحرا: مأوى الظبي.

وأما قوله:

٣٣ - «يحسَبُ النَّاظِرُون أني ابنُ ماءٍ ذاكرٌ عُشَّهُ بضَفَّةِ نَهْرِ»

فإن الجنّيَّ إذا طار به في جوِّ السماء ظنَّ كلٌّ من رآه أنّه طائر ماء.

١٨٢٨ - [قولهم: أروى من ضبّ]

وأما قولهم في المثل: «أروى من ضبّ» فإني لا أعرفه، لأنَّ كلَّ شيء بالدوّ والدَّهْناء والصَّمَّان، وأوساط هذه المهامه والصحاصح فإن جميع ما يسكنُها من الحشرات والسِّباع لا يردُ الماء ولا يريدُه، لأنه ليس في أوساط هذه الفيافي في الصَّيف كله وفي القَيظ جميعاً مَنْقَع ماء، ولا غدير، ولا شريعة، ولا وَشَلَ[١]. فإذا استقام أن يمرّ بظبائها وأرانبها وثعالبها وغير ذلك منها الصَّيفة كلَّها، والقيظ كله، ولم تذق فيها قطرة ماء، فهي له في الشتاء أتْرك، لأنَّ من اقتاتَ اليبَس إذا لم يشرب الماء فهو إذا اقتات الرَّطب أترك.

وليس العجب في هذا، ولكنّ العجب في إبلٍ لا ترِد الماء.

وزعم الأصمعيُّ أنَّ لبني عقيل ماعِزاً لم يرد الماءَ قطّ[٢]. فينبغي على ذاكَ أنْ يكون واديهم لا يزالُ يكونُ فيه من البقْل والورق ما يُعيشُها بتلك الرُّطوبة التي فيها.

ولو كانت ثعالبُ الدَّهْناء وظباؤُها وأرانبُها ووحْشُها تحتاج إلى الماء لطَلَبتْه أشدّ الطلب،، فإن الحيوان كلَّه يهتدي إلى ما يُعيشه، وذلك في طبْعه وإنما سُلِب هذه المعارفَ الذين أُعطوا العقل والاستطاعة فوكِلوا إليهما.

فأمّا من سُلِبَ الآلة التي بها تكون الرَّويّة والأداة التي يكون بها التصرُّف، وتخرج أفعاله من حد الإيجاب إلى حد الإمكان، وعُوِّض التمكينَ، فإن سبيله غيرُ سبيل من مُنِح ذلك، فقسم الله تعالى لتلك الكفاية، وقسم لهؤلاء الابتلاء والاختيار.

١٨٢٩ - [قصيدتا بشر بن المعتمر]

أوّل ما نبدأ قبل ذكر الحشرات وأصناف الحيوان والوحش بشِعْرَي بشرِ بن المعتمر، فإن له في هذا الباب قصيدتين، قد جمع فيهما كثيراً من هذه الغرائب

---

(١) الوشل: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة.

(٢) تقدم القول في ٥ / ٤٨٥.

والفرائد، ونبَّه بهذا على وجوهٍ كثيرةٍ من الحكمة العجيبة، والموعظة البليغة. وقد كان يمكننا أن نذكر من شأن هذه السِّباع والحشرات بقَدْر ما تتسع له الرواية، من غير أن نكتبهما في هذا الكتاب، ولكنهما يجمعان أموراً كثيرة.

أمّا أوّل ذلك فإنَّ حفظَ الشّعر أهونُ على النَّفس، وإذا حُفظ كان أعلَقَ وأثبت، وكان شاهداً. وإن احتيج إلى ضرْب المثل كان مثلاً.

وإذا قسمنا ما عندنا في هذه الأصناف، على بيوت هذين الشِّعرين، وقع ذكرهما مصنّفاً فيصير حينئذٍ آنقَ في الأسماع، وأشدَّ في الحفْظ.

١٨٣٠ - [القصيدة الأولى]

قال بشرُ بن المعتمر[١]: [من السريع]

١ - الناس دأباً في طلاب الغنى ... وكُلهُمْ منْ شأنه الخترُ[٢]
٢- كأذؤبٍ تنهشُها أذؤُبٌ ... لها عُوَاءٌ ولَها زَفْرُ
٣- تراهمُ فوضى وأيدي سبَا ... كُلٌّ لَهُ في نَفْثه سحرُ[٣]
٤- تبـارك اللّـه وسُبْحانَه ... بين يدَيه النَّفْعُ والضّرُّ
٥- مَنْ خَلْقُه في رزقهِ كلُّهُمْ ... الذِّيخُ والثّيتلُ والغُفرُ[٤]
٦- وساكنُ الجوِّ إذا ما علا ... فيه، ومَنْ مَسْكَنُهُ القفرُ
٧ - والصَّدع الأعصَمُ في شاهقٍ ... وَجابَةٌ مَسْكنها الوعْرُ
٨ - والحيَّةُ الصَّماءُ في جُحْرها ... والتّتفلُ الرائغُ والذَّرُّ[٥]
٩- وإلقةٌ تُرْغثُ رُبّاحها ... والسَّهْلُ والنَّوفلُ والنضرُ[٦]
١٠- وهِقْلةٌ ترْتاعُ من ظِلّها ... لها عِرارٌ ولها زَمْرُ[٧]

---

(١) الأبيات (١ - ٩) في اللسان (ربح) والتنبيه والإيضاح ١/٢٣٦، والأبيات (٤ - ١١،٢٠) في اللسان (الق)، والبيت التاسع في التاج (ربح، الق)، وتقدم بلا نسبة في ٢/٤٠٢، والفقرة (٤٦٢). وتقدمت الأبيات (١٠ - ١٣، ٢٠) ص ٣٤٨، والبيت (٢٨) في اللسان والتاج (شرف)، والبيت (٦٠) في البيان ٤/٢٢.

(٢) الختر: الغدر.

(٣) النفث: شبيه بالنفخ.

(٤) الذيخ: الذكر من الضباع. الثيتل: الوعل المسن، وجنس من بقر الوحش. الغفر: ولد الأروية.

(٥) التتفل: الثعلب.

(٦) الإلقة: القردة. الرباح: القرد. ترغثه: ترضعه. السهل: الغراب. النوفل: البحر. النضر: الذهب.

(٧) الهقلة: الفتية من النعام. العِرار: الصياح.

١١- تلتهم المرْوَ على شَهْوةٍ أحبُّ شيءٍ عنْدَها الجمرُ(١)
١٢- وضَبة تأكلُ أولادها وعُترُفانٌ بطْنُهُ صفرُ(٢)
١٣- يُؤثر بالطُّعْم، وتأذينه، مُنَجِّمٌ ليس له فكرُ
١٤- وكيف لا أعجبُ من عالمٍ حُشوتُهُ التأبيس والدَّغْرُ(٣)
١٥- وحكمةٌ يبصرها عاقلٌ ليس له منْ دُونها سِترُ
١٦- جرادةٌ تخرقُ مَتْنَ الصَّفَا وابْغَثٌ يَصْطَادُهُ صقرُ
١٧- سلاحُه رمحٌ فما عُذْرُه وقد عراه دُونه الذُّعر
١٨- والدُّبُ والقرد إذا عُلِّما والفيلُ والكَلْبَةُ واليَعْرُ(٤)
١٩- يحجم عن فَرْط أعاجيبها وعنَ مدى غاياتها السِّحْرُ
٢٠- وظبية تخضمُ في حَنْظلٍ وعَقْربٌ يُعْجبها التَّمْرُ
٢١- وخُنْفُسُ يسعى بجعلانه يقُوتها الأرْواثُ والبَعْرُ
٢٢- يقتُلها الوردُ وتحيا إذا ضُمَّ إليها الرَّوث والجعْرُ
٢٣- وفأرة البيشِ إمامٌ لها والخلدُ فيه عجبٌ هترُ(٥)
٢٤- وقنفُذٌ يسري إلى حيَّةٍ وحيّةٌ يُخْلَى لَهُ الجُحْرُ
٢٥- وعضْرَفُوطٌ ماله قبْلَةٌ وهُدهُدٌ يُكفره بكرُ
٢٦- وفَرّة العقرب من لَسْعها تُخبرُ أنْ لَيْسَ لها عُذْرُ
٢٧- والبَبْر فيه عَجبٌ عاجبٌ إذا تلاقى اللّيثُ والببرُ
٢٨- وطائرٌ أشْرَفُ ذو جُرْدَة وطائرٌ لَيْسَ له وكْرُ(٦)
٢٩- وتُرْمُلٌ تأوي إلى دَوْبَل وعَسْكرٌ يَتْبَعُه النَّسرُ(٧)
٣٠- يُسالِمُ الضَّبْعَ بذي مرَّةٍ أبْرمها في الرَّحم العُمْرُ
٣١- وتمسحٌ خَلّلهُ طائرٌ وسابحٌ ليس له سحْرُ(٨)

---

(١) المرو: حجر أبيض براق.
(٢) العترفان: الديك.
(٣) التأبيس: الإغاظة والترويع. الدغر: توثب المختلس.
(٤) اليعر: صغار الغنم.
(٥) الهتر: العجب.
(٦) الجردة: التجرد، أي التجرد من الزغب والريش.
(٧) الترمل: أورد الجاحظ في تفسيره للبيت فيما سيأتي «الترملة»: أنثى الثعالب، وهي مسالمة للدوبل». الدوبل: الذئب العرم.
(٨) التمسح: التمساح. السحر: الرئة.

٣٢- والعُثُّ والحفَّاثُ ذو فحفحٍ وخرنقٌ يَسْفَدُهُ وبْرُ[١]
٣٣- وغائص في الرمل ذو حدّة ليس له نابٌ ولا ظفْرُ[٢]
٣٤- حرباؤُها في قيظها شامسٌ حَتَّى يوافي وَقْتَهُ العَصْرُ[٣]
٣٥- يميل بالشّقّ إليها كما يميل في روْضَته الزَّهْرُ[٣]
٣٦- والظَّربانُ الوَرْدُ قد شفَّه حبٌّ الكُشَى، والوَحَرُ الحمْرُ[٤]
٣٧- يلوذُ منه الضَّبُّ مُذلولياً ولو نجا أهلَكَهُ الذُّعرُ[٤]
٣٨- وليس يُنجيه إذا ما فَسَا شيءٌ ولو أحْرزَهُ قصرُ[٤]
٣٩- وهَيشة تأكلها سُرْفَةٌ وسمْعُ ذئْب همُّه الحُضْرُ[٥]
٤٠- لا تردُ الماء أفاعي النَّقا لكنما يعجبُها الخمْرُ[٦]
٤١- وفي ذرَى الحَرْملِ ظلٌّ لها إذا غلا واحْتدَمَ الهَجْرُ[٦]
٤٢- فبعضها طُعْمٌ لبعض كما أعطى سِهامَ المَيْسِر القَمْرُ[٦]
٤٣- وتمْسَحُ النِّيل عُقابُ الهوا والَّليثُ رأسٌ ولهَ الأسرُ[٧]
٤٤- ثلاثــةٌ ليس لها غالبٌ إلاَّ بما ينتقض الدَّهر[٧]
٤٥- إنِّي وإن كنتُ ضعيفَ القُوى فاللّه يقْضي ولهُ الأمرُ
٤٦- لست إباضيًّا غَبيًّا ولا كرافضيٌّ غَرَّهُ الجفْرُ
٤٧- كما يغُرُّ الآلُ في سَبْسب سَفْراً فأودى عنده السّفْرُ[٨]
٤٨- كلاهما وسَّع في جهْل ما فعاله عندهما كُفْرُ
٤٩- لسنا من الحشْو الجُفاة الأُولى عابُوا الذي عابوا ولم يَدْرُوا
٥٠- أنْ غبْت لم يُسْلِمْكَ من تُهْمة وإنْ رنا فلحظُهُ شزْرُ[٩]
٥١- يُعرِضُ إن سَالمته مُدْبرًا كأنما يلسَبُه الدَّبْرُ[١٠]
٥٢- أبْلَهُ خِبٌّ ضَغِنٌ قلبُه له احْتيالٌ وله مَكْرُ

(١) انظر ما سيأتي من الشرح ص ٤٩٦ .
(٢) انظر ما سيأتي من الشرح ص ٥٠٥ .
(٣) انظر ما سيأتي من الشرح ص ٥٠٧ .
(٤) انظر ما سيأتي من الشرح ص ٥١١ .
(٥) انظر ما سيأتي من الشرح ص ٥١٩ .
(٦) انظر ما سيأتي من الشرح ص ٥٢٧ – ٥٢٨ .
(٧) انظر ما سيأتي من الشرح ص ٥٣١ .
(٨) الآل: السراب. السفر: جماعة المسافرين.
(٩) الرنو: إدامة النظر.
(١٠) لسبه: لسعه. الدبر: النحل والزنابير.

٥٣- وانتحلوا جماعةً باسمها وفارقوها فهُمُ اليَعْرُ[١]
٥٤- وأهوجَ أعوجَ ذُو لُوثةٍ ليس له رأيٌ ولا قَدْرُ[٢]
٥٥- قد غرَّه في نفسه مثلُه وغرَّهم أيضاً كما غرُّوا
٥٦- لا تنجع الحكمةُ فيهم كما يَنْبُو عن الجرولة القَطْرُ[٣]
٥٧- قلوبُهُمْ شتَّى فما منهم ثلاثةٌ يجمعُهمْ أمرُ
٥٨- إلاَّ الأذى أو بَهْت أهْلِ التُّقى وأنَّهم أعيُنُهمْ خُزْرُ[٤]
٥٩- أولئك الدَّاءُ العُضالُ الذي أعيا لديه الصّابُ والمقْرُ[٥]
٦٠- حيلة من ليستْ له حيلةٌ حُسْنُ عزاءِ النَّفس والصبرُ

١٨٣١ - [القصيدة الثانية]

قال: وأنشدني أيضاً[٦]: [من السريع]

١ - ما ترى العالم ذا حُشْوةٍ يقصُرُ عنها عَدَدُ القَطْرِ
٢ - أوابد الوحْشِ وأحْناشُها وكلُّ سَبْعٍ وافر الظُّفْرِ
٣ - وبعضُه ذو همجٍ هامجٍ فيه اعتبارٌ لذوي الفكرِ
٤ - والوزَغُ الرُّقْطُ على ذُلِّها تُطاعمُ الحيَّاتِ في الجُحْرِ
٥ - والخنْفسُ الأسْودُ في طَبْعه مَودَّةَ العقربِ في السِّرِّ
٦ - والحَشراتُ الغُبْرُ منْبَثَّةٌ بين الورى والبلدِ القفرِ
٧ - وكلها شَرٌّ وفي شرِّها خيرٌ كثير عند من يدري
٨ - لو فكَّرَ العاقل في نفسه مدّة هذا الخلق في العُمْرِ
٩ - لم ير إلاَّ عجباً شاملاً أو حُجَّةً تُنقشُ في الصَّخْرِ
١٠ - فكم ترى في الخلق من آيةٍ خفيَّة الجُسْمان في قَعْرِ
١١ - أبرزها الفكر على فكرةٍ يحارُ فيها وضَحُ الفَجْرِ
١٢ - للّه درُّ العقْلِ من رائدٍ وصاحبٍ في العُسْرِ واليُسْرِ
١٣ - وحاكمٍ يقضي على غائبٍ قضيَّة الشَّاهدِ للأمْرِ

---

(١) اليعر: صغار الغنم.
(٢) اللوثة: الحمق.
(٣) الجرولة: الحجارة.
(٤) الخزر: جمع خزراء وأخزر، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه.
(٥) الصاب والمقر: نبتان مران.
(٦) تقدم البيتان (٤ - ٥) ص ٣٤٧ .

١٤ - وإنَّ شيئاً بعضُ أفعاله أن يفصِل الخير من الشَّرِّ
١٥ - بذي قوًى، قد خصّه ربُّه بخالص التَّقديس والطُّهرِ
١٦ - بل أنت كالعين وإنسانها ومخرج الخيْشُوم والنَّحْرِ
١٧ - فشرُّهم أكثرهم حيلةً كالذِّئب والثَّعلب والذَّرِّ
١٨ - واللَّيث قد جَلَّده علمُه بما حَوى من شدَّة الأسرِ[١]
١٩ - فتارة يحْطِمُه خابطاً وتارة يثنيه بالهصْرِ
٢٠ - والضعفُ قد عرَّف أربابَه مواضع الفرِّ من الكرِّ
٢١ - تعرف بالإحساس أقدارها في الأسر والإلحاج والصَّبْرِ[٢]
٢٢ - والبخْتُ مقرونٌ فلا تجهلنّ بصاحب الحاجة والفَقْرِ
٢٣ - وذُو الكفايات إلى سَكْرة أهون منها سَكْرةُ الخمْرِ
٢٤ - والضَّبُعُ الغَثْراء معْ ذيخها شَرٌّ من اللبوة والنَّمْرِ[٣]
٢٥ - لو خُلّي اللَّيث ببطن الورى والنَّمرُ أو قد جيء بالبَبْرِ
٢٦- كان لها أرْجى ولو قضقضت ما بين قَرنَيه إلى الصَّدْرِ[٤]
٢٧- والذئب إن أفلت من شره فبعد أن أبلغ في العُذْرِ
٢٨- وكـلُّ جنس فله قالبٌ وعُنْصرٌ أعراقُهُ تَسري
٢٩- وتصنع السُّرفة فيهم على مثل صَنيع الأرض والبَذْرِ
٣٠- والأَضعفُ الأصغَرُ أحْرَى بأن يحتال للأكبر بالفكرِ
٣١- متى يرى عدوّه قاهراً أحوجَهُ ذاك إلى المكْرِ
٣٢- كما ترى الذئب إذا لم يُطقْ صاحَ فجاءت رَسلاً تجري[٥]
٣٣- وكلُّ شيء فعلى قدْره يُحجم أو يُقْدِمُ أو يجري
٣٤- والكَيْس في المكسب شَمْلٌ لَهُمْ والعندليبُ الفَرْخُ كالنَّسْرِ
٣٥- والخلْد كالذِّئب على خُبْثه والفيلُ والأعلم كالوبْرِ[٦]
٣٦- والعبدُ كالحرِّ وإن ساءَه والأبغث الأغثَر كالصّقرِ[٧]

(١) الجلد: الشديد القوي.
(٢) الأسر: القوة.
(٣) الغثراء: التي لونها الغثرة، وهي لونان من سواد وصفرة. الذيخ: الذكر من الضباع.
(٤) القضقضة: أن يحطم عظام الفريسة. القرن: واحد قرون الرأس، وهي نواحيها.
(٥) الرسل: القطيع من كل شيء.
(٦) الأعلم: البعير، سمي بذلك لأنه مشقوق الشفة العليا. الوبر: دويبة أصغر من السنور، تقيم في البيوت. حياة الحيوان ٢/٤٠٩.
(٧) الأبغث: من طير الماء طويل العنق، لونه كلون الرماد. الأغثر: ما لونه الغثرة، وهي لونان من سواد وصفرة.

٣٧- لكنَّهم في الدِّين أيدي سبا تفاوتوا في الرَّأي والقَدْرِ
٣٨- قد غمرَ التَّقليدُ أحلامَهُمْ فناصبُوا القيَّاسَ ذا السَّبْرِ[١]
٣٩- فافهَمْ كلامي واصطَبِرْ ساعةً فإنّما النُّجْح مع الصَّبْرِ
٤٠- وانظر إلى الدُّنْيا بعين امرئٍ يكره أن يجري ولا يدْري
٤١- أما تـرى الهِقْلَ وأمعاءه يجمعُ بين الصَّخْرِ والجمْرِ
٤٢- وفارة البيش على بيشها طيِّبةٌ فائقة العطرِ
٤٣- وطائر يسبح في جاحمٍ كماهرٍ يسبحُ في غَمْرِ
٤٤- ولطعة الذئب على حسْوهِ وصنعة السُّرْفة والدَّبْرِ
٤٥- ومَسْمع القرْدان في منهل أعجبُ ممّا قيلَ في الحجْرِ[٢]
٤٦- وظبية تُدْخلُ في تولَجٍ مُؤْخرها من شدّة الذُّعرِ[٣]
٤٧- تأخذ بالحزْم على قانصٍ يُريغها من قَبلِ الدُّبْرِ[٤]
٤٨- والمقْرَمُ المعلم ما إنّ له مرارةٌ تُسْمعُ في الذِّكْرِ[٥]
٤٩- وخُصْيةٌ تنصلُ من جوفه عند حُدوث الموت والنّحرِ[٦]
٥٠- ولا يَرَى من بَعْدها جازرٌ شَـقْشقةً مائلـــة الهـدْرِ
٥١- وليس للطِّرْف طحالٌ وقد أشـاعـه العالـمُ بالأمـرِ
٥٢- وفي فؤاد الثور عَظمٌ وقد يعـرفـه الجـازر ذو الخُبْرِ
٥٣- وأكثرُ الحيتان أعجوبةً مـا كـان منهـا عاش فـي البحـرِ
٥٤- إذْ لا لسانٌ سُقي ملحَهُ ولا دمـــاغُ السَّمك النَّهـري
٥٥- يدخل في العذبِ إلى جَمِّه كفعـلِ ذي النُّقلـة فـي الـبرِّ[٧]
٥٦- تدير أوقاتاً بأعيانها على مثال الفلك المجري
٥٧- وكلُّ جنسٍ فلهُ مُدّةٌ تَعاقبَ الأنْواء في الشُّهرِ
٥٨- وأكبُدٌ تَظْهرُ في ليلها ثـمَّ توارَى آخرَ الدَّهْرِ[٨]

---

(١) السبر: مصدر سبر الجرح، أي نظر مقداره وقاسه ليعرف غوره.
(٢) الحجر: الأنثى من الخيل، وانظر لقوة شم الفرس ما تقدم في ٢/٣٢٦، الفقرة (٣٥٠).
(٣) التولج: كناس الظبي.
(٤) أراغ الصائد القنص: طلبه.
(٥) المقرم: البعير يترك للفحلة والضراب. المعلم: الذي جعلت له سمة وعلامة.
(٦) تنصل: تزول وتختفي.
(٧) العذب: الماء العذب. جمُّ الشيء: معظمه. ذو النقلة: أراد قواطع الطير التي تقطع إلى الناس في أزمان معينة من السنة.
(٨) انظر ما سيأتي ص ٥٥٥، فثمة شرح للأبيات (٥٨ - ٥٩ - ٦٠).

٥٩- ولا يُسيغ الطُّعْم ما لم يكُن　　مزاجه ماءً على قَدْرِ
٦٠- ليس له شيء لإزلاقه　　سوى جرابٍ واسع الشَّجْرِ[١]
٦١- والتتفل الرائغ إمّا نَضا　　فشطر أنبوب على شطرِ[٢]
٦٢- متى رأى اللَّيثُ أخا حافرٍ　　تجده ذا فَشٍّ وذا جزْرِ[٣]
٦٣- وإن رأى النِّمْرَ طعاماً له　　أطمَعَه ذلك في النِّمْرِ
٦٤- وإن رأى مخلبَهُ وافياً　　ونابَه يجْرح في الصَّخْرِ
٦٥- منهرت الشِّدق إلى غلْصَمٍ　　فالنِّمْر مأكولٌ إلى الحشْرِ[٤]
٦٦- وما يُعادي النِّمرُ في ضَيْغَمٍ　　زئيرهُ أصبر من نمْرِ
٦٧- لولا الذي في أصْلِ تركيبه　　من شِدّةِ الأضلاع والظَّهْرِ
٦٨- يبلغُ بالجَسْر على طبعه　　ما يسْحر المختال ذا الكبرِ[٥]
٦٩- سبحان ربِّ الخلقِ والأمر　　ومُنْشر الميْتِ من القبرِ
٧٠- فاصبرْ على التَّفكير فيما ترى　　ما أقرب الأجرَ من الوِزْرِ

١٨٣٢ - [تفسير القصيدة الأولى]

نقول بعون اللّه تعالى وقُوته في تفسير قصيدة أبي سهل بشر بن المعتمر، ونبدأ بالأولى المرفوعة، التي ذكر في آخرها الإباضية، والرافضة، والنابتة. فإذا قلنا في ذلك بما حضرَنا قلنا في قصيدته الثانية إن شاء اللّه تعالى.

١٨٣٣ - [ما قيل في الذئب]

أمَّا قوله:

٢ - «كأذْؤُبٍ تنهشُها أذْؤبٌ　　لها عُواءٌ ولها زَفرُ»

فإنَّها قد تتهارشُ على الفريسة، ولا تبلغ القتْل، فإذا أدْمى بعضها بعضاً وثَبتْ عليه فمزّقته وأكلته. وقال الرّاجز[٧]: [من الرجز]

---

(١) الشجر: مفرج الفم.
(٢) التتفل: الثعلب، نضا: أدلى فأخرج جردانه، وسيعاد هذا البيت ص ٤٧٤ .
(٣) أخا الحافر: أي ما له حافر من الحيوان. الفش: الأكل.
(٤) المنهرت: الواسع.
(٥) الجَسْر: الشجاع.
(٦) الرجز لرؤبة في ديوانه ١٤٢، واللسان والتاج (ورق، دمي)، وثمار القلوب (٥٧٩)، وبلا نسبة في التهذيب ٩ / ٢٩٠.

فلا تكوني يا ابْنَة الأشَمِّ ورقاء دَمّى ذئبها المدمِّي

وقال الفرزدق[1]: [من الطويل]

وكنْتَ كذئبِ السَّوْء لمّا رأى دمًا بصاحبه يوماً أحالَ على الدَّمِ

نعم حتّى رُبما أقبلا على الإنسان إقبالاً واحداً، وهما سواءٌ على عداوته والجزْم على أكله، فإذا أُدْمي أحدُهما وثب على صاحبه المدْمى فمزّقه وأكله، وترك الإنسان وإن كان أحدهما قد أدماه[2].

ولا أعلمُ في الأرض خلقاً ألأمَ من هذا الخلق، ولا شرًّا منه، ويحدث عند رؤيته الدَّم له في صاحبه الطمع، ويحدث له في ذلك الطمع فضلُ قوة، ويحدث للمدمَّى جبنٌ وخوف، ويحدث عنهما ضعف واستخذاء[3]، فإذا تهيأ ذلك منهما لم يكن دونَ أكله شيء. واللّه أعلم حيثُ لم يُعط الذئب قُوة الأسد، ولم يعط الأسد جُبن الذئب الهارب بما يرى في أثر الدم من الضعف. مثل ما يعتري الهر والهرة بعد الفراغ من السِّفاد، فإن الهر قبلِ أن يفرُغ من سفاد الهرة أقوى منها كثيراً، فإذا سَفِدها ولّى عنها هارباً واتبعته طالبةً له، فإنها في تلك الحال إن لحقَتْه كانت أقوى منه كثيراً. فلذلك يقطع الأرض في الهرب، وربَّما رمى بنفسه من حالق. وهذا شيءٌ لا يعدمانِه في تلك الحال.

ولم أرهم يقفون على حدِّ العلة في ذلك. وهذا بابٌ سيقعُ في موضعه من القول في الذئب تامًّا، بما فيه من الرِّواية وغير ذلك.

١٨٣٤ - [الذيخ والثيتل والغفر]

وأمَّا قوله:

٥ - «منْ خلقه في رزقِه كلُّهُمْ الذِّيخُ والثَّيْتلُ والغُفرُ

الذِّيخ: ذكر الضّبع. والثّيتل شبيهٌ بالوعل، وهو ممَّا يسكن في رؤوس الجبال، ولا يكون في القُرى. وكذلك الأوعال. وليس لها حُضرٌ[4] ولا عملٌ محمود على البسيط، وكذلك ليس للظباء حُضْر ولا عملٌ محمود في رؤوس الجبال.

---

(١) ديوان الفرزدق ٢ / ١٨٧ (صادر)، ٧٤٩ (الصاوي) وتقدم في ٥ / ١٧١.

(٢) ورد مثل هذا القول في ربيع الأبرار ٥ / ٤١٧.

(٣) الاستخذاء: الخضوع.

(٤) الحضر الارتفاع في العدو.

وقال الشاعر[1]: [من المتقارب]

وخَيلٍ تُكَرْدِسُ بالدارعينَ كمشي الوُعولِ على الظاهرهْ

وقال أيضاً: [من الكامل]

والظّبيُ في رأس اليفَاع تخالُه عِنْد الهضاب مُقيَّداً مشْكولا[2]

والغُفْر: ولد الأُروية: واحد الأرْوى، والأرْوى: جماعةٌ من إناث الأوعال.

١٨٣٥ - [الصَّدع والجأب]

وأما قوله:

٧ - «والصَّدَعُ الأعصمُ في شاهق وجأبــةٌ مســكنُها الوعْــرُ»

فالصّدع: الشّاب من الأوعال. والأعصم: الذي في عصمته بياضٌ، وفي المعْصم منه سوادٌ ولونٌ يخالفُ لونَ جسده، والأُنثى عصماء. والجأب: الحمار الغَليظ الشَّديد. والجأبة: الأتان الغليظة. والجأب أيضاً، مهموز: المَغرة[3]. وقال عنترة[4]: [من الكامل]

فنجا أمامَ رِماحِهنَّ كأنَّهُ فوْتَ الأسِنة حافر الجأبِ

شبَّهه بما عليه من لُطوخ الدِّماء برجُل يحفر في معدن المغْرة. والمغرة أيضاً المكْر. ولذلك قال أبو زُبيد[5] في صفة الأسد المخمر بالدماء: [من الطويل]

يعاجيهم للشّرِّ ثانِيَ عِطْفِهِ عنايته كأنّما باتَ يُمْكَرُ

١٨٣٦ - [الحية والثعلب والذر]

وأما قوله:

٨ - «والحية الصماء في جُحرها والتَّتفــل الرائــغ والــذّرُّ»

---

(١) تقدم البيت مع تخريجه في ٤/٤٣١.

(٢) اليفاع: المشرف من الأرض. المشكول: الذي قُيِّد بالشكال، وهي حبل تشد به قوائم الدابة.

(٣) المغرة: طين أحمر يصبغ به.

(٤) البيت لعنترة في معجم ما استعجم ٣٢٦ (توضح)، وبلا نسبة في اللسان (جأب)، والتهذيب ١١/٢٢٣.

(٥) ديوان أبي زبيد الطائي ٦١٠.

فالتتفل هو الثّعلب، وهو موصوفٌ بالرَّوغان والخبث، ويضرب به المثل في النَّذالة والدناءة، كما يضرب به المثلُ في الخبْث والرَّوغان.

وقال طرفة[1]: [من السريع]

وصاحب قد كنتُ صاحبْتُه ... لا ترك اللهُ لهُ واضحَه[2]
كلهمُ أَرْوغُ من ثعلبٍ ... ما أشبهَ اللّيلة بالبارحَهْ

وقال دُريد بن الصمَّة[3]: [من الطويل]

ومُرّة قد أدركتُهم فتركتُهمْ ... يروغُون بالغَرّاءَ روْغ الثَّعالبِ

وقال أيضاً[4]: [من الوافر]

ولستُ بثعلبٍ، إن كان كونٌ ... يدُسُّ برأسهِ في كُلِّ جُحْر[4]

ولمَّا قال أبو محجنٍ الثَّقفي لأصحاب النبي ﷺ، من حائط الطائف ما قال: قال له عمر بنِ الخطاب رضي اللّه عنه: «إنما أنت ثعلبٌ في جُحْر، فابرزْ من الحصْن إن كنت رجلاً»!.

ومما قيل في ذلة الثعلب، قال بعض السّلف[5]، حين وجد الثُّعلبان بال على رأس صنمه: [من الطويل]

إله يبول الثُّعلّبانُ برأسِه ... لقد ذَلّ منْ بالتْ عليه الثّعالبُ

فأرسلها مثلاً. وقال دُريدٌ في مثل ذلك[6]: [من الطويل]

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ١٥، ومجمع الأمثال ١/٣١٧، والتاج (روغ)، وبلا نسبة في التهذيب ٥/١٥٧، واللسان (وضح)، والأول في ديوان الأدب ٣/٢٣١، وبلا نسبة في المقاييس ٦/١١٩، والثاني في جمهرة الأمثال ٢/٢٤٧، والجمهرة ٢٧٥، والفاخر ٣١٦، وفصل المقال ٢٢٧، وبلا نسبة في مجمع الأمثال ٢/٢٧٥.

(٢) الواضحة: الأسنان التي تبدو عند الضحك.

(٣) ديوان دريد بن الصمة ٢٨، والتاج (صلع)، ومعجم البلدان ٣/٤٢٢ (صلعاء)، والأصمعيات ١١٢.

(٤) ديوان دريد بن الصمة ٦٧.

(٥) البيت للعباس بن مرداس في ديوانه ١٦٧، وللعباس أو لغاوي بن ظالم السلمي أو لأبي ذر الغفاري في اللسان (ثعلب)، ولراشد بن عبد ربه في الدرر ٤/١٠٤، وشرح شواهد المغني ٣١٧، وبلا نسبة في الجمهرة ١١٨١، ومغني اللبيب ١٠٥، وهمع الهوامع ٢/٢٢.

(٦) ديوان دريد بن الصمة ٣٠، والأول في المقاييس ٤/١٠٨، والثاني في اللسان والتاج (كنب)، والتهذيب ١٠/٢٨٣، وبلا نسبة في اللسان والتاج (عكس)، والجمهرة ٣٣٧، وكتاب الجيم ٢/٣١٨، ٣/١٥٩.

تمنَّيْتني قيْسَ بن سعد سفاهةً وأنت امرؤٌ لا تحتويك المقانبُ[١]
وأنت امرؤٌ جَعْدُ القفا مُتَعَكِّسٌ من الأقِطِ الحوليِّ شبعان كانبُ[٢]
إذا انتسبوا لم يعرفوا غير ثعْلبٍ إليهم، ومن شرِّ السِّباع الثَعالبُ

وأنشدوا في مثل ذلك[٣]: [من المنسرح]

ما أعجبَ الدَّهْرَ في تصرُّفِهِ والدَّهْرُ لا تنقضي عجائبُهُ
يبسطُ آمالنا فنبسطها ودون آمالنا نوائبُهُ
وكم رأينا في الدَّهر من أسدٍ بالتْ على رأسهِ ثعالبهُ

ففي الثَّعلب جلدهُ، وهو كريم الوبر، وليس في الوَبر أغلى من الثعلب الأسود. وهو ضروبٌ، ومنه الأبيضُ الذي لا يُفْصل بينه وبين الفَنَك،[٤] ومنه الخلنْجيّ[٥]، وهو الأعمّ.

ومن أعاجيبه أن نَضِيَّهُ، وهو قضيبه في خلقة الأنبوبة، أحد شِطْريه عظْمٌ في صورة المثقب، والآخر عصبٌ ولحم، ولذلك قال بشرُ بنُ المعتمر[٦]: [من السريع]

والتّتفل الرائغُ إمّا نضا فشطْرُ أُنبوبٍ على شطْرِ

وهو سَبُعٌ جبانٌ جداًّ، ولكنَّه لفرط الخبث والحيلة يجرِي مع كبار السّباع.

وزعم أعرابيٌّ ممن يُسمعُ منه، أنّه طاردهُ مرّة بكلابٍ له، فراوغه حتّى صار في خَمر[٧]، ومرّ بمكانه فرأى ثعلباً ميّتاً، وإذا هو قد زكر[٨] بطْنه ونفخه، فوهّمه أنّه قد مات من يوم أو يومين. قال: فتعدّيته وشمَّ رائحة الكلاب فوثب وثْبةً فصار في صحراء.

وفي حديث العامَّة أنّه لما كثُرت البراغيثُ في فرْوته، تناول بفيه إمَّا صُوفةً وإمَّا ليقة، ثم أدخل رجليه في الماء، فترفّعتْ عن ذلك الموضع، فما زال يغمسُ بدنه أوّلاً

---

(١) المقانب: جمع مقنب، وهو من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.
(٢) الجعد: القصير. المتعكس: المتثني غضون القفا. الأقط: لبن مجفف يابس. الكانب: الغليظ.
(٣) البيت الثالث في ربيع الأبرار ٢/٤٦٣.
(٤) الفنك: دويبة يؤخذ منها الفرو. حياة الحيوان ٢/١٧٥.
(٥) الخلنجي: الذي له خطوط وطرائق مثل الطرائق التي ترى في الخرز اليماني.
(٦) تقدم البيت ص ٤٧٠.
(٧) الخمر: ما واراك من الشجر والجبال.
(٨) زكر بطنه: ملأه بالهواء.

فأوّلاً حتَّى اجتمعن في خَطْمه، فلمّا غمس خطمه أوّلاً فأوّلاً اجتمعنَ في الصُّوفة، فإذا علم أنّ الصُّوفة قد اشتملت عليهنَّ تركها في الماء ووثَبَ، فإذا هو خارجٌ عن جميعها.

فإن كان هذا الحديثُ حَقًّا فما أعجبه. وإن كان باطلاً فإنّهم لم يجعلوه له إلاّ للفضيلة التي فيه، من الخبْثِ والكَيْس.

وإذا مشى الفرسُ مشْياً شبيهاً بمشْي الثعلب قالوا: مشى الثّعلبيّة قال الراعي[1]: [من الطويل]

وغَمْلى نَصِيٍّ بالمِتانِ كأنّها ثعالبُ مَوْتى جلدها قد تسَلَّعا[2]

وقال الأصمعيُّ: سرق هذا المعنى من طفيلٍ الغنويّ ولم يُجِد السَّرق[3].

وفي تشبيه بعض مشيته قال المرَّار بن مُنقذ[4]: [من الرمل]

صِفَةُ الثَّعلبِ أدنى جَرْيِهِ وإذا يُرْكضُ يَعْفُورٌ أشِرْ[5]

وقال امرؤ القيس[6]: [من الطويل]

له أيْطلا ظبْيٍ وساقا نَعامَةٍ وإرخاءُ سِرْحانٍ وتقْريب تَتْفُلِ

والبيت الذي ذكره الأصمعيُّ لطفيل الغنوي، أنّ الرَّاعي سرق معناه هو قوله[7]: [من الطويل]

وغمْلى نصيٍّ بالمتان كأنّها ثعالبُ موتى جِلْدُها لم ينزعِ

وأنشدوا في جُبْنِه قولَ زُهير بن أبي سُلمى[8]: [من المنسرح]

---

(١) ديوان الراعي النميري ١٦٥، واللسان والتاج (زلع، غمل)، والتهذيب ٨/١٤٤، والجمهرة ١١٧٠، والأمالي ١/١١٥، ٢/١٨٥، والسمط ٣٤٥، ٨٠٣، وبلا نسبة في الجمهرة ٨١٥، ٩٦٠، والمخصص ١١/١٧٧.

(٢) غملى: جمع غميل، وهو من النصي ما ركب بعضه بعضاً، والنصي: بنت سبط أبيض ناعم. المتان: جمع متان، وهو ما ارتفع من الأرض واستوى. تسلع: تشقق.

(٣) انظر ما سيأتي بعد ٦ أسطر في هذه الصفحة.

(٤) البيت في شرح اختيارات المفضل ٤١٠، والجمهرة ١٣٣٠، وبلا نسبة في التهذيب ٤/١٠.

(٥) اليعفور: الظبي. الأشر: النشيط.

(٦) ديوان امرئ القيس ٢١، وتقدم في ٣/٢٤، الفقرة (٥٦٨).

(٧) ديوان طفيل الغنوي ١٠٤،و وسمط اللآلي ٣٤٥، وانظر لشرح البيت ما تقدم في شرح بيت الراعي.

(٨) ديوان زهير ١٩١.

وبَلدة لا تُرام خائفةٍ زَوْراءَ مُغْبَرَّة جوانبُها(١)
تسمَعُ للجنِّ عازفينَ بها تصيحُ مِنْ رَهْبَةٍ ثعالبُها(٢)
كلّفْتُها عِرْمساً عُذافرةً ذاتَ هِبابٍ فُعماً مناكبُها(٣)
تُراقبُ المُحْصَدَ الممرَّ إذا هاجرةٌ لم تَقِلْ جَنادبُها(٤)

والذي عندي أنَّ زُهيراً قد وصف الثّعلب بشدَّة القلْب، لأنهم إذا هَوَّلوا بذكر الظُّلْمة الوحشيَّة والغيلان، لم يذكروا إلاَّ فزع من لا يكاد يفزع، لأنَّ الشاعر قد وصف نفسه بالجراءة على قطع هذه الأرض في هذه الحال.

وفي استنذاله وجبنه قالت أمُّ سالم لابنها مَعْمر: [من الطويل]

أرى مَعْمراً لا زيّنَ اللّهُ مَعْمراً ولا زانَهُ مِنْ زائرٍ يتقرّبُ
أعاديْتَنا عاداك عزٌّ وذلّةٌ كأنك في السِّربالِ إذْ جئت ثعلبُ
فلم تَرَ عيني زائراً مثل مَعْمر أحقَّ بأن يُجنى عليه ويُضْرَبُ

وقال عقيل بن عُلفة: [من الطويل]

تأمَّل لما قد نال أمَّك هجْرسٌ فإنَّك عَبْدٌ يا زُمَيل ذَليلُ
وإني متى أضرِبْك بالسَّيفِ ضَرْبة أُصبِّحْ بني عَمْرٍو وأنتَ قتيلُ

الهِجْرس: ولد الثَّعلب. قال: وكيف يصْطادُ وهو على هذه الصِّفة؟

فأنشد شعر ابن ميّادة(٥): [من الطويل]

ألم تَرَ أنَّ الوَحْشَ يَخدَعُ مَرَّةً ويُخْدَعُ أحياناً فيُصطاد نُورها
بلى، وضَواري الصَّيدِ تُخفِقُ مَرَّةً وإنْ فُرهتْ عقبانُها ونُسورها(٦)

---

(١) في ديوانه: «لا ترام: لا يُقدر عليها. خائفة: ذات خوف، كقولك: عيشة راضية: ذات رضا. زروراء: ليس طريقها بمستقيم، ولا هي على القصد. مغبرة: من الجدب. جوانبها: نواحيها».
(٢) في ديوانه: «أي: تسمع لهم مثل العزف، أي: صوت المزمار والطبل من بعيد».
(٣) في ديوانه: «عذافرة: ضخمة شديدة الخلق. عرمساً: ناقة شديدة. ذات هباب: أي ذات نشاط. فعماً: ممتلئاً. يريد ضخمة المناكب».
(٤) في ديوانه: «تراقب: ترقب السوط بشق عينها، من الخوف أن تُضرب به. المحصد: الشديد الفتل، يعني السوط. الممر: المفتول. لم تقِل: من القائلة، يريد من شدة الحر، والجندب هو راجل الجراد الذي ليس له جناحان يطير بهما».
(٥) ديوان ابن ميادة ١٢٩.
(٦) النور: جمع نوار، وهي النُّفر من الظباء والوحوش وغيرها.

قال: وسألت عنه بعض الفقهاء فقال[1]: قيل لابن عبّاس: كيف تزعمون أنّ سليمان بن داود عليهما السلام كان إذا صار في البراري، حيث لا ماء ولا شجر، فاحتاج إلى الماء، دلّه على مكانه الهدهُد، ونحن نغطّي له الفخَّ بالتراب الرَّقيق، ونُبرز له الطُّعم، فيقع فيه جَهْلاً بما تحت ذلك التراب، وهو يدلُّ على الماء في قعر الأرض الذي لا يوصل إليه إلاّ بأن يحفر عليه القيّم الكيِّس؟

قال: فقال ابنُ عبّاس رضي اللّه عنهما: «إذا جاء القدَرُ لم ينفع الحذر»[2].

وأنشدوا: [من الكامل]

خير الصديق هو الصَّدوق مقالةً ... وكذاك شَرُّهم الميُون الأكذبُ[3]
فإذا غَدوْتَ له تريد نجازهُ ... بالوَعْدِ راغَ كما يروغُ الثّعلبُ

وقال حسّان بن ثابت رضي اللّه عنه[4]: [من الطويل]

بني عابدٍ شاهَتْ وجُوهُ الأعابد ... بطاءٌ عن المعروف يوم التّزايُدِ
فما كانَ صَيفيٌّ يفي بأمانة ... قَفا ثعلب أعْيا ببعض المراصدِ

وأنشد[5]: [من الطويل]

ويشْرَبُه مَذْقاً ويسقِي عِيالَه ... سَجاجاً كأقرابِ الثَّعالبِ أوْرقا[6]

وقال مالك بن مِرْداس: [من الرجز]

يا أيُّها ذا الموعدي بالضرِّ ... لا تلعبنَّ لعبةَ المغترِّ
أخافُ أنْ تكونَ مثل هرِّ ... أو ثَعْلبٍ أُضيعَ بعد حُرِّ
هاجَتْ به مخيلةُ الأظفر ... عسراء في يوم شمال قَرِّ[1]

---

(١) الخبر في ثمار القلوب ٣٨٤ (٧٠٦)، وتقدم في ٣ / ٢٥٠، الفقرة (٩١٧)، وفيه أن الذي سأل ابن عباس هو نجدت الحروري؛ أو نافع بن الأزرق.

(٢) في ثمار القلوب: «إذا جاء القدر عمي البصر، وفي رواية أخرى: إذا جاء الحين غطى العين».

(٣) رجل ميون: كذاب.

(٤) ديوان حسان بن ثابت ٢٠٨.

(٥) البيت بلا نسبة في اللسان (سجج، مذق، ورق)، والتاج (سجج، ورق)، والتهذيب ٩ / ٧٧، ١٠ / ٤٤٩، والمخصص ٥ / ٤٦، ونظام الغريب ٩٨.

(٧) المذق: اللبن الممزوج بالماء. السجاج: اللبن الذي يجعل فيه الماء، أرق ما يكون. الأقراب: جمع قُرب، وهو الخاصرة. الأورق: اللبن الذي ثلثاه ماء وثلثه لبن.

(٨) العسراء: العقاب التي في جناحها قوادم بيض. يوم شمال: أي يوم تهب فيه ريح الشمال. القر: اليوم البارد.

يجول منها لثق الذعر بصرد ليس بذي محجر[1]
تنفض أعلى فرْوِه المغبرٍ تنفضٌ منها نابها بشـزر
نَفَضاً كلون الشره المخمر

المخيلة: العقاب الذّكر الأشبث. صرد: مكان مطمئن.

وقال اليقطري: كان اسمُ أبي الضّريس ديناراً فقال له مولاه: يا دنينير! فقال: أتصغِّرني وأنت من بني مخيلة، والعقاب الذّكر بدرهم، والأنثى بنصف درهم، وأنا ثمني عشرة دراهم

١٨٣٧ - [سلاح الثعلب]

ومن أشدِّ سِلاح الثَّعلب عندكم الرَّوغان والتّماوُت، وسلاحه أنتنُ وألزجُ وأكثرُ من سُلاح الحبارى.

وقالت العرب: «أدهى [من ثعلب][2]، وأنتن من سُلاح الثَّعلب»

وله عجيبةٌ في طلب مقتل القنفذ، وذلك إذا لقيه فأمكنهُ من ظهرِهِ بالَ عليه. فإذا فعل ذلك به ينبسط فعند ذلك يقبض على مَراقٌ بطْنه.

١٨٣٨ - [أرزاق الحيوان]

ومن العجب في قسمة الأرزاق أنّ الذّئب يصيد الثّعلب فيأكله، ويصيد الثّعلب القنفذَ فيأكله، ويُريغ القنفذ الأفعى فيأكلها. وكذلك صنيعُه في الحيَّات ما لم تعظُم الحيَّة. والحيَّة تصيدُ العصفور فتأكلهُ، والعصفور يصيد الجراد فيأكله، والجراد يلتمس فِراخَ الزّنابير وكلّ شيء يكون أفحوصُهُ على المستوي، والزُّنبور يصيد النّحلة فيأكلها، والنَّحلة تصيد الذبابة فتأكلها، والذبابة تصيدُ البعوضة فتأكلها.

١٨٣٩ - [الإلقة والسهل والنوفل والنضر]

وأمَّا قوله[3]:

٩ - «وإلقة تُرْغِثُ رُبَّاحها والسّهْلُ والنَّوْفَلُ والنضْرُ»

(١) الصرد: المكان المرتفع من الجبال.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) من القصيدة التي تقدمت ص ٤٦٤ .

فالإلقة ها هنا القردة. تُرْغث: ترضع. والرُّبَّاح: ولد القردة. والسَّهْل: الغراب. والنَّوفل: [البحر][1]. والنَّضْر: [الذهب][1]. وكلُّ جَرِيَّةٍ[2] من النِّساء وغيرِ ذلك فهي إِلْقةٌ. وأنشدني بشرُ بن المعتمر لرؤبة[3]: [من الرجز]

جَدّ وجدّت إلقةٌ من الإلقْ

وقد ذكرنا الهِقْلَ وشأنه في الجمر والصّخْر[4]، وأكلَ الضّبِّ أولاده[5]، في موضعه من هذا الكتاب وكذلك قوله في العُتْرُفان[6]، وهو الديك الذي يؤثر الدَّجاج بالحبّ، وكأنّه منجِّم أو صاحبُ أسْطُرلاب[7]. وذكرنا أيضاً ما في الجراد في موضعه[8]. ولسنا نُعيدُ ذكر ذلك، وإن كان مذكوراً في شعر بشر[9].

١٨٤٠ - [الأبغث]

وأمّا قوله:

١٦- «[جرادةٌ تخرق متن الصفا][10] وأبْغَثٌ يصطادُه صَقَرُ»

ثم قال:

١٧- «سلاحُه رُمْحٌ فما عُذْرُه وقد عَراه دُونه الذعرُ»

يقول: بدنُ الأبغث أعظمُ من بدن الصقر، وهو أشدُّ منه شدَّة، ومنقارُه كسنان الرُّمح في الطول والذّرب. وربَّما تجلّى له الصَّقرُ والشّاهينُ فَعَلقَ الشّجر والعَرار[11]، وهتك كلَّ شيء. يقول: فقد اجتمعت فيه خصالٌ في الظّاهر معينةٌ له عليه. ولولا أنّه على حال يعلم أنَّ الصَّقر إنما يأتيه [قبُلاً][12] ودبُراً، واعتراضاً، ومن عَلُ، وأنه قد

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الجرية: الجريئة.

(٣) ديوان رؤبة ١٠٧، وبلا نسبة في المقاييس ١/١٣٢، والمخصص ١٠/١٨٧. وتقدم في ٢/٤٠١، الفقرة (٤٦٢).

(٤) انظر ما تقدم في ١/٩٧، الفقرة (١١٠)، س ١٧ - ١٨.

(٥) انظر ما تقدم في ١/١٢٩، الفقرة (١٥٥).

(٦) انظر ما تقدم في ٢/٣٢٩ - ٣٣١، الفقرة (٣٥٤).

(٧) انظر ما تقدم في ٢/٣٧٨، س ٢ - ٣.

(٨) انظر ما تقدم في ٥/

(٩) بهذه الإشارات استغنى الجاحظ عن إعادة إنشاد الأبيات ١٠ - ١٥ من هذه القصيدة.

(١٠) صدر البيت من ص ٤٦٥.

(١١) العرار: شجر عظيم جبلي تسميه الفرس: السرو.

(١٢) زيادة يقتضيها المعنى.

أعطى في سلاحه وكفِّه فضل[1] قوَّة لما استخذى[2] له، ولما أطمعه بهرَبِه، حتّى صارت جُرأته عليه بأضعاف ما كانت.

قال بعضُ بني مروان[3] في قتل عبد الملك عَمْرو بن سعيد: [من الطويل]

كأنَّ بني مَرْوان إذ يقتلونه ... بغاثٌ من الطّيرِ اجتمعن على صقْر

١٨٤١ - [ما يقبل التعليم من الحيوان]

وأمَّا قوله:

١٨ - «والدُّبُّ والقِرد إذا عُلِّما ... والفيل والكَلْبة واليَعْرُ»

فإن الحيوان الذي يَلْقَن ويَحْكِي ويَكيسُ ويُعلَّم فيزداد بالتّعليم في هذه التي ذكرنا، وهي الدّبّ والقِرد، والفيل، والكلب.

وقوله: اليعر، يعني صغار الغنم. ولعمري أنَّ في المكّيّة والحبشيَّة لعباً.

١٨٤٢ - [حب الظبي للحنظل، والعقرب للتمر]

وأمَّا قوله:

٢٠ - «وظبيةٌ تخضِمُ في حَنْظل ... وعَقْرَبٌ يُعْجِبها التَّمرُ»

ففي الظَّبي أعاجيبُ من هذا الضرب، وذلك أنّه ربّما رَعى الحنظل، فتراه يقبِضُ ويعضُّ على نِصف حنظلةٍ فيقدّها قد الخسْفة[4] فيمضغُ ذلك النصفَ وماؤُه يسيلُ من شدقيه، وأنت ترى فيه الاستلذاذ له، والاستحلاء لطعمه.

وخبرني أبو محجن العنزيّ، خالُ أبي العميثل الرّاجز، قال: كنت أرى بأنطاكية الظّبي يُرِدُ البحر، و يشربُ المالحَ الأجاج[5].

والعقْرب ترمي بنفسها في التَّمر. وإنّما تطلب النَّوى المُنْقع في قعر الإناء.

فأيُّ شيء أعجبُ من حيوانٍ يستعذب مُلوحة البحر، ويستحلي مرارة الحنظل.

---

(١) فضل: زيادة.

(٢) استخذى: خضع.

(٣) البيت بلا نسبة في ثمار القلوب (٢٣٧)، وسيأتي في ٧/ ٣٧ منسوباً إلى بشر بن مروان.

(٤) الخسفة: واحدة الخسف، وهو الجوز الذي يؤكل.

(٥) الأجاج: الشديد الملوحة.

وسنذكر خصال الظّبي في الباب الذي يقع فيه ذكره إن شاء الله تعالى. ولسنا نذكر شأن الضبِّ والنَّمل، والجعل والرَّوث والورد لأنّا قد ذكرناه مرّة.

١٨٤٣ - [فأرة البيش]

وأمّا قوله:

٢٣- «وفأرة البيش إمامٌ لها والخلْدُ فيه عجبٌ هترُ»

فإن فأرة البيش دُويْبة تشبه الفأرة، وليست بفأرة، ولكن هكذا تسمّى. وهي تكون في العياض والرِّياض ومنابت الأهضام[١]. وفيها سمومٌ كثيرة، كقرون السُّنْبل، وما في القُسْط[٢]. فهي تتخلَّل تلك الأهضام، وتطلب السُّمومَ وتغتذيها. والبيش: اسمٌ لبعض السُّموم. وهذا ممّا يُعجب منه.

وقد ذكرنا شأن القنقذ والحيَّة في باب القول في الحيّات[٣].

١٨٤٤ - [العضرفوط والهدهد]

وأمّا قوله:

٢٥- «وعضرفوطٌ ما له قِبْلة»

فهو أيضاً عندهم من مطايا الجنّ. وقد ذكره أيمنُ بن خُريم فقال[٤]: [من المتقارب]

وخيلُ غزالة تَنْتابُهُمْ تجوب العِراقَ وتَجْبي النَّبيطا[٥]
تَكُرُّ وتُجْحِر فُرسانَهُمْ كما أجْحَرَ الحيَّةُ العَضْرفوطا[٦]

لأن العضرفوط دويْبّة صغيرةٌ ضعيفة، والحيّات تأكلها وتغصبها أنفسها.

وأنشدوا على ألسنة الجنّ[٧]: [من الطويل]

---

(١) الأهضام: جمع هضم، وهو المطمئن من الأرض، أو أسفل الوادي.

(٢) القُسط: عود يتبخر به.

(٣) انظر ما تقدم في ٤/١٦٩.

(٤) ديوان أيمن بن خريم ١٤١، والأغاني ٢٠/٣١٤، والثاني في اللسان والتاج (عضرفط).

(٥) تنتابهم: تأتيهم مرة بعد مرة. تجوب: تقطع. النبيط: جيل كانوا ينزلون سواد العراق. تجبي: تأخذ منهم الجباية.

(٦) تجحر: تدخلهم في الحجر، أي تحملهم على الهرب.

(٧) تقدم البيت مع تخريجه ص ٤٤١.

ومن عَضْرَفوطٍ حَطَّ بي فأقمته ... يبادِرُ وِرْداً منْ عظاءٍ قوارِبِ

وأمّا قولُه:

٢٥ - «وهدهدٌ يُكْفِرُهُ بكرُ»

فإنَّما ذلك لأنَّه كان حاجَّ بكر ابن أختِ عبد الواحد [صاحب](١) البكريَّةِ، فقال له(٢): أتخبرُ عن حال الهدهُدِ بخبر؟ إنه كان يعرفُ طاعة اللّه عزَّ وجل من معصيته، وقد ترك موضعَه وسار إلى بلاد سبأ، وهو وإن أطرف سليمان بذلك الخبر وقبِله منه فإنَّ ذَنْبَه في ترْك موضعه الذي وُكِّل به، وجولانه في البُلدان على حاله. ولا يكون ذلك مما يجعل ذنبه السابق إحساناً. والمعصيةُ لا تنقلبُ طاعة، فلم لا تشهد عليه بالنِّفاق؟ قال: فإني أفعل! قال: فحكى ذلك عنه فقال: أمّا هو فقد كان سلم على سُليمان وقد كان قال: ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذابًا شديداً أَوْ لأَذْبحنّهُ أَوْ ليَأْتيني بِسُلْطانٍ مُبينٍ﴾(٣)، فلمَّا أتاه بذلك الخبر، رأى أنّه قد أدلى بحجّة، فلمْ يعذِّبْه، ولم يذبَحْه. فإن كان ذنبُه على حاله، فكيف يكون ما هجم عليه ممَّا لم يُرسل فيه ولم يقْصِد له حُجَّة؟ وكيف يُبْقي هذا عليه.

وبكر يزعم أن الأطفال والبهائم لا تأثم، ولا يجوز أن يُؤْثم الله تعالى إلاّ المسيئين. فقال بشرٌ لبَكْر: بأيِّ شيءٍ تستدلُّ على أنّ المسيء يعلمُ أنه مسيء؟ قال: بخجله، واعتذاره بتوبته. قال: فإنّ العقرب متى لسعت فرّتْ من خوف القتْل، وهذا يدلُّ على أنَّها جانية، وأنت تزعمُ أنّ كلَّ شيءٍ عاصٍ كافرٌ، فينبغي للعقرب أن تكون كافرة، إذا لم يكن لها عذرٌ في الإساءة.

١٨٤٥ - [الببر والنمر]

وأمّا قوله:

٢٧ - «والبَبْرُ فيه عجبٌ عاجبٌ ... إذا تلاقى الليث والنَّمْـرُ»

لأنّ الببر مسالِمٌ للأسد، والنَّمر يطالبه، فإذا التقيا أعان الببر الأسد.

---

(١) إضافة يقتضيها الكلام.

(٢) أي قال له بشر.

(٣) ٢١ / النمل: ٢٧.

١٨٤٦ - [الخفاش والطائر الذي ليس له وكر]

وأمّا قوله:

٢٨ - «وطائِرٌ أشْرَفُ ذو جُرْدَة وطائِرٌ ليس له وكرُ»(١)

فإنّ الأشرفَ من الطَّير الخُفّاش، لأنَّ لآذانها حجماً ظاهراً. وهو متجرِّدٌ من الزَّغب والرِّيش، وهو يلد.

والطّائِر الذي ليس له وكرٌ، هو طائرٌ يخبر عنه البحريُّون أنّه لا يسقُط إلاّ ريثما يجعلُ لبيضه أُدحيًّا من تراب، ويغطّي عليه، ويطير في الهواء أبداً حتّى يموت. وإن لقى ذكرٌ أنثى تسافدا في الهواء. وبيضه يتفقص من نفسه عند انتهاء مُدَّته، فإذا أطاق فرخُه الطّيران كان كأبويه في عاداتهما.

١٨٤٧ - [الثعالب والنسور والضباع]

وأمّا قوله:

٢٩ - «وثُرْمُلٌ تأوي إلى دَوْبَلٍ وعسْكرٌ يتبعه النسرُ
٣٠ - يُسالم الضّبْعَ بذي مرةٍ أبرمها في الرحم العُمْرُ»

فالثرْملة: أنثى الثّعالب، وهي مسالمِة للدَّوبل(٢). وأمّا قوله:

وعسكر يتبعه النّسر

فإن النسور تتبع العساكر، وتتبع الرِّفاق ذواتِ الإبل، وقد تفعل ذلك العِقبان، وتفعله الرَّخم. وقد قال النَّابغة(٣): [من الطويل]

وثقتُ له بالنّصرِ إذ قيل له قد غَدَتْ كتائبُ من غسَّانَ غيرُ أشائِبِ(٤)

---

(١) الجردة: التجرد.

(٢) الدوبل: الذئب العرم، والثعلب.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ٤٢-٤٣، والأول في اللسان والتاج والأساس (أشب)، والتنبيه والإيضاح ١/٤١، والعين ٦/٢٩٢، والتهذيب ١١/٤٣٢، وبلا نسبة في المقاييس ١/١٠٨، والمجمل ١/١٩٣. والثاني في اللسان والتاج (أشب)، والثالث في الخزانة ٤/٢٨٩، واللسان والتاج (عصب، حلق)، والمقاييس ٢/٩٩، وبلا نسبة في شرح المفصل ١/٦٨، وشرح التصريح ٢/٢٢٧، والرابع في أساس البلاغة (جنح)، والمقاييس ٢/٩٩، والخامس في الجمهرة ٣٢٩، والمعاني الكبير ٢٨٣، ٤٧٧، ٩١٣، وبلا نسبة في المخصص ١٦/١٠٨.

(٤) الأشائب: الأخلاط من الناس.

بنو عمِّه دُنْيا، وعمرُو بن عامر   أولئك قومٌ بأسُهمْ غيْرُ كاذب[1]
إذا ما غَزوْا بالجيشِ حلّقَ فوْقَهمْ   عصائبُ طَيْرٍ تَهْتدي بعصائبِ[2]
جوانحُ قد أيْقَنَّ أنّ قبيله   إذا ما التقى الجمْعان أوّلُ غالبِ[3]
تراهُنَّ خَلْفَ القَوْمِ خُزراً عُيُونُها   جُلوسَ الشُّيوخ في مُسُوك الأرانبِ[4]

والأصمعي يروي: «جلوسَ الشيوخ في ثياب المرانِب».

وسباع الطير كذلك في اتباع العساكر. وأنا أرى ذلك من الطمع في القتلى، وفي الرَّذايا والحسْرَى، أو في الجهيض وما يُجْرح.

وقد قال النّابغة[5]: [من الطويل]

سَمَاماً تُباري الرِّيحَ خُصوماً عُيونُها   لَهُنَّ رذَايا بالطَّريقِ وَدائِعُ[6]

وقال الشاعر[7]: [من الطويل]

يشُقّ سماحِيقَ السّلا عن جَنينِها   أخو قَفْرَةٍ بادِي السَّغابَةِ أطْحَلُ[8]

وقال حُميد بن ثور في صفة ذئب[9]: [من الطويل]

إذا ما بدا يوماً رأيتَ غيايةً   من الطير ينظرْن الذي هو صانعُ[10]

لأنّه لا محالة حين يسعى وهو جائع، سوف يقع على سبع أضعف منه أو على بهيمةٍ ليس دونها مانع.

---

(١) دنيا: أراد الأدنين في النسب.
(٢) العصائب: الجماعات.
(٣) جوانح: مائلات للوقوع على القتلى في المعركة.
(٤) خزراً عيونها: أي تنظر بمآخير أعينها. المسوك: جمع مسك، وهو الجلد.
(٥) ديوان النابغة الذبياني ٣٦، والتاج (سمم)، والعين ٧/٢٠٧.
(٦) السمام: طيور تشبه السمانى، شديدة الطيران، شبه الإبل بها في سرعتها. تباري الريح: تعارضها لسرعتها. خوصاً عيونها: أي غائرة العيون من الجهد والعناء. الرذايا: الساقطة المعيية التي لا تنبعث، فأخذت رحالها عنها وتُركت. ودائع: قد استودعت الطريق، أي تركت فيه لإعيائها.
(٧) البيت للأخطل في ديوانه ١٤.
(٨) السمحاق: ما خرج على وجه الوليد من السلا. السلا: غشاوة رقيقة. أخو قفرة: الذئب. السغابة: الجوع. الأطحل: الأكدر اللون كلون الطحال.
(٩) البيت لحميد بن ثور في ديوانه ١٠٦، والحماسة البصرية ٢/٣٣٨، وبلا نسبة في أساس البلاغة (ظلل).
(١٠) غياية تكون من الطير الذي يغبي على رأسك أي يرفرف.

وقد أكثر الشُّعراءُ في هذا الباب حتّى أطنب بعضُ المحدثين وهو مسلم بن الوليد بن يزيد فقال[1]: [من البسيط]

يكسو السيوف نفوس الناكثين به ... وَيجعلُ الهامَ تِيجان القنا الذُّبُلِ
قد عَوَّدَ الطَّيرَ عادات ٍ وثِقْنَ بها ... فهُنَّ يتبعْنَه في كلِّ مُرْتَحلِ

ولا نعلم أحداً منهم أسرَفَ في هذا القول وقال قولاً يُرغبُ عنه إلا النابغة، فإنَّه قال[2]: [من الطويل]

جوانحُ قد أيقنَّ أنّ قبيلهُ ... إذا ما التقى الجمعانِ أوّلُ غالبِ

وهذا لا نُثْبته.

وليس عند الطَّير والسِّباع في اتّباع الجموع إلاَّ ما يسقط من ركابهم ودوابِّهم وتوقّع القتل، إذْ كانوا قد رأوا من تلك الجُموع مرَّةً أو مراراً. فأمّا أن تقصد بالأمل واليقين إلى أحد الجمعين، فهذا ما لم يقلْه أحدٌ.

١٨٤٨ - [نسر لقمان]

وقد أكثر الشُّعراءُ في ذكر النسور، وأكثر ذلك قالوا في لُبَد[3].

قال النَّابغة[3]: [من البسيط]

أضحَتْ خلاءً وأمْسى أهلُها احتملُوا ... أخْنى عَلَيْها الذي أخْنَى على لُبَدِ[4]

فضربه مثلاً في طُول السَّلامة. وقال لبيد[5]: [من الكامل]

لما رأى صُبْحٌ سوادَ خليلهِ ... مِنْ بين قائم سَيفِهِ والمِحْمَلِ[6]

---

(١) ديوان مسلم بن الوليد ١١-١٢، وديوان المعاني ١/١١٦، وحماسة القرشي ٣٣٨.

(٢) تقدم البيت ص ٤٨٤.

(٣) لبد: هو نسر لقمان، انظر حديثه في ثمار القلوب ٣٧٦، (٦٩٤)، والمعمرون ٤، والفاخر ٨٤، والاختيارين ٧٥، والتيجان ٧٩، وفصل المقال ٤٦٢، والمعارف ٦٢٦، والسمط ٨٤٥، والخزانة ١١/١٤٣، والمستقصى ١/٣٦، ومجمع الأمثال ١/٤٢٩.

(٤) ديوان النابغة الذبياني ١٦، والجمهرة ١٠٥٧، والخزانة ٤/٥، والدرر ٢/٥٧، واللسان (لبد، خنا)، وعمدة الحفاظ ٤/٧ (لبد)، ٤/٩٤ (مسي)، وبلا نسبة في شرح قطر الندى ١٣٤، وهمع الهوامع ١/١١٤، وعجزه في ثمار القلوب (٦٩٤).

(٥) ديوان لبيد ٢٧٤، وثمار القلوب (٦٩٤).

(٦) في ديوانه: «صبح: هو العادي يقال إنه من ملوك الحبشة. وعنى بخليله سواد كبده؛ لأنه يروى الأسد بقر بطنه وهو حي، فنظر إلى سواد كبده، وقيل: خليل الرجل قلبه».

صَبَّحْنَ صُبحاً يوم حُقَّ حِذَارُه فأصاب صبحاً قائماً لم يُعقَلِ
فالتفَّ مُنقصفاً وأضحى نَجمُه بين التراب وبين حنْو الكلكل[١]
ولقد جرى لُبَدٌ فأدرك جَرْيَه رَيبُ الزَّمانِ وكان غير مُثَقَّلِ
لما رأى لُبَدُ النسورَ تطايرتْ رَفَعَ القوادمَ كالفقير الأعزلِ[٢]
مِنْ تحتِه لُقمانُ يرجو نفعَه ولقدَ رأى لُقمانُ أن لم يأتلِ[٣]

وإن أحسنت الأوائل في ذلك فقد أحسن بعض المحْدَثين وهو الخزرجي في ذكر النَّسر وضرب المثل به وبلبد وصحَّة بدن الغراب، حيث ذكرَ طولَ عمر مُعاذ بن مُسلم بن رجاء، مولى القعقاع بن شَور [وكان من المعَمرين، طعن في السن مائةً وعشرينَ سنةً][٤]. وهو قوله[٥]: [من المنسرح]

إنَّ مُعاذَ بن مُسْلمٍ رَجلٌ قدْ ضَجَّ مِنْ طول عمرِه الأبدُ
قد شاب رأسُ الزّمانِ واختضبَ الـ ـدَّهْرُ وأثوابُ عُمْرِه جُدَدُ
يا نَسْرَ لقمان كمْ تعيشُ وكَمْ تَلْبسُ ثَوْبَ الحياة يا لُبَدُ
قد أصبحتْ دارُ آدمٍ خَرِبَتْ وأنتَ فيها كأنّك الوَتدُ
تسألُ عِربانها إذا حَجَلتْ كيفَ يكونُ الصُّداعُ والرَّمَدُ

١٨٤٩ - [شعر وخبر فيما يشبه بالنسور]

وما تعلق بالسَّحاب من الغيم يشبَّه بالنَّعام، وما تراكبَ عليه يُشبَّه بالنسور. قال الشاعر[٦]: [من الطويل]

خليليَّ لا تستسلما وادعُوَا الذي له كلُّ أمر أنْ يَصُوبَ ربيعُ
حياً لبلادٍ أنفذَ المحْلُ عُودَها وجَبْرٌ لعظْمٍ في شظاهُ صدوعُ
بمُسْتَنْضرٍ غُرِّ النّشاصِ كأنّها جبالٌ عليهنّ النسورُ وقوعُ[٧]
عسى أن يحلّ الحيُّ جِزْعاً وإنها وعَلَّ النوى بالظّاعِنينَ تَرِيعُ

---

(١) انقصف: انكسر. حنو كل شيء: اعوجاجه؛ أو كل شيء فيه اعوجاج كاللحى والضلع. والكلكل: الصدر.

(٢) الفقير: الذي كسرت فقراته. الأعزل: المائل الذنب، توصف به الخيل.

(٣) يأتلي: يقصر ويبطئ.

(٤) ما بين قوسين مستدرك من ثمار القلوب (٦٩٥) حيث نقل عن الجاحظ.

(٥) الأبيات في ربيع الأبرار ٣/ ٩٠، وتقدمت الأبيات مع تخريج وافٍ في ٣/ ٢٠١، الفقرة (٨٤٤).

(٦) الأبيات في ربيع الأبرار ١/ ١٣٩، وتقدمت في ٤/ ٤٣٠ عدا البيت الثالث.

(٧) المستنضد: أراد به السحاب، وهو المتراكم منه. النشاص: السحاب المرتفع بعضه فوق بعض.

وشبّه العُجير السّلوليّ شُيوخاً على باب بعضِ الملوك بالنسور، فقال[1]: [من الطويل]

فمنهن إسآدي على ضوء كوكبٍ ... له من عمانيّ النُّجوم نظيرُ[2]
ومنهن قرْعي كلَّ بابٍ كأنّما ... به القومُ يرْجونَ الأذين نُسورُ[3]
إلى فَطِنٍ يستخرج القلبَ طرْفُه ... له فوق أعواد السَّريرِ زئيرُ[4]

وذكرت امرأةٌ من هُذيلٍ قتيلاً فقالت[5]: [من البسيط]

تمشى النسورُ إليه وهي لاهِيَةٌ ... مشيَ العذارى عَلَيهِنَّ الجلابيبُ

تقول: هي آمنةٌ أنْ تُذعر

ومدح بعض الشُّعراء عبد العزيز بن زُرارة الكلابيّ فقال[6]: [من الطويل]

وعند الكلابيِّ الذي حلَّ بيْتُه ... بجوٍّ شخَابٌ ماضرٌ وصَبُوحُ[7]
ومكسورةٌ حمْرٌ كأنَّ مُتونها ... نُسورٌ إلى جَنْبِ الخوان جُنوحُ[8]

مكسورة: يعني وسائد مثنيَّة. وقال ابن ميّادة[9]: [من الكامل]

ورَجَعْتُ مِنْ بَعْدِ الشَّبابِ وعصرِه ... شيخاً أزبَّ كأنَّه نَسْرُ[10]

وقال طرفة: [من مجزوء الكامل]

فلأ منعنَّ مَنابتَ الضُّـ ... ـمران إذ منع النسور[11]

---

(١) البيتان (١، ٢) في الأغاني ١٣/٦٨، و (١، ٣) في مجالس ثعلب ٥٢٤ والثاني في البيان والتبيين ١/١٢٣، والبيت الثالث في اللسان والتاج (نفض)، وبلا نسبة في الأساس (قطم).

(٢) الإسآد: سير الليل كله.

(٣) الأذين: الزعيم والكفيل.

(٤) الفطن: الفهم الذكي.

(٥) البيت لجنوب أخت عمرو ذي الكلب في شرح أشعار الهذليين ٥٨٠، واللسان والتاج (جلب)، والتنبيه، والإيضاح ١/٥٢، ولريطة أخت عمرو في الأغاني ٢٢/٣٥٣، ونوادر المخطوطات ٢/٢٤٣، وبلا نسبة في المقاييس ١/٤٧٠.

(٦) البيتان في محاضرات الأدباء ٢/١٦١.

(٧) جو: اسم موضع. الشخاب: اللبن. الماضر: اللبن الحامض. الصبوح: ما حلب من اللبن بالغداة.

(٨) جنوح: مائلات.

(٩) ديوان ابن ميادة ١٢٨.

(١٠) الأزب: الكثير شعر الذراعين والحاجبين.

(١١) لم يرد البيت في ديوانه طبعة صادر، وهو في ديوانه ١٥٥ طبعة مجمع اللغة، الضمران: ضرب من الشجر.

وفي كتاب كليلة ودمنة[١]: «وكُنْ كالنَّسْرِ حَوْلَهُ الجيفُ، ولا تكنْ كالجيفِ حولها النسور». فاعترض على ترجمة ابن المقفَّع بعضُ المتكلِّفين من فتيان الكتّاب فقال: إنما كان ينبغي أن يقول: «كُنْ كالضِّرس حُفَّ بالتُّحَف، ولا تكنْ كالهبْرة تطيف بها الأَكَلة»: وأظنّه أراد الضُّروس فقال الضّرس. وهذا من الاعتراض عجبٌ.

ويوصف النسر بشدّة الارتفاع، حتّى ألحقوه بالأنوق، وهي الرَّخمة.

وقال عديٌّ بن زيد[٢]: [من الخفيف]

فوق عَلْياءَ لا يُنال ذُراها ... يَلْغَبُ النّسرُ دُونها والأَنوقُ[٣]

وأنشدوا في ذلك: [من الكامل]

أهل الدّناءةِ في مجالسهِمْ ... الطَّيْشِ والعوراءِ والهذْرِ
يَدْنون ما سألوا وإن سُئلوا ... فهُمُ مَعَ العَيُّوقَ والنَّسْرِ

وقال زيد بن بِشْر التّغلبي، في قتل عمير بن الحباب: [من الخفيف]

لا يجُوزنَّ أرْضنا مُضَريٌّ ... بخفير ولا بغيرِ خَفيرِ
طحنَتْ تغلبٌ هوازنَ طحْناً ... والحَّت على بني مَنْصورِ[٤]
يومَ تَرْدي الكماةُ حول عمير ... حَجَلانَ النسور حَوْلَ جَزُورِ

وقال جميل[٥]: [من الطويل]

وما صائبٌ مِنْ نَابلٍ قَذَفَتْ به ... يدٌ ومُمَرُّ العُقْدتيْنِ وَثيقُ[٦]
له مِنْ خوافي النَّسْرِ حُمٌّ نظائرٌ ... ونَصْلٌ كنَصْلِ الزّاعبيِّ رقيقُ[٧]
على نبْعَةٍ زَوْراءَ أمّا خطامُها ... فمتْنٌ وأمّا عُودُها فعتيقُ[٨]

---

(١) انظر كليلة ودمنة، باب الأسد والثور، ص ١٣٧.
(٢) ديوان عدي بن زيد ٧٩.
(٣) اللغوب: التعب والإعياء.
(٤) ديوان جميل ١٥١ – ١٥٢.
(٥) ديوان جميل ١٥١ – ١٥٢ والكامل ١/ ٤٢ (المعارف)، ٩٦ (الدالي)، والحماسة الشجرية ١/ ٥١٢، والأبيات (١–٤) في السمط ٢٩، والأول في أمالي القالي ١/ ٧، واللسان (همن)، والتهذيب ٦/ ٣٣٤، والخامس في اللسان (صدق)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٣٤٧.
(٦) النابل: صاحب النبل، وهي السهام. ممر العقدتين: يريد وتر الفرس.
(٧) الخوافي: ريشات من الجناح إذا ضم الطائر جناحيه خفيت. حُمّ: سودٌ. نظائر: متماثلة. الزاعبي من الرماح: الذي إذا هز تدافع كله كأن آخره يجري في مقدمه.
(٨) النبعة: الشجرة من النبع، وهو من أشجار الجبال تتخذ منه أكرم القسي. الزوراء: المعوجة. خطام القوس: وترها. المتن: الظهر. عتيق: قديم كريم.

بأوْشكَ قتلاً منك يومَ رمَيْتني نوافذ لم تظْهَرْ لهن خُرُوق[1]
فلمْ أرَ حَرْباً يا بُثينَ كحَرْبنا تَكَشَّفُ غمّاها وأنتِ صَدِيقُ[2]

١٨٥٠ - [مسالمة النسر للضبع]

وأما قوله:

٣٠ - «يُسالم الضّبْع بذي مِرّةٍ أبْرَمها في الرَّحِمِ العُمْرُ»

لأنَّ النَّسر طيرٌ ثقيلٌ، عظيمٌ شرِهٌ رغيبٌ نهم. فإذا سقط على الجيفة وتملأ لم يستطع الطّيران حتى يثب وثبات، ثمّ يدور حولَ مسقطه مِراراً، ويسقُط في ذلك، فلا يزالُ يرفع نفسه طبقةً طبقةً في الهواء حتى يُدخِلَ تحتَه الرِّيح. فكلُّ من صادفه وقد بَطِن وتملأ، ضربه إن شاء بعصاً، وإن شاء بحجر، حتّى ربما اصطاده الضَّعيف من الناس.

وهو مع ذلك يشارك الضَّبع في فريسة الضبع، ولا يثبُ عليه، مع معرفته بعجْزِه عن الطّيران.

وزعَمَ أنّ ثقته بطول العمر هو الذي جرّأه على ذلك.

١٨٥١ - [استطراد لغوي]

ويقال: هوت العُقاب تهوي هُوِيّاً: إذا انقضّت على صيدٍ أو غيره ما لم ترِغه، فإذا أراغتْه قيل أهوت له إهواءً. والإهواء أيضاً التّناول باليد. والإراغة أن يذهب بالصيد هكذا وهكذا.

ويقال دوَّم الطائر في جوّ السّماء، وهو يدوِّم تدويماً: إذا دار في السماء ولا يحرك جناحيه.

ويقال نسره بالمِنْسَر[3]. وقال العجَّاج[4]: [من الرجز]

شاكي الكلاليب إذا أهْوى ظَفَرْ كعَابِرَ الرؤوس منها أو نسَرْ[5]

---

(١) بأوشك: بأسرع. نوافذ: طعنات نافذة.

(٢) غمى الحرب: شدتها.

(٣) المنسر: هو لسباع الطير بمنزلة المنقار لغيرها.

(٤) ديوان العجاج ١/٤٤، والثاني في اللسان والتاج (كعبر).

(٥) الكلاليب: المخالب. الشاكي: الحاد، الكعابر: رؤوس العظام.

والنسر ذو منسر، وليس بذي مخلب، وإنما له أظفارٌ كأظفار الدّجاج.

وليس له سلاحٌ، إنّما يقوى بقوّة بدنه وعِظمه. وهو سبعٌ لئيمٌ عديم السِّلاح، وليس من أحرار الطير وعِتاقها.

(ولوع عتاق الطير بالحمرة)

ويقال إنّ عتاق الطير تنقضُّ على عُمود الرّحل وعلى الطُّنفسة والنمرق[1] فتحسبه لحمرته لحماً. وهم مع ذلك يصفونها بحدَّة البصر ولا أدري كيف ذلك.

وقال غيلان بن سلمة[2]: [من الكامل]

في الآل يخفضُها ويرفَعُها ... رَيعٌ كأنّ مَتونَـه السَّحـلُ[3]
عَقْلاً ورَقْماً ثمَّ أردفـه ... كِللٌ على ألوانها الخَمْلُ[4]
كدم الرُّعافِ على مآزرهـا ... وكأنّهنَّ ضـوامراً إجـلُ[5]

وهذا الشِّعر عندنا للمسيَّب بن عَلس.

وقال علْقمة بن عَبدة[6]: [من البسيط]

ردّ الإماءُ جمالَ الحيِّ فاحتملوا ... وكلّهَا بالتَّزيديـاتِ مَعْكُومُ[7]
عَقْلاً ورَقْماً يظلُّ الطّيرُ يتبعُه ... كأنّه من دَمِ الأجوافِ مَدْمُومُ[8]

---

(١) الطنفسة: النمرقة فوق الرحل، والنمرق: الوسادة الصغيرة.

(٢) الأبيات للمسيب بن علس في ديوانه ٦٢٥، وانظر ما تقدم في ١/ ٢٥١، س ١١-١٥.

(٣) الربع: الطريق المنفرج عن الجبل. متونه: ظهوره. السحل: الثوب الأبيض من الكرسف من ثياب اليمن.

(٤) العقل: ثوب أحمر يجلل به الهودج. الرقم: ضرب من البرود. الكلل: جمع كِلة، وهي من الستور ما خيط فصار كالبيت. الخمل: الطنفسة، وهي الوسادة.

(٥) الإجل: القطيع من بقر الوحش.

(٦) ديوان علقمة ٥١، والأول في اللسان والتاج (زيد)، والثاني في اللسان (عقل، دمم، عقم)، والتاج (عقل، عقم)، والتهذيب ١٤/ ٨١، وبلا نسبة في العين ١/ ١٦٠، ٨/ ١٥.

(٧) في ديوانه: «رد الإماء، يقول: رددن الإبل من مراعيها لما أرادوا الرحيل. والتزيديات: ثياب منسوبة إلى تزيد بن حيدان بن عمران من قضاعة، وقال الأصمعي: التزيدات: هوادج. المعكوم: من العِكْم، وهو العدْل.

(٨) في ديوانه: «العقل: ضرب من البرود. الرقم: ما نقش بالدارات، وهو ضرب من البرود أيضاً. مدموم: مطلي بالدم».

١٨٥٢ - [شعر في العقاب]

وقال الهذليّ[١]: [من الكامل]

ولقد غَدَوْتُ وصاحبي وحشيَّةٌ   تحتَ الرِّداء بصيرةٌ بالمشرفِ
حتَّى أتيتُ إلى فراش عزيزةٍ   سوداءَ، رَوْثَةُ أنفها كالمِخْصَفِ[٢]

يعني عقاباً. وقوله: «بصيرة بالمشرف» يريد الرّيح من أشرفَ لها أصابتْه.

وقال الآخرُ في شبيهٍ بهذا: [من الكامل]

فإذا أتتْكُمْ هذه فتلبّسُوا   إنّ الرِّماح بصيرةٌ بالحاسرِ[٣]

وقال آخر[٤]: [من الكامل]

كأنِّي إذْ عَدَوْا ضَمَّنْتُ بزِّي   مِن العقْبان خائتَةً طَلُوبا[٥]
جريمةَ ناهضٍ في رأس نيقٍ   تَرى لعِظامِ مَا جَمعَتْ صليبا[٦]

وقال طُفيل الغنويّ[٧]: [من الطويل]

تبيتُ كعِقْبان الشُّرَيف رجاله   إذا ما نَوَوْا إحداثَ أمْرٍ مُعَطّبِ[٨]

---

(١) البيتان لأبي كبير الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٠٨٩، والأول في اللسان (وحش)، والتاج (عزز، وحش)، والتهذيب ٥/١٤٥، وللهذلي في المخصص ٨/١٤٧، والثاني في اللسان والتاج (روث، عزز، فرش، خصف)، والتهذيب ٧/١٤٧، ١٥/١٢٥، وخلق الإنسان ١٤٦، ونظام الغريب ٢٦، وللهذلي في المقاييس ٢/١٨٦، والمخصص ١/٢٩، ٤/١١٣، ٨/١٤٧، والأساس (خصف)، والتهذيب ١١/٣٤٧.

(٢) روثة الأنف، عنى به المنقار، المخصف: المثقب.

(٣) تلبسوا: البسوا السلاح. الحاسر: الذي لا سلاح عليه.

(٤) البيتان لأبي كبير الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٢٠٥، واللسان والتاج (صلب)، والأول في اللسان (بزز) بلا نسبة، والثاني في اللسان والتاج (جرم)، والمخصص ٨/١٤٧، والمجمل ١/٤٢٥، والتهذيب ١١/٦٧، ١٢/١٩٦، والتنبيه والإيضاح ١/١٠٣، وبلا نسبة في الجمهرة ٤٦٥، والمقاييس ١/٤٤٦. والمخصص ١٣/١١٧، وديوان الأدب ١/٣٩٩.

(٥) البز: السلاح. الخائتة: التي تنقض على الصيد لتأخذه؛ فتسمع لجناحيها صوتاً.

(٦) الجريمة: الكاسبة. الناهض: الفرخ. النيق: أرفع موضع من الجبل. الصليب: الودك، أو ودك العظام.

(٧) ديوان طفيل الغنوي ٢٠، والمعاني الكبير ٢٥٠، ٩٧١، ومعجم البلدان ٣/٣٤١ (الشريف).

(٨) الشريف: تصغير شرف، وهو الموضع العالي، وهو ماء لبني نمير، وله تنسب العقبان. معطب: ذو عطب، وهو الهلاك.

أي أمهلوا. وقال دُريد[1]: [من الطويل]

تعلّلتُ بالشّطّاء إذْ بان صاحبي ... وكلُّ امرئٍ قد بان إذْ بان صاحبُه[2]
كأني وبزّي فوق فَتخاء لِقْوةٍ ... لها ناهضٌ في وكْرها لا تجانبُه[3]
فباتتْ عليه ينفُضُ الطّلَّ ريشُها ... تُراقِبُ ليلاً ما تغورُ كواكبُهُ
فلما تجلَّى اللّيلُ عنها وأسفرتْ ... تُنفِّض حسرى عن أحصٍّ مناكبُه[4]
رأت ثعْلباً من حرَّةٍ فهوتْ له ... إلى حَرَّةٍ والموتُ عَجْلانُ كاربُه[5]
فخرَّ قتيلاً واستمرّ بسَحْره ... وبالقلب يَدْمى أنفُه وترائبُه[6]

١٨٥٣ - [جفاء العقاب]

زعم صاحبُ المنطق أنّه ليس شيءٌ في الطّير أجفى لفراخه من العُقاب وأنّه لا بدّ من أن يُخْرِجَ واحداً، وربما طردَهُنَّ جميعاً حتّى يجيء طائرٌ يسمّى «كاسر العظام» فيتكفّل به.

ودريدُ بن الصِّمَّة يقول: [من الطويل]

كأني وبزّي فوق فتخاءَ لقْوةٍ ... لها ناهضٌ في وكْرها لا تجانِبُه

١٨٥٤ - [ما يعتري العقاب عند الشبع]

وقد يعتري العُقاب، عند شِبعها من لحم الصّيد، شبيهٌ بالذي ذكرنا في النسر. وأنشد أبو صالحٍ مسعود بن قنْد، لِبعض القيسيِّين: [من الطويل]

قرى الطّير بعد اليأس زيدٌ فأصبحتْ ... بوحْفاء قَفْرٍ ما يدبُّ عُقابُها[7]
وما يتخطّى الفحلَ زيدٌ بسيفهِ ... ولا العِرْمسَ الوَجناء قَد شقَّ نابُها[8]

---

(١) ديوان دريد بن الصمة ٣٨، والأول في التاج (شمط).

(٢) الشطّاء: قال محقق ديوانه: (قد تكون السمّاء، وهي فرس صخر أخي الخنساء «المخصص ٥ / ٢٣»، والمعروف أن دريداً كان صديقاً لإخوتها؛ وقد رثى أخاها معاوية بقصيدة رائية).

(٣) البز: السلاح: الفتخاء: العقاب، وأصل الفتخ: اللين. اللقوة: العقاب السريعة الاختطاف. الناهض: الفرخ.

(٤) أسفرت: أصبحت. الأحص: الأجرد؛ أو القليل الشعر.

(٥) كاربه: دانٍ منه.

(٦) السحر: الرئة. الترائب: جمع تريبة، وهي عظام الصدر.

(٧) الوحفاء: الأرض السوداء.

(٨) ما يتخطى: أي ينحرهما لا يعبأ بكرمهما، ويهين لضيفه كرائم المال. العرمس: الناقة الصلبة الشديدة. والوجناء: الضخمة. شق النابُ: طلع.

وإن قيل مَهْلاً إنّه شدنِيّةٌ   يقطِّع أقران الجبالِ جذابُها[1]

خبّر أنّه يعتري العُقاب من الثِّقل عند الطيران. من البِطْنة، ما يعتري النسر.

١٨٥٥ - [شعر في العقاب]

وقال امرؤُ القيس - إن كان قاله[2] -: [من البسيط]

١- كأنّها حين فاض الماء واحتُملَتْ   فتخاءُ لاحَ لها بالقَفْرَةِ الذِّيبُ[3]

٢- فأبصرت شَخْصَهُ من فوق مَرْقَبَةٍ   ودُون مَوْقِعها منه شناخِيبُ[4]

٣- فأقبلتْ نحوهُ في الجوِّ كاسرةً   يحثُّها من هويٍّ اللَّوح تصويبُ[5]

٤- صُبّتْ عليه ولم تنصبّ من أممٍ   إنَّ الشِّقاء على الأشقين مصبوبُ[6]

٥- كالدَّلْو بُتَّتْ عُراها وهي مُثْقلةٌ   إذ خانَهَا وذمٌ منها وتكريبُ[7]

٦- لا كالتي في هواءِ الجوِّ طالبةً   ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب[8]

٧- كالبرْق والريح مرْآتاهما عجب   ما في اجتهادٍ على الإصرار تغْبيبُ[9]

٨- فـأدركتْـهُ فنالتْــهُ مَخالِبُـهـا   فانْسَلَّ من تحتها والدَّفُّ مثْقوبُ[10]

---

(١) الشدنية: إبل منسوبة إلى شدن، وهو فحل باليمن. الأقران: جمع قرن، وهو الحبل يقرن به البعيران.

(٢) الأبيات لامرئ القيس أو لإبراهيم بن بشير الأنصاري في ديوان امرئ القيس ٢٢٦ - ٢٢٩، والأول لامرئ القيس في الأساس (حفل)، وللراعي النميري في ملحق ديوانه ٢٩٩، واللسان والتاج (صرح)، والعين ٣/١١٥، وبلا نسبة في اللسان والتاج (صقع)، والتهذيب ٤/٢٣٩، والثاني بلا نسبة في العين ٤/٣٢٦، والخامس لامرئ القيس في اللسان والتاج (كرب)، والسادس لامرئ القيس في الخزانة ٤/٩٠، ٩١، ٩٢، وشرح المفصل ٢/١١٤، والكتاب ٢/٢٩٤، وسر صناعة الإعراب ٢٣٥، وبلا نسبة في الجمهرة ٩٩٨، ورصف المباني ٤٣، واللسان (ويا).

(٣) فاض الماء: يريد العَرَق. الفتخاء: العقاب، وأصل الفتخ: اللين.

(٤) المرقبة: الموضع العالي يرقب منه العدو. الشناخيب: رؤوس في أعالي الجبال لا يعلو عليها إلا ما طار.

(٥) كاسرة: تضم جناحيها للسقوط. الهوي: هبوب الريح. اللوح: الهواء بين السماء والأرض. التصويب: الخفض.

(٦) الأمم: القرب.

(٧) قوله: «كالدلو» أراد أن انقضاض هذه العقاب إلى هذا الذئب كالدلو. وقوله «بتت» أي قطعت. الوذم: سير يعلق بعُرا الدلو. التكريب: أن يشد خيط من قنب مع الدلو إلى الرشاء - وهو الحبل - ليكون عوناً واستظهاراً متى انقطعت عروة أو انحلت عقدة أمسكها فلا تقع في البئر.

(٨) الطالبة: العقاب. وقوله: «كهذا» يريد الذئب.

(٩) تغبيب: ليست فيهما بقية من السرعة والعدْو.

(١٠) الدف: الجنب.

٩- يلوذ بالصّخر منها بَعد ما فترتْ منها ومنه الصَّخْر الشآبيب[١]
١٠- ثمّ استغاثت بمتْنِ الأرض تعفُرُهُ وباللسان وبالشِّدقين تتريب[٢]
١١- ما أخطأته المنايا قِيس أنْمُلة ولا تحرَّز إلاّ وهو مكثُوبُ[٣]
١٢- يظلُّ منجحِراً منها يُراقِبُها ويرقب اللَّيل إنَّ اللّيلَ محبوبُ[٤]

وقال زهير[٥]: [من البسيط]

تنبذُ أفلاذهَا في كلِّ منْزلةٍ تَنتِخُ أعيُنَها العِقبانُ والرَّخَمُ[٦]

تنتِخ: أي تنزع وتستخرج. والعرب تسمِّي المنقاش المِنتاخ.

ويقال: نقّت الرَّخمُ تنقُّ نقيقاً. وأنشد أبو الجرَّاح: [من الوافر]

حديثاً من سماعِ الدَّلِّ وعر كأنَّ نَقيقَهُنَّ نقيقُ رُخمِ

والنقيق مشترك. يقال: نقّ الضفدع ينقُّ نقيقاً.

ويقال: «أعزُّ من الأبْلق العَقُوق»[٧]، و: «أبعدُ من بيض الأنوق»[٨].

فأمَّا بيض الأنوق فربما رئي. وذلك أنَّ الرَّخم تختارُ أعاليَ الجبال، وصدُوعَ الصَّخر، والمواضِعَ الوحشيّة. وأمّا الأبلق فلا يكون عقوقاً. وأما العقوق البلْقاء فهو مَثلٌ. وقال: [من الطويل]

ذكرناكَ أن مَرَّتْ أمامَ ركابنا من الأُدْمِ مخماص العشيِّ سلوبُ[٩]
تدلّتْ عليها تَنفُضُ الرّيش تحتها براثِنُها وراحُهنَّ خَضيبُ[١٠]

---

(١) يلوذ: يلجأ. فترت: ضعفت. الشآبيب: جمع شؤبوب أي الدفعة من المطر، وجعلها للعدْو والطيران.

(٢) متن الأرض: ظهرها. تعفره: تضرب به التراب؛ وهو العفر.

(٣) مكثوب: أي كثبته العقاب: قاربته أو تَلَتْهُ.

(٤) منجحراً: داخلاً في الجحر.

(٥) ديوان زهير ١٢٠، واللسان (فلا)، والتاج والأساس (نتخ) والجمهرة ٣٩٠، والمقاييس ٢/٩٨، ٥/٣٨٦، والمجمل ٤/٣٧٤، وبلا نسبة في اللسان (نتخ)، والتهذيب ٣/٣٠٤.

(٦) تنبذ: تلقي. أفلاذها: أولادها.

(٧) مجمع الأمثال ٢/٤٣، والدرة الفاخرة ١/٢٩٩، وجمهرة الأمثال ٢/٦٤، والمستقصى ١/٢٤٢، وفصل المقال ٤٩٣ وأمثال ابن سلام ٣٦٢.

(٨) مجمع الأمثال ١/١١٥، والدرة الفاخرة ١/٧٦، والمستقصى ١/٢٤.

(٩) الركاب الأدم: الإبل يخالط بياضها سواد. المخماص: وصف من الخمص؛ وهو الجوع.

(١٠) البراثن: هي للسباع كالأصابع من الإنسان. الراح جمع راحة؛ وهي الكف.

خداريَّة صقْعاء دُون فراخِها ... من الطَّودِ فأْوٌ بينها ولهوبُ[1]
إذا القانِص المحروم آبَ ولم يُصِبْ ... فمطعَمُهُ جُنْحَ الظّلامِ نَصيبُ
فأصبحت بعد الطير ما دون فـارة ... كما قام فوق المنْصِتين خطيبُ

وقال بشرُ بن أبي خازم[2]: [من الوافر]

فما صَدْعٌ بخيَّة أو بَشـَرْقٍ ... على زَلَق زُمَالقَ ذي كهاف[3]
تَزلُّ اللّقْوة الشَّغْواء عنهـا ... مخالبُها كأطْرافِ الأشـافي[4]

وقال بشر أيضاً[5]: [من الطويل]

تداركَ لَحمي بعدَ ما حَلّقتْ به ... مع النَّسْر فَتخاءُ الجناح قبوضُ[6]
فإن تجعلِ النَّعماء منـك تمامَـةً ... ونُعماك نعمى لا تزال تفيضُ
تكنْ لك في قومي يدٌ يشكرونها ... وأيدي النّدى في الصالحين قروض[7]

وعلى شبيهٍ بهذا البيت الآخر. قال الحطيئة[8]: [من البسيط]

مَنْ يفعل الخيرَ لا يَعدَمْ جوازِيَهُ ... لا يذْهبُ العُرْفُ بين اللّهِ والنَّاسِ

وقال عقيل بن العرندس: [من الطويل]

حبيبٌ لقرطاسٍ يؤدِّي رسالة ... فيالك نفساً كيف حان ذُهولها
وكنت كفرخِ النسْرِ مُهِّد وكْرُه ... بملتفَّةِ الأفنانِ حيلٌ مقيلُها[9]

---

(١) الخدارية: السوداء. الصقعاء: التي في رأسها بياض. الفأو: مهواة بين جبلين.

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم ١٤٨-١٤٩ (١٦٦)، وعيار الشعر ١٧٧.

(٣) الصدع: وعل بين الوعلين، وهو الذي ليس بالعظيم ولا الصغير. حية: جبل من جبال طيئ. شرق: موضع في جبل طيئ. الزلق: المكان الذي لا تثبت عليه القدم. الزمالق: أصله الغلام الخفيف في عدْوه. الكهافِ: جمع كهْف.

(٤) اللقوة: العقاب السريعة الاختطاف. الشغواء: العقاب. الأشافي: جمع الإشفى، وهو المثقب.

(٥) ديوان بشر بن أبي خازم ١٠٧ (١٣٥).

(٦) الفتخاء: اللينة الجناح تكسره كيف شاءت. القبوض: تقبض جناحيها، أي تجمعهما.

(٧) الندى: السخاء والكرم. قروض: جمع قرض، وهو ما يتجازى به الناس بينهم؛ ويتقاضونه من إحسان ومن إساءة.

(٨) ديوان الحطيئة ٥١، والخصائص ٢/٤٨٩، والأغاني ٢/١٧٤، وشرح الأشموني ٣/٥٨٧، والتاج (الفاء)، ومجمع الأمثال ٢/١٦٢.

(٩) الحيل: الماء المستنقع في بطن الوادي.

١٨٥٦ - [التمساح والسمك]

وأما قوله:

٣١ - «وتِمْسحٌ خَلَّلَهُ طائرٌ   وسابحٌ ليس له سَحْرُ»

فالتمساح مختلف الأسنان، فينشب فيه اللحم، فيغمُّه فيُنتن عليه، وقد جُعل في طبعه أن يخرُجَ عند ذلك إلى الشط، ويشحا[١] فاه لطائر يعرفه بعينه، يقال إنه طائرٌ صغير أرقط مليح. فيجيء من بين الطير حتى يسقط بين لحييه ثم ينقرُه بمنقاره حتّى يستخرجَ جميع ذلك اللحم، فيكون غذاءً له ومعاشاً، ويكونُ تخفيفاً عن التِّمساح وترفيهاً[٢]. فالطائر الصغير يأتي ما هنالك يلتمس ذلك الطُّعم، والتمساح يتعرَّض له، لمعرفته بذلك منه.

وأما قوله:

«وسابح ليس له سَحْر».

فإن السمك كلُّه لا رئة له. قالوا: وإنما تكون الرِّئة لمن يتنفس. هذا، وهم يرون منخري السَّمك، والخرق النَّافذ في مكان الأنف منه، ويجعلون ما يرون من نفسه إذا أخرجوه من الماء أن ذلك ليس بنفس يخرج من المنخرين، ولكنه تنفس جميع البدن.

١٨٥٧ - [العث والحفاث]

وأما قوله:

٣٢ - «والعُث والحُفّاث ذو نفخةٍ   وخرنقٌ يسفِده وَبْرُ»

فإنَّ الحُفَّاث دابّة تشبه الحيّة وليست بحيّة، وله وعيدٌ شديدٌ، ونفْخ وتوثُّب، ومن لم يعرفْه كان له أشدَّ هيبةً منه للأفاعي والثّعابين. وهو لا يضرُّ بقليل ولا كثير، والحيّات تقتله. وأنشد[٣]: [من الكامل]

أيفايشون وقد رأوْا حُفّاثهم   قَدْ عضَّه فقضى عليه الأسودُ[٤]

---

(١) يشحا: يفتح.

(٢) انظر ما تقدم في ٤/٢٢٨، س ٥ - ٦.

(٣) ثمة بيت بقافية «الأشجعُ» لجرير في ديوانه ٩١٣، واللسان والتاج (حفث، فيش).

(٤) يفايشون: يفاخرون. الأسود: أخبث الحيات.

والعثُّ: دويْبة تقرض كلَّ شيء، وليس له خطرٌ ولا قوّة ولا بدن.

قال الرَّاجز[١]: [من الرجز]

يحثُّنـي ورْدانُ أيَّ حـثّ   وما يحثُّ من كبيرٍ عَثّ

إهابُه مثلُ إهاب العُثّ

وأنشد: [من الوافر]

وعَثٌّ قدْ وكلْتُ إليه أهْلي   فطاحَ الأهلُ واجتيحَ الحريمُ

وما لاهى به طرفٌ فيوحي   ولا صَكٌّ إذا ذكر القضيمُ[٢]

وأنشد آخر[٣]: [من المتقارب]

فإن تشتموننا على لُؤْمِكُـمْ   فقد يقرض العثُّ مُلْسَ الأديمِ

وقالوا في الحُفَّاث، هجا الكروبي أخاه فقال: [من الوافر]

حُبارى في اللِّقاء إذا التقينا   وحُفَّاثٌ إذا اجتمع الفريـقُ

وقال أعرابي: [من الطويل]

ولستُ بحفَّاثٍ يُطاوِلُ شَخْصَهُ   وينفخُ نَفْخَ الكيرِ وهو لَئيمُ

وقع بين رجلٍ من العرب ورجل من الموالي كلامٌ، فاربى عليه المولى، وكان المولى فيه مَشابهُ من العرب والأعراب، فلم يشكَّ ذلك العربيُّ أن ذلك المولى عربيٌّ، وأنَّه وسط عشيرته، فانخزل[٤] عنه فلم يكلمْه، فلما فارقه وصار إلى منزله علم أنه مولى، فبكر عليه غُدوةً، فلما رأى خِذْلان جلسائه له ذلَّ واعتذر، فعند ذلك قال العربيُّ في كلمةٍ له: [من الطويل]

ولم أدْرِ ما الحفاثُ حتّى بلوتُه   ولا نفض للأشخاصِ حتّى تكشّفَا[٥]

وقد أدركتُ هذه القضية وكانت في البحرَين، عند مسحر بن السكن عندنا بالبصرة. فهو قوله: «والعثّ والحفّاث ذو نفخةٍ» لأن الحفاث له نفْخ وتوثُّب، وهو ضخمٌ شنيعُ المنظر، فهو يهول من لا يعرفه.

---

(١) ورد البيت الثالث بلا نسبة في البرصان ١٩٣.

(٢) القضيم: الرق الأبيض الذي يكتب فيه.

(٣) البيت للمخبل في مجمع الأمثال ١/٤٣٤، وبلا نسبة في حياة الحيوان ٢/١٥ (العثة).

(٤) انخزل: انقطع وانفرد.

(٥) النفض: أن ينظر جميع ما في الشيء حتى يعرفه.

وكان أبو ديجونة مولى سليمان، يدَّعي غاية الإقدام والشَّجاعة والصَّرامة، فرأى حُفَّاثاً وهو في طريق مكة، فوجده وقد قتله أعرابيٌّ، ورآه أبو ديجونة كيف ينفخ ويتوعّد، فلم يشك إلا أنه أخبثُ من الأفعى ومن الثعبان، وأنه إذا أتى به أباه وادعى أنه قتله سيقضي له بقتل الأسد والببْر والنمر في نِقاب، فحمله وجاء به إلى أبيه وهو مع أصحابه، وقال: ما أنا اليوم إلا ذيخ[1] وما ينبغي لمن أحسَّ بنفسه مثل الذي أُحِس أن يُرمى في المهالك والمعاطب، وينبغي أن يستبقيها لجهادٍ أو دفعٍ عن حُرْمة وحريمٍ يذبُّ عنه! وذلك أني هجمْت على هذه الحيّة، وقد منعت الرِّفاق من السُّلوك، وهربت منها الإبل، وأمعَنَ في الهرب عنه كلُّ جمّالٍ ضخم الجزارة[2]، فهزتني إليه طبيعة الأبطال، فراوغتها حتى وهب اللّه الظّفر. وكان من البلاء أنها كانت بأرضٍ ملساء ما فيها حصاة، وبصُرْتُ بفهر على قاب غلوة، فسعيت إليه - وأنا أسوارٌ كما تعلمون - فو اللّه ما أخطاتُ حاقَّ لهِزْمته[3] حتى رزق اللّه عليه الظّفر. وأبوه والقومُ ينظرون في وجْهه، وهم أعلم النَّاس بضعْف الحُفّاث، وأنَّه لم يؤذ أحداً قط، فقال له أبوه: ارم بهذا من يدك، لعنك اللّه ولعنهُ معك، ولعنَ تصديقي لك ما كنْت تدَّعيه من الشَّجاعة والجراءة! فكبّروا عليه وسمَّوه قاتل الأسد.

ومما هجوا به حين يشبِّهون الرَّجل بالعث، في لؤْمه وصِغر قَدرِه قول مُخارق الطائي، حيث يقول[4]: [من الوافر]

وإني قد علمت مكان عُثٌّ ... له إبْلٌ مُعَبّسَةٌ تَسُومُ[5]
عن الأضيافِ والجيرانِ عُزَّتْ ... فأودت والفتى دنسٌ لئيمُ[6]
وإني قد عَلمتُ مكانَ طِرْف ... أغرَّ كأنَّه فرسٌ كريمُ[7]
له نعمٌ لِعام المحلِ فيها ... ويَرْوَى الضّيف، والزِّقُّ العظيمُ[8]

---

(١) الذيخ: الذكر من الضباع.

(٢) الجزارة: اليدان والرجلان.

(٣) اللهزمة: أصول الحنك.

(٤) الأبيات لعارق الطائي في الوحشيات ٢٥٠.

(٥) معبسة: عبست الإبل: علاها العبس، وهو ما يبس على هلب الذنب والفخذ من البول والبعر، وذلك زمن المرعى، فتسمن ويكون عليها الشحم.

(٦) عزت: منعت عن الأضياف والجيران لعزتها على صاحبها.

(٧) الطرف: الكريم من الرجال.

(٨) الزق: زق الخمر، أي يسقي ضيفه اللبن والخمر.

١٨٥٨ - [الوبر والخرنق]

وأما قوله:

٣٢ - «وخِرنقٌ يسفدُه وبْرُ»

فإنَّ الأعراب يزعمون أنّ الوبْر يشتهِي سفاد العكرشَة - وهي أنثى الأرانب - ولكنّه يعجز عنها، فإذا قدَر على ولدِها وثَبَ عليه. والأنثى تسمى العِكرِشة، والذَّكر هو الخُزَر، والخِرنِق ولدهما. قال الشاعر: [من الكامل]

قَبَحَ الإلَه عصابةً نادمتُهمْ في جَحْجَحان إلى أسافلِ نقنقِ
أخَذُوا العتَاق وعرَّضُوا أحسابَهُمْ لمحَرَّبٍ ذكَرِ الحديد مُعرِّق
ولقد قرعتُ صَفاتَكمْ فوجدتُكم مُتشبِّثين بزاحفٍ متعلِّق
ولقد غَمَزْتُ قناتَكم فوجدتها خرْعاءَ مَكْسِرُها كعودٍ محرَق
ولقد قبَضْتُ بقلبِ سَلْمةَ قبضةً قبْضَ العُقَابِ على فؤاد الخرنقِ
ثمَّ اقتحَمْتُ لِلَحمهِ فأكلته في وكرِ مرتفعِ الجنابِ معلَّقِ

قالوا: إنه قالها أبو حبيب بعد أن قال جُشَمُ ما قال، وقد قدَّم إليه طعامه.

١٨٥٩ - [مايشبه الخزز]

ووصف أعرابيٌّ خلْقَ أعرابيٍّ فقال: كأن في عَضَلته خُزَزًا، وكأنّ في عضده جُرذًا.

وأنشدوا لماتحٍ ووصفَ ماتحًا، ورآه يستقي على بئره، فقال[1]: [من الرجز]

أعدَدْت للورِد إذ الورِدُ حفَزْ دَلوًا جَرُورًا وجَلالاً خُزَخِزْ
وماتِحًا لا ينْثَني إذا احتجزْ كأنَّ تحتَ جِلْدِه إذا احتفزْ

في كلِّ عضوٍ جُرَذين أو خُزَزْ

وسنقول في الأرنب بما يحضرنا إن شاء اللّه تعالى.

---

(١) تقدم تخريج الرجز في ٥/ ١٤١ .

القول في الأرانب

١٨٦٠ - [قِصَر كراع الأرنب]

قال الشاعر(١): [من الكامل]

زَعَمَتْ غُدانة أن فيها سيِّدًا ... ضخمًا يوازنه جنَاحُ الجنْدبِ
يُروِيه ما يُروِي الذُّبابَ فينتَشي ... سُكرًا ويُشْبِعه كراعُ الأرنبِ

وإنما ذكرَ كراعَ الأرنب من بين جميع الكراعات لأنَّ الأرنب هي الموصوفة بقصر الذِّراع وقصر اليد. ولم يُرد الكُراع فقط، وإنما أراد اليدَ بأسْرها. وإنما جعل ذلك لها بسببٍ نحن ذاكروه إن شاء الله تعالى.

والفرس يُوصف بقِصر الذِّراع فقط.

١٨٦١ - [التوبير]

والتَّوبير لكلِّ محتالٍ من صغار السِّباع، إذا طَمِع في الصيد أو خاف أنْ يُصاد، كالثَّعلب، وعَناقُ الأرض هي التي يقال لها التُّفَة، وهي دابّة نحو الكلْب الصَّغير، تصيد صَيداً حسنًا، وربَّما واثبَ الإنسان فعقَرَه، وهوأحسن صيداً من الكلْب.

وفي أمثالهم: «لأنتَ أغنى من التفَة عن الرُّفة»(٢)، وهو التِّبن الذي تأكله الدوابُّ والماشية من جميع البهائم. والتُّفة سَبعٌ خالصٌ لا يأكل إلا اللحم.

والتَّوبير: أن تَضمَّ بَرَاثِنها فلا تطأ على الأرض إلا ببطن الكفِّ، حتى لا يُرَى لها أثر براثِنَ وأصابع. وبعضها يطأ على زمَعاته،(٣) وبعضها لا يفعل ذلك. وذلك كله في السهل. فإذا أخذت في الحُزونة والصَّلابة، وارتفعت عن السَّهل حيث لا تُرَى لها آثارٌ - قالوا: ظلفت الأثر تظلفه ظلْفاً. وقال النُّميري: أظلفَت الأثر إظلافاً.

١٨٦٢ - [بعض ما قيل في الأرنب]

وعن عبد الملك بن عمير، عن قَبيصة بن جابر: «ما الدُّنيا في الآخرةِ إلاّ كنفْجة أرنب»(٤).

---

(١) البيتان للأبيرد بن المعذر الرياحي أو لزياد الأعجم، انظر ما تقدم في ٣/١٨٩، الفقرة (٨٢٧)، الحاشية الثانية.

(٢) مجمع الأمثال ٢/٦٣، والدرة الفاخرة ١/٣٢١، وجمهرة الأمثال ٢/٨٤، والمستقصى ١/٢٦٤.

(٣) الزمعات: هنات شبه أظفار الغنم، في كل قائمة زمعتان كأنما خلقت من قطع القرون.

(٤) القول في النهاية ٥/٨٨.

ويقال حذفته بالعَصا كما تُحذَف الأرنب.

وقال أبو الوَجيه العُكْلي[1]: «لو كانت واللّه الضبّة دجَاجةً لكانت الأرنب دُرَّاجة». ذهب إلى أنّ الأرانب والدُّرَّاج لا تستحيل لحومها ولا تنقلبُ شحومًا، وإنّما سِمَنها بكثرة اللّحم. وذهب إلى ما يقول المعجبون منهم بلحْم الضّبّ؛ فإنّهم يزعُمون أنّ الطعمين متشابهان. وأنشد[2]: [من الرجز]

وأنتَ لوذُقْتَ الكشى بالأكبادْ　　　لما ترَكْتَ الضّبَّ يَسعَى بالوادْ

قال: والضبّ يعرض لبيض الظّليم؛ ولذلك قال الحجّاج لأهل الشّام[3]: «إنّما أنا لكم كالظّليم الرَّامح عن فراخه، ينفي عنها المَدَر[4]، ويباعدُ عنها الحجَر، ويُكنُّها من المطَر، ويحميها من الضّباب، ويحرُسُها من الذئاب. يا أهلَ الشّام أنتم الجُنّة والرِّداء، وأنتم العُدّة والحذاء».

١٨٦٣ - [ما يشبه بالأرنب]

ثم رجع بنا القول إلى الأرانب. فممَّا في الخيل مما يُشبِه الأرنب قول الأعشى[5]: [من الكامل]

أمّـا إذا استقبلـتَه فكأنَّـه　　　جذعٌ سَمَا فوقَ النَّخيل مشذَّبُ
وإذا تصفَّحه الفَوارِسُ مُعْرِضاً　　　فتقولُ سرْحَانُ الغَضَا المتنصِّبُ
أمّا إذا استدبرته فتسوقُـه　　　ساقٌ يُقَمِّصُها وظيف أحْدَبُ
منْه، وجاعِرةٌ كأنّ حَماتَـها　　　كشَطتْ مَكان الجلِّ عَنْهَا أَرْنَبُ

وقَال عبد الرَّحمن بن حسّان: [من المتقارب]

كأنّ حَماتَيْهِمَـا أرْنَبا　　　ن غيضتا خيفةَ الأَجْدَلِ[6]

١٨٦٤ - [طول عمر الأغضف والأرنب]

وأنشد الأثرم: [من الرجز]

---

(١) القول في ربيع الأبرار ٥/ ٤٦٨.

(٢) تقدم الرجز مع تخريج واف في ص ٣٦٧.

(٣) ورد قول الحجاج في البيان ٢/ ١٤٠.

(٤) المدر: قطع الطين اليابس.

(٥) تقدمت الأبيات في ١/ ١٨١، الفقرة (٢٠٧) منسوبة إلى الأعشى، وهي للمرار العدوي في كتاب الخيل لأبي عبيدة ٩٩ - ١٠٠، و«البيت الأول لأنيف بن جبلة في اللسان (أول).

(٦) قافية البيت في الأصل «الأذؤب»، والتصويب مما تقدم في ١/ ١٨١، الفقرة (٢٠٧)، والمعاني الكبير ١/ ١٦٤، والأنوار ١/ ٢٩٧.

بأغْضَفَ الأُذْنِ الطَّوِيل العمر وأرنـب الخُلّة تِلْوُ الدَّهرِ[١]

قد سمعتُ من يذكر أنّ كِبَرَ أذنِ الإنسان دليلٌ على طُول عمره، حتَّى زعُموا أنّ شيخًا من الزَّنادقة، لعنهم اللّه تعالى، قدّموه لتُضرب عنقُه فعَدَا إليه غلامٌ سعديٌّ كان له، فقال: أليسَ قد زعمتَ يا مولايَ أنّ من طالت أذُنه طال عمره؟ قال: بلى! قال: فهاهم يقتلونك! قال: إنما قلت: إن تركوه!

وأنا لا أعرف ما قال الأثرم، ولا سمعتُ شِعرًا حديثًا ولا قديمًا يُخبرُ عن طول عُمر الأرنب. قال الشّاعر: [من الرجز]

مِعْبلة في قِـدْح نَبْـعٍ حـادِرْ تسقى دَم الجوف لظفرِ قاصرْ[٢]
إذ لا تـزال أرنـبٌ أو فـادِرْ أو كروانٌ أو حُبارى حاسرْ[٣]
إلـى حمـار أو أتـان عاقـرْ

١٨٦٥ - [لبن الأرنب]

قال: ويزعمون أنه ليس شيءٌ من الوحْش، في مثل جسم الأرنب أقلَّ لبنًا ودُرُورًا على ولَدٍ منها. ولذلك يُضرَبُ بدَرِّها المثل، فممَّن قال في ذلك عَمرو بن قَميئة، حيث يقول[٤]: [من الخفيف]

ليس بالمطعم الأرانب إذْ قلَّـ ـص دَرُّ اللِّقاح في الصِّنَّبْرِ
ورأيتَ الإماء كالجعثن البا لي عُكوفًا على قُرارة قدْرِ
ورأيتَ الدُّخانَ كالودع الأهـ ـجَنِ يَنباع من وراء السِّترِ
حاضرٌ شرُّكُمْ وخيْرُكمُ دَ رُّ خَريسٍ من الأرانب بِكرِ

١٨٦٦ - [قصر يدي الأرنب]

والأرنب قصير اليدين، فلذلك يخفُّ عليه الصَّعْداء[٥] والتوقُّل في الجبال. وعَرف أنّ ذلك سهلٌ عليه. فصرَفَ بعضَ حيله إلى ذلك، عند إرهاق الكلاب إيَّاه. ولذلك يعجَبون بكلِّ كلبٍ قصير اليدين، لأنه إذا كان كذلك كان أجدر أن يلحقها.

---

(١) الأغضف الأذن: المسترخيها. تلو الدهر: ولده.

(٢) المعبلة: النصل الطويل العريض. الحادر: الغليظ.

(٣) الفادر: المسن من الأوعال. الحاسرك الذي لا ريش عليه.

(٤) ديوان عمرو بن قميئة ٧٧ – ٧٨، وتقدمت الأبيات في ٥ / ٤٠، الفقرة (١٢٩٧).

(٥) أي الأرض الصعداء، وهي التي يشتد صعودها على الراقي.

١٨٦٧ - [من أعاجيب الأرنب]

وفي الأرانب من العجب أنها تحيض، وأنها لا تسمن، وأن قضيب الخُزَزِ ربَّما كان من عظمٍ، على صورة قضيب الثّعلب[١].

ومن أعاجيبها أنّها تنام مفتوحةَ العَين، فربَّما جاء الأعرابيُّ حتّى يأخذها من تلقاء وجهها، ثقةً منه بأنَّها لا تبصر.

وتقول العرب: هذه أرنبٌ، كما يقولون: هذه عُقاب ولايذكّرون. وفيها التَّوبير الذي ليس لشيءٍ من الدوابِّ التي تحتال بذلك، صائدةً كانت أو مصيدةً، وهو الوطْء على مؤخر القوائم، كي لا تعرف الكلابُ آثارها، وليس يعرفُ ذلك من الكلابِ إلاَّ المَاهر، وإنَّما تفعَل ذلك في الأرض اللَّيِّنة. وإذا فعلَتْ ذلك لم تسرع في الهرَب. وإن خافت أن تدرَك انحرفت إلى الحُزونة والصَّلابة. وإنما تستعمل التَّوبير قبل دنو الكلاب.

وليسَ لشيء من الوَحْش، ممّا يُوصَف بِقصَر اليدَينِ ما للأرنَب من السرعة. والفرس يوصف بقصر الكُراع فقط

١٨٦٨ - [زعم في كعب الأرنب]

وكانت العربُ في الجاهليَّة تقول[٢]: مَن عُلّق عليه كعبُ أرنب لم تصبهُ عينٌ ولا نفسٌ ولا سِحر، وكانت عليه واقيةٌ؛ لأَنَّ الجنَّ تهرب منها، وليست من مطاياها لمكان الحيض.

وقد قال في ذلك امرؤ القيس[٣]: [من المتقارب]

يا هِندُ لا تنْكحي بُوهَةً ... عليه عَقِيقَتُه أحْسَبَا[٤]

---

(١) انظر ما تقدم في هذا الجزء ص ٤٧٤ .

(٢) انظر عيار الشعر ٦٤، ونهاية الأرب ٣/١٢٣، وما تقدم في هذا الجزء ص ٣٤١ .

(٣) ديوان امرئ القيس ١٢٨، ومجالس ثعلب ٨٢، واللسان والتاج (رسع)، و التهذيب ٢/٩٢، بالأسود في اللسان والتاج (حسب، عقق، بوه)، والعين ١/٦٢، والجمهرة ٢٧٧، والمقاييس ٤/٤، وديوان الأدب ٣/٣٢١، والمجمل ١/٣٠٥، والتهذيب ٤/٣٣٤، ٦/٤٦٢، وكتاب الجيم ١/٢١٠، والتنبيه والإيضاح ١/٦٤، وبلا نسبة في العين ٣/١٥٠، ٤/٩٨، والمقاييس ١/٣٢٤، ٢/٦١، والمخصص ٨/١٦١، بالأسود في اللسان والتاج (لسع، عسم)، وإنباه الرواة ٤/١٧٤، وشرح ابن عقيل ١١٥، والمعاني الكبير ٢١١، ونسب إلى امرئ القيس بن مالك الحميري في المؤتلف والمختلف ١٢، وبلا نسبة في سر صناعة الإعراب ٧٣، وشرح المفصل ١/٣٦، بالأسود بلا نسبة في العين ١/٣٣٦.

(٤) البوهة: طائر يشبه البومة. عقيقته: شعره الذي وُلد به. الأحسب: من الحسبة، وهي صهبة تضرب إلى الحمرة، وهي مذمومة عند العرب.

مُرَسَّعَةٌ بـين أرساغه   به عَسَمٌ يبتغي أرْنبا[١]
ليجْعَل في يَدِهِ كَعْبَهَا   حِذَارَ المنيَّة أنْ يَعْطَبا[٢]

وفي الحديث[٣]: «بكى حتَّى رسعت عينه» مشَدَّدة وغير مشدَّدة، أي قد تغيَّرت. ورجلٌ مرسِّع وامرأة مرسِّعة.

١٨٦٩ - [تعشير الخائف]

وكانوا إذا دخل أحدهم قريةً من جنٍّ أهلها، ومن وباء الحاضرة، أشدّ الخوف، إلاّ أن يقِف على باب القَرية فيعشِّرَ كما يعشِّرُ الحمارُ[٤] في نهيقه، ويعلِّق عليه كعبَ أرْنب. ولذلك قال قائلهم[٥]: [من الطويل]

ولا ينفع التَّعشيرُ في جَنْبِ جِرْمة   ولا دَعدعٌ يغني ولا كعبُ أرْنبِ

الجِرمة: القطعة من النّخل. وقوله: «دعدع» كلمةٌ كانوا يقولونها عند العِثار. وقد قال الحادرة[٦]: [من الكامل]

ومَطِيَّةٍ كلّفْتُ رَحْلَ مَطِيَّةٍ   حَرَجٍ تُنمُّ من العِثَارِ بدَعْدَعِ[٧]

وقالت امرأةٌ من اليهود[٨]: [من المتقارب]

وليس لوالـدةٍ نَفْثُها   ولا قَوْلُها لابنها دَعْدَعِ
تداري غراء أحوالـه   وربُّك أعْلَمُ بالمصْرَعِ

(١) المرسعة: مثل المعاذة؛ وكان الرجل من جهلة العرب يعقد سيراً مرسَّعاً معاذةً، مخافة أن يموت أو يصيبه بلاء. ويقال: مرسَّعة ومرصَّعة. العسم: يُبس في الرسغ واعوجاج. انظر ديوانه ١٢٨.
(٢) يريد أنه يتداوى ويتعوّذ بكعب الأرنب حذر الموت والعطب، وكانوا يشدون في أوساطهم عظامَ الضبع والذئب. يتعوذون بها. انظر ديوانه ١٢٨.
(٣) هو من حديث ابن عمرو بن العاص في النهاية ٢/٢٢١، ٢٢٧، والمعنى أنها تغيرت وفسدت والتصقت أجفانها.
(٤) عشّر الحمار: تابع النهيق عشر نهقات.
(٥) البيت بلا نسبة في عيار الشعر ٦٤، والمعاني الكبير ٢٦٨، ونهاية الأرب ٣/١٢٣.
(٦) ديوان الحادرة ٥٢، واللسان والتاج (جرر، أمن)، والتنبيه والإيضاح ٢/٩٨، والتهذيب ١٠/٤٧٦، ١٥/٢٠٠، ٥١١، وشرح اختيارات المفضل ٢٢١، وبلا نسبة في المقاييس ١/١٣٤، ٤١٢، ٢/٢٨٠، والمجمل ١/٣٨٩، والمخصص ٦/٨٩.
(٧) الحرج: الناقة الجسيمة الطويلة. النم: الإغراء.
(٨) البيتان للشنفرى في ديوانه ٣٧ «ضمن الطرائف الأدبية»، والأغاني ٢١/١٨٤.

وقد قال عُورة بن الوَرد، في التَّعشير، حين دخل المدينَة فقيل له: إن لم تعشّرْ هلكت! فقال(١): [من الطويل]

لَعمْري لئنْ عشَّرْتُ من خيفةِ الرَّدى نُهاقَ الحَميرِ إنّني لجَزوعُ

١٨٧٠ - [نفع الأرنب]

وللأرنب جلدٌ وَوَبَرٌ يُنتَفع به، ولحمه طيِّب؛ ولا سيَّما إنْ جُعل مَحْشياً(٢)؛ لأنّه يجمع حُسنَ المنظر، واستفادة العلم مما يرون من تدبيرها وتدبير الكلاب، والانتفاع بالجلد وبأكل اللّحم. وما أقلَّ ما تجتمع هذه الأمورُ في شيءٍ من الطَّير.

وأما قوله(٣): [من الطويل]

إذا ابتدَرَ النّاسُ المعالي رأيتَهم قياماً بأيديهم مسوكُ الأرانبِ

فإنّه هجاهم بأنّهم لا كسب لهم إلاّ صيدُ الأرانبِ وبيع جلودها.

١٨٧١ - [الحُلكاء]

وأمّا قوله:

٣٣ - «وغائصٌ في الرمل ذو حدَّةٍ ليس له نابٌ ولا ظُفُرُ»

فهذا الغائص هو الحلكاء. والحلكاء: دويْبّة تغوصُ في الرمل. كما يصنع الطَّائر الذي يسمّى الغَمّاس في الماء. وقال ابن سُحيم في قصيدته التي قصَد فيها للغرائب: [من البسيط]

والحُلَكاء التي تَبْعَج في الرمل(٤)

١٨٧٢ - [شحمة الأرض]

وممَّا يغوص في الرَّمل، ويسبح فيه سباحة السَّمكة في الماء، شحْمةُ الرَّمل، وهي شحمة الأرض، بيضاء حَسَنَةٌ يشبّه بها كفُّ المرأة(٥)، وقال ذو الرُّمَّة في تشبيه البَنان بها(٦): [من الطويل]

---

(١) ديوان عروة بن الورد ٤٦٥، واللسان والتاج (عشر)، وبلا نسبة في المقاييس ٤/٣٢٥، والمخصص ٨/٤٩، والعين ١/٢٤٧، وانظر الخبر مع البيت في معجم البلدان (روضة الأجداد).

(٢) المحش: الاشتواء.

(٣) البيت بلا نسبة في ربيع الأبرار ٥/٤٢٧، وتقدم في ٥/ ٣١٥ .

(٤) البعج: الشق.

(٥) ثمار القلوب (٧٣٦).

(٦) ديان ذي الرمة ٦٢٢، واللسان (دسس، بنى، نقا)، والتاج (نقا)، والتهذيب ٩/٣١٩، ١٥/٥٠٧، والمخصص ١٥/١٣١، وثمار القلوب (٧٣٦).

خراعيب أمْثالٌ كأنّ بنانَـها بَناتُ النقا تخْفَى مراراً وتظهرُ[١]

وقال أبو سليمان الغَنَوي: هي أعرض من العظاءة بيضاء حسنةٌ منقطة بحمرة وصُفرة، [وهي][٢] أحسنُ دوابِّ الأرض.

١٨٧٣ - [تشبيه أطراف البنان بالعنم]

وتشبّه أيضًا أطرافُ البنانِ بالأساريع وبالعنم، إذا كانت مُطرَّفة، وقال مرقّش[٣]: [من السريع]

النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجوهُ دنا نيرُ وأطراف الأكُفِّ عَنَمْ

وصاحب البلاغة من العامَّة يقول: «كأنّ بَنانها البَيَّاح[٤] والدُّواج[٥]، ولها ذراعٌ كأنها شَبُّوطة[٦]».

ويشبه أيضًا بالدِّمقس.

١٨٧٤ - [خرافات أشعار العرب]

ومن خرافات أشعار الأعراب، يقول شاعرهم: [من الرجز]

أشكو إلى اللّه العليِّ الأمجد عشائرًا مثلَ فراخ السرهد
عشائرًا قد نبَّفوا بفَدفَد قد ساقَهمْ خبث الزمان الأنكَدَ
وكلّ حرباءَ وكل جُدْجُدَ وكلّ رامٍ في الرِّمال يهْتدي
وكلّ نَقّاض القفا ملهّدَ ينصبُ رِجْلَيه حذار المعتدي[٧]
وشحْمة الأرض وفَرْخ الهُدهُد والفَار واليَرْبوعَ ما لم يسفَد
فنارهم ثاقبةٌ لم تخْمُد شواء أحناشٍ ولم تفرّدَ
من الحُبينِ والعظاء الأجردِ يبيتُ يَسْري ما دنا بفدفد
وكلِّ مقطوعِ العرا معلكدِ حتّى ينالوه بعود أوْ يدِ[٨]

---

(١) الخراعيب: الطويلات. بنات النقا: دويبات في الرمل.
(٢) الزيادة من ثمار القلوب (٧٣٦).
(٣) ديوان المرقش ٥٨٦، والمفضليات ٢٣٨، واللسان والتاج والأساس (نشر).
(٤) البيّاح: ضرب من السمك صغار.
(٥) الدواج: لحاف يلبس.
(٦) الشبوط: نوع من السمك، دقيق الذنب عريض الوسط.
(٧) الملهد: المستضعف الذليل.
(٨) المعلكد: الغليظ.

منها وأبصار سَعَال جُهَّد يغدون بالجهد وبالتشرُّدِ
زَحْفًا وحَبْوًا مثل حَبْوِ المُقْعَدِ

١٨٧٥ - [الحرباء]

وأمّا قوله:

٣٤ - «حِرباؤها في قَيْظها شَامِسٌ حتَّى يوافي وَقته العَصْرُ
٣٥ - يَميل بالشِّقّ إليها كما يميل في رَوْضَتِه الزّهْرُ»

قال: والحِرباء دويْبَّة أعظَم من العظاءة أغبَرُ ما كان فرخًا، ثم يصفرّ، وإنّما حياتُه الحر. فتراه أبداً إذا بدت جَونة يعني الشَّمس، قد لجأ بظهْره إلى جُذيل[1]، فإن رمضت الأرضُ ارتفع. ثم هو يقلّب بوجهه أبداً مع الشَّمس حيث دارت، حتَّى تغرب، إلا أنْ يخاف شيئًا. ثم تراه شَابحًا بيدَيه[2]، كما رأيت من المصلوب. وكلما حميت عليه الشَّمس رأيتَ جلدَه قد يخضرّ، وقد ذكره ذو الرُّمَّة بذلك فقال[3]: [من الطويل]

يظلُّ بها الحرباءُ للشَّمس ماثلاً على الجذل إلاّ أنّه لا يكبِّرُ
إذا حَوَّل الظّلَّ العشيّ رأيتَه حَنيفًا وفي قَرْن الضُّحَى يَتَنَصَّرُ
غَدَا أصفرَ الأعْلى وراَحَ كأنَّه من الضِّحِّ واستقباله الشَّمْسَ أخضرُ[4]

١٨٧٦ - [خضوع بعض الأحياء للشمس]

وكذا الجمل أيضًا يستقْبل بهامته الشَّمس، إلاّ أنه لايدور معَها كيف دارَت كما يفعل الحرباء.

وشقائقُ النُّعمان والخِيريّ يصنع ذلك، ويتفتَّحُ بالنهار. وينضمُّ بالليل، والنِّيلُوفر الذي ينبت في الماء يغيب الليل كلّه ويظهر بالنهار، والسَّمك الذي يقال له

---

(١) الجذيل: مصغر جذل وهو من العيدان ما كان على مثال شماريخ النخل، وما عظم من أصول الشجر المقطع.

(٢) شبح يديه: مدهما.

(٣) ديوان ذي الرمة ٦٣١، **والأول** له في اللسان (حول)، وديوان المعاني ٢ / ١٤٧، وينسب إلى زهير ابن أبي سلمى في اللسان والتاج (مثل)، وليس في ديوانه. **والثاني** في اللسان (حول، ولى)، والتاج (حول)، والتهذيب ١٥/٤٥٢، وديوان الأدب ٢ /٣٨١، **والثالث** في اللسان والتاج (ضحح)، وديوان الأدب ٣ / ٣٠.

(٤) الضح: ضوء الشمس على الأرض.

الكَوسج. في جوفه شحمة طيّبة، وهم يسمُّونها الكَبد، فإن اصطادُوا هذه السَّمكة ليلاً وجدوا هذه الشَّحمة فيها وافرةً، وإن اصطادُوها نهارًا لم تُوجَد. وقد ذكر الحطيئة دوران النّبات مع الشمس حيث يقول[1]: [من الطويل]

بمُستأسدِ القُرْيانِ حُوٌّ تِلاعُه ... فنُوَّارُه مِيلٌ إلى الشَّمس زَاهِرُه

وقال ذو الرُّمَّة[2]: [من الطويل]

إذا جعَلَ الحرباءُ يغبرُّ لونُه ... ويخضرُّ من لَفْحِ الهَجير غَباغبُه
ويَشْبحُ بالكفَّين شَبْحًا كأنّه ... أخو فجرةٍ عالى بهِ الجذعَ صالبُه

وقال ذو الرُّمَّة أيضًا[3]: [من الطويل]

وهاجرةٍ من دُون مَيَّةَ لم يَقلْ ... قلوصي بها والجُندبُ الجَوْنُ يَرْمحُ
إذا جعَل الحِرباءُ ممَّا أصابَه ... من الحَرِّ يلوِي رأسَه ويرنِّحُ

وقال آخر[4]: [من الطويل]

كأنّ يدَيْ حِربائها متشَمِّسًا ... يَدَا مُجرمٍ يَستغفِرُ اللّه تائب

وقال آخر: [من الطويل]

لظًى يلفَحُ الحِرباءَ حتَّى كأنّه ... أخو حَرَباتٍ بُزَّ ثَوْبيه، شابحُ[5]

وأنشدوا: [من الرجز]

قد لاحها يومٌ شموسٌ مِلهابْ ... أبْلجُ ما لشمسه منْ جلبابْ[6]
يرمي الإكام من حصاة طبطاب ... شال الحَرابيُّ له بالأذْنابْ[7]

---

(١) ديوان الحطيئة ٢٠، والأغاني ٢/١٥٥، وبلا نسبة في المخصص ١٠/١٩، وتقدم في ٥/٥٧ منسوباً إلى قطران العبسي.

(٢) ديوان ذي الرمة ٨٤٥ – ٨٤٦، وديوان المعاني ٢/١٤٧، والأول بلا نسبة في اللسان والتاج (غبب)، والمخصص ٨/٣٥.

(٣) ديوان ذي الرمة ١٢١٢، ١٢١٤، والأول في اللسان والتاج (رمح)، والتهذيب ٥/٥٣، وبلا نسبة في المخصص ٨/١٧٧، والعين ٣/٢٢٦.

(٤) البيت لذي الرمة في ديوانه ٢٠٣، وديوان المعاني ٢/١٤٧ واللسان والأساس (شمس)، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٧/٢٥.

(٥) الحربات: جمع حربة، وحربه: سلبه ماله. بُزّ: سُلِبَ. شَبَحَ: مده يديه للدعاء.

(٦) أبلج: مشرق مضيء.

(٧) شالت: رفعت. الحرابي: جمع حرباء.

وقال العباس بن مرداس[١]: [من الطويل]

على قُلصٍ يعلو بها كلَّ سَبْسَبٍ تخالُ به الحِرباءَ أنشط جالِسا

وقال الشّاعر[٢]: [من الطويل]

تجاوَزتُ والعُصفورُ في الحجرِ لاجئٌ مع الضَّبِّ والشِّقذانُ تسمو صُدورُها

وقال أبو زُبَيْد[٣]: [من الخفيف]

واستَكَنّ العُصفورُ كَرْهًا مع الضَّـ ـبِّ وأوفى في عُودِهِ الحِرْباءُ

والشِّقْذان[٤]: الحرابي. وقوله: «تسمو» أي ترتفع في الشجرة وعلى رأس العود. والواحدِ من الشِّقذَان بإسكان القاف وكسر الشِّين شَقَذ بتحريك القاف.

وأنشد: [من الطويل]

ففيها إذا الحِرباءُ مَدَّ بكفّه قام مَثيلَ الرَّاهبِ المتعبِّد

وذلك أنّ الحِرباء إذا انتصف النّهار فعلا في رأس شجرةٍ صار كأنَّه راهبٌ في صومعتِه.

وقال آخر[٥]: [من البسيط]

أنَّى أُتيحَ لَكُم حِرباءُ تنضبةٍ لا يترُكُ السَّاق إلاّ مُمْسكًا سَاقَا[٦]

١٨٧٧ - [التشبُّه بالعرب]

قال: وكان مولى لأبي بكر الشّيباني، فادَّعى إلى العرب مِنْ ليلته فأصبح إلى

---

(١) ديوان العباس بن مرداس ٩٢، والأصمعيات ٢٠٥.

(٢) البيت لذي الرمة في ديوانه ٢٣٨، وتقدم في ٥/ ١٢٨، وفي هذا الجزء ص٣٧٩.

(٣) ديوان أبي زبيد ٥٧٩، وتقدم في ٥/١٢٨، ٢٩٥.

(٤) انظر ما تقدم في ٥/ ١٢٨.

(٥) البيت لقيس بن الحدادية في ديوانه ٣٠، والاختيارين ٢١٦، ولأبي دؤاد الإيادي في ديوانه ٣٢٦، وجمهرة الأمثال ١/٤٠٨، واللسان (حرب)، والتاج (سوق)، والتنبيه والإيضاح ١/٦٠، وديوان المعاني ٢/١٤٦، وللحارث بن دوسر في المستقصى ٢/٢٦٩، ونسب خطأ إلى كعب بن زهير في فصل المقال ٣٥٠، وبلا نسبة في عيون الأخبار ٣/١٩٢، وديوان المعاني ١/١٣٨، والبخلاء ١٧١، واللسان (نضب، سوق، علق)، والتاج (نضب، علق)، والمخصص ٤/٢٥، ٨/١٠٣، ومجمع الأمثال ٢/٢١٧، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٨٥٩، والتمثيل والمحاضرة ٣٢١، ونهاية الأرب ٣/٥٩، والنهاية ٢/٤٣٢، والمعاني الكبير ٦٦٢.

(٦) تنضبة: شجرة تألفها الحرباء، قال ابن قتيبة «والحرباء إذا لجأ إلى شجرة، فزالت الشمس عنها، تحول إلى أخرى أعدها لنفسه. وهذا مثل للملحف؛ أي أنه لا يدع حاجة إلاّ سأل أخرى».

الجُلوس في الشمس، قال: قال لي محمد بن منصور: مررْتُ به فإذا هو في ضاحيةٍ[1]، وإذا هويحكُ جلده بأظفاره خمْشاً وهو يقول: إنما نحن إبل!

وقد كان قيل له مرَّة: إنَّك تتشبّه بالعرب، فقال: ألي يقال هذا؟ أنا واللّه حِرباء تنضُبة، يشهدُ لي سوادُ لَوني، وشَعاثَتي، وغَوْر عينيّ وحُبي للشَّمس.

١٨٧٨ - [نفخ الحرباء والورل]

قال[2]: والحِرباء ربَّما رأى الإنسان فتوعَّدَه، ونفَخ وتطاول له حتَّى ربَّما فزِع منه مَن لم يعرفْه. وليس عندَه شرٌّ ولاخير.

وأمَّا الذي سمعناه من أصحابنا فإنَّ الورَل السّامد[3] هو الذي يفعل ذلك. ولم أسمعْ بهذا في الحِرباء إلا من هذا الرجل.

قال: والحِرباء أيضًا: المسمار الذي يكون في حَلَقة الدِّرع؛ وجمعه حرابي.

١٨٧٩ - [استدراك لما فات من ذكر الوبر]

وقد كنا غفلنا أنْ نذكر الوَبْر في البيت الأول[4]. قال رجلٌ من بني تغلب: [من الرجز]

إذا رَجونْا ولداً من ظَهْرِ   جاءَتْ به أسْوَد مثلَ الوَبر[5]
من بارد الأدنَى بعيدِ القَعْر

وقال مُخارقُ بنِ شهاب: [من الطويل]

فيا راكبًا إمَّا عرَضْتَ فبلِّغن   بني فالج حيثُ استقرَّ قرارُها
هلُمُّوا إلينا لا تكونوا كأنَّكم   بلاقعُ أرضٍ طار عنه وِبارُها
وأرض التي أنتم لقيتم بجوِّها   كثيرٌ بها أوعالُها ومدارها

فهجا هؤلاء بكثرة الوِبار في أرضهم، ومدح هؤلاء بكثرة الوعول في جبَلهم. وقال آخر[6]: [من الكامل]

---

(١) الضاحية: الأرض البارزة للشمس.
(٢) ربيع الأبرار ٥ / ٤٧٦.
(٣) السامد: الرافع رأسه.
(٤) يشير بالبيت الأول إلى البيت رقم ٣٢ الذي تقدم في ص٤٩٦ .
(٥) يقال: فلان من ولد الظهر: أي ليس منا.
(٦) الأبيات لجواس بن القعطل كما تقدم في ٣ / ٢٤٧، الفقرة (٩١٥).

هـل يشتمنّي لا أبـا لَكُـمُ ... دنسُ الثِّيابِ كطابخ القِدْرِ
جُعَـلٌ تمطّـى فـي غَيابتـه ... زَمِرُ المروءة ناقص الشِّبْرِ[1]
لِزَبـابـةٍ سَـوداءَ حَنْظلةٍ ... والعاجـز التّدبيرِ كالـوَبْـرِ

ويَضرب المثل بنتْن الوبْر؛ ولذلك يقول الشاعر[2]: [من الوافر]

تطلّى وهْيَ سيِّئة المُعَرَّى ... بوضْر الوَبر تحسَبُه مَلابَا[3]

ونتن الوبر هو بَوله.

١٨٨٠ - [مما يتمازح به الأعراب]

ومما تتمازح به الأعراب، فمن ذلك قول الشاعر: [من الرجز]

قد هدَمَ الضِّفدعُ بيتَ الفارهَ ... فجاء الرُّبْيةِ والوِبارَهْ[4]
وحلَمٌ يَشدُّ بالحِجاره[5]

وهذا مثلُ قولهم: [من الرجز]

اختلط النَّقد على الجِعْلانْ ... وقد بقي دريهمٌ وثلْثانْ

١٨٨١ - [الظربان]

وأمَّا قوله:

٣٦ - «والظَّربانُ الوَرْدُ قد شفّه ... حُبُّ الكشي والوحَرُ الحُمْرُ[6]
٣٧ - [يلوذ منه الضبُّ مذلوليًا ... ولو نجا أهلكه الذُّعْرُ][7]
٣٨ - وليس يُنْجيه إذا مافسَا ... شيءٌ ولَـوْ أحـرَزَهُ قَصْـرُ»

---

(١) الغيابة: المنهبط من الأرض، ومكان هذه الكلمة في ٣/ ٢٤٧ (عمايته). زمر المروءة: قليلها. الشبر: العطاء.

(٢) البيت لجرير في ديوانه ٨٢٠، واللسان والتاج (لوب، صنن)، والمقاييس ٣/ ٢٧٩، والتهذيب ١٢/ ١١٦.

(٣) البيت في هجاء بني نمير، تطلى: تتطلى. المعرى: المجرد. الوضر: الدرن؛ وما يشمه الإنسان من ريح يجده من طعام فاسد. الملاب: الزعفران أو الطيب.

(٤) الربية: دويبة بين الفأرة وأم حبين.

(٥) الحلم: ضرب من القردان. يشد: يسرع في عَدْوه.

(٦) الكشى: جمع كشية؛ وهي شحمة صفراء في ظهر الضب. الوحر: جمع وحرة، وهي دويبة صغيرة حمراء لها ذنب دقيق تمصع به إذا عدت.

(٧) لم يرد البيت في الأصل، واستدراكه لازم لالتئام الكلام.

قال أبو سليمان الغنويُّ: الظَّربان أخبثُ دابَّةٍ في الأرض وأهلَكه لفراخ الضَّبّة.

قال: فسألت زيدَ بن كثْوَة عن ذلك فقال: إي واللّه وللضَّبّ الكبير!

والظَّرِبان دابّة فسّاءَه لا يقوم لشَرِّ فسْوها شيءٌ، قلت: فكيف يأخذها؟ قال: يأتي جُحر الضَّبّ، وهو ببابه يستَروِح، فإذا وجد الضّبُّ ريحَ فسْوه دخل هاربًا في جُحره، ومَرَّ هو معه من فوق الجُحر مستمعاً حَرْشَه، وقد أصغى بإحدى أذُنيه من فوق الأرض نحوَ صوته - وهو أسمع دابَّةٍ في الأرض - فإذا بلغ الضبُّ منتهاه، وصار إلى أقصى جُحره وكفَّ حَرشَه استدبَر جُحره، ثم يَفْسُو عليه من ذلك الموضع - وهو متى شمّه غُشيَ عليه - فيأخذه.

قال: والظّرِبان واحدٌ، والظِّرْبان: الجميع، مثل الكَرَوان للواحد والكِرْوان للجميع. وأنشد قولَ ذي الرُّمَّة[١]: [من الطويل]

من آلِ أبي موسى تَرَى القَوْمَ حَوْلَهُ ... كأنَّهمُ الكِرْوان أبصَرْن بازِيا

والعامّة لا تشكُّ [في][٢] أنَّ الكَرَوَان ابنُ الحُبارَى؛ لقول الشاعر[٣]: [من الطويل]

ألم تَر أنّ الزُّبد بالتَّمْرِ طَيِّبٌ ... وأنّ الحُبارَي خالَةُ الكَرَوَانِ

وقال غيره: الظَّربان يكونُ على خلقة هذا الكلب الصِّينيِّ، وهو منتنٌ جداًّ، يدخل في جُحر الضبِّ فيفسو عليه، فينتن عليه بيته، حتى يُذلق الضبَّ من بَيته، فيصيده.

والضّباب الدلالي أيضًا، التي يدخُل عليها السَّيلُ فيخرجها. وأنشد[٤]: [من الرجز]

١ - يا ظَرِباناً يتعشّى ضَبًّا ... رَأى العُقاب فَوْقهُ فخبّا

---

(١) ديوان ذي الرمة ١٣١٣، والخزانة ٢/ ٣٧٧، والخصائص ٢/٢٢٢، ٣/ ١١٨.

(٢) إضافة تقتضيها اللغة.

(٣) البيت بلا نسبة في البيان ١/ ٢٣٠، ومجمع الأمثال ١/ ٣٦٢، والتاج (حبر)، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٢٩٩.

(٤) الرجز لهند بن أبي سفيان في الحماسة البصرية ٢/ ٤٠٣، والثاني والثالث بلا نسبة في اللسان والتاج (خصى).

٣ – كأنَّ خُصْيَيه إذا أكبّا فَرُّوجتان تطلبان حبًّا

٥ – أوْ ثَعلبَان يَحْفِزان ضبًّا[١]

وأنشد الفرزدق[٢]: [من الطويل]

أبوك سليمٌ قَدْ عَرَفْنا مكانه وأنت بجيريّ قصيرٌ قوائمُهُ

ومن يجعل الظِّرْبى القصار ظُهورُها كمنْ رفعَتْهُ في السماء دعائمهُ

١٨٨٢ – [سلاح بعض الحيوان]

قال: والظَّرِبان يعلم أنَّ سلاحه في فسائه، ليس شيءٌ عندَه سواه، والحبارى تعلم أنَّ سلاحها في سَلْحها ليس لها شيءٌ سواه، قال: ولها في جوفها خِزانةٌ لها فيها أبداً رَجْعٌ[٣] مُعدٌّ فإذا احتاجتْ إليه وأمكنَها الاستعمال استعملَتْه، وهي تعلم أنَّ ذلك وقايةٌ لها، وتعرف مع ذلك شدَّة لَزَجه، وخبث نَتْنِه، وتعلم أنها تساور بذلك الزُّرَّق[٤]، وأنها تُثقله فلا يصيد.

ويعلم الدِّيك أنَّ سلاحه في صيصيته[٥]، ويعلم أنَّ له سلاحًا، ويعلم أنّه تلك الشوكة، ويدري لأيّ مكانٍ يعتلج، وأيَّ موضعٍ يطعن به.

والقنافذ تعلم أنّ فروتها جنّة[٦] وأنّ شوك جلدها وقايةٌ. فما كان منها مثل الدُّلدل ذوات المداري[٧] فإنها ترمي فلا تُخْطِئ، حتى يمرَّ مُرُورَ السهم المُسدَّد. وإن كانت من صغارها قبضتْ على الأفعى وهي واثقةٌ بأنّه ليس في طاقة الأفعى لها من المكروه شيء. ومتى قبضتْ على رأس الأفعى فالخطب فيها يسير. وإن قبضتْ على الذنَب أدخلَتْ رأسها فقرضتها وأكلتها أكلاً، وأمكنَتها من جسمها، تصنع ماشاءت؛ ثقةً منها بأنّه لايصل إليها بوجهٍ من الوجوه.

والأجناس التي تأكل الحيَّاتِ: القنافذُ، والخنازير، والعِقْبانُ، والسّنانيرُ،

---

(١) حفزه: دفعه من خلفه.

(٢) ديوان الفرزدق ٨١٥.

(٣) الرجع: النجو والروث.

(٤) الزرق: طائر بين البازي والباشق يصاد به.

(٥) الصيصية: الشوكة التي في رجل الديك.

(٦) الجنة: الوقاية.

(٧) المداري: جمع مدرى، وهو شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط، وأراد به الشوك الطويل.

والشاهُمرْك[1]. على أن النّسور والشاهمرك لا يتعرَّضان للكبار.

ويعلم الزُّنبور أن سلاحه في شَعْرته فقط، كما تعلم العقربُ أن سلاحها في إبرتها فقط. وتعلم الذّبان والبعوضُ والقَملة، أن سلاحها في خراطيمها. وتعلم جوارحُ الطّير أن سِلاحها في مخالبها. ويعلم الذِّئبُ والكلبُ أنّ سلاحهما في أشداقهما فقط. ويعلم الخنزير والأفعى أنّ سلاحهما في أنيابهما فقط.

ويعلم الثّور أنّ سلاحه قرنُه، لا سلاحَ له غيره. فإن لم يجد الثّورُ والكبشُ والتّيس قرونًا، وكانت جُمًّا[2]، استعملتْ باضطرارٍ مواضع القُرون.

والبِرذون يستعمل فمه وحافر رجله.

ويعلم التِّمْساح أنّ أحدّ أسلحته وأعْونَها ذَنبُه، ولذلك لايعرِض إلاّ لمن وجَدَه على الشريعة؛ فإنّه يضربه ويجمعُه إليه حتى يُلقيَه في الماء.

وذنَب الضبّ أنفع من براثنه[3].

١٨٨٣ - [لُجوء بعض الحيوان إلى الخبث والحيلة والفرار]

وإنما تفزع هذه الأجناس إلى الخُبث، وإلى ما في طبعها من شدَّة الحُضْر[4] إذا عَدمت السِّلاح؛ فعند ذلك تستعمل الحيلَة: مثلَ القُنفذ في إمكان عَدوِّه من فرْوته، ومثلَ الظّبي واستعمال الحضْر في المستوي، ومثل الأرنب واستعماله الحضْر في الصَّعْداء[5].

وإذا كان ممن لا يرجع إلى سلاحه ولا إلى خبثه كان إمَّا أن يكون أشدَّ حُضْرًا ساعة الهربِ من غيره، وإمَّا أن يكون ممَّن لا يمكنه الحضْر ويقطَعه الجبْن، فلا يبرح حتَّى يؤخذ.

١٨٨٤ - [ما يقطعه الجبن من الحيوان]

وإنما تتقرَّب الشّاة بالمتابعة والانقياد للسّبع، تظنُّ أن ذلك ممّا ينفعها؛ فإن

---

(١) الشاهمرك: معرب الشاه مرغ، ومعناه ملك الطير. وهو الفتي من الدجاج. حياة الحيوان ١/ ٥٩٤، وانظر ما تقدم في ١/ ٢٥، الفقرة (١٣).

(٢) الجم: جمع أجم وجماء، وهو الذي لا قرن له.

(٣) ربيع الأبرار ٥/ ٤٦٨، وانظر ما تقدم ص ٣٧٨ .

(٤) الحضر: الارتفاع في العدو.

(٥) انظر ما تقدم ص٥٠٢، الحاشية رقم (٥).

الأسد إذا أخذ الشّاة ولم تتابعه، ولم تعِنْه على نفسها، فربما اضطُرّ الأسد إلى أن يجرَّها إلى عرينه. وإذا أخذها الذئب عدَتْ معه حتّى لا يكونُ عليه فيها مؤُونة، وهو إنما يريد أن ينحِّيَها[1] عن الراعي والكلب، وإن لم يكن في ذلك الوقت هناك كلبٌ ولا راع، فيرى أن يجري على عادته.

وكذلك الدَّجاج إذا كُنَّ وُقَّعاً على أغصان الشَّجر، أو على الرُّفوف، فلو مرَّ تحتها كلُّ كلبٍ. وكلُّ سنّور، وكلُّ ثَعلب، وكلُّ شيءٍ يطالبها، فإذا مرَّ ابن آوى بقُربها لم يبق منها واحدةٌ إلاّ رمت بنفْسها إليه[2]. لأنّ الذِّئب هو المقصود به إلى طباع الشاة، وكذلك شأنُ ابن آوى والدَّجاج، يخيَّلُ إليها أن ذلك مما ينفع عنده. وللجُبن تفعل كلّ هذا.

ولمثل هذه العلَّة نزل المنهزم عن فرسه الجواد؛ ليُحْضر ببدنه، يظنُّ اجتهاده أنجى له، وأنّه إذا كان على ظهر الفرَس أقلَّ كَدًّا، وأنَّ ذَلك أقرب له إلى الهلاك.

ولمثل هذه العلَّة يتشبَّثُ الغريق بمن أراد إنقاذه حتَّى يُغرِقَه نفسَه، وهما قبل ذلك قد سمعا بحال الغريق والمنهزم، وأنّهما إنّما هما في ذلك كالرجل المعافَى الذي يتعجَّب ممن يشرب الدَّواء من يد أعلم النَّاس به، فإن أصابتْه شقيقة، أو لسعة عقرب، أو اشتكى خاصِرته، أو أصابه حُصْر أو أُسْر[3] شرب الدَّواءَ من يد أجهل الخليقة، أو جَمع بين دواءين متضادَّين.

فالأشياء التي تعلم أنَّ سِلاحها في أذنابها ومآخرها الزُّنبور والثَّعلب والعقرب والحُبارى، والظَّرِبان، وسيقع هذا البابُ في موضعه إن شاء اللّه تعالى.

وليس شيءٌ من صنف الحيوان أردأَ حيلةً عند معاينة العدوِّ من الغنم؛ لأنها في الأصل موصولةٌ بكفايات النَّاس، فأسندت إليهم في كل أمْرٍ يصيبها، ولولا ذلك لخرَّجت لها الحاجة ضروباً من الأبواب التي تعينها. فإذا لم يكن لها سلاحٌ ولا حيلة، ولم تَكن ممن يستطيع الانسياب إلى جُحرِه أو صدع صخرة، أو في ذرْوة جبل. كانت مثل الدَّجاجة، فإنَّ أكثر ما عندها من الحيلة إذا كانت على الأرض أن ترتفع إلى رَفٍّ. وربّماكانت في الأرض، فإذا دنا المغرب فزعت إلى ذلك.

---

(١) ينحيها: يبعدها.

(٢) انظر ما تقدم في ٢ / ٢٨٢، س ١٧ - ٢٠.

(٣) الحُصر: احتباس الغائط، الأُسر: احتباس البول.

١٨٨٥ - [ما له ضروب من السلاح]

وربّما كان عند الجنس من الآلات ضروبٌ، كنحو زبرة[١] الأسد ولبدته، فإنَّه حَمولٌ للسِّلاح إلاّ في مراقٍ بطنه فإنّه[٢] من هناك ضعيفٌ جدًّا، وقال التغلبي[٣]: [من الطويل]

تَرى النَّاسُ منَّا جلدَ أسْودَ سالخٍ وزُبْرَة ضِرْغامٍ من الأُسدِ ضَيغَمِ[٤]

وله مع ذلك بَعدُ الوثبة واللُّزوقُ بالأرض. وله الحبس باليد. وله الطَّعن بالمخلب، حتى ربَّما حبَسَ العَيرَ بيمينه وطعن بمخْلب يساره لبَّته[٥] وقد ألقاه على مؤخره، فيتلقَّى دمَه شاحياً[٦] فاه وكأنه ينصبُّ من فَوَّارَة، حتى إذا شربه واستفرغه صار إلى شقٍّ بطنه. وله العضُّ بأنيابٍ صلابٍ حداد، وفكٌّ شديد، ومنخر واسع. وله مع البُرثُن والشكِّ بأظفاره دقُّ الأعناق، وحطم الأصلاب. وله أنه أسرعَ حُضْرًا من كلِّ شيءٍ أعمَلَ الحُضْرَ في الهرب منه. وله من الصَّبر على الجوع ومن قلَّة الحاجة إلى الماء مع غيره، وربّما سار في طلب الملح[٧] ثمانين فرسخًا في يوم وليلة. ولو لم يكن له سلاحٌ إلاّ زئيره وتوقُّد عينيه، وما في صدور النَّاس له لَكفاه.

وربما كان كالبعير الذي يعلم أنَّ سِلاحه في نابيه وفي كِركِرته[٨].

والإنسان يستعملُ في القتال كفّيه في ضروبٍ، ومرفقيه ورجليه ومنكبيه وفمه ورأسَه وصدرَه، كلُّ ذلك له سلاحٌ ويعلم مكانه، يستوي في ذلكَ العاقلُ والمجنونُ، كما يستويان في الهداية في الطَّعام والشراب إلى الفم.

١٨٨٦ - [سلاح المرأة]

والمرأة إذا ضعُفت عن كلِّ شيءٍ فزعت إلى الصُّراخِ والولولة؛ التماسًا للرَّحمة، واستجلاباً للغياث من حُماتِها وكُفاتها، أو من أهل الحسبة في أمرها.

---

(١) الزُّبرة: ما بين كتفي الأسد من الوبر، هي اللبدة أيضاً.

(٢) مراق البطن: ما رقّ منها في أسفلها.

(٣) البيت لجابر بن حني التغلبي في المفضليات ٢١٢.

(٤) الأسود: العظيم من الحيات، وقيل له «سالخ» لأنه يسلخ جلده في كل عام. الضرغام والضيغم: من أسماء الأسد.

(٥) اللبَّة: وسط الصدر والمنحر.

(٦) شحا: فتح.

(٧) انظر لشهوة الأسد الملح ما تقدم في ٣/١٢٧، الفقرة (٧٢٢)،٥/ ١١٤، الفقرة (١٣٥٢)، ولقلة رغبته في الماء ما تقدم في ٢/ ٢٨٣، الفقرة (٢٨٧)، ٣/١٥٣، الفقرة (٧٦٩).

(٨) الكِرْكِرَة: رحى زور البعير أو الناقة.

بـــــاب

١٨٨٧ - [أسماء أولاد الحيوان]

قال: ويقال لولد السَّبع الهِجرِس والجمع هجارس، ولولد الضبع الفرعُل والجمعُ فراعل. قال ابن حبناء: [من الطويل]

سلاحين منها بالرّكوب وغيرها إذا ما رآها فُرعُلُ الضَّبع كَفَّرا

قال: والدَّيسم ولد الذّئب من الكلبة.

وسألت عن ذلك أبا الفتح صاحبَ قطرب فأنكر ذلك وزعم أنَّ الدَّيسمة الذَّرة، واسم أبي الفتح هذا ديْسم.

ويقال إنَّه دويْبَّة غير ما قالوا.

ويقال لولد اليربوع والفارِ درص، والجمع أَدْرَاصٌ. ويقال لولد الأرنب خِرنِق، والجمع خرانق، قال طرفة[1]: [من الطويل]

إذا جَلسوا خيّلْتَ تحت ثيابهم خرانقَ تُوفي بالضَّغيبِ لها نَذْرا

أشعارٌ فيها أخلاط من السباع والوحش والحشرات

قال مسعود بن كبير الجرمي، من طيئ، يقولها في حمارٍ اشتراه فوجدَهُ على خلاف ما وصفهُ به النخَّاس: [من الرجز]

إنّ أبا الخرشن شيءٌ هنْبُ معجِّبٌ ما يحتويه العُجْبُ[2]
قد قلتُ لما أنْ أجدّ الرَّكْبُ واعتر القوم صحار رحبُ
يا أجْنحُ الأُذنِ ألا تخبُّ أهانك اللّه فبئسَ النَّجْبُ[3]
ما كان لي إذ أشتريك قلبُ بَلى ولكنْ ضاع ثَمَّ اللُّبُّ
إن الذي باعك خبٌّ ضبٌّ أخبرني أنّك عَيْرٌ نَدْبُ[4]

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ٦٠.

(٢) الهنب: الفائق الحمق. معجب: يحمل على العجب.

(٣) الجنح: الميل. الخبب: ضرب من السير سريع.

(٤) العَير: السيد والملك. الندب: النجيب.

وشرُّ ما قال الرِّجال الْكذبُ صَبٌّ عليه ضبُعٌ وذئبُ
سـرْحانَةٌ وجَيْأَلٌ قِرْشَـبٌ ذيخٌ عَدتْهُ رَمْلَةٌ وهضبُ[1]
كأنه تحت الظّلام سَقْبُ يأخذ منه من رآه الرُّعْبُ[2]
أبي جراء مَسَّهُنَّ السَّغْبُ حتّى يقال حيث أفضى السحبُ[3]
وسمت نَفَّاقٌ هناك ضبُّ وصبَّحَ الراعي مُجرّاً وغبُ[4]
ورخمات بيْنهُنَّ كـعبُ وأكرُعُ العَيْرِ وفرْثٌ رطْبُ[5]

يقول: أدنوني إلى شرائه، ويقال ثرية لقيك لغة طائيَّة.

وقال قِرْواش بن حَوْط[6]: [من الكامل]

نبّئْتُ أن عقالاً بنَ خويلدٍ بنعاف ذي عدَمٍ وأنَّ الأعـلما[7]
ضَبُعاً مجاهَرةٍ وليثا هُـدنـةٍ وثعَيلبَا خمرٍ إذا ماء أظلَما[8]
لا تسأماني من رَسيسِ عَـداوةٍ أبداً فلستُ بسائمٍ إنْ تسأمَا[9]
غُضًّا الوعيدَ فما أكونُ لموعـدي فيئًا ولا أكُلاً له متخضَّمَا[10]
فمتى ألاقِكما البراز تُلاَقِـيا عَرِكًا يفلُّ الحدَّ شاكاً مُعْلِمَا[11]

---

(١) السرحانة: أنثى الذئب. جيأل: الضبع. القرشب: الأكول والمسن. الذيخ: ذكر الضباع الكثير الشعر. عَدَتْه: صرفته عنها.

(٢) السقب: ولد الناقة.

(٣) السغب: الجوع.

(٤) نفق: دخل في نافقائه. مجرا: مجرأ، وهو الجريء. الوغب: اللئيم.

(٥) الرخم: مما يقع على الجيف. الكعب: العظم لكل ذي أربع. العير: الحمار. الفرث: ما في الكرش من السرجين.

(٦) الأبيات لقرواش بن حوط بن أنس في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٤٦٠، والأبيات (٢ - ٣ - ٤) في معجم الشعراء ٢٢٤، والبيت الثاني في عيون الأخبار ١/١٦٦.

(٧) النعاف: جمع نعف، وهو أنف الجبل. ذو عدم: واد باليمن، وموضع بنواحي المدينة.

(٨) في شرح ديوان الحماسة والضبع يوصف بضعف القلب. والخمر ما واراك من الشجر. وصغّر الثعلب لأنه كلما كان أصغر كان على الروغان أقدر. إذا أظلما: أي دخلا في الظلمة خبثاً، لأن الثعلب حاله كذا.

(٩) «رسيس عداوة: مثل رسيس الحمى والهوى؛ ورسهما لما يبدأ منهما.

(١٠) غضا: كُفّا، وأصل الغض: الكسر. الفيء: الغنيمة. الأُكل: ما يؤكل. متخضما: مأكولاً بسهولة، والخضم: أكل شيء يلين على الضرس. يقول: لا ألين لمن أراد أكلي.

(١١) البراز: أي متبارزين. العرك: البطش في الحرب. الشاك: الشائك السلاح، وهو ذو الشوكة والحد في سلاحه.

١٨٨٨ - [الوحر]

قال: وقال العَدَبّس الكنانيّ: والوَحَرَة دويْبَّة كالعظاءة حمراء إذا اجتمَعَتْ تلصق بالأرض، وجمع وحَرَة وحَرٌ، مفتوحة الحاء، ومنه قيل وَحَرُ الصَّدر، كما قيل للحقد ضبٌّ؛ ذهبوا إلى لزوقه بالصّدر كالتزاق الوَحَرة بالأرض، وأنشد(١): [من الرمل]

بئسَ عَمْرَ اللّه، قومٌ طُرِقُوا فَقَرَوْا أضيافُهُمْ لَحْمًا وحر(٢)
وسَقَوْهم في إناءٍ مقرفٍ لبَنًا من دَرِّ مخراطٍ فَئِرْ(٣)

يقال لحم وَحر: إذا دبّت عليه الوَحرة، مقرف: مُوبِئ(٤). ويقال فئر: إذا وقعتْ فيه فارةٌ. وقال الحكَميّ(٥): [من مجزوء الوافر]

بـأرضٍ باعـدَ الرَّحْمَـ ـنُ عَنْهَا الطَّلْحَ والعُشَرَا(٦)
ولم يَجْعَـلْ مصايِدَها يَرَابيعـاً ولا وَحَـرا

١٨٨٩ - [الهيْشَة]

وأمّا قوله:

٢٩ - «وَهيْشَةٌ تأكلها سُرْفَةٌ وَسِمْعُ ذئْبٍ هَمُّهُ الحُضْرُ»

فالهيشة أم حبين، وأنشد(٧): [من البسيط]

أشكو إليك زمانًا قدْ تعرَّقنا كما تعرَّق رأسَ الهيْشَة الذِّيبُ

وأمُّ جُبَيْن وأمُّ حُبَيْنَة سواءٌ، وقد ذكرنا شأنها في صدر هذا الكتاب. ويقال إنّها لا تقيم بمكانٍ تكون فيه هذه الدُّودة التي يقال لها السُّرفة، وإليها ينتهي المَثل في الصَّنْعة، ويقال: «أصْنَعُ من سُرفة»(٨). ويقال إنّها تقوم منْ أمِّ حُبين مَقامَ القراد من

---

(١) البيتان بلا نسبة في المخصص ١٦ /١٣٢، والأول في الدرر ٥ /٢٠٦، ٢١٧، وهمع الهوامع ٢ /٨٥، والمقاصد النحوية ٤ /١٩، وشرح الأشموني ٢ /٣٧٢، والثاني في اللسان والتاج (خرط).

(٢) طرقوا: زارهم الضيف ليلاً. قروا: أضافوا.

(٣) المخراط: الناقة يخرج لبنها متعقداً كقطع الأوتار ومعه ماء أصفر.

(٤) موبئ: من الوباء

(٥) البيتان لأبي نواس في ديوانه ٥٥٧.

(٦) الطلح والعشر: من نباتات البادية.

(٧) البيت بلا نسبة في اللسان والتاج (هيش)، والتهذيب ٦ /٣٥٧.

(٨) مجمع الأمثال ١ /٤١١، والدرة الفاخرة ١ /٢٦٤، وجمهرة الأمثال ١ /٥٨٣، والمستقصى ١ /٢١٣، وأمثال ابن سلام ٣٦٣.

البعير، إذا كانتْ أمُّ حبَيْنٍ في الأرض التي تكون فيها هذه الدُّودة.

١٨٩٠ - [ذكر من يأكل بعض أصناف الحيوان]

قال(١): وقال مَدَنيٌّ لأعرابي: أتأكلون الضَّبَّ؟ قال: نعم. قال: فاليربوع؟ قال: نعم. قال: فالوَحرة؟ قال: نعم. حتَّى عدَّ أجناسًا كثيرةً من هذه الحشرات. قال أفتأكلون أمَّ حُبيْنٍ؟ قال: لا. قال: «فلْتَهنِ أمَّ حُبينٍ العافيةُ».

قال ابنُ أبي كريمة(٢): سألَ عمرُو بنُ كريمةَ أعرابيّاً - وأنا عنده - فقال: أتأكلونَ القرنْبى؟ قال: طال واللّه ما سال ماؤُه على شدقي!.

وزعم أبو زيد النحويُّ سعيدُ بنُ أوْس الأنصاريُّ، قال(٣): دخلتُ على رُؤبة وإذا قُدَّامه كانونٌ، وهو يَمُلُّ على جَمْرِه جُرذًا من جرذان البيت، يخرج الواحدَ بعد الواحد فيأكله، ويقول: هذا أطيبُ من اليربوع! يأكل التّمرْ والجُبْنُ، ويحسو الزَّيْت والسَّمْن.

وأنشد(٤): [من الوافر]

تَرَى التَّيْميَّ يزحَفُ كالقَرَنْبى ... إلى تَيْميَّة كقَـفا القَـدُّوم

وقال آخر(٥): [من الكامل]

يدبُّ عَلَى أحشائها كلَّ لَيْلَةٍ ... دَبيبَ القَرَنْبى باتَ يعلو نقا سهلا

١٨٩١ - [اليربوع]

قال: واليربوع دابَّة كالجُرذ، منْكبٌّ على صدره؛ لقِصرِ يديه طويل الرِّجلين، له ذنبٌ كذنب الجرذ يرفعه في الصعداء(٦) إذا هَرْولَ. وإذا رأيتَه كذلك رأيتَ فيه اضطراباً وعجبًا. والأعراب تأكله في الجَهْد وفي الخِصب.

---

(١) تقدم الخبر في ٣/ ٢٥٦، الفقرة (٩٣٢)، وتقدم هنا ص ٣٨٩.

(٢) تقدم الخبر في ٣/ ٢٥٦، الفقرة (٩٣٢)، وهو في ربيع الأبرار ٥/ ٤٧٣.

(٣) الخبر في الأغاني ٢٠/ ٣٥٠، وربيع الأبرار ٥/ ٤٧٢، وتقدم في ٤/ ٢٨٤، ٥/

(٤) البيت برواية «كعصا المليل» منسوباً إلى جرير في ديوانه ٤٣٨ (الصاوي)، وعيون الأخبار ٤/ ٤٢ مع بيتين آخرين، واللسان والتاج (قرنب)، والعين ٥/ ٢٦٤، وبلا نسبة في اللسان والتاج (ملل)، والتهذيب ٩/ ٤١٧، ٥/ ٣٥٢، والمخصص ١٦/ ١٧.

(٥) البيت للأخطل في حياة الحيوان ٢/ ٢٠٩ (القرنبى)، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في الكامل ١/ ٢٨٢ (طبعة المعارف)، ٥٩٥ (الدالي)، واللسان والتاج (قرنب)، وتقدم بلا نسبة في ٣/ ٢٥٥، الفقرة (٩٣٠).

(٦) أرض صعداء: يشتد صعودها على الراقي.

١٨٩٢ - [أخبث الحيوان]

قال: وكلُّ دابّة حشاها اللّه تعالى خُبْثًا فهو قصيرُ اليدين، فإذا خافت شيئًا لاذت بالصّعداء فلا يكَاد يلحقُها شيء(١).

١٨٩٣ - [أكل المسيب بن شريك لليربوع]

قال: وأخبرني ابنُ أبي نُجَيح وكان حجّ مع المسيّب بن شريك عامَ حجَّ المهديُّ [مع](٢) سلسبيل، قال: زاملْت المسيِّب في حَجَّته تلك، فبينا نحنُ نَسير إذ نظرنا إلى يربوع يتخلل فرَاسن(٣) الإبل، فصاحَ بغلمانه: دونَكم اليَربوع! فأحضرُوا في إثره فأخذُوه. فلمَّا حططْنا قال: اذْبحوه. ثمَّ قال: اسلخوهُ واشوُوه وائتوني به في غَدائي. قال: فأتي به في آخر الغداء، على رغيف قد رَعَّبوه فهو أشدُّ حمرة من الزَّهوة(٤)، - يريد البُسرة - فعطف عليه فثنى الرَّغيف ثم غمزه بين راحتيه ثم فَرَج(٥) الرغيف، فإذا هو قد أخذَ من دسمه، فوضعه بين يديه، ثمَّ تناول اليربوع فنزع فخذاً منه، فتناولها ثم قال: كل يا أبا محمد! فقلت: ما لي به حاجة! فضحك ثم جعلَ يأتي عليه عضواً عضواً.

١٨٩٤ - [أم حبين]

قال: وأمَّا أمُّ حُبين فهي الهَيشة، وهي أم الحبين، وهي دويْبَةٌ تأكلُها الأعراب مثل الحرباء، إلاّ أنَّها أصغر منها، وهي كدْرَاءُ لِسوادٍ بيضاءُ البطن. وهو خلافُ قول الأعرابيِّ للمدني.

١٨٩٥ - [وصية أعرابي لسهل بن هارون]

وقال أعرابيٌّ لسهل بن هارون، في تواري سهل من غُرمائه وطلبهم له طلبًا شديداً؛ فأوصاه الأعرابيُّ بالحزْم وتدبير اليَربوع، فقال(٦): [من الطويل]

انزل أبا عمرو على حَدِّ قريةٍ تَزيغ إلى سَهْلٍ كثير السَّلائقِ(٧)

---

(١) انظر ما تقدم ص ٥٠٢، س ٢٠-٢٢.

(٢) في الأصل «في».

(٣) الفرْسِن: هو من البعير بمنزلة الحافر من الدابة.

(٤) الترعيب: التقطيع. الزهوة: واحدة الزهو، وهو البسر إذا ظهرت فيه الحمرة.

(٥) فَرَجَ الشيء: فتحه وباعد بين شقيه.

(٦) الأبيات مع الخبر في عيون الأخبار ١/٢٥٥.

(٧) تزيغ: تميل. السلائق: أثر الأقدام والحوافر في الطريق.

وخُذْ نَفقَ اليربوع واسْلُكْ سبيلَه   ودَعْ عنك إني ناطقٌ وابنُ ناطق
وكنْ كأبي قُطْنٍ على كلِّ زائغ   له منزلٌ في ضيق العَرْض شاهقِ

وإنّما قال ذلك لاحتيال اليربوع بأبوابه التي يخرج من بعضها، إذا ارتاب بالبعض الآخر. وكذا كانت دار أبي قطنة الخناق بالكوفة في كندة، و يزعمون أنّه كان مولًى لهم. وأنشد أبو عُبيدة قال: أنشدني سفيان بن عيينة[1]: [من الهزج]

إذ ما سَرَّكَ العَيشُ   فلا تمرُرْ على كِنْدَهْ

وقد قُتل أبو قُطْنة وصُلِب.

١٨٩٦ - [الخناقون]

وممّن كان يخنق النّاس بالمدينة عَديَّة المدنيّةُ الصَّفراءُ، وبالبصرة، رادويْه. والمرميُّون بالخنق من القبائل وأصحاب النِّحل والتأويلات هم الذين ذكَرَهم أعشى هَمْدان في قوله[2]: [من الطويل]

إذا سِرْتَ في عِجلٍ فسِرْ في صَحابةٍ   وكِنْدَةَ فاحذَرْهَا حذَارك للخسْفِ
وفي شيعة الأعمى خناقٌ وغيلةٌ   وقَشْبٌ وإعمال لجَندلة القذفِ
وكلُّهُمُ شَرٌّ، على أنَّ رأسهم   حميدة والميلاءُ حاضنة الكسْفِ
متى كُنْتَ في حَيَّيْ بجيلةَ فاستمعْ   فإنَّ لها قصفًا يدلُّ على حَتْفِ
إذا اعتزموا يومًا على قَتْل زائر   تداعَوْا عَلَيه بالنُّباح وبالعَزْفِ

وذلك أن الخناقين لا يسيرون إلاّ معًا، ولا يقيمون في الأمصار إلاّ كذلك. فإذا عزَم أهلُ دارٍ على خنْق إنسانٍ كانت العلامةُ بينهم الضرب على دُفٍّ أوْ طبلٍ، على ما يكون في دوُر الناس، وعندهم كلابٌ مرتَبطة فإذا تجاوَبُوا بالعزْف ليختفي الصَّوت ضربوا تلك الكلاب فنبحَتْ. وربّما كان منهم معلِّم يؤدّب في الدّرب، فإذا سمع تلك الأصوات أمَرَ الصِّبيانَ برفع الهجاء والقِراءة والحساب.

١٨٩٧ - [المغيرية والغالية والمنصورية]

وأما الأعمى فهو المغيرة بن سعيدٍ صاحبُ المغيرية، مولى بجيلة والخارج على

---

(١) البيت في عيون الأخبار ٢/١٤٧، وتقدم في ٢/٣٩١، الفقرة (٤٥٤).
(٢) الأبيات لأعشى همدان في عيون الأخبار ٢/١٤٦ - ١٤٧، وتقدمت منسوبة إلى حماد الراوية في ٢/٣٩١، الفقرة (٤٥٤).

خالد بن عبد اللّه القَسري. ومن أجل خُروجه عليه قال: «أطعموني ماء» حتى نعى عليه ذلك يحيى بنُ نوفل، فقال[1]: [من الوافر]

تقول من النَّواكَة أطعموني شرابًا ثمَّ بُلتَ على السّريرِ
لأعـلاجٍ ثمانيةٍ وشيخ كَليلِ الحدّ ذي بصر ضريرِ

وأمَّا حميدة، فكانت من أصحاب لَيلى الناعظية، ولها رياسة في الغالية. والمَيْلاء حاضنة أبي منصور صاحب المنْصوريَّةَ، وهو الكسْف، قالت الغالية: إيَّاه عَنَى اللّه: ﴿وإنْ يَرَوْا كسْفًا من السَّماء سَاقطًا يقُولُوا سَحَابٌ مَرْكومٌ﴾ وإيَّاه عنى مَعْدان الأعمى حيثُ يقولَ[2]: [من الخفيف]

إنَّ ذا الكسْفَ صَدَّ آل كُميل وكميلٌ رَذْلٌ من الأرْذَالِ
تَركا بالَعِراق دَاءً دويًّا ضَلَّ فيه تلطُّف المحتالِ

١٨٩٨ - [تفسير بيت]

وأمَّا قوله[3]: [من الطويل]

انزل أبا عمرو على حَدِّ قريةٍ تَزيغ إلى سهْل كثيرِ السّلائق

فأراد الهرب؛ لأنه متى كان في ظهرِ فظٍّ[4] كثير الجوادّ والطرائق[5]. كان أمكرَ وأخفى. وما أحسن ما قال النابغةُ في صفة الطّريق إذا كان يتشعَّب، حيث يقول[6]: [من الطويل]

وناجيةٍ عدَّيتُ في ظهر لاحبٍ كَسَحْل اليماني، قاصداً للمناهلِ[7]
له خلجٌ تَهوِي فُرادى وتَرعوي إلى كلِّ ذي نِيرَين بادِي الشَّواكلِ[8]

---

(١) تقدم البيتان في ٢ / ٣٩٢، الفقرة (٤٥٤)، وهما في البيان ٢ / ٢٦٧، ٣ / ٢٠٥.

(٢) تقدم البيتان في ٢ / ٣٩٢، الفقرة (٤٥٤)، وانظر الحاشية رقم (٣) هناك.

(٣) تقدم البيت ص ٥٢١.

(٤) الظهر: ما غلظ من الأرض وارتفع.

(٥) الجواد: جمع جادة. الطرائق: جمع طريق؛ وهي الخطوط.

(٦) ديوان النابغة الذبياني ١٤٢.

(٧) الناجية: الناقة السريعة، اللاحب: الطريق الواضح. السحل: الثوب الأبيض، وشبه الطريق به. المناهل: المشارب، واحدها منهل.

(٨) الخلج: الطُّرق الصغار، واحدها خلوج، سمي بذلك لأنه يختلج الناس عن الطريق الأعظم، فيذهب به. وأراد بالنيرين: لونين وضربين. الشواكل: النواحي، واحدتها شاكلة.

وهذا موضع اليربوع في تدبيره ومَكره.

١٨٩٩ - [أرجوزة في اليربوع وأكل الحشرات والحيات]

وقال الآخر في صفة اليربوع، وفي حيلته، وفي خلْقه، وفي أكل الحشَرات والحيات: [من الرجز]

يا رُبَّ يَربـوع قَصيرِ الظّهـر ... وشاخص العَجْب ذليـل الصَّـدْرِ
ومُحْكَـم البيـتِ جميع الأمـر ... يَرْعى أُصـولَ سَـلم وسِـدْرِ
حتّى تـراهُ كمِـداد العكـرِ ... باكرتُه قبـلَ طُلـوع الفَجـرِ
بكلِّ فيّـاض اليديـن غَمـرِ ... وكـلِّ قَنّـاصٍ قليـلِ الوَفـرِ
مُرتفـع النّجـم كريـم النَّجْـر ... فعاذ منّي ببعيد القَعْـرِ[1]
مختلف البَطْـن عجيب الظهـر ... وتدْمُريٌّ قاصعٌ في جُحرِ[2]
في العُسَر إنْ كـان وبعـدَ العُسْرِ ... أطيب عـندي مِنْ جَـنيٍّ التّمـرِ
وشَـحْمةُ الأرضِ طعـامُ المُثْـري ... وكـلِّ جبـار بعيـد الذِّكـرِ
وهيْشـة أرفعهـا لفطـري ... ليوم حفْل وليوم فَخْـرِ[3]
وكـلُّ شيء في الظـلام يَسْـري ... مـن عقْـرَب، أو قُنفـذ، أو وَبْـرِ
أو حيّـة أَمُلُّها فـي الجَمْـر ... فتلك هَمِّـي وإليهـا أجري[4]
في كـلِّ حـالٍ مـن غنًى وفَقْـرِ ... وكلُّ شـيءٍ لقَضَـاء يجـري
وكلُّ طيـرٍ جاثـم فـي وكْـرِ ... وكلُّ يَعسوبٍ وكـلُّ دَبْـرِ
والذِّيخُ والسِّمْعُ وذئبُ القَفْـرِ ... والكلبُ والتَّتْفل بعد الهـرِّ[5]
والضّبُّ والحـوتُ وطيرُ البَحْـر ... والأعورُ النَّاطقُ يومَ الزَّجْرِ[6]
آكُلُهُ غيرَ الحرابـيِ الخُضْـرِ ... أو جُعل صلّى، صلاة العصْـرِ[7]
يشكر إن نـالَ قِـرًى مـن جَعْـرِ ... يا ويلَه مـن شـاكرٍ ذي كُفْـرِ
أفسـدَ واللّـه علـيّ شُـكري

---

(١) النجر: الأصل. عاذ به: التجأ إليه.

(٢) التدمري: الماعز من اليرابيع، ولا أظفار في ساقيه، وفيه قِصر وصغر.

(٣) الهيشة: تقدم القول فيها في ص ٥١٩.

(٤) ملّ الشيءَ: أدخله في الملة، وهي الجمر.

(٥) التتفل: الثعلب.

(٦) الأعور: أراد به الغراب.

(٧) انظر لخضرة الحرباء ما تقدم في ص ٥٠٧. س ١١.

فزعم أنَّه يستطيبُ كلَّ شيءٍ إلاّ الحِرباء الذي قد اخضرَّ من حرِّ الشَّمس وإلاّ الجُعَل الذي يصلِّي العصر. وزعَمَ أنَّه إنما جعَل ذلك شكرًا على ما أُطعِم من العَذِرة، وأنَّ ذلك الشُّكر هو اللُّؤم والكفر.

ولا أعرِفُ معنى صلاة الجعَل. وقد روى ابن الأعرابي عن زاهر قال: «يا بُنَيّ لا تصلِّ فإنّما يصلّي الجُعل، ولا تَصُمْ فإنما يصوم الحِمار[1]». وما فهمتُه بعد.

وأراه قد قدّم الهَيْشة، وهي أمُّ حبين، وهذا خلافُ مارووا عن الأعرابي والمدني[2].

١٩٠٠ - [اليرابيع]

وأمّا قوله:

وَتَدْمُريٌّ قاصعٌ في جحْرِ

فقد قال الشاعر[3]: [من الطويل]

وإنِّي لأصطاد اليَرابيعَ كُلّها ... شُفَاريَّها والتّدمُريَّ المقَصِّعَا[4]

واليرابيع ضربان: الشُّفاريُّ والتَّدمُري، مثل الفَتِّي والمذكِّي[5].

وقال جريرٌ حينَ شبَّه أشياء من المرأة بأشياء من الحشرات وغيرها وذكر فيها الجُعل فقال[6]: [من الوافر]

ترَى التَّيميَّ يزْحفُ كالقرنبى ... إلى تيميةٍ كعصَا المَليلِ
تشينُ الزَّعفران عَروسُ تيْمٍ ... وتمْشي مشْيةَ الجُعلِ الدّحُول[7]
يَقولُ المجتَلون عروسَ تيمٍ ... شَوى أمِّ الحُبَين ورأسُ فيلِ[8]

---

(١) صلاة الجعل: من قولهم: صلى الفرس، إذا أتى مصلياً ورأسه على صلا السابق، والجعل يصلي أي يتبع كل ذاهب لقضاء حاجته كما يتبع المصلي من الخيل خلف السابق. وصوم الحمار: وقوفه على أربعة.

(٢) انظر ما تقدم في ص ٥٢٠، ٥٢١.

(٣) البيت بلا نسبة في اللسان والتاج (دمر، شفر، شرف)، والمخصص ١/٨٦، ٨/٩١.

(٤) المقصع: الذي سدّ باب حجره.

(٥) الفتي: الشاب. المذكي: المسن من كل شيء.

(٦) ديوان جرير ٤٣٨ (الصاوي)، وانظر ما تقدم في الحاشية رقم (٤)، ص ٥٢٠.

(٧) الدحول: من قولهم: ناقة دحول تعارض الإبل متنحية عنها.

(٨) اجتلى العروس: نظر إليها. الشوى: الأطراف.

١٩٠١ - [شعر فيه ذكر اليربوع]

وقال عُبيد بن أيُّوب العنبري[١]، في ذكر اليربوع: [من الطويل]

حَمَلْتُ عليها ما لو انّ حمامةً تُحَمَّلُه طارتْ به في الخفاخف[٢]
نطوعًا وأنساعًا وأشلاء مُدنَف بَرى جِسمَه طولُ السُّرى في المخاوف[٣]
فرُحْنا كما راحتْ قَطاةٌ تنوَّرتْ لأزغبَ مُلْقى بين غُبْر صَفاصف[٤]
ترى الطّير واليربوعَ يبحثن وطأها وينقرنَ وطء المنسمِ المتقاذِف[٥]

وقال ابنُ الأعرابيّ، وهو الذي أنشدَنيه: «ترى الطير واليربوع» يعني أنّهما يبحثانِ في أثر خُفّها ملجأ يلجآن إليه، إمَّا لشدَّة الحر، وإما لغير ذلك. وأنشد أصحابنا عن بعض الأعراب وشعرائهم أنَّه قال في أمّه[٦]: [من الوافر]

فما أمُّ الرُّدينِ وإن أدلّتْ بعالمةٍ بأخْلاق الكرامِ
إذا الشّيطان قصّع في قَفَاها تَنَفَّقْناه بالحبْلَ التؤَامِ

يقول: إذا دخل الشَّيطان في قاصعاء قفاها تنفقناه، أي أخرجْناه من النافقاء، بالحبل المثنّى، وقد مَثَّل وقد أحسن في نعت الشّعر وإن لم يكن أحْسَن في العُقوق. وأنشد في قوس[٧]: [من الرجز]

لا كُزة السَّهم ولا قلوعُ يدرُج تحت عَجْسها اليربوعُ[٨]

القَلوع من القسي: التي إذا نُزِع فيها انقلبت على كفّ النازع. وأما قوله:

وأما قوله[٩]: [من الطويل]

---

(١) الأبيات في أشعار اللصوص ٢٢٣، والمعاني الكبير ٦٥٤، والشعر والشعراء ٣٥١، ٤٩٥ (ليدن).
(٢) الخفاخف: جمع خفخفة؛ وهي الصوت.
(٣) النطوع: جمع نطع، وهو بساط من الأديم. الأنساع: جمع نسع، وهو سير ينسج عريضاً تشد به الرحال. الأشلاء: الأعضاء.
(٤) التنور: التبصر؛ والنظر من بعيد. الأزغب: ذو الزغب؛ وهو الريش القصير. الغبر: جمع أغبر وغبراء. الصفاصف: الأماليس المستوية.
(٥) المنسم: خف البعير.
(٦) البيتان بلا نسبة في اللسان والتاج (نفق)، والتهذيب ٩/١٩٣، والثاني في اللسان والتاج والأساس (قصع). وتقدم البيتان في ٥/١٤٩.
(٧) الرجز بلا نسبة في اللسان والتاج (كزز، قلع)، والأساس (كزز)، وفي الأساس قبل إنشاد الرجز: «قال الجاحظ: قوس كزَّة: إذا نزع فيها لم تستغرق السهم».
(٨) عجس القوس: مقبضها الذي يقبضه الرامي منها.
(٩) كذا ورد البيت مقحماً في كلام ناقص.

تخالُ به السِّمعَ الأزلَّ كأنّه   إذا ما عـدا.....(البـيت)

١٩٠٢ - [قيام الذئب بشأن جراء الضبع]

ويقولون : إن الضبع إذا هلكَتْ قام بشأنِ جرائها الذِّئب وقال الكُميت[١] : [من الطويل]

كما خامَرَتْ في حضْنها أمُّ عامر   لِذي الحَبْل حتَّى عالَ أوسٌ عِيالها[٢]

وأنشد أبو عبيدة في ذلك شعراً فسَّر به المعنى، وهو قوله[٣] : [من البسيط]

والذّئبُ يغذُو بناتِ الذِّيخ نافلةً   بلْ يحسبُ الذِّئبُ أنَّ النَّجْل للذِّيبِ

يقول: لكثرة ما بين الذئاب والضباع من التّسافُد يظن الذّئب أنّ أولاد الضبع أولادُه.

١٩٠٣ - [أكل الأعراب للسباع والحشرات]

والأمرُ في الأعراب عجب في أكل السِّباع والحشرات ، فمنهم من يظهر استطابتها، ومنهم من يفخَر بأكلها، كالذي يقول[٤] : [من الطويل]

أيا أمَّ عمرو ومَنْ يَكُنْ عُقْرُ داره   جِوارَ عَدِيٍّ يأكل الحَشَراتِ

١٩٠٤ - [ما تحبه الأفاعي وما تبغضه]

وأمَّا قوله :

٤٠ - «لا تَرِدُ الماء أفاعي النّقا   لكنّها يُعْجبُها الخمْرُ

٤١ - وفي ذُرَى الحَرْمَلِ ظلٌّ   إذا علا واحْتَدَم الهَجْرُ»

فإن من العجبَ أنّ الأفعى لا ترِدُ الماءَ ولا تريدُه، وهي مع هذا إذا وجدت الخَمر شربَت حتّى تسكر حتّى ربّما كان ذلك سبب حتفها[٥]

---

(١) ديوان الكميت ٢ / ٨٠، واللسان (وجر، جهز، عول، حضن)، والتاج (جهز، عول، حضن)، والتنبيه والإيضاح ٢ / ٢٤٠، والتهذيب ٣ / ١٩٦، ٦ / ٣٥، ١٣ / ١٣٧، والمعاني الكبير ٢١٢، والمستقصى ١ / ٧٧، وعيون الأخبار ٢ / ٧٩، والبرصان ١٦٥، وثمار القلوب (٥٨٣)، وبلا نسبة في اللسان والتاج (أوس)، وتقدم في ١ / ١٣٠، الفقرة (١٥٧).

(٢) خامرت : استترت. ذو الحبل : الصائد.

(٣) البيت بلا نسبة في اللسان (عول)، والتهذيب ٣ / ١٩٦.

(٤) البيت النابغة الذبياني أو لأوس بن حجر في التهذيب ١١ / ٢٢٩، وليس في ديوان أي منهما، وبلا نسبة في اللسان والتاج (حشر)، وانظر شبيهاً لهذا البيت في اللسان والتاج (ربا)، والتهذيب ١٥ / ٢٧٥.

(٥) ربيع الأبرار ٥ / ٤٧٥ .

والأفاعي تكره ريح السَّذاب والشّيح، وتستريح إلى نبات الحَرمَل. وأمَّا أنا فإنِّي ألقيْتُ على رأسها وأنفها من السّذاب ما غمرها فلم أر على ما قالوا دليلاً.

١٩٠٥ - [أكل بعض الحيوان لبعض]

وأمّا قوله:

٤٢- «وبعضها طُعْمٌ لبعضٍ كما أعْطَى سِهام المَيْسِرِ القَمْرْ»

فإن الجرذ يخرُج يلتمسُ الطُّعم، فهو يحتالُ لطُعمه، وهو يأكل ما دونَه في القُوَّة، كنحو صغارِ الدّوابِّ والطّير، وبيضِها وفراخِها، ومما لا يسكن في جُحْر، أو تكون أفاحيصُه على وجْه الأرض، فهو يحتال لذلك، ويحتال لمنْع نفسه من الحيّات ومن سِباع الطيْر.

والحيّة تُريغ الجرذ لتأكله، وتحتال أيضاً للامتناع من الوَرل والقنفذ، وهما عليه أقْوى منه عليهما. والوَرل إنما يحتال للحية، ويحتال للثَّعلب، والثعلب يحتال لما دُونه.

قال: وتخرج البعوضة لطلب الطُّعم، والبعوضة تعرف بطبعها أنّ الذي يعيشها الدم، ومتى أبصرتْ الفيلَ والجاموسَ وما دونهما، علمت أنّما خلقت جلودهما لها غذاءً، فتسقطُ عليهما وتطعُنُ بخرطومها، ثقةً منها بنفوذ سلاحِها، وبهجومها على الدَّم.

وتخرجُ الذُّبابة ولها ضروبٌ من المطعم، والبعوضُ من أكبرها صيدها وأحبُّ غذائها إليها. ولولا الذِّبان لكان ضررُ البعوض نهاراً أكثر.

وتخرج الوزَغَةُ والعنكبوت الذي يقال له الليث فيصيدان الذُّباب بألطف حِيلة، وأجود تدبير، ثم تذهب تلك أيضاً كشأن غيرهما.

كأنه يقول: هذا مذهبٌ في أكل الطيِّبات بعضها لبعض. وليس لجميعها بُدٌّ من الطُّعم، ولا بدّ للصائد أنْ يصطاد، وكلُّ ضعيفٍ فهو يأكُلُ أضعف منه، وكلُّ قويٍّ فلا بدَّ أن يأكله من هو أقوى منه، والنَّاسُ بعضُهم على بعض شبيه بذلك، وإن قصروا عن دَرْك المقدار، فجعل اللّه عزّ وجلَّ بعضها حياةً لبعض، وبعضها موتاً لبعض.

١٩٠٦ - [شعر للمنهال في أكل بعض الحيوان لبعض]

وقال المنهال: [من السريع]

ووثبــة مــن خُــزَزٍ أعفــرٍ وخِرنقٍ يلعَبُ فَـوْقَ التُّـرابْ

وَعَضرَفُوط قد تقوَّى على مُحلوْلك البقة مثل الحباب
وظالم يَعْدُو على ظالم قد ضَجَّ منه حَشراتُ الشِّعابْ

وهذان الظَّالمان اللذان عنى: الأسودُ، والأفعى، فإنَّ الأسود إذا جاع ابتلع الأفعى.

١٩٠٧ - [أكل الأسود للأفاعي]

وشكا إليّ حَوّاءٌ مرةً فقال: أفقرني هذا الأسْوَد، ومنعني الكَسْبَ، وذلك أنّ امرأتي جهلت فرمَتْ به في جُونةٍ فيها أفاعي ثلاثٌ أو أربعٌ، فابتلعهنَّ كلّهن، وأراني حيَّةً مُنْكَرةً. ولا يبعد ما قال.

والعرب تقول للمسيء: «أظْلَمُ من حيَّة». وقد ذكرنا ذلك في موضعه من هذا الكتاب[١].

ولا يستطيع أنْ يروم ذلك من الأفعى إلاّ بأن يغتالها، فيقبض على رأسها وقَفاها، فإنّ الأفعى تنفذ في الأسود، لكثرة دمه.

١٩٠٨ - [وصف سم الحية]

وإذا وصفوا سمّ الحيّة بالشدَّة والإجهاز خبَّروا عنها أنّه لم يبقَ في بدنها دمٌ ولا بِلّة[٢]، ولذلك قال الشاعر: [من البسيط]

لو حُزّ ما أخرجتْ منه يَدٌ بَللاً ولو تَكَنّفَهُ الراقون ما سَمِعا

وقال آخر[٣]: [من الرجز]

لُميمةً من حنشٍ أعْمى أصمّ قد عاش حتّى هو ما يمشي بِدَمْ

١٩٠٩ - [سلاح الحيوان]

والشأن في السِّلاح [أنّه][٤] كلما كان أقلَّ كان أبلغ، وكلما كان أكثر عدَداً وأشدَّ ضرراً كان أشجع وآخذَ لكلِّ من عَرفَ أنه دونه. وأنشد أبو عبيدة[٥]: [من البسيط]

مشْي السَّبَنْتى إلى هَيْجاءَ مُفْظِعَةٍ له سلاحانِ أنيابٌ وأظفارُ[٦]

---

(١) انظر ما تقدم في ٥/١٨٩، ١٩١.

(٢) البلة: البلل.

(٣) تقدم الرجز في ٥/١٨٦، ٦/٣٨١.

(٤) إضافة يقتضيها المعنى.

(٥) البيت الخنساء في ديوانها ٣٨١، والأغاني ١٥/ ٨٠.

(٦) السبنتى: النمر؛ والأسد. المفظعة: الشديدة الشنيعة.

كالأسد له فم الذِّئب - وحسبك بفم الذِّئب - وله فضلُ قوة المخالب. وللنَّسر منْسرٌ وقُوَّة بدن يكون بهما فوقَ العقاب. ولذلك قال ابن مُناذر: [من الطويل]

أتجعلُ ليثاً ذا عرين تَرى له ... نُيوباً وأظْفاراً وعِرساً وأشبُلاَ
كآخرَ ذا نابٍ حديدٍ ومِخْلبٍ ... ولم يتَّخذ عِرْساً ولم يَحْمِ مَعْقلاَ

وذلك أن فتيين تواجأا بالخناجر، أحدهما صُبيريّ والآخر كلْبيّ، فَحُملا إلى الأمير، فضرب الصُّبيريَّ مائة سوط، فلم يحمدوا صبره، وشغل عن الكلبي فضربه يوم العَرْض خمسمائة سوط، فصبر صبراً حمِدوهُ، ففخر الْكلبيُّ بذلك على الصُّبيري.

وابن مناذر مولى سُليمان بن عبيد بن علاّن بن شَمّاس الصُّبيري. فقال هذا الشعر. ومعناه أنّ شُجاعاً لو لقي الأسد وهو مسلَّح، بأرضٍ هو بها غريبٌ وليس هو بقرب غيضته وأشباله، لما كان معه، مما يتخذه، مثل الذي يكون معه في الحال الأخرى. يقولُ: وإنما صبرَ صاحبُكم لأنّه إنما ضُربَ بحضرة الأكفاء والأصدقاء والأعداء، فكان هذا مما أعانه على الصّبر. وضُربَ صاحبُنا في الخلاء، وقد وُكل إلى مقدار جودة نَفْسه، وقطعت المادةُ بحضور البطالة.

١٩١٠ - [حمدان وغلامه]

وسمعتُ حمدانَ أبا العقب، وهو يقولُ لِغلامٍ له، وكيف لا تستطيل عليَّ وقد ضربُوك بين النّاس خمسين سوطاً فلم تنطقِ؟! فقلت: إذا ضربه السَّجّانُ مائة قناةٍ في مكانٍ ليس فيه أحدٌ فصبرَ فهو أصبرُ النّاسِ.

١٩١١ - [تفسير بيت الخنساء]

وأمّا قوله[١]: «مشْي السّبَنْتَى»، فإن السبَّنتى هو النمر، ثمَّ صار اسماً لكلِّ سبع جريء، ثم صاروا يسمُّون الناقة القوية سَبَنْتاة. قال الشّاعرُ[٢]: [من الرجز]

مَشْي السَّبتى وجد السَّبَنْتى

١٩١٢- [ورؤساء الحيوان]

وأمّا قولُهُ:

---

(١) يقصد البيت الذي تقدم في الصفحة السابقة.
(٢) الرجز بلا نسبة في البرصان ١٥٥.

٤٣- «وَتِمْسح النِّيلِ عُقاب الهوا   والليثُ رأسٌ ولـه الأسْرُ
٤٤- ثلاثـةٌ ليْسَ لَهُمْ غالـبٌ   إلاّ بما يَنْتَقِضُ الدَّهْرُ»

فإنّهم يزعمون أنَّ الهواء للعقّاب، والأرض للأسد، والماء للتِّمساحِ. وليس للنّارِ حظٌّ في شيءٍ من أجناس الحيوان: فكأنّه سلّم الرياسةَ على جميع الدُّنيا للعُقاب والأسد والتمساح؛ ولم يَمُد الهواءَ، وقصْرُ الممدود أحْسَنُ من مدِّ المقصورِ.

١٩١٣ - [رواية المعتزلة للشعر]

وروت المعتزلةُ المذكورون كلُّهمْ رواية عامَّةِ الأشعارِ، وكان بِشرٌ أرواهم للشِّعر خاصَّةً.

١٩١٤ - [الهوائي والمائي والأرضي من الحيوان]

وقولهم: الطائر هوائيٌّ، والسمك مائيٌّ، مجازُ كلام، وكلُّ حيوان في الأرض فهو أرضيٌّ قبل أن يكون مائيّاً أو هوائياً؛ لأنَّ الطَّائر وإنْ طار في الهواء فإنّ طيرانَهُ فيه كسباحةِ الإنسان في الماء، وإنّما ذلك على التكلفِ والحيلة. ومتى صار في الأرض ودلّى نفسه لم يجدْ بُدّاً من الأرض.

١٩١٥ - [بقية قصيدة بشر الأولى]

وأمّا بَقِيَّةُ القصيدةِ التي فيها ذكر الرَّافضة والإباضيَّةِ والنَّابتة فليس هذا موضع تفسيره.

١٩١٦ - [تفسير القصيدة الثانية][1]

وسنقولُ في قصيدته الأخرى، بما أمكننا من القول إن شاء اللّه تعالى.
انقضت قصيدةُ بشر بن المعتمر الأولى.

١٩١٧ - [الأوابد والأحناش]

وأمّا قوْلُهُ:

٢- «أوابِدُ الوَحْش وأحناشها»

فإن الأوابد المقيمة[2]، والأحناشُ الحيّات، ثم صار بعدُ الضبُّ والوَرَلُ والحِرباء والوحَرة وأشباه ذلك - من الأحناش.

---

(١) تقدمت القصيدة ص ٤٦٧.
(٢) أي المقيمة بالقفر.

١٩١٨ - [شر الحيوانات]

وأما قوله:

٧- «وكلُّها شرٌّ وفي شرِّها خيرٌ كثيرٌ عند مَنْ يدري»

يقولُ: هي وإن كانَتْ مؤذيَةً وفيها قواتل فإن فيها دواءً، وفيها عبرةً لمن فكّر، وأذاها محنة واختبارٌ. فبالاختبار يطيع النّاسُ، وبالطاعة يدخلون الجنّة.

وَسئلَ علي بن أبي طالب، كرم اللّه وجههُ، غير مرَّةٍ في عللٍ نالته فقيل لهُ: كيف أصبحت؟فقال: بشرٍّ. ذَهبَ إلى قوله عزّ وجلّ:﴿قُلْ أعوذُ بِربِّ الْفَلَقِ. مِنْ شَرِّ ما خلَقَ﴾(١).

وأمّا قوله:

١٧- «فَشَرُّهُمْ أكثرُهُمْ حِيلةً كالذِّئْبِ والثّعْلَبِ والذَّرِّ»

فقد فسرهُ لك في قوله:

١٨- «والليث قد بلّده عِلْمُهُ بما حوى من شدّةِ الأسْرِ»

وهكذا كلُّ من وثِقَ بنفسه، وقلّت حاجته.

١٩١٩ - [زعم في العقاب]

ويزعم أصحابُ القنصِ أنّ العُقاب لا تكادُ تراوغ الصَّيد ولا تعاني ذلك، وأنَّها لا تزال تكونُ على المرقَبِ العالي، فإذا اصطاد بعضُ سباع الطير شيئاً انقَضّتْ عليه فإذا أبصرها ذلك الطائرُ لم يكن همه إلا الهرب وترْك صيده في يدها، ولكنها إذا جاعت فلم تجدْ كافياً لم يمتنعْ عليها الذّئبُ فما دونَه. وقد قال الشّاعرُ: [من البسيط]

مُهَبّلٌ ذئبها يوماً إذا قَلَبَتْ إليه من مُسْتَكَفِّ الجوِّ حملاقا(٢)

وقال آخر(٣): [من البسيط]

كأنّها حين فاض الماءُ واحتملَتْ صَقْعاءُ لاحَ لهـا بالقَفـرَةِ الذّيـبُ

صُبَّتْ عليه ولم تنصبَّ من أمم إنَّ الشّقاء على الأشقيْنَ مصبوبُ

(١) ١ - ٢/ الفلق: ١١٣.

(٢) المهبل: المكتسب المغتنم. المستكف: موضع الاستكفاف؛ وهو الاستيضاح.

(٣) تقدم تخريج البيتين ص ٦/ ٥١٩.

١٩٢٠ - [معرفة الحيوان مدى قوته]

وأمّا قوله:

٢١- «تَعْرِفُ بالأحساسِ أقدارها في الأسرِ والإلحاح والصَّبرِ»

يقول: لا يخفى على كلّ سبع ضعفُه وتجلدُه وقوته، وكذلك البهيمةُ الوحشيَّةُ لا يخفى عليها مقدارُ قوةِ بدنِها وسلاحِها، ولا مقدارُ عَدْوِها في الكرِّ والفر. وعلى أقدار هذه الطّبقات تظهر أعمالها.

١٩٢١ - [تعرض الحيوان للإنسان]

وأمّا قوله:

٢٤- «والضَّبُع الغَثراء مع ذيخها شرٌّ من اللّبْوَة والنَّمرِ
٣٢- كما تَرى الذِّئب إذا لم يُطق صاح فجَاءَت رَسلاً تجري
٣٣- وكُلُّ شيءٍ فعلى قَدْرِهِ يُحْجِمُ أو يُقْدِمُ، أو يَجْري»

فإنَّ هذه السِّباع القَويَّة الشَّريفَةَ ذوات الرِّياسة: الأُسْد والنُّمور والبُبُورَ - لا تعرض للنَّاس إلاّ بعد أن تهرم فتعجزَ عن صيد الوَحش. وإن لم يكنْ بها جوعٌ شديدٌ فمرَّ بها إنسانٌ لم تعْرِضْ له، وليس الذِّئبُ كذلك، لأن الذِّئْبَ أشدُّ مطالبةً، فإن خاف العجز عوى عُواء استغاثة فتسامعت الذّئاب وأقبلتْ، فليس دون أكل ذلك الإنسانِ شيءٌ.

وقسّم الأشياء فقال: إنّما هو نكوصٌ وتأخُّر، وفِرارٌ، وإحجام وليس بفرار ولا إقدام. وكذلك هو.

١٩٢٢ - [العندليل والنسر]

وأمّا قوله:

٣٤- «والكَيْسُ في المكسبِ شَمْلُ لهمْ والعندليل الفرخ كالنَّسْرِ»

فالعندليل طائرٌ أصغر من ابن تمرة، وابنُ تمرة هو الذي يُضرب به المثلُ في صغر الجسم. والنَّسر أعظمُ سباع الطَّير وأقواها بدناً.

وقال يونسُ النحويُّ وذكر خلفاً الأحمر فقال[١]: «يضربُ ما بين العندليل إلى الكُركيّ». وقد قال فيه الشّاعر: [من السريع]

---

(١) تقدم هذا القول والبيت الذي يليه في ٥ / ٨٣.

ويضربُ الكركي إلى القُنبرِ لا عانساً يبقى ولا مُحْتلِمْ

وقال: [من الكامل]

وبما أقولُ لصاحبي خلفٍ إيهاً إليك تَحذَرَنْ خَلَفُ
فلو انّ بيتك في ذُرى عَلَمٍ من دُون قُلّة رأسه شَعَفُ
لخشيتُ قدرك أن يبيتها إن لم يكن لي عنه مُنصرفُ

وفي المثل: «كلُّ طائرٍ يصيدُ على قَدْرِه»[1].

١٩٢٣ - [غدر الذّئب وخبثه وكسبه]

وأمّا قوله:

٣٥- «والخُلد كالذّئب على كَسْبِهِ والفيلُ والأعلمُ كالوَبْرِ»

فإنّه يقالُ: «أغدرُ من ذئب»[2]، و: «أخبث من ذئب»[3]، و: «أكسبُ من ذئب»[4]، على قول الآخر: [من الرجز]

أكسبُ لِلْخَيرِ من الذِّئْبِ الأزَلّ

والخير عنده في هذا الموضع ما يُعيش ويقُوت، والخير في مكانٍ آخر: المالُ بعينه على قوله عزّ وجلّ: ﴿إنْ تركَ خيْراً الوصِيَّةُ﴾[5]، وعلى قوله: ﴿وإنَّهُ لِحُبِّ الخيْرِ لَشَديدٌ﴾[6]، أي إنّه من أجل حبِّ المال لبخيلٌ عليه، ضنين به، متشدِّد فيه.

والخير في موضعٍ آخر: الخصب وكثرة المأكول والمشروب، تقول: ما أكثر خير بيتِ فلان. والخير المحض: الطّاعة وسلامة الصدر.

---

(١) المثل في المستقصى ٢/٢٢٨.

(٢) مجمع الأمثال ٢/٦٧، والدرة الفاخرة ١/٣٢١، وجمهرة الأمثال ١/١٦٧، ٢/٧٩، والمستقصى ١/٢٥٨.

(٣) المثل برواية: «أخبث من ذئب الخمر» في مجمع الأمثال ١/٢٥٩، والدرة الفاخرة ١/١٩٠، والمستقصى ١/٩٢، وجمهرة الأمثال ١/٤١٢، ٤٣٨، ٤٦٢. وبرواية «أخبث من ذئب الغضى» في المصادر نفسها.

(٤) مجمع الأمثال ٢/١٦٨، والمستقصى ١/١٩٤، وجمهرة الأمثال ٢/١٣٧، ١٧٥، والدرة الفاخرة ٢/٣٦١، ٣٦٦.

(٥) ١٨٠/ البقرة: ٢.

(٦) ٨/ العاديات: ١٠٠.

وأمَّا قولهم[1]: «أخبث من ذِئْبِ خَمَر» فعلى قول الرَّاجز[2]: [من الرجز]

أما أتاك عَنِّي الحديثُ   إذْ أنا بالغائط أستغيثُ
والذِّئْبُ وسط أعنُزي يَعِيثُ   وصحتُ بالغائط يا خبيث

وقالوا في المثل: «مُستودع الذئب أظلم»[3].

١٩٢٤ - [الخـلد]

والخُلد دويبةٌ عمياءُ صماءُ، لا تعرف ما يدنُو منها إلا بالشّمِّ، تخرُج من جُحرها، وهي تعلم أن لا سمع ولا بصَر لها، وإنما تَشْحا فاها[4]، وتقفُ على باب جُحرها فيجيء الذُّباب فيسقط على شدقها ويمرُّ بين لَحييها فتسُّد فمها عليها وتستدخلها بجذْبة النّفس، وتعلمُ أن ذلك هو رِزقها وقسمها. فهي تعرِض لها نهاراً دون اللّيل، وفي السّاعات من النهار التي يكون فيها الذباب أكثر، لا تفرِّط في الطَّلب، ولا تقصِّر في الطّلب، ولا تخطئ الوقْت، ولا تغلط في المقدارِ.

وللخلد أيضاً ترابٌ حواليْ جُحره، هو الذي أخرجه من الجحر، يزعمون أنّه يصلُحُ لصاحب النِّقرس[5] إذا بُلّ بالماء وطُلي به ذلك المكان.

١٩٢٥ - [الأعلم]

وأمّا قوله:

٣٥- «والفيل والأعلم كالوبْرِ»

فالفيل معروف، والأعلم: البعير، وبذلك يسمّى، لأنّه أبداً مشقوقُ الشَّفةِ العليا، ويسمّى الإنسان إذا كان كذلك به.

ويدلُّ على أن الأعلم والبعير سواء قولُ الراجز[6]: [من الرجز]

إني لمن أنكر أو توسَّما   أخو خناثيرَ أقود الأعلما

---

(١) المثل في الصفحة السابقة رقم ٣.
(٢) تقدم الرجز في ١/٢٠٢، الفقرة (٢٣٢).
(٣) مجمع الأمثال ١/٤٤٦، والدرة الفاخرة ١/ ١٩٢، ٢٩٤، ٤٥٤.
(٤) تشحا فاها: تفتحه، وانظر هذه الفقرة في ربيع الأبرار ٥/٤٧٣.
(٥) النقرس: ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين.
(٦) تقدم الرجز في ٤/٤٥٤، الفقرة (١٢٠٦).

وقال عنترة[1]: [من الكامل]

وحليل غانيةٍ تركتُ مجدَّلاً　　　تمْكُو فريصتُه كشِدْق الأعْلمِ

يريد شِدْق البعير في السعة. وقال الآخر[2]: [من الكامل]

كم ضربةٍ لك تحْكي فاقراسِيَةٍ　　　من المصاعِب في أشداقِهِ علَمُ

١٩٢٦- [ما قيل من الشعر في صفة الضرب والطعن]

وقال الكميت[3]: [من المتقارب]

مَشافِرَ قَرْحى أكلْن البَريرا

وقال آخر: [من الوافر]

بضربٍ يُلقِحُ الضِّبْعانُ منْهُ　　　طرُوقَته ويأتنِفُ السِّفادا

وقال الشاعر الباهليّ[4]: [من الطويل]

بضَرْبٍ كآذان الفِراء فُضولُه　　　وطعَنٍ كإيزاغِ المخاضِ تَبُورُها

كأنّه ضربَه بالسَّيف، فعلِق عليه من اللحم كأمثال آذان الحمير.

وقال بعضُ المحدثين، وهو ذو اليمينين[5]: [من السريع]

ومقْعصٍ تشْخَبُ أوداجُه　　　قد بانَ عن مَنْكبه الكاهلُ

فصارَ ما بينهما هُوَّةً　　　يمشي بها الرَّامحُ والنّابلُ

وفي صفات الطَّعنة والضَّربة أنشدني ابنُ الأعرابيّ: [من الطويل]

تمنَّى أبو اليقظان عندي هَجْمَةً　　　فسهَّل مأوى ليلها بالكلاكلِ

ولا عَقْلَ عندي غيرُ طعنٍ نوافذٍ　　　وضربٍ كأشداق الفِصال الهوازلِ[6]

---

(١) تقدم البيت في ٣/١٤٨، ٤/٤٥٥، ٦/٣٩٥.

(٢) تقدم مثل هذا البيت في ٣/١٤٨، الفقرة (٧٥٩) بقافية (شنعُ).

(٣) صدر البيت (تشبّه في إلهام آثارها)، وهو في ديوان الكميت ١/ ١٩١، والبيان ١/٥٥، واللسان والتاج (قرح)، والتهذيب ٤/٣٨، وتقدم في ٣/١٤٩، الفقرة ٧٥٩.

(٤) البيت لمالك بن زغبة الباهلي في اللسان والتاج (فرأ، بور، وزغ) وتقدم مع تخريج وافٍ في ٢/٣٨٥، الفقرة (٤٤٧).

(٥) البيتان لذي اليمينين طاهر بن الحسين في الموشح ٧٩، ٢٤٥.

(٦) الفصال: جمع فصيل، وهو ولد الناقة.

وسَبٌّ يود المرءُ لو ماتَ دُونه كوقْعِ الهضابِ صُدِّعَتْ بالمعاوِلِ

وقل الآخر[1]: [من الطويل]

جَمَعْتُ بها كفّي فأنْهرت فَتْقها ترى قائماً من خلفها ما وراءها[2]

وقال البعيث[3]: [من الطويل]

أئن أمرعَت معْزى عطيَّة وارتعتْ تلاعاً من المرُّوت أحْوى جميمها[4]

تعرَّضْت لي حتّى ضربتُك ضربةً علَى الرّأس، يكبو لليدين أميمها[5]

إذا قاسها الآسِي النِّطاسيُّ أُرعِشَتْ أناملُ آسيها وجاشَتْ هُزُومها[6]

وقال الآخر: [من المتقارب]

ونائحة رافعٍ صوتُها تَنُوحُ وقد وقعَ المهْذَمُ[7]

تَنُوحُ وتُسْبرُ قَلاّسَةً وقد غابت الكفُّ والمعْصَمُ[8]

وقال آخر[9]: [من المتقارب]

ومُستَنَّة كاستنان الخرُو فِ قدْ قطعَ الحبلَ بالمرْود[10]

دفوعِ الأصابع ضَرْحَ الشَّمُو سِ نجلاءَ مُؤْيسةِ العُوَّدِ[11]

---

(١) البيت لقيس بن الخطيم في ديوانه ٤٦، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٨٤، وشرحه للتبريزي ١/٩٥، وديوان المعاني ١/٢٥، وعيار الشعر ٧٨، والمعاني الكبير ٩٧٨، ٩٨٣، ١٠٦٢، ١٠٨٠، وديوان الأدب ٢/٣٠١، والتهذيب ٦/٢٧٧، ١٠/٢٧١، ولباب الآداب ١٨٤، واللسان والتاج (نهر، ملك)، وبلا نسبة في المخصص ٣/١٣٣، ٤/١٩، ٦/٨٩، ١٠/٣٠، ١٧/١٥٧.

(٢) أنهر الطعنة: وسعها.

(٣) البيت الأول في اللسان والتاج (مرت)، والثالث في اللسان والتاج (نطس)، وهو بلا نسبة في اللسان (قيس)، والجمهرة ٨٣٨، والتهذيب ٩/٢٢٥.

(٤) عطية: هو والدجرير بن عطية الخطفى. المروت: اسم موضع لباهلة أو كليب.

(٥) الأميم: الذي أصيب في أم رأسه.

(٦) الآسي: الطبيب. الهزوم: الصدوع والشقوق.

(٧) أراد بالنائحة: الطعنة تصيح بشدة خروج الدم منها. المهذم: السيف القاطع.

(٨) قلاسة: قذافة.

(٩) البيتان لرجل من بني الحارث بن كعب في اللسان والتاج (حزف)، وبلا نسبة في المخصص ٦/١٣٧، ٩/١٤٢، والأول في التهذيب ٧/٣٥٠، ورصف المباني ١٤٥، وسر صناعة الإعراب ١/١٣٤، وشرح المفصل ٨/٢٣، واللسان (بنت)، والمحتسب ٢/٨٨.

(١٠) المستنة: الطعنة. الخروف: ولد الفرس إذا بلغ ستة أشهر. المرود: حديدة توتد في الأرض يشد فيها حبل الدابة.

(١١) نجلاء: واسعة. العوَّد: جمع عائد المريض.

وقال محمد بن يسير[1]: [من المتقارب]

وطعن خليسٍ كفرْغ النّضيح أُفْرِغَ مِنْ ثَعبِ الحاجِرِ[2]
تُهالُ العوائدُ من فَتْقِها تردُّ السِّبارَ على السّابرِ[3]

وأنشدوا لرجلٍ من أزْدشنوءة[4]: [من الطويل]

وطَعْنَ خَليسٍ قد طعنت مُرِشّةٍ يقطِّعُ أحشاءَ الجبانِ شهيقها
إذا باشرُوها بالسِّبار تقطّعتْ تقطع أم السكر شيبَ عقوقُها

وروي للفِندْ الزِّمّاني[5] ولا أظنُّه له: [من الهزج]

كففنا عن بني هندِ وقلنا: القومُ إخْوانُ
عسى الأيّامُ ترْجعْهمْ جميعاً كالذي كانوا
فلمّا صَرَّحَ الشّرُّ وأضْحى وهو عُرْيانُ
شددْنا شَدَّةَ اللّيثِ عدا والليثُ غضبانُ
بضربٍ فيه تفجيعٌ وتوهينٌ وإرنانُ[6]
وطعنٍ كفَمِ الزِّقِّ وهي والزِّقُّ ملآنُ[7]

وأنشد السُّدّيّ لرجل من بلحارث: [من المتقارب]

أتيت المحرم في رحله فشَمَّر رحلي بِعَنْسٍ خَبُوبْ[8]

---

(١) ديوان محمد بن يسير ١٤١، وهما لخداش بن زهير في ديوانه ٨٢، وأشعار العامريين الجاهليين ٣٤، وديوان المعاني ٢/٧٣، والأول في المعاني الكبير ١/١٤٩، ٢/٩٨٢، والثاني في تهذيب الألفاظ ٥٤٢، وعجز البيت بلا نسبة في اللسان والتاج (سبر)، والمخصص ٥/٩٣، ١٢/٣٢٧.

(٢) طعنة خليس: إذا اختلسها الطاعن بحذقه. النضيح: الحوض. الثعب: الماء السائل. الحاجر: ما يحبس ماء الحوض.

(٣) تهال: تفزع. السابر: الطبيب أو الجراح المعالج.

(٤) البيت بلا نسبة في اللسان والتاج (قبض) وروايته:
(تركتُ ابنَ ذي الجدَّيْن فيه مُرَشَّةٌ يقبِّض أحشاءَ الجبان شهيقُها).

(٥) الأبيات للفند الزماني في ديوانه ٣٦٣ (ديوان بني بكر)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣٧، والخزانة ٣/٤٣١، وأمال يالقالي ١/٢٦٠، والسمط ٥٧٨، ٩٤٠، وحماسة البحتري ٥٦، والمقاصد النحوية ٣/١٢٢.

(٦) التوهين: تفعيل من الوهن، وهو الضعف. الإرنان: التصويت.

(٧) وَهي: ضعف.

(٨) شمّر إبله: أعجلها. العنس: الناقة الصلبة. الخبوب: وصف من الخبب؛ وهو ضرب من العَدْو.

تذكّر منّي خطوباً مضتْ ويومَ الأباء ويوم الكثيبْ
ويَوْم خزازَ وقدْ ألَجْمُوا وأشرطت نفْسي بأن لا أثُوبْ[1]
ففرَّجْتُ عنهم بنفّاحةٍ لها عاندٌ مثلُ ماء الشْعيبْ[2]
إذا سبرُوها عوى كلبُها وجاشَتْ إليهم بآنٍ صَبيبْ[3]

وقال آخر: [من الخفيف]

طعْنَةً ما طَعنْتُ في جُمَحِ الذّ مِّ هِلالٍ وأين منّي هِلالُ
طعنة الثائرِ المصمِّم حتى نجم الرُّمْحُ خَلْفَه كالخلالِ[4]

وقال الحارث بن حِلِّزَة[5]: [من الخفيف]

لا يُقيم العزيز بالبلدِ السَّهْل ولا يَنْفَعُ الذّليلَ النَّجاءُ
حَوْلَ قَيْسٍ مستلئمين بكبشٍ قرظيٍّ كأنَّه عبلاءُ[6]
فرَدَدْناهُم بضربٍ كما يخـ ـرُجُ من خُرْبَة المزادِ الماءُ[7]
وفَعَلْنا بِهِمْ كماً عَلِمَ اللّهُ وما إنْ للحائنين دِماءُ[8]

وقال ابن هَرْمة[9]: [من الكامل]

بالمشرفيّة والمظاهر نَسْجُهـا يَوْمَ اللّقاء وكلِّ وَرْدٍ صاهل[10]
وبكلِّ أرْوَعَ كالحريق مُطاعنٍ فمسايفٍ فمعانقٍ فمُنازِل[11]

ويروى: «فمعاذل».

---

(١) يوم خزاز: أعظم يوم التقته العرب في الجاهلية. معجم البلدان ٢/٣٦٦. الجموا: أي الجموا الخيل.
(٢) النفاحة: الشديدة الدفع، أي الطعنة. العاند: الدم يسيل في جانب. الشعيب: المزادة المشعوبة.
(٣) الآني: الذي انتهى واشتد في حرارته.
(٤) نَجَمَ: ظَهَرَ. الخلال: العود يخلُّ به الشيء.
(٥) الأبيات من معلقته في شرح القصائد السبع ٤٩٤، والأغاني ١١/٤٧ – ٤٨.
(٦) المستلئم: لابس اللأمة، وهي الدرع. الكبش: رئيس القوم. قرظي: نسبة إلى اليمن لأن القرظ ينبت فيها. العبلاء: هضبة بيضاء.
(٧) الخربة: غرلاء المزادة، وهو مسيل الماء منها.
(٨) الحائن: الهالك.
(٩) ديوان ابن هرمة ١٧٣ – ١٧٤ .
(١٠) المشرفية: السيوف. المظاهر: الدروع التي طرقت. الورد: الفرس.
(١١) المسايف: المقاتل بالسيف.

١٩٢٧ - [الإسراف في صفة الضرب والطعن]

وإذْ قد ذكرنا شيئاً من الشِّعر في صفة الضرب والطعن فقد ينبغي أن نذكر بعض ما يشاكلُ هذا الباب من إسرافِ من أسْرَفَ، واقتصادِ من اقتصد. فأما من أفْرط فقول مُهلهل(١): [من الوافر]

فلولا الرِّيحُ أُسْمِعُ مَنْ بحجْرٍ   صليلَ البيض تُقْرَعُ بالذُّكور

وقال الهذلي(٢): [من البسيط]

والطعن شَغْشَغَةٌ والضَّرْبُ هَيْقَعة   ضَرْبَ المعوِّل تحتَ الدِّيمة العضدا

وللقسيِّ أزاميلٌ وغَمْغَمَةٌ   حِسَّ الجنوبِ سوق الماء والقردا(٣)

ومن ذلك قول عنترة: [من الكامل]

بِرَحيبة الفَرْغين يهدي جرْسُها   باللّيْل مُعْتسَّ السِّباع الضُّرَّمِ(٤)

وقال أبو قيس بن الأسلت(٥): [من السريع]

قد حصَّت البيضةُ رأسي فما   أطْعَمُ نوماً غيرَ تَهجاعِ

وقال دُريد بن الصِّمَّة(٦): [من الوافر]

أعاذِلُ إنَّما أفْنى شبابي   رُكوبي في الصَّريخ إلى المنادي

مع الفتيان حتّى خلّ جِسْمي   وأقْرَحَ عاتِقي حَمْلُ النِّجادِ(٧)

---

(١) البيت للمهلهل في الأصمعيات ١٥٥، والبيان ١/١٢٤، والموشح ٧٤، والأمالي ٢/١٢٩، ومعجم البلدان ٣/٨ (ذنائب).

(٢) البيتان لعبد مناف بن ربع الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٦٧٤، وديوان المعاني ٢/٥٥، وتقدم تخريج البيت الأول في ٤/٤٥٨، والثاني في اللسان والتاج (حسس، غمم). وبلا نسبة في اللسان والتاج (زمل)، والمخصص (٢/١٤٥).

(٣) في ديوان الهذليين ٢/٤١: «الأزامل: الصوت المختلط. الغمغمة: صوت مختلف لا تفهمه. حسُّ الجنوب: صوتها».

(٤) الفرغ: مفرغ الدلو. الجرس: الصوت. اعتس الذئب: طلب الصيد. الضرّم: الجياع.

(٥) ديوان أبي قيس بن الأسلت ٧٨، وشرح اختيارات المفضل ١٢٣٦، واللسان والتاج (حصص، هجع)، والتهذيب ٣/٤٠٠، والجمهرة ٩٨، والمجمل ٢/١٤، وديوان الأدب ٣/١٢٦، وبلا نسبة في العين ٣/١٤، والمقاييس ٢/١٣، والمخصص ١/٧٠، وأساس البلاغة (هجع).

(٦) ديوان دريد بن الصمة ٦٠، وحماسة القرشي ١٢٩، والأول لعمرو بن معدي كرب في ديوانه ٩٧، وعيون الأخبار ١/١٩٣. والحماسة البصرية ١/٣٥.

(٧) خلّ: وهن وفسد.

ومّما يدخُل في هذا الباب قولُ عنترة[١]: [من الكامل]

رُعْناهـم والخيـلُ تَـرْدي بالقنـا وبكُلِّ أبْيـضَ صارمٍ قَصّـالِ[٢]
وأنا المنيّة في المواطِنِ كلِّها والطَّعْنُ مِنِّي سابِقُ الآجالِ

وأمَّا قوله[٣]: [من الكامل]

إنّ المنيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ مِثْلي، إذا نَزلوا بِضنْكِ المنزلِ

وقال نهشل بن حَرِّيّ[٤]: [من الطويل]

وما زال رُكْني يرتقي من ورائه وفارسُ هيجا ينفض الصدر واقفُ[٥]

فوصف [نفسه][٦] بأنّه مجتمع القلب، مرير[٧] لا يبرح.

وقد كان حميد بن عبد الحميد يوصف بذلك ،لأنّه كان لا يرمي بسَهْم، ولا يطعنُ برُمحٍ، ولا يضربُ بسيفٍ، ولكن التصبير والتَّحريض والثّبات، إذا انهزمَ كلُّ شُجاع.

---

(١) ديوان عنترة ١٩١-١٩٢.
(٢) رعناهم: من الروع؛ وهو الخوف. القنا: الرماح. الأبيض: السيف. القصّال: القطّاع.
(٣) البيت لعنترة في ديوانه ٥٨.
(٤) ديوان نهشل بن حري ١١٤.
(٥) ركن كل شيء: جوانبه.
(٦) إضافة يقتضيها السياق.
(٧) المرير: القوي الشديد القلب.

بـــــاب

مَنْ نذر في حميّة المقتول نذْراً فبلغ في طلب ثأره الشفاء

قال العبسيّ: [من الوافر]

دَعَوْتُ اللّه إذْ قدْنا إليهم ... لَنَلْقى منْقرًا أو عَبْدَ عَمْرو
وكانَتْ حَلْفَةً حُلفتْ لوتْرٍ ... وشاء اللّهُ أنْ أدْركْتُ وتري
وإنّي قد سَقِمْتُ فكان بُرئي ... بقِرْواش بن حارثة بن صَخْرِ

والأعرابُ تعدُّ القَتْلَ سُقماً وداءً لا يبرئه أخذ ثأره دون أخٍ أو ابن عمٍّ، فذلك الثّأرُ المنيم.

وممَّن قال في ذلك صَبار بن التوءم اليشكري، في طلب الطّائلة وأنّ ذلك داءٌ ليس له بُرء، وكانوا قتلوا أخاه إساف بن عباد، فلما أدرك ثأره قال: [من الطويل]

ألمْ يأتِها أنّي صَحَوْتُ وأنّني ... شفاني من الدّاء المُخامرِ شافِ
فأصبحْتُ ظبياً مُطْلقاً من حِبالةٍ ... صحيحَ الأديم بَعْد داء إساف
وكنتُ مغطّى في قناعي حِقْبةً ... كَشَفْتُ قناعي واعتطَفْتُ عطافي[1]

وفي شبيه بهذا المذهب منْ ذكر الدّاء والبُرء قال الآخر[2]: [من البسيط]

قالتْ عهدتِك مجنوناً فقلتُ لها ... إن الشّبابَ جُنونٌ بُرؤُهُ الكِبرُ

وفي شبيهٍ بالأوّل قول الشّيخ الباهليِّ، حين خرج إلى المبارزَةِ على فرسٍ أعجف، فقالوا: «بالٍ على بالٍ!». فقال الشّيخ: [من الوافر]

رآني الأشْعَريُّ فقالَ بالٍ ... على بالٍ ولم يعرفْ بلائي
ومثلُك قد كَسَرْتُ الرُّمْحَ فيه ... فآبَ بدائه وشفَيْتُ دائي

وقالت بنتُ المنذر بن ماء السَّماءِ[3]: [من الوافر]

بعين أُباغ قاسَمْنا المنايا ... فكان قَسيمُها خيْرَ القَسيمِ

---

(١) العطاف: الرداء

(٢) البيت للعتبي أو لابن أبي فنن، وتقدم تخريجه ص ٣٤٤.

(٣) الأبيات لزينب بنت فروة بن مسعود الشيباني في معجم الأدبيات ٢٥١، ومعجم البلدان ١/ ٦٨ (أباغ). وانظر العقد الفريد ٣/ ٣٧٣

وقالوا فارس الهيْجاء قلنا ... كذاك الرُّمح يَكْلَفُ بالكريمِ

وقال الأسدي[1]: [من المتقارب]

رفعْنا طريفاً بأرْماحنا ... وبالرَّاح منَّا فلم يدفعونا
فطاح الوَشيظُ ومالَ الجُمُوحُ ... ولا تأكلُ الحَرْبُ إلا السَّمينا[2]

وقال الخريمي[3]: [من الطويل]

وأعددتُه ذُخْراً لكلِّ مُلمَّةٍ ... وسَهْمُ المنايا بالذخائر مُولعُ

وقال السموءلُ بنُ عاديا[4]: [من الطويل]

يقرِّبُ حُبُّ الموت آجالنا لنا ... وتَكْرَهُه آجالهمْ فتطولُ
لأنّا أُناسٌ لا نرى القَتْلَ سُبَّةً ... إذا ما رأتْهُ عامرٌ وسلولُ

وقال أبو العيزار[5]: [من الكامل]

يَدنُو وتَرْفَعُهُ الرِّماحُ كأنّهُ ... شلْوٌ تَنَشَّبَ في مخالب ضاري
فتوى صريعاً والرِّماحُ تَنُوشُه ... إنَّ الشُّراة قصيرةُ الأعمارِ

وقال آخر وهو يُوصي بلُبْس السِّلاح[6]: [من الكامل]

فإذا أَتَتْكُمْ هذه فتلبَّسُوا ... إنَّ الرِّماحَ بصيرةٌ بالحاسرِ

وقال الآخر: [من البسيط]

يا فارسَ الناس في الهيجا إذا شُغلتْ ... كِلتا اليدينِ كرُوراً غَيْرَ وقّافِ

قوله «شُغِلَتْ» يريد بالسّيف والتُّرس. وأنشد أبو اليقظان[7]: [من الطويل]

وكان ضروباً باليدينِ وباليَدِ

---

(١) البيتان لعبادة بن أنف الكلب الصيداوي الأسدي في الوحشيات ٦٨، والأشباه والنظائر للخالديين ١/ ٨٨.

(٢) الوشيظ: الدخلاء في القوم ليسوا من صميمهم، ورواية صدر البيت في المصدرين السابقين: (وطاح الرئيس وهادي اللواء).

(٣) ديوان الخريمي ٤٣، والبيان ١/ ٤٠٦، والكامل ٢/ ٣٠٣ (المعارف)، ونهاية الأرب ٣/ ٨٧، وتقدم في ٣/ ٧٦، الفقرة (٦٣٥).

(٤) ديوان السموءل، والثاني بلا نسبة في اللسان والتاج (سلل)، والمخصص ١٧/ ٤١.

(٥) البيتان في البيان ١/ ٤٠٦، وشعر الخوارج ٩٢، وبهجة المجالس ١/ ٤٧٦، والكامل ٢/ ٣٠١ (المعارف)، وحماسة القرشي ١٨٤.

(٦) تقدم البيت في ص ٤٩١.

(٧) صدر البيت: (أعَيني ألا فابكي عُبَيْدَ بْنَ مَعْمَرٍ)، وهو في الميسر والقداح ١٤٠.

أمّا قوله: «ضروباً باليدين»، فإنّه يريد القِداح، وأمّا قوله: «باليد» فإنّه يريد السَّيف.

وأمّا قول حسّان لقائده حين قرّبوا الطّعام لبعض الملوك: «أطعام يدين أم يد؟»[1] فإنه قال هذا الكلام يومئذ وهو مكفوفٌ.

وإن كان الطعام حَيْساً أو ثريداً أو حريرة فهو طعام يدٍ، وإن كان شواءً فهو طعام يدَين.

١٩٢٨- [من أشعار المقتصدين في الشعر]

ومن أشعار المقتصدين في الشِّعر أنشدني قطرب[2]: [من المتقارب]

تركْت الرِّكابَ لأربابها فأجْهَـ ـدْتُ نفسي على ابن الصَّعِقْ
جَعَلْتُ يديَّ وِشاحاً له وبعضُ الفوارِس لا يعتنق

وممن صدق على نفسه عمرو بن الإطنابة، حيثُ يقول[3]: [من الوافر]

وإقْدامي على المكْروه نَفْسي وضرْبي هامَةَ البطلِ المشيحِ[4]
وقولي كُلَّما جَشأتْ وجَاشَتْ مَكانَكِ تُحْمَدي أوْ تَستْريحي

وقل آخر: [من الطويل]

وقلتُ لِنفسي إنّما هو عامرٌ فَلا ترهَبيه وانظُري كيف يركبُ

وقال عَمرو بن مَعْدِ يكرب[5]: [من الطويل]

---

(١) الخبر في عيون الأخبار ١/٣٢١، والبرصان ٣٤٤-٣٤٥، والموفقيات ٢٥٠، وثمار القلوب (٨٦٩)، والكامل ١/٣٩١ (المعارف).

(٢) البيتان لقيس بن زهير في الحماسة البصرية ١/١٨، وبلا نسبة في البيان ٣/٢٤٦.

(٣) البيتان لعمرو بن الإطنابة في الحماسة البصرية ١/٣، والحماسة المغربية ٦٠٦، وحماسة القرشي ١٤٨ - ١٤٩، ومجالس ثعلب ٦٧، وأمالي القالي ١/٢٦٠، وحماسة البحتري ٩، وديوان المعاني ١/١١٤، وسمط اللآلي ٥٧٤، وعيون الأخبار ١/١٢٦، ومعجم الشعراء ٩، ولباب الآداب ٢٢٣-٢٢٤، والخزانة ٢/٤٢٨، وإنباه الرواة ٣/٢٨١، والمقاصد النحوية ٤/٤١٥، وشرح شواهد المغني ٥٤٦، وبلا نسبة في الخصائص ٣/٣٥، وشرح شذور الذهب ٤٤٧، وشرح قطر الندى ١١٧، وشرح المفصل ٤/٧٤، وهمع الهوامع ٢/١٣، واللسان (جشأ، شيح)، والتاج (شيح)، والتهذيب ٥/١٤٧.....

(٤) المشيح: المجد. والمشيح: المقبل إليك؛ أو المانع لما وراء ظهره

(٥) البيتان لعمرو بن معدي كرب في ديوانه ٧١، والأصمعيات ١٢٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٥٧، وشرح شواهد المغني ٤١٨، والأول بلا نسبة في العين ٧/٣٣٨، والثاني في ديوان المعاني ١/١١٢.

وَلَمَّا رأيتُ الخيلَ زُوراً كأنَّها جَدَاولُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فاسْبَطَرَّتِ[1]
فجاشَتْ إليَّ النَّفْسُ أوَّلَ مَرَّةٍ فَرُدَّتْ على مَكْرُوهِها فاسْتَقَرَّتِ[2]

وقال الطَّائيُّ: [من الرمل]

ودَنَوْنا ودَنَوْا حتّى إذا أمْكنَ الضَّرْبُ فمنْ شاءَ ضربْ
ركضتْ فينا وفيهمْ ساعةً لَهذميَّاتٌ وبيضٌ كالشُّهُبْ[3]
تروا القاعَ لنا إذْ كَرِهُوا غمراتِ الموتِ واختارُوا الهَربْ

وقال النّمر بنُ تولب[4]: [من المتقارب]

سَمَوْنا ليشْكُر يَوْمَ النِّهابِ نهزُّ قنًا سَمْهريًّا طِوالا[5]
فلمّا التقينا وكان الْجِلادُ أحبّوا الحياة فولَّوْا شِلالا[6]

وكما قال الآخر: [من الطويل]

هُم المقْدِمُون الْخيلَ تَدْمى نُحورُها إذا ابيضَّ من هَوْلِ الطِّعان المسالحُ[7]

وقال عنترة[8]: [من الكامل]

إذْ يتَّقون بي الأسنَّةَ لم أخِمْ عنْها ولكنّي تضايقَ مُقْدَمي[9]

وقال قَطريُّ بن الفُجاءة[10]: [من الوافر]

وقولي كلّما جشأتْ، لنفسي من الأبطالِ ويْحكِ لا تُراعي
فإنّكِ لوْ سألتِ حياةَ يومٍ سوى الأجلِ الذي لكِ لم تُطاعي

وقالت الخنْساء[11]: [من المتقارب]

---

(١) الزور: جمع أزور وزوراء؛ وهو المعوج العنق. اسبطرت: امتدت

(٢) جاشت: اضطربت من الفزع.

(٣) اللهذم: السنان القاطع، وأراد باللهذميات هنا: الرماح. البيض: السيوف.

(٤) البيتان للنمر بن تولب في ديوانه ٣٧٤، ونسب البيت الثاني إلى سويد في أساس البلاغة (كون).

(٥) القنا: الرماح. السمهرية: الرماح المنسوبة إلى امرأة تسمى سمهر.

(٦) الشلال: المتفرقون.

(٧) المسالح: جمع مسلحة، وهم القوم ذوو السلاح.

(٨) البيت من معلقته في ديوانه ٢٩.

(٩) خام يخيم: نكص وجبن. مقدمي: موضع الإقدام.

(١٠) البيتان لقطري بن الفجاءة في شعر الخوارج ١٠٨، وعيون الأخبار ١/١٢٦، والعقد الفريد ١/١٠٥، وبهجة المجالس ١/٤٧٠، وحماسة البحتري ١٠، والسمط ٥٧٥.

(١١) ديوان الخنساء ١٠٥، والأغاني ١٥/٩٢، واللسان (هون)، والتهذيب ٦/٤٤٢، ونهاية الأرب ٣/٧٢.

يُهِينُ النُّفوس وهَوْن النفوس ... غداة الكريهةِ أبقى لها

وقال عامر بن الطُّفيل(١): [من الطويل]

أقولُ لنفسٍ لا يجادُ بمثلها ... أقِلِّي المراح إنَّني غيرُ مُقْصِرِ(٢)

وقال جرير(٣): [من البسيط]

إن طارَدُوا الخيل لم يُشْوُوا فوارِسها ... أو نازلوا عانَقُوا الأبطال فاهتصروا(٤)

وقال ابن مقروم الضّبّيّ(٥): [من الكامل]

وإذا تُعلِّل بالسِّياطِ جيادُها ... أعطاك ثائبةً ولم يَتَعَلَّل(٦)

فدعوا نَزالِ فكنتُ أوّل نازلٍ ... وعلامَ أركبهُ إذا لم أنزلِ

وقال كعب الأشقري(٧): [من الطويل]

إليهم وفيهم مُنتهى الحزْم والنّدى ... وللكَرْبِ فيهم والخصاصة فاسحُ

ترى عَلَقاً تَغْشى النفوس رشاشُه ... إذا انفرجت من بَعْدهنَّ الجوانحُ

كأنّ القنا الخطّيّ فينا وفيهمُ ... شواطن بئرٍ هيّجَتْها المواتحُ(٨)

هناك قذَفْنا بالرِّماح فيما يُرى ... هُنالك في جَمْع الفريقين رامحُ

ودُرْنا كما دارتْ على قُطْبها ... ودارَتْ على هامِ الرِّجالِ الصَّفائحُ

ودُرْنا كما دارتْ على قُطْبها ... ودارتْ على هامِ الرِّجالِ الصَّفائحُ

وقال مهلهل(٩): [من الخفيف]

ودلَفْنا بجمعنا لبني شَيْـ ... ـبان إن الخليل يبغي الخليلاَ

---

(١) البيت لعامر بن الطفيل في المفضليات ٣٦٢، والأصمعيات ٢١٥، والسمط ١٤٤.

(٢) المراح: المرح، وهو شدة الفرح.

(٣) ديوان جرير ٢٩٥ (الصاوي).

(٤) يشووا: من الإشواء، وذلك إذا رمى فأصاب الأطراف ولم يصب المقتل. الاهتصار: الجذب والإمالة.

(٥) ديوان ربيعة بن مقروم ٢٦٩، والثاني في عيون الأخبار ١/١٢٦، والبرصان ١٧٢.

(٦) التعليل: من العل؛ وهو متابعة الضرب.

(٧) الأبيات (٣-٤-٥) في الحماسة البصرية ١/٣٧١، والخامس بلا نسبة في اللسان (رحا)، والتهذيب ٥/٢١٥.

(٨) الشواطن: جمع شطن؛ وهو الحبل.

(٩) البيتان في الأغاني ٥/٥٧، والعقد الفريد ٥/٢١٧.

لم يُطيقوا أن ينزلوا ونزلْنا وأخو الحرب من أطاق النزولا

وقال عبدة، وهو رجلٌ من عبد شمس: [من الطويل]

ولما زجرْنا الخيلَ خاضتْ بنا القنا كما خاضت البُزْلُ النِّهاءَ الطَّواميا[1]
رمَوْنا برشْقٍ ثمَّ إنَّ سيوفنا ورَدْن فأنكرْن القبيل المراميا
ولم يكُ يثْني النَّبل وقعُ سُيوفنا إذا ما عقدنا للجلادِ النّواصيا

(١) النهاء جمع نِهًى؛ وهو كل موضع يجتمع فيه الماء.

بـــاب
في ذكر الجبن ووهل الجبان

قال اللّه عزَّ وجلّ: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحةٍ عَلَيْهِم هُمُ الْعَدُوُّ فاحْذَرْهُمْ قاتلَهُمُ اللّه أنّى يُؤْفكُون ﴾[1]. ويقال إن جريراً من هذا أخذ قوله[2]: [من الكامل]

ما زلتَ تحسَبُ كُلَّ شيءٍ بعدَهُمْ   خيلاً تكرُّ عليكم ورِجالا

وإلى هذا ذهب الأوَّل[3]: [من الطويل]

ولو أنّها عصفورةٌ لحسبتها   مُسَوَّمةً تدعُو عُبيداً وأزْنَما

وقال جران العود[4]: [من البسيط]

يومَ ارْتحلت برَحْلي قَبْل برذعتي   والقَلْبُ مُسْتَوْهِلٌ للبَيْنِ مشغولُ[5]
ثمَّ اغترزتُ على نِضْوى ليحملني   إثر الحُمول الغوادي وهو معقولُ[6]

وهذا صفة وهل الجبان. وليس هذا من قوله[7]: [من المتقارب]

كملقي الأعنّةِ من كَفِّه   وقادَ الجيادَ بأذنابِها

وقال الذَّكواني أو زمرة الأهوازيُّ، ففسر ذلك حيث يقول: [من الخفيف]

يجعلُ الخيل كالسّفينِ ويَرْقى   عادياً فوق طِرْفِهِ المَشْكولِ[8]

---

(١) ٤/ المنافقون: ٦٣.

(٢) ديوان جرير ٥٣، والرسالة الموضحة ٦٤، والمختار من شعر بشار ٩، والعقد الفريد ٣/١٣٢، وتقدم في ٥/١٣٢.

(٣) البيت لجرير، وللبعيث؛ وللعوام بن شوذب؛ وللمغيرة بن طارق اليربوعي؛ ولابن حوشب، وقد تقدم البيت مع تخريج واف في ٥/١٣١.

(٤) البيتان لجران العود في الأشباه والنظائر للخالديين ١/٥٨، وعيون الأخبار ١/١٦٥، وديوان جران العود ٥٥، وهما لابن مقبل في ديوانه (٢٦٥)، وفي ديوان جران العود: «وتروى لابن مقبل، ولقحيف العقيلي، وقال خالد: هي لحكم الخضري».

(٥) المستوهل: الفزع.

(٦) اغترزت: وضعت رجلي في الغرز، وهو الركاب. النصو: البعير أنضاه المسير. المعقول: مشدود بالعقال.

(٧) البيت بلا نسبة في عيون الأخبار ١/١٦٥.

(٨) الطرف: الفرس الكريم الطرفين. المشكول: المشدود بالشكال، وهو العقال تشد به قوائم الدابة.

لأنهم ربّما تنادوا في العَسكر: قد جاؤوا، ولا بأس! فيُسرج الفارس فرسه وهو مشكولٌ ثم يركبه ويحثُّه بالسَّوط، ويضربُه بالرِّجل، فإذا رآه لا يُعطيه ما يريدُ نزل فأحْضر على رجليه، ومنْ وهل الجبان أن يُذْهل عن موضع الشِّكال في قوائم فرسه. وربما مضى باللِّجام إلى عَجْب ذنبه[1]. وهو قوله: «يجعل الخيْل كالسّفين» لأنّ لجام السفينة الذي يغمزها به والشِّكال[2] هو في الذَّنب.

وقال سهل بن هارون الكاتب في المنهزِمة من أصحاب ابن نهيك بالنَّهروان من خيل هَرْثمة بن أعْين: [من الطويل]

يُخيِّلُ للمهزومِ إفراطُ رَوْعِه ... بأنّ ظهورَ الخيل أدنى من العَطبْ

لأنّ الجُبْنَ يُريه أنّ عَدْوَه على رجليه أنجى له، كأنّه يرى أنّ النَّجاة إنّما تكونُ على قدر الحمل للبدن.

وقال آخر[3] حينَ اعْتلَّ عليه قومُه في القتال بالورع: [من البسيط]

كأنّ ربَّك لم يَخْلقْ لِخَشيته ... سِواهُمُ مِنْ جميعِ النّاس إنسانَا

وقال آخر[4]: [من الطويل]

كأنّ بلادَ اللّه وهي عريضةٌ ... على الخائفِ المطلوب كِفّة حَابِلِ

وقال الشّاعر[5]: [من الوافر]

يروِّعه السِّرارُ بكُلِّ أرضٍ ... مخافة أن يكون به السِّرارُ

وأنشدني ابن رُحيم القراطيسي الشاعر ورمى شاطراً بالجبن، فقال[6]: [من م. الوافر]

رأى في النَّوم إنساناً ... فوارَى نفْسَهُ أشهرْ

---

(١) عجب الذنب: أصله.

(٢) أي ما هو للسفينة بمنزلة اللجام والشكال.

(٣) البيت لقريط بن أنيف في الخزانة ٧/٤٤١، وشرح شواهد المغني ٢/٦٤٣، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢٧، وشرحه للتبريزي ١/٥، وبلا نسبة في مجالس ثعلب ٤٠٦.

(٤) البيت لعبد الله بن الحجاج؛ أو لعبيد بن أيوب العنبري؛ أو للطرماح، وتقدم البيت مع تخريج واف في ٥/١٣٢.

(٥) البيت لبشار بن برد في ديوانه ١/٢٤٩، ولنصيب في ديوانه ٨٩، وتقدم البيت في ٥/١٣٣.

(٦) البيت بلا نسبة في عيون الأخبار ١/١٦٦.

ويقولون في صفة الحديد إذا أرادوا أنّه خالص. فمن ذلك قول هِميان: [من الكامل]

يمشون في ماء الحديدِ تنكُّبا[1]

وقال ابنُ لجإ[2]: [من الرجز]

أخضر من ماءِ الحديدِ جِمْجِم

وقال الأعشى في غير هذا[3]: [من الخفيف]

وإذا ما الأكسُّ شبه بالأرْ وَق عند الهيجا وقَلَّ البُصاقُ[4]

وقال الأعشى[5]: [من م. الكامل]

إذ لا نقاتل بالعِصيِّ ولا نُرامي بالحجارَه

وقال الأخطل[6]: [من الطويل]

وما تركتْ أسيافُنا حينَ جُرِّدَتْ لأعدائنا قيس بن عيلان من عُذر

وأنشد الأصمعيُّ للجعديّ[7]: [من م. الكامل]

وبنو فزارة إنّها لا تُلْبث الحلبَ الحلائبْ

يقول: لا تُلْبِثُ الحلائِبَ حَلَباً حتى تَهْزِمَهُمْ

١٩٢٩ - [السّندل]

وأمّا قوله:

٤٣ - «وطائر يسبح في جاحمٍ كماهرٍ يسبحُ في غَمرِ»

فهذا طائرٌ يسمَّى سَنْدل، وهو هِنْديّ، يدخل في أتون النّار ويخرج ولا يحترق له ريشة[8].

---

(١) التنكب: المشي في شق على انحراف.
(٢) ديوان عمر بن لجإ ١٦٢.
(٣) ديوان الأعشى ٢٦٥.
(٤) الأكس: القصير الأسنان، يقابله الأَرْوق.
(٥) ديوان الأعشى ٢٠٩، واللسان (جزر، بده)، والتاج (جزر)، والجمهرة ١١٧١.
(٦) ديوان الأخطل ١٨٢، والقافية فيه (من وِتْرِ).
(٧) ديوان النابغة الجعدي ٢١٤، واللسان والتاج (حلب)، والتهذيب ٥/ ٨٦.
(٨) انظر ثمار القلوب (٦٦٢).

١٩٣٠ - [ذكر ما لا يحترق]

وزعم ثُمامة أن المأمون قال[١]: لو أخذ إنسانٌ هذا الطُّحلب الذي يكون على وجّه الماء، في مناقع المياه، فجفَّفه في الظلّ وألقاه في النّار لما كان يحترق

وزعموا[٢] أنّ الفلفل لا يضرُّه الحرق، ولا الغرق، والطَّلق لا يصير جمراً أبداً. قال: وكذلك المَغْرة.

فكأنّ هذا الطَّائرَ في طباعه وفي طباع ريشه مزاجٌ من طلاء النّفاطين[٣]. وأظنُّ هذا من طلق وخَطْمِيٍّ ومَغْرة[٤].

وقد رأيْت عُوداً يُؤْتى به من ناحية كِرْمان لا يحترق. وكان عندنا نصرانيٌّ في عنقه صليبٌ منه، وكان يقول لضعفاء الناس: هذا العود من الخشبة التي صُلب عليها المسيح، والنّار لا تعمل فيها. فكان يكتسب بذلك، حتّى فُطن له وعورِض بهذا العُود[٥].

١٩٣١ - [الماهر]

وأمّا قوله:

٤٣- «كماهرٍ يسبحُ في غَمْرِ»

فالماهر هو السَّابح الماهر وقال الأعشى[٦]: [من السريع]

مِثلَ الفراتيّ إذا ما طما ... يقذِفُ بالبُوصيِّ والماهرِ[٧]

وقال الربيع بن قَعْنب: [من الرمل]

وترى الماهِرَ في غَمْرتِه ... مِثْل كَلْبِ الماء في يومٍ مَطِرْ

---

(١) الخبر في ثمار القلوب (٦٦٣)، وعيون الأخبار ٢/١٠٧، وتقدم في ٥/٣١٠.

(٢) عيون الأخبار ٢/١٠٧.

(٣) النفاطون: الرماة بالنفط؛ وهو القطران.

(٤) ورد هذا القول في ثمارالقلوب (٦٦٢). الطلق: دواء إذا طلي به منع من الحرق. الخطمي: نبات يداوى به حرق النار. المغرة: طين أحمر يصبغ به.

(٥) الخبر في ثمار القلوب (٦٦٣)، وعيون الأخبار ٢/١٠٧، وتقدم في ٥/٣١٠.

(٦) ديوان الأعشى ١٩١، واللسان (جدد، مهر، بوص، ظنن)، والتاج (جدد، بوص، ظنن)، والتنبيه والإيضاح ٢/٢٠٨، والتهذيب ٦/٢٩٩، والجمهرة ٨٧، وديوان الأدب ٣/٧٢، ٣٢٢، والعين ٤/٥١.

(٧) الفراتي: أراد ماء الفرات. البوصي: ضرب من السفن.

١٩٣٢ - [لطعة الذئب]

وأمّا قوله:

٤٤- «ولطعة الذِّئب على حَسْوِهِ   وصَنْعَة السّرْفَة والدَّبرِ»

قال(١): فإنّ الذِّئب يأتي الجمل الميِّت فيفضي بغمغمته، فيعتمدُ على حجاج عينه(٢) فيلْحسُ عينه بلسانه حسْياً، فكأنّما قُوِّرت عينُه تقويراً، لِما أُعْطيَ من قوَّة الرَّدَّة(٣). وردُّه لسانه أشدُّ مرًّا في اللَّحم والعصب من لسان البقر في الخلى(٤).

فأمّا عضّتُه ومصّتُه فليس يقعُ على شيء عظماً كان أو غيره إلاّ كان له بالغاً بلا معاناةٍ، من شدّة فكيه.

ويقال(٥): إنّه ليس في الأرض سبعٌ يعضُّ على عظمٍ إلاّ ولَكَسرْته صَوتٌ بين لحييه، إلاّ الذئب، فإنّ أسنانه توصف بأنّها تبري العظم برْي السَّيف المنعوت بأنّ ضربته من شدّة مُرورها في العظم، ومن قلّة ثبات العظْم له، لا يكون له صوت. قال الزُّبير بن عبد المطّلب(٦): [من الوافر]

ويُنْبِي نخوَةَ المحتال عَنّي   غموضُ الصوت ضَرْبته صَمُوتُ

ولذلك قالوا في المثل(٧): «ضربه ضربةً فكأنما أخطأه»، لسرعة المرِّ، لأنّه لم يكن له صوت.

وقال الرَّاجز في صفة الذِّئب(٨): [من الرجز]

أطلس يخفي شخصه غُبارُه   في شدْقِه شَفْرته ونارُهُ

وسنأتي على صفة الذئب، في غير هذا البابِ من أمره في موضعه إن شاء اللّه تعالى.

---

(١) ورد القول في ربيع الأبرار ٥/٤١٦.

(٢) الحجاج: العظم المستدير حول العين.

(٣) في ربيع الأبرار «قوة النفس».

(٤) الخلى: واحدته خلاة، وهو الرطب من النبات.

(٥) ربيع الأبرار ٥/٤١٦-٤١٧.

(٦) البيت في ربيع الأبرار ٥/٤١٧، وحماسة القرشي ٩٢، واللسان والتاج (صمت)، وتقدم في ٤/٣٩٣.

(٧) ربيع الأبرار ٥/٤١٧.

(٨) الرجز في ديوان المعاني ٢/١٣٤، وذيل الأمالي ١٢٩، والبيان ١/١٥٠، والعمدة ١/٢٥٢، وتقدم في ١/٩٧، الفقرة (١١٠).

١٩٣٣ - [صنعة السرفة والدَّبْر]

وأمَّا ذكر صَنْعة السُّرْفة والدَّبْر، فإنّه يعني حكمتها في صنعة بيوتها، فإنّ فيها صَنْعَةً عجيبةً.

١٩٣٤ - [سمع القُراد والحِجر]

وأمّا قوله:

٤٤ - «ومَسْمع القِرْدان في مَنْهَلٍ   أعجبُ ممّا قيل في الحِجْرِ»

فإنهم يقولون: «أسمعُ مِنْ فَرَسٍ»(١)، ويجعلون الحجْر فرساً بلا هاء، وإنَّما يعنون بذلك الحِجْر، لأنها أسمع.

قال: والحِجْر وإن ضُرِبَ بها المثل، فالقُرادُ أعْجب منها، لأنها تكون في المنهل فتموج لِيلة الوِرْد، في وقت يكون بينها وبين الإبل التي تريد الورود أميالٌ. فتزعمُ الأعراب أنها تسمعُ رغاءها وأصوات أخفافها، قبل أنْ يسمعها شيء

والعرب تقول: «أسمعُ منْ قُراد»(٢). وقال الرَّاجز(٣): [من الرجز]

أسمعُ منْ فَرْخِ العُقابِ الأسحمِ

١٩٣٥ - [ما في الجمل من الأعاجيب]

وأمَّا قوله:

٤٨ - «والمقْرم المعْلم ما إن له   مَرارة تُسْمَعُ في الذِّكْرِ

٤٩ - وحصيةٌ تنصُلُ من جَوفه   عِنْدَ حُدوث الموتِ والنَّحْرِ

٥٠ - ولا يرى بعدهما جازرٌ   شَقشقةً مائلة الهدْرِ»

فهذا بابٌ قد غلط فيه من هو أعْنى بتعرُّف أعاجيب ما في العالم من بِشْر.

ولقد تنازع بالبصرة ناسٌ، وفيهم رجلٌ ليس عندنا بالبصرة أطيبُ منه، فأطبقوا جميعاً على أنَّ الجمل إذا نُحِر ومات فالتُمست خُصْيته وشقشقتُه أنهما لا توجدان. فقال ذلك الطيِّب: فلعلَّ مرارة الجمل أيضاً كذلك، ولعلّه أن تكون له مرارةٌ ما دام

---

(١) مجمع الأمثال ٢/٣٤٩، وأمثال ابن سلام ٣٤٩، والدرة الفاخرة ١/٢١٨، وهو برواية «أسمع من فرس بيهماء غلس» في المستقصى ١/١٧٣، وفصل المقال ٤٩٢، ومجمع الأمثال ١/٣٤٩.

(٢) مجمع الأمثال ١/٣٤٩، وفصل المقال ٤٩٢، والمستقصى ١/١٧٣، وجمهرة الأمثال ١/٥٣١.

(٣) انظر مجمع الأمثال ١/٣٥٥.

حيّاً، ثمَّ تبطل عند الموت والنَّحر. وإنّما صرنا نقول: لا مرارَة له، لأنّا لا نصلُ إلى رؤية المرارة إلاّ بعد أن تفارقه الحياة. فلم أجد ذلك عمل في قلبي، مع إجماعهم على ذلك، فبعثت إلى شيخٍ من جزّاري باب المغيرة فسألته عن ذلك، فقال: بلى لعمري إنهما لتوجدان إن أرادهما مريد. وإنّما سمعت العامّة كلمةً، وربّما مزَحْنا بها، فيقول أحدنا: خُصية الجمل لا توجد عند مَنْحره! أجلْ والله ما توجدُ عند منحره، وإنما توجد في موضعها. وربّما كان الجمل خياراً جيّداً فتلحق خصيتاه بكليتيه، فلا توجدان لهذه العلّة. فبعثت إليه رسولاً: إنّه ليس يشفيني إلاّ المعاينة. فبعث إليَّ بعد ذلك بيومٍ أو يومين مع خادمي نَفيس، بشقشقةٍ وخُصية.

ومثل هذا كثيرٌ قد يغلط فيه من يشتدُّ حرصُه على حكاية الغرائب.

١٩٣٦ - [ما في الفرس والثور من الأعاجيب]

وأمّا قوله:

٥١ - «وليس للطّرْف طحالٌ وقد أشـاعَهُ العالـمُ بـالأمرِ
٥٢ - وفي فُؤاد الثّورِ عَظْـمٌ وقـدْ يعـرِفُه الجـازِرُ ذُو الخـبرِ»

وليس عندي في الفرَس أنّه لا طحال له، إلاّ ما أرى في كتاب الخيل لأبي عبيدة والنّوادر لأبي الحسن، وفي الشّعر لبشْر. فإن كان جوف الفرس كَجوف البرذون، فأهلُ خراسان من أهل هذا العسكر، يذبحون في كلِّ أسبوع عدَّة براذين.

وأمّا العظم الذي يوجد في قلب الثّور فقد سمعنا بعضهم يقول ذلك، ورأيتهُ في كتاب الحيوان لصاحب المنطق.

١٩٣٧ - [أعجوبة السمك]

وأمّا قوله:

٥٣ - «وأكثرُ الحيتان أعجوبـةً ما كان منها عاشَ فـي البَحْـرِ
٥٤ - [إذ لا لسانٌ سُقي ملحه ولا دماغ السمك النهري][(١)]»

فهو كما قال: لأنَّ سمك البحر كلّه ليس له لسانٌ ولا دِماغ[(٢)].

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.
(٢) ربيع الأبرار ٥/٤٣٩.

١٩٣٨ - [قواطع السمك][1]

وأصنافٌ من حِيتان البحْر تجيء في كلِّ عام، في أوقاتٍ معلومةٍ حتّى تدخل دجلة، ثم تجوز إلى البطاح. فمنها الأسبور، ومنها البرسْتوك ووقته ومنها الجُواف ووقته. وإنما عرفَتْ هذه الأصناف بأعيانها وأزمانها لأنها أطيبُ ذلك السَّمك. وما أشكّ أنّ معها أصنافاً أُخر يعلم منها أهلُ الأبلّة مثل الذي أعلم أنا من هذه الأصناف الثّلاثة.

١٩٣٩ - [كبد الكوسج]

وأمّا قوله:

٥٨ - «وأكبدٌ تَظْهر في ليلها ... ثمَّ تواري آخرَ الدَّهرِ
٥٩ - ولا يُسيغ الطُّعمَ ما لم يكنْ ... مزاجُه ماءً على قدْرِ
٦٠ - ليس له شيءٌ لإزلاقه ... سوى جِرابٍ واسعِ الشَّجْرِ»[2]

فإنّ سمكاً يقال له الكوسج غليظ الجلد، أجرد، يشبه الجرّيَّ، وليس بالجرِّي، في جوفها شحمةٌ طيِّبة، فإن اصطادُوها ليلاً وجدوها وإن اصطادوها نهاراً لم يجدوها[3].

وهذا الخبر شائعُ في الأبُلة، وعند جميع البحريِّين، وهم يسمُّون تلك الشَّحمة الكبد.

وأما قولهم: السَّمكة لا تسيغ طعمها إلاّ مع الماء، فما عند بِشْرٍ ولا عندي إلاّ ما ذكر صاحبُ المنطق. وقد عجِب بشرٌ من امتناعها من بلْع الطّعم، وهي مستنقعة في الماء، مع سعة جِرابِ فيها.

والعرب تسمِّي جوف البئر من أعلاه إلى قعرِه جراب البئر.

وأمّا ما سوى هذه القصيدة فليس فيها إلاّ ما يعرف، وقد ذكرناه في موضعٍ غير هذا من هذا الجزء خاصَّة.

وسنقول في باب الضّبع والقنفذ والحرقوص والورل وأشباه ذلك ما أمكن إن شاء اللّه تعالى.

---

(١) انظر ما تقدم في ٣/ ١٢٧، الفقرة (٧٢٣).
(٢) الشجر: مفرج الفم.
(٣) ربيع الأبرار ٥/ ٤٣٩.

١٩٤٠ - [مساجلة شعرية بين أعرابي وضبع]

قال أبو زياد الكلابيّ: أكلت الضّبع شاة رجلٍ من الأعراب، فجعل يخاطبُها ويقول: [من الرجز]

ما أنا يا جعارِ من خُطّابِكْ　　عليَّ دَقُّ العُصْلِ من أنيابكْ[1]
على حذا جُحْرِك لا اهابُكْ

جَعَارِ: اسمُ الضبع، ولذلك قال الراجز[2]: [من الكامل]

يا أيُّها الجفرُ السَّمين وقَومُه　　هزلى تجرُّهُمُ ضِباعُ جَعارِ[3]

ثم قال الأعرابيّ: [من الرجز]

ما صَنَعتْ شاتي التي أكلْتْ　　ملأْت منْها البَطْنَ ثُمَّ جُلْتْ
وخُنْتَني وبئْسَ ما فَعلْتَ

قالت له: لا زلتَ تلقى الهمّا　　وأرسل اللّه عليكَ الحمّى
لقد رأيْت رجلاً معتمّا

قال لها: كذبتِ يا خباثِ　　قد طال ما أمسيتُ في اكتراثِ
أكلتِ شاةَ صبيةٍ غِراثِ

قالت له والقولُ ذو شُجونِ:　　أَسهبْتَ في قولك كالمجنونِ
أما وربِّ المْرسَلِ الأمينِ　　لأفْجَعَنْ بعيركَ السَّمينِ
وأُمِّه وجَحشه القرين　　حتَّى تكونَ عُقْلةَ العُيُونِ
قال لها وْيحَكِ حذِّريني　　واجتهدي الجهد وواعديني
وبالأمانيِّ فعلِّليني　　لأقطعَنَّ مُلتقى الوتينِ
مِنْكِ وأشفى الهمَّ مِنْ دَفيني　　فصدِّقيني أو فكذِّبيني
أو اتركي حَقِّي وما يليني　　إذاً فشلّتْ عندها يميني
تعرّفي ذلك باليقينِ

قالت: أبالقتلِ لنا تهدِّد　　وأنت شيخٌ مُهْترٌ مفنَّدُ[4]

---

(١) العصل: جمع أعصل وعصلاء، وهي الملتوية.

(٢) البيت بلا نسبة في اللسان والتاج (عفج)، وفيهما: «يا أيها العفج السمين..».

(٣) الجفر: العظيم الجفرة، وهي ما يجمع البطن والجنبين.

(٤) المهتر: الذي فقد عقله وصار خرفاً من الكبر.

قولُكَ بالجُبْنِ عليك يشهدُ ... منك وأنت كالذي قد أعهدُ

قال لها: فأبشري وأبشري ... إذا تجردتُ لشأني فاصبري
أنتِ زعمتِ قد أمنتِ منكري ... أحلفُ باللّه العليِّ الأكبر
يمينَ ذي ثرية لم يكفرِ ... لأخْضبنَّ منك جَنْبَ المنحَر
برمْيةٍ من نازع مذكَّرِ ... أو تتركين أحْمري وبَقَرِي

فأقبلتْ للقدر المقدَّرِ ... فأصبحَتْ في الشّركِ المزعفر
مكبوبةً لوَجْهِها والمنخر ... والشَّيخُ قد مالَ بغربِ مجزر[1]
ثمّ اشتوى من أحمرٍ وأصفر ... منها ومقدورٍ وما لم يُقْدر

١٩٤١ - [جلد الضبع]

وقال الآخر[2]: [من الرجز]

ياليت لي نَعلينُ من جلد الضّبُعْ ... وشَرَكاً من استها لا يَنْقطِعْ
كُلَّ الحذاء يحتذي الحافي الوَقِعْ

وهذا يدلُّ على أنّ جلدها جلدُ سوء.

وإذا كانت السَّنةُ جدبةً تأكلُ المال، سمّتْها العربُ الضّبع. قال الشّاعر[3]: [من البسيط]

أبا خُراشةَ أمّا كُنْتَ ذا نفرٍ ... فإنّ قَوْمي لم تأكلُهم الضّبعُ

١٩٤٢ - [تسمية السنة الجدبة بالضبع]

وقال عُمير بن الحباب[4]: [من الرجز]

---

(١) الغرب: الحد. المجزر: آلة الجزر.

(٢) الرجز لجساس بن قطيب (أبي مقدام) في اللسان والتاج (وقع)، وبلا نسبة في البيان ٣/١٠٩، والبخلاء ١٨٨، والبرصان ١٩٢، وأمالي القالي ١/١١٥، ومجمع الأمثال ٢/١٣٦، واللسان والتاج (حذا)، والتهذيب ٣/٣٦، وديوان الأدب ٣/٢٦٠، وكتاب الجيم ٣/٢٩٤، والمخصص ٤/١١٢، والعين ٢/١٧٨، والجمهرة ٩٤٤، والعقد الفريد ٣/٢٧٠.

(٣) البيت لخفاف بن ندبة في ديوانه ٥٣٣، وللعباس بن مرداس في ديوانه ١٠٦، وتقدم البيت مع تخريج واف في ٥/١٢.

(٤) الرجز لعمير بن الحباب في الأغاني ٢٤/٢٩.

فبشِّري القَيْنَ بطَعْـنٍ شَـرْجِ يشبعُ أولادَ الضباعِ العُـرْجِ[1]
مـا زال إِسـدائي لهـمْ ونَسْجي حتّـى اتّقَوني بظهُورٍ ثُبْجِ[2]
أرَيْننا يَوماً كيوم المرْجِ

١٩٤٣ - [مما قيل من الشعر في الضباع]

وقال رجلٌ من بني ضبَّة[3]: [من البسيط]

يا ضَبُعاً أكلت آيارَ أحْمرةٍ ففي البطون وقد راحتْ قراقيرُ
ما منكم غيرُ جِعْلانٍ بمَمْدَرةٍ دُسمُ المرافقِ أنذالٌ عَواويرُ[4]
وغيرُ هَمْزٍ ولمزٍ للصّديق ولاَ تَنْكي عدوّكُم منكم أظافير
وإنّكم ما بَطِنْتم لم يزلْ أبداً منكم على الأقرب الأدنى زنابيرُ[5]

وأنشد[6]: [من الرجز]

القوْمُ أمثال السِّباع فانشَمِر فمنهُم الذِّئب ومنهم النَّمِرْ
والضّبْع العَرجاءُ واللّيثُ الهصِرْ

وقال العلاجم: [من الرجز]

معاورِ حلباته الشخص أعم كالذِّيخ أفنى سِنّه طول الهرم[7]

وأنشد: [من الرجز]

فجاوز الحرض ولا تشمِّمه لسابغ المشفر رحب بلعمه[8]
سالت ذفاريه وشاب غلصمُه كالذِّيخ في يومٍ مُرشٍّ رِهَمه[9]

---

(١) القين: أراد به الفرزدق.
(٢) الثبج: جمع أثبج؛ وهو الأحدب.
(٣) الأبيات لجرير الضبي في اللسان والتاج (أير)، والأول لرجل من بني ضبة في شرح شواهد الإيضاح ٤٧٧، وهو بلا نسبة في سر صناعة الإعراب ٢/٦٠٨، والكتاب ٣/٥٨٩، ونوادر أبي زيد ٧٦، والمقتضب ١/١٣٢، والأول والثالث بلا نسبة في اللسان والتاج (ضبع).
(٤) الممدرة: موضع فيه طين حر. العواوير: جمع عوار؛ وهو الجبان.
(٥) بَطِنَ: شبع؛ وامتلأ من الطعام.
(٦) الرجز في ربيع الأبرار ٣/٥٧٣.
(٧) البيت الأول فيه تحريف.
(٨) الحرض: شجر الأشنان؛ وهو من الحمض. السابغ: الطويل.
(٩) الذفارى: جمع ذفرى، وهو الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن، وسالت الذفرى: عرقت. الغلصم: جمع غلصمة؛ وهي اللحم الذي بين الرأس والعنق. الذيخ: ذكر الضباع. الرهم: جمع رهمة؛ وهي المطر الضعيف.

يقول: وبَرُ لحييها كثيرٌ كأنّه شعر [ذيخ][1] قد بلّه المطر. وأنشد: [من الرجز]

لما رأين ماتِحاً بالغَرْبِ تخلَّجَتْ أشداقُها للشُّربِ[2]
تخْليجِ أشداقِ الضَّباع الغُلْبِ[3]

يعني من الحرص والشّرهِ. وتمثّل ابنُ الزُّبير[4]: [من الطويل]

خُذيني فَجُرِّيني جَعارِ وأبشري بلحْمِ امرئٍ لم يَشْهدِ اليومَ ناصرهُ[5]

وإنّما خصَّ الضّباع، لأنّها تنبش القبور، وذلك من فرط طلبها للحوم النّاس إذا لم تجدْها ظاهرة. وقال تأبّط شرًّا[6]: [من الطويل]

فــلا تَقْبُـرُونـي إنَّ قَـبْري مُحَـرَّمٌ عليكـمْ ولكـن خامـري أمَّ عـامـر
إذا ضربوا رأسي وفي الرّأسِ أكثري وغُودر عند الملتقى ثمَّ سائري
هنالك لا أبْغي حياةً تسرُّني سميرَ اللّيالي مُبْسلاً بالجرائر

١٩٤٤ - [إعجابُ الضِّباع بالقتلى]

قال اليقطري[7]: وإذا بقي القتيلُ بالعراء انتفخ أيره، لأنّه إذا ضربت عنقه يكون منبطحاً على وجهه، فإذا انتفخ انقلب، فعند ذلك تجيء الضّبع فتركبُه فتقضي حاجتها ثمَّ تأكله.

وكانت مع عبد الملك جاريةٌ شهدت معه حربَ مُصعَب، فنظرت إلى مصعبٍ وقد انقلبَ وانتفخ أيره وورم وغلظ، فقالت: يا أمير المؤمنين، ما أغلظ أُيورَ المنافقين!

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) الماتح الذي يستقي من أعلى البئر. الغرب: الدلو العظيمة. التخلج: التحرك والاضطراب.

(٣) الغلب: جمع أغلب وغلباء؛ وهو الغليظ الرقبة.

(٤) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه ٢٢٠، والكتاب ٣/٢٧٣، وبلا نسبة في اللسان (جرر، جعر)، والمقتضب ٣/٣٧٥.

(٥) جَعارِ: اسم للضبع.

(٦) الأبيات للشنفرى أو لتابط شراً في الطرائف الأدبية ٣٦، وللشنفرى في الحماسة البصرية ١/٩٤، والأغاني ٢١/١٨٢، وأسماء المغتالين ٢٣٢، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢/٦٥، وللمرزوقي ٤٩٠، وانظر البرصان ١٦٦، وعيون الأخبار ٣/٢٠٠، والعقد الفريد ١/١٠١، والأزمنة والأمكنة ١/٢٩٣.

(٧) تقدم الخبر في ٥/ .

فلطمها عبد الملك

١٩٤٥ - [حديث امرأة وزوجها]

ابنُ الأعرابي: قالت امرأةٌ لزوجها، وكانت صغيرة الرّكب، وكان زوجُها صغير الأير: ما للرّجل في عِظَم الرّكَب منفعة، وإنّما الشّأن في ضِيق المدخل، وفي المصِّ والحرارة، ولا ينبغي أن يلتفت إلى ما ليس من هذا في شيء. وكذلك الأير، إنّما ينبغي أن تنظر المرأة إلى حَرِّ جلدته، وطيب عُسيلته، ولا تلتفت إلى كِبَره وصغره. وأنعظ الرجل على حديثها إنعاظاً شديداً، فطمع أن ترى أيره في تلك الحال عظيماً، فأراها إيّاه، وفي البيت سِراجٌ، فجعل الرَّجلُ يشير إلى أيره، وعينُها طامحةٌ إلى ظلِّ أيره في أصْل الحائط، فقال: يا كذابة، لشدّة شهوتك في عظم ظلِّ الأير لم تفهمي عنِّي شيئاً، قالت: أما إنَّك لو كنت جاهلاً كان أنعم لبالك يا مائق، لو كان منفعةُ عِظم الأير كمنفعة عِظم الرَّكب لما طمَحَتْ عيني إليه. قال الرجل: فإنَّ للرَّكب العظيم حَظّاً في العين، وعلى ذلك تتحرّك له الشّهوة. قالت: وما تصنع بالحركة، وشكٌّ يؤدِّي إلى شكٍّ؟ الأير إنْ عَظم فقد ناك جميع الحر، ودخل في تلك الزّوايا التي لم تزل تنتظمُ من بعيد. وغيرها المنتظم دونَها، وإذا صَغُر ينيكُ ثُلث الحرِ ونصفُه وثلثيه. فمنْ يسرُّه أن يأكل بثُلث بطْنه، أو يشرب بثُلث بطنه؟

قال اليقطري: أمكنها واللّه من القول ما لم يمكنه.

١٩٤٦ - [الجارية التي أدركت بثأرها من معاوية]

وقال[1]: وخلا معاوية بجاريةٍ له خراسانيّة، فما همَّ بها نظر إلى وصيفةٍ في الدّار، فترك الخراسانيّة وخلا بالوصيفة ثمَّ خرج فقال للخراسانيّة: ما اسم الأسد بالفارسيّة؟ قال: كَفْتار. فخرج وهو يقول: ما الكفتار؟ فقيل له: الكفتار الضّبع. فقال: ما لها قاتلها اللّه، أدركتْ بثأرها! والفُرْسُ إذا استقبحت وجه الإنسان قالت: رُوي كَفْتار، أي وجه الضبع.

١٩٤٧ - [كتاب عمر بن يزيد إلى قتيبة بن مسلم]

قال: وكتب عمر بن يزيد بن عمير الأسدي إلى قتيبة بن مسلم، حين عزل وكيع بن سُودٍ عن رياسة بني تميم، وولّاها ضِرار بن حسين الضّبي: «عزلْت السِّباعَ وولَّيت الضِّباع».

---

(١) ورد الخبر في ربيع الأبرار ٥/٤١٨.

١٩٤٨ - [شعر فيه ذكر الضبع]

وأنشد لعبّاس بن مِرداسٍ السُّلمي[١]: [من الطويل]

فلو ماتَ منهمْ مَنْ جَرَحْنا لأصْبحتْ ضباعٌ بأكناف الأراك عرائسا[٢]

و قال جريبة بن أشْيم[٣]: [من الطويل]

فمَنْ مبلغ عنّي يساراً ورافعاً وأسلمَ أَنَّ الأوهنين الأقاربُ
فلا تدفِننّي في ضَرًا وادْفنَنّني بدْيمومَةٍ تنزو عليَّ الجنادبُ[٤]
وإنْ أنتَ لم تعقرْ عليّ مطيّتي فلا قام في مالٍ لَكَ الدَّهْر حالبُ[٥]
فلا يأكلنّي الذِّئبُ فيما دفنتني ولا فُرْعلٌ مثل الصَّريمة حاربُ[٦]
أزَلُّ هَلِيبٌ لا يزال مآبطاً إذا ذربت أنيابُه والمخالبُ[٧]

وأنشد: [من الرمل]

تركُوا جارَهُمُ تأكلهُ ضَبُعُ الوادي وترميه الشَّجرْ

يقول: خذلوه حتّى أكله ألأم السِّباع، وأضعفها. وقوله: «وترميه الشَّجر»، يقول: حتّى صار يرميه من لا يرمي أحداً.

١٩٤٩ - [بقية الكلام في الضبع]

وقد بقي من القول في الضّبُع ما سنكتبه في باب القول في الذئب[٨].

---

(١) ديوان العباس بن مرداس ٩٤، والحماسة البصرية ١/٥٤، والبرصان ١٦٥، والأغاني ١٤/٣١٥، والأصمعيات ٢٠٦، والمعاني الكبير ٢١٣، ٩٢٧.

(٢) عرائس: جمع عروس، وفي البيت إشارة إلى ما يكون من الضباع من شغفها بركوب القتلى.

(٣) الأبيات لجريبة بن أشيم في البرصان ١٦٣-١٦٤.

(٤) الضرا: مقصور الضراء، وهو الشجر الملتف في الوادي، وفي البرصان «صوى»؛ وهي جمع صوة، وهي ما غلظ وارتفع من الأرض. الديمومة: الفلاة.

(٥) كان أهل الجاهلية يؤمنون بالبعث، ولهذا فقد كانوا يعقرون عند القرب مطية؛ ويسمون تلك العقيرة «بلية»، ليركبها الميت عند بعثه، ومن لم تكن له بلية حشر ماشياً. انظر اللسان ١٤/٨٥-٨٦. (بلا)، والمحبر ٣٢٣.

(٦) الفرعل: الضبع. الصريمة: السوداء مثل الليل. الحارب: السالب.

(٧) الأزل: الأرسح الصغير العجز. الهليب: من الهلب، وهو كثرة الشعر. ورواية صدر البيت في البرصان: (أزبُّ هِلَبٌ لا يزال مطابقاً).

(٨) لم يفِ الجاحظ بوعده هذا، إذ لم يفرد باباً للذئب.

١٩٥٠ - [الحرقوص]

وأمَّا الحرقوص فزعموا أنّه دويْبَّة أكبر من البُرغوث، وأكثرُ ما ينبت له جناحان بعد حينٍ، وذلك له خير.

وهذا المعنى يعتري النّمل - وعند ذلك يكون هلاكه - ويعتري الدَّعاميص إذا صارت فَراشاً، ويعتري الجِعلان.

والحرقوص دويْبَّة عضُّها أشدُّ من عضّ البراغيث. وما أكثر ما يَعضُّ أحراحَ النساء والخُصى[١]. وقد سميٍّ بحرقوص من مازنٍ أبو كابية بن حُرقوص، قال الشّاعر: [من الرجز]

أنتم بني كابية بن حُرقُوصْ　　　كلّهُمُ هامته كالأفْحُوصْ[٢]

وقال بشرُ بن المعتمر، في شعره المزاوج، حين ذكر فضل عليٍّ على الخوارج، وهو قوله: [من الرجز]

ما كان في أسلافهم أبو الحسنْ　　　ولا ابنُ عَبَّاسٍ ولا أهلُ السُّنَنْ
غُرٌّ مصابيحُ الدُّجى مناجِبُ　　　أولئك الأعلامُ لا الأعاربُ
كمثل حُرْقوصٍ ومنْ حُرْقوصُ　　　فَقْعةُ قاعٍ حولها قصيصُ
ليس من الحنظل يُشْتارُ العَسَلْ　　　ولا من البُحورِ يُصطاد الورَلْ
هيهاتَ ما سافلةٌ كعاليه　　　ما مَعدنُ الحكمة أهل الباديهْ

قال[٣]: والحرقوص يسمى بالنُّهيك. وعضَّ النُّهيك ذلك الموضع من امرأة أعرابيّ فقال[٤]: [من الطويل]

وما أنا للحرقوص إنْ عضَّ عَضةً　　　لها بَيْنَ رجليها بجدٍّ عَقُورِ
تطيب بنفْسي بعد ما تستفزُّني　　　مقالتُها إنَّ النُّهيكَ صغيرُ

والذين ذهبوا إلى أنَّه البرغوث نفسُه قالوا: الدَّليل على ذلك قول الطِّرمَّاح[٥]: [من الطويل]

---

(١) ربيع الأبرار ٥/٤٧٨.
(٢) أفحوص القطا: مبيضها. وهو مثلٌ في الصغير.
(٣) ربيع الأبرار ٥/٤٧٨.
(٤) البيتان في ربيع الأبرار ٥/٤٧٨، واللسان والتاج (نهك)، والثاني في المقاييس ٤/٢٤٣.
(٥) ديوان الطرماح ٦٣، وربيع الأبرار ٥/٤٧٨، والمعاني الكبير ٦٨٠.

ولو أنّ حُرقوصاً على ظَهْرِ قَمْلة　　يَكرُّ على صَفَّيْ تميمٍ لولّتِ

قالوا: ولو كان له جناحانِ لما أركبه ظَهْر القملة. وليس في قول الطِّرِمّاح دليلٌ على ما قال.

وقال بعضُ الأعراب، وعض الحرقوص خُصيتَه[1]: [من الوافر]

لقدْ مَنَعَ الحراقيصُ القَرَارَا　　فلا ليلاً نَقَرُّ ولا نَهارَا

يُغالِبْنَ الرِّجالَ على خُصاهم　　وفي الأحراحِ دَسّاً وانجحارا

وقالت امرأةٌ تَعْني زوجَها[2]: [من الطويل]

[يغارُ من الحرقوصِ أنْ عَضَّ عَضةً　　بفخذيَ منها ما يَجُذُّ، غيورُ][3]

لقد وقَعَ الحُرقوصُ مِنِّي موقِعاً　　أرى لَذّةَ الدُّنيا إليه تصيرُ

وأنشدوا لآخر: [من الرجز]

بَرَّحَ بي ذُو النُّقطتين الأملسُ　　يَقْرُضُ أحياناً وحيناً ينهَسُ

فقد وصفَه هذا كما ترى. وهذا يصدِّق قول الآخر، ويردُّ على من جعل الحراقيص من البراغيث. قال الآخر: [من البسيط]

يَبيت باللّيل جوّاباً على دَمِثٍ　　ماذا هُنالك من عَضِّ الحراقيصِ

١٩٥١ - [الورل]

وسنقول في الورَل بما أمكنَ من القول إن شاء اللّه تعالى. وعلى أنَّا قد فرَّقنا القولَ فيه على أبواب قد كتبناها قبل هذا.

قالوا[4]: الورَل يقتلِ الضَّبَّ، وهو أشدُّ منه، وأجودُ سلاحاً وألطفُ بدناً. قالوا: والسَّافِد منها يكون مهزولاً، وهو الذي يَزِيف إلى الإنسان وينفخ ويتوعَّد.

قال[5]: واصطدت منها واحداً فكسرت حجراً، وأخذتُ مَرْوةً فذبحته بها، حتَّى قلت قد نخعته[6]. فاسبطَرَّ[7] لحينِه فأردت أن أصغي إليه وأشرْتُ بإبهامي في

---

(١) البيتان في نهاية الأرب ١٠/ ٣٠٥.

(٢) البيتان في نهاية الأرب ١٠/ ٣٠٥، والبيت الأول مستدرك من نهاية الأرب.

(٣) الدمث: اللين السهل، ويعني به الخصى والأحراح.

(٤) ربيع الأبرار ٥/ ٤٦٩.

(٥) ثمة نقص في الكلام، وانظر هذا القول في ربيع الأبرار ٥/ ٤٦٩.

(٦) نخعته: أصبت نخاعة.

(٧) اسبطر: امتد.

فيه، فعضَّ عليها عضةً اختلعَت أنيابَه، فلم يخلِّها حتى عضضْت على رأسِه.

قال: فأتيتُ أهلي فشققْتُ بطنَه، فإذا فيها حيّتان عظيمتان إلاَّ الرَّأس.

قال: وهو يشدخ رأسَ الحيَّة ثمّ يبتلعُها فلا يضرُّه سمُّها. وهذا عنده أعجب ما فيه. فكيف لو رأى الحوَّائين عندنا، وأحدُهم يُعطَى الشيءَ اليسير، فإن شاء أكل الأفعى نِيّاً، وإن شاء شِواءً، وإن شاء قَديداً فلا يضرُّه ذلك بقليلٍ ولا كثير.

وفي الوَرَل أنه ليس شيءٌ من الحيوان أقوَى على أكل الحَيَّات وقتلها منه، ولا أكثر سفاداً، حتى لقد طمّ في ذلك على التَّيس، وعلى الجمل، وعلى العُصفور، وعلى الخنزير، وعلى الذِّبَّانِ في العدد، وفي طُول المكث. وفيه أنَّه لا يحتفر لنفسه بيتاً، ويغتصب كلَّ شيء بيتَه؛ لأنها أيَّ جُحر دخَلتْه هربَ منه صاحبُه. فالورَل يغتصب الحيَّة بيتَها كما تغتصب الحيَّةُ بيوت سائر الأحناش والطِّير والضَّب.

وهو أيضاً من المراكِب. وهو أيضاً مما يُستطاب، وله شَحمة، وَيَستطيبون لحمَ ذنبه. والورل دابَّة خفيفُ الحَركة ذاهباً وجائياً، ويميناً وشمالاً. وليس شيء بعد العَظَاءة أكثر تلفُّتاً منه وتوقفاً.

١٩٥٢ - [زعم المجوس في العظاءة]

وتزعم المجوس أنَّ أهْرمَن، وهو إبليس، لمَّا جلس في مجلسه في أوَّل الدهر ليقسِّم الشَّرَّ والسُّموم - فيكون ذلك عدّةً على مناهضة صاحب الخير إذا انقضى الأَجل بينهما، ولأنَّ من طباعه أيضاً فعلَ الشر على كلِّ حال - كانت العظاءَة آخرَ من حَضَر، فحضرَتْ وقد قسم السمَّ كلَّه، فتداخلها الحسرةُ والأَسف. فتراها إذا اشتَدّت وقفَتْ وِقْفةَ تذكُّرٍ لما فاتَها من نصيبها من السُّم، ولتفريطها في الإبطاء حتى صارتْ لا تسكن إلاَّ في الخرابات والحُشُوش[1]؛ لأنها حين لم يكن فيها من السمّ شيءٌ لم تطلبْ مواضعَ الناس كالوزَغة التي تسكنُ معهم البيوت، وتكرَع في آنيتهم الماءَ وتمجُّه، وتُزاقُّ الحيَّات وتهيِّجها عليهم. ولذلك نفرت طباعُ النَّاس من الوزَغة، فقتلوها تحت كلِّ حجر، وسلمت منهم العظاءَة تسليماً منهم.

ولم أر قولاً أشدَّ تناقضاً، ولا أمْوق من قولهم هذا؛ لأنّ العظاءَة لم يكن ليعتريَها من الأسف على فوت السمّ على ما ذكروا أوّلاً إلاَّ وفي طبعها من الشّرارة الغريزيَّة أكثرُ ممَّا في طبع الأفعى.

---

(١) الحشوش: جمع حُش، وهو بيت الخلاء.

١٩٥٣ - [ذكر الورل في الشعر]

قال الرَّاجز في معنى الأوَّل: [من الرجز]

يا وَرَلاً رقرق في سَرَابِ أكانَ هذا أول الثّوَاب

قال: ورقرقتُه: سُرعتُه ذاهباً وجائياً ويميناً وشمالاً.

قال أبو دُؤاد الإيادي[١]، في صفة لسان فرسه: [من الخفيف]

عَنْ لسان كَجُثَّة الورَل الأحْـ ـمَر مَـجَّ الثَّرَى عليه العَرارُ

وقال خالد بن عُجْرة[٢]: [من الوافر]

[كأنّ لسانه ورلٌ عليه، بِدارِ مَضِنَّةٍ، مَجُّ العرارِ]

ووصف الأصمعيُّ حمرته في بعض أراجيزه، فقال: [من الرجز]

في مَغرٍ ذي أضرُسٍ وصَكٌ يعرجُ منه بعد ضيق ضَنْكِ[٣]

١٩٥٤ - [فروة القنفذ]

قد قلنا في القُنفذ، وصنيعه في الحيَّات وفي الأفاعي خاصَّة، وفي أنه من المراكب، وفي غير ذلك من أمره، فيما تقدم هذا المكانَ من هذا الكتاب[٤].

ويقول من نزَع فروته بأنها مملوءة شحيمة. والأعراب تستطيبُ أكله، وهو طيِّب للأرواح[٥].

١٩٥٥ - [ذكر القنفذ في الشعر]

والقنفذ لا يظهر إلا بالليل، كالمستخفي، فلذلك شبه به، قال أيمن بن خُريم[٦]: [من البسيط]

كقنفذ الرَّمل لا تخفى مدارِجُه خِبٌّ إذا نام عنهُ النّاسُ لم يَنَم

---

(١) البيت لأبي دؤاد في ديوانه ٣١٨، ولعدي بن الرقاع في ديوانه ٧٤، واللسان (ورل)، وتقدم في ١/١٧٩، الفقرة (٢٠٧).

(٢) لم يرد البيت في الأصل، واستدركته مما تقدم في ١/١٧٩، الفقرة (٢٠٧).

(٣) المغر: المصبوغ بالمغرة؛ وهو صبغ أحمر.

(٤) انظر ما تقدم في ص ٣٤١.

(٥) ربيع الأبرار ٥/٤٧٣.

(٦) البيت لأيمن بن خريم في ديوان المعاني ٢/١٤٤، وتقدم في ٤/٣٤٠، منسوباً إلى الأودي، وانظر ديوان الأفوه الأودي ٢٤.

وقال عَبْدَةَ بن الطبيب[1]: [من الكامل]

قومٌ إذا دَمَسَ الظّلامُ عليهمُ ... حَدَجوا قَنافِذَ بالنّميمةِ تمْزَعُ

وقال[2]: [من المتقارب]

شَرَيْتُ الأُمور وغالَيْتُها ... فأولَى لَكُمْ يابَني الأعرجِ

تدبُّون حول ركِيَّاتكُمْ ... دَبِيبَ القنافذِ في العَرْفَجِ

وقال الآخر[3] في غير هذا الباب: [من الرجز]

كأنّ قِيراً أو كُحيلاً ينعصرْ ... ينحطُّ من قُنفذِ ذِفراه الذّفرْ

وقال عبَّاس بن مِرداس السُّلَمِيُّ[4]، يَضرب المَثَلَ به وبأذنيه في القلّة والصَّغَر: [من المتقارب]

فإنَّك لم تك كابن الشَّرِيد ... ولكنْ أبوك أبو سَالِم

حَمَلْتَ المئين وأثقالها ... على أذنَي قنفُذٍ رازم

وأشبْهتَ جَدَّكَ شرّ الجدودِ ... وَالعِرْقُ يَسْري إلى النّائم

وأنشدني الدَّلهمُ بن شهاب، أحد بني عوف بن كنانة، من عُكل، قال: أنشدنيه نفيع بن طارق في تشبيه رَكَب المرأة إذا جَمَّمَ بجلد القنفذ[5]: [من الرجز]

١ - عُلِّقَ من عنائه وشِقْوَتهْ ... وقد رأيتَ هَدجاً في مِشْيَتهْ[6]

٣ - وقد جلاَ الشَّيبُ عذارَ لِحْيَته ... بنْتَ ثماني عَشْرَة من حِجَّتهْ[7]

٥ - يَظنُّها ظَنّاً بغير رُؤْيَته ... تمشي بجَهْمٍ ضِيقُهُ من هِمَّتهْ[8]

---

(١) البيت في المفضليات ١٤٧، وتقدم في الفقرة (١٦٧).

(٢) نسب البيت الثاني إلى جرير في ديوان المعاني ٢/١٤٤، ولم يرد البيتان في ديوانه.

(٣) الرجز لجندل بن المثنى في التاج (صلف)، ولم يرد فيه البيت الأول، بل ورد الثاني مع بيت آخر.

(٤) ديوان العباس بن مرداس ١٥٢، وعيون الأخبار ٢/٧.

(٥) الرجز في الخزانة ٦/٤٣٠، والمقاصد النحوية ٤/٤٨٨، والمخصص ١٤/٩٢، ١٧/١٠٢، والإنصاف ١/٣٠٩، وأوضح المسالك ٤/٢٥٩، وشرح الأشموني ٣/٦٢٧، وهمع الهوامع ٢/١٤٩، وشرح التصريح ٢/٢٧٥، واللسان (شقا)، وتهذيب اللغة ٩/٢٠٩، وانظر ربيع الأبرار ٥/٤٧٤.

(٦) الهدج: مشية الشيخ.

(٧) جلاه: جعله واضحاً أبيض.

(٨) ضيقه من همته: أي إن حرها ضيق كضيق همته.

٧- لم يُخْزِه اللّه برُحْبِ سَعَتِه   جَمَّمَ بَعْدَ حَلْقِه ونورَتِه[١]
٩- كقنفذ القُفِّ اختَفَى في فَرْوَتِهْ   لا يبلغ الأيرُ بنزعٍ رَهوتَهْ[٢]
١١- ولا يكــرُّ راجعــاً بكـرَّتِــهِ   كأنّ فيه وهَجاً من مَلَّتِهْ[٣]

١٩٥٦ - [من تسمى بقنفذ]

ويتسمَّون بالقَنافذ. وذو البرة الذي ذكره عَمرو بن كلثوم هو الذي يقال له: بُرة القُنفذ، وهو كعب بن زهير، وهو قوله[٤]: [من الوافر]

وذو البُرة الذي حُدِّثتَ عَنْه   بهِ نَحْمَى وَنَشْفِي المُلْجَئينَا

١٩٥٧ - [كبار القنافذ][٥]

ومن القنافذ جنس وهو أعظم من هذه القنافذ؛ وذلك أنّ لها شوكاً كصَياصي[٦] الحاكة، وإنّما هي مدارَى قد سُخِّرَتْ لها وذُلِّلت تلك المغارز والمنابت، ويكون متى شاء أن ينصل منها ردى به الشخصَ الذي يخافُه، فَعلاَحتّى كَأنّه السهم الذي يخرجه الوتر.

ولم أر أشبه به في الحذف من شَجر الخِرْوع؛ فإنَّ الحبَّ إذا جفَّ في أكمامه، وتصدَّع عنه بعضَ الصَّدع، حذف به بعضُ الغصون، فربَّما وقَع على قاب الرّمح الطويلِ وأكثر من ذلك.

١٩٥٨ - [تحريك الحيوان بعض أعضائه دون بعض]

والبرذون يسقُط على جلده ذبابةٌ فيحرِّك ذلك الموضعَ. فهذا عامٌّ في الخيل. فأمَّا النَّاس فإن المخنَّث ربما حرَّك شيئاً من جسدَه، وأيَّ موضعٍ شاء من بدنه[٧].

---

(١) النورة: مسحوق يستخدم لإزالة الشعر.

(٢) القف: ما غلظ من الأرض وارتفع. الرهوة: مستنقع الماء. النزع: مأخوذ من نزع الماتح بالدلو من البئر.

(٣) الملة: الرماد الحار والجمر

(٤) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته في شرح القصائد السبع ٤٠٧، وشرح القصائد العشر ٣٥٠، والمقاييس ١/ ٢٣٤.

(٥) وردت هذه الفقرة محرفة في ربيع الأبرار ٥/ ٤٧٣-٤٧٤.

(٦) الصياصي: جمع صيصية: وهو الشوكة التي يستعملها الحائك.

(٧) ربيع الأبرار ٥/ ٤٧٤.

والكاعاني، وهو اسم الذي يتجنّن أو يتفالج فالج الرِّعدة والارتعاش، فإنّه يحكي من صَرْع الشَّيطان، ومن الإزباد، ومن النَّفضة، ما ليس [يصدرُ][1] عنهما. وربّما جمعهما في نقابٍ واحد، فأراك اللّه تعالى [منه][1] مجنوناً مفلوجاً يجمع الحركتين جميعاً بما لا يجيء من طباع المجنون.

١٩٥٩ - [حكاية الإنسان للأصوات وغيرها]

والإنسان العاقلُ وإن كان لا يحسُن يبني كهيئة وكْر الزُّنبور، ونسج العنكبوت، فإنه إذا صار إلى حكاية أصوات البهائم وجميع الدوابّ وحكاية العُمْيان والعُرْجان؛ والفأفاء، وإلى أنْ يصوِّر أصنافَ الحيوان بيده، بَلَغ من حكايته الصُّورةَ والصوت والحركة ما لا يبلغه المحكيّ.

١٩٦٠ - [الحركات العجيبة للإنسان][2]

وفي النَّاس من يحرِّك أذنَيه من بين سائر جسده، وربَّما حرَّك إحداهما قبل الأخرى. ومنهم من يحرِّك شعر رأسه، كما أنَّ منهم من يبكي إذا شاء، ويضحَك إذا شاء.

وخبَّرني بعضهم أنّه رأى من يبكي بإحدى عينيه، وبالتي يقترحُها عليه الغير.

وحكى المكّي عن جَوارٍ باليمن. لهنّ قرونٌ مضفورةٌ من شعر رؤوسهن، وأنَّ إحداهنَّ تلعب وترقُص على إيقاعٍ موزون، ثمَّ تُشخص قرنًا من تلك القرون، ثمَّ تلعب وترقص، ثمَّ تُشخص من تلك الضَّفائر المرصَّعة واحدةً بعد أخرى، حتَّى تنتصب كأنها قرونٌ أوَابدُ في رأسها. فقلت له: فلعلَّ التَّضفير والترصيع أن يكون شديد الفتْل ببعض الغِسْل[3] والتّلبيد، فإذا أخرجَتْه بالحركة التي تُثْبِتُها في أصل تلك الضفيرة شخَصت. فلم أره ذهبَ إلى ذلك، ورأيته يحقّقه ويستشهد بأخيه.

١٩٦١ - [حذر الذئب عند نومه]

وتزعمُ الأعراب أنّ الذّئب ينامُ بإحدى عينيه، ويزعمون أنّ ذلك من حاقِّ الحذر[4]. وينشد شعر حُميد بن ثَورٍ الهلاليّ، وهو قوله[5]: [من الطويل]

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) وردت هذه الفقرة باختصار في ربيع الأبرار ٥ / ٤٧٤ .

(٣) الغِسْل: ما يغسل به الرأس.

(٤) حاق الحذر: شدته.

(٥) ديوان حميد بن ثور ١٠٥، وثمار القلوب (٥٠٨)، وديوان المعاني ٢ / ١٣٤، والخزانة ٤ / ٢٩٢، والمقاصد النحوية ١ / ٥٦٢، وربيع الأبرار ٥ /٤١٨.

يَنامُ بِإحدى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِي الـ ـمَنَايا بأُخْرَى فهو يَقظانُ هاجعُ

وأنا أظنُّ هذا الحديث في معنَى ما مُدح به تأبَّط شرّاً[1]: [من الطويل]

إذا خاط عينيه كرَى النّوم لم يَزلْ له كالئٌ من قلب شَيْحَانَ فاتكِ
ويجعَلُ عيَنَيه رَبِيئَة قلْبِه إلى سَلّةٍ منْ حَدّ أخْضَرَ باتكِ

١٩٦٢ - [قولهم: أسمع من قنفذ ومن دلدل]

ويقال: «أسمَعُ من قُنْفُذ»[2]، وقد ينبغي أن يكون قولهم: «أسمعُ من الدُّلدُل» من الأمثال المولّدة.

١٩٦٣ - [المتقاربات من الحيوان]

وفرق ما بين القنفذ والدُّلدُل، كفرق ما بين الفَأْر والجُرْذان، والبقر والجواميس، والبَخَاتيّ والعِراب، والضّأْن والمعز، والذّر والنّمل، والجوَاف والأسبور[3]، وأجناس من الحيّات، وغير ذلك؛ فإنّ هذه الأجناس منها ما يتسافد ويتلاقح، ومنها ما لا يكون ذلك فيها.

١٩٦٤ - [أمثال في الخنفساء]

ويقال[4]: «إنّه لأفْحشُ من فاسية» وهي الخنفساء؛ لأنّها تفسو في يد من مَسَّها. وقال بعضهم: إنّه عنى الظَّربان؛ لأنّ الظّربان يفْسُو في وسط الهجْمة[5]، فتتفرَّق الإبل فلا تجتمع إلا بالجهد الشّديد.

ويقال: «ألجُّ من الخنفساء»[6]. وقال خلفٌ الأحمرُ وهويهجو رجلاً[7]: [من المتقارب]

ألـجُّ لَجاجًا مِن الخُنفساء وأزْهى إذا ما مَشَى مِنْ غُرابِ

---

(١) تقدم البيتان ص ٤٤٩.
(٢) مجمع الأمثال ١/٣٥٥، والمستقصى ١/١٧٤، والدرة الفاخرة ١/٢١٨.
(٣) الجواف والأسبور: ضرب من السمك. انظر ما تقدم في ٣/١٢٧، الفقرة (٧٢١).
(٤) تقدمت هذه الفقرة في ٣/٢٤٣، الفقرة (٩٠٧).
(٥) الهجمة: القطعة الضخمة من الإبل، قيل هي من الأربعين إلى ما دوين المائة، وقيل غير ذلك. انظر اللسان «هجم».
(٦) جمهرة الأمثال ٢/١٨٠، والمستقصى ١/٣٠٨، ويروى (ألح من الخنفساء) في مجمع الأمثال ٢/٢٥٠، والدرة الفاخرة ٢/٣٦٩.
(٧) تقدم البيت في ٣/٢٤٣. الفقرة (٧٠٢).

١٩٦٥ - [رجز في الضبع]

وأنشد أبو الرُّديني، عن عبد اللّه بن كُراع، أخي سُويد بن كُراع، في الضّبع: [من الرجز]

مَنْ يجن أولاد طريف رَهْطا ... مُـــرْدًا أولـــه شُـمطا[١]
رأى عَـضـاريـط طوالاً ثُطًّـــا ... كـأضْبعٍ مُرْطٍ هَبطْنَ هَبْطَا[٢]
ثم يفسِّـنَ هَـزِيـلاً مَـرْطَـا ... إنَّ لكم عنـدي هناءً لَعْطَا[٣]
خطماً على آنِفُكُمْ وعلطا[٤]

١٩٦٦ - [تأويل رؤيا أبي مجيب]

وحكى أبو مجيب، ما أصابه من أهله، ثمَّ قال: وقد رأيت رؤيا عبَّرتها: رأيتُ كأني طردت أرنبًا فانَجحرتْ، فحفرتُ عنها حتَّى استخرجتها، فرجوت أن يكون ذلك ولداً أُرزقه، وإنه كانت لي ابنة عمٍّ هاهنا، فأردتُ أن أتزوَّجها؛ فما ترى؟ قلت: تزوَّجْها على بركة اللّه تعالى. ففَعل؛ ثمَّ استأذنني أنْ يقيم عندنا أيَّاماً؛ فأقام ثم أتاني فقلتُ: لاتخبرْني بشيءٍ حتى أنشدَك. ثمَّ أنشدْتُه هذه الأبيات[٥]: [من الرجز]

ياليت شعْرِي عَن أبي مجيبِ ... إذْ باتَ في مَجَاسدٍ وطيبِ[٦]
مُعـانـقًـا لـلرَّشـأ الـرَّبـيـبِ ... أأقْحَمَ الحفارَ فـيَّ القَليبِ
أمْ كانَ رِخْـوًا يابسَ القَضيبِ

قال: بلى كان واللّه رخْوًا يابسَ القضيب، واللّه لكأنَّكَ كنتَ معنا ومُشاهِدَنا!

١٩٦٧ - [خصال الفهد]

فأمَّا الفهد؛ فالذي يحضُرنا من خصاله أنّه يقال إن عظام السِّباع تشتهي ريَحه[٧]، وتستدلُّ برائحته على مكانهِ وتُعجَب بلحمه أشدّ العجب.

وقد يصادُ بضروبٍ، منها الصَّوت الحسَن؛ فإنّه يُصغِي إليه إصغاءً حسنًا. وإذا

(١) مرداً: جمع أمرد، شمطا، جمع أشمط: وهو الذي اختلط سواد شعره في بياضه.
(٢) العضاريط: الخدم والتباع. الثط: جمع أثط؛ وهو القليل شعر اللحية. أضبع: جمع ضبع. مرط: جمع أمرط؛ وهو الخفيف شعر الجسد والحاجبين. هبطن: هزلن.
(٣) يهجوهم بضعف الفساء. الهناء: ضرب من القطران تطلى به الإبل. اللعط: الكي بالنار.
(٤) خطمه بالسيف: ضربه وسط أنفه.
(٥) الرجز الأغاني ٥/٣٤٩.
(٦) المجاسد: جمع مجسد؛ وهو الثوب المصبوغ بالجساد أي الزعفران.
(٧) تقدم في ٤/ الفقرة (٢٢٨): «والسباع تشتهي رائحة الفهود، والفهد يتغيب عنها..».

اصطادوا المسنَّ كان أنفعَ لأهله في الصَّيد من الجرو الذي يربُّونه؛ لأنَّ الجرو يخرج خَبًّا، ويخرجِ المسنُّ عَلَى التأديب صَيُوداً غيرَ خَبٍّ ولا مُوَاكِلٍ(١) في صيده. وهو أنفع من صيد كلِّ صائد، وأحسن في العين. وله فيه تدبيرٌ عجيب.

وليس شيءٌ في مثل جِسْم الفَهد إلاّ والفَهد أثقلُ منه، وأحطمُ لظهر الدابَّة التي يَرقَى على مؤخَّرها(٢).

والفهد أنْوَم الخلق، [وليس نومه كنوم الكلب؛ لأن الكلب نومه نعاس واختلاس](٣)، والفهد نومه مُصْمَت(٤): قال أبو حيَّة النُّميري(٥): [من البسيط]

بعـذاريـهـا أناساً نـام حلمهـمُ عَنّا وعنك وعنهـا نومةَ الفَـهَـدِ

وقال حُميد بن ثَورٍ الهِلالي(٦): [من الطويل]

ونمتَ كنَوم الفَهْدِ عن ذي حفيظةٍ أكلْت طعامـاً دونـه وهـو جـائـعُ

١٩٦٨ - [أرجوزة في صفة الفهد]

وقال الرقاشيُّ في صفة الفهد(٧): [من الرجز]

قد أغتدي واللَّيلُ أحْوى السُّدِّ والصُّبحُ في الظَّلماء ذو تَهَدِّي(٨)
مثل اهتزاز العضب ذي الفرند بأهرَت الشِّدقين ملتئد(٩)
أزبرَ مَضْبُورِ القَرَا علَّكْد طاوي الحشا في طيٍّ جسمٍ مَعْد(١٠)
كَزَّ البراجيمِ هصور الجِدٍّ برامز ذي نُكَتٍ مُسْودٍّ(١١)

---

(١) الخب: الخدّاع والخبيث.
(٢) المواكل: الثقيل ذو البطء والبلادة.
(٣) ثمار القلوب: (٦٩٤).
(٤) التكملة من ثمار القلوب (٦٩٤)، ومجمع الأمثال ٢/٣٥٥، في المثل «أنوم من فهد»، وانظر ربيع الأبرار ٥/٤١٩.
(٥) ديوان أبي حية النميري ٤٧٢.
(٦) ديوان حميد بن ثور ١٠٥، وثمار القلوب (٥٩٥).
(٧) الأرجوزة لأبي نواس في ديوانه ٦٢٢-٦٦٣، والأنوار ٢/١٥٨-١٥٩.
(٨) الأحوى: الأسود، السد: السحاب الأسود؛ والوادي فيه حجارة وصخور يبقى الماء فيه زمناً.
(٩) العضب: السيف. الأهرت: الواسع.
(١٠) الأزبر: القوي. المضبور: المكتنز لحماً. القرا: الظهر. العلكد: الضخم. المعد: الغليظ الضخم.
(١١) رواية الديوان: (كَرْه الرُّوا، جَمٌّ غضون الخدِّ دلامـزُ ذي نكـفٍ مسـودٍّ).
وفي الأنـوار: (كَزِّ الرّوا جـمِّ غضون الجلد دلامـز ذي نكـبٍ مسـود).
الكز: الصلب الشديد اليابس. البراجيم: جمع برجمة؛ وهي مفاصل الأصابع. ورواية الديوان «الروا» أي الماء الكثير المروي. الهصور: من الهصر؛ وهو الافتراس والكسر. ورواية الديوان والأنوار «غضون» وهي التجاعيد. «دلامز»: قوي ماضٍ. «النكف»: غدد صغار في أصل اللحى.

وَشَجْرِ لَحْيَيْن ونَحرٍ وَرْدِ شَرَنبثٍ أغلبَ مُصْمَعدٌ[١]
كالليث إلاَّ نُمْرَةً في الجلد للشبح الحائل مستعدٌ[٢]
حتَّى إذا عايَنَ بعد الجهدِ علَى قطاة الرِّدف ردف العبد[٣]
سِرْبَيْن عنا بجَبينٍ صَلْدِ وانقضَّ يأدو غيرَ مجرهدٌ[٤]
في مُلْهَبٍ منه وخَتْلٍ إدِّ مثل انسياب الحيَّة العربدٌ[٥]

وقوله: «مثل انسياب الحيَّة العربدٌ»،هذه الحيَّة عين الدابّة التي يقال لها العربِد. وقد ذكرها مالك بن حريم في [قوله][٦] لعمْرو بن معد يكرب: [من م. الكامل]

يا عــمرُو لــو أبصــرتني لرْفَوتَني في الخيل رَفْوا[٧]
والبِيـضُ تلمـع بينهـم تعصُو بها الفُرْسانُ عَصْوَا[٨]
فلقيت مــني عِــرْبدًا يقطو أمامَ الخيلِ قَطْوَا[٩]
لا رأيــتُ نســاءَهم يدخُلْنَ تحت البيت حَبْوَا
وسمعْتُ زَجْــرَ الخيل فــي جوفِ الظّلام هبي وهبوَا[١٠]
فــي فَيلــقٍ ملمــومــةٍ تسطو على الخبَرَات سطْوَا[١١]

وقال الرَّقاشي أيضًا في الفهد: [من الرجز]

لمـا غـدا للصَّيـدِ آلُ جَعْفَـرِ رَهْطُ رسولِ اللّه أهلُ المفْخَرِ

---

(١) الشرنبث: الغليظ الكتفين والرجلين. المصمعد: المنطلق انطلاقاً سريعاً؛ والأسد.
(٢) النمرة: النكتة من أي لون كانت.
(٣) القطاة: مقعد الردف من الدابة خلف الفارس.
(٤) عنًّا: ظهراً. الصلد: القوي. يأدو: يختل. المجرهد: المسرع المستمر في السير.
(٥) المهلب: العَدْو السريع الذي يثير الغبار. الختل: الخداع. الإد: العجيب. العربد: الشديد من كل شيء.
(٦) إضافة يقتضيها السياق، والأبيات التالية في لباب الآداب ٢٠٣.
(٧) رفاه: سكنه من الرعب.
(٨) البيض: السيوف. عصاه بالسيف: ضربه به.
(٩) قطا يقطو: تقارب مشيه من النشاط.
(١٠) هبي: زجر للخيل، أي توسعي وباعدي.
(١١) الفيلق: الكتيبة العظيمة. الملمومة: المجتمعة. تسطو: تسرع الخطو. الخبرات: جمع خبرة، وهي الأرض كثر خبارها، والخبار: ما استرخى من الأرض وتخفى.

بفَهْدَةٍ ذات قَراً مُضَبَّر وكاهلٍ بادٍ وعنقٍ أزْهَر[1]
ومُقْلةٍ سال سَوادُ المحجرِ منها إلى شِدقٍ رُحابِ المفْغَر[2]
وذنبٍ طالَ وجلْدٍ أنْمَر وأيْطلٍ مستأسدٍ غضنفر[3]
وأذنٍ مكسورةٍ لم تجْبرِ فَطْساءَ فيها رَحَبٌ في المنخر[4]
مثل وجار التتفل المقوَّر أرثها إسحاق في التعذر[5]
منها على الخدَّين والمُعذّر[6]

١٩٦٩ - [نعت ابن أبي كريمة للفهد]

وقال ابنُ أبي كريمة في صفة الفهْد[7]: [من الطويل]

كأنَّ بنات القَفْر حين تشعّبَتْ غدوت عليها بالمنايَا الشواعبِ
بذلك نبَغي الصيد طوراً وتارةً بمُخْطفة الأحشاء رحْبِ التّرائبِ
مُوَقَّفة الأذناب، نُمرٍ ظهورها مخطَّطة الآماق غلبِ الغَوَارب
مُولَّعةٍ فُطْح الجِبَاه عوابسٍ تخالُ على أشْداقها خطّ كاتبِ
فوارسُ ما لم تلقَ حرْبًا ورجلةٌ إذا آنَستْ بالبيد شُهبَ الكتائبِ
تضَاءَلُ حَتَّى ما تكاد تُبينُها عيونٌ لدى الصَّرَّاتِ غير كواذب
توسّد أجيَادَ الفرائس أذرُعًا مُرمَّلة تحْكي عِناقَ الحَبائب

١٩٧٠ - [ما يضاف إلى اليهود من الحيوان]

قال[8]: والصبيان يصيحون بالفهد إذا رأوه: يا يهوديّ!

وقد عرفنا مَقالهم في الجِرِّيّ[9].

(١) القر: الظهر، المضبر: المكتنز لحماً. الباد: الكثير اللحم. الأزهر: الأبيض.
(٢) المفغر: المفتح. فغر فاه: فتحه.
(٣) الأيطل: الخاصرة.
(٤) الفطس: انخفاض قصبة الأنف.
(٥) التتفل: الثعلب. المقور: الموسع.
(٦) المعذر: المقذ، وهو أصل الأذن.
(٧) تقدمت الأبيات في ٢/٤٤٦، وهي في الحماسة البصرية ٢/٣٤٥، ونهاية الأرب ٩/٢٦٦.
(٨) ربيع الأبرار ٥/٤٢٠.
(٩) الجرّي ضرب من السمك، وانظر ما تقدم في ١/١٥٤؛ س٧، ١٩٦، ٢٠٣، ٦/٣٥٦.

والعامَّة تزعم أن الفأرة كانت يهوديَّةَ سحّارة[1]، والأرضة يهودية أيضًا عندهم؛ ولذلك يلطِّخون الأجذاع بشحم الجزُور[2].

والضبّ يهوديّ؛ ولذلك قال بعضُ القصَّاص لرجل أكل ضبًّا: اعلمْ أنّك أكلت شيخًا من بني إسرائيل[3].

ولا أراهم يضيفون إلى النّصرانية شيئًا من السِّباع والحشرات.

١٩٧١ - [ذئب يوسف][4]

ولذلك قال أبو علقمة: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف رجحون[5]. فقيل له: فإنّ يوسف لم يأكُلْه الذّئب، وإنما كذبوا على الذِّئب؛ ولذلك قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[6]. قال: فهذا اسمٌ للذئب الذي لم يأكلْ يوسف.

فينبغي أن يكونَ ذلك الاسمُ لجميع الذّئاب، لأنّ الذئابَ كلها لم تأكله.

١٩٧٢ - [زعم المجوس في لبس أعوان بَشُوتَن]

وتزعمُ المجوس أنّ بَشُوتَن الذي ينتظرون خروجه، ويزعُمون أنّ الملك يصيرُ إليه، يخرج على بقرةٍ ذاتِ قرون. ومعه سبعون رجلاً عليهم جلود الفهود، لايعرفُ هرّا ولا برّاً[7] حتى يأخذ جميع الدنيا.

١٩٧٣ - [الهرّ والبرّ]

وكذلك إلغازهم في الهرّ والبرّ. وابن الكلبي يزعم عن الشّرقي بن القطاميّ، أن الهرّ السنّور، والبرّ الفارة[8].

---

(١) تقدم في ١/١٩٦ أنها كانت طحانة. وأخرج البخاري في بدء الخلق، حديث رقم ٣١٢٩: «عن النبي ﷺ قال: فُقدت أمة من بني إسرائيل لا يُدرى ما فعلت، وإني لا أراها إلا الفأر».

(٢) ربيع الأبرار ٥/٤٧١.

(٣) ربيع الأبرار ٥/٤٦٨، وتقدم في ص٣٥٦.

(٤) ثمار القلوب (١٠٨)، والعقد الفريد ٦/١٥٦.

(٥) في ثمار القلوب «رَغْمون»، وفي العقد «هملاج».

(٦) ١٨/يوسف: ١٢.

(٧) هذا القول من الأمثال في مجمع الأمثال ٢/٢٦٩، والمستقصى ٢/٣٣٧، وفصل المقال ٥١٥، وجمهرة الأمثال ٢/٣٧٦. وفي هذا المثل خمسة أقوال: **أحدها** أن الهر: السنور، والبر: الفأرة، **والثاني**: أن الهر: الهرهرة؛ وهو صوت الضأن، والبرّ: البربرة؛ وهو صوت المعزى. **والثالث** أن البرّ: دعاء الغنم، والهرّ: سَوْقُها، **والرابع** أن البرّ: اللطف، والهرّ: العقوق، **والخامس** أن البرّ: الإكرام، والهرّ: الخصومة.

(٨) انظر الحاشية السابقة.

١٩٧٤ - [جوارح الملوك]

والباز والفَهد من جوارح الملوك. والشاهين، والصَّقر، والزُّرَّق، واليؤيؤ(١).

وليس ترى شريفًا يستحسنُ حملَ البازي - لأنّ ذلك من عمل البازيار(٢)- ويستهجن حمل الصُّقور والشواهين وغيرها من الجوارح، وما أدري علّة ذلك إلا أنّ البازَ عندهم أعجميّ، والصَّقر عربيّ.

١٩٧٥ - [العقعق]

ومن الحيوان الذي يدرّب فيستجيب ويَكيس وينصَح العَقْعَقُ، فإنّه يستجيبُ من حيثُ تستجيبُ الصُّقور. ويُزْجر فيعرف ما يُرَاد منه ويخبأ الحَلي فيُسأل عنه ويُصاح به فيمضي حتى يقفَ بصاحبه على المكان الذي خبَّأه فيه، ولكن لا يلزم البحث عنه(٣).

وهو مع ذلك كثيراً ما يُضيع بيضه وفِراخه.

١٩٧٦ - [الحيوانات التي تخبئ الدراهم والحلي]

وثلاثة أشياءَ تُخبِّي الدَّراهم والحليَ، وتَفْرَحُ بذلك من غير انتفاع به، منها(٤): العَقعقُ؛ ومنها ابن مِقْرض: دويْبّةٌ آلَفُ من ابن عِرْس؛ وهو صعبٌ وحْشيٌّ، يحبُّ الدَّراهم، ويفْرَحُ بأخذها، ويخبيها، وهو مع ذلك يصيد العصافير صيداً كثيراً، وذلك أنّهُ يُؤْخَذ فيُربَطُ بخيطٍ شديد الفتْل، ويُقابلُ به بيت الْعُصفور، فيدخُلُ عليه فيأخذه وفراخَه، ولايقتلها حتى يقتلها الرّجل، فلا يزال كذلك ولو طاف به على ألف جُحْر. فإذا حلّ خيطه ذهَبَ ولم يقُم.

وضرب من الفار يسرق الدَّراهِمَ والدنانير والحَلْي ويفرح به ويُظْهِرهُ ويغيِّبه في الجُحر وينظُر إليه ويتقلّب عليه.

١٩٧٧ - [ذَنَبُ الوزغة]

قال(٥): وخطب الأشعث فقال: «أيُّها الناسُ إنه مابقي من عدوِّكم إلا كما بقي

---

(١) اليؤيؤ: طائر شبيه بالباشق، من جوارح الطير.

(٢) البازيار: القائم بأمر البازي.

(٣) ربيع الأبرار ٥/ ٤٥٨.

(٤) ربيع الابرار ٥/ ٤٥٧.

(٥) ربيع الأبرار ٥/ ٤٧٠.

من ذَنَب الوزَغة تضرِب به يميناً وشمالاً ثم لاتلبث أن تموت» فمر به رجلٌ من قشير فسمع كلامه فقال: قَبَّح اللّه تعالى هذا ورأيَه، يأمر أصحابَه بقلّة الاحتراس، وتركِ الاستعداد!

وقد يُقطَع ذنبُ الوزَغةِ من ثلثها الأسفل، فتعيش إن أفلتَتْ من الذَّرِّ.

۱۹۷۸ - [أشد الحيوان احتمالاً للطعن والبتر]

وقد تحتمل الخنافسُ والكلابُ من الطَّعْن الجائف، والسّهم النَّافذ؛ ما لا يحتملُ مثلَه شيء. والخُنفَسَاءُ أعْجبُ من ذلك وكفاك بالضّبِّ!

والجمل يكون سَنامُه كالهدف، فيُكشَف عنه جلدُه في المجهدَة[1]؛ ثمَّ يُجتث من أصله بالشِّفار، ثمَّ تعاد عليه الجلدةُ ويُدَاوَى فيبرأ، ويحتملِ ذلك، وهو أعْجَب في ذلك من الكبش في قطعِ أليته من أصل عَجْب ذنَبه، وهي كالتُّرس، وربما فعل ذلك به وهو لا يستطيع أن يقُلَّ أليته[2] إلاّ بأداةٍ تتَّخذ. ولكنَّ الألية على كلِّ حال طرفٌ زائد، والسَّنام قد طبَّقَ على جميع ما في الجوف.

۱۹۷۹ - [زكن إياس][3]

ونظر إياسُ بن معاوية في الرَّحْبة بواسط إلى آجُرَّة، فقال: تحت هذه الآجُرَّة دابّة: فنزعوا الآجُرَّة فإذا تحتها حيَّة متطوِّقة. فسُئِل عن ذلك، فقال لأنِّي رأيتُ ما بينَ الآجُرَّتين نَدِيًّا من جميع تلك الرَّحَبة، فعلمتُ أنَ تحتها شيئًا يتنفّس.

۱۹۸۰ - [هداية الكلاب في الثلوج]

وإذا سقط الثّلج في الصحارى صار كلَّه طبقًا واحداً، إلاّ ما كان مقابلاً لأفواه جحَرة الوحْش والحشرات؛ فإنّ الثّلج في ذلك المكان يَنْحسر ويرقّ لأنفاسها من أفَواهها ومنَاخِرها ووهَج أبدانها[4]، فالكلابُ في تلك الحال يعتادها الاسترواح حتى تقفَ بالكلاّبين على رؤوس المواضع التي تنبت الإجْرِدّ والقَصيص[5]، وهي التربة التي تُنبتُ الكَمْأة وتربِّيها.

---

(١) المجهدة: الإعسار، والحال الشاقة.

(٢) يقل: يرفع.

(٣) الخبر في ثمار القلوب (١٨٣)، وأخبار الأذكياء ٦٩، وبهجة المجالس ١ / ٤٢٢، والوافي بالوفيات ٩ / ٤٦٦.

(٤) تقدم مثل هذا الكلام في ٢ / ٣١٥، س٤.

(٥) الإجرد: نبت يدل على الكمأة. والقميص: شجر تنبت في أصله الكمأة.

١٩٨١ - [تعرّف مواضع الكمأة]

وربما كانت الواحدةُ كالرُّمانة الفخْمة، ثم تتخلّق من [غير][١] بزر، وليس لها عرقٌ تمصُّ به من قُوى تلك الأرض، ولكنها قوى اجتمعَت من طريق الاستحالات، كما يَنطبخُ في أعماق الأرض، من جميع الجواهر وليس لها بدّ من تربة ذلك من جوهرها، ولابدَّ لها من وسْميّ[٢]. فإذا صار جانيها إلى تلك المواضع - ولا سيما إن كان اليومُ يومًا لِشمسه وَقْعٌ[٣] - فإنه إذا أبصر الإجردَّ والقَصِيص استدلَّ على مواضعها بانتفاخ الأرض وانصداعها.

وإذا نظر الأعرابيّ إلى موضع الانتفاخ يتصدّعُ في مكانه فكان تفتُّحه في الحالات مستوياً، علم أنَّه كمأة؛ وإن خلَطَ في الحركة والتصدُّع علم أنّه دابَّة، فاتَّقى مكانَها.

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) الوسمي: مطر أول الربيع، وهو أوان الكمأة.

(٣) الوقع: الشدة.

بـــاب
نوادرَ وأشعار وأحاديث

قال الشّاعر(١): [من م. الكامل]

وعـصَـيت أمْـرَ ذوي الـنُّهـى　　وأطعْت رأيَ ذَوي الْجَـهـالَـهْ
فـاحـتـلتُ حِـينَ صَـرَمْتِنِـي　　والمـرءُ يَعْجَـزُ لا الـمَحَـاله
[والعبدُ يـقرعُ بالعصـا　　والحرُّ تكفيه المقالهْ](٢)

وقال بشّار(٣): [من الرجز]

وصـاحـب كـالـدُّمّل المُـمـدّ　　حَمَلْتُـه فـي رُقْعَةٍ مـن جلـدي
الحُـرُّ يُـلْحَى والعـصـا لـلعَبْد　　وليس للملـحِـفِ مـثلُ الـرَّدِّ

وقال خليفة الأقطع(٤): [من م. الكامل]

العـبـد يُـقْـرَعُ بـالعـصـا　　والـحُـرُّ تكفيـه المَلامَـهْ

---

(١) الأبيات لأبي دؤاد في ديوانه ٣٣٢، وانظر اللسان ١١/١٨٧ (حول)، والبيان ٣/٣٧.

(٢) إضافة من ديوانه و البيان.

(٣) الرجز لبشار في طبقات ابن المعتز ٢٦، والثالث والرابع في البيان ٣/٣٧، والمختار من شعر بشار ٢٢٣.

(٤) البيت ليزيد بن مفرغ في ديوانه ٢١٥، والأغاني ١٨/٢٦١، وأمالي الزجاجي ٢٩، والبيان ٣/٣٧، والوساطة ١٩٦، والمختار من شعر بشار ٢٢٣، واللسان والتاج (عصا).

بـــاب
من القول في العُرْجان

قال رجلٌ من بني عِجْل[١]: [من الطويل]

وشَى بيَ واشٍ عندَ لَيْلَى سَفاهةً ... فقالت لـه ليلَى مقالةَ ذي عقْـلِ
وخبَّرَهـا أنّي عَـرِجْتَ فـم تـكُنْ ... كَـورْهَاءَ تجتـرّ المـلامـة للبَعـلِ[٢]
ومابيَ مِنْ عَيبِ الفتى غَيْرَ أنّني ... جعَلْتُ العصَا رِجلاً أقيمُ بها رِجلي

وقال أبو حَيَّة في مثل ذلك[٣]: [من البسيط]

وقـد جَعَلْتُ إذ مـا قُمتُ، يُـوجِعُني ... ظهْـري فَقُمت قِـيَامَ الشّارب السَّكِرِ
وكنتُ أمشي على رِجلَين مُعْتَـدِلاً ... فصرتُ أمشي على أخرى من الشجر

وقال أعرابيٌّ من بني تميم[٤]: [من الطويل]

وما بيَ منْ عيب الفتى غَيْرَ أنّني ... أَلِفْتُ قناتي حينَ أوجَعني ظَهْري

وكان بنو الحَدَّاءِ عُرْجانًا كلّهم، فهجاهُم بعض الشُّعراء فقال[٥]: [من البسيط]

للّه درُّ بَني الحَـدّاء مِـنْ نَـفَـرِ ... وكـلُّ جـارٍ علـى جيـرانه كَـلْبُ
إذا غَدَوْا وعصيُّ الطَّلْح أرجُلُهُمْ ... كما تُنَصَّبُ وَسْطَ البيعَةَ الصُّلُبُ

وإنّما شبه أرجلهم بعصيّ الطّلح؛ لأنَّ أغصان الطلح تنْبت معوجَّة. لذلك قال مَعْدانِ الأعمى[٦]: [من الخفيف]

والـذي طفَّفَ الجدار من الذُّعْـ ... ـرِ وقـد بـات قاسمَ الأنفال[٧]
فغـدا خامعـًا بـأيـدِي هَشِيمٍ ... وبسَـاقٍ كـعُـودِ طَـلحٍ بالِ[٨]

---

(١) الأبيات في البيان ٣/٧٦، والبرصان ٢٤٩-٢٥٠، . والثالث في عيون الأخبار ٤/٦٧.

(٢) الورهاء: الحمقاء. تجتر: تجتلب.

(٣) ديوان أبي حية النميري ١٨٦، والأمالي ٢/١٦٣، والبيان ٣/٧٦، والبرصان. ١٣٣، ٢٤٩، والخصائص ١/٢٠٧، وعيون الأخبار ٤/٦٨.

(٤) البيت في البيان ٣/٧٦، وعيون الأخبار ٦٧.

(٥) البيتان لبشر بن أبي خازم في البيان ٣/٧٥، والبرصان ٢٢٩، وديوانه ٢٢٧، وتقدما في ١/٢٠٨ بلا نسبة.

(٦) البيتان لمعدان الأعمى أبي السري الشميطي في البرصان ٢٣١، والبيان ٣/٧٥، وانظر ما تقدم في ٢/٣٩٢-٣٩٣، الفقرة (٤٥٤)، والحاشية الثالثة في ٢/٣٩٢.

(٧) طفف الجدار: رفعه. الأنفال: الغنائم.

(٨) الخامع: الأعرج. الهشيم: الشجر اليابس.

وله حديثٌ.

١٩٨٢ - [عصا الحكم بن عبدل]

وكان الحكمُ بن عبدل أعرجَ، وكان بعد هجائه لمحمد بن حسَّان بنِ سعد لا يبعث إلى أحدٍ بعصاه التي يتوكأ عليها وكتبَ عليها حاجَته إلاّ قضاها كيفَ كانت، فدخل على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وهو أميرُ الكوفة، وكان أعرجَ، وكان صاحبُ شُرطته أعرَج - فقال ابن عَبْدَل[١]: [من الكامل]

ألقِ العَصَا ودَعِ التَّعَارجَ والتمسْ عمـلاً فـهـذي دَولَـةُ العُـرجـان
فأميرُنا وأميرُ شُرطتِنَا مَعًا يا قومنا لكليهما رِجلان
فإذا يكونُ أميرُنا ووزيرُه وأنا فإنّ الرَّابعَ الشيطانُ

وقال آخر ووصف ضَعفه وكِبَر سنِّه[٢]: [من الكامل]

آتِي النديَّ فلا يُقرَّب مجلسي وأقودُ للشرَف الرفيع حمارِيا

١٩٨٣ - [عرجان الشعراء]

وكان من العُرجان والشعراء أبو ثعلب، وهو كليب بن أبي الغول. ومنهم أبو مالك الأعرج. وفي أحدهما يقول اليزيدي[٣]: [من الطويل]

أبـو ثعلـبٍ للنـاطفيِّ مـؤازِرٌ على خبثه والـنـاطفـيُّ غـيـورُ
وبـالبغلة الشهباء رِقَّـةُ حـافـرٍ وصاحبُنا ماضي الجَنان جَسورُ
ولا غـرْوَ أنْ كـان الأعيرجُ آرَهَا ومـا الـنـاسُ إلاّ آيِـرٌ ومَـئِـيـرُ

١٩٨٤ - [البدء والثُّنيان]

وقال الشاعر[٤]: [من البسيط]

---

(١) الأبيات مع الخبر السابق في الأغاني ٢/٤٠٦، والبيان ٣/٧٦، والبرصان ٢١٠، وعيون الأخبار ٤/٦٧.

(٢) البيت في البيان ٣/٢٦٣، والبرصان ١٣٣، واللسان والتاج (شرف)، والقافية في الأخيرين (حماري).

(٣) الأبيات في اللسان والتاج (أرر، أير)، والتنبيه والإيضاح ٢/٨١، والثالث في البرصان ٢٢٠.

(٤) البيت لأوس بن مغراء في اللسان والتاج (بدأ، ثنى)، والتنبيه والإيضاح ١/٦، والتهذيب ١٤/٢٠٥، ١٥/١٣٦، والمخصص ٢/١٥٩، ١٥/١٣٨، والمجمل ١/٢٤٨، ٤/٣٦٩، والأمالي ٢/١٧٦، والعمدة ١/١١٨، وبلا نسبة في العين ٨/٢٤٤، والمقاييس ١/٢١٣، ٣٩١.

تَلَقى ثِـنَانا إذا مـا جـاءِ بَدأَهـم		وبَـدْؤُهم إنْ أتـانـا كـان ثُنْيانَـا

فالبدء أضخم السَّادات؛ يقال ثِنًى وثنيان، وهو اسم واحد. وهو تأويلُ قولِ الشَّاعرِ(١): [من الوافر]

يَصُـدُّ الشَّـاعـر الثُّنْيَـانُ عَـنِّـي		صُـدُودَ الْـبَـكْرِ عـن قَـرْمٍ هِجَانِ(٢)

لم يمدح نفسه بأن لايغلب الفحل وإنَّما يغلب الثُّنيانَ. وإنما أراد أنْ يصغِّر بالذي هَجَاه، بأنه ثنيان، وإن كان عندَ نفسه فحلاً وأمَّا قول الشَّاعر(٣): [من الوافر]

وَمَـنْ يَـفْـخَرْ بمثل أبـي وجَـدّي		يجـئْ قبـل السّوابـقِ وهـو ثـانِ

فالمعنى ثانٍ عنانه.

أحاديث من أعاجيب المماليك

- أتيتُ باب السَّعدانيَ، فإذا غلامٌ له مليحٌ بالباب كان يتْبع دابَّته، فقلت له: قلْ لمولاك، إن شئتَ بكَرتَ إليَّ، وإن شئت بكَرتُ إليك. قال: أنا ليس أكلّم مولاي - ومعي أبو القنافذ - فقال أبو القنافذ: ما نحتاج مع هذا الْخُبْرِ إلى معايَنَة.

- وقال أبو البصير المنجِّم، وهو عند قثم بن جعفر، لغلام له مليحٍ صَغيرِ السّنّ: ما حَبَسك يا حلَقـيّ؟ والحلقـيُّ:المخنث - ثمّ قـال: أمَا واللّـه لئن قمتُ إليك يا حلَقـيُّ لَتَعلمنَّ!فلمَّا أكثر عليه من هذا الكلام بكى و قال: أدعو اللّه على مَنْ جعلَني حَلَقيًّا.

- حدَّثني الحسن بنُ المرْزبانِ قال: كنتُ مع أصحابٍ لنا، إذ أُتينا بغلامٍ سنديٍّ يُباع، فقلتُ له: أشتريك يا غلام؟ فقال: حتَّى أسألَ عنك!

- قال المكّي: وأُتِيَ المثنّى بن بِشرٍ بسِنْديٌّ ليشتريه على أنّه طبّاخ، فقال له المثنى: كَمْ تحسنُ يا غلامُ من لون؟ فلم يُجبْه؛ فأعاد عليه، وقال: يا غلامُ كَمْ تحسنُ من لون؟ فكلّم غيرَه وتركه؛ فقال المثنّى في الثالثة: ما له لايتكلم؟ يا غلام، كم تحسنُ من لون؟ فقال السندي: كم تحسن من لون! كم تحسن من لون! وأنت

(١) ديوان النابغة الذبياني ١١٢، والعمدة ١ /١١٨، ٢ /١٨٨.
(٢) البكر: الفتي من الإبل. القرم: الفحل من الإبل. الهجان: الأبيض.
(٣) البيت بلا نسبة في اللسان والتاج (ثني)، والتهذيب ١٤ /٢٣٢، والعمدة ١ /١٨٩.

لا تحسن ما يكفيك أنت؟ قال: حسبُك الآن: ثم قال المثنّى للدّلّال: امضِ بهذا، عليه لعنةُ اللّه!.

– وحدَّثني ثمامة قال: جاءنا رجلٌ بغلامٍ سِنديّ يزعمُ أنّه طباخٌ حاذق، فاشتريتُه منه، فلمّا أمرتُ له بالمال قال الرَّجل: إنه قد غاب عنا غيبةً، فإن اشتريتَه عَلى هذا الشّرط، وإلاّ فاتركْهُ. فقلتُ للسندي: أكنتَ أبقْتَ قطّ! قال: واللّه ما أبقْتُ قطّ! فقلت: أنت الآن قد جمعتَ مع الإباق[1] الكذب! قال: كيف ذلك ؟ قلتُ: لأنّ هذا الموضعَ لايجوز أنْ يكذب فيه البائع. قال: جعلني اللّه تعالى فداءَك! أنا واللّه أخبرك عن قصّتي: كنت أذنَبتُ ذنْبًا كما يُذْنبُ هذا وهذا، جميعُ غلمان النّاس فحلف بكلّ يمين لَيضربنّي أربَعمائة سوط، فكنتَ ترى لي أن أقيم؟ قلت: لا واللّه! قال: فهذا الآن إباق؟ قلتُ لا. قال: فاشتريته فإذا هو أحسنُ النّاس خَبْزًا وأطيبُهم طبخًا.

وخبَّرني رجلٌ قال: قال رجلٌ لغلام له ذاتَ يوم: يا فاجر! قال: جعلني اللّه فِداك، مَولى القوم منهم!

وزعم روح بن الطائفية – وكان روْحٌ عَبداً لأخْت أنَس بن أبي شيخ، وكانت قد فوَّضت إليه كلَّ شيءٍ من أمْرها – قال: دخلت السُّوق أريدُ شراءَ غلامٍ طبَّاخ، فبينا أنا واقفٌ إذ جيءَ بغلامٍ يُعرَض بعشرة دنانير، ويساوي على حُسْن وجهه وجودة قدِّه، وحداثة سنِّه، دونَ صناعته – مائَة دينار. فلمّا رأيته لم أتمالك أنْ دنوتُ منه فقلت: ويحك أقلُّ ثمنك على وجْهك مائةُ دينار، واللّه ما يبيعُك مولاك بعشْرَة دنانيرَ إلاّ وأنت شرُّ الناس! فقال: أمَّا لهم فأنا شرُّ الناس، وأمَّا لغيرهم فأنا أساوي مائةً ومائةً. قال: فقلت: التزيُّن بجمالِ هذا وطيب طبْخه يوماً واحداً عند أصحابي خيرٌ من عشرة دنانير. فابتَعته ومضيتُ به إلى المنزل، فرأيت من حذقه وخدمته، وَقلَّة تزيُّده ما إنْ بعثْتُه إلى الصيّرفي ليأتيني من قِبَله بعشرين ديناراً، فأخذَها ومضى على وجْهه فو اللّه ما شعَرت إلاّ والنَّاشد[2] قد جاءني وهو يطلب جُعْله، فقلت: لهذا وشبْهه باعك القَومُ بعشرة دنانير! قال: لولا أنّي أعلم أنَّك لا تصدِّق يميني و كيف طرَّت الدّنانير من ثَوبي. ولكنّي أقولُ لك واحدة: احتبسني واحترسْ منِّي، واستمتعْ بخدمتي، واحتسِبْ أنَّك كنت اشتريتني بثلاثين ديناراً، قال: فاحتبسته لهوايَ فيه، وقلت لعلَّه

---

(١) الإباق: هرب العبد من سيده.

(٢) الناشد: أراد به الجاحظ: المعرِّف.

أنْ يكونَ صادقًا. ثمَّ رأيتُ واللّه من صلاحه وإنابته وحُسْن خدمته ما دعاني إلى نسيان جميع قصَّته، حتى دفعتُ إليه يَوماً ثلاثين ديناراً ليوصلها إلى أهلي، فلمَّا صارت إلى يده ذهبَ على وجهه، فلم ألبثْ إلاّ أيّاماً حتى ردّه النّاشد، فقلت له: زَعمتَ أنّ الدَّنانير الأولى طُرَّتْ منك، فما قولك في هذه الثانية؟ قال : أنا، واللّه أعلم أنَّك لا تقبل لي عُذْراً، فدَعْني خارجَ الدار، ولا تجاوزْ بي خدمةَ المطبخ؛ ولو كان الضَّرْبُ يردُّ عليك شيئاً من مالك لأشرتُ عليك به، ولكنْ قد ذهبَ مالُك، والضَّرب ينقُص من أجْرك؛ ولعلّي أيضاً أموتُ تحتَ الضّرب فتندمَ وتأثَمَ وتفتضحَ ويطلبَك السلطان. ولكنْ اقتصرْ بي على المطْبخ فإنّي سأسُرُّك فيه، وأوفره عليك. وأستجيد ما أشتريه وأستصلحه لكَ. وعدَّ أنْك اشتريتني بستّين ديناراً! فقلت له: أنت لا تفلح بعد هذا! اذهبْ فأنتَ حرٌّ لوجه اللّه تعالى! فقال لي: أنت عبدٌ فكيف يجوز عتقُك. قلت فأبيعُك بما عَزَّ أوْ هانَ! فقال: لا تَبعْني حَتَّى تُعدَّ طبَّاخًا، فإنّك إن بعتني لم تتغذّ غذاءً إلاّ بخبزٍ وباقلاء. قال: فتركته ومَرَّتْ بعد ذلك أيامٌ فبينا أنا جالسٌ يوما إذْ مرَّت عَليّ شاةٌ لبونٌ كريمة، غزيرة الدّرّ كنا فرَّقنا بينها وبين عَناقها فأكثرتْ في الثُّغاء، فقلت كما يقول النّاس، وكما يقول الضّجر: اللهمَّ العنْ هذه الشاة! ليت أنَّ اللّه بعثَ إنسانًا ذبحها أو سرَقها، حتى نستريحَ من صياحها! قال: فلم ألبَثْ إلاّ بقدْر ما غاب عن عيني، ثمَّ عاد فإذا في يده سكّين وسَاطور وعليه قَميصُ العَمَل، ثمّ أقبل عليّ فقال: هذا اللّحم ما نصنع به وأيٌّ شيءٍ تأمرني به؟ فقلت: وأيٌّ لحم؟ قال: لحم هذه الشاة. قلت: وأيّما شاةٍ؟ قال: التي أمرتَ بذبحها. قلت: وأي شاةٍ أمرْت بذَبحها؟ قال: سبحان اللّه! أليس قد قلت السّاعة: ليت أن اللّه تعالى قد بعث إليها من يذبحها أو يسرقها، فلما أعطاك اللّه تعالى سؤلك صرتَ تتجاهل! قال روح: فبقيت واللّه لا أقدرُ على حبَسه ولا على بيعه ولا على عِتقه.

١٩٨٥ - [أشعارٌ حِسَان]

وقال مسكينٌ الدّارميّ(١): [من الطويل]

إنَّ أبـــانا بِــكْرُ آدم، فـاعـلـمـوا ... وحَـواء قَـرْمٌ ذو عـثـانـيـن شارف(٢)
كـأنّ عـلى خُـرطـومـه متهافِتًـا ... من القُطن هاجته الأكفُّ النوادفُ(٣)

---

(١) ديوان مسكين الدارمي ٥٣.

(٢) القرم: الفحل. العثانين: جمع عثنون، وهي شعيرات طوال تحت حنك البعير. الشارف: المسن من الإبل.

(٣) المتهافت: المتطاير المتساقط.

وَلَلصَّدأ المُسْوَدُّ أطيبُ عندَنا	من المسك دافته الأكُفُّ الدوائفُ[1]
ويصبح عِرفان الدُّرُوعِ جلودَنا	إذا جاءَ يومٌ مُظلمُ اللّون كاسفُ
تعلق في مثل السّواري سُيوفنا	وما بينها والكعب منَّا تنائفُ[2]
وكلُّ رُدَيْنيٍّ كأنَّ كُعوبَه	قطًا سابقٌ مستوردُ الماء صائفُ[3]
كأنّ هلالاً لاحَ فوقَ قَناته	جلا الغَيْمَ عنه والقتامَ الحَراجفُ[4]
له مثلُ حُلقومِ النَّعامة حَلقَةٌ	ومثل القدامى ساقها متناصَفُ[5]

وقال أيضًا مِسكينٌ الدَّارميّ[6]: [من الرمل]

وإذا الفاحش لاقى فاحشًا	فهناكُمْ وافَقَ الشَّنُّ الطبَقْ[7]
إنَّما الفُحشُ ومنْ يعتادُه	كغُراب البَيْن ما شاءَ نعَقْ
أو حمارِ السَّوءِ إنْ أشبعْتَهُ	رَمَحَ النَّاسَ وإنْ جَاعَ نَهقْ
أو غُلامِ السَّوءِ إنْ جوَّعته	سرَقَ الجارَ وإن يشْبَع فسَقْ

وقال ابن قيس الرقيات[8]: [من الخفيف]

مَعقِل القوم من قُريش إذا ما	فازَ بالجهلِ مَعْشَرٌ آخرُونا
لايَؤُمُّون في العَشيرة بالسَّو	ء ولا يُفْسِدون ما يَصْنعُونا[9]

وقال ابن قيس أيضًا، واسمه عبد اللّه[10]: [من المنسرح]

لو كانَ حَولي بنو أميّة لم	ينطق رجالٌ إذا همُ نَطقُوا
إنْ جَلسُوا لم تَضقْ مجالسهُم	أو رَكبوا ضاق عنهمُ الأُفقُ
كَمْ فيهم من فَتًى أخي ثقَةٍ	عن مَنْكبَيه القميصُ منخرقُ
تحبُّهم عُوَّذ النِّساء إذا	ما احمرَّ تحت القوانسِ الْحَدَقُ[11]

---

(١) داف الطيب: خلطه.
(٢) التنائف: جمع تنوفة، وهي المفازة.
(٣) الرديني: الرمح المنسوب إلى ردينة.
(٤) القتام: الغبار. الحراجف: جمع حرجف، وهي الريح الباردة.
(٥) المتناصف: المتساوي المحاسن.
(٦) ديوان مسكين الدارمي ٥٦.
(٧) إشارة إلى المثل «وافق شن طبقة»، وانظر ما تقدم في ص٣٧٤.
(٨) ديوان ابن قيس الرقيات ١٩٧.
(٩) يؤمون. يقصدون.
(١٠) ديوان ابن قيس الرقيات ٧٢-٧٣.
(١١) العوذ: جمع عائذَة؛ وهي التي تلجأ إلى غيرها تعتصم به. القوانس: جمع قونس، وهو أعلى بيضة الحديد. الحدق: العيون.

وأنكَرَ الكَلْبُ أهلَه ورأى الشَّرَّ وطــاحَ الـمـروَّع الـفَـرِقُ[1]

وقال النابغة[2]: [من الكامل]

سَهكينَ مِنْ صَدإ الحديدِ كأنَّهمْ تحتَ السَّنَوَّرِ جِنَّةُ البقَّارِ

وقال بشار بن برد: [من الطويل]

يطيَّبُ ريحُ الخيزُرَانَةِ بينَهمْ على أنَّها ريحُ الدِّماء تضُوع

سنقول في الشهب وفي استراق السمع[3]

وإنّما تركْنا جمعَه في مكان واحد، لأنّ ذلك كان يطولُ على القارئ. ولو قد قرأ فضْلَ الإنسان على الجانّ، والحجَّة على مَن أنكرَ الجانّ - لم يستثقلْه، لأنّه حينئذٍ يقصد إليه على أنّه مقصورٌ على هذا الباب، فإذا أدخلناه في باب القول في صغار الوحش، والسِّباع، والهَمج، والحشراتِ، فإذا ابتدأ القراءة على ذلك استطال كلَّ قصير إذا كان من غير هذا المعنى.

قالوا: زعمتم أنَّ اللّه تعالى قال: ﴿وَلَقد زَيَّنا السَّمَاءَ الدُّنْيا بمصَابيحَ وَجَعَلْناهَا رُجُومًا للشّياطين﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَحَفظْنَاهَا منْ كُلِّ شيْطان رَجيم﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وجَعَلْناهَا رُجُومًا للشَّياطين﴾[4] ونحنُ لم نجدْ قطُّ كوكبًا خلا مكانهُ، فما ينبغي أنْ يكون واحدٌ من جميع هذا الخلق، من سكّان الصحارى، والبحار. ومن يَراعِي النُّجوم للاهتداء، أو يفكِّر في خلق السموات أن يكون يرى كوكبًا واحداً زائلاً، مع قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا للشَّياطينِ﴾[4].

قيل لهم: قد يحرِّك الإنسانُ يدَه أو حاجبَه أو إصبَعه، فتضاف تلك الحركةُ إلى كلِّه، فلا يشكُّون أنّ الكلَّ هو العاملُ لتلك الحركة، ومتى فصَل شهابٌ من كوكب، فأحرق وأضاء في جميع البلاد. فقد حكَم كلُّ إنسانٍ بإضافة ذلك الإحراق إلى الكوكب. وهذا جواب قريبٌ سهل. والحمد للّه.

ولم يقلْ أحد: إنّه يجبُ في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّياطينِ﴾[4] أنه يَعْني

---

(١) الفرق: الخائف.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ٥٦، وتقدم البيت مع الشرح والتخريج في ص٤١٤.

(٣) انظر ما تقدم من القول في الشهب واستراق السمع ص٤٥٣ - ٤٦٢.

(٤) ١٥/الملك: ٦٧.

(٥) ١٧/الحجر: ١٥.

الجميع. فإذا كان قد صحّ أنّه إنَّما عَنى البعض فقد عَنى نُجُوم المجرّة، والنجومَ التي تظهر في ليالي الحنادس؛ لأنّه محال أن تقعَ عينٌ على ذلك الكوكبِ بعينه في وقت زوَاله حتّى يكون اللّه عزّ وجلّ لو أفنى ذلك الكوكَب من بين جميع الكواكب الملتفَّة، لعرف هذا المتأمِّلُ مكانه، ولوَجَدَ مَسَّ فقده. ومن ظَنَّ بجهله أنّه يستطيع الإحاطة بعدد النُّجوم فإنه متى تأمَّلها في الحَنادس، وتأمَّل المجرَّة وما حولها، لم يضرِب المثل في كثرة العدد إلاّ بها، دونَ الرّمل والتّراب وقطْر السَّحاب.

وقال بعضُهم: يدنو الشّهاب قريبًا، ونراه يجيء عَرْضًا لا مُنْقضًّا ولو كان الكوكب هو الذي ينقضُّ لم يُر كالخيط الدّقيق، ولأضاء جميع الدُّنيا، ولأحرق كلَّ شيء مما على وجْه الأرض. قيل له: قد تكون الكواكب أفقيّة ولا تكونْ علوية؛ فإذا كانت كذلك فصَل الشّهابُ منها عَرْضاً. وكذلك قال اللّه تعالى: ﴿إلاّ مَنْ خَطفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقبٌ﴾[1] وقال اللّه عزَّ وجلّ: ﴿أوْ آتيكُمْ بشِهابٍ قبس﴾[2] فليس لكم أن تقضوا بأنّ المباشر لبدَن الشيطان هو الكوْكب حتى لا يكون غير ذلك، وأنتم تسمعونَ اللّه تعالى يقول: ﴿فأتبعَهُ شِهَابٌ ثَاقبٌ﴾[1] والشِّهاب معروفٌ في اللغة، وإذا لم يُوجبْ عليها ظاهرَ لفظ القُرآنَ لم ينكر أنْ يكون الشِّهَابُ كالخطّ أو كالسهم لا يضيءُ إلاّ بمقدار، ولا يقوى على إحراق هذا العالم. وهذا قريبٌ والحمد للّه.

وطعن بعضهم من جهة أخرى فقال: زعمتم أنّ اللّه تبارك وتعالى قال: ﴿وَحفظًا منْ كلِّ شَيْطانٍ ماردٍ. لا يَسَّمعُون إلى الملإِ الأعْلى وَيُقْذَفُونَ من كلِّ جانبٍ. دُحوراً ولَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ﴾[3] وقال على سَنَنِ الكلام: ﴿إلاّ مَنْ خَطفَ الخَطْفَةَ فأتْبَعَهُ شهَابٌ ثاقبٌ﴾[4] قال: فكيف تكون الخطفة من المكان الممنوع؟ قيل له: ليس بممنوعٍ من الخطفة، إذ كان لا محالة مرميًّا بالشّهاب، ومقْتُولاً، على أنّه لو كان سلمَ بالخطْفة لما كان استفاد شيئًا للتكاذيب والرِّياسة. وليس كلٌّ من كذب على اللّه وادَّعى النبوَّة كان على اللّه تعالى أنْ يُظهر تكذيبه، بأن يخسفَ به الأرْض، أو ينطقَ بتكذيبه في تلك السَّاعة. وإذا وجبت في العُقول السّليمة ألاّ يصدق في الأخبار لم يكن معه برهان. فكفى بذلك.

---

(١) ١٠/الصافات: ٣٧.
(٢) ٧/النمل: ٢٧.
(٣) ٧-٩/ الصافات: ٣٧.
(٤) ١٠/الصافات: ٣٧.

ولو كان ذلك لكانَ جائزًا، ولكنَّه ليس بالواجب. وعلى أنَّ ناسًا من النحويِّين لم يُدخلوا قوله تعالى: ﴿إلاّ منْ خطِف الخَطْفَةَ﴾،(١) في الاستثناء، وقال: إنّما هو كقوله(٢): [من الكامل]

إلاّ كخارجـة المكلّف نفسَه وابنَي قبيصة أن أغيبَ ويشْهدَا(٣)

وقوله أيضًا(٤): [من الكامل]

إلا كناشرة الذي كَلّفتمُ كالغُصْنِ في غلوائه المتَنبّتِ

وقال الشاعر في باب آخر ممّا يكونُ موعظةً له من الفكر والاعتبار. فمن ذلك قوله(٥): [من الطويل]

مهما يَكن ريبُ المنُون فإنني أرى قمَر اللّيلِ المعَذّر كالفَتى

يَكُونُ صغيرًا ثمَّ يعظُم دائبًا ويرجعُ حتّى قيلَ قد مات وانقضى

كذلك زَيدُ المرءِ ثمَّ انتقاصُه وتكراره في إثره بعد ما مضَى

وقال آخر(٦): [من الطويل]

ومستنْبَتٍ لا باللّيالي نَباتُه وما إن تلاقي ما به الشّفَتانِ

وآخر في خمسٍ وتسعٍ تمامُه ويُجْهد في سَبْعٍ معًا وثمانِ

الأوّل الطّريق والثاني القمر.

١٩٨٦ - [ما قيل من الشعر في إنقاص الصحة والحياة]

وقال أبو العتاهية(٧): [من الرجز]

---

(١) ١٠/ الصافات: ٣٧.

(٢) البيت للأعشى في ديوانه ٢٨١، واللسان (قدد)، وبلا نسبة في رصف المباني ٢٠٣، وسر صناعة الإعراب ١/٣٠٣، والمقتضب ٤/٤١٨.

(٣) خارجة: رجل من بني شيبان.

(٤) البيت لعنز بن دجاجة في الكتاب ٢/٣٢٨، وله أو لمعاوية بن كاسر في شرح أبيات سيبويه ٢/١٧٢، ولشهاب المازني في الأزهية ١٧٦، ولكابية بن حرقوص بن مازن في الخزانة ٦/٣٦٢، وبلا نسبة في رصف المباني ٢٠٣، وسر صناعة الإعراب ٣٠٢، وشرح اختيارات المفضل ٥٣٧، والمقتضب ٤/٤١٦.

(٥) الأبيات لحسان السعدي في نوادر أبي زيد ١١١-١١٢، ولحنظلة بن أبي عفراء الطائي في معجم البلدان ٢/٥٠٦ (دير حنظلة)، ولبعض شعراء طيئ في أمالي المرتضى ٢/٧٦، وتقدمت الأبيات في ٣/٢٣٠.

(٦) البيتان بلا نسبة في المخصص ٩/٢٨، وتهذيب الألفاظ ٤٠١.

(٧) ديوان أبي العتاهية ٦٣٦، وعيون الأخبار ٢/٣٢٢، والسمط ١٠٤، والرسالة الموضحة ١٠٩، والبيان ١/١٥٤، والأشباه والنظائر للخالديين ١/٣٩، والعقد الفريد ٣/٥٨، وتقدم في ٣/٢٣١.

أسرَعَ في نقْضِ امرئٍ تمامه

وقال عبدُ هند :[1] [من الطويل]

فـإنّ السِّنـان يـركـبُ المـرءُ حَـدّه ... من العارِ أو يعدُو على الأسد الوَرْدِ
وإنّ الـذي ينهـاكُـمُ عـن طِلابِـهـا ... يُناغـي نساءَ الحـيِّ في طـرّة البُـرْدِ
يُعـلّـلُ والأيّـامُ تنـقـص عـمـرَهُ ... كما تنقُصُ النِّيرانُ من طَرَف الزَّنـدِ

وفي أمثال العرب[2]: «كلُّ ما أقامَ شَخَص، وكلُّ ما ازداد نقص؛ ولوكان يُميتُ النّاس الدّاءَ، لأعاشهم الدّواء».

وقال حميد بن ثور[3]: [من الطويل]

أرى بَصَري قـد رَابَني بعْـدَ صحّـةٍ ... وحَسْبُكَ داءً أن تـصـحَّ وتسلمـا

وقال النَّمر بنُ تَولب[4]: [من الطويل]

يُحبُّ الفَتى طُـولَ السَّلامـةِ والبقـا ... فكَيـفَ تـرَى طُول السَّلامةِ يفعَـلُ

١٩٨٧ - [أخبار في المرض والموت]

وقيل للمُوبَذ: متى أبنك يعني أبنك قال: يوم ولِد .

وقال الشّاعر: [من الطويل]

تصرّفتُ أطواراً أرى كُلَّ عِبْـرَةٍ ... وكان الصِّبَا منِّي جديداً فأخلقا
ومـا زادَ شيءٌ قـطُّ إلا لنقصـهِ ... ومـا اجتمـع الإلفان إلاّ تفـرَّقـا

وقيل لأعرابي في مرضه الذي مات فيه: أيَّ شيءٍ تشتكي؟ قال: تمام العِدّة وانقضاء المدّة[5]!.

---

(١) الأبيات لعمرو بن عبد هند في البيان ٣/٣٤، ولعبد هند بن زيد التغلبي في الوحشيات ١٩، وتقدم الثاني والثالث في ٣/٢٣٠-٢٣١.

(٢) البيان ١/١٥٤.

(٣) ديوان حميد بن ثور ٧، والبيان ١/١٥٤، وعيون الأخبار ٤/١٤٤، والوحشيات ٢٨٨، والسمط ٥٣٢.

(٤) ديوان النمر بن تولب ٣٦٩، والبيان ١/١٥٤، والرسالة الموضحة ١١٠، والوحشيات ٢٨٨، وديوان المعاني ٢/١٨٣.

(٥) الخبر في عيون الأخبار ٣/٤٩.

وقيل لأعرابي، في شَكَاته التي ماتَ فيها: كيف تجِدُك ؟ قال: أجدُني أجدُ ما لا أشتهي، وأشتهي ما لا أجِد[1]!.

وقيلَ لَعمرو بن العاص في مَرْضَته التي ماتَ فيها: كيف تجدك؟ قال: أجِدُني أذوب ولا أثُوب[2].

وقال مَعْمَرٌ: قلتُ لرجلٍ كان معي في الحبْس، وكان مات بالبطْن: كيفَ تجدُك؟ قال: أجدُ روحي قد خرَجَتْ من نصفي الأسفلِ، وأجد السَّماءَ، مُطْبقةً عليَّ، ولو شئتُ أنْ ألمسَها بيدي لفعلت، ومهما شككتُ فيه فلا أشكُّ أنّ الموت بَرد ويُبس، وأنّ الحياةَ حرارة ورطوبة.

١٩٨٨ - [شعر في الرثاء]

وقال يعقوبُ بن الرَّبيع في مرثية جاريةٍ كانتْ له[3]: [من الكامل]

حتى إذا فَتَر اللّسـانُ وأصبحَتْ للموت قد ذَبَلَتْ ذُبول النَّرجسِ
رَجَعَ اليقين مطامعي يأساً كمـا رَجَـعَ اليقينُ مطامِـعَ المتـلمِّسِ

وقال يعقوبُ بن الربيعُ[4]: [من المتقارب]

لئـن كـان قُـرْبـكَ لـي نافعًـا لَبُعـدُك قـد كـان لـي أنفعـا
لأنـي أمنْتُ رَزَايَـا الـدُّهـور وإنْ جـلَّ خـطبٌ فـلن أجْـزعَا

وقال أبو العتاهية[5]: [من الوافر]

وكانتْ في حياتِك لـي عِظَـاتٌ فـأنتَ اليـوم أوْعـظُ منك حيّـا

وقال التيميُّ: [من الوافر]

لقـد عـزَّى رَبيعَـة أنَّ يـومـاً عليهـا مثـل يـومـكَ لا يـعـودُ
ومن عَجبٍ قصَـدنَ له المنايـا على عَمْـدٍ وهُـنَّ لـه جُـنُـودُ

وقال صالحُ بنُ عبد القدُّوس[6]: [من الخفيف]

---

(١) الخبر في البيان ١ / ٢١٠، وعيون الأخبار ٣ / ٤٩، وتقدم في ٣ / ٦٨، الفقرة (٦٢١).

(٢) الخبر في عيون الأخبار ٣ / ٤٩، وتتمة الخبر: «وأجد نجوي أكثر من رزئي، فما بقاء الشيخ على هذا».

(٣) البيتان من قصيدة في الكامل ٢ / ٣٧٠ (المعارف).

(٤) البيتان في تاريخ بغداد ١٤ / ٢٦٨.

(٥) ديوان أبي العتاهية ٦٧٩، وتقدم البيت في ٣ / ٤٤، الفقرة (٥٩٣).

(٦) البيت في البخلاء ١٨٩، ونهاية الأرب ٣ / ٨٣.

إن يكنْ ما أصِبت فيه جليلاً　　فذهاب العزاء فيه أجَلُّ

ونظر بعض الحكماء إلى جنازة الإسكندر، فقال[1]: «إنّ الإسكندرَ كان أمسِ أنطقَ منه اليوم، وهو اليومَ أوعَظُ منه أمس».

وقال غسان[2]: [من الكامل]

ابيضَّ منّي الرأسُ بعدَ سواده　　ودَعَا المشيبُ حليلَتي لبعادِ

واستُنفِد القَرْن الذي أنا منهُمُ　　وكفى بذلك علامةً لحصادي

وقال أعرابي[3]: [من الرجز]

إذا الرِّجالُ ولَدَتْ أولادُها　　واضطربتْ من كِبَرٍ أعضادُها

وَجعلتْ أسقامُها تعتادُها　　فهي زُروعٌ قد دَنا حصادُها

وقال ضِرارُ بنُ عمرو[4]: «منْ سرَّه بَنُوهُ ساءتْه نفسُه».

وقال عبدُ الرحمن بن أبي بكرة[5]. «مَنْ أحَبَّ طُولَ العُمُر فليُوطِّن نفسَه على المصائب».

وقال أخو ذي الرُّمَّة[6]: [من الطويل]

ولم يُنسني أوْفى المُلِمَّاتُ بعدَه　　ولكنَّ نَكْءَ القَرْح بالقَرْح أوْجَعُ

١٩٨٩ - [بعض المجون]

وقال بعض المُجّان[7]: [من الطويل]

نُرقِّع دُنْيانا بتمزيقِ ديننا　　فلا دِينُنا يَبْقَى ولا ما نرقِّعُ

---

(١) ورد القول في الصناعتين ٢٤، والبيان ١/٨١، والكامل ١/٢٣٩ (المعارف).

(٢) البيتان في البيان ٣/١٩٥ لغسان خال الغدّار.

(٣) تقدم الرجز في ٣/٤٣، الفقرة (٥٩٠).

(٤) ورد القول في عيون الأخبار ٢/٣٢٠.

(٥) تقدم القول في ٥/ .

(٦) البيت لمسعود أخي ذي الرمة في الأغاني ١٨/٤، والشعر والشعراء ٣٣٧ (ليدن)، ولهشام أخي ذي الرمة في الكامل ١/١٥٣ (المعارف) وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/٣٢٨، وبلا نسبة في أساس البلاغة (نكأ)، والجمهرة ١١٠٥، والبيان والتبيين ٢/١٩٣.

(٧) البيت لإبراهيم بن أدهم العجلي في عيون الأخبار ٢/٣٣٠، والبيان ١/٢٦٠، والعقد ٢/١١٥، ولعبد الله بن مبارك في التاج (رقع)، وبلا نسبة في الأساس (رقع).

وسُئل بعضُ المُجَّان: كيف أنتَ في دينك؟ قال: أخرِّقه بالمعاصي، وأرقِّعه بالاستغفار.

۱۹۹۰ - [شعر في معنى الموت]

وأنشدُوا لعُروة بن أُذينة[۱]: [من الوافر]

نُـراع إذا الجنائـزُ قابلتْنَـا ... ويحزُنُنـا بُكـاءُ الباكيـات
كَـرَوْعةِ ثَلَّةٍ لمغـازِ سَبْـعٍ ... فلما غابَ عادَتْ راتِعَاتِ[۲]

وقال أبو العتاهية[۳]: [من الطويل]

إذا مـا رأيتـم مَيِّتيـنَ جزعتـمُ ... وإن لم ترَوا ملتم إلى صَبواتِها

وقالت الخنساء[٤]: [من البسيط]

تَرتَعُ ما غَفَلتْ حتَّى إذا ادَّكرت ... فـإنَّمـا هــي إقبـالٌ وإدبـارُ

وكان الحسن لا يتمثَّل إلا بهذين البيتين، وهما: [من الطويل]

يسرُّ الفتى ما كان قدَّمَ من تُقًى ... إذا عَرَفَ الدَّاءَ الذي هو قاتلُه

والبيتُ الآخر[٥]: [من الخفيف]

ليس مَنْ ماتَ فاستراح بَميْتٍ ... إنّمـا الميْـتُ ميّـتُ الأحيـاءِ

وكان صالحٌ المُرّيّ يتمثَّل في قصصه بقوله[٦]: [من المتقارب]

فبـاتَ يُـروِّي أُصـولَ الفسيـلِ ... فَعـاشَ الفَسيـلُ ومـاتَ الرجـلْ

---

(۱) البيتان لعروة بن أذينة في البيان ۳/ ۲۰۱، وبلا نسبة في عيون الأخبار ۳/ ٦۲.

(۲) الثلة: جماعة الغنم.

(۳) ديوان أبي العتاهية ٥۱۲، وأمالي المرتضى ۲/ ۷٥.

(٤) ديوان الخنساء ۳۸۳، والخزانة ۱/ ٤۳۱، ۲/ ۳٤، وشرح أبيات سيبويه ۱/ ۲۸۲، والكتاب ۱/ ۳۳۷، واللسان (رهط، قبل، سوا)، والمقتضب ٤/ ۳۰٥، والمنصف ۱/ ۱۹۷، والبيان ۳/ ۲۰۱، والبرصان ۱۳۰، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ۲/ ۳۸۷، ٤/ ٦۸، وشرح الأشموني ۱/ ۲۱۳، وشرح المفصل ۱/ ۱۱٥، والمحتسب ۲/ ٤۳.

(٥) البيت لعدي بن الرعلاء في معجم الشعراء ۸٦، والأصمعيات ۱٥۲، وشرح المفصل ۱۰/ ٦۹، والحماسة الشجرية ۱/ ۱۹٥، والخزانة ۹/ ٥۸۳، والسمط ۸/ ٦۰۳، واللسان والتاج (موت)، ولصالح بن عبد القدوس في حماسة البحتري ۲۱٤، وبلا نسبة في شرح قطر الندى ۲۳٤، وشرح شواهد المغني ۲/ ۹۳٦، ومغني اللبيب ٤٦۱، والتهذيب ۱٤/ ۳٤۳، والتاج (حيي)، والتنبيه والإيضاح ۱/ ۱۷۳، والبيان ۱/ ۱۱۹.

(٦) البيت في البيان ۱/ ۱۱۹، ۳/ ۱۷۸، وعيون الأخبار ۲/ ۳۰٦.

وكان أبو عبد الحميد المكفوف، يتمثَّل في قصصه بقوله(١): [من البسيط]

يا راقدَ اللّيل مسروراً بأوَّلـه إنّ الحوادث قد يطْرُقن أسحارا

ونظر بكرُ بن عبد اللّه المُزنيّ إلى مُورِّقٍ العِجليّ، فقال(٢): [من الرجز]

عندَ الصّباحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى وتنجلي عنهمْ غيابات الكَرَى

وقال أبو النجم(٣): [من الرجز]

كلنا يأمُل مدًّا في الأجَلْ والمنايا هي آفاتُ الأمَلْ

فأمَّا أبو النجم فإنَّه ذَهب في الموت مذهبَ زهيرحيث يقول(٤): [من الرجز]

إنَّ الفتى يُصْبِحُ للأسقام كالغَرَضِ المنْصُوبِ للسِّهام

أخطاهُ رامٍ وأصاب رامِ

وقال زهير(٥): [من الطويل]

رأيتُ المنايا خَبْطَ عَشْواءَ منْ تُصبْ تُمتْهُ ومَنْ تخطئ يُعَمّرْ فَيَهْرَمِ

١٩٩١ - [مقطعات شتى]

وقال الآخر(٦): [من الكامل]

وإذا صنَعْتَ صنيعةً أتممتها بيدَين ليس نَداهُما بمكدّرِ
وإذا تباعُ كريمةٌ أو تُشْتَرى فسواك بائعُها وأنت المُشْتري

وقال الشاعر: [من الطويل]

---

(١) البيت بلا نسبة في البيان ٣/٢٠٢، وذكر محقق البيان في الحاشية «والبيت لأبي العتاهية في ديوانه ١٢٠، وقد نسب مع قرين له في تفسير القرطبي إلى ابن الرومي».

(٢) الرجز لخالد بن الوليد في اللسان (سوا)، ومعجم البلدان ٣/٢٧١ (سوا)، ٤/٣١٨ (قراقر). وبلا نسبة في اللسان والتاج (غبب).

(٣) ديوان أبي النجم ١٤٧، وبلا نسبة في البيان ٣/١٩٤.

(٤) الرجز لأبي النجم في ديوانه ٢١٨، ومعجم الشعراء ١٨٠، وربيع الأبرار ٥/١١١.

(٥) ديوان زهير ٣٤، وتقدم البيت مع تخريج وافٍ في ٢/٣٠٥، الفقرة (٣١٥).

(٦) البيتان لابن المولى المدني (محمد بن عبد اللّه بن مسلم) في معجم الشعراء ٣٤٢، والحماسة البصرية ١/١٨٤، والحماسة المغربية ٣١٩-٣٢٠، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٧٦١، وشرحه للتبريزي ٤/١٣٥، والمقاصد النحوية ٣/١٢٥، والدرر ٣/٩٢، وبلا نسبة في الأغاني ١٠/١٣٨، وهمع الهوامع ١/٢٠٢، وشرح الأشموني ١/٢٣٥.

قصيرُ يدِ السِّربال يَمْشي معرِّدًا   وشرٌّ قريشٍ في قريشٍ مُركَّبا[1]

وقال الآخر[2]: [من الوافر]

بعثتَ إلى العراقِ ورافدَيه   فزاريًّا أحَذَّ يد القَميصِ
تفيهق بالعراق أبو المثنّى   وعلّمَ قومه أكلَ الخبيصِ

وقال الآخر: [من الخفيف]

حَبَّذا رَجْعُها إليَّ يَدَيها   بيدَيْ درعِها تحلُّ الإزَارا

وأنشد: [من الطويل]

طَوَتْهُ المنايا، وهو عنهنَّ غافلٌ   بمنخَرِق السِّربال عارِي المناكبِ
جريءٍ على الأهوال يَعْدِل دَرْءَهَا   بأبيضَ سَقَّاطٍ وراءَ الضَّرائب[3]

وقال جرير[4]: [من الطويل]

تركتُ لكم بالشّام حَبْلَ جماعةٍ   مَتينَ القُوى مُسْتَحْصِد الْفَتْلِ باقيَا[5]
وجدْت رُقى الشَّيطان لا تستفزُّهُ   وقد كان شَيطاني من الجِنِّ راقيا[6]

وقال الأسديّ: [من المتقارب]

كثير المناقب والمكرمات   يجود مجداً وأصلاً أثيلا
ترى بيديه وَراء الكميٍّ   تباله بعد نصال نصولا
تمنى السفاه ورأى الخنا   وضَلَّ وقد كان قدْمًا ضَلولا
فإن أنت تنزع عن وُدِّنا   فما إن وجدت لَقلبي محيلا

«تم الجزء السادس من كتاب الحيوان ويليه الجزء السابع،
وأوله القول في أحساس أجناس الحيوان».

---

(١) السربال: القميص. المعرد: من التعريد؛ وهو الإحجام. المركب: الأصل والمنبت.
(٢) البيتان للفرزدق، وتقدما في ٥/١٠٩.
(٣) الدرء: العوج والميل. الأبيض: السيف. السقاط: السيف يسقط من وراء الضريبة يقدها حتى يصل إلى الأرض بعد أن يقطع.
(٤) البيتان في الأغاني ٨/٤٨.
(٥) المستحصد: المحكم الشديد الفتل.
(٦) رقى الشيطان: أراد بها بديع الشعر.

فهرس
الجزءين الخامس والسادس
من
كتاب الحيوان

فهرس أبواب المصحف الخامس

فهرس أبواب المصحف السادس